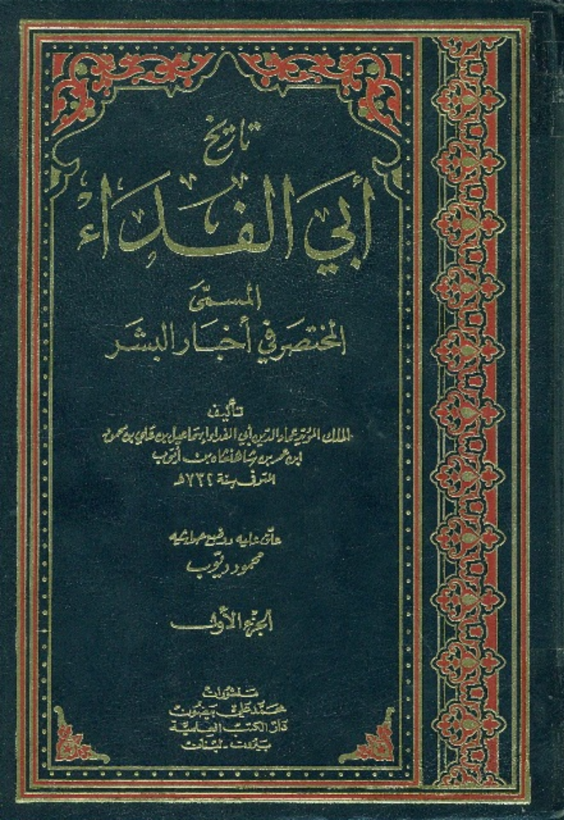

تاريخ
أبي الفداء
المسمى
المختصر في أخبار البشر
تأليف
الملك المؤيد عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن علي بن محمود
ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب
المتوفى سنة ٧٣٢ هـ
علق عليه ووضع حواشيه
محمود ديوب
الجزء الأول
منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

تاريخ أبي الفداء

المسمّى

المختصر في أخبار البشر

تأليف

الملك المؤيد عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن علي بن محمود
ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب
المتوفى سنة ٧٣٢ هـ

علّق عليه ووضع حواشيه
محمود ديّوب

الجزء الأول

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH
Beirut - Lebanon
Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

أبو الفداء إسماعيل بن علي بن محمود بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شاذي .

الملك المؤيد ابن الملك الأفضل ابن المظفّر ابن المنصور بن المظفّر صاحب حماة . ولد يوم السبت، سابع جمادى الأولى أو ثامنه ، سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة بدار الزنجيلي بدمشق، فإن أهله أجفلوا من حماة بسبب التتر. وفي سنة عشر وسبعمائة عَزلَ الناصر محمد عن نيابة حماة، اسَنْدمَر، وولّى المؤيد . وفي سنة عشرين تولّى حماه ، وذلك أنه حجّ مع الناصر محمد، فلما رجعا من الحج رأى أن يُجيزَهُ، فلما دخل القاهرة وصّى إليه سلطنة حماة ، وأركبه يوم الجمعة ، سابع عشرين محرّم بالقاهرة، من المدرسة المنصورية بشعار السلطنة ، والامراء في خدمته، والعصائب على رأسه وحمل غاشيته أمير مجلس ، ودخل القلعة ، ثم أُعطي الدستور، فسار من يومه على البريد.

وفي سنة سبع وعشرين ، حضر المؤيد إلى الناصر محمد ، وقَدَّم له تقاديم وافره. وفي سنه ثلاثين وصل إلى الناصر يوم الإثنين ، عشرين محرّم ، وتوجّه صحبته إلى الصيد بالوجه القبلي ، وخلع عليه وعلى ولده ، ثم رسم بعودهما إلى حماة. مات ثامن عشرين محرّم ، سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة . عاش ستين سنة. قال ابن نباته يرثيه:

ما للندى لا يلبي صوت داعيه	أظنُّ أنّ ابن شاذي قام ناعيه
نعي المؤيد ناعيه فوا أسفاً	الغيث كيف غدت عنّا غواديه

وكان المؤيد فيه مكارم وفضيلة ، من فقه وطب وعلم هيئة وادب كان محباً للعلماء ، مقرّباً لهم .

صنّف« تقويم البلدان » فهذّبه . وله « المختصرفي أخبار البشر » وله محاسن كثيرة ، ويد في النظم والنثر . ومن نظمه:

اقـرأ علـى طـيب الحـيا ة سـلام صَـبٌّ مـاتَ حُـزْنا

واعْلِـمْ بـــذاك أحبَّـــةً بَخُـلَ الزّمـانُ بهـم وضـنّا

لـو كـان يُشــرى قُرْبُهـم بالمـالِ والأرواحِ جُـدْنـا

وله موشحات وأشياء حسنة.

والتاريخ الذي بين يدينا، أخذه في جلّه عن ابن الأثير مختَصَراً لكتابه «الكامل في التاريخ» بدءاً بآدم والأحداث التي مرّت بعده حسب الرواية التوراتية، ثم عهد عيسى المسيح حسب ورودها في الإنجيل، وصولاً إلى الرسول الكريم (ﷺ) ونشر الدعوة، وعصر الخلفاء الراشدين ومن تلاهم، والأحداث التي دارت في المنطقة التي امتدت عليها الدعوة الإسلامية على امتداد الأرض العربية وغير العربية على امتداد القارّات الثلاث، آسيا، أوروبا، إفريقيا. ونقدم لقرائنا الأعزاء هذا التاريخ منقحاً على مصادره الأساسية؛ ليكون عوناً لهم على معرفة الأحداث التي دارت في هذه البقعة من العالم؛ منذ آدم وحتى عام تسع وعشرين وسبعمائة.

وتابعنا سرد الحوادث حتى سنة تسع وأربعين وسبعمائة، نقلاً من تذييل ابن الوردي على كتاب أبي الفداء.

والله الموفّق

ترجمة المؤلف

منقولة من كتاب فوات الوفيات

مع زيادة ذكر أجداده وسنة وفاته، كما وجد في ظهر ديباجة الأصل

هو الملك المؤيد عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، صاحب حماة، ابن السلطان الملك الأفضل، نور الدين أبي الحسن علي ابن السلطان الملك المظفر، تقي الدين أبي الفتح محمود ابن السلطان الملك المنصور ناصر الدين أبي المعالي محمد ابن السلطان الملك المظفرتقي الدين أبي الخطاب عمر ابن السلطان نور الدولة شاهان شاه ابن السلطان الملك الأفضل أبي الشكر نجم الدين أيوب والد السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادي بن مروان الكردي الهذباني الروادي الدويني.

تغمدهم الله برحمته، كان أميراً بدمشق، وخدم الملك الناصر لما كان في الكرك، وبالغ في ذلك، فوعده بحماة، ووفى له بذلك، فاعطاه حماة لمّا أُمِّر لاسندمر بحلب بعد موت نائبها. جقمق، ويجعله سلطاناً يفعل فيها ما يشاء، من إقطاع وغيره، ليس لأحد من الدولة بمصر، من نائب ووزير معه حكم، وأركبه في القاهرة بشعار الملك، وأبهة السلطنة، ومشى الأمراء والناس في خدمته، حتى الأمير سيف الدين أرغون النائب، وقام له القاضي كريم الدين بكل ما يحتاج إليه في تلك المهام، من التشاريف والإنعامات على وجوه الدولة وغيرهم، ولقبوه الملك الصالح، ثم بعد قليل لقبه الملك المؤيد، وكان كل سنة يتوجه إلى مصر بأنواع من الخيل والرقيق والجواهر وسائر الأصناف الغريبة، هذا إلى ما هو مستمر طول السنة بما يهديه من التحف والظرف.

وتقدم السلطان الملك الناصر إلى نوابه، بأن يكتبوا إليه. يَقْبَلَ الأرض، وكان الأمير سيف الدين ونكر رحمه الله تعالى، يكتب إليه يقبل الأرض بالمقام العالي الشريف المؤيدي السلطان الملكي المولوي العمادي، وفي العنوان صاحب حماة، ويكتب إليه السلطان أخوه محمد بن قلاوون أعز الله أنصار المقام الشريف العالي السلطاني الملكي المؤيدي العمادي، بلا مولوي، وكان الملك المؤيد ،فيه مكارم

وفضيلة تامة، من فقه وطب وحكمة وغير ذلك، وأجود ما كان يعرفه علم الهيئة، لأنه أتقنه وإنْ كان قد شارك في سائر العلوم مشاركة جيدة، وكان محباً لأهل العلم مقرباً لهم، آوى إليه أثير الدين الأبهري، وأقام عنده، ورتب له ما يكفيه، وكان قد رتب لجمال الدين محمد بن نباتة كل سنة ستمائة درهم، وهو مقيم بدمشق، غير ما يتحفه به،ونظم (الحاوي في الفقه) ولو لم يعرفه معرفة جيدة، ما نظمه وله تاريخ كبير وكتاب الكُناش مجلدات كثيرة وكتاب تقويم البلدان، هذّبه، وجدوله، وأجاد فيه ما شاء، وله كتاب الموازين جوده وهو صغير، ومات وهو في الستين سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة، رحمه الله تعالى وله شعر، ومحاسنه كثيرة، ولما مات رثاه الشيخ جمال الدين بن نباتة بقصيدة أولها:

ماللندى لا يلبي صوت داعيه	أظن أنّ ابن شادي قام ناعيه
ماللرجاء قد استدت مذاهبه	ماللزمان قد اسودت نواحيه
نعى المؤيد ناعيه فيا أسفي	للغيث كيف غدت عنا غواديه
كان المديح له عرس بدولته	فأحسن الله للشعر العزا فيه
يا آل أيوب صبراً إنّ إرثكم	من اسم أيوب صبر كان ينجيه
هي المنايا على الأقوام دائرة	كل سيأتيه منها دور ساقيه

وتوجه الملك المؤيد في بعض السنين إلى مصر، ومعه ابنه الملك الأفضل محمد، فمرض ولده، وجهز إليه السلطان الحكيم جمال الدين ابن المغربي رئيس الأطباء، فكان يجيء إليه بكرة وعشية، فيراه ويبحث معه في مرضه، ويقدر الدواء، ويطبخ الشراب بيده في دست فضة، فقال له ابن المغربي: ياخوند والله ماتحتاج إليَّ وما أجيء إلاّ امتثالاً لأمر السلطان، ولما عوفي أعطاه بغلة بسرج، وكنبوش مزركش، وبفتة قماش، وعشرة آلاف درهم، والدست الفضة، وقال يامولاي اعذرني، فإني لما خرجت من حماة، ما حسبت مرض هذا الابن، ومدحه الشعراء، وأجازهم، ولما مات فرق كتبه على أصحابه ووقف منها جملة ومن شعره:

اقرأ على طيبِ الحيا	ة سلامَ صبٍ ماتَ حزناً
واعلمْ بذاك أحبةً	بَخلَ الزمانُ بهم وضنّا
لو كان يُشرى قربَهم	بالمالِ والأرواحِ جُدنا

مـتـجـرعٌ كـاس الفـرا ... ق يبـيـتُ للاشـواق رهنـا
صـبٌ قـضـى وَجْـداً ولـم ... يقـضى لـه مـا قـد تَمنّى

وله أيضا:

كـم دم حللت وما ندمت ... تفعل ما تشتهي فلا عدمت
لو أمكن الشمس عند رؤيتها ... لثم مواطئ أقدامها لثمت

وله أيضا عفى اللّه عنه:

سرى مسرى السرى فعجبت منه ... من الهجران كيف صبا إليّا
وكيف ألمّ بي من غير وعد ... وفارقني ولم يعطف عليّا

وله موشح رحمه اللّه تعالى:

أوقعني العمر في لَعَلّ وهلْ ... ياويح من عمره مضى بلعلْ
والشيب وافى وعنده نزلا ... وفرّ منه الشباب وارتحلا
ما أوقح الشيب الآتي ... إذا حلّ لا عن مرضاتي

دور

قد أضعفني الشوق لازمني ... وخانني نقص قوّة البدن
لكن هوى القلب ليس ينتقص ... وفيه مع ذا من جرحه غصص
يهوى جميع اللذات ... كما له من عادات

دور

يا عاذلي لا تطل ملامك لي ... فإنّ سمعي نأى عن العذل
وليس يجدي الملام والفند ... فيمن صبابات عشقه جدد
دعني أنا في صبواتي ... أنت البريء من الآتي

دور

كم سرني الدهر غير مقتصر ... بالكأس والغانيات والوتر
يمرح في طيب عيشنا الرغد ... طرفي وروحي وسائر الجسد
وصفت لي خطراتي ... وساعدتني أوقاتي

دور

مضى رسولي إلى معذبتي ... وعاد في بهجة مجدّدَة
وقال قالت تعال في عجلٍ ... لمنزلي قبل أن يجي رجلي
واصعد وخذ من طاقاتي ... ولا تخف من جاراتي

قال: ومن الغريب انّ السلطان رحمه الله كان يقول: ما أظن أني استكمل من العمر ستين سنة، فما في أهلي، يعني بيت تقي الدين، من استكمله، وفي أوائل الستين من عمره قال: هذا الموشح، ومات في بقية السنة رحمه الله تعالى، وهذه الموشحة جيدة في بابها، منيعة على طلابها، وقد عارض بوزنها موشحة لابن سناء الملك، رحمه الله تعالى، وهي:

عسى وياقلّما تفيد عسى ... أرى لنفسي من الهوى نفسا
مذ بان عني من قد كلفت به ... قلبي قَدْ لَجَّ في تقلّبه
وبي أذى، شوق عاتي ... ومدمعي، يوم شاتي

دور

لا أترك اللهو والهوى أبدا ... وإن أطلت الغرام والفندا
إن شئت فاعذل فلست أستمعُ ... أنا الذي في الغرام أتّبعُ
وتحتذي صباباتي ... وتدعيني، عاداتي

دور

بي مَلِكٌ في الجمال لا بشر ... يُظلم إن قيل إنّه قمرْ
يحسن فيه الولوع والوله ... وعز قلبي في أن اذلّ لهْ
خدي حذا، أن يأتي ... ويرتعي حشاشاتي

دور

لست أذم الزمان معتديا ... كم قد قطعتُ الزمان ملتهيا
وظلْت في نعمةٍ وفي نعمِ ... يلتذ سمعي وناظري وفمي
ولا قذى، في كاساتي ... ومرتعي في الجنات

دور

وغادة دينها مخالفتي ... ولا ترى في الهوى محالفتي
وتستبيني ولست أمنعها ... فقلت قولاً عساه يخدعها
ما هو كذا، يامولاتي ... أجرى معي، في مأواتي

وموشحة السلطان رحمه الله تعالى، نقصت عن موشحة ابن سناء الملك، ما قد التزمه من القافيتين في الخرجة، وهو الذال في كذا والعين في معي، وخرجة ابن سناء الملك أحسن من خرجة السلطان، رحمهما الله تعالى.

بين	هبوط آدم عليه السلام	الطوفان	مولد إبراهيم الخليل عليه السلام	وفاة موسى عليه السلام	ابتداء ملك بخت نصر	غلبة الاسكندر على دارا	غلبة اقسطس على قلوبطرا	مولد المسيح عيسى عليه السلام	دقلطيانوس	الهجرة
هبوط آدم عليه السلام	ساقط	٢٢٤٢ سنة	٣٣٢٣ سنة	٣٨٦٨ سنة	٤٨٤٧ سنة	٥٢٨١ سنة	٥٥٦٣ سنة	٥٥٨٤ سنة	٥٨٧٦ سنة	٦٢١٦ سنة
الطوفان	٢٢٤٢ سنة	ساقط	١٠٨١ سنة	١٦٢٦ سنة	٣٦٠٥ سنة	٣٠٣٩ سنة	٣٣٢١ سنة	٣٣٤٢ سنة	٣٦٣٤ سنة	٣٩٧٤ سنة
مولد إبراهيم عليه السلام	٣٣٢٣ سنة	١٠٨١ سنة	ساقط	٥٤٥ سنة	١٥٢٤ سنة	١٩٥٨ سنة	٢٢٤٠ سنة	٢٢٦١ سنة	٢٥٥٣ سنة	٢٨٩٣ سنة
وفاة موسى عليه السلام	٣٨٦٨ سنة	١٦٢٦ سنة	٥٤٥ سنة	ساقط	٩٧٩ سنة	١٤١٣ سنة	١٦٩٥ سنة	١٧١٦ سنة	٢٠٠٨ سنة	٢٣٤٨ سنة
ابتداء ملك بخت نصر	٤٨٤٧ سنة	٢٦٠٥ سنة	١٥٢٤ سنة	٩٧٩ سنة	ساقط	٤٣٥ سنة	٧١٧ سنة	٧٣٨ سنة	١٠٣١ سنة	١٣٦٩ سنة
غلبة الاسكندر على دارا	٥٢٨١ سنة	٣٠٣٩ سنة	١٩٥٨ سنة	١٦١٣ سنة	٤٣٥ سنة	ساقط	٢٨٢ سنة	٣٠٣ سنة	٥٩٥ سنة	٩٣٤ سنة
غلبة اقسطس على قلوبطرا	٥٥٦٣ سنة	٣٣٢١ سنة	٢٢٤٠ سنة	١٦٩٥ سنة	٧١٧ سنة	٢٨٢ سنة	ساقط	٢١ سنة	٣١٣ سنة	٦٥٢ سنة
مولد المسيح عيسى عليه السلام	٥٥٨٤ سنة	٣٣٤٢ سنة	٢٢٦١ سنة	١٧١٦ سنة	٧٣٧ سنة	٣٠٣ سنة	٢١ سنة	ساقط	٢٨٢ سنة	٦٣١ سنة
دقلطيانوس	٥٨٧٦ سنة	٣٦٣٤ سنة	٢٥٥٣ سنة	٢٠٠٨ سنة	١٠٣١ سنة	٥٩٥ سنة	٣١٣ سنة	٢٨٢ سنة	ساقط	٣٣٩ سنة
الهجرة	٦٢١٦ سنة	٣٩٩٤ سنة	٢٨٩٣ سنة	٢٣٤٨ سنة	١٣٦٩ سنة	٩٣٤ سنة	٦٥٢ سنة	٦٣١ سنة	٣٣٩ سنة	ساقط


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تاريخ أبي الفداء

بسم اللّه الرحمن الرحيم

لا اله الا اللّه، عدّة للقائه، وأمان من عذابه

الحمد للّه الذي حكم على الاعمار بالآجال، وتفرّد بالعظمة والبقاء والجلال، وعلا عن أن يكون له نظير أو مثال، وتنزّه عن أن يحيط به وهم أو يمثّله خيال، وصلى اللّه على سيدنا محمد المبعوث لتبيين الحرام من الحلال، والمخصوص من بين كافة الخلق بالفضل والكمال، والمحبوّ بأوضح برهان وأفصح مقال، وعلى آله خير آل، وعلى صحابته ذوي التأييد والأفضال، صلاة تدوم على مرّ الأيام والليال.

(أمّا بعد): قال الفقير إلى اللّه تعالى سيدنا ومولانا السلطان الملك المؤيد عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن الملك الأفضل نور الدين أبي الحسن عليّ ابن السلطان الملك المظفّر تقي الدين أبي الفتح محمود ابن السلطان الملك المنصور ناصر الدين أبي المعالي محمد ابن السلطان الملك المظفّر تقي الدين أبي الخطاب عمر بن شاهان شاه بن أيوب، لازالت علومه مشهورة في المغارب والمشارق، ورأفته شاملة لكافة الخلائق، أعزّ اللّه أنصاره، وضاعف جلاله، إنّه سنح لي أن أورد في كتابي هذا شيئاً من التواريخ القديمة والإسلامية، يكون تذكرة يغنيني عن مراجعة الكتب المملولة، فاخترته، واختصرته من (الكامل)، تأليف الشيخ عزّ الدين عليّ المعروف بابن الأثير الجزريّ، وهو تاريخ ذكرفيه ابتداء الزمان، إلى سنة ثمان وعشرين وستّمائة، وهو نحو ثلاثة عشر مجلّداً،

ومن (تجارِب الأمم) لأبي علي احمد بن مسكويه.

ومن تاريخ أبي عيسى احمد بن عليّ المنجّم المسمّى (بكتاب البيان عن تاريخ سنيّ زمان العالم، على سبيل الحجّة والبرهان) ذكر فيه التواريخ القديمة، وهو مجلّد لطيف.

ومن (التاريخ المظفريّ) للقاضي شهاب الدين بن أبي الدم الحموي، وهو

تاريخ يختصَ بالملّة الإسلامية، في نحو ستّة مجلّدات.

ومن تاريخ القاضي شمس الدين ابن خلّكان المسمّى (وفيات الأعيان) رتّبه على الحروف، وهو نحو أربعة مجلّدات.

ومن (تاريخ اليمن) للفقيه عمارة، وهو مجلّد لطيف.

ومن تاريخ القيروان المسمّى (بالجمع والبيان) للصّنهاجي.

ومنْ (تاريخ الدول المنقطعة) لابن أبي منصور، وهو نحو أربعة مجلدات.

ومنْ تاريخ علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد المغربي الأندلسي المسمّى (كتاب لذّة الأحلام في تاريخ أمم الأعجام)، وهو نحو مجلّدين.

ومنْ كتاب ابن سعيد المذكور المسمّى (المغرب في أخبار أهل المغرب)، وهو نحو خمسة عشر مجلّداً.

ومنْ (مفرّج الكروب في أخباربني أيوب) للقاضي جمال الدين بن واصل، وهو نحو ثلاثة مجلّدات.

ومنْ (تاريخ حمزة الأصفهاني) وهو مجلّد لطيف.

ومنْ (تاريخ خلاط)، تأليف شرف ابن أبي المطهّر الأنصاري.

ومن سِفْر قضاة بني إسرائيل، وسفر ملوكهم، من أصل الكتب الأربعة والعشرين الثابتة عند اليهود بالتواتر، وألفت التواريخ القديمة من هذا الكتاب على مقدّمة وفصول خمسة.

وأمّا التواريخ الإسلامية، فرتّبتها على السنين حسب تأليف «الكامل» لابن الأثير، ولمّا تكامَلَ هذا الكتاب سمّيته (المختَصر في أخبار البشر).

أمّا المقدمة فتتضمن ثلاثة أمور:

(الأمر الأول): أنه ينبغي لمتأمّل التواريخ القديمة، أنْ يعلم أنَّ الاختلاف فيها بين المؤرّخين كثيرٌ جداً، قال ابن الأثير في ذكر ولادة المسيح: إنّ ولادته عليه السلام كانت بعد خمس وستين سنة من غلبة الإسكندر عند المجوس، وأمّا عند النّصارى، فكانت ولادته بعد ثلاثمائة وثلاث سنين[1] من غلبة الإسكندر، وهذا تفاوت فاحش، وكذلك عند أبي معشر وكوشيار، وغيرهما من المنجّمين، أنَّ بين

---

(١) وقالت النصارى: إن ولادته كانت لمضيِّ ثلثمائة وثلاث وستين سنة من وقت غلبة الإسكندر على أرض بابل. الكامل لابن الأثير. مجلد ١ ص١٧٥.

الطّوفان، وبين الهجرة ثلاثة آلاف وسبع مائة وخمساً وعشرين سنة، وهو الثابت في الزيجات[1] مثل الزيج المأموني وغيره، وأما المحققون من المؤرخين، فيقولون: إنَّ بين الطوفان وبين الهجرة ثلاثة آلاف وتسعمائة وأربعاً وسبعين سنة، فيكون التفاوت بينهما مائتين وتسعاً وأربعين سنة، وسبب هذا الاختلاف أنَّ من هبوط آدم الى وفاة موسى لا يعلم إلاّ من التَّوراة، والتوراة مختلفة على ثلاث نسخ، على ماسنقف على ذلك إنْ شاء اللّه تعالى، وأمّا ما بين وفاة موسى عليه السلام إلى ابتداء ملك بخْت نصّر، فيعْلم من المنجمين، قال أبو عيسى: ويُعلم من قرانات زحل والمشتري في المثلّثات، وهم أيضاً مختلفون في ذلك، ويعلم أيضاً من سِفر قضاة بني إسرائيل، وهو أيضاً غير محصّل، وأما ما يُؤخد عن المؤرّخين قبل الإسلام، فهو أيضاً مضطرب لأنهم كانوا يؤرّخون من ابتداء مُلك كلّ مَنْ يتملك منهم، فكثرت ابتدآت تواريخهم. قال حمزة الأصفهاني: وفَسدت تواريخهم. بسبب ذلك فساداً لا مطمع في إصلاحه، مع ما انضمّ إلى ذلك من بعد العهد، وتغيُّر اللغات كقدم الكتب المؤلّفة في هذا الفن، فصار تحقيق التواريخ القديمة بسبب ذلك متعذراً أوفي غاية التعسّر.

(الأمر الثاني): في معرفة نسخ التَّوراة، هي ثلاث نسخ، السامرية، والعبرانية، واليونانية.

(أما السَّامرية) فتنبئ أنَّ منْ هبوط آدم إلى الطوفان ألفاً وثلاثمائة وسبع سنين، وكان الطوفان لستّمائة سنة خلتْ من عمر نوح، وعاش آدم تسعمائة وثلاثين سنة باتّفاق.

فيكون نوح على حكم هذه التوراة، قد أدرك من عمر آدم فوق مائتي سنة، فنوح قد أدرك جميع آبائه إلى آدم، وهذا غاية المنكر.

وتنبئ هذه النسخةأنَّ من انقضاء الطوفان إلى ولادة إبراهيم الخليل - عليه السلام - تسعمائة وسبعاً وثلاثين سنة، وانَّ من ولادة إبراهيم إلى وفاة موسى، خمسمائة وخمساً وأربعين سنة.

فمن آدم إلى وفاة موسى حينئذٍ ألفانِ وسبعُ مائة وتسع وثمانون سنة.

وأمّا مابين وفاة موسى وبين الهجرة، ففيه مذهبان: أحدهما اختيار المؤرخين،

---

(١) الزيجات: أو الأزياج. مفردها الزيج: وهو الجدول الفلكي.

والآخر اختيار المُنجّمين، فإذا ضممنا إلى ذلك ما بين وفاة موسى والهجرة ،كان بين هبوط آدم، وبين الهجرة على حكم اختيار المؤرخين، وحكم توراة السامرة خمسة آلاف ومائة وسبع وثلاثون سنة.

وأمّا اختيار المنجمّين، فينقص عن هذه الجملة مائتين وتسعاً وأربعين سنة، فقد ظهر لك فساد هذه التوراة من كونها تقتضي إدراك نوحٍ آدمَ وعيشه معه المدّة الطويلة.

(وأمّا التوراة العبرانية) فهي أيضاً مفسودة، وذلك أنها تنبئ أنّ ما بين هبوط آدم وبين الطوفان ألف وخمسُ مائةٍ وستّ وخمسون سنة، وبين الطوفان وبين ولادة إبراهيم مائتان واثنتان وتسعون سنة، وعاش نوح بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة باتّفاق، فالتوراة العبرانية تنبئ أنَّ نوحاً أدرك منْ عمر إبراهيم الخليل ثمانياً وخمسين سنة، وهذا أيضا غاية المنكر، فإنّ نوحاً لم يُدرك إبراهيم أصلا، ولا يجوز ذلك لأنّ قوم هُودٍ أُمّة نجمت بعد قوم نوح، وأمّة صالح نجمت بعد أمة هود، وإبراهيم وأمّته بعد أمة صالح. ومما يدلّ على ذلك قوله تعالى مخبراً عن هود فيما يَعظ به قومه، وهم قوم عادٍ قوله ﴿ واذكروا إذ جعلكم خلفاءَ من بعدِ قوم نوحٍ وزادكم في الخلق بسطة ﴾ [الأعراف: ٦٩] وكذلك أخبر الله تعالى عن صالح فيما يعظ به قومه وهم ثمود، قال: ﴿ واذكروا إذْ جعلكم خلفاءَ مِن بعد عادٍ وبوأكم في الأرض تتّخذون مِنْ سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتا ﴾ [الأعراف: ٧٤] فقد ظهر فساد هذه التوراة العبرانية بذلك، وهي التوراة التي بيد اليهودِ إلى زماننا هذا، وعليها اعتمادهم.

ولْنستوفِ ماتنبئ به من جملة سِنيِ العالَم: قد تقدّم أنها تُنبئ أنّ مابين هبوط آدم، وبين الطوفانَ الف وخمسُ مائةٍ وستّ وخمسون سنةً، وبين الطوفان، وبين ولادة إبراهيم – عليه السلام – مائتين واثنتينِ وتسعين سنة، وبين ولادة إبراهيم، وبين وفاة موسى عليه السلام خمسَ مائة وخمساً وأربعين سنة باتّفاق، وما بين وفاة موسى عليه السلام وبين الهجرة، فيه المذهبان المذكوران.

فعلى اختيار المؤرّخين ومقتضى العبرانية، يكون بين آدم وبين الهجرة أربعة آلاف وسبع مائة وإحدى وأربعون سنة.

وأمّا على اختيار المنجّمين، فيُنقص من هذه الجملة مائتين وتسعاً وأربعين سنة، فيكون من آدم إلى الهجرة على ذلك أربعة آلاف وأربع مائة واثنتان وتسعون سنة. وجملة سنّي هذه التوراة تنقص عن التوراة اليونانية – وهي التي عليها العمل –

ألفاً وأربعَمائة وخمساً وسبعين سنة. وهذه الجملة، هي القدر الذي نقصه اليهود من الماضي من سِنّي العالم. فنقصوا من قبل الطوفان ستمائة وستّاً وثمانين سنةً، ومن بعد الطوفان، سبعَ مائة وتسعاً وثمانين سنةً. الجملة ألفٌ وأربعُ مائة وخمسٌ وسبعون سنة.

وصورة ما اعتمده اليهود في ذلك، أنّهم نقلوا من عمر كلّ واحد، من آدم وبنيه مائة سنة، من قبل ميلاد ابنه إلى بعد الميلاد، فلم تتغيّر جملة عمر ذلك الشخص، ونقصتِ مدّة الزمان.

فإن آدم لما صار له مائتان وثلاثون سنة، ولد له شيث، وعاش آدم تسعَ مائة وثلاثين سنة باتفاق، فأخذ اليهود مائة سنة من عمر آدم، قبل أن يولد له شيث، جعلوها بعد مولد شيث، فلم تتغيّر جملة عمر آدم، وجعلوه أنّه أولد شيث لمضيّ مائة وثلاثين سنة من عمره، وكذلك اعتمدوا في كلّ مَنْ بعدَه، فنقص من سنيّ العالمَ القدر المذكور.

قالوا: والذي دعا اليهود إلى ذلكَ أنّ التوراة وغيرها من كتب بني إسرائيل، بشّرت بالمسيح، وانه يجيء في أواخر الزمان. وكان مجيء المسيح في الألف السادس، فلما فعلوا ذلك، صار المسيح في أول الألف الخامس، فيكون مجيء المسيحَ في توسّط الزمان، لا في آخره، بناء على أنّ عمر الزمان جميعه سبعةُ آلاف سنة.

(وأما التوراة اليونانية)، فهي التوراة التي اختارها المحقّقون من المؤرخين، وليس فيها مايقتضي الإنكار، من جهة الماضي من عمر الزمان، وهي توراة نقلها اثنان وسبعون[1] حبْراً قبلَ ولادة المسيح، بقريب ثلاثمائة سنة لبطلميوس اليوناني، الذي كان بعد الإسكندر ببطلميوس واحد. وسنذكر في أواخر أخبار بني إسرائيل، صورة نقل هذه التوراة من العبرانية إلى اليونانية، على ما ستقف على ذلك - إن شاء الله تعالى.

فلذلك اعتمدنا على هذه التوراة دون غيرها، والذي تُنبئ به هذه التوراة اليونانية، أنّ مابين هبوط آدم والطوفان ألفان ومائتان واثنتان وأربعون سنة، وما بين الطّوفان - وكان لستّمائةِ سنةِ مضت من عمر نوح وبين مولد إبراهيم الخليل ألف

---

(١) ولذلك يطلق عليها أحياناً التوراة السبعونية.

وإحدى وثمانون سنة، وبين مولد إبراهيم، ووفاة موسى - خمسمائة وخمس وأربعون سنة باتّفاق نسخ التوراة جميعها. وبين وفاة موسى، وبين ابتداء مُلْك بختْ نصّر[1]، فيه خلاف بين المنجمين والمؤرخين، والذي اختاره المؤرخونُ أنّ بين وفاة موسى وبين ابتداء ملك بخت نصر، تسعمائة وثمانياً وسبعين سنة، ومائتين وثمانية وأربعين يوماً.

وأمّا ما بين ابتداء ملك بخت نصر، وبين الهجرة، فهو ألف وثلاثمائة وتسع وستون سنة، ومائة وسبعة عشر يوماً، وليس فيه خلاف، لأنّ بطلميوس اثبته في المجسطي، وأرّخ به رصده، فيكون بين الهجرة، وبين هبوط آدم، ستة آلاف سنة ومائتان وستّ عشرة سنة، وهذا القدر هو المختارُ وعليه نبني كتابنا.

وأمّا الذي اختاره المنجمّون وأثبتوه في الزّيجات، من المدّة بين وفاة موسى وبين بخت نصّر، فإنها تُنقِصُ عمّا ذكرناه مائتين وتسعاً وأربعين سنة.

(الأمر الثالث): في معرفة جدول اقترحناه، يتضمّن ما بين التواريخ المشهورة من المدد.

ومتى أردْت معرفة ما بين أيّ تاريخيْن منهما، فادخِل في الجدول إلى البيت الذي يلتقيان فيه، ومهما كان فيه من العدد، فهو ما بينهما بعد الاجتهاد المبالغ في تحقيقه وتحريره، وينبغي أن تعلم أنّ المحقّقين من المنجمين والمؤرخين، قد اختلفوا في المدّة التي بين وفاة موسى عليه السلام، وابتداء مُلك بخت نصر، اختلافاً كثيراً، فذهب ابو عيسى والمحققون من المؤرخين، إلى أنّ بينهما تسعَ مائة وثمانياً وسبعين سنة، ومائتين وثمانية وأربعين يوماً. وهو الذي اخترناه وأثبتناه في جدولنا هذا، وجعلنا الأيام المذكورة على سبيل الجبر سنة، فصار المثبوت في الجدول تسعَ مائة وتسعاً وسبعين سنة.

واما أبو معشر وكوشيار وغيرهما من كبار المنجمين، فإنهم اثبتوا في الزّيجات أن بين وفاة موسى، وابتداء ملك بخت نصر، سبع مائة وعشرين سنة، وذلك ينقص عمّا اختاره أبو عيسى وغيره من المحققين، مائتين وتسعاً وأربعين سنة، وإذا نقص مابين وفاة موسى وبخت نصر المدّة المذكورة، نقص ما بين الطوفان والهجرة قطعاً فلذلك تجد في الزيج المأموني، وغيره من الزيجات، أنّ بين الطوفان وبين الهجرة،

---

(١) غالباً، يكتب المؤرخون اسم هذا الملك البابلي متصلاً: بختنصّر.

ثلاثة آلاف وسبعَ مائة وخمساً وعشرين سنة، وتجد ما بين الطوفان وبين الهجرة في كتابنا، وجدولنا هذا ثلاثة آلاف وتسع مائة وأربعاً وسبعين سنة، فيكون ما في جدولنا أزيد مما في الزيجات بمائتين وتسع وأربعين سنة، فاعلم ذلك لئلا تتوهّم أن الزيجات هي الصحيحة، وأنّ كتابَنا غَلَطٌ، فإنّ الأمر فيه على ماذكرته لك.

وأمّا بمقتضى سِفر قضاة بني إسرائيل، وسفر ملوكهم إذا جمعنا مدد ولاياتهم، فإنّ بين وفاة موسى، وبين مُلك بخت نصر بمقتضى ذلك اثنين وخمسين وتسعمائة.

وأمّا مِنْ بخت نصر إلى الهجرة، فلم يُختلف فيه، لانّ بطلميوس أثبته في المجسطي.

وأما تاريخ فيلبّس، فهو مشهور، وقد أرّخ به بطلميوس في المجسطي غالباً أرصاده، ولكنّنا تركناه للاختصار، لقُربه من تاريخ الإسكندر، لأنّه متقدّم على تاريخ الإسكندر باثنتي عشرة سنة، فإذا زدْت على تاريخ الإسكندر اثنتي عشرة سنة، خرج فيلبّس.

وأمّا أزدشير بن بابك، فَبَيْن مُلكه وبين الإسكندر خمسمائة واثنتا عشرة سنة تقريباً، وبينه وبين الهجرة أربعُمائة واثنتان وعشرون سنة، تركناه للاختصار أيضاً. انتهى الكلام في المقدمة.

وأمّا الفصول فخمسة: (الأول)؛ في عمود التواريخ القديمة، وذكر الأنبياء عليهم السلام، وحكّام بني إسرائيل. (والثاني) في ذِكر ملوك الفرس، ومَنْ يليق إيراده معهم، (والثالث) في ذكر الفراعنة، وملوك اليونان، وملوك الروم القياصرة. (والرابع) في ذِكر ملوك العرب. (والخامس) في ذكر أمم العالم.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الاول

في عمود التواريخ القديمة، وذكر الانبياء على الترتيب

(ذكر آدم وَ بنيه إلى نوح) من الكامل لابن الأثير، قال: قال النبي صلّى اللّه عليه وسلّم إنَّ اللّه تعالى خلقَ آدم مِنْ قبضةٍ قبضها مِنْ جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، منهم الأحمر والأسود والأبيض وبين ذلك، ومنهم السّهل والحزْن[1] وبين ذلك، وإنّما سُمّي آدم لأنه خلق من أديم الأرض، وخلق اللّه تعالى جسد آدم، وتركه أربعين ليلة، وقيل: أربعين سنة ملقى بغير روح، وقال اللّه تعالى للملائكة: ﴿إذا نفختُ فيه مِنْ روحي فَقَعُوا له ساجدين﴾ [الحجر: ٢٩] فلمّا نفخ الروح، فسجد له الملائكة كلّهم أجمعون ﴿إلا إبليس أبى واستكبر، وكان من الكافرين﴾ [البقرة: ٣٤]، ولم يسجد كبراً وبغياً وحسداً، فأوقع اللّه تعالى على إبليس اللعنة والاياس مِنْ رحمته، وجعله شيطاناً رجيماً، وأخرجه من الجنة بعد أنْ كان ملكاً على سماء الدّنيا والأرض، وخازناً من خزّان الجنّة، وأسْكن اللّه تعالى آدمَ الجنّة، ثم خلق اللّه تعالى من ضلع آدم حوّاء زوجته، وسمّيت حواء لأنها خلقت من شيء حي. فقال اللّه تعالى له: ﴿ياآدم اسكنْ أنتَ وزوجك الجنّة، وكُلا مِنْها رغداً حيث شئتما، ولاَ تَقْربا هذه الشجرةَ فتكُونا من الظالمين﴾[البقرة: ٣٥]، ثم إنّ إبليس أراد دخول الجنّة ليوسْوس لآدم، فمنعَتْه الخَزَنَة، فعرض نفسه على الدّواب أن تحمله حتّى يدخل الجنّة ليكلّم آدم وَزَوْجَه، فكلّ الدواب أبى ذلك غير الحيّة، فإنّها أدْخلته الجنّة بين نابَيْها، وكانت الحيّة إذْ ذلك على غير شكلها الآن[2]، فلمّا دخل إبليس الجنّة وسوس لآدم وزوجه، وحسّن عنْدهما الأكلَ مَنَ الشجرة التي نهاهُما اللّه عنْها، وهي الحنْطة، وقرّر عندهما أنّهما إنْ أكلا منها خَلُدا، ولم يموتا، فأكلا منها، فبدتْ لهما سوءاتهما، فقال اللّه تعالى ﴿اهبطوا بعضكم لبعض عدوّ﴾ [الأعراف: ٢٤] آدم وإبليس والحيّة، وأهبطهم اللّه مِن الجنّة إلى الأرض، وسلب آدم

---

(١) الحزن: ما غلظ من الأرض، مختار الصحاح.

(٢) وكانت كاسية على أربعة قوائم من أحسن دابة خلقها الله. الكامل لابن الاثير - ج/١ ص٢٠.

وحوّاء كلّ ما كان فيه من النعمة والكرامة.

ولمّا هبط آدم إلى الأرض، كان له ولَدان: هابيل وقابيل. ويسمّى قابيل قاين أيضاً، فقرّب كلّ منْ هابيل وقابيل قُرباناً، وكان قربان هابيل خيراً من قربان قابيل، فتُقُبِّل قربان هابيل ولم يُتَقَبَّل قربانُ قابيل، فحسده على ذلك، وقتل قابيلُ هابيلَ، وقيلْ بل كان لِقابيل أخْت توءمة، وكانت أحسن منْ توءمة هابيل، وأراد آدم أنْ يزوّج توءمة قابيل بهابيل، وتوءمة هابيل بقابيل، فلم يَطِبْ لِقابيل ذلك،فقتل أخاه هابيل، وأخذ هابيل، توءمته، وهرب بها.

وبعدَ قتلِ هابيلَ وُلِدَ لآدم (شيث)، وكانت ولادة شيث لمُضيّ مائتين وثلاثين سَنة من عمر آدم[1]، وهو وصيُّ آدم،وتفسير شيث : هبة الله، وإلى شيث تنتهي أنساب بني آدم كلّهم. ولما صار لشيث من العمر مائتان وخمسُ سنين، ولدَ لَهُ (أنوش)، وكانت ولادة أنوش لمضيّ أربعمائةٍ وخمسٍ وثلاثين سنة من عمر آدم، وتقول الصابية: إنه ولد لشيث ابن آخر اسمه صابي بن شيث، وإليه تُنسب الصابية، ولمّا صار لأنوش من العمر مائة وتسعون سنة، ولد له (قينان)، وذلك لمضيّ ستمائةٍ وخمس وعشرين سنة من عمر آدم، ولما صار لِقينان مائة وسبعون سنة، ولِدَ له (مهلائيل)، وذلك لمَضيّ سبع مائة وخمس وتسعين سنة من عمر آدم، ولما مضى من عمر مهلائيل مائة وخمسون وثلاثون سنة، توفّي آدم، وذلك لمضي تسع مائة وثلاثين سنةمن عمر آدم، وهو جملة عمر آدم.

قال ابن سعيد ونقله عن ابن الجوزي: إن آدم عند موته كان قد بلغ عدّة ولده وولد ولده أربعين ألفاً.

ولما صار لمهلائيل من العمر مائة وخمسون وستون سنة وِلدَ لَهُ (يرد) – بالدال المهملة والذال المعجمة أيضاً – ولما صار لِيرد مائة واثنتان وستون سنة، ولدله (حنوخ)[2] – بحاء مهملة ونون وواو وخاء معجمة.

ولمضيّ عشرين سنة منْ عمر حنوخ، توفي شيث وعمره تسع مائة واثنتا عشرة سنة، وكانت وفاة شيث لمضيّ سنة ألفٍ ومائة واثنتين وأربعين لهبوط آدم.

واسم شيث عند الصابية (عاديمون).

---

(١) جاء في الكامل لابن الاثير ج ١–ص٢٨: بعد مضي مائة وعشرين سنة لآدم.

(٢) ورد في الكامل لابن الاثير : خنوخ.

ولما صار لحنوخ مائة وخمس وستون سنة من العمر، ولد له (متوشلح) - بتاء مثناة من فوقها، وقيل بثاء مثلثة وآخره حاء مهملة - ولمّا مضى من عمر متوشلح ثلاث وخمسون سنة توفي أنوش بن شيث، وكان عمر أنوش لما توفي تسعمائة وخمسين سنة.

ولمّا صار لمتوشلح من العمر مائة وسبع وستون سنة، ولد له (لامخ)، ويُقال له لامك ولمك أيضاً.

ولما مضى إحدى وستون سنة من عمر لامخ، توفي قينان بن أنوش، وعمره تسع مائة وعشر سنين.

ولمّا صار للامخ من العمر مائة وثمانٍ وثمانون سنة ولدَ لَهُ (نوح)، وكانت ولادة نوح بعد أن مضى ألف وستمائة واثنتان وأربعون سنة من هبوط آدم.

ولمّا مضى من عمر نوح أربع وثلاثون سنة توفّي مهلائيل بن قينان، وكان عمر مهلائيل لمّا توفي ثمانمائة، وخمساً وتسعين سنة.

ولمّا مضى من عمر نوح مائتان وستّ وستون سنة توفي يرد بن مهلائيل، وكان عمر يرد لمّا توفي تسعمائة واثنتين وستين سنة.

وأمّا حنوخ، وهو إدريس، فإنه رفع لمّا صار له من العمر ثلاثمائة وخمس وستون سنة، رفعه اللّه إلى السماء، فكان ذلك لمضيّ ثلاث عشرة سنة من عمر لامخ، قبل ولادة نوح بمائة وخمس وسبعين سنة، ونبأ اللّه إدريسَ المذكور، وانكشفت له الأسرار السماوية، وله صحف، منها: لا تروموا أنْ تُحيطوا باللّه خيرةً، فإنّه أعظمُ وأعلى انْ تُدركه فِطَنُ المخلوقين إلاّ مِن آثاره.

وأمّا متوشلح بن حنوخ فإنه توفّي لمضيّ ستمائة سنة من عمر نوح، وذلك عند ابتداء مجيء الطوفان.

وكان عمر متوشلح لمّا توفي، تسعمائةً وتسعاً وستين سنة، ولما صار لنوح خَمْسُمائة سنة من العمر، ولِدَ له: (سام وحام ويافث).

ولمّا مضى من عمر نوح ستمائة[1] سنة كان الطوفان، وذلك لمضيّ الفيْن ومائتين واثنتين وأربعين سنة من هبوط آدم.

---

(١) « ثم امره الله بصنعة الفلك فصنعها وركبها وهو ابن ستمائة سنة » الكامل لابن الأثير - ج١ - ص٣٦.

(ذكر نوح وولده)

من الكامل لابن الاثير، أنّ اللّه تعالى أرسل نوحاً إلى قومه، وقد اختُلفَ في ديانتهم، وأصحّ ذلك ما نطق به الكتاب العزيز، بأنهّم كانوا أهل أوثان. قال اللّه تعالى: ﴿وقالوا لاتذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً وقد أضلُّوا كثيرا﴾ [نوح :٢٣-٢٤] وصار نوح يدعوهم إلى طاعة اللّه تعالى، وهم لا يلتفتون. وكان قوم نوح يخنقون نوحاً حتى يغشى عليه[1]، فإذا أفاق قال: اللهمّ اغفرْ لقومي[2] فإنهم لا يعلمون.

وبقي لا يأتي قرن منهم إلاّ كان أخبث من الذي قبله، وكانوا يضربونه حتى يظنّوا أنه قد مات، فإذا أفاق نوح اغتسل، وأقبل إليهم يدعوهم إلى اللّه تعالى.

فلمّا طال ذلك عليه، شكاهم إلى اللّه تعالى، فأوحى اللّه إليه ﴿إنه لن يؤمن من قومك إلاّ مَنْ قد آمن﴾ [هود:٣٦] فلما يئس نوح منهم دعا عليهم فقال: ﴿ربّ لا تذَر على الأرض من الكافرين دياراً﴾ [نوح: ٢٦] فأوحى اللّه إلى نوح أنْ يصنع السفينة، فصار قومه يسخرون منه ويقولون: يانوحُ قد صرتَ نجّاراً بعد النبوّة. وَصَنَع السفينة منْ خشب السّاج، فلما فار التنّور[3] - وكان هو الآية بين نوح وبين ربّه - حمل نوح مَنْ أمرَهُ اللّه بحمْله، وكان منهم أولاد نوح الثلاثة وهم: سام وحام ويافث، ونساؤهم، وقيل: حمل أيضاً ستّة اناسيّ، وقيل ثمانين رجلاً، أحدهم جرهم، كلُّهم من بني شيث.

ثمّ أدخل ما أمره اللّه تعالى من الدوابّ، وتخلّف عن نوح ابنه يام - وكان كافراً - وارتفع الماء وطمى، وجعلت الفلك تجري بهم في موج كالجبال، وعلا الماء على رؤوس الجبال خمسة عشر ذراعاً، فهلك ما على وجه الأرض من حيوان ونبات، وكان بين أنْ أرسل اللّهُ الماءَ وبين أنْ غاض ستةُ أشهر وعشرُ ليالٍ، وقيل إنّ ركوب نوح في السفينة كان لعشر ليالٍ مضت من رجب، وكان ذلك أيضاً لعشر[4] ليالٍ خلت من آب، وخرج من السفينة يوم عاشوراء من المحرم، وكان استقرار السفينة على

(١) جاء في تاريخ ابن الاثير - ج ١- ص ٣٩ : قال ابن إسحاق وغيره : إن قوم نوح كانوا يبطشون به، فيخنقونه حتى يغشى عليه.

(٢) جاء في تاريخ ابن الاثير - ج ١- ص ٣٩ : اللهم اغفر لي ولقومي ....

(٣) التنّور : وجه الأرض . أو: الذي يُخبزُ فيه . مختار الصّحاح.

(٤) « وكان ذلك لثلاث عشرة خلت من آب » الكامل لابن الاثير- مجلد ١- ص٤١.

الجودي[١] من أرض الموصل.

قال ابن الأثير: وأمّا المجوس فلا يعرفون الطوفان، وكان بعضهم يقرّ بالطوفان، ويزعم أنه كان في إقليم بابل وَما قَرُبَ منه، وأنّ مساكن ولد خيومرث[٢]، كانت بالمشرق، فلم يصلْ ذلك إليهم، وكذلك جميع الأمم المشرقية من الهند والفرس والصين لا يعترفون بالطوفان، وبعض الفرس يعترف به ويقول: لم يكن عامّاً، ولم يتعدَّ عقبة حلوان[٣].

والصحيح أن جميع أهل الأرض [هم] من ولد نوح، لقوله تعالى: ﴿وجعلنا ذريّته هم الباقين﴾ [الصافات: ٧٧] فجميع الناس من ولد سام وحام ويافث أولاد نوح، فسام أبو العرب وفارس والروم. وحام أبو السودان، ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج، والفرنجُ والقبطُ من ولد نوح[٤] ابن حام، وولد لحام أيضاً مازيغ، وولد لمازيغ كنعان، وبنو كنعان كانوا أصحاب الشام حتى غزتهم بنو إسرائيل[٥]، كذا نقل ابن سعيد.

وقد نقل ابن الأثير أن بني كنعان [هم] من ولد سام، والله أعلم، وولد لسام عدّة أولاد، منهم: لاوذ بن سام، وولد للاوذ فارس وجرجان وطسم وعمليق الذي هو أبو العماليق، ومنهم كانت الجبابرة بالشام، والفراعنة بمصر، وسكنت بنوطسم اليمامة إلى البحرين.

ومن ولد سام أيضا أرم بن سام، وولد لأرم عدة أولاد، فمنهم غاز[٦] بن أرم، فمن ولد غاز ثمود وجديس.

وولد أيضا لأرم عوض، ومن عوض عاد، وكان كلام ولد أرم العربية.

وسكنت بنو عاد الرمل إلى حضرموت، وسكنت ثمودُ الحِجْر[٧] بين الحجاز

---

(١) الجُوديّ: هو جبل مطل على جزيرة ابن عمر في الجانب الشرقي من دجلة من اعمال الموصل، عليه استوت سفينة نوح. معجم البلدان لياقوت الحموي.

(٢) «جيومرث وهو آدم» الكامل لابن الاثير-مجلد ١-ص٤٢.

(٣) عقبة حلوان: وهي في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد. معجم البلدان.

(٤) جاء في الكامل لابن الاثير، مجلد١، ص ٤٤: «إن القبط من ولد فوط بن حام».

(٥) «أما الكنعانيون فلحق بعضهم بالشام، ثم جاءت بنو إسرائيل فقتلوهم بها، ونفوهم عنها، وصار الشام لبني إسرائيل» الكامل لابن الاثير- مجلد١ - ص٤٦.

(٦) جاء اسمه في الكامل لابن الاثير: عابر.

(٧) الحجْر: اسم ديار ثمود، بوادي القرى بين المدينة والشام. معجم البلدان: ج٢.

والشام، ولنرجع إلى ذكر من هو على عمود النسب من نوح إلى إبراهيم، فنقول: وولد لنوح سام وحام ويافثْ لمضيّ خمسمائة سنة من عمر نوح، وكان الطوفان لستمائة سنة من عمر نوح.

وولد لسام أرفخشذ ، بعد أن مضى مائة وسنتان من عمر سام، وذلك بعد الطوفان بسنتين.

ولما صار لأرفخشذ من العمر مائة وخمس وثلاثون سنة. ولدَ لهُ قينان، فولادة قينان تكون لمضي مائة وسبع وثلاثين سنة للطوفان.

ولما صار لقينان مائة وتسع وثلاثون سنة، ولد له شالح(١)، فتكون ولادة شالح لمضيّ مائتين وستٍ وسبعين سنة من الطوفان.

ولمّا مضت سنة ثلاثمائة وخمسين للطوفان، توفي نوح عليه السلام، وعمره تسعمائة وخمسون سنة، فتكون وفاة نوح لمضيّ أربع وسبعين سنة من عمر شالح.

ثم ولد لشالح عابر، لمّا صار لشالح من العمر مائة وثلاثون سنة، وذلك لمضي أربع مائة وستّ سنين للطوفان.

ثم ولد لعابر فالغ لمّا صار لعابر مائة وأربع وثلاثون سنة، وذلك لمضيّ خمسمائة وأربعين سنة للطوفان. ثم ولد لفالغ رعو(٢) ، ولفالغ مائة وثلاثون سنة، وعند مولد رعو تبلبلت الألسن وقسّمت الارض، وتفرّقت بنو نوح، وذلك لمضيّ ستمائة وسبعين سنة للطوفان.

ولما صار لرعو مائة واثنتان وثلاثون سنة ولد له ساروع(٣) - واسمه في التوراة سرور - وذلك بعد أن مضى ثمانمائة وسنتان للطوفان.

ولمّا صار لساروع مائة وثلاثون سنة ولد له ناحور(٤) ، وذلك لمضيّ سنة وثلاثين وتسعمائة للطوفان، ولما صار لناحور تسع وسبعون سنة ولد له تارَح(٥)، وذلك لمضيّ ألف سنة واحدى عشرة سنة للطوفان.

---

(١) جاء اسمه في الكامل لابن الاثير: شامخ.
(٢) ورد اسمه لدى ابن الاثير في كتابه الكامل : أرغو .
(٣) جاء اسمه في الكامل لابن الاثير: ساروغ ، وفي التوراة : سَرُوْج .
(٤) جاء اسمه في الكامل لابن الاثير: ناخور.
(٥) تارَح: ذكره ابن الاثير في الكامل : تارخ. ج١، ص ٤٧ . واسمه بالعربية آزر الكامل ـ المجلد ١، ص٤٥ .

ولما صار لتارَح سبعون سنة ولد له إبراهيم الخليل عليه السلام، وذلك لمضيِ الف وإحدى وثمانين سنة للطوفان.

وأما جملة أعمار المذكورين، فعاش سام ستمائة سنة فتكون وفاته بعد وفاة نوح بمائة وخمسين سنة،وعاش أرْفخشذ[1] أربعمائة وخمساً وستين سنة، وعاش قينان أربع مائة وثلاثين سنة، وعاش شالَح أربعمائة وستين سنة، وعابر أربعمائة وأربعاً وستين سنة، وفالغ[2] ثلاثمائة وتسعاً وثلاثين سنة، ورَعو ثلاثمائة وتسعاً وثلاثين سنة، وسارُوغ ثلاثمائة وثلاثين سنة، وناحُور مائتين وثمان سنين، وتارَحُ مائتين وخمس سنين.

(وأما سبب تبلبل الألسن) فقد ذكر أبو عيسى أن بني نوح الذين نشؤوا بعد الطوفان، اجتمعوا على بناء حصن يتحرّزون به خوفاً من مجيء الطوفان مرّة ثانية، والذي وقع رأيهم عليه أن يبنوا صَرْحا شامخاً تبلغ رأسه السماء، فجعلوا له اثنين وسبعين برجاً، وجعلوا على كل برج كبيراً منهم يستحثّ على العمل، فانتقم الله تعالى منهم؛ وبلبل ألسنتهم إلى لغات شتى.

ولم يوافقهم عابَر على ذلك، واستمرّ على طاعة الله تعالى، فبقاه الله تعالى على اللغة العبرانية، ولم ينقله عنها.

ولما افترقت بنو نوح صار لولد سام العراق وفارس وما يلي ذلك إلى الهند، وصار لولد حام الجنوب ممايلي مصر على النيل، وكذلك مغرباً إلى منتهى المغرب الأقصى، وصار لولد يافِث مما يلي بحر الخزر، وكذلك مشرقاً إلى جهة الصين، وكانت شعوب أولاد نوح الثلاثة عند تبلل الألسن اثنين وسبعين شعباً.

(ذكر هود وصالح)

وَهُما نبيّان أُرسلا بعد نوح وقَبْلَ إبراهيم الخليل عليه السلام، أما هود فقد قيل أنه[3] عابر بن شالح المذكور.

وأرسل الله هُوداً إلى عاد - وكانوا أهل أصنام ثلاثة - وكان عاد وثمود جبّارين طوال القامات، كما أخبر الله في التنزيل عنهم، قال الله تعالى ﴿ واذكروا إذْ

(١) أرفخشذ: وهو ارفكشاد في التوراة.

(٢) فالَغ : تذكره التوراة: فالجَ .

(٣) هود بن عبد الله بن رباح بن الجلود بن عاد بن عوص الكامل لابن الاثير ج ١، ص ٤٨ .

جعلكم خُلَفاء مِن بعد قوم نوح وَزادكم في الخلق بصطة ﴾ [الاعراف: ٦٩]، ودعا هود قوم عاد فلم يؤمنْ منهم إلا القليل، فاهلك الله الذين لم يؤمنوا بريح سبعَ ليالٍ وثمانية أيام حُسُوماً[١] . - والحسوم الدائم - . فلم تدعْ من عادٍ أحداً إلا هلكْ؛ غير هود والمؤمنين معه، فإنهم اعتزلوا في حظيرة، وبقي هود كذلك حتى مات، وقبره بحضرموت، وقيل بالحِجْر من مكة.

ويروى أنه كان مِن قوم عادٍ شخص اسمه لُقمان[٢]، وهو غير لقمان الحكيم الذي كان على عهد داود النبي عليه السلام، وكان قد حصل لعادٍ - قبل أن يهلكهم الله - الجدبُ، فارسلوا جماعة منهم إلى مكة يستسقون لهم، وكان من جملة الجماعة المذكورين لقمانُ المذكور.

فلما هلكت عادُ كما ذكرنا بقي لقمان بالحرم، فقال له الله تعالى: اخْتَرْ ولا سبيل إلى الخلود، فقال: يارَبّ، أعطِني عمر سبعة أنسر، فكان يأخذ الفرخ الذكر يخرج من بيضته، حتى إذا مات أخذ غيره، وكان يعيش كلّ نسر ثمانين سنة، وكان اسم النسر السابع لُبَداً، فلما مات لُبَدُ مات لقمان معه، وقد أكثر الناس والعرب في أشعارهم من ذكر هذه الواقعة فلذلك ذكرناها.

(وأمّا صالح)، فأرسله الله إلى ثمود، وهو صالح بن عبيد بن آسف بن ماشج ابن عبيد بن خادر[٣] بن ثمود، فدعا صالحٌ قومَ ثمود إلى التوحيد - وكان مَسْكن ثمود بالحِجْر كما تقدّم ذكره - فلمْ يؤمنْ به إلا قليل مستضْعَفون، ثم إن كفّارهم عاهدوا صالحاً على أنه إنْ أتى بما يقْترحونه عليه آمنوا به، واقترحوا عليه أنْ يُخرِجَ من صخرة معينة ناقةً، فسأل صالحُ الله تعالى في ذلك، فخرج من تلك الصخرة ناقة، وولدت فصيلاً، فلم يؤمنوا، وآخر الحال أنهم عقروا الناقة فأهلكهم الله تعالى بعد ثلاثة أيام بصيحةٍ من السماء فيها صوت كالصاعقة، فتقطّعتْ قلوبهم، فأصبحوا في ديارهم جاثمين، وسار صالح إلى فلسطين، ثم انتقل إلى الحجاز[٤] يعبد الله إلى أنْ مات وهو ابن ثمانٍ وخمسين سنة.

---

(١) جاء في مختار الصحاح: « وثمانية ايام حُسُوماً» اي: متتابعة. وقيل: (الحسوم): الشؤم.

(٢) وكان قد قيل للقمان بن عاد ... الكامل لابن الأثير ج١-ص٤٩.

(٣) خادر: جادر. الكامل لابن الأثير ج١-ص٥٠.

(٤) ثم انتقل صالح الى مكة فاقام بها يعبد الله حتى مات. الكامل لابن الأثير مجلد١-ص ٥٢.

(ذكر إبراهيم الخليل صلوات الله عليه)

وهو إبراهيم بن تارَح وهو آزر بن ناحُور بن سارُوغ بن رَعُو بن فالَغ بن عابَر بن شالحَ بن ارفَخْشَذ بن سام بن نوح.

وقد أُسْقط ذكر قينان بن ارفخشذ من عمود النسب، قيل بسبب أنه كان ساحراً[١]، فاسقطوه من الذكر، قالوا: شالح بن أرفخشذ، بالحقيقة شالح بن قينان بن أرفخشذ، فاعلم ذلك.

وولد إبراهيم بالأهْواز[٢] وقيل ببابل[٣] وهي العراق، وكان آزر أبو إبراهيم يصنع الأصنام ويعطيها إبراهيم ليبيعَها، وكان إبراهيم يقول: مَنْ يشتري ما يضرُّه ولا ينفعه![٤].

ثم لمّا أمر الله تعالى إبراهيمَ أنْ يدعو قومه إلى التوحيد، دعا أباه فلم يُجِبْهُ، ودعا قومه، فلمّا فشا أمْره واتصل بنَمْرود بن كوش وهو ملك تلك البلاد، وكان نمرود عاملاً على سواد العراق، وما اتصل به للضحّاك[٥] وقيل بل كان النمرود مَلكاً مستقلاً برأسه، فأخذ نمرودُ إبراهيمَ الخليل، ورماه في نارٍ عظيمة، فكانت النارُ عليه برداً وسلاماً، وخرج إبراهيم من النار بعد أيام، ثم آمن به رجالٌ مِنْ قومه على خوفٍ من نمرود، وآمنت به زوجته سارة وهي ابنة عمّه هاران، ثم إن إبراهيم ومَنْ آمن معهُ وأباه على كفره، فارقوا قومهم، وهاجروا إلى حرّان[٦]، وأقاموا بها مدّة.

---

(١) قينان كان ساحراً. الكامل. مجلد ١ - ص ٤٥.

(٢) الأهوَاز: أصلها الأحواز، وكان اسمها في أيام الفرس خُوزستان. معجم البلدان لياقوت الحموي ج١. وتقع جنوب شرق العراق-إلى الشرق من شط العرب ويمر فيها نهر قاون-وهي اليوم تحت السيطرة الإيرانية. المحقق.

(٣) بابل: اسم ناحية منها الكوفة والحلّة، وقيل: بابل: العراق، وقيل: بابل: الكوفة. معجم البلدان ج١. وتقع بقايا مدينة بابل عاصمة البابليين شمال بلدة الحلّة العراقية، شرق الهندية وشرق نهر الفرات. المحقق.

(٤) جاء في الكامل لابن الأثير. مجلد ١، ص ٥٥: وكان إبراهيم يقول: «من يشتري مالا يضره ولا ينفعه، فلا يشتريها منه أحد».

(٥) «تقول العجم: إن الضحّاك الملك الذي كان له بزعمهم ثلاثة أفوه وستّ أعين، بنى مدينة بابل العظيمة، وكان ملكه ألف سنة إلا يوماً واحداً ونصفاً، وهو الذي أسموه أفريدون الملك» معجم البلدان.

(٦) حرّان: مدينة عظيمة مشهورة وهي قصبة ديار مضر، بينها وبين الرها يوم، وبين الرقة يومان، وهي على طريق الموصل والشام والروم، قيل: سميت بهاران أخي إبراهيم. معجم البلدان. وتقع في جنوب تركيا قرب الحدود السورية الشمالية، مقابل بلدة (تل أبيض) السورية. المحقق..

ثم سار إبراهيم إلى مصر – وصاحبُها فرعون، قيل كان اسمه سنان بن علوان، وقيل طوليس – فذكر جمال سارة لفرعون – وهو طوليس المذكور – فأحضر سارةَ إليه، وسأل إبراهيم عنها فقال: هذه أختي، يعني في الإسلام، فَهَمَّ فرعون المذكور بها، فايبَسَ اللّهُ يَديْه ورجلَيْه، فلما تخلّى عنها أطلقه اللّه تعالى، ثم همّ بها فجرى له كذلك، فاطلق سارةَ وقال: لا ينبغي لِهذه أنْ تخدم نفسها، ووهبها هاجرَ جاريةً لها، فأخذتها وجاءت إلى إبراهيم، ثمّ سار إبراهيم من مصر إلى الشام، وأقام بين الرّملة[١] وإيلياء[٢].

وكانت سارةُ لا تلدُ؛ فوهبت إبراهيم هاجر ووقع إبراهيم على هاجر، فولدت له إسماعيل – ومعنى إسماعيل بالعبراني مطيع اللّه – وكانت ولادة إسماعيل لمضيّ ستّ وثمانين سنة من عمر إبراهيم، فحزنَت سارَة لذلك، فوهبها اللّه إسحاقَ وولدته سارةُ ولها تسعون[٣] سنة، ثم غارت سارة من هاجرَ وابْنِها إسماعيل وقالت: ابنُ الأمَةِ لايرثُ مع ابني. وطلبت من إبراهيم أنْ يخرجهما عنْها، فأخذ إبراهيمُ هاجرَ وابنَها إسماعيل وسار بهما إلى الحجاز[٤]، وتركهما بمكة، وبقي إسماعيل بها، وتزوج من جرهم[٥] امرأة.

وماتت أمّه هاجر بمكّة وقدم إليه أبوه إبراهيم، وبنيا الكعبة وهي بيت اللّه الحرام، ثم أمر اللّهُ إبراهيم أن يذبح ولده وقد اختُلِف في الذبح، هل هو إسحاق. أم إسماعيل وفداه اللّهُ بكبشٍ.

وكان إبراهيم في آخر أيام (بيوراسب) المسمىّ بالضحّاك الذي سنذكره مع ملوك الفرس إنْ شاء اللّه تعالى، وفي أول مُلك أفريدون، وكان النمرود عاملاً له حسبما ذكرناه، وكان لإبراهيم أخَوَان وهما هاران وناحُور أولاد آزر.

فهارانُ أولد لوطاً، وأمّا ناحَورُ فأولد (بَتوُيل) وبتويل أولد (لابان) ولابان أولد

---

(١) الرملة: في فلسطين تقع بين مدينة القدس وساحل البحر المتوسط. المحقق.

(٢) إيلياء: اسم مدينة بيت المقدس. معجم البلدان وفي الكامل بين الرملة وإيليا ببلد يقال له: قط او قط.

(٣) في الكامل لابن الأثير: سبعون سنة، ج ١ ص ٧٩ وتسعون سنة ج ١ ص ٩٢.

(٤) فمضت وتاهت في برية بئر سبع التوراة سفر التكوين، الاصحاح ٢١ الآية ١٤.

(٥) جرهم: قبيلة عربية كانت تقيم بواد قريب من مكة الكامل ج١ ص٨٠.

وسكن في بريّة فاران، وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر التوراة، تكوين، ص٢١ الآية ٢١.

(ليا) و (راحيل) زَوجَتَيْ يعقوب.

ومَنْ زعم أن الذبيحَ إسحاق[1] يقول: كان موضعُ الذبح بالشام على ميلَيْن من إيلياء - وهي بيت المقدس - ومَنْ يقول إنه إسماعيل يقول إن ذلك كان بمكّة، وقد اختلف في الأمور التي ابتلى اللّه إبراهيم بها، فقيل: هي هجرته عن وطنه، والختان، وذبح ابنه، وقيلَ غير ذلك.

وفي أيام إبراهيم توفِّيت زوجته سارة بعدَ وفاة هاجر وفي ذلك خلاف - وتزوج إبراهيم بعد موت سارة امرأة من الكنعانيين، وولدت من إبراهيم ستة نفر فكان جملة أولاد إبراهيم ثمانيةً إسماعيل وإسحاق، وستة من الكنعانية على خلاف في ذلك.

(ذِكرُ بني إبراهيم)

الذين على عمود النسب إلى موسى عليه السلام، أمّا مولد إبراهيم فقد تقدّم في ذِكر نوح، أن إبراهيم وُلِد لمضيّ ألف وإحدى وثمانين سنة من الطوفان.

ولما صار لإبراهيم مائة سنة ولد له (إسحاق)، ولمّا صار لإسحاق ستون سنة ولد له (يعقوب)، ولما صار ليعقوب ستٌ وثمانون سنة ولد له (لاوي). ولمّا صار للاوي ستّ وأربعون سنة ولد له (قاهاث)، ولمّا صار لقاهاث ثلاث وستون سنة ولد له (عمران)، ولما صار لعمران سبعون سنة ولد له (موسى) عليه السلام، فيكون ولادة موسى لمضيّ أربع مائة وخمس وعشرين سنة من مولد إبراهيم، وعاش موسى مائة وعشرين سنة. فيكون مابين ولادة إبراهيم ووفاة موسى خمسمائة وخمساً وأربعين سنة.

وأمّا جملة أعمار المذكورين، فإن إبراهيم عاش مائة وخمساً وسبعين سنة، وعاش إسحاق مائة وثمانين سنة، ويعقوب مائة وسبعاً وأربعين سنة، ولاوي مائة وسبعاً وثلاثين سنة، وعاش قاهاث مائة وسبعاً وعشرين سنة، وعمران مائة وستّاً وثلاثين سنة.

ومات إبراهيم ولإسحاق خمس وسبعون سنة، ومات إسحاق وليعقوب مائة وعشرون سنة، ومات يعقوب وللاوي ستون سنة، ومات لاوي ولقاهاث إحدى وثمانون سنة، ومات قاهاث ولعمران أربع وستون سنة، ومات عمران ولموسى ست

---

(١) «خذ ابنك وحيدك الذي تحبّه إسحاق واذهب إلى أرض المُريّا. واصعده هناك محرقة التوراة، تكوين، ص٢٢ الآية ٢.

وستون سنة، بناء على أنّ جملة عمر عمران مائة وست وثلاثون سنة.

وقد اختلف في معنى الصحف التي أنزلها اللّه تعالى على إبراهيم، وقد روى أبو ذر عن النبي صلّى اللّه عليه وسلم أنها أمثال، فمنها: أيها المسلّط المغرورُ إنّي لمْ أبعثْكَ لتجمعَ الدنيا بعضها على بعض، ولكنْ بعثتكَ لتردّ عنّي دعوة المظلوم، فإنّي لا أردّها، ولو كانت منْ كافر، وعلى العاقل أنْ يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه، ومَنْ عَدّ كلامه منْ عمله قلّ كلامه إلا فيما يعنيه. وإبراهيم أول مَنْ اختتنَ، وأضاف الضيفَ، ولبسَ السراويل.

(ذكر لوط عليه السلام)

أمّا لوط فهو ابن أخي إبراهيم الخليل، وهو لوط بن هاران بن آزر، آزر هو تارَح، وباقي النسب قدْمَرّ عند ذكر إبراهيم الخليل.

وكان لوط ممّنْ آمن بعمّه إبراهيم، وهاجر معه إلى مصر، وعاد إلى الشام.

وأرسل الله تعالى لوطاً إلى أهل سَدُوم، وكانوا أهل كفر وفاحشة، ودام لوط يدعوهم إلى اللّه تعالى، وينهاهمْ فلم يلتفتوا إليه، وكانوا على ماأخبر اللّه عنهم في قوله تعالى ﴿إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها منْ أحد من العالمين أئنكم لتأتون الرجالَ وتقطعون السبيلَ وتأتونَ في ناديكم المنكر﴾ [العنكبوت: ٢٨-٢٩]. وكان قطعهم للطريق أنه إذا مرّ بهم المسافر أمسكوه، وفعلوا فيه اللواط، وكان لوط يَنْهاهم، ويتوعّدُهم على الإصرار[١]، فلا يزيدهم وعظه إلا تمادياً.

فلمّا طال ذلك عليه، سأل اللّه تعالى النّصرة عليهم، فأرسل اللّه الملائكة لقلب سدومَ وقُراها الخمسَ، وكان بسدومِ أربعمائة ألف بشريّ، وأما قراها فهي صبعة، وعمرة. وأدما، وصَبُويم. وبالع[٢].

وكان الملائكة قد أعلموا إبراهيم الخليل بما أمرهم اللّه تعالى به من الخسف بقوم لوط، فسأل إبراهيمُ جبريلَ فيهم، وقالَ له: أرأيتَ إنْ كان فيهم خمسون من المسلمين؟ فقال جبريل: إنْ كان فيهم خمسون لانعذّبهم، فقال إبراهيم: وأربعون؟ قال: وأربعون، قال إبراهيم وثلاثون؟ قال: وثلاثون، وكذلك حتى قال إبراهيم:

---

(١) في الكامل لابن الأثير: على «إصرارهم».

(٢) في الكامل: سدوم وصبعة وعمرة ودوما وصعوة ج١ ص٩٣. وفي التوراة، تكوين ص١٩ الآية ٢٨ عمره: عَمُورَةَ.

وعشرة؟ فقال جبريل: وعشرة، فقال إبراهيم: إن هناك لوطاً، فقال جبريل والملائكة: نحن أعلم بمن فيها.

فلما وصلت الملائكة إلى لوط همّ قومه أن يلوطوا بهم، فأعماهم جبريل بجناحه، وقال الملائكة للُوط: ﴿إنّ رُسُل ربّك فاسْرِ بأهلِك بقطع من الليل، ولا يلتفت منكم أحد﴾ [هود:٨١].

فلمّا خرج لوط بأهله، قال للملائكة: أهلكوهم الساعة، فقالوا لم نُؤْمَرْ إلا بالصّبح، أليسَ الصبحُ بقريب؟ فلمّا كان الصبحُ قلبت الملائكةُ سدومَ، وقُراها الخمسَ بمَنْ فيها، وسمعتَ امرأة لوط الهدّة فقالت: واقوماه، فأدركها حجرفقتلها، وأمطر الله الحجارةَ على مَن لم يكنْ بالقرى، فأهلكهم.

(ذكر إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام)

وولد إسماعيل لإبراهيم لمّا كان لإبراهيم من العمر ستّ وثمانون سنة، ولمّا صار لإسماعيل ثلاث عشر سنة تطهّر هو وأبوه إبراهيم، ولمّا صار لإبراهيم مائة سنة[1]، وولد له إسحاق أخرجَ إسماعيل وأمّه هاجر إلى مكّة بسبب غيرة سارة منها، وقولها: أخرج إسماعيل وأمه إنّ ابنَ الأمَةِ لا يرثُ مع ابني، وسكن مكةَ مع إسماعيل من العرب قبائل جرهم، وكانوا قبله بالقرب من مكة.

فلما سكنها إسماعيل اختلطوا به، وتزوّج إسماعيل امرأة من جرهم، ورزق منها اثني عشر ولداً، ولما أمر اللّه تعالى إبراهيم عليه السلام ببناء الكعبة، وهي البيت الحرامُ سار من الشام، وقدم على ابنه إسماعيل بمكّة وقال: يا إسماعيل، إن الله تعالى أمرني أنْ ابني له بيتاً، فقال إسماعيل: أطِع ربّك، فقال إبراهيم: وقد أمرك أنْ تعينني عليه قال: إذنْ أفعل.

فقام إسماعيلُ معه وجعل إبراهيم يبنّيه، وإسماعيل يناوله الحجارة، وكانا كلّما بَنيا دَعَوا فقالا ﴿ربّنا تَقبّلْ مِنّا إنك أنتَ السميع العليم﴾ [البقرة:١٢٧] وكان وقوف إبراهيم على حجرٍ وهو يبني، وذلك الموضع هو مقام إبراهيم، واستمرّ البيت على مابَناه إبراهيم؛ إلى أنْ هدمته قريش سنة خمس وثلاثين منْ مولد رسول اللّه

---

(١) في الكامل: عمر إبراهيم مائة وعشرون سنة ج١ ص٧٩-٩٢. وفي التوراة: مئة وخمس وسبعون سنة سفر التكوين الإصحاح ٢٥ الآية ٧

ﷺ، وبَنَوْه.

وكان بناء الكعبة بعد مضيّ مائة سنة ونحو ثلاث وتسعين سنة، وأرسل اللّه إسماعيل إلى قبائل اليمن، وإلى العماليق، وزوّج إسماعيل ابنته من ابن أخيه العيص[١] بن إسحاق، وعاش إسماعيل مائة وسبعاً وثلاثين سنة، ومات بمكّة ودُفن عند قبر امّه (هاجر) بالحِجْر وكانت وفاة إسماعيل بعد وفاة أبيه إبراهيم بثمان وأربعين سنة.

(ذكر إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام)

قد تقدّم مولد إسحاق عند ذكر ابيه، ثم إنّ إسحاق تزوّج بنت عمّه، فولدت له العيص ويعقوب، ويقال ليعقوب إسرائيل، ونكح العيص بنت عمّه إسماعيل، ورزق منها جملة أولاد، ونكح يعقوب (ليا)[٢] بنت لابان بن بتويل بن ناحور بن آزروالد إبراهيم الخليل، فولدت ليا روبيل وهو أكبر أولاد يعقوب، ثم ولدت شمعون ولاوي ويهود[٣]، ثم تزوّج يعقوب عليها أختها راحيل، فولدت له (يوسف) و(بنيامين)[٤]، وكذلك ولد ليعقوب من سريتين كانتا له ستة أولاد، فكان بنو يعقوب اثني عشر رجلاً، هم آباء الأسباط، وأقام إسحاق بالشام حتى توفي وعمره مائة وثمانون سنة[٥]، ودفن عند أبيه إبراهيم الخليل صلوات اللّه عليهما.

وأمّا أسماء آباء الأسباط الاثني عشر - أولاد يعقوب - فهم: روبيل ثم شمعون ثم لاوي ثم يهوذا ثم يساخر ثم زبولون ثم يوسف ثم بنيامين ثم دان ثم نفتالي ثم كاذ ثم أشار.

(ذكر أيوب عليه السلام)

وهو رجل عدّه المؤرخون من أمّة الروم، لأنه من ولد العيص، وهو أيوب بن

---

(١) في الكامل: ولمّا حضرت إسماعيل الوفاة أوصى الى اخيه إسحاق أن يزوّج ابنته من العيص بن إسحاق، وان يدفن عند قبر امه هاجر بالحجر ج١ ص ٩٥. وفي التوراة: اسمه عيسو، سفر التكوين -١ صحاح ٢٥ آية ٢٥.

(٢) في التوراة: ليئة. سفر التكوين الأصحاح ٢٩ آية ١٦.

(٣) في الكامل: أولاد يعقوب من (ليا): روبيل، شمعون، لاوي، يهوذا، زبالون لشحر وقيل: «يشُحر» ج١ ص ٩٦.

(٤) بنيامين: في العربية «شداد». الكامل ج١ ص٩٦.

(٥) في الكامل: مائة وستون سنة. ج١ ص٩٧.

(موص) بن (رازح) بن (العيص) بن إسحاق بن إبراهيم الخليل .

وكان لأيوب زوجة اسمها رحمة، وكان صاحب أموال عظيمة، وكان لأيوب البثنية جميعها من أعمال دمشق ملكاً، فابتلاه الله تعالى بأن أذهب أمواله حتى صار فقيراً، وهو مع ذلك على عبادته وشكره، ثم ابتلاه الله تعالى في جسده حتّى تجذّم وَدوّد، وبَقي مرمياً على مزبلة، لا يطيق أحد أنْ يشمّ رائحته .

وكانت زوجته (رحمة) تخدمه وهي صابرة على حاله، فتراءى لها إبليس، وأراها ماذهب لهم، وقال لها : اسجدي لي لأردّ مالكم إليكم، فاستاذنت أيوب، فغضب وحلف ليضربنّها مائة [ضربة] .

ثم إن الله تعالى عافى أيوب ورزقه، وردّ إلى امرأته شبابها وحسنها، وولدت لأيوب ستة وعشرين ذكراً، ولمّا عوفي أيّوب أمره الله تعالى أنْ ياخذ عرجونا من النخل، فيه مائة شمراخ، فيضرب به زوجته ليبرّ في يمينه، ففعل ذلك . وكان أيوب نبياً في عهد يعقوب في قول بعضهم، وذكر انّ أيوب عاش ثلاثاً وتسعين سنة[1]، ومن ولد أيوب ابنه بشر، وبعث الله تعالى بشراً بعد أيوب وسمّاه ذا الكفل، وكان مقامه بالشام .

(ذكر يوسف)

وولد يعقوبُ يوسفَ لمّا كان ليعقوب من العمر إحدى وتسعون سنة، ولمّا صار ليوسف من العمر ثماني عشرة سنة كان فراقه ليعقوب، وبقيا مفترقَيْن إحدى وعشرين سنة، ثمّ اجتمع يعقوب بيوسف في مصر، وليعقوب من العمر مائة وثلاثون سنة، وبقيا مجتمعين سبع عشرة سنة فكان عمر يوسف لما توفي يعقوب ستاً وخمسين سنة وعاش يوسف مائة وعشر سنين، فيكون مولد يوسف لمضيّ مائتين وإحدى وخمسين سنة من مولد إبراهيم، ويكون وفاته لمضيّ ثلاثمائة وإحدى وستين سنة من مولد إبراهيم، ويكون وفاة يوسف قبل مولد موسى بأربع وستين سنة محقّقاً .

وأمّا قصة فراقه من أبيه فإنه لما كان يوسف من الحسن ومن حبّ أبيه على ما اشتهر، حسدته إخوته وألقوْه في الجبّ، وكان في الجبّ ماء[2] وبه صخرة، فأوى

---

(١) في التوراة : عاش أيوب بعد هذا مئة واربعين سنة . سفر أيوب الإصحاح ٤٢ آية ١٦ أي بعد أن شفي من مرضه .

(٢) وأمّا البئر فكانت فارغة ليس فيها ماء ، التوراة سفر التكوين ، الاصحاح ٣٧ الآية ٢٤ .

إليها وأقام يوسف في الجبّ ثلاثة أيام، ومرّت به السيّارة، فأخرجته من الجبّ، وأخذوه معهم، وجاء يهوذا - أحد إخوته - إلى الجبّ بطعام ليوسف فلم يجده، ورآه عند تلك السيّارة وأخبر يهوذا إخوتَه بذلك، فأتوا إلى السيّارة وقالوا هذا عبدنا أبقَ منا[١].

وخافهم يوسف، فلم يذكر حاله، فاشتروه من إخوته بثمن بخس، قيل عشرون درهماً ،وقيل أربعون ،وذهبوا به إلى مصر فباعه أستاذه، فاشتراه الذي على خزائن مصر، واسمه العزيز[٢]. وكان فرعون مصر حينئذ الرّيان بن الوليد رجلاً من العماليق، والعماليق من ولد عملاق بن سام بن نوح حسبما تقدّم ذكره.

ولمّا اشترى العزيزُ يوسفَ هَوَتْهُ امرأته، وكان اسمها (راعيل)، وراودته عن نفسها، فأبى وهرب منها، ولحقته من خلفه، وأمسكته بقميصه، فانْقدّ قميصه، ووصل أمرهما إلى زوجها العزيز وابن عمّها (تبيان) فظهر لهما براءة يوسف، وأنّ (راعيل) هي التي راودته، ثم بعد ذلك مازالت تشكو إلى زوجها من يوسف، وتقول: إنه يقول للناس: إنني راودته عن نفسه، وقد فضحني بين الناس، فحبسه زوجها، ودام في السجن سبع سنين، ثم أخرجه فرعون مصر بسبب تعبير الرؤيا التي أريها، ثمّ لمّا مات العزيز الذي كان اشترى يوسف، جعل فرعونُ يوسفَ موضعه على خزائنه كلّها، وجعل القضاء إليه، وحكمه نافذاً، ودعا يوسفُ (الريّان) فرعونَ مصر المذكور إلى الإيمان، فآمن به، وبقي كذلك إلى أنْ مات الرّيان المذكور، وملك بعده مصرَ قابوسُ بن مصعب من العمالقة أيضا، ولم يؤمن، وتوفي يوسف عليه السلام في ملكه بعد أن وصل إليه أبوه يعقوب وإخوته جميعهم من أرض كنعان - وهي الشام - بسبب المحل، وعاش معهم مجتمعين سبع عشرة سنة، ومات يعقوب وأوصى إلى يوسف أن يدفنه مع أبيه إسحاق، ففعل يوسف ذلك وسارَ به إلى الشام، ودفنه عند أبيه، ثم عاد إلى مصر، وكان وفاة يوسف بمصر، ودفن بها، حتى كان من موسى وفرعون ما كان.

فلما سار موسى من مصر ببني إسرائيل إلى التيه نبش يوسف وحمله معه في التّيه حتى مات موسى، فلما قدم يوشع ببني إسرائيل إلى الشام، دفنه بالقرب من

---

(١) أخرجه إخوته من البئر وباعوه للإسماعيليين بعشرين من الفضة . توراة - تكوين ٣٧، الآيتان ٢٧-٢٨ التوراة - سفر التكوين الاصحاح ٣٧ الآية ٢٤ .

(٢) باعوه في مصر لفوطيار خصي فرعون رئيس الشرط . توراة ، تكوين ٣٧ الآية ٣٦ .

نابلس، وقيل عند الخليل عليه السلام.

(ذكر شعيب)[1]

ثم بعث الله تعالى شعيباً – عليه السلام – إلى أصحاب الأيكة وأهل مدْين، وقد اختلف في نسب شعيب فقيل: إنه من ولد إبراهيم الخليل، وقيل: من ولد بعض الذين آمنوا بإبراهيم، وكانت الأيكة من شجر ملتفّ، فلم يؤمنوا، فأهلك الله أصحاب الأيكة بسحابة، أمطر عليهم ناراً يوم الظلة، وأهلك الله أهل مدين بالزلزلة.

(ذكر موسى عليه السلام)

ثم أرسل الله تعالى موسى بن عمران بن قاهات بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل – عليه السلام – نبيّاً، بشريعة بني إسرائيل، وكان من أمره أنه لما ولدته أمّه، كان قد أمر فرعونُ مصر – واسمه الوليد – بقتل الأطفال، فخافت عليه أمّه، والقى الله تعالى في قلبها ان تلقيه في النيل، فجعلته في تابوت، والقَتْه، والتقطته (آسية) امرأة فرعون[2]، وربّته وكَبُر، فبينما هو يمشي في بعض الأيام إذْ وجد إسرائيلياً وقبطياً يختصمان، فوكز القبطيَ فقتله، ثم اشتهر ذلك، وَخاف موسى من فرعون، فهرب وقصد نحو مدين، واتصل بشُعيب وزوّجه ابنته واسمها (صفورة)، وأقام يرعى غنم شعيب عشر سنين.

ثم سارَ موسى بأهله[3] في زمن الشتاء وأخطأ الطريق، وكانت امرأته حاملاً، فأخذها الطلق في ليلة شاتية، فأخرج زنده ليقدح، فلم يظهر له نار، وأعيا مما يقدح، فرفعت له نار، فقال لأهله: امكثوا، ﴿إنّي آنست ناراً سآتيكم منها بخبر، أو آتيكم بشهاب قبس، لعلّكم تصطلون﴾ [النمل:٧].

فلما دنا منه رأى نوراً ممتداً من السماء إلى شجرة عظمية من العوسج[4]، وقيل من العنّاب، فتحيّر وخاف ورجع، فنُودي منها.

ولما سمع الصوت استأنس وعاد، فلما أتاها نُودي من جانب الطّور الأيمن من

---

(١) اسمه يثرون. الكامل ج١ ص ١١٩.

(٢) ابنة فرعون. توراة ،خروج ، الإصحاح ٢ الآية ٥.

(٣) في التوراة: ان النار ظهرت له عندما كان يرعى غنم يثرون حميه، سفر الخروج الإصحاح ٣ الآية١-٢.

(٤) في التوراة: العليق. سفر الخروج الإصحاح ٣ الآية ٣.

الشجرة: أنْ ياموسى إنّي أنا اللّه ربّ العالمين[١].

ولما رأى تلك الهيبة علم أنه ربّه، فخفق قلبه وكلّ لسانه، وضعفَت بنيته، ثم شدّ اللّه تعالى قلبه، ولما عاد عقله نُودي أن اخلع نعلَيْك إنّك بالوادِ المقدس، وجعل اللّه عصاه ويده آيتين[٢].

ثمّ أقبل موسى إلى أهله، فسار بهم نحو مصر، حتى أتاها ليلاً، واجتمع به هارون وسأله: من أنت؟ فقال أنا موسى،فاعتنقا وتعارفا، ثم قال موسى: ياهارون إنّ اللّه أرسلنا إلى فرعون، فانطلقْ معي إليه، فقال هارون سمعاً وطاعة، فانطلقا إليه، وأراه موسى عصاه ثعباناً فاغراً فاهُ، حتى خاف منه فرعون، فأحدث في ثيابه، ثم أدخل يده في جيبه، وأخرجها وهي بيضاء لها نور تكلّ منه الأبصارُ، فلم يستطع فرعون النظر إليها، ثم ردّها إلى جيبه وأخرجها فإذا هي على لونها الأول.

ثم أحضر لهما فرعون السّحرة، وعملوا الحيات، وألقى موسى عصاهُ فتلقّفت ذلك، وآمن به السّحرةُ فقتلهم فرعون عن آخرهم، ثم أراهم الآيات من القمل والضفادع وصيرورة الماء دماً، فلم يؤْمن فرعون ولا أصحابه[٣].

وآخر الحال أن فرعون أطلق لبني اسرائيل أن يسيروا مع موسى، وسار موسى ببني إسرائيل[٤]، ثم ندم فرعون وسار بعسكره حتى لحقهم عند بحر القلزم[٥]، فضرب موسى بعصاه البحر، فانشقّ ودخل فيه هو وبنو إسرائيل، وتبعهم فرعون وجنوده، فانطبق البحر على فرعون وجنوده، وغرقوا عن آخرهم.

ومن جملة المعجزات التي أعطاها اللّه عزّ وجلّ موسى، قضيته مع قارون -(من الكامل) - قال: وكان قارون ابن عمّ موسى، وكان اللّه تعالى قد رزق قارونَ المذكور مالاً عظيماً يُضرب به المثل على طول الدهر، قيل أنّ مفاتيح خزائنه كانت تُحمل على أربعين بغلاً، وبنى داراً عظيمة، وصفحها بالذهب، وجعل أبوابها ذهباً، وقد قيل عن ماله شيء يخرج عن الحصر.

---

(١) أنا إله أبيك، إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب التوراة، سفر الخروج، الإصحاح ٣ الآية ٦.
(٢) انظر التوراة، الإصحاح الرابع من سفر الخروج.
(٣) انظر التوراة، سفر الخروج الإصحاحات ٧-٨-٩-١٠. والكامل لابن الاثير ج١ ص١٤٣.
(٤) انظر التوراة سفر الخروج. الإصحاح ١٢ الآية ٣١.
(٥) بحر القلزم: بحر سوف. التوراة، سفر الخروج، الإصحاح ١٥ الآية ٤.

فتكبّر قارون بسبب كثرة ماله على موسى، واتفق مع بني إسرائيل على قذفه والخروج عن طاعته، وأحضر امرأة بغيّاً وهي القحبة، وجعل لها جعلاً وأمرها بقذف موسى بنفسها، واتّفق معها على ذلك.

ثم أتى موسى فقال: انّ قومك قد اجتمعوا، فخرج إليهم موسى وقال: مَن سرق قطعناه، ومن افترى جلدناه، ومَنْ زنى رجمناه. فقال له قارون: وإن كنتَ أنت؟ قال موسى: نعم وإن كنت أنا. قال: فإنّ بني إسرائيل يزعمون أنك فجرتَ بفُلانة. قال موسى: فادعوها فإنْ قالت فهو كما قالت.

فلما جاءت، قال لها موسى: أقسمت عليك بالذي أنزل التوراة إلاّ صدقت، أأنا فعلت بك ما يقول هؤلاء؟ قالت: لا، كذبوا، ولكنْ جعلوا لي جعلاً على أنْ أقذفك، فأوحى الله تعالى إلى موسى مُرِ الأرض بما شئتَ تُطِعْك، فقال: ياأرض خذيهم، فجعل قارون يقول: ياموسى ارحمني، وموسى يقول: ياأرض خذيهم، فابتلعتهم الأرض، ثم خسف بهم، وبِدارِ قارون.

ولما أهلك الله تعالى فرعون وجنوده، قصد موسى المسير ببني إسرائيل إلى مدينة الجبّارين، وهي أريحا، فقالت بنو إسرائيل: ﴿ ياموسى، إنّ فيها قوماً جبّارين، وإنّا لن ندخلها حتّى يخرجوا منها ﴾ [المائدة:٢٢]، يا موسى ﴿ اذهبْ أنت وربّك فقاتلا إنّا ها هنا قاعدون ﴾ [المائدة:٢٤]، فغضب موسى، ودعا عليهم، فقال: ﴿ ربّ إنّي لا أملك إلاّ نفسي وأخي فافرقْ بيننا وبين القوم الفاسقين ﴾ [المائدة:٢٥]، فقال الله تعالى: ﴿ فإنها محرّمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض ﴾ [المائدة:٢٦]، فبقوا في التيه، وأنزل الله عليهم المنّ والسلوى.

ثم أوحى الله تعالى إلى موسى أنّي متوفّ هارون، فأتِ به إلى جبل كذا وكذا، فانطلقا نحوه؛ فإذا هما بسرير، فناما عليه، وأخذ هارونَ الموتُ ورُفِع إلى السماء، ورجع موسى إلى بني إسرائيل، فقالوا له: أنت قتلت هارون لحبّنا إياه. قال موسى: ويحكم، أفَتَروني أقتل أخي.

فلما أكثروا عليه، سأل الله فأنزل السرير، وعليه هارون، وقال لهم إنّي متّ ولم يقتلني موسى.

ثم توفي موسى، واختُلِف في صورة وفاته، قيل: كان هو ويوشع يتمشّيان فظهرت غمامة سوداء، فخافها يوشع، واعتنق موسى، فانسلّ موسى من قماشه، وبقي يوشع معتنق الثياب، وعدِم موسى، وأتى يوشع بالقماش إلى بني إسرائيل، فقالوا أنت

قتلتَ موسى.

ووكلوا به فسأل يوشعُ اللّه تعالى أن يبيّن براءته، فرأى كلُّ رجلٍ كان موكلاً عليه في منامه أنّ يوشع لم يقتلْ موسى، فإنّا رفعناه إلينا، فتركوه، وقيل: بل تنبّأ يوشع وأوحى اللّه تعالى إليه، وبقي موسى يسأله، فلم يخبره، فعظم ذلك على موسى، وسأل اللّه الموتَ فمات، وقيل غير ذلك.

وكان وفاة موسى في التيه في سابع آذار لمضيّ ألف وَستّمائة وستّ وعشرين سنة من الطوفان، في أيام منوجهر الملك، وكان موت موسى بعد هارون أخيه بأحد عشر شهراً، وكان هارون أكبر من موسى بثلاثِ سنين.

وكان مولد موسى لمضي أربعمائة وخمسٍ وعشرين سنة من مولد إبراهيم، وكان بين وفاة إبراهيم ومولد موسى مائتان وخمسون سنة.

وولد موسى لمضيّ ألف وخمسمائة وست سنين من الطوفان، وكان عمره لما خرج ببني إسرائيل من مصر ثمانين سنة، وأقام في التيه أربعين سنة، فيكون عمر موسى مائة وعشرين سنة[1]، وأمّا بنو إسرائيل، وكانوا قبل أنْ يخرجهم موسى تحت حكم فراعنة مصر رعية لهم، وكانوا على بقايا من دينهم الذي شرعه يعقوب ويوسف عليهما السلام، وكان أول قدومهم إلى مصر لمضيّ تسع وثلاثين سنة من عمر يوسف، فأقاموا في مصر بقية عمر يوسف وهو إحدى وسبعون سنة، لأن عمر يوسف كان مائة وعشر سنين فإذا أنقصنا منها تسعاً وثلاثين سنة بقي إحدى وسبعون سنة، وأقاموا أيضاً مدّة ما كان بين وفاة يوسف ومولد موسى، وهو أربع وستون سنة، وأقاموا أيضا ثمانين سنة من عمر موسى حتى خرج بهم، فيكون جملة مقام بني إسرائيل بمصر حتى أخرجهم موسى مائتين وخمس عشرة سنة.

(ذكر حكّام بني إسرائيل ثم ملوكهم)

لما مات موسى عليه السلام، لم يتولّ على بني إسرائيل ملك، بل كان لهم حكّام سدّوا مسدّ الملوك ولم يزالوا على ذلك، حتى قام فيهم طالوت، فكان أول ملوكهم على ما ستقف عليه - إن شاء اللّه تعالى - وهذا الفصل أعني فصل حكّام بني إسرائيل وملوكهم، قد كثر الغلط فيه لبعد عهده، ولكونه باللغة العبرانية، فتعسر النطق بألفاظه على الصحة، ولم أجدْ في نسخ التواريخ التي وقعت لي في هذا الفن،

---

(١) التوراة، سفر التثنية، الإصحاح ٣٤ الآية ٧.

ما أعتمد على صحّته، لأن كلّ نسخة وقفت عليها في هذا الفن، وجدتها تخالف الأخرى، إما في أسماء الحكام، وإمّا في عددهم، وإمّا في مدد استيلائهم.

ولليهود الكتب الأربعة والعشرون، وهي عندهم متواترة قديمة، ولم تعرّب إلى الآن، بل هي باللغة العبرانية، فأحضرت منها سفري قضاة بني إسرائيل وملوكها، وأحضَرت إنساناً عارفاً باللغة العبرانية والعربية، وتركته يقرأها، وأحضرت بها ثلاث نسخ؛ وكتبت منها ما ظهر عندي صحته، وضبطت الأسماء بالحروف والحركات حسب الطاقة، والله الموفق للصواب.

(ذكر يوشع)[1]

ولمّا مات موسى عليه السلام، قام بتدبير بني إسرائيل يوشع بن نون بن اليشاماع بن عميهوذ بن لعدان بن تاحن بن تالَح بن راشَف بن رافح بن بريعا بن افرايم بن يوسف بن يعقوب، وأقام ببني إسرائيل في التيه ثلاثة أيام، ثم ارتحل يوشع ببني إسرائيل، وأتى بهم إلى الشريعة، وهي النهر الذي بالغور، واسمه الأردنّ، في عاشر نيسان من السنة التي توفي فيها موسى، فلم يجد للعبور سبيلاً، فأمر يوشع حاملي صندوق الشهادة الذي فيه الألواح بأن ينزلوا إلى حافة الشريعة، فوقفت الشريعة حتّى انكشف أرضها، وعبر بنو إسرائيل، ثم بعد ذلك عادت الشريعة إلى ما كانت عليه.

ونزل يوشع ببني إسرائيل على أريحا محاصراً لها، وصارفي كل يوم يدور حولها مرة واحدة، وفي اليوم السابع أمر بني إسرائيل انْ يطوفوا حول أريحا سبع مرات، وأن يصوّتوا بالقرون، فعند ما فعلوا ذلك هبطت الأسوار، ورسخت وتساوت الخنادق بها، ودخل بنو إسرائيل أريحا بالسيف، وقتلوا أهلها.

وبعد فراغه من أريحا سار إلى نابلس، إلى المكان الذي بيع فيه يوسف، فدفن عظام يوسف هناك، وكان موسى قد استخرج يوسف من نيل مصر، واستصحبه معه إلى التيه، فبقي معهم أربعين سنة، وتسلمّه يوشع، فلّما فرغ من أريحا، سار به ودفنه هناك.

وملك يوشع الشام وفرّق عماله فيه، واستمرّ يوشع يدبّر بني إسرائيل نحو ثمانٍ

---

(١) في التوراة: يشوع بن نون، «سفر يشوع».

وعشرين سنة، ثم توفي يوشع، ودفن في كفر حارس[١] وله من العمر مائة وعشر سنين[٢]. ورأيت في تاريخ ابن سعيد المغربي أنّ يوشع مدفون في المعرّة، فلا أعلم هل نقل ذلك، أم أثبته على ما هو مشهور الآن، أقول: فكانت وفاة يوشع سنة ثمان وعشرين لوفاة موسى، وبعد وفاة يوشع قام بتدبيرهم (فيْخاس) بن العزر بن هارون بن عمران، (وكالاب) بن يوفنا، وكان فيخاس هو الإمام، وكان كالاب يحكم بينهم، وكان أمرهما في بني إسرائيل ضعيفاً.

ودام بنو إسرائيل على ذلك سبع عشرة سنة، ثم طغوا وَعصوا اللّه، فسلّط اللّه عليهم كوشان ملك الجزيرة، قيل إنها جزيرة قبرس، وقيل بل كان كوشان المذكور ملك الأرمن، وكان من ولد العيص بن إسحاق، فاستولى على بني إسرائيل، واستعبدهم ثماني سنين، فاستغاثوا إلى اللّه تعالى.

وكان لِكالاب أخ من أمّه يقال له عثنيال[٣] بن قناز، فأقام كالأب المذكور أخاه عثنيال على بني إسرائيل، أقول فكان خلاص بني إسرائيل من كوشان المذكور في سنة اثنتين وخمسين لوفاة موسى عليه السلام، لأن كوشان حكم عليهم ثماني سنين، (وفيخاس) بفاء مشربة بتاء موحدة ثم ياء مثناة من تحتها ممالة ثم نون ساكنة ثم جاء مهملة ثم ألف ممالة وسين مهملة - ثم قام فيهم بعد استيلاء كوشان (عثنيال) بن قناز من سبط يهوذا، وأزال ما كان على بني اسرائيل لصاحب الجزيرة من القطيعة، وأصلح حال بني إسرائيل.

وكان عثنيال رجلاً صالحاً واستمرّ يدبّر أمر بني إسرائيل أربعين سنة وتوفي، أقول: فتكون وفاته في أواخر سنة اثنتين وتسعين لوفاة موسى - (عثْنيال) بعين مهملة وثاء مثلثة ساكنة ونون مكسورة وياء مثناة من تحتها مهموزة وألف ولام - ثمّ من بعد وفاة عثنيال، أكثر بنو إسرائيل المعاصي، وَعبدوا الأصنام، فسلّط اللّه عليهم (عغلوان)[٤] ملك موآب منْ ولد لوط، واستعبد بني إسرائيل، فاستغاثت بنو إسرائيل إلى اللّه أنْ ينقذهم من (عغلون) المذكور، واستمرّ بنو إسرائيل تحت مضايقة

(١) فدفنوه في تخم ملكة في قِمْنَة سارَحَ التي في جبل أفرايم شمال جبل جاعش. التوراة، سفر يشوع، الاصحاح ٢٤ الآية ٣٠.

(٢) مائة وستاً وعشرين سنة. الكامل ج١ ص١٥٥.

(٣) عُثْنيئيل. التوراة، سفر القضاة، الإصحاح ٣ الآية ٩.

(٤) عجْلُون ملك موآب. سفر القضاة الإصحاح ٣ الآية ١٢.

عغلون ثماني عشرة سنة، فيكون خلاصهم منه في أواخر سنة عشر ومائة لوفاة موسى. – عَغْلُون. بفتح العين المهملة وسكون الغين المعجمة وضم اللام وسكون الواو ثم نون – .

ثم أقام اللّه لبني إسرائيل (أَهَوْذ)[1] من سبط بنيامين، وكفّ أَهَوْذ عنهم أذيّة عغلون ومضايقته، وأقام أَهَوْذ يدبّرهم ثمانين سنة، فيكون وفاة أهوذ في أواخر سنة تسعين ومائة لوفاة موسى – أهوذ بفتح الهمزة وضمّ الهاء وسكون الواو ثم ذال معجمة – ولمّا مات أهوذ قام بتدبيرهم بعده (شَمْكار)[2] بن عنوث دون سنة، أقول فتكون ولاية شمكار ووفاته في سنة إحدى وتسعين ومائة لوفاة موسى عليه السلام – شمكار بفتح الشين المثلثة وسكون الميم وكاف وألف وراء مهملة – ثمّ طغى بنو إسرائيل فأسلمهم اللّه تعالى في يد بعض ملوك الشام، واسمه (يابين)، فاستعبدهم عشرين سنة، حتى خلصوا منه، فيكون خلاصهم من يابين المذكور في أواخر سنة إحدى عشرة ومائتين لوفاة موسى.

ثم قام فيهم رجل مِنْ سبط نعتالي، يُقال له: (باراق) بن أبي نعم[3]، وامرأة يقال لها دبورا[4]، فقهر يابينَ، ودبّرا أمور بني إسرائيل أربعين منه، أقول فيكون انقضاء مدّتهما في أواخر سنة إحدى وخمسين ومائتين لوفاة موسى عليه السلام – باراق: بباء موحّدة من تحتها، وألف وراء مهملة وألف وقاف.

ثم إنّ بني إسرائيل أخطأوا، وارتكبوا المعاصي لغير مدبّر لهم من بني اسرائيل، مدّة سبع سنين، واستولى عليهم أعداؤهم من أهل مدين في تلك المدّة، أقول: فيكون آخر مدّة هذه الفترة في أواخر سنة ثمانٍ وخمسين ومائتين من وفاة موسى عليه السلام، فاستغاثوا إلى اللّه فأقام فيهم (كَذْعُون)[5] بن يواش، فقتل أعداءهم وأقام منارَ دينهم، واستمرّ فيهم كذلك أربعين سنة، أقول فيكون وفاته في أواخر سنة ثمانٍ وتسعين ومائتين لوفاة موسى – كَذْعُون بفتح الكاف وسكون الذال المعجمة

---

(١) إهود بن جيرا البنياميني . سفر القضاة الإصحاح ٣ الآية ١٥ .

(٢) شمجر بن عَنَاة سفر القضاة الإصحاح ٣ الاية ٣١ .

(٣) باراق بن أبينوعم سفر القضاة الاصحاح ٤ الآية ٦ . .

(٤) دبورة: امرأة نبيّةٌ زوجةٌ لفيدوت. هي قاضية إسرائيل في ذلك الوقت. سفر القضاة، الإصحاح الرابع الآية٤ .

(٥) جِدْعون . سفر القضاة، الإصحاح ٦ الآية ١٣ .

وضمّ العين المهملة وواو ونون – ثمّ قام فيهم بعد كذعون ابنه (ابيمالخ)[1] ثلاث سنين، فيكون وفاته في أواخر سنه إحدى وثلاثمائة لوفاة موسى عليه السلام – أبيمالخ بهمزة وباء موحّدة من تحتها ثم ياء مثناة من تحتها وميم وألف ولام وخاء معجمة–.

ثم قام فيهم بعد ابيمالخ المذكور رجل مِنْ سبط يشسوخر، يُقال له (يُؤإير)[2] الجرشي، اثنتين وعشرين سنة، فيكونُ وفاته لمضيّ ثلاثمائة وثلاث وعشرين سنة من وفاة موسى – يوءإير: بضمّ الياء المثنّاة من تحتها وهمزة مفتوحة ثم ألف ثم همزة مكسورة وياء مثناة من تحتها وراء مهملة – ثم إن بني إسرائيل اخطأوا وارتكبوا المعاصي، فسلّط اللّه تعالى عليهم بني عمّون، وهمْ من ولد لوط، وكان ملك بني عمّون إذْ ذاك يُقال له: أمونيطو، فاستولى على بني إسرائيل ثماني عشرة سنة، حتّى خلصوا منه، فيكون انقضاء مدّته في أواخر سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة لوفاة موسى.

ثم استغاث بنو إسرائيل إلى اللّه تعالى، فأقام فيهم رجلاً اسمه (يُفْتُح) الجرشي[3] منْ سبط منشا، فكفاهم شرّ بني عمّون، وقتل من بني عَمّون خلقاً كثيراً، ودبّرهم ستّ سنين، فتكون وفاته في أواخر سنة ثلاثمائة ،سبع وأربعين – (يفتح) بضمّ الياء المثناة من تحتها وسكون الفاء وضمّ التاء المثناة من فوق وحاء مهملة.

ثم قام فيهم مِنْ بعد يفتح رجل منْ سبط يهوذا اسمه(أبْصُن)[4] سبع سنين، فتكون وفاته في أواخر سنة أربع وخمسين وثلاثمائة لوفاة موسى عليه السلام – أبْصُن: بفتح الهمزة وسكون الباء الموحدة من تحتهما وضم الصاد المهملة ثم نون.

ثم دبّرهم بعد ابصن رجل اسمه (آلوُن)[5] من سبط زبولون عشر سنين، فيكون وفاته في سنة أربع وستين وثلاثمائة لوفاة موسى – آلون بهمزة ممدودة ممالة وضم اللام ثم واو ونون.

---

(١) ابيمالك : سفر القضاة، الإصحاح ٩ الآية ١.

(٢) قام بعد ابيمالك تولع بن فواة بن دودو من يساكر، قضى ثلاثاً وعشرين سنة، ثمّ قام بعد يائير الجلعادي فقضى اثنتين وعشرين سنة : سفر القضاة الإصحاح ١٠ الآيتين ١-٣.

(٣) يَفْتاح الجلعادي : سفر القضاة الإصحاح ١١ الآية ١.

(٤) إبصان : سفر القضاة، الإصحاح ١٢ الآية ٨.

(٥) إيلون الزَّبولوني سفر القضاة، الإصحاح ١٢ الآية ١١.

ثم دبَّرهم بعد آلون رجل اسمه (عَبدُون) بن هلال[1] من سبط أفرايم بن يوسف ثماني سنين، فيكون وفاته في أواخر سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة لوفاة موسى - عَبْدُون بفتح العين المهملة. وسكون الباء الموحدة وضم الدال المهملة ثم واو ونون.

ثم أخطأوا وعملوا بالمعاصي، فسلّط الله أهل فلسطين، واستولوا عليهم أربعين سنة، فيكون آخر استيلاء أهل فلسطين عليهم في أواخر سنة اثنتي عشرة وأربعمائة لوفاة موسى، فاستغاثوا إلى الله عزّ وجلّ فأقام فيهم رجلاً اسمه (شَمْشُون) ابن مانوح من سبط دان.

وكان لشمشون المذكور قوّة عظيمة، ويعرف بشمشون الجبّار، فدافع أهل فلسطين ودبّر بني إسرائيل عشرين سنة، ثم غلبه أهل فلسطين، وأسروه، ودَخلوا به إلى كنيستهم، وكانت مركبّة على أعمدة، فأمسك العواميد، وحرّكها بقوّة، حتى وقعت الكنيسة، فقتلته، وقتلت مَنْ كان فيها من أهل فلسطين، وكان منهم جماعة مِنْ كبارهم، فيكون انقضاء مدّة تدبير شمشون المذكور لهم في أواخر سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة لوفاة موسى - شمشون بفتح الشين المعجمة وسكون الميم ثم شين معجمة مضمومة ثم واو ونون -.

ثم كانت فترة، وصار بنو إسرائيل بغير مدبّر منهم، عشر سنين، فيكون انقضاء مدّة الفترة في أواخر سنة اثنتين وأربعين وأربع مائة لوفاة موسى. ثم قام فيهم رجل من ولد إيثامور بن هارون بن عمران اسمه (عالي الكاهن)، وأصل الكاهن في لغتهم كُوهِن، ومعناه الإمام، وكان عالي المذكور رجلاً صالحاً فدبّر بني إسرائيل أربعين سنة، وكان عمرُه لمّا ولي ثمانياً وخمسين سنة، فيكون مدّة عمره ثمانياً وتسعين سنة.

وفي أول سنة من ولايته، ولد (شمويل) النبي بقرية النبي على باب القدس، يُقال لهما شيلو، وفي السنة الثالثة والعشرين من ولاية عالي المذكور ولد (داود) النبي عليه السلام. فيكون وفاة عالي المذكور في أواخر سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة لوفاة موسى - عالي بعين مهملة على وزن فاعل -.

ثمّ دبّر بني إسرائيل، شمويل النبي[2]، وكان قد تنبأ لمّا صار له من العمر

(١) عبدون بن هليل. سفر القضاة، الإصحاح ١٢ الآية ١٥.
(٢) في التوراة: صموئيل الاول. سفر صموئيل الاول، وفي الكامل اشمويل ج ١ ص ١٦٤.

أربعون سنة، وذلك عند وفاة عالي، فدبّر شمويل بني إسرائيل إحدى عشرة سنة، ومنتهى هذه الإحدى عشرة هي آخر سني حكام بني إسرائيل وقضاتهم، فإن جميع مَنْ ذكر من حكام بني إسرائيل، كانوا بمنزلة القضاة، وسدّوا مسدّ ملوكهم.

وبعد الإحدى عشرة سنة التي دبّرهم شمويل المذكور قام لبني إسرائيل ملوك على ماسنذكره إن شاء الله تعالى، فيكون انقضاء سني حكّامهم في سنة ثلاث وتسعين وأربع مائة لوفاة موسى، ثم حضر بنو إسرائيل إلى شمويل، وسألوه أنْ يقيم فيهم ملكاً، فأقام فيهم (شاول)[١]، وهو طالوت بن قيش من سبط بنيامين، ولم يكن طالوت من أعيانهم، قيل: إنّه كان راعياً، وقيل: سقّاء، وقيل: دبّاغاً، ملك طالوت سنتين، واقتتل هو وجالوت[٢].

وكان جالوت مِنْ جبابرة الكنعانيين، وكان ملكه بجهات فلسطين، وكان من الشدة، وطول القامة، بمكان عظيم.

فلما برز للقتال لم يقدر على مبارزته أحد، فذكر شمويل علامة الشخص الذي يقتل جالوت، فاعتبر طالوت بجميع عسكره، فلم يكن فيهم مَنْ يوافقه تلك العلامة.

وكان داود عليه السلام أصغر بني أبيه، وكان يرعى غنم أبيه وإخوته، فطلبه طالوت، واعتبره شمويل بالعلامة، وهي دهن كان يستدير على رأس مَنْ يكون فيه السرّ وأحضر أيضاً تنور حديد، وقال: الشخصُ الذي يقتل جالوت يكون ملءَ هذا التنور؛ فلما اعتبر داود ملء التنور، واستدار الدهن على رأسه؛ ولما تحقق ذلك العلامة، أمره طالوت بمبارزة جالوت، فبارزه، وقتل داودُ جالوتَ، وكان عمر داود إذْ ذاك ثلاثين سنة.

ثم بعد ذلك مات شمويل، فدفنته بني إسرائيل في الليل، وناحوا عليه، وكان عمره اثنتين وخمسين سنة، وأحبّ الناسُ داود، ومالوا إليه، فحسده طالوت، وقصد قتله مرّة بعد أخرى، فهرب داود منه، وبقي متحرّزاً على نفسه، وفي آخر الحال، إنّ طالوت ندم على ما كان منه من قصد قتل داود، وغير ذلك ممّا وقع منه، وقصد أن

---

(١) سفر صموئيل الأول الإصحاح التاسع. في الكامل: اسمه طالوت، وبالسريانيّة شاول ج١ ص١٦٥.

(٢) جُليات: التوراة، سفر صموئيل الأول، الإصحاح ١٧ الآية ٤.

يكفّر لله تعالى عنه ذنوبه، بموته في الغزاة، فقصد الفلسطينيين وقاتلهم، حتى قُتل هو وأولاده في الغزاة، فيكون موت طالوت في أواخر سنة خمسٍ وتسعين وأربعمائة لوفاة موسى.

ولمّا قتل طالوت افترقت الأسباط، فملك على أحد عشر سبطاً (إيش بوشت)[1] بن طالوت، واستمرّ إيش بوشت ملكاً على الأسباط المذكورين في ثلاث سنين، وانفرد عن إيش بوشت سبط يهوذا فقط، وملك عليهم (داود)[2] بن بيشار ابن عوفيد بن بوعز بن سلمون بن نحشون بن عمينوذب بن رم بن حصرون بن بارص ابن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام، وحزن داود على طالوت، ولعن موضع مصرعه.

وكان مقام داود (بحبّرون)، فلمّا استوثق له الملك، ودخلت جميع الأسباط تحت طاعته، وذلك في سنة ثمان وثلاثين من عمر داود، انتقل إلى القدس.

ثمّ إنّ داود فتح في الشام فتوحات كثيرة من أرض فلسطين، وبلد عمّانَ ومؤاب وحلب ونصّيبين وبلاد الأرمن وغير ذلك.

ولمّا أوقع داود بصاحب حلب وعسكره، وكان صاحب حماة إذ ذاك اسمه (ثاعو)، وكان بينه وبين صاحب حلب عداوة، فأرسل صاحب حماة ثاعو المذكور وزيره بالسلام والدعاء إلى داود، وأرسل معه هدايا كثيرة فرحاً بقتل صاحب حلب.

ولما صار لداود ثمانٍ وخمسون سنة، وهي السنة الثامنة والعشرون من ملكه، كانت قصته مع أوريا وزوجته[3]، وهي واقعة مشهورة، وفي سنة ستين من عمر داود، خرج عليه ابنه (ابشلوم) بن داود، فقتله بعض قوّاد بني إسرائيل، وملك داود أربعين سنة.

ولمّا صار لداود سبعون سنة توفي[4]، فيكون وفاة داود في أواخر سنة خمس وثلاثين وخمس مائة لوفاة موسى، وأوصى داود قبل موته بالملك إلى سليمان ولده[5]، وأوصاه بعمارة بيت المقدس، وعيّن لذلك عدة بيوت أموال، تحتوي على

---

(١) إيشبوشت : التوراة ، سفر صموئيل الثاني، الإصحاح ٢ الآية ٨.

(٢) صموئيل الثاني، الإصحاح ٢ الآية ١٠ .

(٣) صموئيل الثاني الإصحاح ١١ من الآية ٢ وحتى الآية ٢٧.

(٤) في الكامل كان عمره مئة سنة عندما توفي داود ج١ ص ١٧٤.

(٥) التوراة ، سفر الملوك الأول الإصحاح ١ الآية ٣٢.

جمل كثيرة من الذهب.

فلما مات داود ملك سليمان وعمره اثنتا عشرة سنة، وآتاه اللّه من الحكمة والملك مالم يُؤْتِه لأحدٍ سواه؛ على ما أخبر اللّه عزّ وجل به في حكم كتابه العزيز.

وفي السنة الرابعة من ملكه، في شهر أيار وهي سنة تسع وثلاثين وخمسمائة لوفاة موسى، ابتدأ سليمان عليه السلام في عمارة بيت المقدس، حسبما تقدّمت به وصية أبيه إليه، وأقام سليمان في عمارة بيت المقدس سبع سنين، وفرغ منه في السنة الحادية عشرة من ملكه[1]، فيكون الفراغ من عمارة بيت المقدس في أواخر سنة ستّ وأربعين وخمسمائة لوفاة موسى عليه السلام.

وكان ارتفاع البيت الذي عمره سلميان ثلاث ذراعاً، وطوله ستين ذراعاً في عرض عشرين ذراعاً، وعمل خارة البيت سوراً محيطاً به، امتداده خمسمائة ذراع في خمس مائة ذراع.

ثم بعد ذلك شرع سليمان في بناء دار مملكة بالقدس، واجتهد في عمارتها وتشييدها، وفرغ منها في مدّة ثلاث عشرة سنة، وانتهت عمارتها في السنة الرابعة والعشرين مِنْ ملكه.

وفي السنة الخامسة والعشرين من ملكه جاءته بلقيس[2] ملكة اليمن، ومَنْ معها، وأطاعه جميع ملوك الأرض، وحملوا إليه نفائس أموالهم، واستمرّ سليمان على ذلك حتى توفي، وعمره اثنتان وخمسون سنة، فكانت مدّة ملكه أربعين سنة، فيكون وفاة سليمان عليه السلام، في أواخر سنة خمس وسبعين وخمسمائة لوفاة موسى.

ولما توفي سليمان ملك بعده ابنه (رحبعم)[3]،وكان رحبعم المذكور رديء الشكل، شنيع المنظر، فلما تولّى حضر إليه كبراء بني إسرائيل، وقالوا له: إنّ أباك

---

(١) في الكامل: ان داود هو من شرع في بناء المسجد ثم اوصى إلى سليمان لاتمامه ج١ ص ١٧٣ وفي التوراة: (إلاّ إنك لا تبني البيت بل ابنك الخارج من صلبك هو يبني البيت لاسمي) سفر الملوك الاول الإصحاح ٨ آية ١٩. ودعا سليمان ابنه وأوصاه ان يبني بيتا للرب إله إسرائيل سفر أخبار الأيام الاول إصحاح ٢٢ آية ٦.

(٢) ملكة سبأ: التوراة سفر الملوك الاول الإصحاح العاشر بدءاً من الآية ١ وفي الكامل: قيل هي بلقمة ابنة اينشرح. أو هي بلقمة ابنة الهدهاد واسمه اينشرح بن تبّع وقيل غير ذلك ج١ ص ١٧٦.

(٣) دَحُبْعَام: التوراة، سفر الملوك الاول، الإصحاح ١١ الآية ٤٢ والإصحاح ١٢ بدءا من الآية ١.

سليمان كان ثقيل الوَطْأة علنا، وحَمّلنا أموراً صعبة، فإن أنت خفّفت الوطْأة عنّا، وأزلْت عنّا ما كان أبوك قد قرره علينا، سمعنا لك، وأطعناك، فأخّر (رحبعم) جوابهم إلى ثلاثة أيام، واستشار كبراء دولة أبيه في جوابهم، فأشاروا بتطييب قلوبهم، وإزالة ما يشكونه.

ثم إنّ رحبعم استشار الأحداث، ومَنْ لم يكن له معرفة، فأشاروا بإظهار الصّلابة والتشديد على بني إسرائيل، لئلا يحصل لهم الطمع.

فلمّا حضروا إلى رحبعم ليسمعوا جوابه، قال لهم: أنا خُنْصُري أغلظ مِنْ ظهر أبي وما كنتم تخشونه مِنْ أبي، فإنّني أعاقبكم بأشدّ منه، فعند ذلك خرج عن طاعته عشرة أسباط، ولم يبقَ مع رحبعم غير سبطَيْ يهوذا وبنيامين فقط، وملك على الأسباط العشرة رجل من عبيد أبيه سليمان، اسمه: (يربعم)[1].

وكان يربعم المذكور فاسقاً كافراً، وافترقت حينئذٍ مملكة بني إسرائيل، واستقرّ لولد داود المُلْك على السبطَيْن فقط، أعني سبطَيْ يهوذا وبنيامين، وصار للأسباط العشرة ملوك تُعرف بملوك الأسباط، واستمرّ الحال على ذلك نحو مائتين وإحدى وستين سنة، وكانت ولدُ سليمان في بني إسرائيل، بمنزلة الخلفاء للإسلام، لأنهم أهل الولاية، وكانت ملوك الأسباط مثل ملوك الأطراف والخوارج.

وارتحلت الأسباط إلى جهات فلسطين وغيرها بالشام، واستقرّ ولد داود ببيت المقدس، ونحن نقدّم ذكر بني داود إلى حيث اجتمعت لهم المملكة على جميع الأسباط، ثمّ بعد ذلك نذكر ملوك الأسباط متتابعين إن شاء الله تعالى، فنقول: واستمرّ رحبعم ملكاً على السبطَيْن حسبما شُرِح، حتى دخلت السنة الخامسة من مُلكه، فيها غزاه فرعون مصر، واسمه (شيشاق)[2]، ونهبَ مال رحبعم، المخلّف عن سليمان.

واستمرّ رحبعم على ما استقرّ له من الملك، وزاد في عمارة بيت لحم، وعمارة غزّة وصور وغير ذلك من البلاد، وكذلك عمّر أيلة وجدّدها، وولد لرحبعم ثمانية وعشرون ولداً ذكراً غير البنات، وملك رحبعم سبع عشرة سنة، وكانت مدّة عمره إحدى وأربعين سنة، أقول: فيكون وفاة رحبعم في أواخر سنة اثنتين وتسعين

---

(١) يَرُبْعَام: سفر الملوك الأول، الإصحاح ١٢ الآية ٢٠ وفي الكامل: اسمه «يوربعم» ج١ ص ١٩١.
(٢) في التوراة: شيشَق. سفر الملوك، الإصحاح ١٤ الآية ٢٥.

وخمسمائة لوفاة موسى - (رِحُبْعُم) براء مهملة لم أتحقق حركتها وضمّ الحاء المهملة وسكون الباء الموحّدة وضمّ العين المهملة ثم ميم.

ولما توفي رحبعم، ملك بعده وعلى قاعدته، ابنه (أخِيًا)[1] ثلاث سنين، فيكون وفاة أفيًا في أواخر سنة خمس وتسعين وخمس مائة لوفاة موسى - وأفيًا بفتح الهمزة وكسر الفاء التي هي بين الفاء والذال على مقتضى اللغة العبرانية وتشديد الياء المثناة من تحتها ثم ألف -.

ولما توفي أفيا ملك بعده ابنه (أسَا) إحدى وأربعين سنة، وخرج على (أسا) عدو[2] فهزم الله العدّو، بين يَدَيْ أسَا، وقيل: إن العدو كان من الحبشة، وقيل: من الهنود، أقول فكانت وفاة أسا في أواخر سنة سنة ستّ وثلاثين وستمائة لوفاة موسى - أسا بضمّ الهمزة وفتح السين المهملة ثم ألف - ثمّ ملك بعد أسا ابنُه: (يَهُوْشَافاط) خمساً وعشرين سنة.

وكان عمر يهوشافاط لمّا ملك، خمساً وثلاثين سنة، وكان يهوشافاط رجلاً صالحاً كثير العناية بعلماء بني إسرائيل، وخرج على يهوشافاط منْ ولد العيص[3]، وجاؤا في جمع عظيم، وخرج يهوشافاط لقتالهم، فالقى الله بين أعدائه الفتنة، واقتتلوا فيما بينهم، حتى انمحقوا وولوا منهزمين، فجمع يهوشافاط منهم غنائم كثيرة، وعاد بها إلى القدس مؤيّداً منصوراً، واستمرّ في ملكه خمساً وعشرين سنة، وتوفّي، فتكون وفاته في أواخر سنة إحدى وستين وستمائة - ويهوشافاط بفتح الياء المثناة من تحتها وضم الهاء وسكون الواو وفتح الشين المُعجمة وبعدها ألف ثم فاء والف ثم طاء مهملة.

ثمّ ملك بعد يهوشافاط ابنه (يهورام)[4] وكان عمر يهورام لما ملك اثنتين وثلاثين سنة، وملك ثماني سنين، فيكون وفاته في أواخر سنة تسع وستين وستمائة - وَيَهُوْرَام بفتح الياء المثناة من تحتها وضم الهاء وسكون الواو وراء

---

(١) في التوراة: ابيام. سفر الملوك الاول الإصحاح ١٤ الآية ٣١. وفي الكامل: افيا ج١ ص ١٩٢.

(٢) في التوراة: خرج إليهم زارح الكوشي ... الخ سفر. اخبار الأيام الثاني الإصحاح ١٤ الآية ٩، وفي الكامل: زرح الهندي ج١ ص ١٩٢.

(٣) في التوراة: هم بنو موآب وبنو عمون سفر اخبار الأيام الثاني الإصحاح ٢٠ الآية ١.

(٤) في التوراة: وملك يهورام ابنه. سفر اخبار الملوك الثاني الإصحاح ٢١ الآية ١. في الكامل: ملكت عزليا بنت عمرم ج ١ص١٩٤.

مهملة ثم الف وميم.

ولما مات يهورام ملك بعده ابنه (أَحَزْ ياهو)[١]، وكان عمره لما ملك اثنتين وأربعين سنة، وملك سنتين، فيكون وفاته في أواخر سنة إحدى وسبعين وستمائة، - وأحزياهو بفتح الهمزة والحاء المهملة وسكون الزاي المعجمة ثم مثناة من تحتها ثم الف وهاء وواو.

ثم كان بعد أحزياهو فترة بغير ملك، وحكمت في الفترة المذكورة امرأة ساحرة، أصلها من جواري سليمان عليه السلام، واسمها (عثليا هو)[٢] وتتبعَتْ بني داود فأفْنتهم، وسَلِمَ منها طفل أخفَوْه عنها، وكان اسم الطفل يؤاش بن أحزيو[٣]، واستولت (عثليا هو) كذلك سبع سنين، فيكون آخر الفترة.

وعدم عثليا هو في أواخر سنة ثمان وسبعين وستمائة لوفاة موسى عليه السلام، ثم ملك بعد عثليا هو (يُؤَاش)[٤] وهو ابن سبع سنين، وفي السنة الثالثة والعشرين من ملكه، رمّم بيت المقدس، وجدّد عمارته، وملك يؤاشُ أربعين سنة، فيكون وفاته في أواخر سنة ثماني عشرة وسبع مائة لوفاة موسى - و يؤاش: بضمّ المثنّاة من تحتها ثم همزة وألف وشين معجمة -.

ثم ملك بعد يؤاش ابنه (أَمَصْيا هو)[٥]، وكان عمره لما ملك خمساً وعشرين سنة، وملك تسعاً وعشرين سنة، وقيل: خمس عشرة، وَقُتِلَ، فيكون موته في أواخر سنة سبع وأربعين وسبعمائة لوفاة موسى عليه السلام - وأَمَصْيا هو بفتح الهمزة وفتح الميم وسكون الصاد المهملة ومثناة من تحتها وألف وهاء وواو

ثم ملك بعده (عُزّ ياهو)[٦] وكان عمره لما ملك ستّ عشرة سنة، وَملك

---

(١) في التوراة: أخزيا. سفر أخبار الملوك الثاني الإصحاح ٢٢ الآية ١. أما ياهو: فهو (ياهو) بن نمشي الذي مسحه الرّب لقطع بيت آخاب وهو الذي قتل أخزيا. سفر أخبار الملوك الثاني الإصحاح ٢٢: الآيات ٧،٨،٩. ثمّ ملكت عثليا أم أخزيا. سفر أخبار الملوك الثاني الإصحاح ٢٢ الآية ١٣. في الكامل: عزليا، ملكت بعد سافاط (يهوشافاط) ج١ ص ١٩٤.

(٢) عثليا أم أخزيا أخبار الأيام الثاني، الاصحاح ٢٢، الآية ١٠.

(٣) أخزيا أخبار الأيام الثاني، الأصحاح ٢٢، الآية ١١.

(٤) يؤاش أخبار الأيام الثاني، الاصحاح ٢٤ الآية ١.

(٥) امصيا أخبار الأيام الثاني الإصحاح ٢٥ الآية ١.

(٦) عزيا الأيام الثاني الإصحاح ٢٦ الآية ١.

اثنتين وخمسين سنة، ولحقه البرص، وتنغّصت عليه أيامه، وضعف أمره في آخر وقت، وتغلّب عليه ولده يوثم، فيكون وفاة (عزّياهو) في أواخر سنة تسع وتسعين وسبع مائة لوفاة موسى - وعزّياهو: بضمّ العين المهملة وتشديد الزاي المعجمة ثم مثناة من تحتها وألف وهاء وواو.

ثم ملك بعد عُزّياهو ابنه (يُوثُم)[1]، وكان عمر يوثم لمّا ملك خمساً وعشرين سنة، وملك ستّ عشرة سنة، فيكون وفاته في سنة خمس عشرة وثمانمائة لوفاة موسى - ويوثم: بضمّ المثناة من تحتها وسكون الاو وقح الثاء المثلثلة ثم ميم- وقيل: إن في أيامه كان يونس النبي عليه السلام على ماسنذكره إن شاء الله تعالى.

ولما توفي يوثم ملك بعده ابنه (آحز)[2]، وكان عمر آحز لما ملك - عشرين سنة، وملك ست عشرة سنة. وفي السنة الرابعة من ملكه قصده ملك دمشق، واسمه (رصين) وكان أشعيّا النبي في أيام آحز فبشّر آحز انّ الله تعالى يصرف (رصين) بغير حرب، فكان كذلك، فيكون وفاة آحز، في أواخر سنة إحدى وثلاثين وثمان مائة- وآحز بهمزة ممدودة ممالة وحاء مهملة ممالة أيضا ثم زاي معجمة.

ولما توفي آحز المذكور ملك بعده ابنه: (حزقيا)[3]، وكان رجلاً صالحاً مظفّراً، ولما دخلت السنة السادسة من ملكه، انقرضت دولة الخوارج، ملوك الأسباط الذين قدّمنا ذكرهم عند ذكر رحبعم بن سليمان، ونحن نذكرهم الآن مختصراً من أولهم إلى حين انتهوا في هذه السنة، أعني: السنة السادسة من ملك حزقيا، ثم إذا فرغنا من ذكرهم، نعود إلى ذكر حزقيا، ومن ملك بعده، فنقول: إنّ ملوك الأسباط المذكورين، خرجوا - بعد وفاة سليمان - على رحبعم بن سليمان، في أوائل سنة ستّ وسبعين وخمسمائة، وانقرضوا في سنة سبع وثلاثين وثمانمائة، فيكون مدّة ملكهم مائتين وإحدى وستين سنة، وعددهم سبعة عشر[4] ملكاً، وهم: يربعم

---

(١) يوثام. الايام الثاني، الإصحاح ٢٧ الآية ١.

(٢) آحاز. الأيام الثاني، الإصحاح ٢٨الآية ١.

(٣) حَزَقيًا. الأيام الثاني، الإصحاح ٢٩ الآية ١. وفي الكامل: صدقيا ج١ ص١٩٤-١٩٥.

(٤) ورد في التوراة أسماء تسعة عشر ملكاً وهم: مع بعض الاختلاف في الكتابة:

يربعام: سفر الملوك الاول، الإصحاح ١١ الآية ٢٦.

ناداب: سفر الملوك الاول، الإصحاح ١٥ الآية ٢٥.

ونوذب وبعشو وإيلا، وزمري وبني وعمري وآحؤب، وأحزيو وياهورا، وياهو، ويهوياحاز ويؤاش ويربعم آخر وبقحيوء، وياقح وهوشاع، وملك المذكورون في المدّة المذكورة أعني مائتين وإحدى وستين سنة تقريباً، وقد ذكر لكلّ واحد منهم المدة التي هلك فيها، وجمعنا تلك المدد، فلم يطابق ذلك التفصيل هذه الجملة المذكورة، فاضربنا عن ذكر تفصيل مدّة ما ملك كلّ واحد منهم، ونذكر شيئاً من اخباره، فنقول:

امّا (اولهم) فهو يربعم، فكان من عبيد سليمان بن داود، وكان يربعم المذكور كافراً، فلمّا ملك اظهر الكفر وعبادة الأوثان، وفي السنة الثامنة عشر من ملك يربعم توفي رحبعم بن سليمان.

وامّا (ثانيهم) نؤذب، فهو ابن يربعم المذكور.

وامّا (ثالثهم) بعشو فهو ابن آخيا من سبط يشوخر. وامّا (رابعهم): إيلا فهو ابن بعشو المذكور، وكان مقدّم جيشه زمري، فقتل إيلا وتولى زمري مكانه.

= بعشا : سفر الملوك الاول، الإصحاح ١٥ الآية ٢٧ ـ ٢٨.
ايله : سفر الملوك الاول، الإصحاح ١٦ الآية ٦.
زمري : سفر الملوك الاول، الإصحاح ١٦ الآية ٩.
تبني : سفر الملوك الاول، الإصحاح ١٦ الآية ٢١.
عمري : سفر الملوك الاول، الإصحاح ١٦ الآية ٢٣.
آخاب : سفر الملوك الاول، الإصحاح ١٦ الآية ٢٩.
اخزيا : سفر الملوك الاول، الإصحاح ٢٢ الآية ٥١.
يهورام : سفر الملوك الثاني، الإصحاح ١ الآية ١٧، الإصحاح ٣ الآية ١.
ياهو : سفر الملوك الثاني، الإصحاح ٩ الآية ١.
يهو آحاز : سفرالملوك الثاني، الإصحاح ١٠ الآية ٣٥الإصحاح١٣ الآية ١.
يؤاش أو يهو آش : سفر الملوك الثاني، الإصحاح ١١ الآية ١، الإصحاح ١٢ الآية ١. الإصحاح ١٣ الآية ١٠.
يربعام : سفر الملوك الثاني الإصحاح ١٤ الآية ١٦. الإصحاح ١٤ الآية ٢٣.
زكريا : الملوك الثاني الإصحاح ١٥ الآية ٨.
شلوم بن يابش : الملوك الثاني الإصحاح ١٥ الآية ١٢.
منحيم بن جاوي : الملوك الثاني الإصحاح ١٥ الآية ١٧.
فقحيا بن منحيم : الملوك الثاني الإصحاح ١٥ الآية ٢٣.
فقح بن رمليا : الملوك الثاني الإصحاح ١٥ الآية ٢٧.
هوشع بن ايله : الملوك الثاني الإصحاح ١٧ الآية ١.

(وخامسهم): زمري المذكور، أحرق في قصره. وأمّا (سادسهم) تبني: فإنه ولي الملك خمس سنين بشركة عمري. وأمّا (سابعهم) عمري: فإنه بعد موت تبني استقلّ بالملك بمفرده. وعمري المذكور هو الذي بني صبصطية، وجعلها دار ملكه. وأمّا (ثامنهم) أحوّب: فهو ابن عمري، وقتل في حرب كانت بينه وبين صاحب دمشق. وأما (تاسعهم) أحزيو: فهو ابن أحوّب المذكور، وكان موته بأن سقط من روشن له فات . وأمّا (عاشرهم) ياهورام: فهو وأخو أحزيو المذكور، وكان في أيامه الغلاء. وأمّا (حادي عشرهم) ياهو: فهو ابن نمشي. وأمّا (ثاني عشرهم) يهوياحاز: فهو ابن ياهو المذكور. وأمّا : (ثالث عشرهم) يؤاش: فهو ابن يهوياحاز. وأمّا (رابع عشرهم) يربعم الثاني: فهو ابن يؤاش، وقوي في مدّة ملكه، وارتجع عدة من قرى بني إسرائيل، كانت قد خرجت عنهم من حماة إلى كنسر، وعلى عهده كان يونس النبي عليه السلام. وأمّا (خامس عشرهم) يقحيوء فإنّ مدته لم تطل، وأما (سادس عشرهم) باقح، فعلى أيامه حضر ملك الجزيرة وغزا الأسباط المذكورين، وأخذ منهم جماعة إلى بلده، وأجلى بعضهم إلى خراسان، وأمّا (سابع عشرهم) هو شاع، فهو ابن إيلا، ولما تولّى أطاع صاحبَ الجزيرة، واسمه (سلمناصّر)[1] وقيل فلنصّر، وبقي هو شاع في طاعته تسع سنين، ثم عصاه، فأرسل صاحب الجزيرة المذكور، وحاصره ثلاث سنين، وفتح بلده صبصطية[2]، وأجلاه وقوه إلى بلد خراسان[3]،وأسكن موضعهم السامرة وكان ذلك في السنة السادسة من ملك حزقيا، فانضمّ من سلم من الأسباط إلى حزقيا[4]، ودخلوا تحت طاعته.

وملك حزْقيّا تسعاً وعشرين سنة، وكان عمره لمّا ملك عشرين سنة، وكان من الصلحاء الكبار، وكان قد فرغ عمره قبل موته بخمس عشرة سنة، فزاده اللّه تعالى في عمره خمس عشرة سنة[5]، وأمره أنْ يتزوّج وأخبره بذلك نبي[6] كان في زمانه.

وفي أيام مُلك حزقيا، قصده سنحاريبُ[7] ملكُ الجزيرة، فخذله اللّه تعالى،

---

(١) في التوراة : شَلْمَنْأَ سَرُ. الملوك الثاني الإصحاح ١٦ الآية ٣.
(٢) في التوراة السامره. الملوك الثاني الإصحاح ١٦ الآية ٥.
(٣) في التوراة الى آشور. الملوك الثاني الإصحاح ١٧ الآية ٢٣.
(٤) حزقيا بن آحاز. الملوك الثاني الإصحاح ١٨ الآية ١. وفي الكامل صدقيا ج١ص١٩٥.
(٥) الملوك الثاني الإصحاح ٢٠ الآية ٦ الكامل ج١ ص١٩٥.
(٦) اشعياء النبي. الملوك الثاني الإصحاح ٢٠ الآية ٤ وفي الكامل شعيا ج١ ص ١٩٤.
(٧) انظر الملوك الثاني الإصحاح ١٨ الآية ١٣ فما بعد. الكامل ج١ ص١٩٥.

ووقعت الفتنة في عسكره فولّى راجعاً، ثم قتله إثنان من أولاده في نينوى[١]، وكان أشعيّا النبي قد أخبر بني إسرائيل أنّ الله تعالى يكفيهم شرّ سنحاريب بغيرقتال، ثم إن ولديه اللذين قتلاه في نينوى، هربا إلى جبال الموصل، ثمّ سار إلى القدس، فأمنا بحزقيا، وكان اسمهما (اذرملخ وشراصر)[٢] .

وملك بعد سنحاريب ابنه الآخر، واسمه (اسرحدّون)[٣] ، وعظم بذلك أمر حزقيا، وهادنَتْهُ الملوك، وملك حسبما ذكرنا تسعاً وعشرين سنة، وتوفي، فيكون وفاة حزقيا في أواخر سنة ستين وثمانمائة لوفاة موسى عليه السلام – حِزقيّا بكسر الحاء المهملة وسكون الزاي المعجمة وكسر القاف وتشديد الياء المثناة من تحتها ثم ألف –.

ثم ملك بعده ابنه (مَنشّا)[٤]، وكان عمره لما ملك اثنتي عشرة سنة، فعصى لما تملّك، واظهر العصيان والفسق والطغيان مدّة اثنتين وعشرين سنة من ملكه، غزاه صاحب الجزيرة.

ثم إن منشّا أقلع عمّا كان منه، وتاب إلى الله توبةً نصوحاً حتى مات، وكانت مدّة ملكه خمساً وخمسين سنة، فيكون وفاته في أواخر سنة تسعمائة وخمس عشرة – منشا بميم لم يتحقق حركتها ونون مفتوحة وشين معجمة مشدّدة وألف – ثم ملك بعده ابنه (آمون)[*] سنتين، فيكون وفاته في أواخر سنة سبع عشرة وتسع مائة لوفاة موسى – آمون بهمزة ممالة وميم مضمومة ثمّ واو ونون – ثم ملك بعده ابنه (يُوشِيّا)[٦]، ولما ملك أظهر الطاعة والعبادة، وجدّد عمارة بيت المقدس، وأصلحه. وملك يوشيا المذكور إحدى وثلاثين سنة، فيكون وفاته في أواخر سنة ثمان وأربعين وتسعمائة – يوشيا بضم المثناة من تحتها وسكون الواو وكسر الشين المعجمة وتشديد المثناة من تحتها ثم ألف. ثم ملك بعده ابنه (يهوياحوز)[٧] ولما ملك يهوياحوز، غزاه فرعونُ مصر واظنّه فرعون الأعرج، وأخذ يهوياحوز أسيراً إلى مصر

---

(١) الملوك الثاني. الإصحاح ١٩ الآية ٢٦-٢٧.
(٢) في التوراة أدْرَمَّلكُ وشَرآصرُو الملوك الثاني الإصحاح ١٩ الآية ٢٧.
(٣) التوراة : الملوك الثاني الإصحاح ١٩ الآية ٢٧.
(٤) في التوراة : مَنَسّى الملوك الثاني الإصحاح ٢١ الآية ١.
(٥) الملوك الثاني الإصحاح ٢١ الآية ١٩.
(٦) الملوك الثاني الإصحاح ٢٢ الآية ١.
(٧) في التوراة : يهوآحاز - الملوك الثاني الإصحاح ٢٣ الآية ٣١.

فمات بها، وكانت مدّة ملكه ثلاثة أشهر، فيكون انقضاء مدة ملكه في السنة المذكورة – أعني سنة ثمان وأربعين وتسعمائة أو بعدها بقليل –.

ولمّا أسر يهوياحوز، ملك بعده أخوه (يهوياقيم)[١]، وفي السنة الرابعة من ملكه تولّى (بخت نصّر)[٢] على بابل – وهي سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة لوفاة موسى – وذلك على حكم ما اجتمع لنا من مدد ولايات حكّام بني إسرائيل، والفترات التي كانت بينهم، وامّا ما اختاره المؤرخون فقالوا: إن من وفاة موسى عليه السلام، إلى ابتداء ملك بخت نصّر، تسعمائة وثمانياً وسبعين سنة ومائتين وثمانية وأربعين يوما، وهو يزيد على ما اجتمع لنا من المدد المذكورة فوق ستّ وعشرين سنة، وهو تفاوت قريب، وكانّ هذا النقص إنما حصل من إسقاط اليهود كسورات المدد المذكورة، فإنّه من المستبعد أن يملك الشخص عشرين سنة، أو تسع عشرة سنة – مثلاً – بل لابدّ من أشهر وأيام مع ذلك.

فلمّا ذكروا لكلّ شخص مدّة صحيحة سالمة من الكسر، نقصت جملةُ السنين القدرَ المذكور – أعني ستاً وعشرين سنة وكسوراً – وحيث انتهينا إلى ولاية بخت نصّر، فنؤرّخ منه ما بعده – إن شاء اللّه تعالى – وكان ابتداء ولاية بخت نصر في سنة تسع وسبعين وتسعمائة لوفاة موسى عليه السلام.

(وفي السنة الاولى) من ولاية بخت نصّر، سار إلى نينوى – وهي مدينة قبالة الموصل، بينهما دجلة – ففتحها وقتل أهلها وخرّبها.

(وفي السنة الرابعة) من ملكه – وهي السابعة من ملك يهوياقيم – سار بخت نصّر بالجيوش إلى الشام، وغزا بني إسرائيل، فلم يحاربه (يهوياقيم) ودخل تحت طاعته، فبقّاه بخت نصر على ملكه، وبقي (يهوياقيم) تحت طاعة بخت نصر ثلاث سنين، ثمّ خرج عن طاعته، وعصى عليه، فأرسل بخت نصّر وامْسك (يهوياقيم)،

---

(١) في التوراة : كان اسمه نَخوَ الياقيم بن يوشيّا ، غير فرعون اسمه الى يهو قيم الملوك الثاني الإصحاح ٢٣ الآية ٣٤.

(٢) في التوراة اسمه «نبوخذ ناصر» الملوك الثاني الإصحاح ٢٤ الآية ١ ويرد اسمه ايضاً «نبوخذ راصر» . ارميا الإصحاح ٢٤ الآية ١ وفي الإصحاحات التالية في الكامل قيل : اختلف العلماء في الوقت الذي أرسل فيه على بني إسرائيل ج١ ص١٩٨ . وفي التوراة يرد في عهد إرميا النبي بدءا بالإصحاح ٢٤ الآية –١– والإصحاحات اللاحقة، وايضا هو في عهد حننيا النبي سفر آرميا الإصحاح ٢٨ الآية ١.

وأمر بإحضاره إليه فمات (يهوياقيم) في الطريق من الخوف، فتكون مدّة يهوياقيم نحو إحدى عشرة سنة، ويكون انقضاء ملك (يهوياقيم) في أوائل سنة ثمان لابتداء ملك بخت نصر - يهُوياقِيم بفتح المثناة من تحتها وضم الهاء وواوساكنة وياء مثناة من تحتها وألف وقاف مكسورة، وياء مثناة من تحتها ساكنة وميم.

ولماأُخذ يهو ياقيم المذكور إلى العراق، استخلف مكانه ابنه - وهو (يَخْنُيو) - فاقام يخنيو موضع أبيه مائة يوم، ثم أرسل بخت نصر مَنْ أخذه إلى بابل - يَخَنْيُو بفتح المثناة من تحتها وفتح الخاء المعجمة وسكون النون، وضمّ المثناة من تحتها، ثم واو.

ولمّا أخذ بخت نصّر (يخنيو) إلى العراق أخذ معه أيضاً جماعة من علماء بني إسرائيل، من جملتهم دانيال وحزقال النبي، وهو من نسل هارون، وحال وصول (يخنيو) سَجَنَه بخت نصّر، ولم يبرحْ مسجوناً حتى مات بخت نصّر، ولما أمسك (بخت نصّر) يخنيو نصّب مكانه على بني إسرائيل عمّ (يخنيو) المذكور، وهو (صدقيا).

واستمر صدقيا تحت طاعة بخت نصّر، وكان (إرميا) النبي في أيام صدقيا، فبقي يعظُ صدقيا وبني إسرائيل، ويهدّدهم ببخت نصّر، وهم لا يلتفتون.

وفي السنة التاسعة من ملك صدقيا عصى على بخت نصر، فسار بخت نصر بالجيوش، ونزل على بارين[1] ورفنية، وبعث الجيوش مع وزيره، واسمه (نَبُوْ زَرَذُون)[2] - بفتح النون وضم الباء الموحدة وسكو الواو وفتح الزي والراء المهملة وسكون الألف وضمّ الذال المعجمة وسكون الواو وفي آخرها نون - إلى حصار صدقيا بالقدس، فسار الوزير الكذكور بالجيش وَحاصر صدقيا مدّة سنتين ونصف، أولها عاشر تموز من السنة التاسعة لملك صدقيا، وأخذ بعد حصاره المدّة المذكورة القدسَ بالسيف، وأخذ صدقيا أسيراً، وأخذ معه جملة كثيرة من بني إسرائيل[3]،

---

(١) بارين : مدينة بين حلب وحماة جهة الغرب. البلدان ١ / ٣٢٠. رفنية مدينة من أعمال حمص ويقال لها رمنة تدمر. البلدان ٣ / ٥٥.

(٢) في التوراة: نَبُوزَرَادَان ارميا الإصحاح ٣٩- الآية ١٠-١١-١٣. الملوك الثاني الإصحاح ٢٥- الآية٨.

(٣) أرميا الإصحاح ٤٠ الآية ١ حتى ٦.

وأحرق القدس، وهدم البيت الذي بناه سليمان، وأحرقه وأباد بني إسرائيل قتلاً وتشريداً.

فكان مدة ملك صدقيا نحو إحدى عشرة سنة، وهو آخر ملوك بني إسرائيل.

وأمّا من تولّى بعده من بني إسرائيل، بعد إعادة عمارة بيت المقدس - على ماسنذكره - فإنّما كان له الرئاسة بيت المقدس فحسب، لاغير ذلك، فيكون انقضاء ملوك بني إسرائيل، وخراب بيت المقدس على يد بخت نصّر سنة عشرين من ولاية بخت نصر تقريباً، وهي السنة التاسعة والتسعون وتسعمائة لوفاة موسى عليه السلام، وهي أيضاً سنة ثلاثٍ وخمسين وأربعمائة مضت من عمارة بيت المقدس، وهي مدّة لبثه على العمارة، واستمرّ بيت المقدس خراباً سبعين سنة، ثم عمر على ما سنذكره إن شاء اللّه تعالى.

وإلى هنا انتهى نقلنا من كتب اليهود المعروفة بالأربعة والعشرين المتواترة عندهم، وقرّبنا في ضبط هذه الأسماء غاية ما أمكننا، فإنّ فيها أحرفاً ليست من حروف العربية، وفيها إمالات ومدّات لا يمكن أن تعلم بغير مشافهة، لكنّ ماذكرناه من الضبط، هو أقرب ما يمكن، فَلْيُعلم ذلك.

(ومن تجارب الأمم) لابن مسكويه قال: إن بخت نصّر لمّا غزا القدس وخربّه وأباد بني إسرائيل، هرب من بني إسرائيل جماعة، قاموا بمصر عند فرعون، فأرسل بخت نصر إلى فرعونِ مصر يطلبهم منه، وقال: هؤلاء عبيدي، وقد هربوا إليك، فلم يسلّمهم فرعونُ مصر، وقال: ليس هم بعبيدك، وإنّما هم أحرار، وكان هذا هو السبب لقصد بخت نصّر غزوَ مصر، وهرب منهم جماعة إلى الحجاز، وأقاموا مع العرب.

(من كتاب أبي عيسى): إنّ بخت نصر لمّا فرغ من خراب القدس وبني إسرائيل، قصد مدينة (صور)، فحاصرها مدّة، وإنّ أهل صور جعلوا جميع أموالهم في السفن، وأرسلوها في البحر، فسلّط اللّه تعالى على تلك السفن ريحاً، فغرقت أموالهم عن آخرها.

وجدّ بخت نصّر في حصارها، وحصل لعسكره منهم جراحات كثيرة وقَتْل، وما زال على ذلك حتّى ملكها بالسيف، وقتل صاحب صور، لكنه لم يجدْ فيها من المكاسب ماله صورة.

ثم ساربخت نصّر إلى مصر، والتقى هو وفرعونُ الأعرج، فانتصر بخت نصر

عليه، وقتله وصلبه، وحازأموال مصر ودخائرها، وسبا مَنْ كان بمصر من القبط وغيرهم، فصارت مصر بعد ذلك خَراباً أربعين سنة، ثم غزا بلاد المغرب، وعاد إلى بلاده ببابل، وسنذكر أخبار بخت نصر ووفاته. مع ملوك الفرس – إن شاء اللّه تعالى.
(وأمّا بيت المقدس) فإنه عمر بعد لبثه على التخريب سبعين سنة، وعمره بعض ملوك الفرس – واسمه عند اليهود (كيرش)[1] – وقد اخْتُلف في كيرش المذكور: مَنْ هو؟. فقيل: دارا بن بهمن، وقيل: بل هو بهمن المذكور، وهو الأصحّ، ويشهد لصحّة ذلك كتاب (إشعيا) على ما سنذكر ذلك عند ذكر أزدشير بهمن المذكور مع ملوك الفرسَ إن شاء الله تعالى.

ولمّا عادتْ عمارة بيت المقدس، تراجعت إليه بنو إسرائيل من العراق وغيره، وكانت عمارته في أول سنة تسعين لابتداء ولاية بخت نصر. ولمّا تراجعت بنو إسرائيل إلى القدس كان من جملتهم (عزير) وكان بالعراق[2]، وقدم معه من بني إسرائيل ما يزيد على الفينْ من العلماء وغيرهم، وترتبَ مع عزير في القدس مائة وعشرون شيخاً من علماء بني إسرائيل.

وكانت التوراة قد عدمت منهم إذْ ذاك، فمثلها الله تعالى في صدر (العزير)، ووضعها لبني إسرائيل يعرفونها بحلالها وحرامها، فأحبوه حبّاً شديداً، وأصلح (العزير) أمرهم، وأقام بينهم على ذلك.

(من كتب اليهود): إن (العزير) لبث مع بني إسرائيل في القدس يدبرّ أمرهم، حتّى توفيّ بعد مضيّ أربعين سنة لعمارة بيت المقدس. أقول: فيكون وفاة (العزير) سنة ثلاثين ومائة لابتداء ولاية بخت نصّر، واسم العزير بالعبرانية (عزرا) وهو من ولد فنحاس بن العزر بن هارون بن عمران.

(ومن كتب اليهود): إن الذي تولّى رئاسةَبني إسرائيل ببيت المقدس بعد العزير (شمعونُ الصديق) وهو أيضاً من نسل هارون.

(من كتاب أبي عيسى) إنّ بني إسرائيل لما تراجعوا إلى القدس بعد عمارته. صار لهم حكّام منهم، وكانوا تحت حكم ملوك الفرس، واستمروا كذلك حتّى ظهر الإسكندر في سنة أربع مائة وخمسَ وثلاثين لولاية بخت نصّر. وغلبت اليونان على الفرس، ودخلت حينئذ بنو إسرائيل تحت حكم اليونان، وأقام اليونان من بني إسرائيل

(١) في التوراة: كورش عزرا. الإصحاح ١ الآية ١.
(٢) الكامل لابن الأثير ج١ ص٢٠٥ التوراة: عزرا، الإصحاح ٧–٨–٩–١٠.

ولاةً عليهم، وكان يقال للمتولّي عليهم (هرذوس)، وقيلَ هيروذس، واستمرّ بنو إسرائيل على ذلك حتّى خرب بيت المقدس الخراب الثّاني، وتشتت منه بنو إسرائيل على ما سنذكره إن شاء الله تعالى ولْنَرجعِ إلى ذكر مَنْ كان من الأنبياء في أيام بني إسرائيل.

(ذكر يونس بن متّى عليه السلام) (١)

ومتّى أمُّ يونس عليه السلام، ولم يشتهر نبيّ بأمّهِ غير عيسى ويونس عليهما السلام. كذا ذكره ابن الأثير في الكامل في ترجمة يونس المذكور، وقد قيل إنّه من بني إسرائيل، وإنه من سبط بنْيامين، وقيل إنّ يونس المذكور كانت بعثته بعدَ (يوثم ابن عزياهو أحدِ ملوك بني إسرائيل المقدّم الذكر، وكانت وفاة (يوثم) في سنة خمس عشرة وثمانمائة لوفاة موسى عليه السلام.

وبعث الله تعالى يونسَ المذكور في تلك المدّة إلى أهل نينوى(٢) وهي قبالة الموصل، بينهما دجلة – وكانوا يعبدون الأصنام، فنهاهم وأوعدهم العذاب في يوم معلوم إن لم يتوبوا، وضمن ذلك عن ربّه عزّ وجل.

فلمّا أظلّهم العذاب آمنوا، فكشفه الله عنهم، وجاء يونس لذلك اليوم، ولم ير العذاب حلّ، ولا علِم بإيمانهم، فذهب مغاضباً. قال ابن سعيد المغربي: ودخل في سفينة من سفن دجلة، فوقفت السفينة، ولم تتحرك، فقال رئيسها: فيكم مَنْ له ذنب؟ وتساهموا على مَنْ يلقونه في البحر، ووقعت المساهمة على يونس، فرموه، فالتقمه الحوت، وسار به إلى الأبلة، وكان من شأنه ماأخبر الله تعالى به في كتابه العزيز.

(ذكر إرميّا عليه السلام)(٣)

قد تقدّم عند ذكر صدقيا انّ إرميا كان في أيامه، وبقي (إرميا) يأمر بني إسرائيل بالتوبة، ويتهدّدهم ببخت نصّر، وهم لا يلتفتون إليه،

فلمّا رأى أنهم لا يرجعون عمّا هُمْ فيه، فارقهم إرميا واختفى حتّى غزاهم بخت

(١) في التوراة: يونان بن أمتّاي. سفر يونان.

(٢) نينوى: قرية يونس بن متّى عليه السلام. بالموصل. البلدان ٥ / ٣٣٩.

(٣) أرميا بن حلقيّا في أيّام يوشيّابن آمون ملك يهوذا، وفي ايام يهويا قيم بن يوشيا ملك يهوذا، وفي ايام صدقيّا بن يوشيّا ملك يهوذا إلى سبي اورشليم. التوراة، سفر إرميا، الإصحاح الاول.

نصّر، وخرّب القدس حسبما تقدم ذكره.

(من تاريخ ابن سعيد المغربي): إن الله تعالى أوحى إلى إرميا إنّي عامر بيتَ المقدس، فاخْرج إليها، فخرج إرميا وقدم إلى القدس، وهي خراب، فقال في نفسه: سبحان الله، أمرني الله أنْ أنزِل هذه البلدة، وأخبرني أنّه عامرها فمتى يعمره؟ ومتى يحييها الله بعد موتها؟ ثم وضع رأسه فنام، ومعه حماره وسلّة فيها طعام.

وكان من قصّته ما أخبر الله تعالى به في محكم كتابه العزيز في قوله تعالى ﴿أو كالذي مرّ على قرية وهي خاويةٌ على عروشها. قال أنىّ يُحيي هذه اللهُ بعدَ موتها فأماته الله مائة عام ثمّ بعثه قال كم لبثتَ قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثتَ مائة عام فانْظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنّه وانظر إلى حمارك ولْنجعلكَ آيةً للناس وانظر إلى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحماً فلما تبيّن له قال: أعلم أنّ الله على كل شيء قدير﴾ [البقرة:٢٥٩] وقد قيل إنّ صاحب القصة هو العزير والأصحّ أنّه إرميا.

(ذكر نقل التوراة)

وغيرها من كُتُب الأنبياء من اللغة العبرانية إلى اللغة اليونانية (من كتاب أبي عيسى) قال: لمّا ملك الإسكندر. وقهر الفرس، وعظمت مملكة اليونان صار بنو إسرائيل وغيرهم تحت طاعتهم. وتولّت ملوك اليونان بعد الإسكندر، وكان يقال لكلّ واحد منهم (بطلميوس) – على ما سنذكر ذلك إن شاء الله تعالى في الفصل الثالث، ولكنْ نذكر منهم ها هنا ما تدعو الحاجة إلى ذكره (فنقول):

لمّا مات الإسكندر، ملك بعده بطلميوس بن لاغوس عشرين سنة، ثم ملك بعده بطلميوس[1] محبّ أخيه، وهو الذي نقلت له التوراة وغيرها من كتب الأنبياء، من اللغة العبرانية إلى اللغة اليونانية. أقول: فيكون نقل التوراة بعد عشرين سنة مضت لموت الإسكندر. قال أبو عيسى: إن بطلميوس الثاني محبّ أخيه المذكور، لما تولّى وَجَدَ جملة من الأسرى، منهم نحو ثلاثين ألف نفس من اليهود، فأعتقهم كلّهم، وأمرهم بالرّجوع إلى بلادهم، ففرح بنو إسرائيل بذلك، وأكثروا له من الدعاء والشكر، وأرسل رسولاً وهدايا إلى بني إسرائيل المقيمين بالقدس، وطلب منهم أن

(١) الكامل لابن الأثير: بطليموس بن لاغوس. ج١ ص٢٢٣.

يرسلوا إليه عدّة من علماء بني إسرائيل، لنقل التوراة وغيرها إلى اللغة اليونانية، فسارعوا إلى امتثال أمره.

ثم إن بني إسرائيل تزاحموا على الرواح إليه، وبقي كلّ منهم يختار ذلك، واختلفوا، ثم اتفقوا. على أنْ يبعثوا إليه من كلّ سبط مِنْ أسباطهم ستة نفرٍ، فبلغ عددهم اثنين وسبعين رجلاً.

فلما وصلوا إلى بطلميوس المذكور، أحسن قِراهم، وصيّرهم ستّاً وثلاثين فرقة، وخالف بين أسباطهم، وامرهم فترجموا له ستّا وثلاثين نسخة بالتوراة، وقابل بطلميوس بعضَها ببعضٍ، فوجدها مستوية لَمْ تختلفْ اختلافاً يُعتدّ به، وفرق بطلميوس النسخ المذكورة في بلاده، وبعد فراغهم من الترجمة أكثر لهم الصِّلات، وجهّزهم إلى بلدهم.

وسأله المذكورون في نسخة من تلك النسخ، فأسعفهم بنسخة، فأخذها المذكورون، وعادوا بها إلى بني اسرائيل ببيت المقدس.

فنسخةُ التوراة المنقولة لبطلميوسَ حينئذٍ أصحّ نُسخ التوراة وأثبتها، وقد تقدّمت الإشارة إلى هذه النسخة، وإلى النسخة التي بيد اليهود الآن، وإلى نسخة السامرية في مقدمة هذا الكتاب، فأغنى عن الإعادة.

(ذكر زكريا [١] وابنه يحيى عليهما السلام)

من كتاب ابن سعيد المغربي: زكريا من ولد سليمان بن داود عليهما السلام، وكان نبيّاً ذكره الله تعالى في كتابه العزيز، قال: [٢] وكان نجّاراً، وهو الذي كفل مريم أمّ عيسى، وكانت مريم بنت عمرانٍ بن ماتان من ولد سليمان بن داود، وكانت أمّ مريم اسمها (حنّة) وكان زكريا متزوّجاً أختَ حنّة. واسمها (إيساع)[٣] فكانت زوجُ زكريا خالةَ مريم، ولذلك كفل زكريّامريمَ.

فلما كبرتْ مريمُ بنى لها زكريا غرفةً في المسجد، فانقطعت مريم في تلك الغرفة للعبادة. وكان لا يدخل على مريم غيرُ زكريا فقط.

---

(١) زكريّا بن برخيّا بن عدّو النبي. سفر زكريّا الإصحاح الاول.

(٢) المقصود بذلك: قال ابن سعيد المغربي.

(٣) إليصابات: إنجيل لوقا، الإصحاح ١ الآية ٥.

وأرسل اللهُ تعالى جبريلَ فبشّر زكريا بيحيى[١] مصدّقاً بكلمة من الله ،تعني عيسى بن مريم ،ثم أرسل الله تعالى جبريل و نفخ في جيب مريم، فحبلت بعيسى، وكانت قد حبلت خالتها إيساع بيحيى، وولد يحيى قبل المسيح بستة أشهر، ثم ولدت مريمُ عيسى[٢]

فلمّا علمت اليهود انّ مريم ولدت مِنْ غير بعل اتّهموا زكريّا بها، وطلبوه، فهرب واختفى في شجرةٍ عظيمةٍ، فقطعوا الشجرة وقطعوا زكريّا معها، وكان عمر زكريا حينئذٍ نحو مائة سنة، وكان قتله بعد ولادة المسيح، وكانت ولادة المسيح لمضيّ ثلاثمائة وثلاثٍ سنين للإسكندر، فيكون مقتل زكريا بعد ذلك بقليل.

وامّا (يحيى) ابنُه فإنه نُبِّئَ صغيراً، ودعا الناس إلى عبادة الله، ولبس يحيى الشَعر، واجتهد في العبادة حتى نحل جسمه وكان عيسى بن مريم قد حرّم نكاح بنت الاخ؛ وكان لهرذوس وهو الحاكم على بني إسرائيل بنتُ اخٍ، وأراد انْ يتزوّجها[٣] حسبما هو جائز في دين اليهود فنهاه يحيى عنْ ذلك، فطلبتْ امّ البنت من هرذوس انْ يقتل يحيى، فلم يُجبْها إلى ذلك، فعاودته، وسألته البنت أيضاً، والحّتا عليه، فأجابهما إلى ذلك، وأمر بيحيى، فذُبح لديْهما.

وكان قتل يحيى قبل رفع المسيح بمدّة يسيرة، لانّ عيسى عليه السلام إنما ابتدأ بالدعوة لمّا صار له ثلاثون سنة؛ ولما امره الله انْ يدعو الناس إلى دين النصارى، غمسه يحيى في نهر الأردنّ، ولعيسى نحو ثلاثين سنة. وخرج من نهر الاردنّ، وابتدأ بالدعوة.

وجميعُ ما لبث المسيح بعد ذلك ثلاث سنين، فذُبح يحيى كان بعد مضيّ ثلاثين سنة من عمر عيسى، وقبلَ رفعه، وكان رفع عيسى بعد نبوّته بثلاث سنين، والنصارى تسمّي يحيى المذكور (يوحنا المعمدان) لكونه عمّد المسيح حسبما ذُكر.

---

(١) يوحنا : إنجيل لوقا. الإصحاح ١ الآية ١٣.

(٢) انظر إنجيل لوقا. الإصحاح الاول .

(٣) فإن هيرودس كان قد أمسك يوحنا واوثقه وطرحه في السجن من أجل هيروديّا امرأة فيلبُّس اخيه ، لانّ يوحنا كان يقول له: لا يحلّ ان تكون لك . إنجيل متّى، الإصحاح ١٤ الآية ٣و٤ . إنجيل مرقس، الإصحاح ٦ الآية ١٧ و١٨.

(ذكر عيسى بن مريم عليه السلام)

أمّا مريم فاسم امّها حنّة زوج عمران وكانت حنّةُ لا تلدُ، واشتهت الولد، فدعت بذلك، ونَذَرَتْ إنْ رزقها اللهُ ولداً، جعلته من سَدَنة بيت المقدس، فحبلت حنّة، وهلكَ زوجها عمران، وهي حامل، فولدت بنتاً وسمّتها مريمَ، ومعناه: العابدة.

ثم حملتها واتتْ بها إلى المسجد، ووضعتّها عند الاحبار وقالت: دونكم هذه المنذورةُ، فتنافسوا فيها لأنها بنتُ عمران - وكان مِن ائمتّهم- فقالَ زكريا: أنا أحقّ بها لأنّ خالتها زوجتي.

فأخذها زكريا، وضمّها إلى (إيساع) خالتِها، فلما كبرت مريم أفْرد لها زكريا غرفةً حسبما تقدّم ذكره، وأرسل اللهُ جبريل، فنفخ في مريم فحبلتْ بعيسى، وولدته في بيت لحم وهي قرية قريبة من القدس سنة أربع وثلاثمائة لغلبة الإسكندر.

ولمّا جاءت مريمُ بعيسى تحمله، قال لها قومها: ﴿لقد جئت شيئاً فرياً﴾ [مريم:١٧] وأخذوا الحجارة ليرجمُوها، فتكلمّ عيسى وهو في المهد معلّقا في منكبها - فقال ﴿إنّي عبدُ الله آتاني الكتابَ، وجعلني نبياً، وجعلني مباركاً أينما كنت﴾ [مريم: ٣٠-٣١] فلمّا سمعوا كلام ابنها تركوها.

ثم إن مريم أخذت عيسى، وسارت به إلى مصر[١]، وسار معه ابنُ عمّها يوسفُ ابن يعقوب بن ماتان النجارُ. وكان يوسف المذكورُ نجّاراً حكيماً، ويزعم بعضهم انّ يوسفَ المذكورَ كان قد تزوج مريم، لكنّه لم يقربْها، وهو أول مَنْ انكر حملها، ثم علم وتحقّق براءتها[٢]، وسار معها إلى مصر، وأقاما هناك اثنتي عشرة سنة ثم عاد عيسى وأمّه إلى الشام، ونزلا الناصرة [٣] وبها سميت النصارى - واقامَ بها عيسى حتى بلغ ثلاثين سنة، فأوحى الله تعالى إليه وأرسله إلى الناس.

(من كتاب أبي عيسى) ولمّا صار لعيسى ثلاثون سنة، صار إلى الأردنّ، وهو نهر الغور المسمّى بالشريعة فاعتمد[٤]، وابتدأ بالدعوة، وكان يحيى بن زكريا هو

---

(١) إنجيل متّى الإصحاح ٢ الآيات ١٣-١٤-١٥ وفي الكامل لابن الاثير ج١ ص٢٤٠.
(٢) إنجيل متّى الإصحاح ١ الآيات ١٩-٢٠.
(٣) إنجيل متّى الإصحاح الثاني الآية ٢٣، وفي الكامل لابن الأثير ج١ ص ٢٤١.
(٤) إنجيل متّى الإصحاح ٣ الآيات من ١٣ حتّى ١٦. إنجيل مرقس الإصحاح ١ الآية ٩. إنجيل لوقا الإصحاح ٣ الآية ٢١. إنجيل يوحنا الإصحاح ١ الآيات من ٢٩ وحتى ٣٤.

الذي عمّده، وكان ذلك لستة أيام خلتْ من كانون الثاني لمضيّ سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة للإسكندر. وأظهر عيسى عليه السلام المعجزات، وأحيا ميتاً يقال له عازر بعد ثلاثة أيام من موته، وجعل من الطين طائراً قيل هو الخفاش، وابرأ الأكمه والأبرص، وكان يمشي على الماء [1]. وأنزل الله تعالى عليه المائدة[2]، وأوحى الله إليه الإنجيل.

(من كتاب ابي عيسى المغربي) وكان عيسى عليه السلام يلبس الصوف والشعر، ويأكل من نبات الأرض، وربما تقوت من غَزْل أمّه.

وكان الحواريّون الذين اتبّعوه اثني عشر رجلاً، وهم شمعون[3] الصفا، وشمعون[4] القنابي، ويعقوب بن زندي، ويعقوب بن حلقي، وقولوس، ومارقوس، وأندرواس، وتمريلا، ويوحنّا، ولوقا، وتوما، ومتّى[5] وهؤلاء الذين سألوه نزولَ المائدة، فسأل عيسى ربّه عزَّ وجلّ، فأنزل عليه سفرة حمراء مغطاة بمنديل، فيها سمكة مَشويّة، وحولها البقول ما خَلا الكرّاث، وعندَ رأسها ملحٌ، وعندَ ذنبها خلّ، ومعها خمسةُ أرغفةٍ على بعضها زيتونٌ، وعلى باقيها رمّان وتمر، فأكل منها خلقٌ كثيرٌ ولم تنقصْ، ولم يأكلْ منها ذو عاهةٍ إلاّ برئ، وكانت تنزل يوماً وتغيب يوماً أربعين ليلةً.

قال ابن سعيد: ولمّا أعلمَ اللهُ المسيحَ أنّه خارجٌ من الدّنيا، جزع من ذلك فدعا الحواريين، وصنع لهم طعاماً وقال احضروني الليلةَ، فإنّ لي إليكم حاجةً، فلمّا اجتمعوا بالليل عشّاهم، وقام يخدمهم، فلما فرغوا من الطعام، أخذ يغسل أيديهم، ويمسحها بثيابه فتعاظموا ذلك فقال: مَنْ ردّ عليّ شيئاً ممّا أصنع، فليس منّي، فتركوه حتّى فرغ فقالَ لهم: إنما فعلتُ هذا ليكونَ لكمْ أُسْوة بي في خدمة بعضكم

---

(١) في إنجيل يوحنا اربعة أيام الإصحاح ١١ الآية ١٧ انظر الإصحاح الحادي عشر بالكامل الكامل لابن الاثير ج١ ص٢٤٢.

(٢) إنجيل يوحنا الإصحاح ٦ الآية ١٨-١٩.

(٣) وتسمى عند النصارى العشاء الاخير او العشاء السرّي. إنجيل لوقا الإصحاح ٢٢ الآيات من٧ حتّى ٢٣. إنجيل مرقس الإصحاح ١٤ الآيات من ١٢ حتّى ٢٦. إنجيل متّى الإصحاح ٢٦ الآيات ١٧ حتّى ٣٠. الكامل لابن الاثير ج١. ص٢٤٣.

(٤) سمعان المسمى بطرس مرقس الإصحاح ٣ الآية ١٦.

(٥) سمعان القانوني مرقس الإصحاح ٣ الآية ١٩.

بعضاً[١]، وأمّا حاجتي إليكمْ؛ فأنْ تجتهدوا لي في الدّعاء إلى الله أنْ يؤخر أجلي.

فلما أرادوا ذلك ألقى الله عليهم النومَ، حتّى لم يسْتطيعوا الدعاء، وجعل المسيحُ يوقظُهم و يؤنّبهُمُ فلا يَزدادون إلا نوماً وتكاسُلاً، وأعلموه أنّهم مغلوبون[٢] عن ذلك، فقال المسيح: سبحان الله يذهب بالراعي، ويتفرّق الغنم، ثم قال لهم: الحقّ أقول لكم: لَيَكْفُرَنّ بي أحدُكم قبلَ أنْ يصيحَ الديكَ[٣] وليبيعني أحدُكم بدراهم يسيرة، ويأكُلَنّ ثمني.

وكانت اليهود قدْ جَدّتْ في طلبه، فحضر أحد الحواريين إلى هرذوسَ (الحاكم على اليهود) وإلى جماعة مَن اليهود وقال: ما تجعلونَ لي إذا دللتكُمْ على المسيح؟ فجعلوا له ثلاثين درهماً فأخذها ودَلّهم عليه[٤] فرفع الله تعالى المسيح إليه، وألقى شَبَهَهُ على الذي دلهَم عليه.

قال ابن الأثير في الكامل: وقد اختلفت العلماءُ في مَوْته قبلَ رفعهِ فقيل: رُفِعَ ولم يَمُتْ، وقيل[٥]: بل توفاه الله ثلاث ساعاتٍ، وقيل: سبعُ ساعاتٍ، ثم أحياه، وتأوّل قائلُ هذا قولَه تعالى: ﴿إنّي مُتَوَفّيكَ﴾ [آل عمران: ٥٥].

ولما أمْسكَ اليهودُ الشخصَ المشَبّه به[٦] ربطوهُ، وجعلوا يقودُونه بحبلٍ، ويقولون له: أنتَ كنتَ تُحيي الموتى، أفلا تخلّص نفسَكَ مِن هذا الحبل؟ ويبصقون

---

(١) سمعان بطرس، يعقوب بن زبدى يوحنا أخا يعقوب - أندراوس - فيلبس - برثولماوس - متّى - توما - يعقوب بن حلفى - تداوس - سمعان القانوني - يهوذا الإسخريوطي إنجيل مرقس الإصحاح ٣ الآيات ١٦ حتى ١٩.

(٢) إنجيل يوحنا الإصحاح ١٣ الآيات من ٤ حتّى ١٨ الكامل لابن الأثير ج١ ص٢٤٤.

(٣) إنجيل متّى، الإصحاح ٢٦، الآيات ٣٦ حتّى ٤٦. إنجيل مرقس الإصحاح ١٤ الآيات ٣٢ حتّى ٤٢. إنجيل لوقا، الإصحاح ٢٢، الآيات ٣٩حتّى ٤٦. الكامل ج١ ص٢٤٤.

(٤) إنجيل متّى، الإصحاح ٢٦ الآيات ٣٠ حتّى ٣٤. إنجيل مرقس الإصحاح ١٤ الآيات ٢٧ حتّى ٣٠. انجيل لوقا، الإصحاح ٢٢ الآية ٣٤. إنجيل يوحنا الإصحاح ١٣ الآية ٣٨. الكامل ج١ ص ٢٤٤.

(٥) إنجيل متّى، الإصحاح ٢٧ الآية ٥٠. إنجيل مرقس، الإصحاح ١٥ الآية ٣٧. إنجيل لوقا، الإصحاح ٢٣ الآية٤٦. إنجيل يوحنا، الإصحاح ١٩ الآية ٣٠.

(٦) ورد في إنجيل متّى: حينئذ لما رأى يهوذا الذي أسلمه أنّه قد دين ندم وردّ الثلاثين من الفضة الى رؤساء الكهنة والشيوخ قائلاً قد أخطأت إذ سلّمت دماً بريئاً. فقالوا ماذا علينا. أنت أبصر. فطرح الفضّة في الهيكل وانصرف. ثمّ مضى وخنق نفسه. الإصحاح ٢٧ الآيات ٣-٥.

في وجهه، ويُلقُون عليه الشَوكَ وصلبوهُ على الخشب، فمكثَ على الخشب ستّ ساعاتٍ ثم استوهَبهُ يوسفُ النّجارُ من الحاكمِ الذي كان على اليهود، وكان اسمه فيلاطوس[١]، ولقبه هرذوس[٢]، ودفنه في قبر كان يوسفُ المذكورُ قدْ أعدّه لنفسه[٣].

ثم أنزل الله المسيح من السماء إلى أمه مريم [٤] وهي تبكي عليه، فقالَ لها: إنّ الله رفعني إليه، ولم يُصبني إلا الخيرُ، وأمرها فجمعت له الحواريين، فبثهمْ في الأرض رسلاً عن الله، وأمرَهُم أنْ يبلغوا عنه ما أمره الله به، ثم رفعهُ اللهُ إليه، وتفرّق الحواريون حيثُ أمرهُمْ وكان رفُع المسيح لمضِيّ ثلثمائة وستّ وثلاثين سنة مِنْ غلبة الإسكندر على دارا.

قال الشّهرستانيّ: ثمّ إنّ أربعةً من الحواريينَ وهُمْ: متّى ولوقا ومرقس وَيوحنّا، اجتمعوا، وجمع كلّ واحدٍ منهم إنجيلاً، وخاتمة إنجيلِ متّى أنّ المسيح قال: إنّي أرسلْتكم إلى الامم كما أرسلني أبي إليكم، فاذهبوا وادْعوا الأمم باسم الابِ والابنِ وروح القدس[٥].

وكانَ بيْن رفعِ المسيحِ ومولد النبي صلى الله عليه وسَلم خمسَمائةَ وخمسُ وأربعون سنة تقريباً، وكانت ولادةُ المسيح أيضاً لمضيّ ثلاثٍ وثلاثين سنة من أول مُلْكِ اغسطس، ولمضيّ إحدى وعشرين سنةً منْ غلبته على (قلوبطرا) لانّ اغسطسَ لمضيّ اثنتَيْ عشرة سنة مِن مُلكه، سار من روميّة، وملكَ ديارَ مصر، وقتل قلوبطرا ملكةَ اليونانِ.

وبعدَ إحدى وعشْرين سنة مِن غلبتهِ على قلوبطرا وُلدَ المسيحُ عليه السلام،

---

(١) بيلاطي البنطي الوالي، متّى، الإصحاح ٢٧، الآية ٢. على أورشليم، لوقا، الإصحاح ٢٣ الآية١. موقس، الإصحاح ١٥، الآية ١. يوحنا، الإصحاح ١٨ الآية ٢٩.

(٢) هيرودس والي الجليل، لوقا، الإصحاح ٢٣ الآيات ٥-١٢ وفي الكامل: هيردوس كان ملكاً ينوب عن ملك الروح الاعظم ج١ س٢٤٦.

(٣) متّى الإصحاح ٢٧ الآية ٦. مرقس الإصحاح ١٥ الآية ٤٦. لوقا الإصحاح ٢٣ الآية ٥٣. يوحنا الإصحاح ١٩ الآية ٤١.

(٤) مريم المجدليه وليست مريم أم يسوع، متّى الإصحاح ٢٨ الآية ٩. مرقس الإصحاح ١٦ الآية ٩. لوقا الاصحاح ٢٤ الآية ١٠. يوحنا الإصحاح ٢٠ الآية ١٨.

(٥) اذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمدوهم باسم الاب والابن والروح القدس وعلموهم جميع ما أوصيتكم به. وها أنا معكم كلّ الايام إلى انقضاء الدهر. متّى، الإصحاح ٢٨ الآيتان ١٩-٢٠.

وقيلَ غيرُ ذلك، ولكنّ هذا هو الأقوى، وكانت مدّةُ مُلكِ اغسطس ثلاثاً وأربعين سنة.

وعاش المسيح إلى أنْ رُفِعَ ثلاثاً وثلاثين سنة، فيكونَ رفْعُ المسيح بعدَ موت اغسطس بثلاثٍ وعشرين سنةً، فيكون رفع المسيح في أواخر السنة الأولى مِنْ مُلْكِ غانيوسَ.

(وامّا امّة عيسى) فَهُمُ النصارى، وَسَيُذْكرون مع باقي الأمم في الفصل الخامس إن شاء الله تعالى.

(وامّا مريم امّ عيسى)، فإنّها عاشتْ نحوَ ثلاث وخمسين سنةً، لأنها حملت بالمسيح، لمّا صار لها ثلاث عشرةَ سنة، وعاشت معه مجتمعة ثلاثاً وثلاثين سنة وكَسْراً، وبقيت بعد رفعه ستّ سنين.

(ذكر خرابِ بيت المقدس، الخرابَ الثاني)

(وهلاكِ اليهودَ وزوالِ دولتهم زوالاً لا رجوعَ بعده)

قد تقدّم ذكرُ عمارةِ سُليمان بن داود لبيتِ المقدسِ، وأنّ سليمان عَمرّه، وفرغ منه في سنة ست وأربعينَ وخمسمائة لوفاة موسى عليه السلام، ثمّ ذكر، ناغزَ وبخت نصّر القدسَ مرّة بعدَ أخرى، حتى خربه وشتتَ بني إسرائيلَ في البلاد، وأنّ ذلك كان لمضيّ تسعَ عشرةَ سنة من ابتداءِ مُلك بخت نصّر، وهو لمُضِيّ سنة تسعمائةٍ وسبعٍ وتسعين لوفاة موسى عليه السلام،وأنّ بيتَ المقدسِ استمرّخراباً سبعين سنة، ثم عُمرّ ، فيكون ابتداءُ عمارتهِ الثانيةِ لمضيّ ألفٍ وسبعٍ وستّين سنة، اعني في سنة ثمانٍ وستين بعدَ الألفِ لوفاةِ موسى، ولمضيّ تسعٍ وثمانين سنةً من ابتداءِ مُلك بخت نصّر، فتكون عمارته في سَنة تسعين مِنْ مُلكِ المذكور

والذي عمرّه هو مَلكُ الفرسِ (أزدشير بهمن)، واسمُ أزدشيرَ بهمن المذكور عندَ بني إسرائيل (كيرش)، وقيل: كورش، وقيل: إنّ كيرشَ مَلكٌ آخرُ غيرُ أردشير بهمن.

ثم تراجعتْ إليه بنو إسرائيلَ، وصاروا تحتَ حُكم الفرس، ثم لمّاغلبت اليونانُ على الفرسِ صارتْ بنو إسرائيلَ تحتَ حُكمِهم.

وكانَ اليونانَ يُولّون مِن بني إسرائيلَ عليهمَ نائباً، وكان لَقَبُ كلّ مَنْ يتولّى على بني إسرائيلَ (هرذوس)، وقيلَ: هيرذوسَ. واستمرّت بنو إسرائيل كذلك حتى

قتلوا زكريا بعدَ ولادةِ المسيح، حسبما تقدّم ذكره.

ثم لمّا ظهر المسيحُ، ودعا الناسَ بما أمرهُ الله بُه، أراد هردوسُ قَتْلَه، وكانَ اسمُ هردوسَ الذي قصد قتلَ المسيحِ (فيلاطوس).

فرفعَ اللهُ عيسى بنَ مريمَ إليه، وكانَ منه ومنهم ما تقدّم ذِكْرُه، وكانت ولادةَ المسيحِ لإحدى وَعشرين سنةٍ مضتْ مِن غلبةِ اغسطس على قلوبطرا.

وكانت مدةُ مُلكِ اغسطس ثلاثاً وأربعين سنةً، منها قبلَ مُلكِ مصْرَ اثنتَيْ عشرةَ سنة، وبعدَ مُلكِ مصرَ إحدى وثلاثين سنة، فيكون عمرُ المسيحِ عندَ موتِ اغسطسَ عشرَ سنين تقريباً، وجملةُ ما عاشَه المسيحُ إلى أنْ رفعهُ اللهُ ثلاثاً وثلاثين سنة وثلاثة أشهر، فيكونَ رَفْعه بعدَ موتِ اغسطس بنحو ثلاثٍ وعشرين سنةٍ، والذي ملك بعدَ أُغسطس (طبياريوسُ) وملكَ طبياريوس اثنتين وعشرين سنة ثم ملكَ بعدَ طبياريوسَ (غانيوسُ) فيكون رفْع المسيح في السنة الأولى منْ مُلكه، وملكَ أربعَ سنين ثم ملك بعده (قلوذيوسُ) أربعَ عشرةَ سنة، ثم ملك بعده (نارونُ) ثلاث عشرَة سنة، ثم ملك بعده ملكٌ آخرُ، قيل اسمُه (أوسباسيانُوسُ) وقيل أسفشيثوسُ، عشر سنين، ثم ملكَ بعدَه (طيطوسُ)،

وفي السنة الأولى من مُلكه، قصدَ بيتَ المقدسِ، وأوقع باليهود، وقَتَلهم، وأسَرَهم عن آخرهم، إلاّ من اختفى. ونهبَ القدسَ وخرَّبه، وخرّب بيتَ المقدس، وأحرقَ الهيكلَ، وأحرقَ كتبَهُمْ و خلا القدسُ منْ بني إسرائيلَ، كانْ لم يكن بالامس.

ولم تَعُدْ لهمْ بعدَ ذلك رئاسةٌ ولا حكمٌ، وكان ذلك بعدَ رفعِ المسيحِ بنحو أربعينَ سنةٍ، لانّ بعدَ رفْعِ المسيح مضى ثلاثُ سنين مِنْ مُلكِ غانيوس، وأربعَ عشرة مِنْ قلوذيوس، وثلاثَ عشرةَ مِنْ نارون، وعشرُ سنين مِنْ أوسباسيانوس، وجملةُ ذلك أربعون سنة، فيكون خرابُ بيتِ المقدس الخرابَ الثاني.

وتشتّت اليهودُ التشتت الذي لم يعودوا بعدَه لاربعين سنةً مضتْ مِنْ رفع المسيح، ولثلاثمائة وستّ وسبعين سنةً مَضَتْ من غلبة الإسكندر، ولثمانمائة وإحدى عشرة سنةً مضتْ لابتداءِ مُلكِ بخت نصّر، فيكون لَبْثُ بيت المقدسِ على عمارته الأولى إلى حين خرّبه بخت نَصر، أربعَمائةٍ وثلاثاً وخمسين سنة، ثمّ لبثَ على التخريب سبعين سنةً، ثم عُمّر ولبثَ على عمارته الثانية إلى حين خرّبه طيطوسُ التخريبَ الثاني، سبعمائةً وإحدى وعشرين سنةً.

ثم إني وجدتُ في كتاب اسمه (العزيزي) تصنيفُ الحسنِ بن أحمد المهلبيّ في المسالك والممالك، أنّ بيتَ المقدس، بعد أنْ خرّبه طيطوسُ التخريبَ الثاني حسبما ذُكرَ تراجعَ إلى العمارةِ قليلاً قليلاً، واعتنى به بعضُ ملوكِ الروم، وسمّاه (إيليا) ومعناه بيتُ الربّ، فعمرّه ورمّم شعثه، واستمرّ عامراً - وهي عمارتُه الثالثة- حتى سارتْ هلانةُ أمُّ قسطنطينَ إلى القدسِ في طلب خشبةِ المسيح التي تزعمُ النصارى أنّ المَسيحَ صُلِبَ عليها، ولمّا وصلتْ إلى القدس، بنتْ كنيسة قيامة، على القبر الذي تزعم النصارى أنّ عيسى دُفِنَ به، وخربتْ هيكلَ بيتِ المقدسِ إلى الأرض،وأمرتْ أنْ يلقي في موضعه مقاماتُ البلدِ وزبالته فصار موضعَ الصخرة مزبلة، وبقي الحال على ذلك حتى قدمَ عمر بن الخطابِ رضي الله عنه وفتحَ القدسَ ، فدلّه بعضُهم على موضع الهيكل، فنظّفه (عمر) من الزبائل، وبنى به مسجداً، وبقي ذلك المسجدُ إلى أنْ تولّى الوليد بنُ عبد الملكِ الأموي، فهدم ذلك المسجدَ، وبنى على الأساس القديمِ المسجدَ الأقصى، وقبّةَ الصخرة.

وبنى هناك قباباً أيضاً، سمّي بعضَها قبةَ الميزان، وبعضَها قبة المعراجِ، وبعضَها قبة السلسلة. والأمر على ذلك إلى يومنا هذا. كذا نَقَلَه العزيزيُّ والعهدةَ عليه، أقول: وينبغي أنْ يخصّ كلام العزيزي خرابَ هيكلِ بيتِ المقدس بالعمارة التي كانت على الصخرة خاصةً، لأن ذكرَ صفاتِ المسجدِ الأقصى جاء في حديث معراجِ النبي صلّى الله عليه وسلم.

وخلاصةُ ما ذُكر أنّ هيكلَ بيتِ المقّدس عمّره سُليمانَ بن داود وبقي عامراً حتى خرّبه بخت نصر وهو التخريب الأول، ثم عمّره كورشُ، وهي عمارته الثانيةُ، وبقي عامراً حتّى خرّبه طيطوسُ التخريبَ الثاني، ثم تراجع للعمارة قليلاً قليلاً، وبقى عامراً حتى خرّبتهُ هلانةُ أمّ قسطنطين، وهو التخريبُ الثالث، ثم عمّره عمرُ بن الخطاب، وهو عمارتُه الرابعةُ، ثم خرّب ذلكَ وعمرّه الوليدُ بنُ عبد الملك، وهي عمارتُه الخامسةُ، وهو على ذلك إلى يومنا هذا.

الفصل الثاني

في ذكر ملوك الفرس

كانتْ ملوك الفرسِ منْ أعظم ملوكِ الارض في قديم الزمان، ودولتهُم وترتيبُهم لايماثِلهم في ذلكَ غيرُهم، وهم أربعُ طبقَات:

(طبقة أولى)، يقال لهم الفيشداذية، لأنه كانُ يقال لكلّ واحدمنهم فيشداذ، ومعنى هذه اللفظةِ أولُ سيرةِ العدل[1]. وعدد الفيشداذية تسعةُ وهُمْ: أو شهنج، وطهمورث، وجمشيذ، وبيوراسف، وهو الضحّاك – وأفر يذون بن أثقيان، ومنوجهر، وفراسياب، وزو، وكرشاسف[2]. وهذه الطبقة قديمة، وقد نُقل عن مدد مُلكهِم وحروبهم أمور ياباها العقلُ، ويمجّها السمعُ فاضربْنا عنها لذلك، وذكرنا ما يقرب إلى الذهن صحتّه. (وطبقة ثانية) يقال لهم الكيانية: وَهُم الذين في أول أسمائهم لفظةُ (كي) وفي لفظة للتنوية، قيلَ معناها الروحاني، وقيل: الجبار، وعدد الكيانية تسعةٌ أيضاً وهُمْ: كيقباذ وكيكاؤوس، وكيخسرو، وكيلهراسف[3]، وكيبشتاسف[4]، وكي أزدشير بهمن[5]، وخماني بنت أزدشير بهمن[6]، ودارا الأول، ودارا الثاني وهو الذي قتله الإسكندر، واستولى على ملكه.

(وطبقة ثالثة) وهم بعض ملوك الطوائف ويقال لهذه الطبقة الإشغانية. وعددهم أحد عشر، وهم أشغا بن أشغان و يقال أشك بن أشكان، وسابور بن أشغان[7]، وجور بن أشغان[8]، وبيرن الأشغاني[9]، وجوذرز الأشغاني، ونرسي

---

(١) أول حاكم. الكامل: لابن الاثير ج١ ص ٢٩٢

(٢) في الكامل: كرشاسب.

(٣) في الكامل: كي لهراسب.

(٤) في الكامل: كي بشتاسب.

(٥) في الكامل: كي بهمن.

(٦) في الكامل: خماني جهرزاد.

(٧) في الكامل: شابور.

(٨) في الكامل: جوذرز.

(٩) في الكامل: ويجن بن بلاش.

الأشغاني[١]، وهرمز الأشغاني[٢]، وأرادوان الأشغاني[٣]، وخسرو الأشغاني، وبلاش الأشغاني، وأردوان الأصغر الأشغاني.

(وطبقة رابعة) وهم الأكاسرة[٤]، لأنَّ كل واحد منهم كانَ يقالُ له كِسرى، ويقال لهم أيضاً الساسانية، نسبة إلى جدهم ساسان، وملك منهم عدة من النساء بعد الهجرة، واستولى عليهم غيرهم من الفرس، وكان أولهم أزدشير[٥] بن بابك، وآخرهم يزدجرد، الذي قتُل في أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه، على ماسنقف على أخبارهم مفصلاً إنْ شاء الله تعالى.

(الطبقة الأولى) الفيشداذية (من تجارب الأمم وعواقب الهمم) لأبي علي أحمد بن مسكويه، قال (أوشهنج) أول من رتب المُلْكَ ونظَّمَ الاعمال، ووضع الخَراجَ، ولقبه فيشداذ وتفسيره أول سيرة العدل، وكان مُلكه بعد الطوفان بمائتي سنة، كذا ذكر ابن مسكويه. وقال غيره إنَّ أوشهنج ومن ملك بعده إلى الضحاك، كانوا قبل الطوفان، وكذا يقول الفرس ويزعمون أن مُلْك ملوكهم لم ينقطع، وينكرون الطوفان، ولا يعترفون به.

رجعنا إلى كلام ابنِ مسكويه قال: وأوشهنج هو الذي بنى مدينتي بابل والسوس[٦]، وكان فاضلاً محمود السيرة والسياسة، ونزل الهند وتنقل في البلاد، وعقد على رأسه التاج، وجلس على السرير ثم انقضى مُلكه ولم يشتهر بعده غير (طهمورث).

وطهمورث من ولد أوشهنج وبينه وبينه عدة آباء، وسلك سيرة جده، وهو أول من كتب بالفارسية، وكان على هيئة الديالم ولباسهم، وهَلَكَ ثمَّ ملك بعده (جمشيذ) - بجيم مفتوحة وميم ساكنة وشين مكسورة منقوطة وياء مثناة من تحتها وذال منقوطة.

---

(١) في الكامل نرسة.
(٢) في الكامل هرمزان.
(٣) في الكامل فيروز.
(٤) في الكامل: الساسانية.
(٥) اردشير: في الكامل.
(٦) بابل اسم ناحيه منها الكوفة والحلّة. البلدان ج١ / ٣٠٩. السوس: بلده بخوز ستان فيها قبر دانيال النبي عليه السلام أو أيضاً بلد، بما وراء النهر. البلدان ٣ / ٢٨٠.

وهو أخوطهمورث لأبويه وجم والقمر، وشيذهو الشعاع، أي شعاع القمر وكذلك أيضا يسمّون خورشيد أي شعاعُ الشّمس، لأنَّ خور اسم الشمس، وجمشيذ المذكور ملك الأقاليم السبعة، وسلك السيرة الصالحة المتقدمة، وزاد عليها ورتب الناس على طبقات كالحُجّاب والكتّاب، وأمر انْ يلازم كل واحد طبقته ولا يتعداها، وأحدث النيروز[1] وجعله عيداً يتنعم الناس فيه.

(من الكامل)[2] لابن الاثير ووضع لكل أمر من الامور خاتماً مخصوصاً به، فكتب على خاتم الحرب الرفق والمداراة، وعلى خاتم الخراج العدل والعمارة، وعلى خاتم البريد والرسل الصدق والأمانة، وعلى خاتم المظالم السياسة والانتصاف، وبقيت رسوم تلك الخواتيم حتى محاها الإسلام. انتهى كلام ابن الاثير.

قال ابن مسكويه: ثم إنه بعد ذلك بدل سيرته الصالحة بأن أظهر التكبر والجبروت على وزرائه وقواده، وآثر اللذات، وترك كثيراً من السياسات التي كان يتولاها بنفسه، وعلم بيوراسب باستيحاش الناس من جمشيذ وتنكرخواصه عليه، فقصده، وهرب جمشيذ وتبعه بيوراسب حتى ظفر به وقتله بأن أشره بمنشار[3].

ثم مَلَك (بيوراسب) وكان يُقال له الدهاك[4]، ومعناه عشر آفات، فلما عُرِّب قيل الضحاك، ولما ملك ظهر منه شرٌ شديد، وفجور، وملك الأرض كلها، وسار فيها بالجور والعُسف، وبسط يده بالقتل، وسنّ العشور والمكوس، واتخذ المغنين والملهيين، وكان على منكبيه سلعتان يحركهما إذا شاء، فادّعى أنهما حيّتان تهويلاً على ضعفاء العقول، وكان يسترهما بثيابه، ولمّا اشتدّ على الناس جوره، وظلمه، ظهر بأصبهان[5] رجل يقال له كابي، وكان الضحاك قد قتل له ابنين، فأخذ كابي المذكور عصاً، وعلّق بطرفها جراباً ويقال: إنه كان حداداً، وإنّ الذي علقه نطع، كان يتوقّى به النار، وصاح في الناس ودعاهم إلى مجاهدة بيوراسب، فأجابه خلق كثير واستفحل امره.

---

(١) النيروز: هو يوم هرمز روز الكامل ج١ ص ٥٣.

(٢) الكامل ج١ ص٥٣.

(٣) انظر الكامل ج١ ص٥٣.

(٤) الضحاك. الكامل ج١ ص ٥٣.

(٥) أصبهان: مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن. وهي من نواحي الجبل في آخر الاقليم الرابع. البلدان ١/ ٢٠٦.

وبقي ذلك العلم معظماً عند الفرس، ورصعّوه بالجواهر، وسموه درفش كابيان،ولما قوي أمر كابي، قصد بيوراسب فهرب منه. وسأل الناس كابي أنْ يتملك عليهم، فأبى لكونه ليس من بيت الملك، وأمرهم أن يملكوا بعض ولد جمشيذ، وكان أفريذون بن أثفان من أولاد جمشيذ وكان مستخفيا من الضحاك، فوافى بجماعته إلى كابي، فاستبشر الناس به وولوه الأمر، وصار كابي أحد أعوانه، حتى احتوى أفريذون على منازل بيوراسب وأمواله، وتبعه وأسره بدياوند [1] وقتله.

وكان النبي إبراهيم الخليل عليه السلام في أواخر أيام الضحاك، ولذلك زعم قوم أنه نمروذ، وان نمروذ عامل من عمّاله، وقد اختلف في الضحاك المذكور اختلافاً كثيراً، فيزعم كل من الفرس واليونان والعرب أنه منهم. والفرس يجعلونه قبل الطوفان لأنهم لا يعترفون بالطوفان.

ثم ملك (أفريذون) بن أثفيان، وهم من ولد جمشيذ قيل إنه التاسع من ولده، وكان إبراهيم الخليل في أول ملك أفريذون، وقد قيل إن أفريذون هو ذو القرنين، المذكور في القرآن ولما ملك أفريذون سار في الناس بأحسن سيرة، ورد جميع ما اغتصبه الضحاك على أصحابه، وكان لأفريذون ثلاثة أولاد، فقسم الأرض بينهم أثلاثاً، أحدهم (إيرج) وجعل له العراق والهند والحجاز، وجعله صاحب التاج والسرير وفوض إليه الولاية على أخويه.

والثاني: (شرم) وجعل له الروم وديار مصر والمغرب، والثالث (طوج)، وجعل له الصين والترك والمشرق جميعه، فلما مات أفريذون وثب طوج وشرم على إيرج فقتلاه واقتسما بلاده وملكا الأرض، ثم نشأ ابن لإيرج يقال له: (مَنوُجهر) – بميم مفتوحة ونون مضمومة و واو ساكنة وجيم بين الجيم والشين مكسورة وهاء ساكنة وراءمهملة– فحقد المذكور على عميه وجمع العساكر وتغلب على ملك أبيه إيرج. ولما قويَ منوجهر المذكور سار نحو الترك وطلب بدم أبيه، فقتل طوج، ثم قتل شرم عميه وأدرك ثأره منهما.

ثم نشأ من ولد طوج بن أفريذون المذكور (فراسياب) بن طوج، وجمع العسكر وحارب منوجهر بن إيرج وحاصره بطبرستان [2]، ثم اصطلح وضربا بينهما

---

(١) دياوند :في الكامل: دنباوند .

(٢) طبرستان : بين الرّي وقومس البحر وبلاد الديلم والجيل. البلدان ٤ / ١٣.

حداً لا يتجاوزه واحد منهما، وهو نهر بلخ، وفي أيام منوجهر ظهر موسى عليه السلام، وذكروا أنّ فرعون موسى وهو الوليد بن الرّيان كان عاملاً لمنوجهر ومطيعاً له، ثم هلك منوجهر فتغلب فراسياب على مملكة فارس، وأكثر الفساد وخرب البلاد.

ثم ظهر (زو بن طهماسب) وهو من أولاد منوجهر فتسارع الناس إليه وطرد فراسياب عن مملكة فارس حتى ردّه إلى بلاد الترك بعد حروب كثيرة، وسار زو بأحسن سيرة حتى عمّر وأصلح ما كان خربه فراسياب، واستخرج للسواد نهر، وسماه الزاب[1] وبنى على حافته مدينة، وكان لزو وزير يقال له: (كرشاسف) من أولاد طوج بن أفريذون، وقد حكي أنهما اشتركا في الملك. انتهت الفيشداذية.

(ذكر الطبقة الثانية)

الكيانية: ولمّا هلَكَ كرشاسفُ مَلَكَ بعدَهُ (كيقباذُ)، بنُ زو وسلكَ سيرةَ أبيه، في الخير وعمارةِ البلاد، ثمّ هَلَكَ كيقَباذُ، وملك بعدَهُ (كيكاؤوس) بنُ كينيهُ بنُ كيقباذ المذكورُ، فتشدّدَ على إعدامهِ، وقتلَ خلقاً منْ عظماءِ البلاد، وولدَ لهُ ولد نهاية في الجمالِ، وكانَ يفتنُ بحسنه وسمّاه سياوش[2] بسينٍ مهملةٍ مكسورةٍ وياءٍ مثناةٍ من تحتها وألفٍ وواوٍ مكسورةٍ وشينٍ منقوطة.

ثم إنّ أباهُ كيكاؤوس سلّمَهُ إلى رُستمِ الشديد، الذي كانَ نائباً على سجستان[3] ومملكتها، فربّى سياوشَ كما ينبغي، وأتى به إلى والدهِ وهو نهاية في الأدب والفروسيّة، ففرحَ به والدُهُ فرحاً عظيماً، وولاّهُ مملكتَهُ، وكان لكيكاؤوس زوجَةٌ مبدعةٌ في الحسنِ، فهويت سياوشَ وأعلمتهُ، فامتنعَ ولم تزلْ تراجعُهُ حتّى طاوعها، فعشقها وعشقتهُ عشقاً مُبرحاً.

وفي الآخر علم كيكاؤوس بذلك، فمنع ولدَهُ منْ دخولِ دارِه وضرَبَ الزّوجة وحبسها ثم ترضّاها، وأفرجَ عنها، فأرسلتْ معَ بعضِ الخصيانِ إلى سياوشَ تقول: إنْ عاهدتَني أنّك تتزوج بي قتلتُ أباك، فعرّف الخصيُّ كياؤوسَ بذلك، فأمر بحبسها ومنع سياوشَ من الدخولِ إليه.

فسأل سياوشُ رستماً الذي ربّاه أنْ يشفعَ إلى أبيه أنْ يُرسِله إلى حربِ فراسياب

---

(١) نهر الزاب : نهر في العراق سميّ باسم زاب بن زاب بن توركان الذي حفره، البلدان ٣ / ١٢٣.

(٢) في الكامل : سياوخش ج١ص١٨٨.

(٣) سجستان :اسم ناحية بينها وبين هراة عشرة أيام ، ثمانون فرسخاً، البلدان ٣ / ١٩٠.

ملك الترك فارسلَه مع جيشٍ، فصالحه فراسيابُ على ما أراد، فأرسلَ يُعلم بذلك أباهُ كيكاؤوس، فانكر عليه وقال: لا بدَّ منَ الحرب .

ولم يمكن سياوش الغدر بفراسياب، ولا الرجوع إلى والده لما ذكر، فهرب سياوشُ إلى فراسياب، فاكرمَهُ وزوّجَهُ ابنته، ثم إنّ أولادَ فراسيابَ أغروا والدهُم بقتلِ سياوشَ، وقالوا: لا يكونُ عاقبتُه عليك خيراً، فقتلهُ.

وكانتْ بنت فراسيابُ حُبْلى منه، فأراد أبوها قتلها، ثم تركها فولدَتْ ابناً. وسمع كيكاؤوس بذلك فقتل زوجتَهُ التي كان هذا الأمرُ بسببها، وأرسلَ قوماً شطّاراً في زي التجارِ بالمالِ، وأمرهم بسرقة ابنِ سياوشَ وزوجتَه، فسرقوهما وأحضروهما. وكان اسمُ الولدُ المذكورُ كيخسرو، أعني ولد سياوش.

ثم إنَّ كيكاؤوس قررَ المُلْكَ لولد ولده كيخسرو ابن المذكور، ثمَ هلكَ كيكاؤوس واستمرَّ ولدولدِه (كيخسرو) المذكَورُ في المُلك.

ولمّا مَلكَ كيخسرو وقوي أمرُهُ قصدَ جدّهُ أبا أمّه، وهو فراسيابُ ملكُ التركِ طالباً بثارِ أبيه سياوش، وجرَتْ بينهما حروبٌ كثيرةٌ آخرها أنّ كيخسرو ظفر بفراسياب وأولادِهِ وعسكرِهِ، فقتلهُمْ ونهبَ أموالهُمْ وبلادَهُمْ آخذاً بثارِ أبيهِ سياوشَ.

ولمّا أدرك كيخسرو ثارهُ واستقرَ في ملكه تزهَّدَ، وخرجَ عنِ الدنيا، ولما أصر على ذلكِ سالهُ وجوهُ الدوْلة في أنّ يعينَ للمُلْكَ من يختار، وكان لهراسفَ حاضراً وهو مِنْ مرازبته، فجعلهُ وصيَّهُ وأقبلَ الناسُ عليه، وفقد كيخسرو، وكانَ مدَّةَ ملك كيخسرو ستين سنة، ثم ملك (لهراسف) ويقالُ: إنّه ابنُ أخي كيكاؤوس[1]، فاتخذَ سريراً من ذهب مرصّعاً بالجوهر، فكانَ يجلسُ عليه، وبنيتُ لهُ بأرض خراسانَ مدينةَ بَلْخ[2]، وسكنها لقتالِ الترك وكان في زمانِ لهراسف (بختَ نصَّر) وجعلهُ لهُراسفُ أصبهبذاً[3] على العراقِ والأهوازِ وعلى الرّومِ من غربيّ دجلة، فأتي دمشقَ وصالحهُ أهلها وصالحهُ بنو إسرائيلَ بالقدسِ ثمّ غدروا به، فسار إليهم بختَ نصَّرَ راجعاً، وسبى ذريتَهم وخرّبَ بيت المقدسَ، وهربَ من سلم منهم إلى مصر، فأنفذ بختَ نصَّر في طلبهم إلى ملك مصر وقال: هؤلاءِ عبيدي قد هربوا إليكَ فابعثْ إلي

---

(١) في الكامل : ابن ابن كيكاؤوس .

(٢) بلخ : بلده مشهورة بخراسان . البلدان ١ /٤٩٧ .

(٣) أصهبذاً : والياً .

بهم: فقال فرعون مصر: إنّما هؤلاءِ أحرارُ، وامتنعَ من تسليمهم إليه، فسارَ بختُ نصرُ إلى مِصْرَ وقتل المَلِكَ وسبى أهلَ مصر، ثم سار المذكور إلى المغرب حتى بلغَ أقاصيها، وخرّب البلاد وسبى، ثم عاد إلى فلسطين والأردن، فسبى وقتل، وحضر مع بخت نصّر من بني إسرائيل دانيال النبي، وغيره من أولاد الأنبياء عليهم السلام، وحمل إلى لهراسف من المغرب والشام وبيت المقدس أموالاً عظيمة، وقد اختلف المؤرخون في بخت نصر، هل كان ملكاً مستقلاً بنفسه أم كان نائباً للفرس؟ والأصح عند الأكثر أنّه كان نائباً للهراسف المذكور، وسار بالجيوش نيابة عنه، وفتح له البلاد، ثم غزا بخت نصر العرب، وكان في زمن معد بن عدنان، فقصده طوائف من العرب مسالمين، فأحسن إليهم بخت نصر وأنزلهم شاطئ الفرات وبنوا موضع معسكرهم، وسموه الأنبار [١]، واستمروا كذلك مدة حياة بخت نصر.

ومما جرى لبخت نصر (رؤياه) التي أُريها وقد أثبتها اليهود في كتبهم، وكذلك المؤرخون من المسلمين. قالوا: رأى صنماً رأسه من ذهب، وصدره وذراعاه من فضة، وبطنه وفخذاه من نحاس، وساقاه وقدماه من حديد، وأصابع قدميه بعضها حديد وبعضها خزف، وأنَّ حجراً انقطعت من جبل، من غير يد، قاطعة له، وصكت الصنم، فاندقَّ الحديد والنحاس وغيره، وصار جميع ذلك مثل الغبار، وألوت به ريح عاصفة، ثم صارت الحجر التي صكت الصنم جبلاً عظيماً امتلأت منه الأرض كلها.

فقال بخت نصر: لا أصدّق تعبير ما رأيته إلاّ ممن يخبرني بما رأيت، وكتم بخت نصر ذلك، وسأل العلماء والسحرة والكهنة عن ذلك، فلم يطق أحدان ينبئه بذلك، حتى سأل دانيال، فخبّره دانيال بصورة رؤياه كما رآها بخت نصر، ولم يخل منها بشيء.

ثم عبرها له دانيال، فقال: الرأس ملكك، وأنت بين الملوك بمنزلة رأس الصنم الذهب، والذي يقوم بعدك دونك، بمنزلة الفضةمن الذهب، ويكون كل متأخر أقل ممن قبله، مثلما النحاس دون الفضة، والحديد دون النحاس، وأما الأصابع التي بعضها حديد وبعضها خزف، فإنّ المملكة تصير آخر الوقت مختلطة، مختلفة، بعضها قوي وبعضها ضعيف، ثم إنّ الله تعالى، يقيم بعدذلك مملكة لا تبيد إلى

---

(١) الأنبار: مدينة على الفرات غربي بغداد. البلدان ١ / ٢٥٧.

آخر الدهر. هذا تعبير رؤياك، فخرّ بخت نصر ساجداً لدانيال، وأمر له بالخلع وأن يقرب له القرابين.

وقد اختلف في مدة ولاية بخت نصر، والذي اختاره أبو عيسى وأثبته أن بخت نصر تولى أو ملك سبعاً وخمسين سنة، وشهراً وثمانية أيام.

وتفسير بخت نصر بالعربية، عطارد، وهو ينطق، سمي بذلك لتقريبه الحكماء والعلماء،وحبه أهل العلم.

ولما هلك ولي مُلك الفرس بعد بخت نصر، ابنه (أولاق) سنة واحدة وقتل.

ثم ولي بعده (بلطشاصر) سنتين، وبلطشاصر هو ابن ابن بخت نصر، ثم إنه جلس للشراب، واحتفل بلطشاصر في مجلس عمله، وجمع فيه ألف نفس من أصحابه، وجعل فيه من آنية الذهب ما يفوت الحصر، فرأى على ضوء الشمع يد إنسان تكتب على الحائط، فتغير بلطشاصر لذلك، واضطرب ذهنه، واصطكت ركبتاه، فدعا دانيال وقال له: ما رأى، فقال دانيال: إنك لما عظَّمت الذهب، والفضة والنحاس والحديد، وليس فيها ما ينصرك، ولم تعظِّم الإله، الذي بيده نسمتك، وروحك، وجميع تصاريف أمورك، أرسل كفهُ يداً كتبتَ ما معناه: اكشف واعرى، أي أن مملكتك كشفت وعريت وجعلت لأهل فارس، فقُتل بلطاشاصر في تلك الليلة، وبه انقرضت دولة بني بخت نصر.

ولنرجع إلى سياقة مُلْك لهراسف، ثم مَلَك بعده ابنه (كي بشتاسف)، وهو الذي يزعمون أنه باقٍ في كنكدز[1] ولما ملك بشتاسف بنى مدينة فسا [2]، وظهر في أيامه (زرادشت) بزاي منقوطة مفتوحة، وراء مهملة، وألف، ودال مضمومة، مهملة وشين منقوطة ساكنة، وتاء مثناة من فوقها. وهو صاحب كتاب المجوس.

وتوقف بشتاسف عن الدخول في دينه، ثم صدقه ودخل فيه، وجرى بين بشتاسف وبين خرزاسف ملك الترك حروب عظيمة، قتل بينهما فيها خلق كثير، بسبب زرداشت، ودخول بشتاسف في دينه، انتصر فيها بشتاسف على خرزاسف ملك الترك.

---

(١) كنكدر: لم يذكرها ياقوت في معجم البلدان.

(٢) فَسَا: مدينة بفارس في الإقليم الرابع. البلدان ٤ / ٢٦٠.

ثم إن بشتاسف تنسّك، وانقطع للعبادة في جبل يقال له طميذر، ولقراءة كتاب زرادشت، ثم فُقد.

وكان لبشتاسف ولد يقال له (إسفنديار)، هلك في حياة أبيه، وخلف ولداً يقال له (أزدشير بهمن) بن إسفنديار بن بشتاسف، ولما تزهد بشتاسف وفقد مَلَكَ ابن ابنه (أزدشير بهمن) المذكور وانبسطت يده حتى ملك الأقاليم السبعة، (من كتاب أبي عيسى)

وأزدشير بهمن المذكور، اسمه بالعبرانية كورش، ويقال كيرش، وهو الذي أمر بعمارة بيت المقدس بعد أن خرّبه بخت نصر، فعمره أزدشير وأمر بني إسرائيل بالرجوع إليه، ولا دليل على أنّ أزدشير المذكور هو كورش أقوى من كلام أشعيا النبي عليه السلام، فإنه يقول في الفصل الثاني والعشرين[1] من كتابه، حكاية عن الله تعالى (أنا القائل لكورش: داعي الذي يتم جمع محبباتي، ويقول لأورشليم عودي مبنية، ولهيكلها كن مزخرفا، مزينا، هكذا قال الرب لمسيحه كورش، الذي أخذ بيمينه لتدبير الأمم وتحنى لك ظهور الملوك سائراً، تفتح الأبواب أمامه فلا تغلق، وأسير أنا قدامك، وأسهل لك الوعور، وأكسر أبواب النحاس، وأحبوك بالذخائر التي في الظلمات) ولم يكن أحد في ذلك الزمان بهذه الصفة التي ذكرها أشعيا، أعني ملك الأقاليم والحكم على الأمم، وغير ذلك مما ذكره غير أزدشير بهمن، فتعين أن يكون هوكيرش.

وكان أزدشيربهمن كريماً متواضعاً علامته على كتبه بقلمه، من أزدشير بهمن عبد الله وخادم الله والسايس لأمركم.

وغزا رومية في ألف ألف مقاتل وبقي كذلك إلى أن هلك، وتفسير بهمن بالعربية «الحسن النية»، وكان بهمن متزوجاً بابنته خماني؛ وذلك حلال على دين المجوس، فتوفي بهمن وهي حامل منه (بدارا) وكانت قد سألت بهمن أن يعقد التاج على ما في بطنها، ويخرج ابنه ساسان بن بهمن من الملك، فأجابها بهمن وأوصى به أكابر دولته، ففعلوا ذلك، وساست خماني الملك بعده أحسن سياسة، وعظم ذلك على ساسان، فلحق بإصطخر، وتزهد وتجرّد من حلية الملك واتخذ غنماً

---

(١) لم يرد شيئاً من هذا القول في الإصحاح الثاني والعشرين لأشعياء انظر التوراة، سفر أشعياء- الإصحاح الثاني والعشرون.

وتولى بنفسه رعيها، وساسان المذكور هو أبو الأكاسرة.

ثم وضعت خماني ولداً وسمته (دارا) وهو ابنها وأخوها، ولما اشتد سلّمت الملك إليه وعزلت نفسها، فتولى دارا بن بهمن الملك، فضبطه بشجاعة وحسن سياسة وولد لدارا ابن فسماه دارا باسم نفسه.

ثم هلك دارا وولي الملك ابنه (دارا) بن دارا، وكان حقوداً ظالماً، فنفر منه قلوب الخاصة والعامة.

وفي زمان دارا المذكور، تملك الإسكندر المشهور ابن فيلبس، فعرف توحش خواطر أصحاب دارا منه، فقصده بجيشه فلحق بالإسكندر المذكور، لما دنا من دارا كثير من أصحاب دارا وأطلعوه على عور دارا وقووه عليه، وطال بينهما القتال إلى أن وثب جماعة من أصحاب دارا عليه فقتلوه، وأتوا إلى الإسكندر فقتلهم عن آخرهم، وصار ملك دارا إلى الإسكندر.

(ذكر الإسكندر بن فيلبس)[١]

كان أبوه أحد ملوك اليونان ، وكانوا طوائف، فلمّا مَلك الإسكندر غزاهم واجتمع له ملكهم، ثم غزا دارا ملك الفرس وقتله، ثم غزا الهند، وتناول اطراف الصين، ثم انصرف الإسكندر يريد الإسكندرية.

وهو الذي بناها، فهلك في ناحية السواد وقيل بشهرزور[٢] وكان عمره ستاً وثلاثين سنة، فحمل في تابوت ذهب إلى امه، وكان ملكه نحو ثلاث عشرة سنة[٣].

واجتمع بعد ذلك مُلك الروم وكان متفرقاً، وافترق مُلْكُ فارس وكان مجتمعاً، وكان مرض الإسكندر الذي مات به الخوانيق، وقيل اغتيل بالسم. وهذا الإسكندر هوصاحب أرسطاطاليس وتلميذه وأرسطو الذي أشارعليه بعدم قتل الفرس، وأن يولّي أكابرهم، ومن يصلح للملك كل واحد برأسه مملكة، ليحصل بينهم التباغض والتشاحن ولا يجتمعوا على أحد، فقبل الإسكندر ذلك منه، وولاهم فصار منهم

---

(١) في الكامل: فليفوس

(٢) شهرزور : كوره واسعة في الجبال بين إربل وهمذان. البلدان ٣ / ٣٧٥.

(٣) في الكامل: أربع عشرة سنة .

ملوك الطوائف،

وكان الإسكندر أشقر أزرق وكان اليونان قبله طوائفَ، فأول ما تملك غزاهم، وقتل ملوكهم، واجتمع له جميع مملكة اليونا ن والروم حسبما ذكرناه، ولما اجتمعت له مملكة المغرب بنى الإسكندرية، وسار يريد الشرق، وقتال دارا، ومرّ الإسكندر في طريقه على بيت المقدس، وأكرم بني إسرائيل، ثم سار إلى بلاد فارس واستولى على مُلكِ الفرس، وقتل دارا، وكان منه ما ذكر وقد قيل عنه إنه انصرف من المشرق إلى جهة الشمال، وبنى السد على يأجوج ومأجوج، والصحيح أن الإسكندر المذكور لم يكن منه ذلك؛ بل ذو القرنين الذي ذكره الله في القرآن، وهو ملك قديم كان على زمن إبراهيم الخليل عليه السلام. قيل إنه أفريذون، وقيل غيره، وقد غلط من ظنّ أن باني السد هو الإسكندر الرومي وكذلك قد استفاض على ألسنة الناس، أنْ لقب الإسكندر المذكور ذو القرنين وهو أيضاً غلط، فإن لفظة «ذو» لفظة عربية محض، وذو القرنين من ألقاب العرب ملوك اليمن، وكان منهم ذو جدن، وذو كلاع، وذو نواس، وذو شناتر، وذو القرنين، الصعب بن الرايش، واسم الرايش الحارث بن ذي سدد بن عاد بن الماطاط بن سبأ.

وقد قيل إن ذا القرنين الصعب المذكور هو الذي مكّن الله له في الارض وعظّم ملكه، وبنى السدّ على يأجوج ومأجوج.

ومما نقله ابن سعيد المغربي أن ابن عباس رضي الله عنهما سئل عن ذي القرنين الذي ذكره الله في كتابه العزيز فقال: هو مِنْ حمير، وهذا مما يقوي أنه الصعب المذكور، لأنه كان ملكاً عظيماً، وكان من ولد حمير، ولما مات الإسكندر عرض الملك على ابنه، فأبى واختار النسك، فانقسمت ممالك الإسكندر بين ملوك الطوائف، وبين ملوك اليونان، على ما سنذكرهم في الفصل الثاني وبين غيرهم.

(ذكر ملوك الطوائف)

وكان من أمرهم أنّ الإسكندرلما غلب على الفرس، وأسر ملوكهم وكبارهم، قتل منهم جماعة، وأراد قتل الباقين عن آخرهم، واستشار أرسطوطاليس في ذلك فقال له: إني لا أرى ذلك بل الرأي أنْ تُملّك منهم عدة على الفرس، فيقع بينهم التشاحن والتباغض، ولا يجتمعون فتأمن اليونان غائلتهم، ولا يبقى لهم على اليونان دماء كثيرة فمال الإسكندر إلى ذلك وملّك من كبار الفرس عشرين ملكاً على

الفرس، وهم المسمون بملوك الطوائف، واستمر بهم الحال على ذلك نحو خمسمائة واثنتي عشرة سنة، حتّى قام أزدشير بن بابك وجمع ملك الفرس، و لم يبق منهم ملك غيره، وكانت عدة ملوك الطوائف تزيد على تسعين ملكاً، ولم يؤرخ في مبتدأ أمرهم أسماؤهم، ولا مُدد ملكهم، فإنهم كانوا ملوكاً صغاراً في الأطراف، وعظم بعد الإسكندر ملك اليونان، فكان الحكم لهم، فلذلك ذكروا بعد الإسكندر في التواريخ دون ملوك الطوائف. وبقي الأمر على ذلك حتى اشتهرت الملوك الأشغانية من بين ملوك الطوائف.

(ذكر الطبقة الثالثة)

وهم الأشغانية. قال أبو عيسى: وأوّل من اشتهر منهم (أشغا) بن أشغان. ويقال: أشك بن أشكان.

قال وكان أولُ مُلك أشغا المذكور لمضي مائتين وست وأربعين سنة لغلبة الإسكندر، وملك أشغا المذكور عشر سنين. أقول فيكون انقضاء ملكه لمضي مائتين وست وخمسين سنة للإسكندر.

ثم ملك بعده (سابور) بن أشغان ستين سنة، وكان مولد المسيح عليه السلام في سنة بضع وأربعين سنة خلت من ملك سابور المذكور، وكان انقضاء ملك سابور لمضي ثلاثمائة وست عشرة سنة للإسكندر.

ثم ملك بعده (جور) بن أشغان، وقيل جوذرز عشر سنين، وهلك لمضي ثلاثمائة وست وعشرين سنة للإسكندر.

ثم ملك (بيرن) الأشغاني إحدى وعشرين سنة وهلك لمضي ثلاثمائة وسبع وأربعين سنة، ثم ملك (جوذرز) الأشغاني تسع عشرة سنة، وهلك لمضي ثلاثمائة وست وستين سنة.

ثم ملك (نرسى) الأشغاني أربعين سنة، وقال يوم ملك: إني محب ومكرم من انقذ أمر، وهلك لمضي أربعمائة وست سنين.

ثم ملك(هرمز) الأشغاني تسع عشرة سنة، وهلك لمضي أربعمائة وخمس وعشرين سنة. وقال هرمز المذكور يوم ملك: يا معشر الناس؛ اجتنبوا الذنوب، كيلا تذلوا بالمعاذير.

ثم ملك بعده (أردوان) الأشغاني اثنتي عشرة سنة، وهلك لمضي أربعمائة

وسبع وثلاثين سنة.

ثم ملك (خسرو) الأشغاني أربعين سنة وقال يوم ملك: لتسطع ناري ما دامت مضطرمة، وهلك لمضي أربعمائة وسبع وسبعين سنة للإسكندر.

ثم ملك بعده (بلاش) الأشغاني أربعاً وعشرين سنة. وهلك لمضي خمسمائة وسنة.

ثم ملك بعده (أردوان) الأصغر، وظهر أمر أزدشير بن بابك، وقتل أردوان المذكور وغيره من الأردوانيين، واجتمع له ملك جميع ملوك الطوائف، فيكون انقضاء ملك أردوان لمضي خمسمائة واثنتي عشرة سنة لغلبة الإسكندر، ويكون ملكه إحدى عشرة سنة، وقيل إنّ أردوان المذكورملك ثلاث عشرة سنة.

(ذكر الطبقة الرابعة)

وهم الأكاسرة الساسانية وأولهم (أزدشير) بن بابك، وهو من ولد ساسان بن أزدشير بهمن، المقدم الذكر في أخبار أزدشير بهمن، وساسان المذكور هو الذي تزهد، واتخذ غنماً يرعاها، لما أخرجه أبوه بهمن عن الملك، وجعله لدارا قبل ولادته حسبما تقدم ذكر ذلك.

وكان أزدشير بن بابك المذكورفي أول ملكه، أحد ملوك الطوائف، وكان في أيام الأردوانين، فتغلبَ عليهم، وكان غلبته عليهم لمضي تسعمائة وسبع وأربعين سنة، لابتداء ولاية بخت نصر، ولمضي خمسمائة واثنتي عشرة سنة لغلبة الإسكندر على دارا، وهي مدة ملوك الطوائف، فيكون بين قيام أزدشير وبين الهجرة النبوية، أربعمائة واثنتان وعشرون سنة.

وكان رصد بطلميوس قبل أزدشير المذكور بسبع وسبعين سنة، وهذه مدة يمكن أن يكون بطليموس قد عاشها، أو عاش غالبها، فليس بطليموس ببعيد عن زمن أزدشير، وجميع الأكاسرة الذين كان آخرهم يزد جرد بن شهريار من ولد أزدشير المذكور، ولما تغلب أزدشير وقتل الأردوانيين جميعهم، وضبط الملك، وكان حازماً طويل الفكر وكتب لابنه سابور عهداً ليكون له ولمن بعده من أهل بيته يتضمن حكماً وناموساً لضبط المملكة، وملك أزدشير أربع عشرة سنة وعشرة أشهر، فيكون موته في أواخر سنة خمس مائة وسبع وعشرين لغلبة الإسكندر.

ثم ملك بعده ابنه (سابور) بن أزدشير إحدى وثلاثين سنة وستة أشهر وكان

جميل الصورة حازماً، وظهر في أيامه (ماني) الزنديق وادعى النبوة واتبعه خلق كثير وهم المسمون بالمانوية، ولما مضى من ملكه إحدى عشرة سنة سار بعساكره وفتح نصيبين[١] من الروم، ثم سار وتوغل في بلادالروم، وهم على عبادة الأصنام، وذلك قبل تنصرهم، وافتتح من الشام عدة مدن عنوة، وقتل أهلها، ثم سار إلى جهة رومية، فصانعه ملك الروم وهو حينئذ غرذيانوس، الذي سنذكره في ملوك الروم، إن شاء الله تعالى ، ودخل تحت طاعة سابور المذكور، وكان لسابور المذكور عناية عظيمة بجمع كتب الفلسفة لليونانيين، ونقلها إلى اللغة الفارسية، ويقال :إن في زمانه استخرجت العود، وهي الملهاة التي يغني بها، وكان موت سابور المذكور لمضي أربعة أشهر من سنة تسع وخمسين وخمسمائة للإسكندر.

ثم ملك بعده ابنه (هرمز) بن سابور سنة واحدة وستة أشهر، وكان عظيم الخلق شديد القوة، وكان يلقب البطل لشجاعته، وكان موته في أواخرسنة خمسمائة وستين للإسكندر.

ثم ملك ابنه (بهرام) بن هرمز ثلاث سنين وثلاثة أشهر، واتّبع سيرة آبائه في حسن السياسة والرفق بالرعية، وكان موته في أول سنة أربع وستين وخمسمائة بعد مضي شهر منها.

ثم ملك بعده ابنه (بهرام) بن بهرام سبع عشرة سنة، فيكون موته في أول سنة احدى وثمانين وخمس مائة للإسكندر.

ثم ملك بعده ابنه (بهرام) بن بهرام بن بهرام أربع سنين وأربعة أشهر، وسلك سبيل آبائه من العدل والسياسة، ومات في سنة خمس وثمانين وخمسمائة بعد مضي سبعة أشهر منها.

ثم ملك بعده أخوه (نرسي) بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أزدشير ابن بابك، وملك تسع سنين فيكون موته في سنة أربع وتسعين وخمسمائة ، بعد مضي سبعة أشهر منها .

ثم ملك بعده ابنه (هرمز) بن نرسي تسع سنين أيضاً، فيكون هلاكه لمضي سبعة أشهر من سنة ثلاث وستمائة، ولما مات هرمز لم يكن له ولد ،وكانت بعض نسائه حاملاً، فعقدوا التاج على ما في جوفها، فولدت ابناً وسموه سابور.

---

(١) نصيبين :مدينة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل الى الشام البلدان ٥ / ٢٨٨ .

وهو (سابور) بن هرمز بن نرسي بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أزدشير بن بابك. وبقي سابور حتى اشتدّ وظهر منه نجابة عظيمة من صباه ، وكان أول ما ظهر منه أنه سمع ضجيج الناس بسبب الزحمة على الجسر الذي على دجلة بالمدائن، فقال: ما هذه الجلبة؟ فقالوا بسبب زحمة الخارجين والداخلين على الجسر. فأمر أن يعمل إلى جانب الجسرجسراً آخر ليكون أحد الجسرين للخارجين والآخر للداخلين، فعملوه، فزال ما كان يحصل من الزحام، فاستعجب الناس لنجابته، وفي أيام صباه طَمعت العرب في بلاده وخربوها، فلما بلغ سابور المذكور من العمر ست عشرة سنة، انتخب من فرسان عسكره عدّة اختارها وسار بهم إلى العرب ، وقتل من وجده منهم، ووصل إلى الحسا[1] والقطيف[2]، وشرع يقتل ولا يقبل فداء، وورد المشقَّر[3] وبه أناس من تميم وبكر بن وائل، وعبد القيس، فسفك من دمائهم ما لايحصى، وكذلك سار إلى اليمامة [4] وسفك بها ، ولم يمر بماءللعرب وإلا وغوره، ولا بئر إلا وطمها، ثم عطف على ديار بكر وربيعة، فيما بين مملكة فارس ومملكة الروم، وصار ينزع أكتاف العرب فسمي سابور ذا الأكتاف، وصار عليه ذلك لقباً، ثم غزا سابور المذكور الروم، وقتل فيهم وسبى، ثم هادنه قسطنطين ملك الروم، واستمر على ذلك حتى توفي قسطنطين في سنة خمس وأربعين مضت من ملك سابور المذكور وعمره، وملكت بنو قسطنطين وهلكوا في مدة ملك سابور المذكور، ثم ملك على الروم لليانوس، وارتدّ إلى عبادة الأصنام وقتل النصارى، وأخرب الكنائس، وأحرق الإنجيل، وسار لليانوس إلى قتال سابور، واجتمع مع لليانوس العرب، لما كان قد فعله فيهم سابور المذكور، وكان على مقدمة جيش لليانوس بطريق اسمه يونيانوس، وكان يونيانوس يسرُّ دين النصارى، ولم يرتد مع لليانوس إلى عبادة الأصنام، وبسبب ذلك كان يكره لليانوس، فظفر بكشافة لسابور فأمسكهم وأخبروه بمكان سابور، وكان قد انفرد عن جيشه ليتجسس أخبار الروم، فأرسل يونيانوس يحذر سابور، وأعلمه أنّه علم به وكان قادراً على إمساكه، فحمده سابور على ذلك ولحق بجيشه، ثم اقتتل لليانوس وسابور فانتصر لليانوس وانهزم سابور وجيشه،

---

(١) الحسا : واد بأرض الشرَبّة من ديار عبس وغطفان. البلدان ٢ /٢٥٨.

(٢) القطيف : مدينة بالبحرين. البلدان ٤ /٣٧٨.

(٣) المشقَّر : حصن بين نجران والبحرين. البلدان ٥ /١٣٤.

(٤) اليمامة : من نجد بينها وبين البحرين عشرة أيام. البلدان ٥ /٤٤٢.

وقتلت الروم منهم، واستولى لليانوس على مدينة سابور[1]، وهي طيسفون، وهي المعروفة بالمدائن.

ثم أرسل سابور واستنجد بالعساكر والملوك المجاورين لبلاده ،ودفع عن طيفسون، واستمر لليانوس مقيماً ببلاد الفرس، وبقي سابور يسعى في الصلح معه، فبينما لليانوس جالس في فسطاطه، إذ أصابه سهم غُربُ في فؤاده فقتله، فهال الروم ما نزل بهم من فقد ملكهم في بلاد عدوهم، فقصدوا يونيانوس في أن يتملك عليهم، فأبى ذلك وقال: لا أتملك على قوم يخالفوني في الدين، فقالوا: نحن نعود إلى الملة النصرانية، ونحن عليها، وإنما أظهرنا عبادة الأصنام خوفاً من لليانوس، فملك يونيانوس وصالح سابور، وسار إليه في عدة يسيرة من أصحابه واجتمع يونياتوس وسابور واعتنقا وانتظم الصلح والمودة بينهما.

وسار يونيانوس بعساكر الروم عائد إلى بلاده، واستمر سابور على ملكه حتى مات بعد اثنتين وسبعين سنة، وهي مدة ملكه،ومدة عمره، فيكون موت سابور لمضي سبعة أشهر من سنة خمس وسبعين وستمائة للإسكندر.

ثم ملك بعده أخوه (أزداشير) بن هرمز أربع سنين بوصية من سابور له بالملك لأنّ ابن سابور كان صغيراً، ومات في سنة تسع وسبعين وستمائة للإسكندر.

ثم ملك بعده (سابور) بن سابور ذي الأكتاف خمس سنين وأربعة أشهر، وسلك سابور حسن سيرة أبيه، حتى سقط عليه فسطاط كان منصوباً عليه، فمات من ذلك، فيكون هلاكه لمضي أحدعشر شهراً من سنة أربع وثمانين وستمائة للإسكندر.

ثم مَلكَ بعده أخوه (بهرام) بن سابور ذي الأكتاف، وهو الذي يُدعى كرمان شاه، لأنه كان على كرمان، وسلك السيرة الحسنة، وملك إحدى عشرة سنة ومات مقتولاً، لأنّ جماعة من الفرس ثاروا عليه، وضربه واحدمنهم بسهم فقتله، وكان هلاكه لمضي أحد عشر شهراً من سنة خمس وتسعين وستمائة للإسكندر.

ثم ملك بعده ابنه (يزدجرد) بن بهرام بن سابور، وكان يقال ليزدجر «المذكور الأثيم والخشن»، وملك إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر، وكان فظاً خشن الجانب، لئيم الأخلاق، فسلك أقبح سيرة من الظلم والعسف وسفك الدماء، ورأى

---

(١) سابور: كوره مشهورة بأرض فارس. البلدان ٣ / ١٦٧.

الفرس منه من الشر ما لم يعهدوه من آبائه، وصبروا عليه، وطالت أيامه، وهو لا يزداد إلاّ تمادياً في الجور والعسف. فابتهلوا إلى الله تعالى في هلاكه، فهلك برفسة فرس، فيكون هلاكه لمضي أربعة أشهر من سنة سبع عشرة وسبعمائة.

وكان ليزدجر المذكور ولد اسمه (بهرام جور) وكان أبوه يزدجر قد أسلمه عند المنذر، ملك العرب ليربيه، بظهر الحيرة،فنشأ (بهرام جور) هناك وقدم على ابيه قبل هلاكه،وبهرام جور في غاية الأدب والفروسية. فأذاقه أبوه الهوان، ولم يلتفت إليه، ولا رأى منه خيراً، فطلب (بهرام جور) العود إلى العرب، حيث كان، فأمره بذلك، وعاد بهرام جور إلى المنذر، ومات أبوه وهو عند المنذر.

فاجتمع جميع الفرس على انهم لا يملّكون احداً من ولد يزدجرد، لما قاسوه منه، وأيضاً فإن بهرام جور قد انتشأ عند العرب وتخلق بأخلاقهم ، فلا يصلح للفرس.

وولوا شخصاً يسمّى كسرى من ولد أزدشير، وبلغ ذلك بهرام جور فانتصر بالمنذر وبابنه النعمان ملك العرب، وجرى بين العرب وبهرام جور وبين الفرس في ذلك مراسلات كثيرة، وآخر الأمر أن بهرام جور تملك موضع أبيه يزجرد واستقل بالملك.

ويحكى عنه من الشجاعة والقوة شيء كثير، وآخر أمره أنه هلك بأن طلع إلى الصيد، وأمعن في طرد الوحش حتى توحّل في سبخة وعدم، وكان مدة ملكه ثلاثاً وعشرين سنة وأحد عشر شهراً، فيكون هلاك بهرام جور لمضي ثلاثة أشهر من سنة إحدى وأربعين وسبعمائة.

ثم ملك بعده ابنه (يزدجرد) بن بهرام جور ثماني عشرة سنة وأربعة أشهر، وسار بسيرة أبيه بهرام جور، من قمع الأعداء وعمارة البلاد، ثم هلك يزدجرد لمضى سبعة أشهر من سنة تسع وخمسين وسبعمائة .

وخلّف ابنين؛ هرمز وفيروز، فتملك (هرمز) من يزدجرد سبع سنين وظلم الرعية، واحتجب عن الناس، ولمّا ملك هرمز هرب أخوه فيروز إلى الهياطلة، وهم أهل البلاد التي بين خراسان وبين بلاد الترك، وهي طخارستان[1] (نص عليه أبو الريحان) واستعان بملكهم على رد ملك أبيه إليه، واستقلاعه من أخيه هرمز. فانجده، وسار فيروز بجيش طخارستان، وطوائف من عسكر خراسان إلى هرمز، واقتتلا في الري[2]

(١) طخارستان : ولايه واسعة من نواحي خراسان. البلدان ٤ / ٢٢.

(٢) الريّ : من أمهات البلاد وأعلام المدن خارجة من الاقليم الرابع داخلة في الإقليم الخامس. البلدان ١١٦/٣.

فظفر فيروز بأخيه هرمز، فسجنه، وكانت أمهما واحدة فيكون انقضاء ملك هرمز، في سنة ست وستين وسبعمائة للإسكندر.

ثم ملك (فيروز) بن يزدجرد بن بهرام جور، سبعاً وعشرين سنة، وسلك حسن السيرة وظهر في أيامه غلاء وقحط، وغارت الأعين، ويبس النبات، وهلك الوحش، ودام ذلك مدة سبع سنين، وبعدذلك أرسل الله تعالى المطر، وعادت الأحوال إلى أحسن حال.

وكان مَلِكُ الهياطلة حينئذ يسمى (الإخشنوار)، ووقع بينه وبين فيروز، بسبب أنّ فيروزَ خطب ابنة الإخشنوار، فلم يزوجه، فسار فيروز إلى الهياطلة، وذكر لهم ذنوباً، منها أنهم يأتون الذكران، ولم يظفر منهم بشيء، وهلك فيروز بأن تردّى في خندق كان عمله الهياطلة، وغطي فوقع فيه مع جماعته فهلكوا، واحتوى إخشنوار على جميع ما كان في معسكره، فيكون هلاك فيروز في سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة.

ثم ملك بعده ابنه (بلاش) بن فيروز أربع سنين، وكان حسن السيرة، ومات في سنة سبع وتسعين وسبعمائة.

ثم ملك بعده أخوه (قباذ) بن فيروز ثلاثاً وأربعين سنة، منها ست سنين كان فيها قتال بينه وبين أخيه جاماسف، وفي أيام قباذ المذكور، ظهر (مردك) الزنديق وادعى النبوة، وأمر الناس بالتساوي في الأموال، وأن يشتركوا في النساء، لأنهم إخوة لأب وأم، آدم وحواء، ودخل قباذ في دينه فهلك الناس وعظم ذلك عليهم، وأجمعوا على خلع قباذ.

وخلعوه وولوا أخاه (جاماسف) بن فيروز، ولحق قباذ بالهياطلة، فأنجدوه وسار بهم وبعسكر خراسان، والتقى مع أخيه جاماسف، وانتصر عليه، وحبس جاماسف، واستمر قباذ في الملك حتى مات في سنة أربعين وثمانمائة لمضي سبعة أشهر من السنة المذكورة.

ثم ملك بعد قباذ ابنه (انوشروان) بن قباذ بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور ابن يزدجرد الأثيم بن بهرام بن سابور ذي الأكتاف بن هرمز بن نرسي بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أزدشير بن بابك.

وملك أنوشروان ثمانياً وأربعين سنة، ولما تولى الملك كان صغيراً، فلما

استقل بالملك وجلس على السرير قال لخواصه: إني عاهدت الله إنْ صار الملك إليَّ على أمرين:

أحدهما: أن أعيد آل المنذر إلى الحيرة، وأطرد الحارث عنها، وأما الأمر الثاني: فهو قتل المردكية، الذين قد أباحوا نساء الناس وأموالهم، وجعلوهم مشتركين في ذلك. بحيث لا يختص أحد بامرأة ولا بمال، حتّى اختلط أجناس اللؤماء بعناصر الكرماء، وتسهّل سبيل العاهرات إلى قضاء نهمهن، واتصلت السفلة إلى النساء الكرائم التي ما كان أمثال أولئك يتجاسرون أن يملؤوا أعينهم منهنَّ، إذا رأوهن في الطريق، فقال له (مردك) وهو قائم إلى جانب السرير، هل تستطيع أن تقتل الناس جميعاً؟ هذا فساد في الأرض، والله قد ولاك لتصلح، لا لتفسد.

فقال له أنوشروان: يا ابن الخبيثة، أتذكر وقد سألت (قباذ) أن يأذن لك في المبيت عند أمي، فأذن لك. فمضيتَ نحو حجرتها، فلحقتُ بك وقبلْتُ رجلكَ، وإن نتن جواربك ما زال في أنفي، منذ ذلك إلى الآن، وسألتك حتى وهبتها لي ورجعت.

قال: نعم

فأمر حينئذ أنو شروان بقتل مردك، فقتل بين يديه، وأخرِجَ وأحرقت جيفته، ونادى بإباحة دماء المردكية، فقتل منهم في ذلك اليوم عالم كثير، وأباح دماء المانوية أيضاً، وقتل منهم خلقاً كثيراً، وثبّت ملة المجوسية القديمة، وكتب بذلك إلى أصحاب الولايات، وقوي الملك بعد ضعفه، بإدامة النظر وهجر الملاذ، وترك اللهو، وقوي جنده بالأسلحة والكراع، وعمرّ البلاد، وردّ إلى ملكه كثيراً من الأطراف التي غلبت عليها الأمم بعلل وأسباب شتى.

منها (السند والرخج وزابلستان وطخارستان ودروستان)[1] وغيرها، وبنى المعاقل والحصون، وقسّم أموال المردكية على الفقراء، وردَّ الأموال التي لها أصحاب إلى أصحابها وكل مولود اختلف فيه ألحقه بالشبه، وإن كان ولداً للمردكية المقتولة، جعله عبداً لزوج المرأة التي حبلت به من المردكية، وأمر بكل امرأة غلبت على نفسها، أن تعطى من مال المردكي الذي غلبها بقدر مهرها، وأمر بنساء المعروفين

(١) السند: من بلاد الهند وكرمان وسجستان البلدان ٣/ ٢٦٧. الرُخّج: مدينه في نواحي بابل البلدان ٣/ ٣٨. زابُلِستان: كوره جنوبي بلخ وطخارستان. البلدان ٣/ ١٢٥.

اللائي مات من يقوم عليهن، أو تبرأ منهن أهلهن، لفرط الغيرة والأنفة، أن يجمعن في موضع أفرده لهن، وأجرى عليهن ما يمونهن، وأمر أن يزوجن من مال كسرى، وكذلك فعل بالبنات اللائي لم يوجد لهن أب، وأما البنون الذين لم يوجد لهم أب فأضافهم إلى مماليكه، ورد المنذر إلى الحيرة، وطرد الحارث عنها.

وكان من حديث الحارث المذكور: أن العرب كانت قد طمعت في أرض الفرس، أيام قباذ لضعفه عن ضبط المملكة، واستولت كندة على الحيرة، وطردوا اللخميين عنها، وكان ملك اللخميين حينئذ المنذر بن ماء السماء، وملك موضعه الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار ابن عمرو بن معاوية بن ثور وثورهو كندة، ووافق الحارث قباذ على اتباع مردك، فعظمه قباذ وأقامه وطرد المنذر، لذلك فلما استقل أنوشروان بالملك، أعاد المنذر وطرد الحارث عن الحيرة، فهرب، وأرسل المنذر خيلاً في طلب الحارث المذكور، فامسكوا عدة من أهله فقتلهم، وعدم الحارث، واختلف في صورة عدمه.

وسنذكر ذلك عند ذكر ملوك كندة، في الفصل المتضمن ذكر ملوك العرب إن شاء الله تعالى.

وأمر أنوشروان بنساء أبيه قباذ أن يخيرن بين المقام في داره وإجراء الأرزاق عليهن، وبين أن يزوجن بالأكفاء من البعولة، وفتح أنوشروان الرها [١] مدينة هرقل، ثم الإسكندرية، وأذعن له قيصر بالطاعة، وغزا الخزر، ثم توجه إلى نحو عدن، فسكّر هناك ناحية من البحر بين جبلين، بالصخور وعمد الحديد، ثم سار إلى الهياطلة، مطالباً بدم فيروز، وكبس بلادهم، وقتل ملكهم، وخلقاً كثيراً من أصحابه، وتجاوز بلخ وما وراءها.

ثم رجع إلى المدائن وأرسل جيشاً إلى اليمن، وقدّم عليهم (وهرز) فقتلوا الحبشة المستولين عليها، وأعاد ملك أبا سيف بن ذي يزن عليه، بعد قتل ملك الحبشة (مسورق بن أبرهة الأشرم) الذي جاء بالفيل ليهدم الكعبة، وغزا (برجان)[١] وبنى باب الأبواب.

وفي زمانه ولد عبد الله أبو النبي ﷺ، لأربع وعشرين سنة من ملكه، وكذلك

---

(١) الرُّها : مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام. البلدان ٣ / ١٠٦.

(٢) بُرْجان : بلد من نواحي الخزر. البلدان ١ / ٣٧٢.

ولد النبي ﷺ، في السنة الثانية والأربعين من ملك أنوشروان المذكور. ومات أنوشروان في سنة ثمان وثمانين وثمانمائة للإسكندر لمضي سبعة أشهر من السنة المذكورة.

ثم ملك بعده ابنه (هرمز) بن أنوشروان، وكان عادلاً، يأخذ للأدنى من الشريف، وبالغ في ذلك حتى أبغضه خواصه، وأقام الحقّ على بنيه ومحبيه، وأفرط في العدل والتشديد على الأكابر، وقصر أيديهم عن الضعفاء إلى الغاية، ووضع صندوقاً في أعلاه خرق، وأمر أن يلقي المتظلم قصته فيه، والصندوق مختوم بخاتمه، وكان يفتح الصندوقَ وينظر في المظالم خوفاً من أن لا توصل إليه الشكاوى، على بطانته وأهله.

ثم طلب أن يعلم بظلم المتظلم ساعة فساعة، فأمر باتخاذ سلسلة من الطريق، وخرق لها في داره إلى موضع جلوسه وقت خلوته، وجعل فيها جرساً فكان المتظلم يجيءُ من ظاهر الدار فيحرك السلسلة، فيعلم به فيتقدم بإحضاره وإزالة ظلامته، ثم خرج على هرمز عدة أعداء، منهم (شابة) ملك الترك في جمع عظيم، وخرج عليه ملك الروم، وخرج عليه ملك العرب في خلق كثير، حتى نزلوا شاطئ الفرات، فأرسل عسكراً إلى ملك الترك، وقدّم عليهم رجلاً من أهل الري يقال له بهرام جوبين بن بهرام خشنش، واقتتل مع الترك، وآخر ذلك أن بهرام جوبين قتل شابة ملك الترك، ونهب عسكره وطردهم، واستولى على أموال جمة، أرسل بها إلى هرمز.

ثم قام ابن شابة مقام أبيه واصطلح مع بهرام جو بين وتهادنا، ثم أن هرمز أمر بهرام جوبين بالمسير إلى الترك، وغزوهم في بلادهم، فلم ير بهرام ذلك مصلحة، وخاف من هرمز لكونه لم يمتثل ذلك، فاتفق بهرام والعسكر الذين معه وخلعوا طاعة هرمز، فانفذ هرمز إليهم عسكراً فصار أكثرهم مع بهرام جوبين بعد قتال جرى بينهم.

وكان برويز بن هرمز مطروداً عن أبيه، مقيماً باذربيجان فبلغه ضعف أمر أبيه واتفاق أكابر الدولة والعسكر على خلعه، وخشي من استيلاء بهرام جوبين على الملك، فقصد برويز أباه ولما وصل برويز وثب حالا برويز على هرمز وأمسكاه، وسملا عينيه، ولبس برويز التاج وقعد على سرير الملك، وكان من أول ملك هرمز إلى استقرار ابنه برويز في الملك نحو ثلاث عشرة سنة ونصف سنة فإن هرمز بقي معتقلاً مدة ثم خنق.

وجلس برويز على السرير وخالفه بهرام جو بين فإنه لما جلس برويز على سرير

الملك أول مرة أظهر بهرام جوبين عدم طاعته، وانتصر لهرمز، وقصد أن ينتقم من برويز لما فعله في أبيه هرمز، من سمل عينيه، وجرى بين بهرام جوبين وبين برويز مراسلات، لم يرد فيها بهرام جوبين إلا مايسوء برويز، وآخر الحال أن بهرام جوبين تغلب، وخشي برويز أن يقيم أباه الأعمى صورة ويستولي على الملك، فاتفق مع خواصه على قتل أبيه هرمز، فقتلوه ولحق برويز بملك الروم مستنجداً به.

ووصل (بهرام جوبين) ولبس التاج وقعد على سرير الملك، وقال لعظماء الدولة: إنني وإن لم أكن من بيت الملك فإنّ الله ملكني اليوم والمُلك بيده، يملّكه من يشاء، ووصل برويز إلى ملك الروم فزوّجه بنته مريم، وأنجده بثمانين ألف فارس، وسار بهم حتى قارب (بهرام جوبين) فالتقيا وجرى بينهما قتال كثير ولحق ببرويز كثير من الفرس، وولى بهرام جوبين هارباً إلى خراسان ثم لحق بالترك.

ثم تملك (برويز) بعد طرد بهرام جوبين، وفرّق في عسكر الروم أموالاً جليلة، وأعادهم إلى ملكهم، وكان استقرار برويز في الملك في أثناء سنة اثنتين وتسعمائة للإسكندر، وملك برويز ثمانياً وثلاثين سنة.

ولما استقر في الملك غزا الروم وسببه أن الملك الرومي الذي عمل مع برويز ما عمله هلك، فطرد الروم ابنه عن الملك، وأقاموا غيره فجرت بين برويز وبين الروم عدة حروب وكسر الروم ووصلت خيله القسطنطينية، وجمع برويز في مدة ملكه من الأموال ما لم يجتمع لغيره من الملوك، وتزوج شيرين المغنية، وبنى لها قصر شيرين، بين (حلوان وخانقين)[1] وكان له ثمانية عشر ابناً، أكبرهم اسمه (شهريار)، ومنهم (شيرويه) الذي ملك بعد أبيه. وأم شيرويه مريم بنت ملك الروم، ثم إن برويز عتا وتجبر واحتقر الأكابر وظلم الرعية، وكان متولي الحبوس (زادان فروخ) قد أنهى إليه أنه قد اجتمع في الحبس ستة وثلاثون ألف رجل، وقد ضاقت الحبوس عنهم، وقد عظم نتنهم، فإن رأى الملك أن يعاقب من يستحق العقوبة، ويقطع من يستحق القطع، ويفرج عنهم.

---

(١) حلوان: في الإقليم الرابع. مدينة كبيرة عامرة وهي في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد. البلدان ٢ / ٢٩٠. خانقين: بلدة من نواحي السواد في طريق همذان من بغداد. البلدان ٢ / ٣٤٠.

فقال برويز: بل اقتلهم جميعهم، واقطع رؤسهم، واجعلها قدام باب دار المملكة، فاعتذر زادان فروخ عن ذلك، وسأل الإعفاء عنه، فأكد عليه كسرى برويز وقال: إن لم تقتلهم في هذا النهار قتلتك قبلهم، وشتمه وأخرجه على ذلك.

فذهب إليهم زادان فروخ وأعلم المحبَّسين بذلك فكثر ضجيجهم فقال: إن افرجت عنكم تخرجون وتأخذون بأيديكم ما تجدونه في الأسواق من آلات وأخشاب وتكبسون كسرى في داره بغتة، فحلفوا على ذلك، وأفرج عنهم ففعلوا ذلك، ولم يشعر كسرى برويز إلا بالغلبة والصياح، ولم يقدر حاشيته والذين ببابه في ذلك الوقت على رد المذكورين. فهجموا على كسرى برويز في داره، وهرب فاختبأ في جانب بستان بالدار يعرف بباغ الهند، فدلهم عليه بعض الحاشية، فأخرجوه ممسكاً إلى زادان فروخ، فحبسه في دار رجل يقال له (مارسفيد) وقيده بقيد ثقيل، ووكّل به جماعة ومضى إلى عقر[1] بابل.

فجاء (بشيرويه) وأجلسه على سرير الملك، وأطاعه الخاصة والعامة، وجرى بين شيرويه وبين أبيه مراسلات وتقريع، وآخر الامر قال شيرويه لأبيه: لا تعجب إن أنا قتلتك، فإنني اقتدي بك، في سملك عيني أبيك هرمز وقتله، ولو لم تفعل ذلك مع أبيك، ما أقدم عليك ولدك بمثل ذلك وأرسل شيرويه بعض أولاد الأساورة الذي قتلهم برويز وأمرهم بقتله، فقتلوه.

ولمضي اثنتين وثلاثين سنة وخمسة أشهر وخمسة عشر يوماً من ملك برويز، هاجر النبي ﷺ من مكة إلى المدينة وكان هلاك برويز لمضي خمس سنين وستة أشهر وخمسة عشر يوماً للهجرة، لأنه من السنة الثانية والأربعين من ملك أنوشروان، وهي سنة مولد رسول الله ﷺ، إلى نصف السنة الثالثة والثلاثين من ملك برويز وهي عام الهجرة، ثلاث وخمسون سنة وبيان ذلك أن رسول الله ﷺ ولد في السنة الثانية والأربعين من ملك أنوشروان، وهاجر رسول الله ﷺ، لما كان له من العمر ثلاث وخمسون سنة، فيكون لرسول الله ﷺ سبع سنين في أيام أنوشروان، واثنتا عشرة سنة في أيام هرمز بن أنوشروان، وسنة ونصف بالتقريب في الفترة التي كانت بين إمساك هرمز وبين استقرار ابنه برويز، واثنتان وثلاثون سنة ونصف بالتقريب من ملك برويز، ومجموع ذلك ثلاث وخمسون سنة.

---

(١) عقر بابل : قرب كربلاء من الكوفة. البلدان ٤ / ١٣٦.

وعلى ذلك فتكون السنة الثالثة والثلاثون من ملك برويز، هي السنة الخامسة والثلاثون وتسعمائة للإسكندر. بالتقريب، وكانت مدة ملك برويز ثمانياً وثلاثين سنة، فيكون هلاك برويز في سنة أربعين وتسعمائة للإسكندر.

ثم ملك (شيرويه) وكان رديء المزاج، كثير الأمراض، صغير الخلق، وكان إخوته السبعة عشر كأنهم عوالي الرماح، قد كملوا في حسن الخلق، والأخلاق، والأدب، فلما ولي شيرويه الملك قتل الجميع، ثم ندم على قتل إخوته، وابتلى بالأسقام فلم يلتذ بشيء من اللذات، وجزع بعد قتلهم جزعاً شديداً، واحترم نوم الليل، وصار يبكي ليلاً ونهاراً ويرمي التاج عن رأسه، ثم هلك على تلك الحال، وكان مدة ملكه ثمانية أشهر.

ثم ملك (أزدشير)[١] بن شيرويه بن برويز، وقيل إنه كان ابن سبع سنين وحضنه رجل يقال له (مهاذر خشنش)[٢] فأحسن سياسة الملك ثم قتل أزدشير بن شيرويه وكانت مدة ملكه سنة وستة أشهر.

ثم ملك (شهريران)[٣]، وكان من مقدمي الفرس، مقيماً في مقابلة الروم في عسكر عظيم من الفرس، وكان الشام إقطاعه، وأقبل شهريران بعسكره لما بلغه ملك أزدشير بن شيرويه وصغر سنه، وهاجم مدينة طيسبون[٤] ليلاً بعد قتال كثير، وقتل مهاذر خشنش، وقتل أزدشير بن شيرويه، واستولى على الخزائن والأموال ولبس التاج وجلس على سرير الملك، ولم يكن من أهل بيت المملكة، ولما جلس على السرير ودخل الناس للتهنئة، أوجعه بطنه بحيث لم يقدر أن يقوم إلى الخلاء، فدعا بطست وستارة وتبرز بين يدي السرير، فتطير الناس من ذلك وقالوا: هذا لا يدوم ملكه، وكان من سنَّة الفرس إذا ركب الملك أن يقف جماعة حرسه صفين له، وعليهم الدروع والبيض، وبأيديهم السيوف مشهورة والرماح. فإذا حاذاهم الملك وضع كل منهم ترسه على قربوس سرجه، ثم وضع جبهته عليه كهيئة السجود، ثم يرفعون رؤسهم ويسيرون من جانبي الملك يحفظونه.

وركب شهريران، فوقف له بسفروخ وأخواه في جملة الحرس، فلما حاذاهم

---

(١) في الكامل : أزدشير. ج١ ص ٣٨٥.

(٢) في الكامل : بهادر جسنس . ج١ ص ٣٨٥.

(٣) في الكامل : شهربراز . ج١ ص٣٨٦.

(٤) طيسبون : طيسفون : مدينة كسرى التي فيها الإيوان. البلدان ٤ / ٥٥.

شهريران طعنه المذكورون فألقوه عن فرسه، وحملت عظماء الفرس على أصحابه فقتلوا منهم جماعة، وشدّوا في رجل شهريران حبلاً وجروه إقبالاً وإدباراً، لكونه تعرض للملك وليس من بيت المملكة.

ثم ولوا المُلك (بوران) بنت كسرى برويز، فأحسنت السيرة، وردت خشبة الصليب على ملك الروم فعظم موقعها عنده، وأطاعها في كل ما كلفته، وملكت سنة وأربعة أشهر ثم هلكت.

فملك (خشنشدة)[1] من بني عم كسرى برويز، ولمّا ملك خشنشدة المذكور لم يهتد على تدبير الملك، فكان ملكه اقل من شهر وقتل.

ثم ملكت (أرزمي دخت)[2] بنت كسرى برويز، ولما ملكت أظهرت العدل والإحسان، وكان أعظم الفرس حينئذ فرخ هرمز أصبهبذ خراسان، وكانت أرزمي دخت من أحسن النساء صورة، فخطبها فرخ هرمز ليتزوجها، فامتنعت من ذلك، ثم أجابته إلى الاجتماع به في الليل ليقضي وطره منها، فحضر بالليل بالشمع والطيب، فأمرت متولي حرسها فقتله.

وكان رستم بن فرخ هرمز، وهو الذي تولى قتل المسلمين فيما بعد، قد جعله أبوه نائبه على خراسان لما توجه بسبب أرزمي دخت، فلما قتلته جَمَعَ رستم المذكور عسكره وقصد أرزمي دخت بنت كسرى برويز، فقتلها آخذا بثأر أبيه، وكان ملكها ستة أشهر، واختلف عظماءالفرس فيمن يولّونه الملك، فلم يجدوا غير رجل من عقب أزدشير بن بابك.

واسمه (كسرى) بن مهر خشنش[3] فملكوه، ولما ملك المذكور لم يلق به الملك، فقتلوه بعد أيام، فلم يجدوا من يملكونه من بيت المملكة.

فوجدوا رجلاً يقال له (فيروز) بن خستان[4]، يزعم أنه من نسل انوشروان، فملكوا فيروز المذكور ووضعوا التاج على رأسه، وكان رأسه ضخماً فلم يسعه التاج، فقال: ما أضيق هذا التاج، فتطير العظماء من افتتاح كلامه بالضيق وقالوا: هذا لا

---

(١) في الكامل: خشنشبنده. ج١ص٣٨٧.
(٢) في الكامل: أرزميدخت. ج١ص٣٨٧.
(٣) في الكامل: مهرجسنس. ج١ص٣٨٧.
(٤) في الكامل: فيروز بن مهران. ج١ص٣٨٧.

يفلح فقتلوه.

ثم ملك (فرخ زاد خسرو) من أولاد أنوشروان، وملك ستة أشهر وقتلوه.

ثم ملك (يزدجرد) بن شهر يار بن برويز بن هرمز بن أنوشروان بن قباذ بن فيروز بن يزجرد بن بهرام جور بن يزدجرد بن بهرام بن سابور ذي الأكتاف بن هرمز بن نرسي بن بهرام بن بهرام آخر بن هرمز بن سابور بن أزدشير بن بابك.

وكان يزدجرد المذكور مختفياً بإصطخر لما قتل أبوه مع إخوته، حين قتلهم أخوهم شيرويه حسبما ذكرناه، وكان ملك يزدجرد المذكور كالخيال بالنسبة إلى ملك آبائه، وكانت الوزراء تدبر ملكه، وضعفت مملكة فارس واجترأ عليهم أعداؤهم، وغزت المسلمون بلادهم بعد أن مضى من ملكه ثلاث أربع سنين، وكان عمر يزدجردإلى أن قتل بمرو[1]، عشرين سنة، وكان مقتله في خلافة عثمان رضي الله عنه، في سنة إحدى وثلاثين للهجرة، وهو آخر من ملك منهم وزال ملكهم بالإسلام زوالاً إلى الأبد فهذا ترتيب ملوك الفرس من أوشهنج إلى يزدجرد من كتاب تجارب الأمم لابن مسكويه ومن كتاب أبي عيسى.



(١) مرو: مدينة قريبة من مرو الشاهجان وهي على نهر عظيم. البلدان ٥/ ١١٢.

الفصل الثالث

في ذكر فراعنة مصر
ثم ملوك اليونان ثم ملوك الروم

(أما الفراعنة) فهم ملوك القبط بالديار المصرية، قال ابن سعيد المغربي، ونقله من كتاب صاعد في طبقات الأمم: إن أهل مصر كانوا أهل ملك عظيم في الدهور الخالية والأزمان السالفة، وكانوا أخلاطا من الأمم ما بين قبطي ويوناني وعمليقي، الا أن جمهرتهم قبط.

قال: وأكثر ما تملك مصر الغرباء، قال: وكانوا صابئة يعبدون الأصنام، وصار بعد الطوفان بمصر علماء بضروب من العلوم، خاصة بعلم الطلسمات والنيرنجات والكيمياء، وكانت مدينة (منف)[1] هي كرسي المملكة، وهي على اثني عشر ميلاً من الفسطاط.

قال: ابن سعيد وأسنده الى الشريف الإدريسي: إنّ أول من ملك مصر بعد الطوفان (بيصر) بن حام بن نوح، ونزل مدينة منف هو وثلاثون من ولده وأهله، ثم ملكها بعده ابنه (مصر) بن بيصر، وسميت البلاد به، لامتداد عمره وطول مدة ملكه، ثم ملك بعده ابنه (قفط) بن مصر، ثم ملك بعده أخوه (أتريب) بن مصر، وأتريب المذكور هو الذي بنى مدينة عين شمس[2] وبها الآثار العظيمة، إلى الآن، ثم ملك بعده أخوه (صا) وبه سميت مدينة (صا)[3] وهي مدينة خراب على النيل من أسفله، ثم ملك بعده (تذراس)، ثم ملك بعده (ماليق) بن تذراس ثم ملك بعده ابنه (حرابا) بن ماليق. ثم ملك بعده (كلكلى) بن حرابا، وكان ذا حكمة، وهو أول من جمّد الزئبق، وسبك الزجاج. ثم ملك بعده (حريبا) بن ماليق وكان شديد الكفر. ثم ملك بعده (طوليس) وهو فرعون إبراهيم عليه السلام. وهو الذي وهب سارة هاجر، وكان مسكن طوليس (بالفرما)[4] ثم ملك بعده أخته

---

(١) منف: مدينة فرعون بمصر. البلدان ٥ / ٢١٣.

(٢) عين شمس: اسم مدينة فرعون موسى بمصر بينها وبين الفسطاط ثلاثة فراسخ. البلدان ٤ / ١٧٨.

(٣) صا: كورة بخصر في الجوف الغربي. البلدان ٣ / ٣٨٧.

(٤) العزما: مدينة على الساحل من ناحية مصر، البلدان ٤ / ٢٥٥.

(جورياق) . ثم ملك بعدها (زلفا) بنت مامون، وكانت عاجزة عن ضبط المملكة، وسمعت عمالقة الشام بضعفها فغزوها وملكوا مصر. وصارت الدولة للعمالقة وكان الذي أخذ الملك منها (الوليد) بن دومغ العملاقي، وكان يعبد البقر، فقتله أسد في بعض متصيداته، وقيل هو أول من تسمى بفرعون، وصار ذلك لقباً لكل من ملك مصر بعده.

ثم ملك بعده ابنه (الريان) بن الوليد وهو فرعون يوسف، ونزل مدينة عين شمس. ثم ملك بعده ابنه (دارم) بن الريان، وفي زمانه توفي يوسف الصديق عليه السلام، وتجبر دارم المذكور واشتد كفره، وركب في النيل فبعث الله تعالى عليه ريحاً عاصفة أغرقته بالقرب من حلوان. ثم ملك بعده (كاسم) بن معدان العمليقي أيضا، وقصد أن يهدم الهرمين، فقال له حكماء مصر إن خراج مصر لايفي بهدمهما، وايضاً فانهما قبران لنبيين عظيمين، وهما شيث بن آدم، وهرمس، فأمسك عن هدمهما.

ثم ملك بعده (الوليد) بن مصعب، وهو فرعون موسى عليه السلام. وقد اختلف فيه فقيل إنه من العمالقة، وهو الأظهر وقيل إنه هو فرعون يوسف. وأطال الله تعالى عمره إلى أيام موسى عليه السلام، قال ابن سعيد، وذكر القرطبي في تاريخ مصر أنّ الوليد المذكور كان من القبط، وكان في أول أمره صاحب شرطة لكاسم العملاقي، وكانت الأقباط قد كثرت، فملكوا الوليد المذكور بعد كاسم وانقرضت من حينئذ دولة العمالقة من مصر، قال: والوليد المذكور هو الذي ادّعى الربوبية. قال: وصنف الناس في سيرته وخلدوا ذكرها، وكانت أرض مصر على أيامه في نهاية من العمارة، فعظمت دولته وكثرت عساكره، وفي مناجاة موسى عليه السلام، «يا رب لم أطلت عمر عدوك فرعون» يعني الوليد المذكور مع ادعائه ما انفردتَ به من الربوبية، وجحد نعمتك، فقال الله تعالى: أمهلته لأن فيه خصلتين من خصال الإيمان، الجود والحياء، وكان هامان وزير فرعون المذكور، وهو الذي حفر لفرعون خليج السردوسي، ولما أخذ هامان في حفره ساله أهل كل قرية أن يجريه إليهم، ويعطوه على ذلك مالاً، وكان ياتي به إلى القرية نحو المشرق، ثم يرده إلى القرية من نحو المغرب، وكذلك في الجنوب والشمال، واجتمع لهامان من ذلك نحو مائة ألف دينار، فاتى بها إلى فرعون واخبره بالقضية فقال فرعون: ويحك إنّه ينبغي للسيد أن يعطف على عبيده، ولا يطمع بما في أيديهم، وردّ على أهل كل قرية ما أخذ منهم.

واخبر فرعون المذكور المنجمون بظهور موسى عليه السلام، وزوال ملكه على

يده، فأخذ في قتل الأطفال حتى قتل تسعين ألف ألف طفل، وسلمّ الله تعالى نبيه موسى عليه السلام منه بأن التقطته زوج فرعون آسية، وحمته منه، وتزعم اليهود أنَّ التي التقطت موسى هي بنت فرعون لا زوجته، والأصح أنها زوجته، حسبما نطق به القرآن العظيم، ولما كان منه ومن موسى ما تقدّم ذكره من أظهار الآيات لفرعون، وهي العصا ويده البيضاء والجراد والقمل والضفادع وصيرورة الماء دماً وغير ذلك، سلمّ فرعون بني إسرائيل إلى موسى عليه السلام، ولما أخذهم موسى وسار بهم ندم فرعون على ذلك، وركب بعساكره وتبعهم فلحقهم عند بحر القلزم[1] ، وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام، فضرب البحر بعصاه فصار فيه اثنا عشر طريقاً لكل سبط طريق، فتبعه فرعون فغرق هو وجنوده وكان هلاك فرعون المذكور بعدمضي ثمانين سنة من عمر موسى عليه السلام، وكان قد تملك من قبل ولادة موسى ، ولذلك امر بقتل الأطفال في أيام ولادة موسى عليه السلام فمدة ملك فرعون المذكور تزيد على ثمانين سنة قطعاً.

ولما هلك فرعون المذكور ملكت القبط بعده (دلوكة) المشهورة بالعجوز، وهي من بنات ملوك القبط، وكان السحر قد انتهى إليها وطال عمرها حتى عرفت بالعجوز وصنعت على أرض مصر من أول أرضها في حد أسوان إلى آخرها سوراً متصلاً (إلى هنا انتهى كلام ابن سعيد المغربي) ولم يذكر من تولى بعد دلوكة.

ثم إني وجدت في أوراق قد نقلت من تاريخ ابن حنون الطبري، وهو تاريخ ذكر فيه ملوك مصر في قديم الزمان قال: ثم ملك مصر بعد دلوكة صبي من أبناء أكابر القبط، كان يقال له (دركون) بن بكتوس، ثم ملك بعده (توذس)، ثم ملك بعده أخوه (لقاش)، ثم ملك بعده أخوه (مرينا)، ثم ملك بعده (أستماذس)، ثم ملك بعده (يلطوس) بن ميكاكيل، ثم ملك بعده (مالوس) ثم ملك بعده (مناكيل) ثم ملك بعده (يولة) وهو الذي غزا رحبعم بن سليمان بن داود عليهما السلام، وقد ذكر في كتب اليهود أن فرعون الذي غزا بني إسرائيل على أيام رحبعم كان اسمه (شيشاق) وهو الأصح، ثم لم يشتهر بعد شيشاق المذكور، غير فرعون الأعرج، وهو الذي غزاه بخت نصر وصلبه، وكان بين رحبعم بن سليمان عليه السلام

---

(١) بحر القلزم : البحر الأحمر .

وبخت نصر فوق أربعمائة سنة، وكان شيشاق على أيام رحبعم، فشيشاق قبل فرعون الأعرج بأكثر من أربعمائة سنة، ولم يقع لي اسماء الفراعنة الذين كانوا في هذه المدة، أعني فيما بين شيشاق وفرعون الأعرج.

ولما قتل بخت نصر فرعون المذكور وغزا مصر وأباد أهلها، بقيت مصر أربعين سنة خراباً.

ومن كتاب ابن سعيد المغربي قال: وصارت مصر والشام من حين غزاهما بخت نصر تحت ولايته حتى مات بخت نصر، وتوالت الولاة من جهة بني بخت نصر على مصر والشام حتى انقرضت دولة بني بخت نصر فتوالت ولاة الفرس على مصر، فكان منهم (كشروس) الفارسي باني قصر الشمع، ثم تولى بعده (طخارست) الطويل قال: وفي أيامه كان بقراط الحكيم، وتوالت بعده نواب الفرس الى ظهور الإسكندر وغلبته على الفرس.

(ذكر ملوك اليونان)

أما ملوك اليونان، فأول من اشتهر منهم (فيلبس) والد الإسكندر، وكان مقر ملكه بمقذونية[1]، وهي مدينة حكماء اليونان، وهي مدينة على جانب الخليج القسطنطيني من شرقيه.

وكانت ملوك اليونان طوائف، ولم يشتهر منهم غير فيلبس المذكور، وكان فيلبس المذكور يؤدي الأتاوة لملوك الفرس، فلما مات فيلبس المذكور ملك بعده ابنه (الإسكندر) بن فيلبس، وقد مرّت أخبار الإسكندر مع ملوك الفرس، وملك الإسكندر نحو ثلاث عشرة سنة ومات الإسكندر في أواخر السنة السابعة من غلبته على ملك الفرس.

ولما مات انقسمت البلاد بين الملوك، فملك بعض الشام والعراق (أنطياخس). وملك مقذونية أخو الإسكندر واسمه (فيلبس) أيضاً باسم أبيه وملك بلاد العجم ملوك الطوائف، الذين رتبهم الإسكندر. وملك مصر وبعض الشام والمغرب البطالسة، وهم ملوك اليونان، وكان يسمى كل واحد منهم بطلميوس، وهي لفظة مشتقة من الحرب معناها أسد الحرب، وكان عدد البطالسة الذي ملكوا

(١) مقذونية: بمصر، وقصبتها الفسطاط ومن دونها الغربية والجيزة وعين شمس. البلدان ٥/ ١٧٣.

بعد الإسكندر ثلاثة عشر ملكا. وكان آخرهم الملكة قلوبطرا [١] بنت بطلميوس، ولم أعلم أي بطلميوس هو ولا كنيته، وزال ملكهم بملك اغستوس[٢] الرومي، وصارت الدولة للروم، وكانت جميع مدة ملك اليونان مائتين وخمساً وسبعين سنة، وكان بين غلبة الإسكندر على ملك فارس وبين غلبة أغستوس، مائتان واثنتان وثمانون سنة. وبقي الإسكندر بعد غلبته على دارا نحو سبع سنين، وإذا أنقصنا سبعاً من مائتين واثنتين وثمانين سنة بقي من موت الإسكندر إلى غلبة أغستوس مائتان وخمس وسبعون سنة، هي مدة ملك البطالسة.

وأول البطالسة بعد الإسكندر بطلميوس (سشوس) ابن لاغوس، وكان يلقب المنطقي، وملك المذكور عشرين سنة فيكون موت ابن لاغوس المذكور، لسبع وعشرين[٣] سنة مضت من غلبة الإسكندر.

ثم ملك بعده بطلميوس الثاني واسمه (فيلوذفوس)[٤] ومعناه محب أخيه، وملك ثمانياً وثلاثين سنة[٥]، وهو الذي نقلت له التوراة من العبرانية إلى اليونانية، وهو الذي عتق اليهود الذي وجدهم أسرى لما تملك، وقد تقدم ذكر ذلك بعد ذكر بني إسرائيل. فيكون موت محب أخيه المذكور لخمس وستين سنة مضت من غلبة الإسكندر.

ثم ملك بعده بطلميوس الثالث واسمه (أوراخيطس)[٦] وملك خمساً وعشرين سنة، وفي أيامه أدى له ملك الشام الأتاوة، فيكون موت أوراخيطس المذكور، لتسعين سنة مضت من غلبة الإسكندر.

ثم ملك بعده بطلميوس الرابع واسمه (فيلو بطور)[٧] ومعناه محب أبيه، وملك سبع عشرة سنة، فيكون موت محب أبيه المذكور، لمضي مائة سنة وسبع

---

(١) في الكامل: كيلوباترا ج١ ص ٢٢٣.

(٢) في الكامل: اغسطوس ج١ص٢٢٣ويذكر ابن الأثير انّ أول من ملك من الروم هو جايوس يوليوس ثم ملك بعده اغسطوس ج١ص٢٢٣.

(٣) في الكامل: كان ملكه ثمانياً وثلاثين سنه ج١ص٢٢٣.

(٤) في الكامل: فيلادلفوس ج١ص٢٢٣.

(٥) في الكامل: أربعين سنة ج١ص٢٢٣.

(٦) في الكامل: اورغاطس ج١ ص٢٢٣ ملك تسع وعشرين سنة.

(٧) في الكامل: بطليموس ساطر ج١ ص٢٢٣.

سنين من غلبة الإسكندر. ثم ملك بعده بطلميوس الخامس واسمه (فيفنوس)[١] أربعاً وعشرين سنة، فيكون موت فيفنوس المذكور لمائة وإحدى وثلاثين سنة مضت من غلبة الإسكندر.

ثم ملك بعده بطلميوس السادس واسمه (فيلو ميطور)[٢] ومعناه محب أمه، وملك خمساً وثلاثين سنة. فموته لمضي مائة وست وستين سنة لغلبة الإسكندر.

ثم ملك بعده بطلميوس السابع واسمه (أوراخيطس) الثاني، وملك تسعاً وعشرين سنة فموته لمضي مائة وخمس وتسعين سنة للإسكندر.

ثم ملك بعده بطلميوس الثامن واسمه (سوطيرا) ست عشرة سنة، فيكون موت سوطيرا المذكور لمضي مائتين وإحدى عشرة سنة لغلبة الإسكندر.

ثم ملك بعد بطلميوس التاسع واسمه (سيد يريطس) تسع سنين، فيكون موته لمضي مائتين وعشرين سنة لغلبة الإسكندر.

ثم ملك بعده بطلميوس العاشر واسمه (إسكندروس) ثلاث سنين فموته لمضي مائتين وثلاث وعشرين سنة للإسكندر.

ثم ملك بعده بطلميوس الحادي عشر واسمه (فيلوذفوس) آخر وملك ثمان سنين، فموت فيلوذفوس المذكور لمضي مائتين وإحدى وثلاثين سنة للإسكندر.

ثم ملك بطلميوس الثاني عشر واسمه (دينو سيوس) تسعاً وعشرين سنة، فيكون موت المذكور لمضي مائتين وستين سنة للإسكندر.

ثم ملكت (قلوبطرا) وهي الثالثة عشرة، وملكت المذكورة اثنتين وعشرين[٣] سنة، وعند مضي اثنتين وعشرين سنة من ملكها غلبها أغسطس[٤] على الملك فقتلت قلوبطرا نفسها وانقرض بذلك ملك اليونان، وانتقلت المملكة حينئذ إلى الروم، وهم بنو الأصفر، فموت قلوبطرا وغلبة أغسطس كان لمضي مائتين

---

(١) في الكامل : بطليموس الأخشدر . إحدى عشرة سنة. ج١ص٢٢٣.

(٢) في الكامل : جاء بعده بطليموس الذي اختفى عن ملكه ثماني سنين ، ثمّ جاءت بعده كيلوبترا . ولم يذكر البطالة الذين يذكرهم أبي الفداء بين ما سمّاه أبي الفداء «فليو ميطور» وبين كيلوبترا وعددهم (أربعة). ج١ ص٢٢٣.

(٣) في الكامل : سبع عشرة سنة. ج١ ص ٢٢٣.

(٤) في الكامل : أول ملوك الرّوم بعد كيلو باترا : جايوس يوليوس، خمس سنين. ثم جاء بعده أغسطوس، ستاً وخمسين سنة : ج١ص٢٢٣ وهو الذي قتل كيلوباترا ص٢٤٩.

واثنتين وثمانين سنة لغلبة الإسكندر.

(ذكر ملوك الروم)

ذكر أبو عيسى في كتابه أنّ أول ما ملكت عليهم الروم روملّس وروما ناوس، فبنيا مدينة رومية، واشتقا اسمها من اسمهما. ثم وثب روملس على أخيه روما ناوس فقتله، وملك بعد قتله ثمانياً وثلاثين سنة، وحده، واتخذ روملس برومية ملعبا عجيباً.

ثم ملك بعده على رومية عدة ملوك ولم يشتهروا ولا وقعت إلينا أخبارهم. (ومن الكامل) لابن الأثير، أنّ ملوك الروم كان مقر ملكهم رومية الكبرى، قبل غلبتهم على اليونان، وكان الروم يدينون بدين الصابئين ولهم أصنام على أسماء الكواكب السبعة يعبدونها، وكان أول من اشتهر من ملوكهم (غانيوس)[1] ثم ملك بعده (يوليوس)، ثم ملك بعده (أغسطس) بشينين معجمتين. ولكن لما عرّب صار بسينين مهملتين، ولقبه قيصر، ومعناه شق عنه لأنّ أمه ماتت قبل أن تلده، فشقوا بطنها وأخرجوه، فلقب قيصر وصار لقباً لملوك الروم بعده.

وخرج أغسطس في السنة الثانية عشرة من ملكه من رومية بعساكر عظيمة، في البر والبحر، وسار إلى الديار المصرية، واستولى على ملك اليونان، وكانت قلوبطرا هي ملكة اليونان وكان مقامها في الإسكندرية، فلما غلبها أغسطس قتلت قلوبطرا نفسها في السنة الثانية عشرة من ملك أغسطس، ولما ملك أغسطس الرومي على اليونان اضمحل ذكر اليونان ودخلوا في الروم، ولما ملك أغسطس ديار مصر والشام دخلت بنو إسرائيل تحت طاعته، كما كانوا تحت طاعة البطالسة ملوك اليونان.

فولى أغسطس ببيت المقدس على اليهود والياً منهم وكان يلقب هرذوس حسبما تقدم ذكره، وفي أيام أغسطس ولد المسيح عليه السلام، وقد تقدم ذكره أيضاً، وكانت غلبة أغسطس على ديار مصر وقتل قلوبطرا لمضي مائتين واثنتين وثمانين سنة لغلبة الإسكندر، وكانت مدة ملك أغسطس ثلاثاً وأربعين سنة، منها اثنتا عشرة سنة قبل غلبته على اليونان، وإحدى وثلاثون سنة من غلبته إلى وفاته، وكان موت أغسطس لمضي ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة لغلبة الإسكندر.

---

(١) في الكامل: غاليوس. ج١ ص٢٤٩.

ثم ملك بعد أغسطس (طبياريوس) في أول سنة ثلاثمائة وأربع عشرة سنة للإسكندر، (من كتاب أبي عيسى) انّ طبياريوس ملك اثنتين وعشرين سنة[١]، وطبياريوس المذكور هو الذي بنى طبرية[٢] بالشام، واشتق اسمها من اسمه، ومات طبياريوس لمضى ثلاثمائة وخمس وثلاثين سنة للإسكندر.

ثم ملك بعد طبياريوس (غانيوس)[٣] قال أبو عيسى وملك غانيوس أربع سنين ولمضي السنة الأولى من ملك غانيوس رفع المسيح عيسى بن مريم عليه السلام[٤] فيكون رفعه لمضي سنة ست وثلاثين وثلاثمائة للإسكندر، ومات غانيوس لمضي سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة للإسكندر.

ثم ملك بعدغاينوس (قلوذيوس) قال أبو عيسى: وملك قلوذيوس أربع عشرة سنة (من القانون) وفي أيام قلوذيوس كان سيمون الساحر برومية. (من الكامل) وفي مدة ملك قلوذيوس المذكور حبس شمعون، ثم خلص وسار إلى انطاكية، ودعا إلى النصرانية، ثم سار إلى رومية ودعا أهلها أيضاً فأجابته زوجة الملك، وكان موت قلوذيوس لمضي سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة للإسكندر.

ثم ملك بعده (نارون)[٥] (من قانون أبي الريحان البيروتي) أنه ملك ثلاث عشرة سنة، وهو الذي قتل في آخر ملكه بطرس وبولص برومية، وصلبهما منكسين، وكان موت نارون المذكور في أواخر سنة ست وستين وثلاثمائة للإسكندر.

ثم ملك بعده (ساسيانوس)[٦] قال أبو عيسى وملك ساسيانوس المذكور عشر سنين، فيكون موته في أواخر سنة ست وسبعين وثلاثمائة.

ثم ملك بعده (طيطوس) من القانون ملك سبع سنين، وهو الذي غزا اليهود واسرهم وباعهم وخرب بيت المقدس وأحرق الهيكل، وقد تقدم ذلك عند ذكر خراب بيت المقدس الخراب الثاني، وكان موت طيطوس في أواخر سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة للإسكندر.

---

(١) في الكامل ثلاثاً وعشرين سنة ج١ ص٢٤٩.
(٢) طبرية: بليدة مطلة على بحيرة طبرية.
(٣) في الكامل: غايوس. ج١ ص٢٤٩.
(٤) في الكامل: رفع المسيح عليه السلام في عهد طيباريوس. ج١ ص٢٤٩.
(٥) في الكامل: نيرون. ج١ص٢٤٩.
(٦) في الكامل: ملك بعده مارينوس سبعة أشهر، ثم أوثون ثلاثة أشهر، ثم بيطاليس احدعشر شهراً، ثم واسباسيانوس سبع سنين وسبعة أشهر. ج١ ص٢٥٠.

ثم ملك بعده (ذو مطينوس)[١] من القانون ملك خمس عشرة سنة،وتتبع النصارى واليهود وأمر بقتلهم، وكان دينه ودين غيره من الروم عبادة الأصنام حسبما قدّمنا ذكره، وكان موت ذو مطينوس في أواخر سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة .

ثم ملك بعده (نارواس)[٢] من كتاب أبي عيسى أنه ملك سنة واحدة وكانت وفاته في أواخر سنة تسع وتسعين وثلاثمائة للإسكندر .

ثم ملك بعده (طرايانوس) وقيل غراطيانوس من كتاب أبي عيسى، ملك تسع عشرة سنة وقيلَ تسعاً وعشرين سنة، فيكون موته في أواخر سنة ثماني عشرة وأربعمائة للإسكندر .

ثم ملك بعده (أذريانوس)[٣] من كتاب أبي عيسى، ملك إحدى وعشرين سنة، وكان في أيامه بطلميوس صاحب المجسطي، وقد تقدم أن بطلميوس لقب ملوك اليونان الذين ملكوا بعد الإسكندر . ثم تسمى به الناس، وكان من جملتهم بطلميوس المذكور، قال في الكامل: وبطلميوس صاحب المجسطي المذكور من ولد قلوذيوس، ولهذا قيلَ له القلوذي، وتجذّم أذريانوس المذكور لمضي ثماني عشرة سنة من ملكه، فسار إلى مصر يطلب شفاء لجذامه فلم يجد ذلك، وكان موته في أواخر سنة تسع وثلاثين وأربعمائة للإسكندر .

ثم ملك بعده (أنطونينوس)[٤] قال أبو عيسى ملك ثلاثاً وعشرين سنة وكان أحد رصّاد بطلميوس صاحب المجسطي في السنة الثالثة من ملكه، وكان موته في أواخر سنة اثنتين وأربعمائة للإسكندر .

ثم ملك بعده (مرقوس)[٥] وقيلَ قوموذوس وشركاوه، (من القانون) ملك تسع عشرة سنة .

(ومن الكامل) لابن الأثير في أيامه أظهر ابن ديصان مقالته من القول بالاثنين، وكان ابن ديصان أسقفاً بالرها ونسب إلى نهر على باب الرها اسمه ديصان، لانه بنى على جانب النهر كنيسة .

---

(١) في الكامل : ذو مطيانش . ج١ص٢٥٠ .
(٢) في الكامل : نرواس . ج١ص٢٥٠ .
(٣) في الكامل : إيليا أندريانوس ج١ص٢٥٠ .
(٤) في الكامل: انطنينس بيوس . ج١ص٢٥٠ .
(٥) في الكامل: مرقص ويسمّى اورليوس . ج١ص٢٥١ .

ثم مات مرقوس في أواخر سنة إحدى وثمانين وأربعمائة للإسكندر.

ثم ملك بعده (قوموذوس) من القانون، ثلاث عشرة سنة، وفي آخر أيامه خنق نفسه ومات بغتة، كان موته في أواخر سنة أربع وتسعين وأربعمائة للإسكندر.

وقال في الكامل أن جالينوس كان في أيام قوموذوس المذكور، وقد أدرك جالينوس بطلميوس، وكان دين النصارى قد ظهر في أيامه وقد ذكرهم جالينوس في كتابه في جوامع كتاب أفلاطون في سياسة المدن، فقال: إن جمهور الناس لا يمكنهم أن يفهموا سياقة الأقاويل البرهانية، ولذلك صاروا محتاجين إلى رموز ينتفعون بها، يعني بالرموز الأخبار عن الثواب والعقاب في الدار الآخرة، من ذلك أنّا نرى الآن القوم الذين يدعون نصارى، إنما أخذوا إيمانهم عن الرموز، وقد يظهر منهم أفعال مثل أفعال من تفلسف بالحقيقة، وذاك أن عدم جزعهم من الموت أمر قد نراه كلنا، وكذلك أيضا عفافهم عن استعمال الجماع، فإن منهم قوماً رجالاً ونساءً أيضاً قد أقاموا جميع أيام حياتهم ممتنعين عن الجماع، ومنهم قوم قد بلغ من ضبطهم لأنفسهم في التدبير، وشدة حرصهم على العدل، أن صاروا غير مقصرين عن الدين، يتفلسفون بالحقيقة (انتهى كلام جالينوس).

ثم ملك بعد قوموذوس المذكور (فرطنجوس)[١] ستة أشهر، وقتل في رحبة القصر، فيكون موته في منتصف سنة خمس وتسعين وأربعمائة.

ثم ملك بعده (سيوارس) (من القانون) ملك ثماني عشرة سنة، وفي أيامه بحثت الأساقفة عن أمر الفصح وأصلحوا رأس الصوم، وهلك سيوارس المذكور في منتصف سنة ثلاث عشرة وخمسمائة.

ثم ملك بعده (أنطينينوس)[٢] الثاني من كتاب أبي عيسى أربع سنين، وقتل مابين حران والرها[٣]، فيكون هلاكه في منتصف سنة سبع عشرة وخمسمائة.

ثم ملك بعده (الإسكندروس)[٤] من كتاب أبي عيسى ثلاث عشرة سنة،

---

(١) في الكامل: برطينقش. ثلاثة أشهر. ج١ص ٢٥١.

(٢) في الكامل: انطونيوس. ج١ص٢٥١.

(٣) حرّان: قصبة ديار مضر على طريق الموصل الشام. البلدان ٢ / ٢٣٥.

(٤) يذكر ابن الاثير في الكامل: مقرونيوس وأنطونيوس الثاني قبل الاكضدروس. ج١ص٢٥١.

فيكون موته في منتصف سنة ثلاثين وخمسمائة

ثم ملك بعده (مكسيمينوس)[١] من القانون ثلاث سنين، وشدد في قتل النصارى، وإن موته في منتصف سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة للإسكندر.

ثم ملك بعده (غورذيانوس)[٢] من كتاب أبي عيسى، ست سنين وقتل في حدود فارس، وكان هلاكه في منتصف سنة تسع وثلاثين وخمسمائة للإسكندر.

ثم ملك بعده (دقيوس)[٣] ويقال دقيانوس من كتاب أبي عيسى سنة واحدة، وكان الملك الذي قبله قد تنصّر، فخرج عليه دقيوس وقتله، وأعاد عبادة الأصنام ودين الصابئين، وتتبع النصارى يقتلهم، ومنه هرب الفتية أصحاب الكهف، وكانوا سبعة، وناموا والله أعلم بما لبثوا، كما أخبر الله تعالى، وكان هلاك دقيوس في منتصف سنة أربعين وخمسمائة.

ثم ملك بعده (غاليوس) من كتاب أبي عيسى وملك ثلاث سنين، ومات في منتصف سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة للإسكندر.

ثم ملك بعده (غلينوس وولريانوس)[٤] من كتاب أبي عيسى ملكا خمس عشرة سنة. (ومن الكامل) ان ولريانوس، وقيل اسمه ولوسينوس، انفرد بالملك بعد سنتين من اشتراكهما. فيكون موت المذكور في منتصف سنة ثمان وخمسين وخمسمائة.

ثم ملك بعده (قلوذيوس)[٥] سنة واحدة فيكون هلاكه في منتصف سنة تسع وخمسين وخمسمائة.

ثم ملك بعده (أذرفاس)[٦] وقيل أورليانوس، من كتاب أبي عيسى. ملك ست سنين ومات بصاعقة، فيكون هلاكه في منتصف سنة خمس وستين وخمسمائة.

ثم ملك بعده (قرونوس)[٧] من كتاب أبي عيسى. سبع سنين وهلك في

---

(١) في الكامل: مقسميانوس. ج١ص٢٥١.

(٢) في الكامل: يذكر مقسموس قبل غرديانوس. ج١ص ٢٥١.

(٣) في الكامل: يذكر فيلبوس ست سنين وقد تنصّر وترك الصابئين. قتله داقيوس واستولى على الملك. ج١ص ٢٥١.

(٤) في الكامل: قلوديوس ثمّ ابنه أورليانوس ست سنين. ج١ص٢٥٢.

(٥) في الكامل: قلوديوس ملك قبل ابنه أورليانوس. ج١ص٢٥٢.

(٦) في الكامل: طافيوس وأخوه فورس. ج١ص٢٥٢.

(٧) في الكامل: بريروس. تسع سنين. ج١ص٢٥٢.

منتصف سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة،

ثم ملك بعده (قاروس) وشركته. من كتاب أبي عيسى. سنتين، ومات في منتصف سنة أربع وسبعين وخمسمائة للإسكندر.

ثم ملك بعده (دقلطيانوس) إحدى وعشرين[1] سنة، ولثلاث عشرة سنة مضت من ملكه عصى عليه أهل مصر والإسكندرية، فسار إليهم من رومية وغلبهم وأنكى فيهم، ودقلطيانوس المذكور آخر عبدة الأصنام من ملوك الروم[2] فإنهم تنصروا بعده، وكان هلاك دقلطيانوس في منتصف سنة خمس وتسعين وخمسمائة للإسكندر.

ثم ملك بعده (قسطنطين المظفر) إحدى وثلاثين سنة (من القانون) ولثلاث مضت من ملكه، انتقل من رومية إلى قسطنطينية[3] وبنى سورها وتنصر، وكان اسمها البزنطية فسماها القسطنطينية، وزعمت النصارى أنه بعد ست سنين خلت من ملك قسطنطين المذكور، ظهر له في السماء شبه الصليب، فآمن بالنصرانية وكان قبل ذلك هو ومن تقدمه على دين الصابئة، يعبدون أصناماً على أسماء الكواكب السبعة، ولعشرين سنة مضت من ملك قسطنطين المذكور، اجتمع ألفان وثمانية وأربعون أسقفاً، ثم اختار منهم ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً، فحرموا أريوس الإسكندراني لكونه يقول: إنّ المسيح كان مخلوقاً، واتفقت الأساقفة المذكورون لدى قسطنطين ووضعوا شرائع النصرانية بعد أن لم تكن، وكان رئيس هذه البطارقة بطريق الإسكندرية، وفي إحدى عشرة خلت من ملكه سارت أم قسطنطين واسمها هيلاني إلى القدس، وأخرجت خشبة الصلبوت وأقامت لذلك عيداً يسمى عيد الصليب، وبنى قسطنطين وأمه عدة كنائس فمنها قيامة[4] بالقدس وكنيسة حمص وكنيسة الرها وكان موت قسطنطين في منتصف سنة ست وعشرين وستمائة للإسكندر، ولما مات قسطنطين انقسمت مملكته بين بنيه الثلاثة، وكان الحاكم عليهم منهم (قسطس)[5] من القانون وملك قسطس بن قسطنطين أربعاً وعشرين

---

(١) في الكامل: سبع عشرة سنة ج١ص٢٥٢.

(٢) في الكامل: ملك بعد دقلطيانوس: مقسيمانوس وشاركه مقسمطيوس وتملك معهم قسطنطين أبو قسطنطين المعروف بامه هيلانة الذي تنصّر. ج١ص٢٥٢.

(٣) قسطنطينية: كانت دار ملك الرّوم. اسمها الآن إصطنبول. البلدان ٤/٣٤٧.

(٤) كنيسة القيامة، الكامل. ج١ص٢٥٣.

(٥) في الكامل قسطنطين هو الحاكم على قسطنس وقسطوس. ج١ص٢٥٤.

سنة، وكان موته في منتصف سنة خمسين وستمائة.

ثم خرج الملك عن بني قسطنطين وملك (لليانوس)[1] وارتد إلى عبادة الأصنام، وسار إلى سابور ذي الأكتاف وقهره، ثم قتل في أرض الفرس بسهم غرب، وكان قد انتصر على سابور ذي الأكتاف حسبما تقدم ذكره مع ذكر سابور ذي الأكتاف في الفصل الثاني، ولما هلك لليانوس اضطرب عسكره وخافوا من الفرس، وكانت مدة ملك لليانوس سنتين، وهلك في سنة اثنتين وخمسين وستمائة للإسكندر.

ثم ملك بعده (يونيانوس) سنة واحدة من كتاب أبي عيسى ويونيانوس المذكور لما ملك أظهر تنصره، وأعاد ملة النصرانية إلى ما كانت عليه، ولما ملك المذكور على الروم وهم بأرض الفرس، اصطلح يونيانوس مع سابور، ووصل إلى سابور واجتمعا واعتنقا، ثم عاد يونيانوس بالعسكر إلى بلاده ومات في منتصف سنة ثلاث وخمسين وستمائة للإسكندر.

ثم ملك بعده (والنطيانوس)[2] من كتاب أبي عيسى ملك أربع عشرة سنة، وكان موته في منتصف سنة سبع وستين وستمائة.

ثم ملك بعده (أنونيانوس) قال أبو عيسى: وملك ثلاث سنين، فيكون موته في منتصف سنة سبعين وستمائة.

ثم ملك بعده (خرطيانوس) من كتاب أبي عيسى ملك ثلاث سنين، فيكون موته في منتصف سنة ثلاث وسبعين وستمائة.

ثم ملك بعده (ثاوذوسيوس) الكبير من كتاب أبي عيسى. ملك تسعاً وأربعين سنة، فيكن موته في منتصف سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة للإسكندر.

ثم ملك بعده (أرقاذيوس) بقسطنطينية، وشريكه (أونوريوس) برومية، من

(١) في الكامل: يوليانوس. ج١ص٢٥٤.

(٢) في الكامل: ولنطيوس. ج١ ص٢٥٤. ثم جاء بعده (تدوس) وفي ملكه كان السنودس الثاني. ولثمان سنين من ملكه، ظهر أصحاب. الكهف وبذلك هناك خمس ملوك يذكرهم أبو الفداء ولا يذكرهم الكامل من ولنطيوس حتى تدوس الذي يسميه أبو الفداء (ثاوذوسيوس) ويقول كان في عهده السنودس الثالث ولايذكر الثاني ويجعل إهل الكهف في عهده. وفي الكامل: كان السنودس الثالث أيام تدوس الصغير ابن تدوس الكبير، وحضر هذا المجمع مائة أسقف وأبو الفداء يقول مائتي أسقف. ج١ص٢٥٤.

القانون. ملكا ثلاث عشرة سنة، فيكون هلاكهما في منتصف سنة خمس وثلاثين وسبعمائة للإسكندر.

ثم ملك بعدهما (ثاوذوسيوس) الثاني (من كتاب أبي عيسى) ملك عشرين سنة، وفي أيامه غزت فارس الروم، وفي أيام ثاوذوسيوس المذكور، انتبه أصحاب الكهف، وكان موت ثاوذوسيوس المذكور في منتصف سنة خمس وخمسين وسبعمائة للإسكندر، وفي مدة ملكه كان المجمع الثالث في أفسس، واجتمع مائتا أسقف وحرموا نسطورس، صاحب المذهب وكان بطركا بالقسطنطينية، لقول نسطورس أن المسيح جوهران، جوهر لاهوتي وجوهر ناسوتي، وأقنومان، أقنوم لاهوتي وأقنوم ناسوتي، وقد قيل أن ثاوذوسيوس المذكور ملك اثنتين وأربعين سنة.

ثم ملك بعده (مرقيانوس)[١] من القانون ملك سبع سنين ولبسنة خلت من ملكه بنى دير مارون الذي بحمص، وفي أيامه لعن نسطورس ونفي، وكان موت مرقيانوس في منتصف سنة اثنتين وستين وسبعمائة.

ثم ملك بعده (والنطيس)[٢] من كتاب أبي عيسى ملك سنة واحدة، فيكون موته في منتصف سنة ثلاث وستين وسبع مائة.

ثم ملك بعده (لاون) الكبير من القانون وملك سبع عشرة سنة، وفي أيامه كثر الخسف في أنطاكية بالزلازل، وكان موته في منتصف سنة ثمانين وسبعمائة.

ثم ملك بعده (زينون) من القانون ملك ثماني عشرة سنة[٣] ومات في منتصف سنة ثمان وتسعين وسبعمائة للإسكندر.

ثم ملك بعده (أسطيثيانوس)[٤] من كتاب أبي عيسى وملك سبعاً وعشرين سنة، وهو الذي عمر أسوار مدينة حماة في أول سنة من ملكه، وفرغت عمارتها في مدة سنتين، ولعشر سنين خلت من ملكه اصاب الناس جوع شديد، وانتشر فيهم الجراد، ولاثنتي عشرة سنة من ملكه غزا قواد الفرس آمد[٥] وحاصروها وخربوها وكان

---

(١) في الكامل ج١ص٢٥٥ مرقيان : في عهده كان السنودس الرابع على تسقرس بطرق القسطنطينية.

(٢) في الكامل: ملك بعده «ليون» الكبير ست عشرة سنة ، ثم «ليون» الصغير سنة ،ثم زينون. ج١ص٢٥٥

(٣) في الكامل : سبع سنين . ثم استخلف ابناً له فهلك ، ثم عاد الى الملك ج١ص٢٥٥.

(٤) في الكامل : نسطاس . ج١ص ٢٥٥.

(٥) آمد : أعظم مدن ديار بكر وأجلها قدراً واشهرها. البلدان ١ /٥٦.

موت أسطيثيانوس في منتصف سنة خمس وعشرين وثمانمائة.

ثم ملك بعده (يسطينينوس)[١] من كتاب أبي عيسى وملك يسطينينوس تسع سنين، ومات في منتصف سنه أربع وثلاثين وثمانمائة للإسكندر.

ثم ملك بعده (يسطينينوس)[٢] الثاني من كتاب أبي عيسى وملك ثمانية وثلاثين سنة، وكثرت الحروب في أيامه بين الفرس والروم، وكان في السنة الثامنة من ملكه بينهم مصاف على شط الفرات، قتل منهم خلق عظيم، وغرق من الروم في الفرات بشر كثير، وكان موت يسطينينوس في منتصف سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة للإسكندر.

ثم ملك بعده (يسطينينوس) آخر من القانون أربع عشرة سنة، ولسبع سنين خلت من ملكه، أقبل ملك الفرس وغزا الشام وأحرق مدينة أفامية[٣]، وكان موته في منتصف سنة ست وثمانين وثمانمائة.

ثم ملك بعده (طبريوس) الأول من كتاب أبي عيسى ملك ثلاث سنين، وكان موته في منتصف سنة تسع وثمانين وثمانمائة.

ثم ملك بعده (طبريوس)[٤] الثاني، من كتاب أبي عيسى ملك أربع سنين، فيكون هلاكه في منتصف سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة.

ثم ملك بعده (ماريقوس)[٥]، من كتاب أبي عيسى وملك ثمان سنين، فيكون هلاكه في منتصف سنة إحدى وتسعمائة.

ثم ملك بعده (مرقوس) الثاني، من كتاب أبي عيسى، وملك اثنتي عشر سنة، فيكون موته في منتصف سنة ثلاث عشرة وتسعمائة.

ثم ملك بعده (قوقاس) ثمان سنين، فيكون موته في منتصف سنة إحدى وعشرين وتسعمائة.

ثم ملك بعده (هرقل) واسمه بالرومي أرقليس، وكانت الهجرة النبوية في

---

(١) في الكامل: يوسطين. ج١ص٢٥٦.
(٢) في الكامل: يوسطانوس. ج١ص٢٥٦.
(٣) افامية: مدينة حصينة من مدن الشام وكورة من كور حمص. البلدان ١/٢٢٧.
(٤) لم يذكره الكامل. ج١ ص٢٥٦.
(٥) في الكامل: موريق، ملك عشرين سنة. ظهر في أيامه «مار مارون». ج١ص٢٥٦.

السنة الثانية عشرة من ملكه، فتكون الهجرة لمضي ثلاث وثلاثين وتسعمائة سنة لغلبة الإسكندر على دارا، ولكن قد اثبتنا في الجدول أن بين الهجرة وبين غلبة الإسكندر تسعمائة وأربعاً وثلاثين سنة، وذلك باعتبار التفاوت بين السنين الشمسية والقمرية فيما بين مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهجرته، وهو ثلاث وخمسون سنة قمرية، وبالتقريب يكون هو إحدى وخمسين سنة شمسية وثلث سنة.



الفصل الرابع

في ملوك العرب قبل الإسلام

وأما ما يتعلق بقبائل العرب وأنسابهم، فإنا نذكره عند ذكر كرامة العرب في الفصل الخامس، المشتمل على ذكر الأمم إن شاء اللّه تعالى، من كتاب ابن سعيد المغربي.

إن بعد تبلبل الألسن، وتفرق بني نوح، أول من نزل اليمن (قحطان) بن عابر ابن شالخ المقدم الذكر، وقحطان المذكور أول من ملك أرض اليمن ولبس التاج.

ثم مات قحطان وملك بعده ابنه (يعرب) بن قحطان، وهو أول من نطق بالعربية على ما ذكر.

ثم ملك بعده ابنه (يشجب) بن يعرب.

ثم ملك بعده ابنه عبد شمس بن يشجب، ولما ملك أكثر الغزو في أقطار البلاد، فسمي سبا، وهوالذي بنى السد بأرض مأرب، وفجر إليه سبعين نهراً، وساق إليه السيول من أمد بعيد، وهو الذي بنى مدينة مأرب، وعرفت بمدينة سبا، وقيل أن مأرب لقب للملك الذي يلي اليمن، وقيل أن مأرب هو قصر الملك، والمدينة سبا.

وخلف سبأ المذكور عدة أولاد منهم: حمير وعمرو، وكهلان، وأشعر، وغيرهم على ما سنذكره في الفصل الخامس، عند ذكر أمة العرب.

ولما مات سبأ ملك اليمن بعده ابنه (حمير) بن سبا، ولما ملك أخرج ثمود من اليمن إلى الحجاز.

ثم ملك بعده ابنه (وائل) بن حمير.

ثم ملك بعده ابنه (السكسك) بن وائل.

ثم ملك بعده (يعفر) بن السكسك.

ثم وثب على ملك اليمن (ذورياش) وهو عامر بن باران بن عوف بن حمير.

ثم نهض من بني وائل (النعمان) بن يعفر بن السكسك بن وائل بن حمير،

واجتمع عليه الناس، وطرد عامر بن باران عن الملك، واستقل النعمان المذكور بملك اليمن، ولقب نعمان المذكور بالمعافر لقوله:

إذا أنت عافرت الأمور بقـدرة ‏ ‏ ‏ بلغت معالي الأقدمين المقاول

والمقاول: لفظة جمع، وهم الذين يلون الجهات الكبار من اليمن.

ثم ملك بعده ابنه (أشمح) بن نعمان المعافر المذكور.

ثم ملك بعده (شداد) بن عاد بن الماطاط بن سبا، واجتمع له الملك، وغزا البلاد إلى أن بلغ أقصى المغرب، وبنى المدائن والمصانع، وأبقى الآثار العظيمة.

ثم ملك بعده أخوه (لقمان) بن عاد، ثم ملك بعده أخوه (ذو سدد) بن عاد، ثم ملك بعده ابنه (الحارث) بن ذي سدد، ويقال له الحارث الرائش، وقيل إن الحارث الرائش المذكور، هو ابن قيس بن صيفي بن سبأ الأصغر، وهوتبع الأول. ثم ملك بعده ابنه (ذو القرنين)، الصعب بن الرائش، وقد نقل ابن سعيد أن ابن عباس سئل عن ذي القرنين الذي ذكره اللّه تعالى في كتابه العزيز، فقال: هو من حمير وهو الصعب المذكور، فيكون ذو القرنين المذكور في الكتاب العزيز هو الصعب بن الرائش المذكور، لا الإسكندر الرومي.

ثم ملك بعده ابنه (ذو المنار أبرهه) بن ذي القرنين.

ثم ملك بعده ابنه (أفريقس) بن أبرهه، ثم ملك بعده أخوه (ذو الأذعار) عمرو بن ذي المنار.

ثم ملك بعده (شرحبيل) بن عمرو بن غالب بن المنتاب بن زيد بن يعفر بن السكسك بن واثل بن حمير، فإن حمير كرهت ذا الأذعار فخلعت طاعته، وقلدت الملك شرحبيل المذكور، وجرى بين شرحبيل وذي الأذعار قتال شديد، قتل فيه خلق كثير، واستقل شرحبيل بالملك.

ثم ملك بعده ابنه (الهدهاد) بن شرحبيل، ثم ملكت بعده ابنته (بلقيس) بنت الهدهاد، وبقيت في ملك اليمن عشرين سنة، وتزوجها سليمان بن داود عليهما السلام، ثم ملك بعدها عمها (ناشر النعم) بن شرحبيل وقيل إن ناشر النعم اسمه مالك بن عمرو بن يعفر بن عمرو، من ولد المنتاب بن زيد الحميري.

ثم ملك بعده (شمر يرعش) بن ناشر النعم المذكور، وقيل شمر بن أفريقس ابن أبرهه ذي المنار.

ثم ملك بعده ابنه (أبو مالك) بن شمر، ثم ملك بعده (عمران) بن عامر الأزدي، وهو عمران بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ.

وانتقل الملك حينئذ من ولد حمير بن سبأ إلى ولد أخيه كهلان بن سبأ، وكان عمران المذكور كاهناً.

ثم ملك بعده أخوه (مزيقيا) عمرو بن عامر الأزدي، وقيل له مزيقياء لأنه كان يلبس في كل يوم بدلة، فإذا أراد الدخول إلى مجلسه رمى بها فمزقت لئلا يجد أحداً فيها ما يلبسه بعده. انتهى كلام ابن سعيد المغربي.

(ومن تاريخ) حمزة الأصفهاني، إن الذي ملك بعد أبي مالك بن شمر المذكور، قبل عمران الأزدي، ابنه (الأقرن) بن أبي مالك، ثم ملك بعده (ذو حبشان) بن الأقرن، وهوالذي أوقع بطسم وجديس.

ثم ملك بعده أخوه تبع بن الأقرن، ثم ملك بعده ابنه (كليكرب) بن تبع، ثم ملك بعده (أبو كرب أسعد) وهو تبع الأوسط، وقتل.

ثم ملك بعده ابنه (حسان) بن تبع، وتتبع قتلة ابيه فقتلهم عن آخرهم، ثم قتله أخوه (عمرو) بن تبع، وملك بعده وتواترت الأسقام بعمرو المذكور، حتى كان لا يمضي إلى الخلاء إلا محمولاً على نعش، فسمي ذا الأعواد لذلك.

ثم ملك بعده (عبد كلال) بن ذي الأعواد، ثم ملك بعده (تبع) بن حسان بن كليكرب، وهو تبع الأصغر.

ثم ملك بعده ابن أخيه (الحارث) بن عمرو، وتهود الحارث المذكور، ثم ملك بعده (مرثد) بن كلال، ثم تفرق بعده ملك حمير والذي اشتهر بعده أنه ملك (وكيعة) بن مرثد، ثم ملك (أبرهة) بن الصباح، ثم ملك (صهبان) بن محرث، ثم ملك (عمرو) بن تبع، ثم ملك بعده (ذو شناتر) ثم ملك بعده (ذو نواس)، وكان من لايتهود ألقاه في أخدود مضطرم ناراً، فقيل له صاحب الأخدود.

ثم ملك بعده (ذوجدن) وهو آخر ملوك حمير، وكان مدة ملكهم على ما قي الفين وعشرين سنة، وإنما لم نذكر مدة ما ملكه كل واحد منهم لعدم صحته، ولذلك قال صاحب تواريخ الامم: ليس في جميع التواريخ، أسقم من تاريخ ملوك حمير، لم يذكر فيه من كثرة عدد سنيهم، مع قلة عدد ملوكهم. فإنهم يزعمون أن

ملوكهم ستة وعشرون ملكاً، ملكوا في مدة ألفين وعشرين سنة.

ثم ملك اليمن بعدهم من الحبشة أربع، ومن الفرس ثمانية، ثم صارت اليمن للإسلام (من كتاب) ابن سعيد المغربي، إن الحبشة استولوا على اليمن بعد ذي جدن الحميري المذكور، وكان أول من ملك اليمن من الحبشة (أرباط). ثم ملك بعده (أبرهة) الأشرم صاحب الفيل، الذي قصد مكة. ثم ملك بعده (يكسوم). ثم ملك بعده (مسروق) بن أبرهة، وهو آخر من ملك اليمن من الحبشة.

ثم عاد ملك اليمن إلى حمير وملكها (سيف)[1] بن ذي يزن الحميري وهو الذي ملكه كسرى أنوشروان، وأرسل مع سيف المذكور أحد مقدمي الفرس، واسمه وهرز بجيش من العجم، فساروا إلى اليمن وطردوا الحبشة عنها، وقرروا سيف بن ذي يزن في ملك اليمن، ولما استقر سيف في ملك أجداده باليمن وطرد الحبشة عنها، جلس في غمدان يشرب، وهو قصر كان لأجداده باليمن، فامتدحته العرب بالأشعار، منها ما قاله فيه أمية بن أبي الصلت، ووصف تغرّب سيف بن ذي يزن وقصده قيصرا أولاً ثم كسرى في إعادة ملك آبائه إليه، حتى قدم بالفرس الذي مقدمهم وهرز، فقال في ذلك:

لا يقصد الناس إلا كابن ذي يزن ... إذ خيم البحر للأعداء أحوالا
وافى هرقل وقد شالت نعامته ... فلم يجد عنده النصر الذي سالا
ثم انتحى نحو كسرى بعد عاشرة ... من السنين يهين النفس والمالا
حتى أتى ببني الأحرار يقدمهم ... تخالهم فوق متن الأرض أجبالا
لله درهم من فتية صبر ... ما إن رأيت لهم في الناس أمثالا
بيض مرازبة غلب أساورة ... أسد ترتب في الغيضات أشبالا
فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً ... برأس غمدان داراً منك محلالا
تلك المكارم لاقعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

وكان سيف بن ذي يزن المذكور، قد اصطفى جماعة من الحبشان، وجعلهم من خاصته، فاغتالوه وقتلوه، فأرسل كسرى عاملاً على اليمن، واستمرت عمال كسرى على اليمن إلى أن كان آخرهم (باذان) الذي كان على عهد رسول الله ﷺ، وأسلم، ثم صارت اليمن للإسلام، وانتهى أخبار ملوك اليمن.

---

(١) انظر الكامل لابن الأثير. ج١ص٣٤٦.

(ذكر ملوك العرب الذين كانوا في غير اليمن)

وكان أول من ملك على العرب بأرض الحيرة (مالك) بن فهم بن غنم بن دوس ابن عدنان بن عبد الله بن وهزان بن كعب بن الحارث بن كعب بن مالك بن نصر بن الازد، والأزد من ولد كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، كان وملكه في أيام ملوك الطوائف قبل الأكاسرة ثم ملك بعده أخوه (عمرو) بن فهم.

ثم ملك بعده ابن أخيه (جذيمة)[1] بن مالك بن فهم، وكان به برص فكنوا عنه وقالوا جذيمة الأبرش، وعظم شأن جذيمة المذكور، وكانت له أخت تسمى (رقاش) فهويت شخصاً من إياد، كان جذيمة قد اصطنعه، وكان يقال له عدي بن نصر بن ربيعة، وهويها عدي المذكور أيضاً، وكان عدي المذكور متسلماً مجلس شراب جذيمة، فاتفقت معه رقاش على أن يخطبها من أخيها جذيمة حال غلبة السكر عليه، ففعل ذلك، وأذن له جذيمة، فدخل عدي برقاش، فلما أصبح جذيمة وعلم بذلك عظم عليه فهرب عدي المذكور، فقيل أنه ظفر به جذيمة وقتله، وحبلت رقاش من عدي المذكور فقال لها جذيمة:

خبريني رقاش لا تكذبيني ... أبحر زنيت أم بهجين

أم بعبد فانت أهل لعبد ... أم بدون فانت أهل لدون

فقالت: بل من خيار العرب، وجاءت بولد، وربته والبسته طوقاً، وسمته عمراً وتبنن به جذيمة، ثم عدم الغلام، وتزعم العرب أن الجن اختطفته، ثم وجده شخصان يقال لهما مالك وعقيل، فاحضراه إلى جذيمة ففرح به فرحاً عظيماً، وكان اسم الصبي عمراً فقال جذيمة لمالك وعقيل اللذين احضراه: اقترحا ما شئتما. فقالا: منادمتك ما بقيت وبقينا. فهما اللذان يضرب بهما المثل فيقال «كندماني جذيمة».

وفي أيام جذيمة المذكور، كان قد ملك الجزيرة وأعالي الفرات ومشارق الشام، رجل من العمالقة يقال له عمرو بن الضرب بن حسان العمليقي، وجرى بينه وبين جذيمة حروب، فانتصر جذيمة عليه، وقتل عمرو المذكور.

وكان لعمرو بنت تدعى الزباء، واسمها نائلة، فملكت بعده وبنت على الفرات

---

(١) انظر الكامل ج١ص٢٦٢.

مدينتين متقابلتين، وأخذت في الحيلة على جذيمة وأطمعته بنفسها حتى اغتر وقدم إليها فقتلته وأخذت بثار أبيها.

(ذكر ابتداء ملك اللخميين ملوك الحيرة)

وهم المناذرة بنو عدي بن نصر بن ربيعة من ولد لخم بن عدي بن عمرو بن سبا.

ولما قتل جذيمة ملك بعده ابن أخته رقاش (عمرو) بن عدي بن نصر بن ربيعة، وكان لجذيمة عبد يقال له قصير، فاتفق معه عمرو بن عدي المذكور، وجدع أنف قصير وضربه بالسياط، وحضر قصير على تلك الحالة إلى الزباء على انه مغاضب لعمرو، فصدقته الزباء وأمنت إليه لما رأت من حاله، وصار قصير يتجر للزباء، ويأخذ المال من مولاه، ويحضره إلى الزباء على انه كسب متجرها، مرّة بعد أخرى، حتى اتى بقفل نحو الف حمل من الصناديق، واقفالها من داخل، وفيها رجال معتدون، فلما شاهدت الزباء تلك الأحمال ارتابت منه وقالت:

ماللجمال مشيها وئيدا أجندلاً يحملن أم حديدا
أم صرفاناً بارداً شديدا أم الرجال جثماً قعودا

فلما دخلوا إلى حصن الزباء، خرجت الرجال من الصناديق، وأخذوا المدينة عنوة، وقتلوا الزباء وأخذ قصير بثار مولاه جذيمة، وطالت مدةملك عمرو بن عدي المذكور.

ثم مات وملك بعده ابنه (امرئ القيس) بن عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة اللخمي، وكان يقال لامرئ القيس المذكور البدا، أي الأول.

ثم ملك بعد امرؤ القيس ابنه (عمرو) بن امرئ القيس وكان ملكه في أيام سابورذي الأكتاف، ثم ملك بعده (أوس) بن قلام العمليقي، ثم ملك (آخر) من العماليق، ثم رجع الملك إلى بني عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة اللخميين المذكورين، وملك منهم (امرؤ القيس) من ولد عمرو بن امرئ القيس المذكور، ويعرف هذا امرؤ القيس الثاني بالمحرق، لأنه أول من عاقب بالنار، ثم ملك بعده ابنه (النعمان) الأعور بن امرئ القيس، وهو الذي بنى الخورنق والسدير، وبقي في الملك ثلاثين سنة، ثم تزهد وخرج من الملك في زمن بهرام جور بن يزد جرد، وهو الذي ذكره عدي بن زيد في قصيدته الرائية المشهورة بقوله:

وتدبر رب الخورنق إذ أشـ رف يوماً وللهدى تفكير
سره ماله وكثرة ما يمـ لك والبحر معرض والسدير
فارعوى قلبه وقال وما غبـ طة حي إلى الممات يصير

ولما تزهد النعمان الأعور المذكور، ملك بعده ابنه (المنذر) بن النعمان. وانتهى ملكه في زمن فيزوز بن يزد جرد.

ثم ملك بعده ابنه (الأسود) بن المنذر، وهوالذي انتصر على غسان، عرب الشام، واسر عدة من ملوكهم، وأراد الأسود المذكور أن يعفو عنهم، وكان للأسود المذكور ابن عم يقال له أبو أذينة، قد قتل آل غسان له أخاً في بعض الوقائع، فقال أبو أذينة في ذلك قصيدته المشهورة يغري الأسود بقتلهم منها:

(ما كل يوم ينال المرء ما طلبا ولا يسوغه المقدار ما وهبا)
(وأحزم الناس من إنْ فرصة عرضت لم يجعل السبب الموصول منقضبا)
(وأنصف الناس في كل المواطن من سقى المعادين بالكأس الذي شربا)
(وليس يظلمهم من راح يضربهم بحد سيف به من قبلهم ضربا)
(والعفو إلا عن الأكفاء مكرمة من قال غيره الذي قد قلته كذبا)
(قتلت عمراً وتستبقي يزيد لقد رأيت رأياً يجر الويل والحربا)
(لا تقطعن ذنب الأفعى وترسلها إنْ كنت شهماً فأتبع رأسها الذنبا)
(هم جردوا السيف فاجعلهم له جزراً وأوقد النار فاجعلهم لها حطبا)
(إن تعف عنهم يقول الناس كلهم لم يعف حلماً ولكن عفوه رهبا)
(هم أهلة غسان ومجدهم عال فإن حاولوا ملكاً فلا عجبا)
(وعرضوا بفداء واصفين لنا خيلاً وإبلاً تروق العجم والعربا)
(أيحلبون دماً منّا ونحلبهم رسلاًلقد شرفونا في الورى حلبا)
(علام تقبل منهم فدية وهم لافضة قبلوا منا ولاذهبا)

ونقلت ذلك من مجموع بخط القاضي شمس الدين بن خلكان، ورأيت في تاريخ ابن الأثير خلاف ذلك، فقال: إن الأسود قتلته غسان، وانتصرت عليه غسان، ثم قال ابن الأثير وقيل غير ذلك، وانتهى ملك الأسود بن المنذر المذكور في زمن فيروز.

ثم ملك بعده أخوه (المنذر) بن المنذر بن النعمان الأعور، ثم ملك بعده (علقمة) الذميلي، وذميل بطن من لخم، ثم ملك بعده (امرؤ القيس) بن النعمان ابن امرئ القيس المحرق، وهو الذي قتل سنمار الذي بنى لامرئ القيس المذكور قصره، وفيه يقول المتلمس:

جزاني أبو لخم على ذات بيننا   جزاء سنمار وما كان ذا ذنب

ثم ملك بعده ابنه (المنذر) بن امرئ القيس، وكانت أم المنذر المذكور يقال لها، (ماء السماء) واشتهرالمنذر المذكور بامه، فقيل له المنذر بن ماء السماء، ولقبت بماء السماء لحسنها، واسمها(ماوية) بنت عوف بن جشم، وطرد كسرى قباذ المنذر المذكور عن ملك الحيرة، وملّك موضعه (الحارث) بن عمرو بن حجر الكندي، لأن قباذ كان قد دخل في دين مردك، ووافقه الحارث ولم يوافقه المنذر فطرد لذلك، ثم لما تمكن كسرى أنوشروان بن قباذ المذكور في الملك، طرد الحارث وأعاد (المنذر) بن ماء السماء إلى ملك الحيرة، وقد تقدم ذكر ذلك مع ذكر أنوشروان، في الفصل الثاني من هذا الكتاب.

ثم ملك بعد المنذر (عمرو) مضرط الحجارة، وهو ابن المنذر بن ماء السماء، وكان اسم أمه هند، ويعرف بعمرو بن هند، ولثمان سنين مضت من ملكه، كان مولد النبي صلى الله عليه وسلم.

ثم ملك بعده أخوه (قابوس) بن المنذر بن ماء السماء. وقيل إنه لم يتملك وإنما سمي ملكاً لما كان أبوه وأخوه ملكين، ثم ملك بعده أخوهما (المنذر) بن المنذر، ثم ملك بعده ابنه (النعمان) بن المنذر بن المنذر بن ماء السماء، وكنيته أبو قابوس، وهوالذي تنصر، وأمه سلمى بنت وائل بن عطية الصايغ، من أهل فدك، وملك اثنتين وعشرين سنة وقتله كسرى برويز، وبسبب مقتله كانت وقعة ذي قار بين الفرس والعرب.

ثم انتقل الملك في الحيرة بعد النعمان المذكور عن اللخميين إلى (إياس) بن قبيصة الطائي، ولستة أشهر من ملك إياس بعث النبي ﷺ، ثم ملك بعد إياس زاذويه ابن ماهسان الهمذاني.

ثم عاد الملك إلى اللخميين، ملك بعد زاذويه (المنذر) بن النعمان بن المنذر بن المنذر بن ماء السماء، وسمته العرب المغرور، واستمر مالكاً للحيرة إلى أن قدم إليه خالد بن الوليد، واستولى على الحيرة، وكانت المناذرة آل نصر بن ربيعة

عمالاً للأكاسرة على عرب العراق، مثل ما كان ملوك غسان عمالاً للقياصرة على عرب الشام.

(ذكر ملوك غسان)

وكانوا عمالاً للقياصرة على عرب الشام، وأصل غسان من اليمن، من بني الازد ابن الغوث بن نبت بن مالك بن ادد بن زيد بن كهلان بن سبا.

تفرقوامن اليمن بسيل العرم، ونزلوا على ماء بالشام يقال له غسان، فنسبوا إليه، وكان قبلهم بالشام عرب يقال لهم (الضجاعمة) من سليح، بفتح السين المهلة ثم لام مكسورة وياء مثناة من تحتها ثم حاء مهملة، فأخرجت غسان سليحاً عن ديارهم، وقتلوا ملوكهم، وصاروا موضعهم.

وأول من ملك من غسان جفنة بن عمرو بن ثعلبة بن عمرو بن مزيقيا، وكان ابتداء ملك غسان، قبل الإسلام بما يزيد على أربعمائة سنة، وقيل أكثر من ذلك، ولما ملك جفنة المذكور وقتل ملوك سليح، دانت له قضاعة ومن بالشام من الروم. وبنى بالشام عدة مصانع ثم هلك.

وملك بعده ابنه (عمرو) بن جفنة، وبنى بالشام عدة ديورة منها دير حالي[1] ودير أيوب[2] ودير هند[3]

ثم ملك بعده ابنه (ثعلبة) بن عمرو وبنى صرح الغدير[4] في أطراف حوران. مما يلي البلقاء، ثم ملك بعده ابنه (الحارث) بن ثعلبة. ثم ملك ابنه (جبلة) بن الحارث، وبنى القناطر[5] واذرح[6] والقسطل[7].

ثم ملك بعده ابنه (الحارث) بن جبلة، وكان مسكنه بالبلقاء[8] فبنى بها الحفير[9] ومصنعه.

---

(١) دير حالي: لم يذكره ياقوت في معجم البلدان.
(٢) دير أيوب: لم يذكره ياقوت في معجم البلدان.
(٣) دير هند: من قرى دمشق. البلدان ٢/٥٤٣.
(٤) صرح الغدير: لم يذكره. ياقوت الحموي في معجم البلدان.
(٥) القناطر: من نواحي أصبهان، وأيضاً موضع بالحجاز، البلدان ٤/٤٠٠.
(٦) اذرح: اسم بلد في أطراف الشام من أعمال الشراة من نواحي البلقاء. البلدان ١/١٢٩.
(٧) القسطل: موضع بين حمص ودمشق. وموضع قرب البلقاء من أرض دمشق. البلدان ٤/٣٤٧.
(٨) البلقاء: كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى. البلدان ١/٤٨٩.
(٩) الحُفير: منزل بين ذي الحليفة وملك يسلكه الحاج. البلدان ٢/٢٧٧.

ثم ملك بعده ابنه (المنذر) الأكبر بن الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة ابن عمرو بن جفنة الأول ، ثم هلك المنذر الأكبر المذكور وملك بعدها أخوه (النعمان) بن الحارث .

ثم ملك بعده أخوه (جبلة) بن الحارث، ثم ملك بعدهم أخوهم (الأيهم) بن الحارث، وبنى دير ضخم، ودير البنوة[١] ثم ملك أخوهم (عمرو) بن الحارث ثم ملك (جفنة) الأصغر بن المنذر الأكبر، وهو الذي أحرق الحيرة، وبذلك سموا ولده آل محرق .

ثم ملك بعده أخوه (النعمان) الأصغر بن المنذر الأكبر، ثم ملك (النعمان) ابن عمرو بن لمنذر، وبنى قصر السويدا، ولم يكن عمرو أبو النعمان المذكورملكاً، وفي عمرو المذكور يقول النابغة الذبياني :

عليّ لعمرو نعمة بعد نعمة لوالده ليست بذات عقارب

ثم ملك بعد النعمان المذكور ابنه (جبلة) بن النعمان، وهو الذي قاتل المنذر ابن ماء السماء، وكان جبلة المذكور ينزل بصفين[٢] .

ثم ملك بعده (النعمان) بن الأيهم بن الحارث بن ثعلبة، ثم ملك أخوه (الحارث) بن الأيهم ثم ملك بعده ابنه (النعمان) بن الحارث، وهو الذي أصلح صهاريج الرصافة[٣] وكان قد خربها بعض ملوك الحيرة اللخميين.

ثم ملك بعده ابنه المنذر بن النعمان، ثم ملك أخوه (عمرو) بن النعمان، ثم ملك أخوهما (حجر) بن النعمان ثم ملك ابنه (الحارث) بن حجر، ثم ملك ابنه (جبلة) بن الحارث، ثم ملك ابنه الحارث بن جبلة، ثم ملك ابنه (النعمان) بن الحارث، وكنيته أبو كرب، ولقبه قطام .

ثم ملك بعده (الأيهم) بن جبلة بن الحارث، وهو صاحب تدمر، وكان عامله يقال له القين بن خسر، وبنى له بالبرية قصراً عظيماً ومصانع، وأظن أنه قصر برقع.

ثم ملك بعده أخوه (المنذر) بن جبلة، ثم ملك بعده أخوهما (شراحيل) بن

---

(١) دير البنوة : لم يذكره ياقوت الحموي في معجم البلدان .
(٢) صفين : موضع بقرب الرّقة على جانب الفرات الغربي بين الرقة وبالس. البلدان ٣ / ٤١٤ .
(٣) الرصافة : رصافة هشام بن عبد الملك غربي الرّقة ، البلدان ٣ /٤٧ .

جبلة، ثم ملك أخوهم (عمرو) بن جبلة، ثم ملك بعده ابن أخيه (جبلة) بن الحارث بن جبلة.

ثم ملك بعده (جبلة) بن الأيهم بن جبلة، وهو آخر ملوك غسان، وهوالذي أسلم في خلافة عمر رضي الله عنه، ثم عاد إلى الروم وتنصر، وسنذكر ذلك في خلافة عمر إن شاء الله تعالى، وقد اختلف في مدة ملك الغساسنة، فقيل أربعمائة سنة وقيل ستمائة سنة وبين ذلك.

(ذكر ملوك جرهم)

أما جرهم فهم صنفان، جرهم الأولى :وكانوا على عهد عاد، فبادوا ودرست أخبارهم وهم من العرب البائدة. وأما جرهم الثانية: فهم من ولد جرهم بن قحطان. وكان جرهم أخا يعرب بن قحطان. فملك يعرب اليمن وملك أخوه (جرهم) الحجاز، ثم ملك بعد جرهم ابنه (عبد ياليل) بن جرهم، ثم ابنه (جرشم) بن عبد ياليل، ثم ابنه (عبد المدان) بن جرشم، ثم ابنه (ثقيلة) بن عبد المدان، ثم ابنه (عبد المسيح) بن ثقيلة، ثم ابنه (مضاض) بن عبد المسيح،ثم ابنه (عمرو) بن مضاض، ثم أخوه (الحارث) بن مضاض، ثم ابنه (عمرو) بن الحارث، ثم أخوه (بشر) بن الحارث، ثم (مضاض) بن عمرو بن مضاض، وجرهم المذكورون هم الذين اتصل بهم إسماعيل عليه السلام، وتزوج منهم. وسنذكرهم أيضاً عند ذكر بني إسماعيل إن شاء الله تعالى.

(ذكر ملوك كندة)

(من الكامل) قال: وأول ملوك كندة (حجر) آكل المرار[1] ابن عمرو، وهو من ولد كندة، وكان اسم كندة نورا وهو ابن عفير بن الحارث من ولد زيد بن كهلان ابن سبأ، وكانت كندة[2] قبل أن يملك حجر عليهم بغير ملك، فأكل القوي الضعيف، فلما ملك حجر سدد أمورهم وساسهم أحسن سياسة، وانتزع من اللخميين ما كان بأيديهم من أرض بكر بن وائل، وبقي حجر آكل المرار كذلك حتى مات .وقيل له آكل المرار لكون امرأته قالت عنه: كأنه جمل قد أكل المرار، لبغضها له، فغلب ذلك لقباً عليه.

---

(١) المرار :شجرٌ، واحدَةُ مُرارة الكامل ج١ص٣٩٥.

(٢) انظر الكامل ج١ص ٣٩٩.

ثم ملك بعد حجر المذكور ابنه (عمرو) بن حجر ويقال لعمرو المذكور «المقصور» لأنه اقتصر على ملك أبيه، ثم ملك بعده ابنه (الحارث) بن عمرو وقوي ملك الحارث المذكور، ووافق كسرى قباذ بن فيروز على الزندقة، والدخول في مذهب مردك، فطرد قباذ المنذر بن ماء السماء اللخمي عن ملك الحيرة، وملّك الحارث المذكور موضعه، فعظم شأن الحارث، وقد تقدم ذلك في الفصل الثاني، مع ذكر أنوشروان بن قباذ.

فلما ملك أنوشروان أعاد المنذر وطرد الحارث المذكور، فهرب وتبعته تغلب وعدة قبائل، فظفروا بأمواله وبأربعين نفساً من بني حجر آكل المرار، ابنان من ولد الحارث المذكور، فقتلهم المنذر عن آخرهم في ديار بني (مرين)[1] وفي ذلك يقول امرؤ القيس بن حجر بن الحارث المذكور:

فآبوا بالنهاب وبالسبايا وأبناء الملوك مصفدينا[2]
ملوك من بني حجر بن عمرو يساقون العشية يقتلونا
فلو في يوم معركة أصيبوا ولكن في ديار بني مرينا
ولم تغسل جماجمهم بغسل ولكن في الدماء مزملينا
تظل الطير عاكفة عليهم وتنتزع الحواجب والعيونا

وهرب الحارث إلى ديار كلب، وبقي بها حتى عُدِمَ، واختُلِف في صورة عدمه. وكان الحارث المذكور قد ملّك ابنه (حجر) بن الحارث على بني أسد ابن خزيمة ابن مدركة، وملك أيضاً باقي بنيه على قبائل العرب.

فملك ابنه (شراحيل) بن الحارث على بكر بن وائل، وملك ابنه (معدي كرب) بن الحارث، وكان يلقب غلفاً لتغليفه رأسه بالطيب، على قيس غيلان، وملك ابنه (سلمة) على تغلب والنمر.

أما حجر المذكور وهو أبو امرئ القيس الشاعر، فبقي أمره متماسكاً في بني أسد مدة، ثم تنكروا عليه فقاتلهم وقهرهم، وبالغ في نكايتهم، ودخلوا تحت طاعته، ثم هجموا عليه بغتة وقتلوه غيلة. وفي ذلك يقول ابنه امرؤ القيس بن حجر

---

(١) في الكامل: مرينا. ج١ص٤٠٠.
(٢) في الكامل: البيت الأول لعمر بن كلثوم ج١ص٤٠٠.

المذكور أبياتا منها.

بنو أسد قتلوا ربهم ألا كل شيء سواه خلل

وكان امرؤ القيس لما سمع بمقتل أبيه بموضع يقال له (دمون)[١] من أرض اليمن فقال في ذلك:

تطاول الليل علي دمون دمون انامعشر يمانون[٢]

ثم استنجد امرؤ القيس ببكر وتغلب على بني أسد فانجدوه، وهربت بنو أسد منهم، وتبعهم فلم يظفر بهم، ثم تخاذلت عنه بكر وتغلب، وتطلبه المنذر بن ماء السماء فتفرقت جموع امرئ القيس خوفاً من المنذر، وخاف امرؤ القيس من المنذر، وصار يدخل على قبائل العرب، وينتقل من أناس إلى أناس، حتى قصد السموءل بن عادياء اليهودي، فأكرمه وأنزله، وأقام امرؤ القيس عند السموءل ما شاء اللّهُ، ثم سار امرؤ القيس إلى قيصر ملك الروم مستنجداً به، وأودع أدراعه عند السموءل بن عادياء المذكور، ومرّ على حماة وشيزر، وقال في مسيرة قصيدته المشهورة التي منها:

سمالك شوق بعد ما كان أقصرا

ومنها:

تقطع أسباب اللبابة والهوى عشية جاوزنا حماة وشيزرا

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه والحق أنا لاحقان بقيصرا

فقلت له لا تبك عينيك إنما نحاول ملكاً أو نموت فنعذرا

وكان بامرئ القيس قرحة قد طالت به، وفي ذلك يقول أبياته التي منها:

وبدلت قرحاً دامياً بعد صحة لعل منايانا تحولن أبؤسا

فمات امرؤ القيس بعد عوده من عند قيصر في بلاد الروم، عند جبل يقال له عسيب. ولما علم بموته هناك قال:

أجارتنا إن الخطوب تنوب وإني مقيم ما أقام عسيب

(١) دَمُّون: من مدن الصدف سكنها الحارث بن عمرو بن آكل المرار. البلدان ٢/ ٤٧٢.
(٢) يضاف الى ذلك «وإننا لقومنا محبون». الكامل ج١ص٤٠٢.

وقد قيل أن ملك الروم سمه في حلة - وهو عندي من الخرافات - ولما مات امرؤ القيس، سار (الحارث) بن أبي شمر الغساني إلى السموءل وطالبه بأدرع امرئ القيس، وماله عنده، وكانت الأدراع مائة، وكان الحارث قد أسر ابن السموءل فلما امتنع السموءل من تسليم ذلك إلى الحارث، قال الحارث : إمّا أن تسلّم الأدراع، وإما قتلت ابنك، فأبى السموءل أن يسلمّ الأدراع، وقتل ابنه قدامه فقال السموءل في ذلك أبياتاً منها :

وفيت بأدرع الكندي إنّي إذا ما ذم أقوام وفيت

واوصى عادياء يوما بأن لا تهدم ياسموءل ما بنيت

وقد ذكر الأعشى هذه الحادثة فقال :

كن كالسموءل إذ طاف الهمام به في جحفل كسواد الليل جرار

فشك غير طويل ثم قال له اقتل أسيرك إني مانع جاري

انتهى الكلام في ملوك كندة.

(ذكر عدة من ملوك العرب)

متفرقين فمنهم عمرو بن لحي بن حارثة بن عمرو مزيقيا بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد، من ولد كهلان بن سبأ وكان عمرو بن لحي المذكور ملك الحجاز، وكثير الذكر في الجاهلية، وإليه تنسب خزاعة، فيقولون أنهم من ولد كعب بن عمرو المذكور.

قال الشهرستاني : وعمرو بن لحي المذكور، هو أول من جعل الأصنام على الكعبة وعبدها، فاطاعته العرب وعبدوها معه، واستمرت العرب على عبادة الأصنام حتى جاء الإسلام، وكان سبب ذلك أن عمرو المذكور، سار إلى البلقاء[1] من الشام، فرأى قوماً يعبدون الأصنام، فسألهم عنه، فقالوا له : هذه أرباب اتخذناها على شكل الهياكل العلوية، والأشخاص البشرية، نستنصر بها فننتصر ونستشفي بها فنشفى ونستسقي بها فنسقى، فاعجبه ذلك فطلب منهم صنما، فدفعوا إليه هبل، فسار به إلى مكة ووضعه على الكعبة، واستصحب أيضاً صنمين يقال لهما إساف ونائلة،

---

(١) البلقاء : كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القُرى البلدان ١ / ٤٨٩ .

ودعى الناس إلى تعظيم الأصنام والتقرب إليها فأجابوه.

وقد ذكر الشهرستاني أنّ ذلك كان في أيام سابور، كان قبل الإسلام بنحو أربعمائة سنة، إن كان سابور بن أزدشير بن بابك، وأما إن كان سابور ذا الأكتاف فهوأبعد عن الصواب، لأنه بعد سابور الأول بمدة كثيرة.

ومن ملوك العرب (زهير) بن جناب بن هبل بن عبد اللّه بن كنانة بن بكر بن عون بن عذرة الكلبي، وكان يسمى زهيرالمذكورالكاهن، لصحة رأيه، وعاش عمراً طويلاً، وغزا غزوات كثيرة وكان ميمون النقيبة، واجتمعت عليه قضاعة، فغزا بهم غطفان بسبب أنّ بني نقيص بن ريث بن غطفان بنوا حرماً مثل حرم مكة، وولي سدانته منهم بنو مرة بن عون فلما بلغ زهيراً ذلك قال: واللّه لا يكون ذلك أبداً، ولا أخلي غطفان تتخذ حرماً، فغزاهم وجرى بينهم قتال شديد، وظفر بهم زهير وأبطل حرمهم، وأخذ أموالهم ورد نساءهم عليهم، وفي ذلك يقول أبياتاً منها:

ولو لا الفضل منا مارجعتم إلى عذراء شيمتها الحياء

وكان زهير المذكور قد اجتمع بأبرهة الأشرم الحبشي صاحب الفيل، فأكرمه أبرهة وفضله على غيره من العرب، وأمره على بكر وتغلب ابني وائل. واستمر زهير أميراً عليهم حتى خرجوا عن طاعته، فغزاهم أيضاً وقتل فيهم وكذلك أيضاً غزا بني القين، وجرى له مع المذكورين حروب يطول شرحها، وكان الظفر لزهير. ولما أسنّ زهير المذكور، شرب الخمر صرفاً حتى مات. قال ابن الأثير[1]: وممن شرب الخمر صرفاً حتى مات عمرو بن كلثوم التغلبي، وأبو عامر ملاعب الأسنة العامري.

ومن ملوك العرب أيضاًكليب بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم بن بكر ابن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل، ووائل هو بن قاسط بن هنب بن أقصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة الفرس بن نزار بن معد بن عدنان، وكان كليب المذكور اسمه وائلاًوكليب لقب غلب عليه[2]، وملك كليب على بني معد، وقاتل جموع اليمن وهزمهم، وعظم شانه وبقي زماناً من الدهر.

ثم داخل كليباً زهو شديد، وبغى على قومه، فصار يحمي عليهم مواقع

(١) انظر الكامل ج١ص٣٩٤.
(٢) انظر الكامل. ج١ ص٤١٠.

السحاب، فلا يرعى حماه، ويقول وحش أرض كذا في جواري، فلا يصاد، ولا ترد إبل مع إبله، ولا توقد نار مع ناره،وبقي كذلك حتى قتله (جساس) بن مرة بن ذهل ابن شيبان وشيبان من بني بكر بن وائل المذكور.

وكان سبب مقتل كليب أن رجلاً من جرم نزل على خالة جساس وكان اسم خالته المذكورة البسوس بنت منقذ التميمية، وكان للجرمي المذكور ناقة اسمها سراب فوجدها كليب ترعى في حماه، فضربها بالنشاب وأخرم ضرعها. وجاءت الناقة إلى الجرمي صاحبها مجروحة، فصرخ بالذل، فلما سمعته البسوس وضعت يدها على رأسها وصاحت: واذلاه، بسبب نزيلها الجرمي المذكور. فاستنصر جساس لخالته، وقصد كليباً وهومنفرد في حماه، فضربه بالرمح فقتله.

ولما قتل كليب قام أخوه (مهلهل)بن ربيعة بن الحارث المذكور وجمع قبائل تغلب واقتتل مع بني بكر، وجرى بينهم عدة وقائع أولها (يوم عنيزة) وكانوا في القتال على السواء ثم اتقعوا بماء يقال له (النهي)، وكان رئيس تغلب مهلهلاً، ورئيس بني شيبان بن بكر (الحارث) بن مرة أخا جساس ، وكان النصر لبني تغلب وقتل من بكر جماعة ثم التقوا (بالذنائب)[1] وهي من أعظم وقائعهم ، فانتصر مهلهل وبنو تغلب، وقتل من بني بكر مقتلة عظيمة، وقتل من بني شيبان جماعة، منهم شراحيل بن هشام بن مرة، وهو ابن أخي جساس ، وشراحيل المذكور هو جد معن بن زائدة الشيباني، وقتل أيضاً الحارث بن مرة، وهو أخو جساس، كذلك قتل جماعة من رؤساء بني بكر.

ثم التقوا (يوم واردات) فظفرت تغلب أيضاً، وكثر القتل في بكر، وقتل همام أخو جساس لأبيه وأمه، وجعلت تغلب تطلب جساساً أشد الطلب، فقال له أبو مرة الحق بأخوالك بالشام، وأرسله سراً مع نفر قليل، وبلغ مهلهلاً الخبر فأرسل في طلبه ثلاثين نفراً فأدركوا جساساً واقتتلوا، فلم يسلم من أصحاب مهلهل غير رجلين، وكذلك لم يسلم من البكريين أصحاب جساس غير رجلين، وجرح جساس جرحاً شديداً مات منه، وعاد الذين سلموا فخبروا أصحابهم، وكذلك قتل مهلهل أيضاً (بجير) بن الحارث البكري، ولما قتله مهلهل قال: بؤ بشسع نعل كليب[2] فلما

---

(١) في الكامل : الذنائب ج١ ص٤١٨.

(٢) أي اقتل بدل شسع النعل ، وهو سير يمسك النعل بأصابع القدم .

قتل بجير قال أبوه الحارث الأبيات المشهورة التي منها :

قـربا مـربـط النعـامـة مـنـي شاب رأسي وأنكرتني رجالي

لـم أكـن مـن جناتهـا علم اللّـ ـه وإني بحرّها اليوم صالي

والنعامة اسم فرسه، ودامت الحرب بين بني وائل المذكورين كذلك نحو أربعين سنة.

ولما قتل جساس أرسل أبوه مرة يقول لمهلهل: قد أدركت ثأرك وقتلت جساساً، فاكفف عن الحرب، ودع اللجاج والإسراف. فلم يرجع مهلهل عن القتال.

ولما طالت الحروب بينهم، وأدركت تغلب ما أرادته من بكر، أجابوهم إلى الكف عن القتال، وعدم مهلهل، واختلف في صورة عدمه، تركنا ذكره للاختصار.

ومن ملوك العرب (زهير) بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث ابن قطيعة بن عبس. وهو والد الملك قيس بن زهير العبسي، وكان لزهير أتاوة على هوازن يأخذها كل سنة في عكاظ، وهو سوق العرب أيام الموسم بالحجاز، وكان يسوم هوازن الخسف، فكان في قلوبهم منه، ووقعت الحرب بين زهير وبين عامر، فاتفقت هوازن مع خالد بن جعفر بن كلاب وبني عامر على حرب زهير، واقتتلوا معه فاعتنق زهير وخالد وتقاتلا، فقتل زهير وسلم خالد، وكانت الوقعة بالقرب من أرض هوازن، فحملت زهيراً بنوه ميتاً إلى بلادهم، فقال: ورقة بن زهير أبياتاً في ذلك منها يقول لخالد المذكور:

فَطِرْ خالد إن كنت تسطيع طيرة ولا تقعـن إلا وقـلبك حـاذرُ

أتتـك المنايا إنْ بقيت بضـربـة تفارق منها العيش والموت حاضرُ

ولما كان من خالد بن جعفر بن كلاب ما كان من قتل زهير، خاف وسار إلى النعمان بن امرئ القيس اللخمي ملك الحيرة واستجار به، وكان زهير سيد غطفان، فانتدب منهم (الحارث) بن ظالم المري، وقدم إلى النعمان في معنى حاجة له، وكان النعمان قد ضرب لخالد قبة، فلما جنَّ الليل، دخل الحارث إلى خالد وقتله في قبته غيلة وهرب وسلم.

ثم جمع (الأخوص) بن جعفر، وهو أخو خالد، بين عامر وأخذ في طلب الحارث المري، وكذلك أخذ النعمان في طلبه لقتله جاره، وجرى بسبب ذلك

حروب وأمور يطول شرحها وكان آخرها يوم شعب جبلة، على ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

ومن ملوك العرب (الملك قيس) بن زهير العبسي المذكور، وكان قد جمع لقتال بني عامر أخذاً بثأر أبيه زهير.

ثم نزل قيس بالحجاز، وفاخر قريشاً، ثم رحل عن قريش ونزل على بني بدر الفزاري الذبياني، ونزل على حذيفة بن بدر منهم، وكان قيس قد اشترى من الحجاز حصانه داحساً وفرسه الغبراء، وقد قيل أن الغبراء بنت داحس استولدها قيس من داحس ولم يشترها. وكان لحذيفة بن بدر فرسان يقال لهما الخطار والحنفاء، وقصدان يسابق مع فرسي قيس، داحس والغبراء، فامتنع قيس وكره السباق، وعلم أنه ليس في ذلك خير،فأبى حذيفة إلا المسابقة، فاجروا الأربعة المذكورة بموضع يقال له ذات الأصاد، وكان الميدان نحو مائة غلوة،والغلوة الرمية بالسهم أبعد ما يمكن، وكان الرهن مائة بعير، فسبق داحس سبقاً بيناً والناس ينظرون إليه، وكان حذيفة قد أكمن في طريق الخيل من يعترض داحساً إنْ جاءَ سابقاً، فاعترضه ذلك القوم وضربوه على وجهه، فتأخر داحس.

ثم سبقت الغبراء أيضاً الخطار والحنفاء فأنكر حذيفة ذلك كله وادّعى السبْق، فوقع الخلف بين بني بدر وبني قيس، وكان بين الربيع بن زياد وَبين قيس خلف بسبب درع اغتصبها الربيع من قيس، وكان يسوء الربيع اتفاق بني بدر مع قيس، فلما وقع بينهم بسبب السباق سره ذلك، ولما اشتد الأمر بينهم قتل قيس (ندبة) بن حذيفة، وكان لقيس أخ يقال له (مالك) بن زهير، وكان نازلاً على بني ذبيان، فلما أبلغهم قتل ندبة، قتلوا مالك بن زهير المذكور غيلة، ولما بلغ الربيع بن زياد مقتل مالك عظم ذلك عليه جداً، وعطف على قيس وانتصر له وعمل الربيع أبياتا في مقتل مالك منها:

من كان مسروراً بمقتل مالك	فليأت نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسراً يندبنه	ويقمن قبل تبلج الأسحار

ثم اجتمع قيس والربيع واصطلحا وتعانقا، وقال قيس للربيع إنه لم يهرب منك من لجأ إليك، ولم يستغن عنك من استعان بك، واجتمع إلى قيس والربيع بنو عبس، واجتمع إلى بني بدر بنو فزارة وذبيان، واشتدت الحروب بينهم وهي المعروفة بينهم (بحرب داحس) فاقتتلوا أولا فقتل عو ف بن بدر، وانهزمت فزارة، وقتلت بنو عبس

فيهم قتلاً ذريعاً، ثم اتقعوا ثانياً فانتصرت بنو عبس أيضاً، وكانت الدائرة على فزارة، وقتل الحارث بن بدر وطالت الحروب بينهم، وكان آخرها أنهم اتقعوا فانهزمت فزارة، وانفرد حذيفة وحمل أخوه ومعهما جماعة يسيرة وقصدوا (جفر الهباة)[١] فلحقهم بنوعبس وفيهم قيس والربيع بن زياد وعنترة، وحالوا بين بني بدر وبين خيلهم، وقتلوا حذيفة وأخاه حملا ابني بدر، وأكثر الشعراء في ذكر جفر الهباة ومقتل بني بدرعليه، وظهرت في هذه الحروب شجاعةعنترة بن شداد.

ثم أن فزارة بعد مقتل بني بدر ساعدتهم قبائل كثيرة، لأنهم أعظموا قتل بني بدر، فلما قويت فزارةسارت بنوعبس ودخلوا على كثير من أحياء العرب، ولم يطل لهم مقام عند أحد منهم، وآخر الحال أن بني عبس قصدوا الصلح مع فزارة. فأجابتهم شيوخ فزارة إلى ذلك.

وتم الصلح بينهم، وقيل أن بني عبس لما سارت إلى بني فزارة واصطلحوا معهم لم يسر معهم الملك قيس، بل انفرد عن بني عبس وتاب وتنصر وساح في الأرض حتى انتهى إلى عمان، فترهب بها زماناً، وقيل أن قيساً تزوج في النمر بن قاسط لما انفرد عن بني عبس وولد له ولد اسمه فضالة، وبقي فضالة المذكور حتى قدم على النبيﷺ وعقد له رسول اللهﷺ على من معه من قومه، وكانوا تسعة وهو عاشرهم.

وكان بين ملوك العرب وقائع في أيام مشهورة فمنها (يوم خزار) اتقعت فيه بنو ربيعة بن نزار، وهو ربيعة الفرس، وقبائل اليمن، وكانت الدائرة على اليمن، وانتصرت بنو ربيعة عليهم وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وقيل: أن قائد بني ربيعة كان كليب وائل المقدم الذكر، وخزار جبل بين البصرة إلى مكة.

(ومنها) أيام بني وائل بسبب قتل كليب، كانت بين تغلب وقائدهم مهلهل أخو كليب، وبين بكر وقائدهم مرة ابو جساس،فاولها (يوم عنيزة) وتكافا فيه الفريقان،ثم كان بينهم (يوم واردات) وانتصرت فيه تغلب على بكر، ثم (يوم الحنو) وكان لبكر على تغلب، ثم (يوم القصيبات) انتصرت فيه تغلب وأصيبت بكر حتى ظنوا أنهم قد بادوا، ثم (يوم أقضة) ويقال يوم التحالق، كثر فيه القتل في الفريقين، وكان بينهم أيام أخر لم يشتد فيها القتال كهذه الأيام.

---

(١) في الكامل : جفر الهباءة. ج١ص٤٥٨.

ومن أيام العرب (يوم عين اباغ) وكان بين غسان ولخم، وكان قائد غسان الحارث الذي طلب أدراع امرئ القيس وقيل غيره، وكان قائد لخم المنذر بن ماء السماء بغير خلاف، وقتل المنذر في هذا اليوم،وانهزمت لخم، وتبعتهم غسان إلى الحيرة، واكثروا فيهم القتل وعين أباغَ بموضع يقال له ذات الخبار.

ومن أيام العرب (يوم مرج حليمة) وكان بين غسان ولخم أيضاً، وقعة يوم مرج حليمةمن أعظم الوقعات، وكانت الجيوش فيه قد بلغت من الفريقين عدداً كثيرا، وعظم الغبار حتى قيل أنّ الشمس قد انحجبت وظهرت الكواكب التي في خلاف جهةالغبار، واشتد القتال فيه ، واختُلِف في النصر لمن كان منهم.

ومنها (يوم الكلاب الأول) وكان بين الأخوين شراحيل وسلمة ابني الحارث ابن عمرو الكندي، وكان مع شراحيل وهو الأكبر بكر بن وائل وغيرهم، وكان مع سلمة أخيه تغلب وائل وغيرهم، واتقعوا في الكلاب وهو بين البصرة والكوفة،واشتد القتال بينهم، ونادى منادي شراحيل من أتاه برأس أخيه سلمة فله مائة من الإبل، ونادي منادي سلمة من أتاه برأس أخيه شراحيل فله مائة من الإبل، فانتصر سلمة وتغلب على شراحيل وبكر، وانهزم شراحيل وتبعته خيل أخيه ولحقوه وقتلوه وحملوا رأسه إلى سلمة.

ومنها (يوم أوارة) وهو جبل، وكان بين المنذر بن امرئ القيس ملك الحيرة وبين بكر وائل بسبب اجتماع بكر على سلمة بن الحارث، فظفر المنذر ببكر، واقسم أنه لا يزال يذبحهم حتى يسيل دمهم من رأس أوارة إلى حضيضه، فبقي يذبحهم والدم يجمد، فسكب عليه ماء حتى سال الدم من رأس الجبل إلى حضيضه، وبرّت يمينه.

ومنها (يوم رحرحان) من العقد : قال وكان من أمره، أنّ الحارث بن ظالم المري ثم الذبياني، لمّا قتل خالد ابن جعفر بن كلاب قاتل زهير، حسبما تقدم - ذكره، عند ذكر مقتل زهير ، هرب الحارث من النعمان ملك الحيرة، لكونه قتل خالداً وهو في جيرة النعمان، فلم يجر الحارث المذكور أحد من العرب خوفاً من النعمان، حتى استجار بمعبد بن زرارة فأجاره، فلم يوافقه قومه بنوتميم، وخافوا من ذلك، ووافقه منهم بنو ماوية وبنو دارم فقط، فلما بلغ الأخوص أخا خالد مكان الحارث المري من معبد، سار إليه واقتتلوا بموضع يقال له وادي (رحرحان) فانهزمت بنو تميم، وأسر معبد بن زرارة، وقصد أخوه لقيط بن زرارة أن يستفكّه،

فلم يقدر، وعذبوا معبداً حتى مات.

ومنها (يوم شعب جبلة) وهو من أعظم أيام العرب، وكان من حديثه: أنه لما انقضت وقعة رحرحان، استنجد لقيط بن زرارة التميمي ببني ذبيان فنجدته، وتجمعت له بنو تميم، غير بني سعد، وخرجت معه بنو أسد، وساربهم لقيط إلى بني عامر وبني عبس في طلب ثارأخيه معبد، فادخلت بنو عامر وبنو عبس أموالهم في شعب جبلة، هضبة حمراء بين الشريف والشرف وهما (ماآن) فحضرهم لقيط فخرجوا عليه من الشعب، وكسروا جمائع لقيط وقتلوا لقيطاً، وأسروا أخاه حاجب ابن زرارة، وانتصرت بنو عامر وبنوعبس نصراً عظيماً، وفي ذلك يقول جرير:

ويوم الشعْبِ قد تركوا لقيطاً ... كأنّ عليه حلة أرجوانِ

وكُبِّلَ حاجبٌ بالشامِ حولاً ... فحِكم ذا الرقيبة وهو عانِ

وقتل أيضاً من بني ذبيان وبني تميم وبني أسد في يوم شعب جبلة جماعة كثيرة، وقد أكثرت العرب من مراثي المقتولين من القبائل المذكورة، وكان يوم رحرحان قبل يوم شعب جبلة بسنة واحدة، وكان يوم شعب جبلة في العام الذي ولد فيه رسول الله ﷺ (انتهى النقل من العقد لابن عبد ربه).

ومن أيام العرب المشهورة (يوم ذي قار) وكان في سنة أربعين من مولد رسول الله ﷺ، وقيل في عام وقعة بدر الأول أقوى، وكان من حديثه أنّ كسرى برويز غضب على النعمان بن المنذر وحبسه، فهلك في الحبس، وكان النعمان قد أودع حلقته، وهي السلاح والدروع، عند هانئ بن مسعود البكري، فأرسل برويز يطلبها من هانئ المذكور فقال: هذه أمانة والحر لا يسلم امانته، وكان برويز لما أمسك النعمان، قد جعل موضعه في مُلك الحيرة إياس بن قبيصة الطائي، فاستشار برويز إياساً المذكور فقال إياس: المصلحة التغافل عن هانئ بن مسعود المذكورحتى يطمئن، وتتبعه فتدركه، فقال برويز إنه من أخوالك، ولا نالوه نصحاً، فقال إياس: رأيُ الملك أفضل.

فبعث برويز الهرمزان في ألفين من الأعاجم، وبعث ألفا من بهرا، فلما بلغ بكر ابن وائل خبرهم، أتوا مكاناً من بطن ذي قار فنزلوه، ووصلت إليهم الأعاجم، واقتتلوا ساعة وانهزمت الأعاجم هزيمة قبيحة، وأكثرت العرب الاشعار في ذكر هذا اليوم.

الفصل الخامس

في ذكـــر الأمــم

من الصحاح: الأمة الجماعة، هو في اللفظ واحد، وفي المعنى جمع، وكل جنس من الحيوان أمة، وفي الحديث «لولا أنّ الكلابُ أمة من الأممَ لأمرتُ بقتلها»

(ذكر أمة السريان والصابئين من كتاب أبي عيسى المغربي)

قال: أمة السريان هي أقدم الأمم، وكلام آدم وبنيه بالسرياني، وملتهم هي ملة الصابئين، ويذكرون أنهم أخذوا دينهم عن شيث وإدريس، ولهم كتاب يعزونه إلى شيث، ويسمونه صحف شيث، يذكر فيه محاسن الأخلاق، مثل الصدق والشجاعة والتعصب للغريب وما أشبه ذلك، ويأمر به، ويذكر الرذائل ويأمر باجتنابها، وللصابئين عبادات، منها سبع صلوات، منهن خمس توافق صلوات المسلمين، والسادسة صلاة الضحى، والسابعة صلاة يكون وقتها في تمام الساعة السادسة من الليل، وصلاتهم كصلاة المسلمين من النية، وأن لا يخلطها المصلي بشيء من غيرها، ولهم الصلاة على الميت بلا ركوع ولا سجود، ويصومون ثلاثين يوماً وإن نقص الشهر الهلالي صاموا تسعاً وعشرين يوماً، وكانوا يراعون في صومهم الفطر والهلال، بحيث يكون الفطر وقد دخلت الشمس الحمل، ويصومون من ربع الليل الأخير إلى غروب قرص الشمس، ولهم أعياد عند نزول الكواكب الخمسة المتحيرة بيوت أشرافها، والخمسة المتحيرة: زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد. ويعظمون بيت مكة، ولهم بظاهر حرّان مكان يحجونه، ويعظمون أهرام مصر، ويزعمون أن أحدها قبر شيث بن آدم، والآخر قبر إدريس، وهو حنوخ، والآخر قبر صابي بن إدريس الذي ينتسبون إليه، ويعظمون يوم دخول الشمس برج الحمل، فيتهادون فيه ويلبسون أفخر ملابسهم، وهو عندهم من أعظم الأعياد لدخول الشمس برج شرفها.

قال ابن حزم: والدين الذي انتحله الصابئون أقدم الأديان على وجه الدهر، والغالب على الدنيا، إلى أن أحدثوا فيه الحوادث، فبعث الله تعالى إليهم إبراهيم

خليله عليه السلام، بالدين الذي نحن عليه الآن. قال الشهرستاني: والصابئون يقاتلون الحنيفية، ومدار مذهبهم التعصب للروحانيين، كما أن مدارمذهب الحنفاء التعصب للبشر والجسمانيين.

(ذكرأمّة القبط وهم من ولد حام بن نوح)

وكان سكناهم بديار مصر، وكانوا أهل ملك عظيم، وعز قديم، واختلط بالقبط طوائف كثيرة، من اليونان والعماليق والروم وغيرهم، وإنما صاروا أخلاطاً لكثرة من تداول عليهم وَمَلَكَ مصر، فإنَّ أكثر من تملّك مصر الغرباء، وكان القبط في سالف الدهر صابئة يعبدون الهياكل والأصنام، وكان منهم علماء بضروب من علم الفلسفة، وخاصة بعلم الطلسمات والنيرنجات والمرائي المحرقة والكيمياء.

وكانت دار ملكهم مدينة منف[1] وهي على جانب النيل من غربيه، وكانت ملوكهم تلقّب الفراعنة، وقد تقدم ذكرهم.

(ذكر أمّة الفرس ومساكنهم وسط المعمور)

ويقال لها أرض فارس. ومنها: كرمان والاهواز وأقاليم يطول ذكرها، وجميع مادون جيحون من تملك الجهات يقال له إيران، وهي أرض الفرس، وأما ما وراء جيحون فيقال له توران، وهو أرض الترك، وقد اختلف في نسب الفرس، فقيل أنهم من ولد فارس بن إرم بن سام، وقيل: إنهم من ولد يافث، والفرس يقولون: إنهم من ولد كيومرت، وكيومرت عندهم هو الذي ابتدأ منه النسل مثل آدم عندنا، ويذكرون أن الملك لم يزل فيهم من كيومرت، وهو آدم إلى غلبة الإسلام، خلا تقطع حصل في مدد يسيرة لا يعتد به، مثل تغلب الضحاك وفراسياب التركي.

وملوك الفرس عند الأمم أعظم ملوك العالم، وكان لهم العقول الوافرة والأحلام الراجحة، وكان لهم من ترتيب المملكة مالم يلحقهم فيه أحد من الملوك،وكانوا لا يولون ساقط البيت شيئاً من أمور الخاصة.

والفرس فرق كثيرة، فمنهم الديلم، وهم سكان الجبال، ومنهم الجيل وهم يسكنون الوطاة التي لجبال الديلم، وأرضهم هي ساحل بحر طبرستان. ومنهم الكرد، ومنازلهم جبال شهرزور، وقيل: إن الكرد من العرب، ثم تنبطوا. وقيل: إنهم أعراب العجم.

---

(١) منف: اسم مدينة فرعون بمصر. البلدان ٥/٢١٣.

وكان للفرس ملة قديمة، وكان يقال للدائنين بها (الكيومرتية) أثبتوا إلهاً قديماً وسموه يزدان، وإلهاً مخلوقاً من الظلمة محدثا، وسموه أهرمن.

ويزدان عندهم هو اللّه تعالى، وأهرمن هو إبليس، وكان أصل دينهم مبنياً على تعظيم النور، وهو يزدان، والتحرز من الظلمة وهو أهرمن، ولما عظموا النور عبدوا النيران، وكان الفرس على ذلك حتى ظهر (زرادشت).

وكان على أيام بشتاسف فقبل دينه ودخل فيه، ثم صارت الفرس على دينه، وذكر لهم زرادشت كتاباً زعم أن اللّه تعالى أنزله عليه، وزرادشت من أهل قرية من قرى أذربيجان، ولهم في خلق زرادشت وولادته كلام طويل لافائدة فيه، فاضربنا عنه، وقال زرادشت بإله يسمى أرمزد بالفارسي وأنه خالق النور والظلمة ومبدعهما، وهو واحد لاشريك له، وأن الخير والشر والصلاح والفساد إنما حصل من امتزاج النور بالظلمة، ولو لم يمتزجا لما كان وجود للعالم، ولا يزال المزاج حتى يغلب النورالظلمة، ثم يتخلص الخير إلى عالمه والشر إلى عالمه، وقُبْلَة زرادشت إلى المشرق، حيث مطلع الأنوار.

وللفرس أعياد ورسوم فمنها (النوروز)، وهو اليوم الأول من فروردينماه، واسمه يوم جديد، لكونه غرّة الحول الجديد، وبعده أيام خمسة كلها أعياد، ومن أعيادهم (التيركان)، وهو ثالث عشر تيرماه، ولما وافق اسم اليوم الثالث عشر اسم شهره صار ذلك اليوم عيداً، وهكذا كل يوم يوافق اسمه اسم شهره فهو عيد، ومنها (المهرجان) وهو سادس عشر مهرماه، وفيه زعموا أنّ أفريدون ظفر بالساحر الضحاك بهوراسب، وحبسه في جبل دنياوند، ومنها (الفروردجان) وهو الأيام الخمسة الأخيرة من أبان ماه، يضع المجوس فيها الأطعمة والأشربة لأرواح موتاهم، على زعمهم، ومنها (ركوب الكوسج) وهو أنّه كان يأتي في أول فصل الربيع رجل كوسج راكب حماراً، وهو قابض على غراب، وهو يتروّح بمروحة ويودع الشتاء، وله ضريبة يأخذها، ومتى وجد بعد ذلك اليوم ضرب. ومنها (الذق) وهو العاشر من بهسنماه، وليلته، وتوقد في ليلته النيران، ويشرب حولها. ومنها (الكنبهارات) وهي أقسام لأيام السنة مختلفة في أول كل قسم منها خمسة أيام هي في الكنبهارات، زعم زرادشت أنّ في كل يوم خلق اللّه تعالى نوعاً من الخليقة، من سماء وأرض وماء ونبات وحيوان وأنس، فتمّ خلق العالم في ستة أيام.

(ذكر أمّة اليونان)

قال أبو عيسى: المنقول عن أصحاب السير من اليونان، أنّ اليونان نجموا من

رجل اسمه اللن، ولد سنة أربع وسبعين لمولد موسى النبي عليه السلام، وكان أميرس الشاعر اليوناني موجوداً، في سنة ثمان وستين وخمسمائة لوفاة موسى عليه السلام، وهو تاريخ ظهور أمّة اليونان واشتهارهم، ولم يُعلموا قبل ذلك.

قال: وكانوا أهل شعر و فصاحة، ثم صارت فيهم الفلسفة في زمان بخت نصر. قال: وهذا منقول من كتاب كوولبس الذي ردّ فيه على لليان الذي ناقض الإنجيل، أقول وقد نقل الشهرستاني أن أبيدقليس كان في زمن داود النبي عليه السلام، وكذلك فيثاغورس كان في زمن سليمان بن داود عليه السلام، وأخذ الحكمة من معدن النبوة، وكانت وفاة سليمان بن داود لمضي خمسمائة وثلاث وسبعين سنة من وفاة موسى، وكان أبيدقليس وفيثاغورس فيلسوفين مشهورين من اليونانيين، فقول أبي عيسى إن الفلسفة إنما ظهرت من اليونان في زمن بخت نصر، غير مطابق لما نقله الشهرستاني فإن بخت نصر بعد سليمان بأكثر من أربعمائة سنة.

ومن كتاب ابن سعيد المغربي: أن بلاد اليونان كانت على الخليج القسطنطيني من شرقيه وغربيه إلى البحر المحيط، والبحر القسطنطيني هو خليج بين بحر الروم وبحر القرم، واسم بحر القرم في القديم بحر نيطش – بكسر النون وياء مثناة من تحتها ساكنة وطاء مهملة لا أعلم حركتها وشين معجمة – قال: واليونان (فرقتان): فرقة يقال لهم (الإغريقيون) وهم اليونانيون الأول، والفرقة الثانية يقال لهم (اللطينيون).

وقد اختلف في نسب اليونان، فقيل أنهم من ولد يافث، وقيل أنهم من جملة الروم من ولد صوفر بن العيص بن يعقوب بن إبراهيم الخليل عليهما السلام.

وكانت ملوك اليونان المقدم ذكرهم في الفصل الثالث، من أعظم الملوك، ودولتهم من أفخر الدول، ولم يزالوا كذلك حتى غلبت عليهم الروم، حسبما تقدم في ذكر أغسطس، فدخلت اليونان في الروم ولم يبق لهم ذكر.

قال: وكانت بلادهم في الربع الشمالي الغربي، متوسطها الخليج القسطنطيني، وجميع العلوم العقلية مأخوذة عنهم، مثل العلوم المنطقية والطبيعية والإلهية و الرياضية، وكانوا يسمون العلم الرياضي جومطريا، وهو المشتمل على علم الهيئة والهندسة والحساب واللحون والإيقاع وغير ذلك، وكان العالم بهذه العلوم يسمى فيلوسوفاً، وتفسيره محب الحكمة، لأن فيلو (محب) وسوفا (الحكمة).

فمن فلاسفتهم (ثاليس الملطي)، قال ابو عيسى : كان في زمن بخت نصر ومنهم (أبيد قليس وفيثاغورس)، اللذين تقدم أنهما كانا في زمن داود وسليمان عليهما السلام، وفيثاغورس من كبار الحكماء، ويزعم انه سمع حفيف الفلك، ووصل إلى مقام الملك. وقال : ما سمعت شيئاً ألذّ من حركات الأفلاك، ولارأيت شيئاً أبهى من صورتها.

ومنهم (أبقراط) الحكيم الطبيب المشهور، ونجم في سنة مائة وست وتسعين لبخت نصر، فيكون ابقراط قبل الهجرة بالف ومائة وبضع وسبعين سنة.

ومنهم (سقراط)، قال الشهرستاني في الملل والنحل : إنه كان حكيماً فاضلاً زاهداً، واشتغل بالرياضة،وأعرض عن ملاذ الدنيا، واعتزل إلى الجبل وأقام في غار، ونهى الناس عن الشرك وعبادة الأوثان فثارت عليه العامة، والجأوا ملكهم إلى قتله فحبسه ثم سقاه سمّاً فمات.

ومنهم (أفلاطون) الإلهي، وكان تلميذاً لسقراط المذكور، ولما اغتيل سقراط بالسم، قام أفلاطون مقامه وجلس على كرسيه.

ومنهم (أرسطوطاليس) وكان تلميذاً لافلاطون، وكان أرسطو المذكور في زمن الإسكندر، وبين الإسكندر والهجرة تسعمائة وأربع وثلاثون سنة، فيكون أفلاطون قبل ذلك بمدة يسيرة، وكذلك يكون سقراط قبل أفلاطون بمدة يسيرة أيضاً، فبالتقريب يكون بين سقراط والهجرة نحو الف سنة، ويكون بين أفلاطون والهجرة اقل من ألف سنة.

ومنهم (طيماوس) وهو من مشايخ أفلاطون، وأمّا (أرسطوطاليس) فهو المقدم المشهور، والحكيم المطلق. قال الشهرستاني : ولما صار عمر أرسطو المذكور سبع عشر سنة اسلمه ابوه إلى افلاطون فمكث عنده نيفاً وعشرين سنة، ثم صار حكيما مبرزاً يعتمدعليه .

ومن جملة تلامذة أرسطو الملك الإسكندر، الذي ملك غالب المعمور، من الغرب إلى الشرق، وأقام الإسكندر يتعلم على أرسطو خمس سنين، وبلغ فيها أحسن المبالغ، ونال من الفلسفة مالم ينل سائر تلاميذ أرسطو، ولما لحق أباه فيلبس مرض الموت، أخذ ابنه الإسكندر من أرسطو وعهده إليه بالملك.

ومنهم (يرقلس) وكان بعد أرسطو وصنف كتاباً أورد فيه شبهاً في قدم العالم.

ومنهم (الإسكندر الافروديسي) وكان بعد أرسطو، وهو من كبار الحكماء.

ومما نقلناه من تاريخ ابن القفطي وزير حلب، في أخبار الحكماء قال: فمنهم (طيموخارس) وهو حكيم رياضي يوناني، عالم بهيئة الفلك رصد الكواكب في زمانه، وقد ذكره بطلميوس في المجسطي، وكان وقته متقدماً لوقت بطلميوس بأربعمائة وعشرين سنة.

ومنهم (فرفوريوس) وكان من أهل مدينة صور على البحر الرومي بالشام، و كان بعد زمن جالينوس الذي سنذكره، وكان فرفوريوس المذكور عالماً بكلام أرسطو، وقد فسر كتبه لمّا شكا إليه الناس غموضها، وعجزهم عن فهم كلامه.

ومنهم (فلوطيس) وكان فاضلاً حكيماً يونانياً، وشرح كتب أرسطو ونقلت تصانيفه من الرومي إلى السرياني قال: ولا أعلم ان شيئاً منها خرج إلى العربي.

ومنهم (فولس الاجانيطي) ويعرف بالقوابلي نسبة إلى القوابل (جمع قابلة) وكان خبيراً بطب النساء، كثير المعاناة له، وكان القوابل يأتينه ويسألنه عن الأمور التي تحدث بالنساء عقيب الولادة، فينعم السؤال لهنّ ويجيبهن بما يفعلنه، وكان زمنه بعد زمن جالينوس، وكان مقامه بالإسكندرية.

ومنهم (لسلون) المتعصب، وكان حكيماً يونانياً يقرئ فلسفة افلاطون وينتصر لها، فسمي لذلك بالمتعصب.

ومنهم (مقسطراطيس) وكان فيلسوفاً يونانياً شرح كتب أرسطو، وخرجت إلى العربي.

ومنهم (منطر الإسكندري) وكان إماماً في علم الفلك، واجتمع هو (وافطيمن) بالإسكندرية، واحكما آلات الرصد، و رصدا الكواكب، وحققاها، وكان زمنهما قبل زمن بطلميوس صاحب المجسطي بنحو خمسمائة وإحدى وسبعين سنة.

ومنهم (مورطس) ويقال مورسطس، حكيم يوناني له رياضة وحيل، وصنف كتاباً في الآلة المسماة بالارغن، وهي آلة تسمع على ستين ميلاً.

ومنهم (مغلس) الحمصي من أهل حمص، وكان من تلامذة ابقراط، وله ذكر في زمانه، وله تصانيف منها كتاب البول وغيره.

ومنهم (مشرود يطوس) ولم يذكر زمانه، بل قال عنه : إنه كان طبيباً وحكيماً، وهوالذي ركب المعجون المسمى (مشروديطوس)، سمّي معجونه باسمه، وكان معتنياً بتجربة الأدوية، وكان يمتحن قواها في شرار الناس الذين قد وجب عليهم القتل، فمنها ما وجده موافقاً للدغة الرتيلاء ومنها ماوجده موافقاً للدغة العقرب، وكذلك غير ذلك، انتهى كلام ابن القفطي .

(وأما بطلميوس وجالينوس) فإن زمانهما متأخر عن زمن اليونان، وكانا في زمن الروم وأحدهما قريب من الآخر، وكان بطلميوس متقدماً على جالينوس بقليل. قال ابن الأثير في الكامل وقد أدرك جالينوس زمن بطلميوس، وكان بطلميوس مصنف المجسطي المذكور في زمن انطونينوس، ومات انطونينوس في أول سنة اثنتين وستين وأربعمائة لغلبة الإسكندر، وكان بين رصد بطلميوس ورصد المأمون ستمائة وتسعون سنة، وكان رصدالمأمون بعد سنة مائتين للهجرة، فيكون بين الهجرةورصد بطلميوس أربعمائة وتسعون سنة بالتقريب، وكان جالينوس في أيام قوموذوس الملك، وكان موت قوموذوس في سنة أربع وتسعين وأربعمائة للإسكندر، فيكون بين جالينوس والهجرة أكثر من أربعمائة سنة بقليل،وذلك كله بالتقريب .

ومن حكماء اليونان (إقليدس) صاحب كتاب الاستقصات المسمى باسمه، قال ابو عيسى : وكان إقليدس في أيام ملوك اليونان البطالسة، فلم يكن بعد أرسطو ببعيد قال : وليس هومخترع كتاب إقليدس، بل هو جامعه ومحرره ومحققه، ولذلك نسب إليه .

ومنهم (ابرخس) وكان حكيماً رياضياً، ورصد الكواكب وحققها، ونقل بطلميوس عنه في المجسطي، وكان بين رصد أبرخس وبين رصد بطلميوس مائتان وخمس وثمانون سنة فارسية بالتقريب

(ذكر أمة اليهود)

قد تقدّم ذكر موسى صلوات الله وسلامه عليه، وكذلك تقدم ذكر بني اسرائيل، وإسرائيل هويعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام. وكان لإسرائيل المذكور إثنا عشر ابناً وهم روبيل ثم شمعون ثم لاوي ثم يهوذا ثم يساخر ثم زبولون ثم يوسف ثم بنيامين ثم دان ثم نفتالي ثم كاذ ثم أشار أولاد إسرائيل المذكور. وهؤلاء الإثنا عشر، منهم كانت أسباط بني إسرائيل، وجميع بني إسرائيل

هم أولادالإثني عشر المذكورين.

وأمة اليهود أعمّ من بني إسرائيل، لان كثيراً من أجناس العرب والروم والفرس وغيرهم صاروا يهوداً، ولم يكونوا من بني إسرائيل، وإنما بنو إسرائيل هم الاصل في هذه الملة، وغيرهم دخيل فيها. فلذلك قد يقال لكل يهودي إسرائيلي.

وقد تقدم ذكر حكام بني إسرائيل وملوكهم في الفصل الأول، وأمّا اسم اليهود فقد قال الشهرستاني في الملل والنحل: هاد الرجل أي رجع وتاب، وإنما لزمهم هذا الاسم لقول موسى عليه السلام: ﴿إنا هدنا إليك﴾ [الأعراف:١٥٦] اي رجعنا وتضرعنا.

قال البيروتي في الآثار الباقية: ليس ذلك بشيء، وإنما سمّيّ هؤلاء باليهود نسبة إلى يهوذا أحد الأسباط، فإن الملك استقر في ذريته، وأبدلت الذال المعجمة دالاً مهملة، كما يوجد مثل ذلك في كلام العرب، وكتابهم التوراة، وقد اشتملت على أسفار، فذكر في السفر الأول مبتدأ الخلق، ثم ذكر الأحكام والحدود والأحوال والقصص والمواعظ والأذكار في سفر وانزل على موسى عليه السلام الألواح أيضاً، وهي شبه مختصر ما في التوراة. انتهى.

كلام الشهرستاني من (كتاب خير البشر بخير البشر) قال فيه: وليس في التوراة ذكر القيامة ولا الدار الآخرة، ولا فيها ذكر بعث ولاجنة ولا نار، وكل جزاء فيها إنما هو معجل في الدنيا، فيجزون على الطاعة بالنصر على الاعداء وطول العمر وسعة الرزق ونحو ذلك. ويجزون على الكفر والمعصية بالموت ومنع القطر والحميات والجرب، وأن ينزل عليهم بدل المطر الغبار والظلمة ونحو ذلك، وليس فيها ذم الدنيا ولا الزهد فيها، ولاوظيفة صلوات معلومة بل الأمر بالبطالة والقصف واللهو.

ومما تضمنته التوراة أن يهوذا بن يعقوب في زمان نبوته، زنى بامرأة ابنه، وأعطاها عمامته وخاتمه، رهناً على جدي هو أجرة الزنا، وهو لايعرفها، فامسكت رهنه عندها، وأرسل إليها بالجدي فلم تأخذه وظهر حملها، وأخبر يهوذا بذلك فأمر بها أنْ تحرق، فأنفذت إليه بالرهن، فعرف يهوذا أنه هو الذي زنى بها فتركها وقال: هي أصدق.

ومما تضمنته أيضاً، أنّ روبيل بن يعقوب وطئ سرية أبيه، وعرف بذلك أبوه، ومما تضمنته أيضاً أن أولاد يعقوب من أمتيه كانوا يزنون مع نساء أبيهم، وجاء

يوسف وعرف أباه بخبر إخوته القبيح .

ومما تضمنته : أنّ راحيل أخت ليّا، وكانت الأختان المذكورتان قد جمع بينهما يعقوب في عقد نكاحه، وكان ذلك حلالاً في ذلك الزمان، قال : فاشترت راحيل من أختها وضرتها ليا، مبيت بن ليا، وهو روبيل، عند راحيل لبطاها، بنوبتها من يعقوب ليبيت عند ليا، وقد تضمنت من نحو ذلك كثيرا أضربنا عنه .

رجعنا إلى كلام الشهرستاني قال : واليهود تدعّي أنّ الشريعة لاتكون إلا واحدة،وهي ابتدأت بموسى وتمت به، وإما ما كان قبل موسى فإنما كان حدوداً عقلية وأحكاماً مصلحية، ولم يجيزوا النسخ أصلاً، فلم يجيزوا بعده شريعة أخرى . قالوا : والنسخ في الأوامر بدا ولا يجوز البدا على الله تعالى .

وافترقت اليهود فرقاً كثيرة : (فالربانية) منهم كالمعتزلة فينا، (والقراؤون) كالمجبرة والمشبهة فينا، ومن فرق اليهود (العانانية) نسبوا إلى رجل منهم يقال له عانان بن داود، وكان رأس جالوت، ورأس الجالوت هو اسم للحاكم على اليهود بعد خراب بيت المقدس الخراب الثاني، فإنه لما ذهب المُلك منهم بغزو بخت نصر، صار الحاكم عليهم في القدس يسمى هردوس أوهيرودس، وكان والياً من جهة الفرس ثم صار من جهة اليونان كذلك، ثم صار من جهة أغسطس، ومن بعده من ملوك الروم كذلك، حتى غزاهم طيطوس وأبادهم وخرب بيت المقدس الخراب الثاني،على ما تقدم ذكره،وتفرقت اليهود في البلاد ولم تعد لهم بعد ذلك رياسة يعتد بها، وصار منهم بالعراق وتلك النواحي جماعة، وكانوا يرجعون إلى كبير منهم، فصار اسم ذلك الكبير الذي يرجعون إليه رأس الجالوت، فمن مذهب العانانية المذكورين، أنّهم يصدّقون المسيح في مواعظه وإشاراته، ويقولون أنه لم يخالف التوراة البتة، بل قررها ودعا الناس إليها، وهو من انبياء بني إسرائيل المتعبدين بالتوراة، إلا أنهم لا يقولون بنبوته، ومنهم من يدعي أن عيسى لم يدّع أنه نبي مرسل ولا أنه صاحب شريعة ناسخة لشريعة موسى عليه السلام، بل هو من أولياء الله المخلصين،وانّ الإنجيل ليس كتاباً منزلاً عليه، وحياً من الله تعالى، بل هو جميع أحواله جمعه أربعة من أصحابه، واليهود ظلموه أولاً، حيث كذبوه، ولم يعرفوا بعد دعواه، وقتلوه آخراً ولم يعلموا محله ومغزاه، وقد ورد في التوراة ذكر المشيحا في مواضع كثيرة وهو المسيح .

(وأما السمرة) فمنهم فرقة يقال لها الدستانية، وتسمى الدستانية أيضاً

الفانية، ومنهم فرقة يقال لها (كوشانية) والدستانية يقولون : إنما الثواب والعقاب في الدنيا، وأما الكوشانيةفيقرون بالآخرة وثوابها وعقابها .

ولليهود أعياد وصيام فمنها (الفصح) وهو اليوم الخامس عشر من نيسان اليهود، وهو عيد كبير وهو أول أيام الفطيرْ السبعة، ولا يجوز لهم فيها أكل الخمير، لأنهم أمروا في التوراة أن يأكلوا في هذه الأيام فطيراً، وآخر هذه الأيام الحادي والعشرون من الشهر المذكور، والفصح يدور من ثاني عشر آذار إلى خامس عشر نيسان، وسبب ذلك أن بني إسرائيل لما تخلصوا من فرعون، وحصلوا في التيه اتفق ذلك ليلة الخاس عشر من نيسان اليهود والقمر تام الضوء، والزمان زمان ربيع فأمروا بحفظ هذا اليوم وفي آخر هذه الأيام غرق فرعون في بحر السويس وهو بحر القلزم .

ولهم (عيد العنصرة) وهو بعد الفطير بخمسين يوماً، ويكون في السادس من شيون، وفيه حضر مشايخ بني إسرائيل إلى طورسيناء مع موسى عليه السلام، فسمعوا كلام الله تعالى من الوعد والوعيد، فاتخذوه عيداً .

ومن أعيادهم (عيد الحنكة) ، ومعناه التنظيف، وهو ثمانية أيام، أولها الخامس والعشرون من كسليو، يَسْرِجُون في الليلة الاولى سراجاً، وفي الثانية اثنين، وكذلك حتى يسرجوا في الثامنة ثمانية سرج، وذلك تذكار أصغر ثمانية إخوة، قَتَلَ بعض ملوك اليونان، فإنه كان قد تغلب عليهم ملك من اليونان ببيت المقدس، وكان يفترع البنات قبل الإهداء إلى أزواجهن، وكان له سرداب قد أخرج منه حبلين عليهما جلجلان، فإن احتاج إلى امرأة حرك الأيمن فتدخل عليه، فإذا فرغ منها حرك الأيسر فيخلي سبيلها، وكان في بني إسرائيل رجل له ثمانية بنين وبنت واحدة، فتزوجها إسرائيلي وطلبها، فقال له أبوها : إن أهديتها إليك افترعها هذا الملعون، ووبخ بنيه بذلك ، فانفوا من ذلك، ووثب الصغير منهم فلبس ثياب النساء، وخبأ خنجراً تحت قماشه، وأتى باب الملك على انه أخته، فلما حُرّك الجرس أدُخل عليه فحين خلا به قتله وأخذ رأسه، وحرّك الحبل الأيسر وخرج فخلي سبيله، فلما ظهر قتل الملك، فرح بذلك بنو إسرائيل واتخذوه عيدا في ثمانية أيام تذكاراً للإخوة الثمانية .

ومن أعيادهم (المظال) وهي سبعة أيام، أولها خامس عشر تشرين الأول، يستظلون فيها بالخلاف والقصب وغير ذلك، وهو فريضة على المقيم دون المسافر، وأمروا بذلك تذكاراً لإظلال الله تعالى إياهم بالغمام في التيه، وآخر المظال وهو حادي عشرين تشرين، يسمى (عرابا) وتفسيره شجر الخلاف وغَدُعرابا،

وهو اليوم الثاني والعشرون من تشرين يسمى (التبريك) وتبطل فيه الأعمال، ويزعمون أن التوراة فيه استتم نزولها، ولذلك يتبركون فيه بالتوراة،وليس في صياماتهم فرض غير صوم الكبور، هو عاشر يوم من تشرين اليهود، وابتداء الصوم من اليوم التاسع قبل غروب الشمس بنصف ساعة ، إلى بعد غروبها من اليوم العاشر بنصف ساعة، تمام خمس وعشرين ساعة، وكذلك غيره من صياماتهم النوافل والسنن.

(ذكر أمة النَّصارى وهم أمة المسيح عليه السلام)

من كتاب الملل والنحل للشهرستاني قال: وللنصارى في تجسد الكلمة مذاهب. فمنهم من قال: أشرقت على الجسد إشراق النور على الجسم المشف، ومنهم من قال: انطبعت فيه انطباع النقش في الشمعة، ومنهم من قال تدرع اللاهوت بالناسوت، ومنهم من قال: مازجت الكلمة جسد المسيح ممازجة اللبن بالماء.

واتفقت النصارى على أن المسيح قتلته اليهود وصلبوه، ويقولون أنَّ المسيح بعد أنْ قُتِل وصُلِبَ ومات، عاش فرأى شخصه شمعون الصفا، وكلمه وأوصى إليه، ثم فارق الدنيا وصعد إلى السماء. قال: وافترقت النصارى اثنتين وسبعين فرقة، وكبارهم ثلاث فرق، الملكانية والنسطورية، واليعقوبية.

(أما الملكانية) فهم أصحاب (ملكا) الذي ظهر ببلاد الروم، واستولى عليها، فصار غالب الروم ملكانية، وهم يصرحون بالتثليث وعنهم أخبر الله تعالى بقوله: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾ [المائدة:٧٣] وصرحت الملكانية أن المسيح ناسوت كلي، وهو قديم أزلي من قديم أزلي، وقد ولدت مريم إلهاً أزلياً، والقتل والصلب وقعا على الناسوت واللاهوت معاً، وأطلقوا لفظ الأبوة والبنوة على الله تعالى وعلى المسيح حقيقة، وذلك لما وجدوا في الإنجيل: إنك أنت الابن الوحيد، ولما رووا عن المسيح أنه قال حين كان يصلب: أذهب إلى أبي وأبيكم.

وحرموا (أريوس) لما قال: القديم هو اللهُ تعالى والمسيح مخلوق، واجتمعت البطارقة والمطارنة والأساقفة بالقسطنطينية، بمحضر من قسطنطين ملكهم،وكانوا ثلاثمائة ثلاثة عشر رجلاً، واتفقوا على هذه الكلمة اعتقاداً ودعوة وذلك (قولهم): نؤمن بالله الواحد الأب مالك كل شيء وصانع مايرى وما لايرى، وبالابن الواحد يسوع المسيح ابن الله الواحد بكر الخلائق كلها، وليس بمصنوع، إله حق من إله

حق، من جوهر أبيه، الذي بيده اتقنت العوالم، وكل شيء الذي من أجلنا وأجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد من روح القدس، وولد من مريم البتول، وصلب ودفن ثم قام في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء ، ونؤمن بروح القدس الواحد، روح الحق الذي يخرج من أبيه، وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا، وبجماعة واحدة قدسية مسيحية جاثليقية، وبقيام أبداننا، وبالحياة الدائمة أبد الآبدين.

هذا هو الاتفاق الأول على هذه الكلمات، ووضعوا شرائع النصارى واسم الشريعة عندهم الهيمانوت

(وأما النسطورية) فهم أصحاب نسطورس، وهم عند النصارى كالمعتزلة عندنا، خالفت النسطورية الملكانية في اتحاد الكلمة، فلم يقولوا بالامتزاج، بل إن الكلمة أشرقت على جسد المسيح كإشراق الشمس في كوة، أوعلى بلور، وقالت النسطورية أيضاً: إنّ القتل وقع على المسيح من جهة ناسوته، لا من جهة لاهوته، خلافاً للملكانية.

(وأما اليعقوبية) وهم أصحاب يعقوب البردغاي وكان راهباً بالقسطنطينية، فقالوا إنّ الكلمة انقلبت لحماً ودماً، فصار الإله هو المسيح.

قال ابن حزم: واليعقوبية يقولون: إنّ المسيح هو اللّه قتل وصلب ومات، وإن العالم بقي ثلاث أيام بلا مدبر، وعنهم أخبر القرآن العزيز بقوله تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن اللّه هو المسيح ابن مريم﴾ [المائدة:٧٢] ومن كتاب ابن سعيد المغربي قال: (البطارقة) للنصارى بمنزلة الأئمة أصحاب المذاهب للمسلمين، (والمطارنة) مثل القضاة، (والأساقفة) مثل المفتين، (والقسيسون) بمنزلة القراء، (والجاثليق) بمنزلة الإمام الذي يؤم في الصلاة، (والشمامسة) بمنزلة المؤذنين وقومة المساجد، وأما صلوات النصارى فإنها سبع، عند الفجر والضحى والظهر والعصر والمغرب والعشاء ونصف الليل، يقرؤون فيها بالزبور المنزل على داود تبعاً لليهود في ذلك، والسجود في صلاتهم غير محدود، قد يسجدون في الركعة الواحدة خمسين سجدة، ولا يتوضؤون للصلاة، وينكرون الوضوء على المسلمين واليهود، ويقولون الأصل طهارة القلب.

ومما نقلناه من كتاب نهاية الإدراك في دراية الأفلاك للخرقي في الهيئة، أنّ للنصارى أعياداً وصيامات، فمنها (صومهم الكبير)، وهو صوم تسعة وأربعين يوماً،

أولها يوم الاثنين وهوأقرب اثنين إلى الاجتماع الكائن فيما بين اليوم الثاني من شباط، إلى اليوم الثامن من آذار ، فأي اثنين كان أقرب إليه، إما قبل الاجتماع وإما بعده، فهو رأس صومهم، وفطرهم أبداً يكون يوم الأحد الخمسين من هذا الصوم، وسبب تخصيصهم هذا الوقت بالصوم، أنهم يعتقدون أن البعث والقيامة في مثل يوم الفصح، وهو اليوم الذي قام فيه المسيح من قبره بزعمهم.

ومن أعيادهم (الشعانين) الكبير وهو يوم الأحد الثاني والأربعون من الصوم، وتفسير الشعانين التسبيح ، لأن المسيح دخل يوم الشعنينة المذكورة إلى القدس، راكب أتان يتبعها جحش،فاستقبله الرجال والنساء والصبيان وبأيديهم ورق الزيتون، وقرأوا بين يديه التوراة إلى أن دخل بيت المقدس، واختفى عن اليهود يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء، وغسل في يوم الأربعاء أيدي أصحابه الحواريين وأرجلهم، ومسحها في ثيابه، وكذلك يفعله القسيسون بأصحابهم في هذا اليوم، ثم أفصح في يوم الخميس بالخبز والخمر، وصار إلى منزل واحد من أصحابه،ثم خرج المسيح ليلة الجمعة إلى الجبل، فسعى به يهوذا وكان أحد تلامذته إلى كبراء اليهود،وأخذ منهم ثلاثين درهماً رشوة، ودلّهم عليه، فألقى اللّه شبه المسيح على المذكور، فأخذوه وضربوه ووضعوا على رأسه أكليلاً من الشوك، وأنالوه كل مكره وعذبوه بقية تلك الليلة،أعني ليلة الجمعة إلى أن أصبحوا فصلبوه بزعمهم أنه المسيح، على ثلاث ساعات من يوم الجمعة، على قول متى ومرقوس ولوقا، وأما يوحنا فإنه زعم أنه صلب على مضي ست ساعات من النهار المذكور، ويسمى (جمعة الصلوب) وصلب معه لصان على جبل يقال له الجمجمة واسمه بالعبرانية كاكله وماتوا على ما زعموا في الساعة التاسعة، ثم استوهب يوسف النجار، وهو ابن عم مريم المسيح من قائد اليهود هيروذس، واسمه فيلاطوس، وكان ليوسف المذكور منزلة ومكانة عنده فوهبه إياه فدفنه يوسف في قبر كان أعده لنفسه، وزعمت النصارى أنه مكث في القبر ليلة السبت ونهار السبت وليلة الأحد ثم قام صبيحة (يوم الأحد) الذي يفطرون فيه، ويسمون النصارى ليلة السبت بشارة الموتى بقدوم المسيح .

ولهم (الأحد الجديد) وهو أول أحد بعد الفطر، ويجعلونه مبدأ للأعمال وتاريخاً للشروط والقبالات.

ولهم عيد (السلاقا) ويكون يوم الخمسين، بعد الفطر بأربعين يوماً، وفيه تسلق المسيح مصعداً إلى السماء، من طور سيناء .

ولهم (عيد الفنطي قسطي) وهو يوم الأحد بعد السلاقا بعشرة أيام. واسمه مشتق من الخمسين بلسانهم، وفيه تجلى المسيح لتلامذته وهم السليحيون، ثم تفرقت ألسنتهم وتوجهت كل فرقة إلى موضع لغتها.

ولهم (الدنح) وهوسادس كانون الثاني، وهواليوم الذي غمس فيه يحيى بن زكريا المبسح في نهر الأردن.

ولهم (عيد الصليب) وهو مشهور.

ولهم (الميلاد) ويصومون قبله أربعين يوماً، أولها سادس عشر تشرين الآخر وكان الميلاد في ليلة الرابع والعشرين من كانون الأول، وفي الليلة المذكورة ولدت مريم المسيح في قرية بالقرب من القدس تسمى بيت لحم.

(وأما الإنجيل) فهو كتاب يتضمن أخبار المسيح عليه السلام، من ولادته إلى وقت خروجه من هذا العالم، كتبه أربعة نفر من أصحابه، وهم (متى) كتبه بفلسطين بالعبرانية، (ومرقوس) كتبه ببلاد الروم باللغة الرومية، (ولوقا) كتبه بالإسكندرية باللغة اليونانية، (ويوحنا) كتبه بأفسس باليونانية أيضاً.

ولهم (صوم السليحيين) وهو ستة وأربعون يوماً، أولها يوم الاثنين تالي الفنطي قسطي، بعد الفطر الكبير بخمسين يوماً، ولهم فيه خلاف.

ولهم (صوم نينوى) ثلاثة أيام، أولها يوم الاثنين الذي قبل الصوم الكبير باثنين وعشرين يوماً.

ولهم (صوم العذارى) وهو ثلاثة أيام أولها يوم الاثنين، يتلو الدنح، وفطره يوم الخميس.

(ذكر الأمم التي دخلت في دين النصارى)

فمنها (أمة الروم) قال أبو عيسى: وهذه الأمة على كثرتها وعظم ملوكها واتساع بلادها، إنما نجمت من بني العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام، وكان أول ظهورهم في سنة ست وسبعين وثلاثمائة لوفاة موسى عليه السلام، وساروا إلى البلاد المعروفة ببلاد الروم وسكنوها، وحينئذ ابتدأت الروم توجد.

(ومن كتاب ابن سعيد المغربي) إن الروم يعرفون ببني الأصفر، والأصفر هو

روم بن العيص بن إسحاق على أحد الأقوال (من الكامل)، وغيره أن الروم كانت تدين بدين الصابئة، ويعبدون أصناماً على أسماء الكواكب، وما زالت الروم ملوكها ورعيتها كذلك حتى تنصر قسطنطين وحملهم على دين النصارى، فتنصروا عن آخرهم.

ومن أمم النصارى (الأرمن) وكانت بلادهم أرمينية، وقاعدة مملكتها (خلاط)[1] فلما ملكها المسلمون صارت الأرمن رعية فيها، ثم تغلبت الأرمن على الثغور وملكوا من المسلمين (طرسوس والمصيصة)[2] واستولوا على تلك البلاد التي تعرف اليوم ببلاد سليس، وسليس مدينة، ولها قلعة حصينة، وهي كرسي مملكة الأرمن في زماننا هذا.

(ومنهـــا الكرج)[3] وبلادهم مجاورة لبلاد خلاط، آخذة إلى الخليج القسطنطيني، وممتدة إلى نحو الشمال، ولهم جبال منيعة، والكرج خلق كثير، وقد غلب عليهم دين النصارى، ولهم قلاع حصينة وبلاد متسعة، وهم في زماننا هذا مصالحون للتتر، وبيت الملك عندهم محفوظ متوارث، يليه الرجال والنساء من ذلك البيت.

(ومنها الجركس) وهم على بحر نيطش[4] من شرقيه، وهم في شظف من العيش، والغالب عليهم دين النصارى. (ومنها الروس) ولهم بلاد في شمالي بحر نيطش، وهم من ولد يافث، وقد غلب عليهم دين النصارى.

(ومنها البلغار) منسوبون إلى المدينة التي يسكنونها، وهي في شرقي بحر نيطش، وكان الغالب عليهم النصرانية، ثم أسلم منهم جماعة.

(ومنها الألمان) وهي من أكبر أمم النصارى، يسكنون في غربي القسطنطينية إلى الشمال، وملكهم كثير الجنود، وهو الذي سار إلى صلاح الدين بن أيوب في مائة ألف مقاتل، فهلك ملك الألمان المذكور، وغالب عسكره في الطريق قبل أن

---

(١) خِلاط : بلدة مشهورة في الإقليم الخامس وهي قصبة أرمينية الوسطى. البلدان ٢ / ٣٨٠.

(٢) طَرسوس : مدينة بثغور الشام بين انطاكية وحلب وبلاد الروم. البلدان ٤ / ٢٨ . المَصِّيصَةُ : مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام بين انطاكية وبلاد الروم. البلدان ٥ / ١٤٤.

(٣) الكُرَجُ : مدينة بين همذان واصبهان. البلدان ٤ / ٤٤٦.

(٤) بحر نيطش : أظنّه بحر نبطس : يخرج منه خليج يمر بسور القسطنطينية، ولايزال مضايقاً حتى يقع في بحر الشام الذي في ساحله الجنوبي بلاد الشام ومصر. البلدان ١ / ٣٤٢.

يصلوا إلى الشام، على ما سنذكر ذلك إن شاء الله تعالى مع أخبار صلاح الدين المذكور.

(ومنها البرجان) وهم أيضاً أمة كبيرة، بل أمم كثيرة طاغية، قد فشا فيها التثليث، وبلادهم واغلة في الشمال، وأخبارهم وسير ملوكهم منقطعة عنا لبعدهم. وجفاء طباعهم. ومنها الافرنج) وهم أمم كثيرة، وأصل قاعدة بلادهم فرنجة، ويقال فرنسه، وهي مجاورة لجزيرة الأندلس من شماليها، ويقال لملكهم الفرنسيس، وهو الذي قصد ديار مصر وأخذ دمياط، ثم أسره المسلمون واستنقذوا دمياط منه، ومنّوا عليه بالإطلاق، وكان ذلك بعيد موت الملك الصالح أيوب بن الملك الكامل محمد ابن أبي بكر بن أيوب، على ماسنذكره في سنة ثمان وأربعين وستمائة للهجرة إن شاء الله تعالى، وقد غلب الفرنج على معظم جزيرة الأندلس، ولهم في بحر (الروم)[1] جزائر مشهورة مثل صقلية وقبرس وإقريطش وغيرها.

(ومنهم الجنوية)، منسوبون إلى جنوة، وهي مدينة عظيمة، وبلاد كثيرة، وهي غربي القسطنطينية على بحر الروم. (ومنها البنادقة)، وهم أيضاً طائفة مشهورة، ومدينتهم تسمى البندقية، وهي على خليج يخرج من بحر الروم، يمتد نحو سبعمائة ميل في جهة الشمال والغرب، وهي قريبة من جنوة في البر، وبينهما نحو ثمانية أيام، وأما في البحر فبينهما أمد بعيد أكثر من شهرين، لأنهم يخرجون من شعبة البحر التي على طرفها البندقية، وقدرها سبعمائة ميل إلى بحر الروم مشرقاً، ثم يسيرون فيه مغرباً الى جنوة، وأما (رومية) فهي مدينة عظيمة، تقع غربي جنوة والبندقية، وهي مقر خليفتهم، واسمه البابا، وهي شمالي الأندلس بميلة الى الشرق. (ومن أمم النصارى، الجلالقة) وهم أشد من الفرنج، وهم أمة يغلب عليهم الجهل والجفاء، ومن زيهم أنهم لا يغسلون ثيابهم، بل يتركونها عليهم إلى أن تبلى، ويدخل احدهم دار الآخر بدون استئذان، وهم كالبهائم، ولهم بلاد كثيرة في شمالي الأندلس، (ومنها الباشقرد)، وهم أمة كثيرة ما بين بلاد الألمان وبلاد إفرنجة، وملكهم وغالبهم نصارى ، وفيه ايضاً مسلمون، وهم شرسو الأخلاق.

(ذكر أمم الهند)

وهم فرق كثيرة، قال الشهرستاني: ومن فرقهم (الباسوية) زعموا أن لهم

---

(١) البحر المتوسط.

رسولاً ملكاً روحانياً، نزل بصورة البشر، فأمرهم بتعظيم النار والتقرب إليها بالطيب والذبائح، ونهاهم عن القتل والذبح لغير النار، وسن لهم أن يتوشحوا بخيط، يعقدونه من مناكبهم الأيامن إلى تحت شمائلهم، وأباح لهم الزناء، وأمرهم بتعظيم البقر والسجود لها حيث رأوها، ويتضرعون في التوبة إلى التمسيح بها.

قال (ومنهم اليهودية) ومن مذهبهم أن لا يعافوا شيئاً، لأن الأشياء جميعها صنع الخالق، ويتقلدون بعظام الناس، ويمسحون رؤوسهم وأجسادهم بالرماد، ويحرمون الذبائح والنكاح، وجمع الأموال، (ومنهم عبدة الشمس وعبدة القمر)، (ومنهم عبدة الأصنام)، وهم معظمهم. ولهم أصنام عدّة، كل صنم لطائفة، ويكون لذلك الصنم شكل غير شكل الصنم الآخر، مثل أن يكون أحدها بأيد كثيرة، أو على شكل امرأة ومعه حيات، ونحو ذلك.

(ومنهم عبّاد الماء) ويقال لهم الجلهكينية، ويزعمون أن الماء ملك، وهو أصل كل شيء، وإذا أراد الرجل عبادة الماء تجرد وستر عورته، ثم دخل الماء حتى يصل إلى وسطه، فيقيم فيه ساعتين أو أكثر، ويأخذ مهما أمكنه من الرياحين فيقطعها صغاراً ويلقيها في الماء وهو يسبح، ويقرأ، وإذا أراد الانصراف، حرّك الماء بيده ثم أخذ منه، فنقّط على رأسه ووجهه، ثم يسجد وينصرف.

(ومنهم عباد النار) ويقال لهم الإكنواطرية، وصورة عبادتهم لها أن يحفروا في الأرض أخدوداً مربعاً ويؤججوا النار فيه، ثم لا يدعون طعاماً لذيذاً ولا شراباً لطيفاً ولا ثوباً فاخراً ولا عطراً فائحاً ولا جوهراً نفيساً إلا طرحوه في تلك النار، تقرّباً إليها. وحرموا إلقاء النفوس فيها، خلافاً لطائفة أخرى.

(ومنهم البراهمة) أصحاب الفكرة وهم أهل العلم بالفلك والنجوم، ولهم طريقة في أحكام النجوم تخالف طريقة منجمي الروم، والعجم، وذلك أن أكثر أحكامهم باتصالات الثوابت، دون السيارات، وإنما سموا أصحاب الفكرة لأنهم يعظمون أمر الفكرة، ويقولون هو المتوسط بين المحسوس والمعقول، ويجتهدون كل الجهد حتى يصرفوا الفكر عن المحسوسات، فإذا تجرد الفكر عن هذا العالم، تجلى له ذلك العالم، فربما يخبر عن المغيبات، وربما يوقع الوهم على حي فيقتله، وإنما يصرفون الفكر عن المحسوسات بالرياضة البليغة المجهدة، وبتغميض أعينهم أياماً، والبراهمة لا يقولون بالنبوات وينفونها بالكلية، ولهم على ذلك شبه مذكورة في الملل والنحل لا تليق بهذا المختصر. (ومن كتاب ابن سعيد المغربي) ونقله عن

المسعودي: أنّ الهنود لا يرون إرسال الريح من بطونهم قبيحاً، والسعال عندهم أقبح من الضراط، والجشاء أقبح من الفساء، ومما نقله عن المسعودي أيضاً: إن الهنود يحرقون أنفسهم، وإذا أراد الرجل منهم ذلك أتى إلى باب الملك واستأذنه في إحراق نفسه، فإذا أذن له ألبس ذلك الرجل أنواع الحرير المنقوش، وجعل على رأسه إكليلاً من الريحان، وضربت الطبول والصنوج بين يديه، وقد أججت له النيران، ويدور كذلك في الأسواق وحوله أهله وأقاربه، حتى إذا دنا من النار أخذ خنجراً بيده وشق به جوفه، ثم يهوي بنفسه في النار.

قال والزناء فيما بينهم مباح، قال ويعظمون نهر كنك، وهو نهر عظيم يجري في حدود الهند، من الشرق إلى الغرب، وهو حاد الانصباب، وللهنود رغبة في إتلاف نفوسهم بالتغريق في هذا النهر، ويقتلون أنفسهم على شطه أيضاً، والهنود تتهادى ماء هذا النهر كما يتهادى المسلمون ماء بئر زمزم، وللهند ممالك فمنها:

(مملكة المانكير) وهي من أعظم ممالك الهند، وهي على بحر اللان الذي عليه السند، ولا يدرك لهذا البحر قعر، وهو أول بحار الهند من جهة الغرب، وهذه المملكة أقرب ممالك الهند إلى بلاد الإسلام، وهي التي كان يكثر محمود بن سبكتكين غزوها، حتى فتح منها بلاداً كثيرة، ومن مدنها العظام مدينة لهاور، وهي على جانبي نهر عظيم مثل بغداد.

قال: ويلي مملكة المانكير، (مملكة القنوج) وهي مملكة بلادها الجبال، وهي منقطعة عن البحر، وكل من ملكها يسمى نوده، ولأهل هذه المملكة أصنام يتوارثون عبادتها، ويزعمون أن لها نحو مائتي ألف سنة.

قال ويجاور هذه المملكة مملكة (قمار) وهي التي ينسب إليها العود القماري، وهي على البحر، وأهل هذه المملكة يرون تحريم الزناء من بين أهل الهند، قال ابن سعيد ورواه عن المسعودي أن الذي يملكها يسمى زهم، قال ويحاربه من جهة البحر ملك الجزر المعروف بالمهراج.

قال وآخر ممالك الهند من جهة الشرق (مملكة بنارس) وهي تلي بلاد الصين، وهي مملكة طويلة، وعرضها نحو عشرة أيام، وجزائر بحر الهند في نهاية الكثرة، وهي في البحر قبالة هذه الممالك، ولها ملوك وقد أكثر المصنفون فيها الكلام مما لا يليق بهذا المختصر.

(ذكر أمة السند)

وهم غربي الهند، وبلاد السند قسمان، قسم على جانب البحر، ويقال لتلك البلاد اللان، ومن مشاهير مدن هذا القسم المولتان والمنصورة والدبيل، والمسلمون غالبون على هذا القسم.

والقسم الثاني في البر إلى جانب الجبل، وبلاده كثيرة الوعر، ويقال للبلاد التي في هذا القسم القشمير، وهي في أيدي الكفار، وأهلها يعبدون الأوثان مثل الهنود، وكل من ملك السند يقال له رتبيل.

(ذكر أمم السودان وهم من ولد حام)

من كتاب ابن سعيد قال: وأديان السودان مختلفة، فمنهم مجوس، ومنهم من يعبد الحيات، ومنهم أصحاب أوثان، قال: وقد روي عن جالينوس، انهم يختصون بعشر خصال. وهي تفلفل الشعر، وخفة اللحا، وانتشار المنخرين، وغلظ الشفتين، وتحدد الأسنان، ونتن الجلد، وسواد اللون، وتشقق اليدين والرجلين، وطول الذكر، وكثرة الطرب.

فمن أعظم أممهم الحبش، وبلادهم تقابل الحجاز، وبينهما البحر، وهي بلاد طويلة عريضة، وبلادهم في جنوب النوبة وشرقيها، وهم الذين ملكوا اليمن قبل الإسلام، حسبما تقدم خبره عقيب ذكر ملوك اليمن من العرب، وخصيان الحبشة أفخر الخصيان.

ويجاور الحبشة من الجنوب (الزيلع) والغالب عليهم دين الإسلام.

ومن أمم السودان (النوبة) وهم يجاورون الحبشة من جهة الشمال والغرب، والنوبة في جنوب حدود مصر، وكثيراً مايغزوهم عسكر مصر، ويقال: إن لقمان الحكيم الذي كان مع داود النبي عليه السلام من النوبة، وأنه ولد بايلة. ومنه ذو النون المصري، وبلال بن حمامة.

ومن أممهم (البجا) وهم شديدو السواد عراة، ويعبدون الأوثان، وهم أهل أمن، وحسن مرافقة للتجار، في بلادهم الذهب، وهم فوق الحبشة إلى جهة الجنوب على النيل.

ومن أممهم (الدمادم) وبلادهم على النيل فوق بلاد الزنج، والدمادم تتر

السودان، فإنهم خرجوا عليهم وقتلوا فيهم كما جرى للتتر مع المسلمين، وهم مهملون في أديانهم، ولهم أوثان وأوضاع مختلفة، وفي بلادهم الزرافات، وفي أرض الدمادم يفترق النيل إلى جهة مصر وإلى الزنج.

ومن أممهم (الزنج) وهم أشد السودان سواداً، ويحاربون راكبين البقر، ويعبدون الأوثان وهم أهل باس وقساوة، والنيل ينقسم فوق بلادهم عند جبل المقسم.

ومن أممهم (التكرور) وهم على غربي النيل، وبلادهم جنوبية غربية، وببلادهم يتكون الذهب، وهم كفار مهملون، ومنهم مسلمون.

ومن أممهم (الكانم) وأكثرهم مسلمون، وهم على النيل، وهم على مذهب مالك، وأما مدينة غانة فهي من أعظم مدن السودان، وهي في أقصى جنوب المغرب، ويسافر التجار من سجلماسة إلى غانة، وسجلماسة مدينة بالغرب الأقصى، بعيدة عن البحر، ويسيرون من سجلماسة الى غانة في مفازة لايوجد فيها الماء نحو اثني عشر يوماً، ويحملون إليها التين والملح والنحاس والودع، ولا يجلبون منها إلا الذهب العين.

(ذكر أمم الصين)

وأما بلاد الصين فطويلة عريضة، طولها من المشرق إلى المغرب أكثر من مسيرة شهرين، وعرضها من بحر الصين في الجنوب إلى سد ياجوج وماجوج في الشمال. وقد قيل: إن عرضها أكثر من طولها، ويشتمل عرضها على الأقاليم السبعة، وأهل الصين أحسن الناس سياسة، وأكثرهم عدلاً، وأحذق الناس في الصناعات، وهم قصار القدود، عظام الرؤوس، وهم أهل مذاهب مختلفة، فمنهم مجوس، وأهل أوثان، وأهل نيران.

قال ومدينتهم الكبرى يقال لها جمدان[1] يشقها نهرها الأعظم. وأهل الصين أحذق خلق الله تعالى بالنقش والتصوير، بحيث يعمل الرجل الصيني بيده ما يعجز عنه أهل الارض، والصين الأقصى ويقال له صين الصين، هو نهاية العمارة من جهة الشرق، وليس وراءه غير البحر المحيط، ومدينته العظمى يقال لها السيلي[2]،

---

(١) جُمْدان: جمران جبل أسود بين اليمامة وفيد من ديار تميم البلدان. ٢ / ١٦٢.

(٢) السيلي: سَيْلة: من قرى الفيوم بمصر بها مسجد يعقوب عليه السلام. البلدان ٣ / ٣٠٠.

وأخبارها منقطعة عنا.

(ذكر بني كنعان)

وهم أهل الشام، قال ابن سعيد: وإنما سمي الشام شاماً لسكنى سام بن نوح به، وسام اسمه بالعبرانية شام، بشين معجمة، وقيل تشامت به بنو كنعان، هو ابن مازيغ بن حام بن نوح، وكان كنعان من جملة الذين اتفقوا على بناء الصرح، فلما بلبل الله تعالى ألسنتهم في أواخر سنة ستمائة وسبعين للطوفان، وتفرقوا، نزل كنعان في الشام ونزل في جهة فلسطين، وتوارثها بنوه، وكان كل من ملك من بني كنعان يلقب جالوت، إلى أن قتل داود جالوت آخر ملوكهم، وكان اسمه كلياد[1] (عن البيروني) ذكر ذلك في أواخر كتاب الجواهر، فتفرقت بنو كنعان وسار منهم طائفة إلى المغرب وهم البربر.

(ذكر البربر)

وقد اختُلِفَ في البربر اختلافاً كثيراً، فقيل: إنهم من ولد فارق بن بيصر بن حام والبربر يزعمون أنهم من ولد قيس غيلان، وصنهاجة من البربر تزعم أنها من ولد إفريقس بن صيفي الحميري، وزناتة منهم تزعم أنها من لخم، والأصح أنهم من ولد كنعان حسبما ذكرنا، وأنه لما قتل ملكهم جالوت، وتفرقت بنو كنعان، قصدت منهم طائفة بلاد المغرب وسكنوا تلك البلاد، وهم البربر، وقبائل البربر كثيرة جداً.

منهم (كتامة) وبلادهم بالجبال، من الغرب الأوسط ،وكتامة الذين أقاموا دولة الفاطميين مع أبي عبد الله الشيعي.

ومنهم (صنهاجة) ومن صنهاجة ملوك أفريقية بنو بلكين بن زيري.

ومن قبائل البربر (زناتة) وكان منهم ملوك فاس وتلمسان وسجلماسة، ولهم الفروسية والشجاعة المشهورة.

ومن البربر (المصامدة) وسكناهم في جبل درن، وهم الذين قاموا بنصر المهدي بن تومرت، وبهم ملك عبد المؤمن وبنوه بلاد المغرب.

وانفرق من المصامدة قبيلة (هنتانة)، وملك منهم أفريقية والغرب الأوسط، أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص، ثم خطب لولده أبي عبد الله محمد

---

(١) في التوراة: جُلْيَات. سفر صموئيل الأول. الإصحاح ١٧. الآية ٤.

ابن يحيى بالخلافة واستمر الحال على ذلك إلى سنة اثنتين وخمسين وستمائة، على ما سنذكرهم إن شاء الله تعالى.

ومن قبائل البربر المشهورة (برغواطة) ومنازلهم في نامسنا وجهات سلا[1] على البحر المحيط، والبربر مثل العرب في سكنى الصحارى، ولهم لسان غير العربي، قال ابن سعيد: ولغاتهم ترجع إلى أصول واحدة، وتختلف فروعها حتى لاتفهم إلا بترجمان.

(ذكر أمة عاد)

وهم من ولد عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح، وكانت عاد في نهاية من عظَم الأجساد والتجبر، ونزل عاد لما تبلبلت الألسن في (حضر موت) وأرسل اللّه إلى بني عاد (هوداً) نبياً، حسبما تقدم ذكره في الفصل الأول، فلم يستجيبوا له، وكانوا أهل قوة وبطش وكان لهم في الارض آثار عظيمة، حتى قال لهم هود ﴿أتبنون بكل ربع آية تعبثون. وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون. وإذا بطشتم بطشتم جبارين﴾[الشعراء:١٢٨-١٢٩-١٣٠] وبلاد عاد يقال لها الأحقاف، وهي بلاد متصلة باليمن، وبلاد عمان، وصار الملك في بني عاد، وأول من ملك منهم شداد بن عاد، ثم ملك بعده من بنيه جماعة، وقد كثر الاختلاف في ذكرهم، وجميع ما ذكر من ذلك مضطرب غير قريب للصحة فاضربنا عنه.

(ذكر العمالقة)

وهم من ولد عمليق بن لاوذ بن سام، ولما تبلبلت الألسن نزلت العمالقة بصنعاء من اليمن، ثم تحولوا إلى الحرم، واهلكوا من قاتلهم من الأمم، وكان من العمالقة جماعة بالشام، وهم الذين قاتلهم موسى عليه السلام، ثم يوشع، بعده فافناهم، وكان منهم فراعنة مصر، وكان منهم من ملك يثرب وخيبر وتلك النواحي.

قال صاحب الأغاني: كان السبب في سكنى اليهود خيبر وغيرها من الحجاز، أنّ موسى عليه السلام، أرسل جيشاً إلى قتال العمالقة أصحاب خيبر ويثرب وغيرهما من الحجاز، وأمرهم موسى عليه السلام أن يقتلوهم، ولا يبقوا منهم أحداً، فسار ذلك الجيش وأوقع بالعمالقة، وقتلوهم واستبقوا منهم ابن ملكهم، ورجعوا به إلى

(١) سلا :مدينة باقصى الغرب البلدان ٣ / ٢٣١.

الشام، وقد مات موسى عليه السلام، فقالت لهم بنو إسرائيل قد عصيتم وخالفتم، فلا نأويكم . فقالوا: نرجع إلى البلاد التي غلبنا عليها وقتلنا أهلها، فرجعوا إلى يثرب وخيبر وغيرها من بلاد الحجاز، واستمرت اليهود بتلك البلاد حتى نزلت عليهم الأوس والخزرج، لما تفرقوا من اليمن بسبب سيل العرم، وقيل إنَّ اليهود إنما سكنوا الحجاز لما تفرقوا اليمن حين غزاهم بخت نصر وخرب بيت المقدس والله أعلم.

(ذكر أمم العرب وأحوالهم قبل الإسلام)

قال الشهرستاني في الملل والنحل: والعرب الجاهلية أصناف، فصنف أنكروا الخالق والبعث، وقالوا بالطبع المحيي، والدهر المفني، كما أخبر عنهم التنزيل ﴿وقالوا ماهي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا﴾[الجاثية: ٢٤] وقوله ﴿وما يهلكنا إلا الدهر﴾[الجاثية: ٢٤] وصنف اعترفوا بالخالق، وأنكروا البعث، وهم الذين أخبر الله عنهم بقوله تعالى ﴿أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد﴾[ق: ١٥] وصنف عبدوا الأصنام، وكانت أصنامهم مختصة بالقبائل فكان (ود) لكلب وهو بدومة الجندل[1]، و« سواع » لهذيل، و« يغوث » لمذحج، ولقبائل من اليمن، « ونسر » لذي الكلاع بأرض حمير، و« يعوق » لهمدان، و« اللات » لثقيف بالطائف، و« العزى » لقريش وبني كنانة، « ومناة » للأوس والخزرج، و« هبل » أعظم أصنامهم، وكان هبل على ظهر الكعبة، وكان « إساف ونائلة » على الصفا والمروة، وكان منهم من يميل إلى اليهود، ومنهم من يميل إلى النصرانية، ومنهم من يميل إلى الصابئة، ويعتقد في أنواء المنازل اعتقاد المنجمين في السيارات، حتى لا يتحرك إلا بنوء من الأنواء. ويقول مطرنا بنوء كذا، وكان منهم من يعبد الملائكة ومنهم من يعبد الجن، وكانت علومهم علم الأنساب، والأنواء، والتواريخ، وتعبير الرؤيا، وكان لأبي بكر الصديق رضي الله عنه فيها يد طولى، وكانت الجاهلية تفعل أشياء جاءت شريعة الإسلام بها، فكانوا لا ينكحون الأمهات والبنات، وكان أقبح شيء عندهم الجمع بين الأختين، وكانوا يعيبون المتزوج بامرأة أبيه، ويسمونه الضيزن، وكانوا يحجون البيت ويعتمرون ويحرمون ويطوفون ويسعون، ويقفون المواقف كلها ويرمون الجمار، وكانوا يكبسون في كل ثلاثة أعوام شهراً، ويغتسلون من الجنابة، وكانوا يداومون على المضمضة والاستنشاق، وفرق الرأس والسواك، والاستنجاء وتقليم

---

(١) دومة الجندل : حصن وقرى بين والشام والمدينة قرب جبلي طئ. البلدان ٢ / ٤٨٧ .

الأظافر، ونتف الإبط وحلق العانة والختان، وكانوا يقطعون يد السارق اليمنى.

(ذكر أحياء العرب وقبائلهم)

وقد قسمت المؤرخون العرب إلى ثلاثة أقسام بائدة وعاربة ومستعربة.

أما البائدة فهم العرب الأول، الذين ذهبت عنا تفاصيل أخبارهم، لتقادم عهدهم، وهم عاد وثمود وجرهم الأولى، وكانت على عهد عاد، فبادوا ودرست أخبارهم، وأما جرهم الثانية فهم من ولد قحطان، وبهم اتصل إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام، ولم يبق من ذكر العرب البائدة إلاّ القليل، على مانذكره الآن.

وأما العرب العاربة، فهم عرب اليمن، من ولد قحطان.

وأما العرب المستعربة فهم ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

(ذكر ما نقل من أخبار العرب البائدة)

وهم طسم وجديس، وكانت مساكن هاتين القبيلتين في اليمامة من جزيرة العرب. وكان الملك عليهم في طسم، واستمروا على ذلك برهة من الزمان، حتى انتهى الملك من طسم إلى رجل ظلوم غشوم، قد جعل سنّته أن لا تُهدى بكْر من جديس إلى بعلها حتى يدخل عليها فيفترعها،ولما استمر ذلك على جديس، أنفوا منه واتفقوا على أن دفنوا سيوفهم في الرمل، وعملوا طعاماً للملك، ودعوه إليه، فلما حضر في خواصه من طسم، عمدت جديس إلى سيوفهم، وقتلوا الملك، وغالبوا طسم، فهرب رجل من طسم وشكا إلى تبّع ملك اليمن، وقيل هو حسان بن أسعد، واستنصر به، وشكا ما فعله جديس بملكهم، فسار ملك اليمن إلى جديس، واوقع بهم فأفناهم، فلم يبق لطسم وجديس ذكر بعد ذلك.

(ذكر العرب العاربة)

وهم بنو قحطان بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح، فمنهم (بنو جرهم) بن قحطان، وكانت مساكنهم بالحجاز، ولما اسكن إبراهيم الخليل ابنه إسماعيل عليهما السلام مكة، كانت جرهم نازلين بالقرب من مكة، فاتصلوا بإسماعيل وتزوج منهم، وصار من ولد إسماعيل العرب المستعربة لأن أصل إسماعيل ولسانه كان عبرانياً، ولذلك قيل له ولولده العرب المستعربة.

وأما ملوك جرهم فقد تقدم ذكرهم في الفصل الرابع مع ملوك العرب.

ومن العرب العاربة (بنو سبأ) واسم سبأ عبد شمس، فلما أكثر الغزو والسبي سمي سبأ، وهو ابن يشحب بن يعرب بن قحطان، وقد مرّ نسب قحطان، وكان لسبأ عدّة أولاد، فمنهم حمير وكهلان وعمرو وأشعر.

وعاملة بنو سبأ، وجميع قبائل عرب اليمن وملوكها التبابعة، من ولد سبأ المذكور، وجميع تبابعة اليمن من ولد حمير بن سبأ، خلا عمران وأخيه مزيقيا، فإنهما ابنا عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد، والأزد من ولد كهلان بن سبأ، وفي ذلك خلاف، أما التبابعة فقد تقدم ذكرهم في الفصل الرابع مع ملوك العرب، فاغنى عن الإعادة، وامّا هنا فنذكر احياء عرب اليمن وقبائلهم المنسوبين الى سبأ المذكور، ونبدأ بذكر بني حِمْيَر بن سبأ، فإذا انتهوا، ذكرنا كهلان بن سبأ، وكذلك حتى نأتي على ذكر بني سبأ إن شاء اللّه تعالى.

(ذكر بني حميربن سبأ)

من بني حمير (التبابعة) ملوك اليمن، وقد تقدم ذكرهم في الفصل الرابع، ومنهم: (قضاعة)، وهو قضاعة بن مالك بن حمير بن سبأ، وقيل قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ، وكان قضاعة المذكور مالكاً لبلاد الشحر[1]، وقبر قضاعة في جبل الشحر.

ومن قضاعة ايضاً (كلب) وهم بنو كلب بن وبرة بن ثعلبة بن حلوان بن عمران بن إلحاف بن قضاعة، وكانت بنو كلب في الجاهلية ينزلون دومة الجندل وتبوك وأطراف الشام. ومن مشاهير كلب زهير بن جباب الكلبي، وقد ذكره صاحب كتاب الاغاني واورد له شعراً، ومنهم: زهير بن شريك الكلبي وهو القائل:

الا أصبحت أسماء في الخمر تعذل ... وتزعم أنــي بالسـفاه موكــل
فقلــت لها كفـى عتابك نصطبح ... وإلافبيـنـي فالتعـزب امثــل

(ومنهم): حارثة الكلب، وهو أبو زيد بن حارثة مولى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، وكان قد أصاب ابنه زيداً سَبي في الجاهلية، فصار إلى خديجة زوج النبي ﷺ، فوهبته من النبي عليه السلام، وأنشد ابن عبد البر في كتاب الصحابة لحارثة المذكور يبكي ابنه زيد لما فقده:

---

(١) بلاد الشحر :بين عدن وعُمان. البلدان ٣ / ٣٢٧.

بكيتُ على زيدٍ ولم أدرِ ما فعلْ　　أحيٌّ يرجى أم أتى دونهُ الأجلْ
تُذَكِّرُنيه الشمسُ عندَ طلوعِها　　ويعرضُ ذكراهُ إذا قارب الطَّفَلْ
وإنْ هبّتِ الأرواحُ هيجنَ ذكرَهُ　　فياطولَ ما حزني عليه ويا وجلْ

ثم اجتمع بزيد أبوه حارثة، وهو عند رسول الله ﷺ، فخيّره رسول الله ﷺ، فاختاره على أبيه وأهله.

ومن قبائل قضاعة (بلي) ومن قبائل قضاعة (تنوخ)، وكان بينهم وبين اللخميين ملوك الحيرة حروب، ومن قضاعة (بهرا)، ومن قضاعة (جهينة) وهي قبيلة عظيمة ينسب إليها بطون كثيرة، وكانت منازلها بأطراف الحجاز الشمالي، من جهة بحر جدة.

ومن قبائل قضاعة (بنو سليح)، وكان لهم بادية الشام، فغلبتهم عليها ملوك غسان، وأبادوا بني سليح.

ومن قبائل قضاعة (بنو نهد)، ومن مشاهيرهم الصقعب بن عمرو النهدي، وهو أبو خالد بن الصقعب، وكان رئيساً في الإسلام.

ومن قضاعة (بنو عذرة)، ومنهم عروة بن حزام، وجميل صاحب بثينة.

ومن بطون حمير (بنو شعبان)، ومنهم الشعبي الفقيه، واسمه عامر. انتهى الكلام في بني حمير بن سبأ

(ذكر بني كهلان بن سبأ)

وصار من بني كهلان المذكور أحياء كثيرة، والمشهور منها سبعة وهي: الأزد، وطي، ومذحج، وهمذان، وكندة، ومراد، وأنمار، (أما الأزد) فهم من ولد الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ. ولنذكر قبائل الأزد حتى ينتهوا، ثم نذكر قبائل طي، ثم مذحج، ثم من بعده إلى آخرهم.

أما قبائل الأزد فمنهم: (الغساسنة) ملوك الشام، وهم بنو عمرو بن مازن بن الأزد، ومن الأزد (الأوس والخزرج) أهل يثرب، والمسلمون منهم هم الأنصار، رضي الله عنهم. ومن الأزد: خزاعة وبارق ودوس والعتيك وغافق، فهولاء بطون الأزد.

(أما خزاعة) فإنها لما انخزعت عن غيرها من قبائل اليمن الذين تفرقوا بأيدي

سبأ من سيل العرم، ونزلت ببطن (مر)[1] على قربٍ من مكة، سميت خزاعة، وحصل لهم سدانة البيت والرياسة، ولما اصطلح رسول الله ﷺ مع قريش في عام الحديبية، دخلت خزاعة في عقد رسول الله ﷺ، وعهده، وقد اختلف في نسب خزاعة بين المعدية واليمانية، والأكثر أنها يمانية، والذي تنسب إليه خزاعة هو كعب ابن عمرو بن لحي بن حارثة بن عمرو مزيقياء بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد. وقد تقدم ذكر عمرو مزيقياء في الفصل الرابع مع تبابعة اليمن. ما زالت سدانة البيت في خزاعة، حتّى انتهت إلى رجل منهم يقال له أبو عبشان، وكان في زمان قصي بن كلاب، فاجتمع مع قصي في الطائف على شرب فاسكره قصي، وخدع أبا عبشان الخزاعي المذكور، واشترى منه مفاتيح الكعبة بزق خمر وأشهد عليه، فتسلّم قصي المفاتيح، وأرسل ابنه عبد الدار بن قصي بها إلى مكة، فلما وصل إليها رفع صوته وقال: معاشر قريش، هذه مفاتيح بيت أبيكم إسماعيل عليه السلام، قد ردها الله عليكم من غير عار ولا ظلم. فلما صحا أبو عبشان ندم حيث لا ينفعه الندم، فقيل (أخسر من أبي عبشان)، وأكثرت الشعراء القول في ذلك فمنه:

باعَت خُزاعةُ بيتَ اللهِ إذْ سَكِرَتْ بزقّ خمرٍ فَبِئستْ صفقة البادي

باعَتْ سدانَتَها بالنزرِ وانصرَفَتْ عَنِ المقامِ وظَلِّ البيتُ والنادي

وجمع قصي أشتات قريش وظهر على خزاعة، وأخرجها عن مكة، إلى بطن مر.

ومن خزاعة: (بنو المصطلق) الذين غزاهم رسول الله ﷺ.

(وأمّا بارق): فهم من ولد عمرو مزيقياء الازدي. نزلوا جبلاً بجانب اليمن يقال له بارق، فسموا به. ومن مشاهيرهم (معقر) بن حمار البارقي، ذكره صاحب الاغاني، وهو صاحب القصيدة التي من جملتها البيت المشهور:

والقتْ عصاها واستقرَّ بها النوى كما قَرَّ عيناً بالإيابِ المسافرُ

(وأمّا دوس): فهو ابن عدنان بن عبد الله بن وهزان بن كَعب بن الحارث بن كعب بن مالك بن نصر بن الأزد. وسكنت بنو دوس إحدى الشروات المطلة على تهامة، وكانت لهم دولة بأطراف العراق، وأول من ملك منهم: مالك بن فهم بن غنم

---

(١) مر: موضع على مرحلة من مكّة. البلدان ٥/١٠٤.

ابن دوس. وقد تقدم ذكر مالك بن فهم المذكور، ومن ملك بعده في الفصل الرابع، المشتمل على ذكر ملوك العرب.

ومن الدوس (أبو هريرة) وقد اختلف في اسمه، والأكثر أن اسمه عمير بن عامر، (وأمّا العتيك) و (غافق) فقبيلتان مشهورتان في الإسلام، وهم من ولد الأزد.

ومن الأزد أيضاً (بنو الجلندى) ملوك عمان، والجلندى لقب لكل من ملك منهم عمان، وكان ملك عمان في أيام الإسلام قد انتهى إلى حبقر وعبد ابني الجلندى وأسلما مع أهل عمان على يد عمرو بن العاص. انتهى الكلام في الأزد.

(ذكر الحي الثاني من بني كهلان)

وهم قبائل طي، ولما تفرقت اليمن بسبب سيل العرم، نزلت (طي) بنجد الحجاز، في جبلي أجأ وسلمى، فعرفا بجبلي طي إلى يومنا هذا.

واما طي فهو أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ.

فمن بطون طي جديلة وتيهان وبولان وسلامان وهني وسُدوس بضم السين. وأمّا سَدوس التي في قبائل ربيعة بن نزار، فمفتوحة السين.

ومن سلامان بنو بحتر و من هني إياس بن قبيصة الذي ملك بعد النعمان، ومن طي (عمرو) بن المشيح وهومن بني ثعل الطائي، وكان عمرو أرمى وقته، وفيه يقول امرؤ القيس:

رب رام من بني ثعله　　　مخرج كفيه من ستره

ومن بني ثعل الطائي أيضاً: (زيد الخيل)، وسمّاه رسول اللّه ﷺ زيد الخير.

ومن طي (حاتم طي) المشهور بالكرم.

(وأما الحيُّ الثالث) من بني كهلان، فهم بنو مذحج مالك بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ. ولمذحج بطون كثيرة، فمنها: خولان وجنب، ومن جنب (معاوية) الخير الجنبي صاحب لواء مذحج في حرب بني وائل، وكان مع تغلب، ومن مذحج أود (قبيلة الأفوه) الأودي الشاعر، ومن مذحج بنو سعد العشيرة، وسمي بذلك لانه لم يمت حتى ركب معه من ولده وولد ولده ثلاثمائة رجل، وكان إذا سئل عنهم يقول: هؤلاء عشيرتي، دفعاً للعين عنهم، فقيل له سعد العشيرة لذلك، ومن بطون

سعد العشيرة جعف وزبيد قبيلة (عمرو بن معدي كرب) ومن بطون مذحج أيضاً النخع ومنهم الأشتر النخعي، واسمه مالك بن الحارث، صاحب رسول الله ﷺ، ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومن النخع (سنان) بن أنس قاتل الحسين، ومنهم أيضاً القاضي (شريك)، ومن مذحج عنس بالنون، وهي قبيلة الأسود الكذاب الذي ادعى النبوة باليمن، وعنس أيضاً رهط (عمار) بن ياسر صاحب رسول الله ﷺ.

(وأما الحي الرابع) من بني كهلان وهم همدان فهم من ولد ربيعة بن حيان بن مالك بن زيد بن كهلان، ولهم صيت في الجاهلية والإسلام.

(وأما الحي الخامس) من بني كهلان وهم كندة، فهم بنو ثور وثور المذكور هو كندة بن عفير بن الحارث من ولد زيد بن كهلان، وسمي كندة لأنه كندأبا، اي كفر نعمته، وبلاد كندة باليمن تلي حضرموت، وقد تقدم ذكر ملوك كندة في الفصل الرابع عند ذكر ملوك العرب، ومن كندة حجر بن عدي صاحب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو الذي قتله معاوية صبراً، ومنهم القاضي (شريح)، ومن بطون كندة السكاسك والسكون بنو شرس بن كندة، فمن السكون (معاوية) بن خديج قاتل محمد بن أبي بكر رضي الله عنهما، ومنهم (حصين) بن نمير السكوني، الذي صار صاحب جيش يزيد بن معاوية بعد مسلم بن عقبة، نوبة وقعة الحرة بظاهر مدينة الرسول ﷺ.

(وأما الحي السادس) من أحياء بني كهلان وهم بنو (مراد) فبلادهم إلى جانب زبيد، من جبال اليمن، وإليه ينتسب كل مرادي من عرب اليمن.

(وأما الحي السابع) من أحياء بنو كهلان فهم بنو (أنمار) بن كهلان ولأنمار فرعان، وهما بجيلة وخثعم، وبجيلة هي رهط (جرير) بن عبد الله البجلي صاحب رسول الله ﷺ، وكان يقال لجرير المذكور يوسف الأمة، لحسنه، وفيه قيل:

لولا جريرٍ هلكتْ بجيلة   نعمَ الفتى وبئستَ القبيلة

انتهى الكلام في بني كهلان بن سبأ.

(ذكر بني عمرو بن سبأ)

أما القبائل المنتسبة إلى عمرو بن سبأ فمنهم: لخم بن عدي بن عمرو بن سبأ، ومن لخم (بنو الدار) رهط تميم الداري صاحب رسول الله ﷺ، ومن لخم (المناذرة) ملوك الحيرة، وهم بنو عمرو بن عدي بن نصر اللخمي، وكانت دولتهم

من أعظم دول ملوك العرب. وقد تقدم ذكرهم في الفصل الرابع مع باقي ملوك العرب، فأغنى عن الإعادة، ومن القبائل المنتسبة إلى عمرو بن سبأ (جذام) وهو أخو لخم، وجميع جذام من ابنيه (حزام وجشم) ابني جذام، وكان في بني حزام العدد والشرف، ومن بطون جشم بن جذام عثيب بن أسلم.

(ذكر بني أشعر بن سبأ)

وأما بنو الأشعر، فيقال لهم الأشعريون، وهم رهط أبي موسى الأشعري، واسم أبي موسى الأشعري عبد الله بن قس.

(ذكربني عاملة)

وأمّا بنو عاملة، هم أيضاً من القبائل اليمانية التي خرجت إلى الشام عند سيل العرم، ونزلوا بالقرب من دمشق في جبل هناك يعرف بجبل عاملة، فمن عاملة: عدي ابن الرقاع الشاعر، انتهى ذكر أولاد سبأ وهم عرب اليمن.

(ذكر العرب المستعربة)

وهم ولد إسماعيل بن إبراهيم الخليل صلوات الله عليهما، وقيل لهم العرب المستعربة لأن إسماعيل لم تكن لغته عربية، بل عبرانية، ثم دخل في العربية، فلذلك سمي ولده العرب المستعربة، وقد تقدم عند ذكر إبراهيم الخليل عليه السلام، سبب سكنى إسماعيل وأمه هاجر مكة، وأن ذلك كان بسبب غيرة سارة رضي الله عنها من هاجر وابنها إسماعيل. وأنّ الله تعالى أمره أن يطيع سارة، وأن يخرج إسماعيل عنها، وأن الله تعالى يتكفله، فخرج إبراهيم من الشام بإسماعيل وأمه هاجر، وقدم بهما إلى مكة وأنزلهما بموضع الحجر وقال: ﴿رب إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع﴾[إبراهيم:٣٧] وأنزلهما إبراهيم هناك وعاد إلى الشام، (من كتب اليهود) وكان عمر إسماعيل إذ ذاك نحو أربع عشرة سنة، وذلك لمضي مائة سنة من عمر إبراهيم الخليل عليه السلام، فمن سكنى إسماعيل عليه السلام مكة إلى الهجرة ألفان وسبعمائة وثلاث وتسعون سنة.

وكان هناك قبائل جرهم، فتزوج إسماعيل منهم امرأة، وولدت له اثني عشر ولداً ذكراً، منهم: (قيذار) وماتت هاجر ودفنت بالحجر، ثم لما مات ابنها إسماعيل بمكة دفن معها بالحجر أيضاً.

وقد اختلف المؤرخون اختلافاً كثيراً في أمر الملك على الحجاز بين جرهم وبين إسماعيل، فمن قائل كان الملك على الحجاز في جرهم، ومفتاح الكعبة وسدانتها في يد ولد إسماعيل، ومن قائل إن قيذار توجته أخواله جرهم، وعقدوا له الملك عليهم بالحجاز، (واما) سدانة البيت الحرام ومفاتيحه فكانت مع بني إسماعيل بغير خلاف حتى انتهى ذلك إلى نابت من ولد إسماعيل، فصارت السدانة بعده لجرهم، ويدل على ذلك قول عامر بن الحارث الجرهمي من قصيدته التي منها:

وكنا ولاة البيت من بعد نابت ... نطوف بذاك البيت والأمر ظاهر

ومنها:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ... انيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا ... صروف الليالي والجدود العواثر

ثم ولد لقيذار ابنه (حمل) بن قيذار، ثم ولد لحمل (نبت) بن حمل، ويقال له نابت، وقيل نبت بن قيذار، وقيل نبت بن إسماعيل وفي ذلك خلاف كثير، ثم ولد لنبت (سلامان) بن نبت، ثم ولد لسلامان (الهميسع) بن سلامان بن نبت، ثم ولد للهميسع اليسع بن الهميسع، ثم ولد لليسع أدد بن اليسع بن الهميسع، ثم ولد لأدد ابنه أد بن أدد، ثم ولد لأد ابنه (عدنان) بن أد بن أدد، وقيل عدنا ن بن أدد، ثم ولد لعدنان (معد)، ثم ولد لمعد نزار، ثم ولد (لنزار) أربعة منهم (مضر) على عمود النسب النبوي وثلاثة خارجون عن عمود النسب، (أولهم) إياد، وكان أكبر من مضر، وإلى إياد بن نزار المذكور يرجع كل إيادي من بني معد، وفارق إياد الحجاز وسار بأهله إلى أطراف العراق، فمن بني إياد (كعب) بن مامة الإيادي، وكان يضرب بجوده المثل، (وقس) بن ساعدة الإيادي، وكان يضرب بفصاحته المثل.

(والثاني) من بني نزار ربيعة بن نزار، ويعرف بربيعة الفرس، لأنه ورث الخيل من ماله أبيه، وولد لربيعة المذكور أسد وضبيعة ابنا ربيعة، فولد لأسد جديلة وعنزة، ومن جديلة وائل، ومن وائل بكر وتغلب ابنا وائل، فمن تغلب كليب ملك بني وائل الذي قتله جساس، فهاجت بسبب قتله الحرب بين بني وائل وبين بني بكر وبين بني تغلب حسبما تقدم ذكره في الفصل الرابع، ومن بكر بن وائل بنو شيبان، ومن رجالهم (مرة) وابنه جساس قاتل كليب، (وطرفة) بن العبد الشاعر، ومن بكر أيضاً (المرقشان) الأكبر والأصغر، ومن بكر بن وائل أيضاً بنو حنيفة، ومنهم (مسيلمة الكذاب).

وأما عنزة بن أسد بن ربيعة المذكور، فمنه بنو عنزة، وهم أهل خيبر، ومن بني عنزة (القارظان) .

وأما ضبيعة بن ربيعة فمن ولده المتلمس الشاعر، ومن قبائل ربيعة النمر ولجيم والعجل وبنو عبد القيس، وهو من ولد أسد بن ربيعة، ومن بني ربيعة سدوس واللهازم.

(والثالث أنمار) بن نزار، ومضى أنمار إلى اليمن فتناسل بنوه بتلك الجهات، وحسبوا من العرب اليمانية، ثم ولد لمضر المقدم الذكر (إلياس) بن مضر على عمود النسب، وولد له خارجاً عن عمود النسب (قيس) عيلان بن مضر، ويقال: قيس بن عيلان بن مضر، وعيلان بالعين المهملة، قيل إن عيلان فرسه، وقيل كلبه، وقيل بل عيلان هو أخو إلياس، واسم عيلان إلياس بن مضر، وولد لعيلان قيس بن عيلان، وقد جعل الله تعالى لقيس المذكور من الكثرة أمراً عظيماً، فمن ولده: (قبائل هوازن) ومن هوازن بنو سعد بن بكر بن هوازن الذين كان فيهم رسول الله ﷺ رضيعاً، ومن قبائل قيس (بنو كلاب) وصار منهم أصحاب حلب، وكان أولهم صالح بن مرادس، ومن قيس قبائل (عقيل) الذين كان منهم ملوك المَوْصِل، المقلد وقرواش وغيرهما، ومن ولد قيس أيضاً (بنو عامر) وصعصعة وخفاجة، وما زالت لخفاجة إمرة العراق من قديم وإلى الآن، ومن هوازن أيضاً (بنو ربيعة) بن عامر بن صَعْصَعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان . ومن هوازن أيضاً (جشم) بن معاوية بن بكر بن هوازن، ومن جشم (دريد) ابن الصمة، ومن قيس أيضاً بكر وبنو هلال وثقيف، واسم ثقيف عمرو بن منبه بن بكر بن هوازن، وقد قيل: إن ثقيفاً من إياد، وقيل من بقايا ثمود، وهم أهل الطائف.

(ومن قيس) أيضاً بنو نمير وباهلة ومازن وغطفان، وهو ابن سعد بن قيس عيلان، ومن قيس أيضاً بنو عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان، وكان بين عبس وذبيان حرب داحس المقدم ذكرها في الفصل الرابع، ومن بني عبس أيضاً (عنترة) العبسي ودعاه أبوه شداد بعد الكبر، ومن قيس أشجع، وهم أيضاً من ولد غطفان . (ومن) قيس أيضاً قبائل سليم، ومن قيس أيضاً بنو ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان . ومن بني ذبيان المذكورين بنو فزارة، فمنهم (حصن) بن حذيفة بن بدر الذي يمدحه زهير بقوله شعر:

تـراه إذا مـا جئتـه متهـللا كأنك تعطيه الذي أنت سائله

وأسلم حصن، ثم نافق، وكان بين بني ذبيان وبين عبس الحرب المشهورة بحرب داحس، وهو اسم حصان تسابقوا به واختلفوا بسبب السباق، فثارت الحرب بينهم أربعين عاماً، ومن بني ذبيان أيضاً (النابغة) الذبياني الشاعر المشهور. (ومن) قبائل قيس عدوان بن عمرو بن قيس عيلان، وكانوا ينزلون الطائف قبل ثقيف، ومنهم (ذو الإصبع) العدواني الشاعر.

انتهى الكلام على قيس بن مضر الخارج عن عمود النسب.

ولنرجع إلى ذكر إلياس بن مضر. وولد لإلياس (مدركة) على عمود النسب، وولد له خارجاً عن عمود النسب (طابخة) بن إلياس، وبعضهم ينسب مدركة وطابخة إلى أمهما خندف، واسمها ليلى بنت حلوان بن عمران بن إلحاف بن قضاعة، وجميع ولد إلياس من خندف المذكورة، وإليها ينسبون دون أبيهم، فيقولون بنو خندف، ولا يذكرون إلياس بن مضر، وصار من طابخة الخارج عن عمود النسب عدة قبائل، (فمنهم) بنو تميم بن طابخة والرباب وبنو ضبة وبنو مزينة، وهم بنو عمرو بن إد بن طابخة، نسبوا إلى أمهم مزينة ابنة كلب بن وبرة، ثم ولد لمدركة ابن إلياس المذكور (خزيمة) بن مدركة على عمود النسب، وولد لمدركة خارجاً عن عمود النسب (هذيل) بن مدركة، ومن هذيل المذكور جميع قبائل الهذليين. فمنهم (عبد الله) بن مسعود صاحب رسول الله ﷺ، وأبو ذؤيب الهذلي الشاعر، وغيره، ثم ولد لخزيمة بن مدركة المذكور (كنانة) بن خزيمة على عمود النسب، وولد له خارجاً عن عمود النسب (الهون وأسد) ابنا خزيمة، فمن الهون عضل وهي قبيلة أبوهم عضل بن الهون بن خزيمة، (ومنه) أيضاً الديش بن الهون، وهو أخو عضل، ويقال لهاتين القبيلتين وهما عضل والديش (القارة). وأما أسد بن خزيمة فمنه الكاهلية ودودان وغيرهما، وإليه يرجع كل أسدي، ثم ولد لكنانة بن خزيمة المذكور (النضر) بن كنانة على عمود النسب، وكان للنضر المذكور عدة أخوة ليسوا على عمود النسب، وهم ملكان وعبد مناة وعمرو وعامر ومالك أولاد كنانة، فصار من ملكان (بنو ملكان)، وصار من عبد مناة عدة بطون وهم: (بنو غفار) رهط أبي ذر. (وبنو بكر)، ومن بني بكر (الدئل) رهط أبي الأسود الدؤلي، ومن بطون عبد مناة أيضاً (بنو ليث وبنو الحارثة) وبنو مدلج وبنو ضمرة، وصار من عمرو بن كنانة العمريون.

(ومن) أخيث عامر العامريون. (ومن) مالك بن كنانة بنو فراس. (ومن) بطون كنانة الأحابيش، وكان الحليس بن عمرو ريس الأحابيش نوبة أحد، ومن لم

يقف على ذلك، إذا سمع ذكر الأحابيش في نوبة أحد، ظن أنهم من الحبشة، وليس كذلك، بل هم عرب من بني كنانة، كذا ذكره في العقد، وهؤلاء إخوة النضر بن كنانة، وولدهم، وأما النضر المذكور فقد قيل إنه قريش، والصحيح أن قريشاً هم بنو فهر الذي سنذكره، وولد لنضر المذكور (مالك) بن النضر على عمود النسب، ولم يشتهر له ولد غيره، ثم ولد لمالك (فهر) بن مالك على عمود النسب. وفهر المذكور هو قريش، فكل من كان من ولده فهو قرشي، ومن لم يكن من ولده فليس قرشياً، وقيل سمي قريشاً لشدته، تشبيهاً له بدابة من دواب البحر، يقال لها القرش، تأكل دواب البحر وتقهرهم، وقيل إن قصي بن كلاب لما استولى على البيت وجمع أشتات بني فهر سموا قُرَيشاً، لأنّه قرش بني فهر أي جمعهم حول الحرم، فقيل لهم قريش. ــ كذا نقله ابن سعيد المغربي ــ فعلى هذا يكون لفظة قريش، اسماً لبني فهر، لا لفهر نفسه، ولم يولد لمالك غير فهر المذكور على عمود النسب، وولد لفهر (غالب) على عمود النسب، وولد له خارجاً عن عمود النسب ولدان وهما محارب والحارث ابنا فهر، (فمن) محارب بنو محارب، ومن الحارث بنو الخلج، (ومنهم) أبو عبيدة بن الجراح أحد العشرة، رضي الله تعالى عنهم، ثم ولد لغالب (لؤي) على عمود النسب، وولد له خارجاً عن عمود النسب تيم الادرم، والادرم الناقص الذقن. (ومن) تيم المذكور بنو الادرم، ثم ولد للؤي المذكور ستة أولاد، وهم (كعب) على عمود النسب، وإخوته الخمسة خارجون عن عمود النسب، وهم سعد وخزيمة والحارث وعامر وأسامة، أولاد لؤي بن غالب، ولكل منهم ولد ينسبون إليه، خلا الحارث منهم، ومن ولد عامر بن لؤي عمرو بن عبد ود فارس العرب الذي قتله علي بن أبي طالب، ثم ولد لكعب (مرة) على عمود النسب، وولد له خارجاً عن عمود النسب، هصيص وعدي ابنا كعب، فمن هصيص بنو جمح ومن مشاهيرهم أمية بن خلف عدو رسول الله ﷺ، وأخوه أبي بن خلف، وكان مثله في العداوة. ومن هصيص أيضاً بنو سهم. ومن بني سهم عمرو بن العاص، ومن عدي بن كعب بنو عدي. ومنهم عمر بن الخطاب، وسعيد بن زيد، من العشرة رضي الله عنهما، ثم ولد لمرة على عمود النسب (كلاب)، وولد له خارجاً عن عمود النسب، تيم ويقظة ابنا مرة، فمن تيم بنو تيم، ومنهم أبو بكر الصديق، وطلحة، من العشرة رضي الله عنهما، ومن يقظة بنو مخزوم، نسب خالد بن الوليد رضي الله عنه، وأبي جهل بن هشام، واسمه عمر و وبن هشام المخزومي، ثم ولد لكلاب (قصي) بن كلاب على عمود النسب، وولد له خارجاً عن عمود النسب زهرة بن كلاب، ومنه بنو زهرة، ونسب سعد بن أبي وقاص أحد العشرة (ونسب) آمنة أم رسول الله ﷺ، ونسب،

عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما، وقصي المذكور كان عظيماً في قريش، وهو الذي ارتجع مفاتيح الكعبة من خزاعة حسبما تقدم ذكر ذلك، وهو الذي جمع قريشاً وأثل مجدهم، ثم ولد لقصي المذكور (عبد مناف) بن قصي على عمود النسب، وولد له خارجاً عن عمود النسب عبد الدار وعبد العزى ابنا قصي فمن عبد الدار: بنو شيبة الحجبة. ومن ولد عبد الدار النضر بن الحارث، وكان شديد العداوة لرسول الله ﷺ، وقتله رسول الله ﷺ صبراً، يوم بدر، ومن ولد عبد العزى بن قصي الزبير ابن العوام أحد العشرة، ومن ولد عبد العزى أيضاً خديجة بنت خويلد زوج النبي ﷺ، ومن بني عبد العزى أيضاً ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وولد لعبد مناف (هاشم) على عمود النسب، وولد له خارجاً عن عمود النسب عبد شمس والمطّلب ونوفل أولاد عبد مناف، فمن عبد شمس أمية ومنه بنو أمية، ومنهم عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس. ومعاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية، وسعيد بن العاص بن أمية، وعقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية، وعتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وبنت عتبة المذكور هند أم معاوية، وقتل رسول الله ﷺ عقبة صبراً يوم بدر، ومن المطلب بن عبد مناف المطلبيون، ومنهم الإمام الشافعي رحمه الله تعالى. ومن نوفل النوفليون، ثم ولد لهاشم (عبد المطلب) على عمود النسب، ولم يعلم لهاشم ولد غيره، وولد لعبد المطلب (عبد الله) على عمود النسب، وولد له خارجاً عن عمود النسب جميع أعمام رسول الله ﷺ، وهم حمزة والعباس وأبو طالب وأبو لهب والغيداق، ومنهم من يقول هو حجل الذي سنذكره. والحارث وحجل والمقوم وضرار والزبير وقثم، درج صغيراً وعبد الكعبة، ومنهم من يقول: إن عبد الكعبة هو المقوم، ثم ولد لعبد الله محمد رسول الله ﷺ، في عام الفيل.

(ولنذكر) أولاً قصة الفيل، ثم مولده ﷺ. (من الكامل) لابن الأثير قال: إنّ الحبشة ملكوا اليمن بعد حمير، فلما صار الملك إلى أبرهة منهم بنى كنيسة عظيمة، وقصد أن يصرف حج العرب إليها ويبطل الكعبة الحرام، فجاء شخص من العرب وأحدث في تلك الكنيسة، فغضب أبرهة لذلك، وسار بجيشه ومعه الفيل، وقيل كان معه ثلاثة عشر فيلاً ليهدم الكعبة، فلما وصل إلى الطائف، بعث الأسود ابن مقصود إلى مكة، فساق أموال أهلها وأحضرها إلى أبرهة، وأرسل أبرهة إلى قريش وقال لهم: لست أقصد الحرب، بل جئت لأهدم الكعبة، فقال عبد المطلب: والله ما نريد حربه، هذا بيت الله، فإن منع عنه فهو بيته وحرمه، وان خلا بينه وبينه، فوالله ما

عندنا من دفع، ثم انطلق عبد المطلب مع رسول أبرهة اليه، فلما استؤذن لعبد المطلب قالوا لأبرهة: هذا سيد قريش، فأذن له ابرهة واكرمه، ونزل عن سريره وجلس معه، وسأله في حاجته، فذكر عبد المطلب أباعره التي أخذت له، فقال أبرهة: إني كنت أظن أنك تطلب مني أن لا أخرب الكعبة التي هي دينك: فقال عبد المطلب: أنا رب الأباعر فأطلبها، وللبيت رب يمنعه فامر ابرهة برد اباعره عليه، فأخذها عبد المطلب وانصرف إلى قريش، ولما قارب أبرهة مكة وتهيأ لدخولها، بقي كلما اقبل فيله مكة، وكان اسم الفيل «محمودا» ينام ويرمي بنفسه إلى الأرض، ولم يسر، فإذا اقبلوه غير مكة قام يهرول، وبينما هم كذلك إذ أرسل الله عليهم طيراً ابابيل، أمثال الخطاطيف، مع كل طائر ثلاثة أحجار في منقاره ورجليه فقذفتهم بها، وهي مثل الحمص والعدس، فلم يصب أحداً منهم إلاّ هلك. وليس كلهم أصابت، ثم أرسل الله تعالى سيلاً، فألقاهم في البحر، والذي سلم منهم ولى هارباً مع أبرهة إلى اليمن يبتدر الطريق، وصاروا يتساقطون بكل منهل وأصيب أبرهة في جسده وسقطت أعضاؤه، ووصل إلى صنعاء كذلك ومات، ولما جرى ذلك خرجت قريش إلى منازلهم، وغنموا من أموالهم شيئاً كثيراً، ولما هلك أبرهة، ملك بعده ابنه يكسوم، ثم أخوه مسروق بن أبرهة، ومنه أخذت العجم اليمن.

انتهى الكلام في الفصل الخامس وهو آخر التواريخ القديمة ومن هنا نشرع في التواريخ الإسلامية.

ذكر مولد رسول اللّه ﷺ

وذكـر شـيء من شرف بيتـه الطاهر

أما أبو رسول اللّه ﷺ، فهو (عبد اللّه) بن عبد المُطلب المذكور، وكانت ولادة عَبْد اللّه المذكور قبل الفيل بخمس وعشرين سنة، وكان أبوه يحبه لأنه كان أحسن أولاده وأعفهم، وكان أبوه قد بعثه يمتار له، فمر عبد اللّه المذكور بيثرب فمات بها، ولرسول اللّه ﷺ شهران، وقيل كان حملاً، ودفن عبد الله في دار الحارث بن إبراهيم بن سراقة العدوي، وهم أخوال عبد المطلب، وقيل دفن بدار النابغة ببني النجار. وجميع ماخلفه عبد اللّه خمسة أجمال وجارية حبشية، اسمها بركة وكنيتها أم أيمن، وهي حاضنة رسول الله ﷺ، وآمنة أم رسول اللّه ﷺ، زوج عبد اللّه، وأبوه عبد المطلب، (وأمّا آمنة) أمّ رسول اللّه ﷺ، فهي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر، وهو قريش، فخطب عبد المطلب من وهب المذكور - وكان وهب حينئذ سيد بني زهرة - ابنته آمنة، لعبد اللّه، فزوّجه بها، فولدت رسول اللّه ﷺ، يوم الاثنين، لعشر خلون من ربيع الأول، من عام الفيل. وكان قدوم الفيل في منتصف المحرّم تلك السنة، وهي السنة الثامنة والأربعون من ملك كسرى أنوشروان، وهي سنة إحدى وثمانين وثمانمائة لغلبة الإسكندر على دارا، وهي سنة الف وثلاثمائة وست عشرة لبخت نصر.

(ومن دلائل النبوة) للحافظ أبي بكر أحمد البيهقي الشافعي قال: وفي اليوم السابع من ولادة رسول اللّه ﷺ، ذبح جده عبد المطلب عنه، ودعا له قريشاً، فلما أكلوا قالوا: يا عبد المطلب، أرأيت ابنك هذا الذي أكرمتنا على وجهه، ماسميته؟ قال: سميته محمداً. قالوا: فيم رغبت به عن أسماء أهل بيته؟ قال: أردت أن يحمده اللّه تعالى في السماء، وخلقه في الأرض، (وروى) الحافظ المذكور بإسناده المتصل بالعباس رضي الله عنه قال: ولد رسول اللّه ﷺ مختوناً مسروراً. قال: فأعجب جده عبد المطلب، وحظي عنده، وقال: ليكونن لابني هذا شان.

وذكر الحافظ المذكور إسناداً ينتهي إلى مخزوم بن هانئ المخزومي عن أبيه قال: لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول اللّه ﷺ، ارتجس إيوان كسرى وسقطت

منه أربع عشرة شرفة، وخمدت نار فارس، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، وغاضت بحيرة ساوة، ورأى الموبذان وهو قاضي الفرس في منامه إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً، قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها، فلما أصبح كسرى أفزعه ذلك، واجتمع بالموبذان فقص عليه مارأى، فقال كسرى: أي شيء يكون هذا، فقال الموبذان: وكان عالماً بما يكون، حدث من جهة العرب أمر. فكتب كسرى إلى النعمان بن المنذر: أما بعد: فوجه إليّ برجل عالم بما أريد أن أسأله عنه، فوجّه النعمان بعبد المسيح بن عمرو بن حنان الغساني. فأخبره كسرى بما كان من ارتجاس الإيوان وغيره فقال له: علم ذلك عند خال لي يسكن مشارف الشام يقال له سطيح. قال كسرى فاذهب إليه وسله وائتني بتأويل ما عنده. فسار عبد المسيح حتى قدم على سطيح وقد أشفى على الموت، فسلّم عليه وحياه، فلم يحر جواباً فأنشد عبد المسيح يقول:

أصمٌّ أمْ يسمعُ غطريفُ اليمن ... أمْ فاد فازلَمَ به شأو العنن

يافاصلَ الخطةِ أعيت مَنْ ومَنْ ... وكاشفَ الكُربَة عن وجه الغضن

أتاكَ شيخُ الحيِّ من آلِ سنن ... وأمه من آل ذيب بن حجن

أبيضَ فضفاضِ الرداءِ والبدنْ ... رسولُ قيلَ العجمُ يسري بالوسن

لا يرهبُ الرعدَ ولا ريبَ الزمنْ ... تجوبُ في الارضِ علندات شجن

ترفعني وجناً وتهوي بي وجن

قال: ففتح سطيح عينيه ثم قال: عبد المسيح، على جمل مشيح، أتى إلى سطيح، وقد أوفى على الضريح، بعثك ملك بني ساسان، لارتجاس الإيوان، وخمود النيران، ورؤيا الموبذان، رأى إبلاً صعاباً تقوم خيلاً عراباً، قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها. يا عبد المسيح إذا كثرت التلاوة، وظهر صاحب الهراوة، وخمدت نار فارس، وفاض وادي السماوة، وغاضت بحيرة ساوة، فليس الشام لسطيح شاماً، يملك منهم ملوك وملكات، على عدد الشرفات، وكل ما هو آت آت. ثم قضى سطيح مكانه، ثم قدم عبد المسيح على كسرى وأخبره بقول سطيح، فقال: إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكاً كانت أمور فملك منهم عشرة في أربع سنين، وذكر في العقد أن سطيحاً كان على زمن نزار بن معد بن عدنان، وهو الذي قسم الميراث بين بني نزار وهم مضر وإخوته.

(وأما) شرف النبي ﷺ، وشرف أهل بيته، فقد روى الحافظ البيهقي المذكور، بإسناد يرفعه إلى العباس عم النبي ﷺ. قال: قلت يارسول الله، إن قريشاً إذا التقوا، لقي بعضهم بعضاً بالبشاشة، وإذا لقونا، لقونا بوجوه لانعرفها. فغضب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، عند ذلك غضباً شديداً، ثم قال: «والذي نفس محمد بيده، لا يدخل قلب رجل الإيمان، حتى يحبكم لله ولرسوله».

وذكر في موضع آخر عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: إنا لقعود بفناء رسول الله ﷺ، إذ مرت به امرأة، فقال بعض القوم: هذه بنت رسول الله ﷺ، فقال أبو سُفيان: مثل محمد في بني هشام مثل الريحانة في وسط النتن. فانطلقت المرأة فأخبرت النبي ﷺ، فجاء ﷺ يعرف في وجهه الغضب فقال: «ما بال أقوام تبلغني عن أقوام، إنَّ الله عز وجل خلق السموات سبعاً، فاختار العُلى منها، فأسكنها من شاء من خلقه، ثم خلق الخلق، فاختار من الخلق بني آدم، واختار من بني آدم العرب، واختار من العرب مضر، واختار من مضر قريشاً، واختار من قريش بني هاشم، واختارني من بني هاشم».

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ قال لي جبرائيل، قلبت الأرض مشارقها ومغاربها، فلم أجد رجلاً أفضل من مُحمد، وقلبت الأرضَ مشارقها ومغاربها فلم أجد بني أب أفضل من بني هاشم».

(ذكر نسب رسول الله ﷺ)

قد تقدم في آخر الفصل الخامس ذكر بني إسماعيل عليه السلام الذين على عمود نسب رسول الله ﷺ، والخارجين عن عمود النسب. وأما نسبة عليه السلام سرداً، فهو أبو القاسم، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

ونسبه ﷺ إلى عدنان، متفق عليه من غير خلاف، وعدنان من ولد إسماعيل ابن إبراهيم الخليل عليهما السلام من غير خلاف، ولكن الخلاف في عدة الآباء الذين بين عدنان وإسماعيل عليه السلام فعد بعضهم بينهما نحو أربعين رجلاً، وعد بعضهم سبعة، وروي عن أم سلمة زوج النبي ﷺ، أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: عدنان بن أدد بن زيد بن برا بن أعراق الثرى. فقالت أم سلمة: زيد هميسع وبرا نبت وإسماعيل أعراق الثرى.

والذي ذكره البيهقي قال: عدنان بن أدد بن المقوم بن ناحور بن تارح بن يعرب بن يشحب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام.

وأما الذي ذكره الجواني النسابة في شجرة النسب وهو المختار: فهو عدنان بن أد بن أدد بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن نبت بن حمل بن قيذار بن إسماعيل عليه السلام، وقد تقدم نسب إسماعيل مع نسب إبراهيم الخليل عليهما السلام، مستقصى في موضعه من الفصل الأول فاغنى عن الإعادة. قال: البيهقي المذكور وكان شيخنا أبو عبد الله الحافظ يقول نسبة رسول الله ﷺ صحيحة إلى عدنان وما وراء عدنان فليس فيه شيء يعتمد عليه.

(ذكر رضاع رسول الله ﷺ)

وأول من أرضعته بعد امه ثويبة مولاة عمه أبي لهب، وكان لثويبة المذكورة ابن اسمه مسروح، فارضعت رسول الله ﷺ بلبن ابنها مسروح المذكور، وارضعت أيضاً مع رسول الله ﷺ بلبن مسروح المذكور، حمزة عم رسول الله ﷺ، وأبا سلمة ابن عبد الأسد المخزومي، فهما أخوا رسول الله ﷺ من الرضاع.

(ذكر رضاعه ﷺ من حليمة السعدية)

كانت المراضع يقدمن من البادية إلى مكة، يطلبن أن يرضعن الأطفال فقدمت عدة منهن، وأخذت كل واحدة طفلاً، ولم تجد حليمة طفلاً تأخذه غير رسول الله ﷺ، وكان يتيماً قد مات أبوه عبد الله، فلذلك لم يرغبن في أخذه، لأنهن كن يرجين الخير من أبي الطفل، ولايرجين أمه، فاخذته حليمة بنت أبي ذؤيب بن الحارث السعدية، وتسلمته من أمه آمنة وأرضعته، ومضت به إلى بلادها، وهي بادية بني سعد، فوجدت من الخير والبركة مالم تعهده قبل ذلك، ثم قدمت به إلى مكة، وهي أحرص الناس على مكثه عندها، فقالت لامه آمنة: لو تركت ابنك عندي حتى يغلظ، فإني أخشى عليه وباء مكة، ولم تزل بها حتى تركته معها، فأخذته وعادت به إلى بلاد بني سعد، وبقي رسول الله ﷺ هناك، ولما كان بعض الأيام، ورسول الله ﷺ مع أخيه في الرضاع، خارجاً عن البيوت، إذ أتى ابن حليمة أمه وقال لها: ذلك القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض، فاضجعاه وشقا بطنه، فخرجت حليمة وزوجها نحوه، فوجداه قائماً، فقالا: مالك يابني فقال: «جاءني رجلان فاضجعاني وشقا بطني. فقال زوج حليمة لها: قد حسبت أن هذا الغلام قد أصيب، فالحقيه

بأهله. فاحتملته حليمة وقدمت به على أمه آمنة. فقالت آمنة: ما أقدمك به وكنت حريصة عليه، فأبدت حليمة عذراً لم تقبله آمنة منها، وسألتها عن الصحيح. فقالت حليمة: أتخوف عليه من الشيطان. فقالت أمه آمنة: كلا، والله ماللشيطان عليه من سبيل، إن لابني شأناً، وإخوة رسول الله ﷺ من الرضاع، عبد الله وأنيسة وجذامة وهي الشيماء غلب ذلك على اسمها، وأمهم حليمة السعدية، وأبوهم الحارث بن عبد العزى السَّعدي وهو أبو رسول الله ﷺ من الرضاع.

وقدمت حليمة على رسول الله ﷺ، بعد أن تزوج بخديجة، وشكت الجدب، فكلم رسول الله ﷺ لها خديجة، فأعطتها أربعين شاة. ثم قدمت حليمة وزوجها الحارث على رسول الله ﷺ بعد النبوة، فأسلمت هي وزوجها الحارث، وبقي رسول الله ﷺ مع أمه آمنة، فلما بلغ ست سنين (توفيت أمه) بالابواء، بين مكة والمدينة، وكانت قد قدمت به على أخواله من بني عدي بن النجار، تزيره إياهم فماتت وهي راجعة إلى مكة، (وكفله) جده عبد المطلب، فلما بلغ رسول الله ﷺ ثماني سنين، (توفي جده) عبد المطلب، ثم قام بكفالته (عمه) أبو طالب بن عبد المطلب، وكان أبو طالب شقيق عبد الله أبي رسول الله ﷺ. ثم خرج به أبو طالب في تجارة إلى الشام، حتى وصل إلى بصرى، وعمر رسول الله ﷺ إذ ذاك ثلاث عشرة سنة، وكان بها راهب يقال له بحيرا، فقال لأبي طالب: ارجع بهذا الغلام، واحذر عليه من اليهود، فإنه كائن لابن أخيك هذا شان عظيم، فخرج به عمه أبو طالب حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته، وشب رسول الله ﷺ حتى بلغ، فكان أعظم الناس مروة وحلماً، وأحسنهم جواباً، وأصدقهم حديثاً، وأعظمهم أمانة، وأبعدهم عن الفحش، حتى صار اسمه في قومه الأمين، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة، وحضر مع عمومته حرب الفجار وعمره أربع عشرة سنة، وهي حرب كانت بين قريش وكنانة وبين هوازن، وسميت بالفجار لما انتهكت فيها هوازن حرمة الحرم، وكانت الكرة في هذه الحرب أولاً على قريش وكنانة، ثم كانت على هوازن، وانتصر قريش.

(ذكر سفرة رسول الله ﷺ إلى الشام في تجارة لخديجة)

كانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب تاجرة ذات شرف ومال، وكانت قريش قوماً تجاراً، فلما بلغها صدق رسول الله ﷺ وأمانته، عرضت عليه الخروج في تجارتها إلى الشام، مع غلام لها يقال له ميسرة، فأجاب إلى ذلك وخرج رسول الله ﷺ حتى قدم الشام، ومعه ميسرة، وباع ما كان

معه، واشترى عوضه، ثم أقبل قافلاً إلى مكة، ولما قدم رسول الله ﷺ بمال خديجة، وحدثها ميسرة بما شاهده من كرامات النبي ﷺ، وأنه كان يشاهد ملكين يظلانه وقت الحر، فعرضت خديجة نفسها على النبي ﷺ فتزوجها، وأصدقها عشرين بكرة، وهي أول امرأة تزوجها، ولم يتزوج غيرها حتى ماتت، وكان عمر النبي ﷺ لما تزوجها خمساً وعشرين سنة، وكان عمرها يومئذ أربعين سنة، وكانت أيماً ولم يتزوج رسول الله ﷺ بكراً غير عائشة، وخديجة أول من آمن برسول الله ﷺ، وبقيت معه بعد مبعثه عشر سنين، وتوفيت قبل الهجرة بثلاث سنين.

(ذكر تجديد قريش عمارة الكعبة)

قيل لما مات إسماعيل عليه السلام ولي البيت بعده ابنه نابت، ثم صارت ولاية البيت إلى جرهم، قال عامر بن الحارث الجرهمي:

وكنا ولاة البيت من بعد نابت نطوف بذاك البيت والأمر ظاهر

ومنها:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالي والجدود العوائر

ثم إن جرهماً بغت، واستحلت المحارم، فأبيدوا، وصارت ولاية البيت إلى خزاعة، ثم صارت من بعدهم إلى قريش، وكانت الكعبة قصيرة البناء، فأرادت قريش رفعها، فهدموها ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الحجر الأسود، فاختصموا فيه، لأن كل قبيلة أرادت أن ترفعه إلى موضعه، ثم اتفقوا على أن يحكّموا أول داخل من باب الحرم، فكان رسول الله ﷺ أول داخل، فحكّموه، فأمرهم أن يضعوا الحجر في ثوب، وأن يمسك كل قبيلة بطرف من أطرافه، وأن يرفعوه إلى موضعه، ففعلوا ذلك، وأخذه رسول الله ﷺ عند وصوله إلى موضعه، فوضعه بيده موضعه، ثم أتموا بناء الكعبة، وكانت تكسى القباطي ثم كسيت البرود، وأول من كساها الديباج الحجاج ابن يوسف، وكان عمر النبي ﷺ حين رضيت قريش بحكمه خمساً وثلاثين سنة قبل مبعثه بخمس سنين.

(ذكر مبعث رسول الله ﷺ)

ولما بلغ رسول الله ﷺ أربعين سنة، بعثه الله تعالى إلى الأسود والأحمر، رسولاً ناسخاً بشريعته الشرائع الماضية، فكان أول ما ابتدئ به من النبوة الرؤيا

الصادقة، وحبب الله تعالى اليه الخلوة، وكان رسول الله ﷺ يجاور في جبل حراء من كل سنة شهراً، فلما كانت سنة مبعثه، خرج إلى حراء في رمضان للمجاورة فيه، ومعه أهله. حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله سبحانه وتعالى فيها جاءه جبريل عليه السلام فقال له: اقرأ. قال له فما اقرأ قال: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾[العلق: ١] إلى قوله ﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾[العلق: ٥] فقرأها. ثم إن النبي ﷺ خرج إلى وسط الجبل، فسمع صوتاً من جهة السماء: يامحمد انت رسول الله، وأنا جبرائيل، فبقي واقفاً في موضعه يشاهد جبرائيل حتى انصرف جبرائيل، ثم انصرف النبي ﷺ، واتى خديجة فحكى لها مارأى، فقالت: أبشر فوالذي نفس خديجة بيده، إني لأرجو ان تكون نبي هذه الأمة، ثم انطلقت خديجة إلى ورقة بن نوفل، وهو ابن عمها، وكان ورقة قد نظر في الكتب وقرأها، وسمع من أهل التوراة والإنجيل، فأخبرته ما أخبرها رسول الله ﷺ، فقال ورقة: قدوس، والذي نفس ورقة بيده لئن صدقتني ياخديجة، لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى بن عمران، وإنه نبي هذه الأمة، فرجعت خديجة إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بقول ورقة. ولما قضى رسول الله ﷺ جواره وانصرف، طاف بالبيت أسبوعاً، ثم انصرف إلى منزله، ثم تواتر الوحي إليه أولاً فأولاً، وكان أول الناس إسلاماً خديجة، لم يتقدمها أحد، وفي الصحيح أن النبي ﷺ قال: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا أربع: آسية زوجة فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد».

(ذكر أول من أسلم من الناس)

لا خلاف في أن خديجة أول من أسلم، واختلف فيمن أسلم بعدها، فذكر صاحب السيرة وكثير من أهل العلم، ان أول الناس إسلاماً بعدها، علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعمره تسع سنين، وقيل عشر سنين، وقيل إحدى عشرة سنة، وكان في حجر رسول الله ﷺ، قبل الإسلام، وذلك أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب كثير العيال، فقال رسول الله ﷺ لعمه العباس: «إن أخاك أبا طالب كثير العيال، فانطلق لنأخذ من بنيه ما يخفف عنه به» فأتيا أبا طالب وقالا: نريد أن نخفف عنك، فقال أبو طالب: اتركا لي عقيلاً واصنعا ماشئتما، فأخذ رسول الله ﷺ علياً، فضمه إليه، وأخذ العباس جعفراً، فلم يزل علي مع النبي ﷺ حتى بعثه الله نبياً، فصدّقه علي، ولم يزل جعفر مع العباس حتى أسلم، من شعر علي في سبقه:

سبقتكم إلى الإســلام طـراً غلاماً ما بلغت أوان حلمي

وذكر صاحب السيرة، أن الذي أسلم بعد علي زيد بن حارثة، مولى رسول الله ﷺ، اشتراه وأعتقه، ثم أسلم بعد زيد أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، وهو عبد الله بن أبي قحافة، واسم أبي قحافة عثمان، وذهب آخرون إلى أن أول الناس إسلاماً أبو بكر، ثم أسلم بعد أبي بكر عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وكان إسلامهم بأن دعاهم أبو بكر إلى الإسلام، وجاء بهم إلى رسول الله ﷺ فآمنوا به وصدقوه، رضي الله عنهم، فهؤلاء أول الناس إيماناً، ثم أسلم أبو عبيدة، واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح، وعبيدة بن الحارث، وسعيد بن زيد بن عمرو، وابن نفيل بن عبد العزى، وهو ابن عم عمر بن الخطاب، وعبد الله بن مسعود، وعمار بن ياسر.

(وكانت دعوة) رسول الله ﷺ إلى الإسلام سراً ثلاث سنين، ثم بعدها أمر الله رسوله بإظهار الدعوة، ولما نزل ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾[الشعراء: ٢١٤] دعا النبي ﷺ علياً فقال: «اصنع لنا صاعاً من طعام، واجعل عليه رجل شاة، واملأ لنا عساً من لبن، واجمع لي بني المطلب حتى أكلمهم وأبلغهم ما أمرت به». ففعل ما أمره ودعاهم، وهم أربعون رجلاً، يزيدون رجلاً أو ينقصونه، فيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس، وأحضر علي الطعام فأكلوا حتى شبعوا. قال علي: لقد كان الرجل الواحد منهم ليأكل جميع ماشبعوا كلهم منه، فلما فرغوا من الأكل، وأراد النبي ﷺ أن يتكلم، بدره أبو لهب إلى الكلام فقال: اشد ما سحركم صاحبكم، فتفرق القوم، ولم يكلمهم رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ لعلي: «ياعلي قد رأيت كيف سبقني هذا الرجل إلى الكلام فاصنع لنا في غد كما صنعت اليوم، واجمعهم ثانياً» فصنع علي في الغد كذلك، فلما أكلوا وشربوا اللبن، قال لهم رسول الله ﷺ: «ما أعلم إنساناً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأيكم يؤازرني على هذا الأمر، على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم» فأحجم القوم جميعاً. قال علي: فقلت وإني لأحدثهم سناً، وارمصهم عيناً، وأعظمهم بطناً وأحمشهم ساقاً وأنا يانبي الله أكون وزيرك عليهم. فأخذ رسول الله ﷺ برقبة علي وقال: «إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا»، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك، وتطيع، واستمر النبي ﷺ على ما أمره الله، ولم يبعد عنه قومه في

أول الأمر، ولم يردوا عليه حتى عاب آلهتهم، ونسب قومه وآباءهم إلى الكفر والضلال، فاجمعوا على عداوته، إلاّ من عصمه الله بالإسلام، وذب عن رسول الله ﷺ عمه أبو طالب، فجاء رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب، منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد مناف، وأبو سفيان بن أمية بن عبد شمس، وأبو البختري بن هشام ابن الحارث بن أسد، والأسود بن المطلب بن أسد، وأبو جهل بن هشام بن المغيرة، والوليد بن المغيرة المخزومي عم أبي جهل، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج السهميان، والعاص بن وائل السهمي، وهو أبو عمرو بن العاص فقالوا: يا أبا طالب إنّ ابن أخيك قد عاب ديننا وسفه أحلامنا، وضلل آباءنا فانْهِهِ عنا، أو خلِّ بيننا وبينه، فردهم أبو طالب رداً حسناً، واستمر رسول الله ﷺ على ما هو عليه، فعظم عليهم، وأتوا أبا طالب ثانياً وقالوا له ما قالوه أولاً. وقالوا: إن لم تنهه وإلاّ نازلناك وإياه حتى يهلك أحد الفريقين، فعظم على أبي طالب ذلك، وقال لرسول الله ﷺ: يا ابن أخي، إنّ قومك قالوا إلي كذا وكذا، فظن رسول الله ﷺ ان عمه خاذله، فقال رسول الله ﷺ «والله ياعم، لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في شمالي، ما تركت هذا الأمر»، ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى وقام، فولى، فناداه أبو طالب أقبل يا ابن أخي وقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء ابداً، فأخذت كل قبيلة تعذب من أسلم منها، ومنع الله رسوله بعمه أبي طالب.

(ذكر إسلام حمزة رضي الله عنه)

كان النبي ﷺ عند الصفا، فمر به أبو جهل بن هشام، فشتم النبي ﷺ، فلم يكلمه ﷺ، وكان حمزة في القنص، فلما حضر أنباته مولاة لعبد الله بن جدعان بشتم أبي جهل لابن أخيه محمد ﷺ، فغضب حمزة وقصد البيت ليطوف به وهو متوشح قوسه، فوجد ابن هشام قاعداً مع جماعة، فضربه حمزة بالقوس فشجه، ثم قال: أتشتم محمداً وأنا على دينه؟ فقامت رجال من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل، فقال أبو جهل دعوه فإني سببت ابن أخيه سباً قبيحاً، وتم حمزة على إسلامه، وعلمت قريش أن رسول الله ﷺ قد عز وامتنع بإسلام حمزة.

(ذكر إسلام عمر بن الخطاب ابن نفيل بن عبد العزى)

وكان شديد البأس والعداوة للنبي ﷺ، فروي أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب، أو بأبي الحكم بن هشام» وهو أبو جهل، فهدى الله تعالى عمر، وكان قد أخذ سيفه وقصد قتل النبي ﷺ، فلقيه نعيم بن عبد الله

النحام، فقال: ماتريد ياعمر: فأخبره، فقال له نعيم: لأن فعلت ذلك لن يتركك بنو عبد مناف تمشي على الأرض، ولكن اردع أختك وابن عمك سعيد بن زيد وخباب، فإنهم قد أسلموا، فقصدهم عمر وهم يتلون سورة طه من صحيفة، فسمع شيئاً منها، فلما علموا به أخفوا الصحيفة وسكتوا، فسألهم عما سمعه فانكروه، فضرب أخته فشجها وقال: أريني ما كنتم تقرؤونه، وكان عمر قارئاً كاتباً، فخافت أخته على الصحيفة وقالت: تعدمها، فاعطاها العهد على أنه يردها إليها، فدفعتها إليه وقال: ما أحسن هذا وأكرمه، فطمعت في إسلامه، وكان خباب قد استخفى منه، فلما سمع ذلك خرج إليه، فسألهم عمر عن موضع رسول الله ﷺ، فقالوا له: هو بدار عند الصفا، وكان رسول الله ﷺ هناك، وعنده قريب أربعين نفساً، ما بين رجال ونساء، منهم حمزة وأبو بكر الصديق وعلي ابن أبي طالب، فقصدهم عمر وهو متوشح بسيفه، فاستأذن في الدخول، فأذن له رسول الله ﷺ ، فلما دخل نهض إليه رسول الله ﷺ ، وأخذ بمجمع ردائه، وجبذه جبذة شديدة وقال: «ما جاء بك يا ابن الخطاب، أوما تزال حتى تنزل بك القارعة» فقال عمر: يارسول الله جئت لأؤمن بالله وبرسوله، فكبر رسول الله ﷺ ، وتم إسلام عمر.

(ذكر الهجرة الأولى وهي هجرة المسلمين إلى أرض الحبشة)

ولما اشتد إيذاء قريش لأصحاب رسول الله ﷺ ، اذن رسول الله ﷺ ، لمن ليس له عشيرة تحميه، في الهجرة إلى أرض الحبشة، فأول من خرج اثنا عشر رجلاً، وأربع نسوة، منهم عثمان بن عفان ومعه زوجة رقيه بنت رسول الله ﷺ ، و الزبير بن العوام، وعثمان بن مظعون، وعبد الله بن مسعود، وعبد الرحمن بن عوف، وركبوا البحر وتوجهوا إلى النجاشي، وأقاموا عنده، ثم خرج جعفر بن أبي طالب مهاجراً، وتتابع المسلمون أولاً فاولاً، فكان جميع من هاجر من المسلمين إلى أرض الحبشة ثلاثة وثمانين رجلاً، وثماني عشرة نسوة سوى الصغار، ومن ولد بها، فأرسلت قريش في طلبهم عبد الله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص، وأرسلوا معهما هدية من الأدم إلى النجاشي، فوصلا وطلبا من النجاشي المهاجرين، فلم يجبهما النجاشي. وقال عمرو بن العاص: سلهم عما يقولون في عيسى، فسألهم النجاشي فقالوا ما قاله الله تعالى من أنه كلمة الله ألقاها إلى مريم العذراء، فلم ينكر النجاشي ذلك. فأقام المهاجرون في جوار النجاشي آمنين، ورجع عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة خائبين، بعد أن ردّ النجاشي عليهما الهدية.

(ولما رأت) قريش ذلك وأن الاسلام قد جعل يفشو في القبائل، تعاهدوا على بني هاشم وبني المطلب، أن لايناكحوهم، ولا يبايعوهم، وكتبوا بذلك صحيفة وتركوها في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم، وانحازت بنو هاشم، كافرهم ومسلمهم إلى أبي طالب، ودخلوا معه في شعبه، وخرج من بني هاشم أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب إلى قريش مظاهراً لهم، وكانت امرأته أم جميل بنت حرب، وهي أخت أبي سفيان، على رأيه في عداوة رسول الله ﷺ، وهي التي سماها الله تعالى: حمالة الحطب، لأنها كانت تحمل الشوك، فتضعه في طريق رسول الله ﷺ، وأقامت بنو هاشم في الشعب، ومعهم رسول الله ﷺ، نحو ثلاث سنين، وبلغ المهاجرين الذين في الحبشة أن أهل مكة أسلموا، فقدم منهم ثلاثة وثلاثون رجلاً، ولما قربوا من مكة، لم يجدوا ذلك صحيحاً، فلم يدخل أحد منهم مكة إلا مستخفياً، وكان من الذين قدموا عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعثمان بن مظعون.

(ذكر نقض الصحيفة)

روي أنّ رسول الله ﷺ قال لأبي طالب: «ياعم إن ربي سلط الأرضة على صحيفة قريش، فلم تدع فيها غير أسماء الله، ونفت منها الظلم والقطيعة». فخرج أبو طالب إلى قريش وأعلمهم بذلك وقال: إن كان ذلك صحيحا، فانتهوا عن قطيعتنا، وإن كان كذباً دفعت إليكم ابن أخي، فرضوا بذلك، ثم نظروا فإذا الأمر كما قال رسول الله ﷺ، فزادهم ذلك شراً، فاتفق جماعة من قريش ونقضوا ما تعاهدوا عليه في الصحيفة، من قطيعة بني المطلب.

(ذكر الإسراء)

ذكر صاحب السيرة أنّ الإسراء كان قبل موت أبي طالب، وذكر ابن الجوزي، أنه كان بعد موت أبي طالب، في سنة اثنتي عشرة للنبوة، واختلف فيه فقيل: كان ليلة السبت، لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان، في السنة الثالثة عشرة للنبوة، وقيل كان في ربيع الأول، وقيل: كان في رجب، وقد اختلف أهل العلم فيه، هل كان بجسده أم كان رؤيا صادقة، فالذي عليه الجمهور أنه كان بجسده، وذهب آخرون إلى أنه كان رؤيا صادقة، ورووا عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول: ما فقد جسد رسول الله ﷺ، ولكن الله أسرى بروحه، ونقلوا عن معاوية أيضاً أنه كان

يقول: إنّ الإسراء كان رؤيا صادقة، ومنهم من جعل الإسراء إلى بيت المقدس جسدانياً، ومنه إلى السموات السبع وسدرة المنتهى روحانياً.

(ذكر وفاة أبي طالب)

توفي في شوال، سنة عشر من النبوة، ولما اشتد مرضه، قال له رسول الله ﷺ «ياعم قلها استحل لك بها الشفاعة يوم القيامة» يعني الشهادة. فقال له ابو طالب يا ابن اخي لولا مخافة السبة، وأن تظن قريش إنما قلتها جزعاً من الموت لقلتها، فلما تقارب من أبي طالب الموت، جعل يحرك شفتيه، فاصغى إليه العباس بأذنه، وقال: والله يابن أخي لقد قال الكلمة التي أمرته أن يقولها، فقال رسول الله ﷺ «الحمد لله الذي هداك ياعم». هكذا روي عن ابن عباس، والمشهور أنه مات كافراً، ومن شعر أبي طالب مما يدل على أنه كان مصدقاً لرسول الله ﷺ قوله:

ودعوتني وعلمت أنك صادق ... ولقد صدقت وكنت ثم أمينا

ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسد في التراب دفينا

وكان عمر أبي طالب بضعاً وثمانين سنة.

(ذكر وفاة خديجة رضي الله عنها)

ثم توفيت خديجة بعد أبي طالب، وكان موتهما قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين. وتتابعت على رسول الله ﷺ بموتهما المصائب، ونالت منه قريش، خصوصاً أبو لهب بن عبد المطلب، والحكم بن العاص، وعقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية، فإنهم كانوا جيران النبي ﷺ، ويؤذونه بما يلقون عليه وقت صلاته، وفي طعامه من القاذورات.

(ذكر سفره إلى الطائف)

ولما نالت قريش من رسول الله بعد وفاة عمه، سافر إلى الطائف يتلمس من ثقيف النصرة، ورجاء أن يقبلوا ما جاء به من الله، فوصل إلى الطائف، وعمد إلى جماعة من أشراف ثقيف، مثل مسعود وحبيب ابني عمرو، فجلس إليهم ودعاهم إلى الله وقال له واحد منهم: أما وجد الله أحداً يرسله غيرك، وقال الآخر: والله لااكلمك أبداً، لانك إن كنت رسولاً من الله كما تقول، لانت أعظم خطراً من ان أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله فما ينبغي لي أن أكلمك، فقام رسول الله من عندهم، وقد يئس من خير ثقيف، واغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون

به، حتى اجتمع عليه الناس، والجاوه إلى حائط، ورجع عنه سفهاء ثقيف فقال: رسول الله ﷺ: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، على من تكلني إن لم تكن علي غضباناً فلا أبالي» ثم قدم رسول الله ﷺ إلى مكة، وقومه أشد مما كانوا عليه من خلافه.

(ذكر عرض رسول الله ﷺ نفسه على القبائل)

كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على القبائل في مواسم الحج، ويدعوهم إلى الله، فيقول: «يابني فلان إني رسول الله إليكم، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وأن تخلعوا ما يعبد من دونه، وأن تؤمنوا بي وتصدقوني».

وعمه أبو لهب ينادي إنما يدعوكم إلى أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم، إلى ماجاء به من البدعة والضلالة، فلا تطيعوه، وكان أبو لهب أحول له غديرتان.

(ذكر ابتداء أمر الأنصار رضي الله عنهم)

ولما أراد الله تعالى إظهار أمر دينه، وإعزاز نبيه، خرج رسول الله ﷺ في الموسم يعرض نفسه على القبائل كما كان يصنع، فبينما هو عند العقبة، إذ لقي نفراً من الخزرج، من أهل مدينة يثرب، وأهلها قبيلتان، الأوس والخزرج، يجمعهم أب واحد، وهم يمانيون، وبين القبيلتين حروب، وهم حلف قبيلتين من اليهود يقال لهما قريظة والنضير من نسل هارون بن عمران، فعرض رسول الله ﷺ الإسلام عليهم، وتلى عليهم القرآن، وكانوا ستة رجال فآمنوا به وصدقوه ثم انصرفوا إلى يثرب، وذكروا ذلك لقومهم ودعوهم إلى الإسلام، حتى فشا فيهم فلم تبق دار إلا وفيها ذكر لرسول الله ﷺ.

(ذكر بيعة العقبة الأولى)

ولما كان العام المقبل، وافى الموسم اثنا عشر رجلاً من الأنصار، فبايعوا رسول الله ﷺ بيعة النساء، وذلك قبل أن يفرض عليهم الحرب، وبيعة النساء هي المبايعة على أن لا يشركوا بالله شيئاً، ولا يسرقوا، ولا يزنوا، ولا يقتلوا أولادهم، فبعث معهم رسول الله ﷺ مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ليعلمهم شرائع الإسلام والقرآن. ولما قدم مصعب المدينة، دخل به أسعد بن زرارة وهو أحد الستة الذين بايعوا رسول الله ﷺ في العقبة حائطاً من حوائط بني ظفر، وكان سعد ابن معاذ سيد الأوس، ابن خالة أسعد بن زرارة، وكان أسيد بن حضين أيضاً سيداً،

فأخذ أسيد بن حصين حربته ووقف على مصعب وأسعد، وقال: ماجاء بكما تسفهان ضعفاءنا اعتزلا إنْ كان لكما بانفسكما حاجة، فقال له مصعب: أوتجلس فتسمع، فجلس أسيد وأسمعه مصعب القرآن، وعرّفه الإسلام، فقال أسيد: ماأحسن هذا، كيف تصنعون إذا أردتم الدخول في هذا الدين، فعلمه مصعب، فأسلم وقال: ورائي رجل إن اتبعكما، لم يتخلف عنه أحد، وسأرسله إليكما، يعني سعد بن معاذ، ثم أخذ أسيد حربته وانصرف إلى سعد بن معاذ، وبعث به إلى مصعب وأسعد، فلما اقبل قال أسعد لمصعب: جاءك والله سيد من ورائه، فلما وقف عليهما سعد بن معاذ تهدد أسعد وقال: لولا قرابتك مني ما صبرت علي أن تغشانا في دارنا بما نكره، فقال له مصعب: أو ما تسمع، فإن رضيت أمراً قبلته، وإلا عزلنا عنك ماتكره، فقال: أنصفت. فعرض مصعب عليه الإسلام، وقرأ عليه القرآن. قال فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم. ثم قال: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم؟ فعرفاه ذلك فاسلم وانصرف إلى النادي، حتى وقف عليه ومعه أسيد بن حصين، فلما رآه قومه مقبلاً، قالوا نحلف بالله لقد رجع سعد بغير الوجه الذي ذهب به، فقال: يابني عبد الأشهل، كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا سيدنا وأفضلنا. قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام، حتى تؤمنوا بالله ورسوله، فما أمسى في دار بني عبد الأشهل أحد حتى أسلم، ونزل سعد بن معاذ ومصعب في دار أسعد بن زرارة يدعون الناس إلى الإسلام، حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وبها مسلمون، إلاّ ما كان من دار بني أمية بن زيد.

(ذكر بيعة العقبة الثانية)

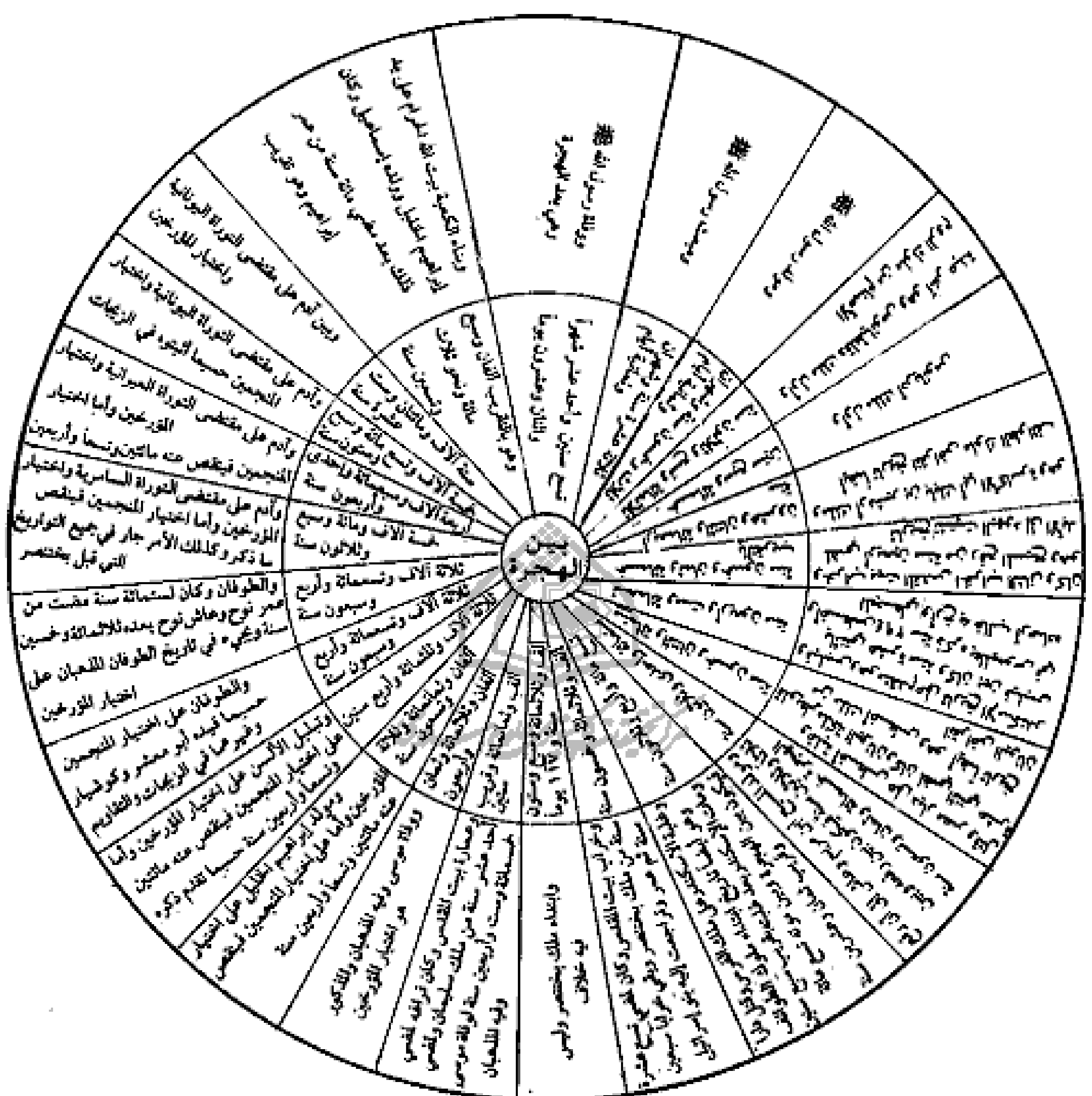
وكانت في سنة ثلاث عشرة من المبعث، وذلك أن مصعب بن عمير عاد إلى مكة ومعه من الذين أسلموا ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان، بعضهم من الأوس وبعضهم من الخزرج، مع كفار من قومهم، وهم مستخفون من الكفار، فلما وصلوا إلى مكة واعدوا رسول الله ﷺ أن يجتمعوا به ليلاً في أوسط أيام التشريق بالعقبة وجاءهم رسول الله ﷺ ومعه عمه العباس وهو مشرك، إلا أنه أحب أن يتوثق منهم لابن أخيه، فقال العباس: يا معشر الخزرج؛ إن محمداً منا حيث علمتم، وقد منعناه من قومنا وهو في عز ومنعة في بلده، وإنه قد ابى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم، فإن كنتم تفقون عند مادعوتموه إليه؛ وتمنعونه ممن خالفه، فانتم وما تحملتم من ذلك. وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه فمن الآن فدعوه. فقالوا: قد سمعنا العباس، فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت. فتكلم رسول الله ﷺ

وتلا القرآن ثم قال: «أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأولادكم». ودار الكلام بينهم؛ واستوثق كل فريق من الآخر، ثم سألوا رسول الله ﷺ فقالوا: إن قتلنا دونك ما لنا؟ قال: الجنة. قالوا: فابسط يدك، فبسط يده وبايعوه، ثم انصرفوا راجعين إلى المدينة، وأمر النبي ﷺ أصحابه بالهجرة إلى المدينة، فخرجوا أرسالاً، وأقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة، وبقي النبي ﷺ وأبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

(ذكر الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام)

وهي ابتداء التاريخ الإسلامي، أما لفظة التاريخ فإنه محدث في لغة العرب؛ لأنه معرب من ماه روز، وبذلك جاءت الرواية، روى ابن سليمان عن ميمون بن مهران أنه رفع إلى عمر بن الخطاب في خلافته رضي الله تعالى عنه صك محله شعبان فقال: أي شعبان؟ أهذا هو الذي نحن فيه؟ أو الذي هو آت؟ ثم جمع وجوه الصحابة وقال: إن الأموال قد كثرت وما قسمنا منها غير موقت، فكيف التوصل إلى ما نضبط به ذلك؟ فقالوا: نحب أن نتعرف ذلك من رسوم الفرس، فعندها استحضر عمر الهرمزان وسأله عن ذلك، فقال: إن لنا به حساباً نسميه ماه روز، ومعناه حساب الشهور والأيام، فعربوا الكلمة فقالوا مؤرخ، ثم جعلوا اسمه التاريخ واستعملوه، ثم طلبوا وقتاً يجعلونه أولاً لتاريخ دولة الإسلام، واتفقوا على أن يكون المبدأ سنة هذه الهجرة، وكانت الهجرة من مكة إلى المدينة شرفهما الله، وقد تصرم من شهور هذه السنة وأيامها المحرم وصفر وثمانية أيام من ربيع الأول. فلما عزموا على تأسيس الهجرة رجعوا القهقرى ثمانية وستين يوماً، وجعلوا مبدأ التاريخ أول المحرم من هذه السنة ،ثم أحصوا من أول يوم في المحرم إلى آخر يوم من عمر النبي ﷺ فكان عشر سنين وشهرين، وأما إذا حسب عمره من الهجرة حقيقة فيكون قد عاش بعدها تسع سنين وأحد عشر شهراً واثنين وعشرين يوماً. وقد وضعنا زايجة تتضمن ما بين الهجرة وبين التواريخ القديمة المشهورة من السنين، وإذا أردت أن تعرف ما بين أي تاريخين شئت منها فانظر إلى ما بينهما وبين الهجرة، وأنقص أقلهما من أكثرهما؛ فمهما. بقي يكون ذلك هو ما بينهما (مثاله) إذا أردنا أن نعرف ما بين مولد المسيح ومولد رسول الله صلوات الله عليهما وسلامه نقصنا ما بين مولد رسول الله ﷺ وبين الهجرة وهو ثلاث وخمسون سنة وشهران وثمانية أيام من ستمائة وإحدى

وثلاثين سنة، يبقى خمسمائة وثمان وسبعون سنة تنقص شهرين وثمانية أيام هي جملة ما بين مولد رسول الله ﷺ وبين مولد المسيح ابن مريم صلوات الله وسلامه عليهما وكذلك أي تاريخين أردت من هذه الدائرة



التواريخ القديمة المشهورة، من السنين بين الهجرة وبين آدم، على مقتضى التوراة اليونانية، واختيار المؤرخين، ستة آلاف ومائتان وست عشرة سنة، وعلى مقتضى التوراة اليونانية، واختيار المنجمين، حسبما أثبتوا في الزيجات، خمسة آلاف وتسعمائة وسبع وستون سنة، وعلى مقتضى التوراة العبرانية، واختيار المؤرخين، أربعة آلاف وسبعمائة وإحدى وأربعون سنة، وأما على اختيار المنجمين، ينقص عنه مائتان وتسع وأربعون سنة، وعلى مقتضى التوراة السامرية، واختيار المؤرخين، خمسة آلاف ومائة وسبع وثلاثون سنة، وأما على اختيار المنجمين، فينقص ماذكر، كذلك جاء الأمر في جميع التواريخ إلى قبل بخت نصر.

بين الهجرة وبين الطوفان على اختيار المؤرخين، ثلاث آلاف وتسعمائة وأربع وسبعون سنة، وكان الطوفان لستمائة سنة مضت من عمر نوح، وعاش نوح بعده ثلاثمائة وخمسين سنة، وعلى اختيار المنجمين، ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمس وعشرون سنة، حسبما قرره أبو معشر وكوشيار وغيرهما في الزيجات والتقاويم، بين الهجرة وبين تبلبل الألسن على اختيار المؤرخين، ثلاثة آلاف وثلاثمائة وأربع سنين وأما على اختيار المنجمين، فتنقص عنه مائتين وتسعاً وأربعين سنة، حسبما تقدم ذكره.

بين الهجرة وبين مولد إبراهيم الخليل على اختيار المؤرخين ألفان وثمانمائة وثلاثة وتسعون سنة، وأما على اختيار المنجمين، فتنقص عنه مائتين وتسعاً وأربعين سنة بين الهجرة وبين بناء الكعبة على يد إبراهيم الخليل وولده إسماعيل، ألفان وسبعمائة ونحوثلاث وتسعين سنة، وكان ذلك بعد مضي مائة سنة من عمر إبراهيم وهو القريب والله أعلم.

بين الهجرة وبين وفاة موسى عليه السلام، على اختيار المؤرخين، ألفان وثلاثمائة وثمان وأربعون سنة، وأما على اختيار المنجمين فتنقص عنه مائتين وتسعاً وأربعين سنة، بين الهجرة وبين عمارة بيت المقدس على اختيار المؤرخين، ألف وثمانمائة وقريب سنتين وكان فراغه لمضي أحد عشر سنة من ملك سليمان، ولمضي خمسمائة وست وأربعين سنة لوفاة موسى، وأما على اختيار المنجمين، فتنقص عنه مائتين وتسعاً وأربعين سنة.

بين الهجرة وبين ابتداء ملك بختنصر ألف وثلاثمائة وتسع وستون سنة، وليس فيه خلاف، بين الهجرة وبين خراب بيت المقدس ألف وثلاثمائة وخمسون سنة، وكان لمضي تسعة عشرة سنة لبختنصر واستمر خراباً سبعين سنة ثم عمر.

بين الهجرة وبين غلبة الإسكندر على دارا ملك الفرس، تسعمائة وأربع ثلاثون سنة وكانت أيضاً ابتداء ملكه على الفرس. وبقي الإسكندر بعد غلبته على دارا نحو سبع سنين.

بين الهجرة وبين فيلبس تسعمائة وسبع وعشرون سنة، وهو اخو الإسكندر أصغر منه باثني عشر سنة، وملك بعده على مقدونية، ذكره ببطلميوس.

بين الهجرة وبين غلبة أغسطس على قلوبطرا ملكة مصر، ستمائة واثنان

وخمسون سنة، وكانت بسنة إثنتي عشرة من ملك أغسطس.

بين الهجرة وبين مولد المسيح عليه السلام، ستمائة وإحدى وثلاثون سنة وكان بسنة أربع وثلاثمائة لغلبة الإسكندر، ولإحدى وعشرين سنة مضت من غلبة أغسطس على قلوبطرا.

بين الهجرة وبين خراب بيت المقدس الثاني، خمسمائة وثمان وخمسون سنة وكان لمضي أربعين سنة من رفع المسيح عليه السلام وهو تاريخ لشتة اليهود إلى الآن.

بين الهجرة وبين أول ملك أدريانس خمسمائة وسبع سنين. بين الهجرة وبين قيام أزدشير بن بابك، أربعمائة واثنان وعشرون سنة، وهو أيضاً تاريخ انقراض ملوك الطوائف.

بين الهجرة وبين أول ملك دو قلطيانس ثلاثمائة وتسع وثلاثون سنة وهو آخرعبدة الأصنام ملوك الروم.

بين الهجرة وبين مولد رسول الله ﷺ، ثلاثة وخمسون سنة وشهرين وثمانية أيام.

بين الهجرة وبين مبعث رسول الله، ثلاث عشرة سنة وشهران وثمانية أيام.

بين الهجرة وبين وفاة رسول الله، تسع سنين وأحد عشر شهراً واثنان وعشرون يوماً وهي بعد الهجرة.

(حديث الهجرة)

(وأما ما كان) من حديث الهجرة، فإنه لما علمت قريش انه قد صار لرسول الله ﷺ أنصار، وانّ أصحابه بمكة قد لحقوا بهم، خافوا من خروج رسول الله ﷺ إلى المدينة، فاجتمعوا واتفقوا على أن يأخذوا من كل قبيلة رجلاً، ليضربوه بسيوفهم ضربة رجل واحد، ليضيع دمه في القبائل، وبلغ ذلك النبي ﷺ فأمر علياً أن ينام على فراشه، وأن يتشح ببرده الأخضر، وأن يتخلف عنه ليؤدي ما كان عند رسول الله ﷺ من الودائع إلى أربابها، وكان الكفار قد اجتمعوا على باب النبي ﷺ يرصدونه، ليثبوا عليه، فأخذ رسول الله ﷺ حفنة تراب وتلا أول (يس)، وجعل ذلك التراب على رؤوس الكفار، فلم يروه، فأتاهم آت وقال: إنّ محمداً خرج ووضع على رؤوسكم

التراب، وجعلوا ينظرون فيرون علياً عليه برد النبي ﷺ، فيقولون محمد نائم، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا، فقام علي فعرفوه. وأقام علي بمكة حتى أدّى ودائع النبي ﷺ.

وقصد النبي ﷺ لما خرج من داره،دار أبي بكر رضي الله عنه ، وأعلمه بأنّ الله قد أذن بالهجرة، فقال أبو بكر: الصحبة يارسول الله، قال الصحبة: فبكى أبوبكر رضي الله عنه فرحاً، واستأجرا عبد الله بن أرقط، وكان مشركاً،ليد لهما على الطريق، ومضى النبي ﷺ وأبو بكر إلى غار ثور، وهوجبل أسفل مكة، فأقاما فيه ثم خرجا من الغار بعد ثلاثةأيام، وتوجها إلى المدينة ومعهما عامر بن فهير مولى أبي بكر الصدّيق، وعبد الله بن أرقط الدليل، وهو كافر.

وجدّت قريش في طلبه، فتبعه سراقة بن مالك المدلجي، فلحق النبي صلى الله عليه وسلم، فقال أبو بكر: يارسول الله أدركنا الطلب. فقال له النبي ﷺ : لا تحزن إنّ الله معنا، ودعا رسول الله ﷺ على سراقة، فارتطمت فرسه إلى بطنها في أرض صلبة. فقال سراقة: ادع الله يا محمد أنْ يخلصني، ولك أنْ أرد الطلب عنك، فدعا له النبي ﷺ فخلص، ثم تبعه، فدعا عليه ﷺ فترطم ثانياً،وسأل الخلاص وأن يرد الطلب عن النبي ﷺ، فأجابه النبي ﷺ ودعا له، وقال: كيف بك يا سراقة إذا سورت بسوار كسرى برويز، فرجع سراقة ورد كل من لقيه عن الطلب. أن يقول كفيتم ما هاهنا .

وقدم المدينة رسول الله ﷺ لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول من سنة إحدى، وذلك يوم الاثنين الظهر، فنزل قباء على كلثوم بن الهدم،وأقام بقباء الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، وأسس مسجد قباء وهو الذي نزل فيه: ﴿لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه﴾[التوبة :١٠٨] وخرج من قباء يوم الجمعة، فما مرّعلى دار من دورالأنصار إلا قالوا: هلمّ يارسول الله إلى العدد والعدة، ويعترضون ناقته فيقول: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة» حتى انتهت إلى موضع مسجده ﷺ، وكان مربداً لسهل وسهيل ابني عمرو، يتيمين في حجر معاذ بن أعفر فبركت هناك ووضعت جرانها،فنزل عنها النبي ﷺ، واحتمل أبو أيوب الأنصاري رحل الناقة إلى بيته،وأقام النبي ﷺ عند أبي أيوب الأنصاري حتى بنى مسجده ومساكنه، وقيل بل كان موضع المسجد لبني النجار، وفيه نخل وخرب وقبور المشركين.

(ذكر تزويج النبي ﷺ بعائشة)
(بنت أبي بكر الصدّيق رضي الله عنهما)

وتزوجها قبل الهجرة، بعد وفاة خديجة، ودخل بها بعد الهجرة بثمانية أشهر، وهي ابنة تسع سنين، وتوفي عنها وهي ابنة ثماني عشرة سنة.

(ذكر المؤاخاة بين المسلمين)

آخا رسول الله ﷺ، فاتخذ رسول الله، علي بن أبي طالب أخاً، وكان علي يقول على منبر الكوفة، أيام خلافته: أنا عبد الله وأخو رسول الله، وصار أبو بكر وخارجة بن زيد بن أبي زهير الأنصاري، أخوين، وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن معاذ الأنصاري أخوين، وعمر بن الخطاب وعتبان بن مالك الأنصاري أخوين، وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ربيع الأنصاري أخوين، وعثمان بن عفان وأوس بن ثابت الأنصاري أخوين، وطلحة بن عبيد الله وكعب بن مالك الأنصاري أخوين، وسعيد ابن زيد وأُبي بن كعب الأنصاري أخوين، وأول مولود ولد للمهاجرين بعد الهجرة، عبد الله بن الزبير، وأول مولود ولد للأنصار النعمان بن بشير.

(ثم دخلت سنة اثنتين) من الهجرة (فيها) حولت الصلاة إلى الكعبة، وكانت الصلاة بمكة، وبعد مقدمه إلى المدينة بثمانية عشر شهراً، إلى بيت المقدس، وذلك يوم الثلاثاء منتصف شعبان، فاستقبل الكعبة في صلاة الظهر وبلغَ أهل قباء ذلك، فتحولوا إلى جهة الكعبة وهم في الصلاة، (وفي هذه السنة) أعني سنة اثنتين فرض صيام رمضان. (وفي هذه السنة) بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش الأسدي، في ثمانية أنفس إلى نخلة بين مكة والطائف، ليتعرفوا أخبار قريش فمر بهم عير لقريش فغنموها وأسروا اثنين، وحضروا بذلك إلى رسول الله ﷺ، وهي أول غنيمة غنمها المسلمون. (من الأشراف) للمسعودي، (وفي هذه السنة) أُري عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري صورة الأذان في النوم، فورد الوحي به.

(ذكر غزوة بدر الكبرى)

وهي الغزوة التي أظهر الله بها الدين، وكان من خبرها، أنه لما قدم لقريش قفل من الشام، مع أبي سفيان بن حرب، ومعه ثلاثون رجلاً، فندب رسول الله ﷺ إليهم، وبلغ أبا سفيان ذلك فبعث إلى مكة، وأعلم قريشاً أن النبي ﷺ بقصده، فخرج الناس من مكة سراعاً، ولم يتخلف من الأشراف غير أبي لهب، وبعث مكانه العاص بن

هشام، وكانت عدتهم تسعمائة وخمسين رجلاً، فيهم مائة فارس، وخرج محمد عليه السلام من المدينة، لثلاث خلون من رمضان سنة اثنتين للهجرة، ومعه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً،منهم سبعة وسبعون من المهاجرين، والباقون من الأنصار،ولم يكن فيهم إلاّ فارسان، أحدهما المقداد بن عمرو الكندي، بلا خلاف،والثاني قيل هوالزبير بن العوام، وقيل غيره، وكانت الإبل سبعين، يتعاقبون عليها، ونزل رسول لله ﷺ الصفراء[1] ، وجاءته الأخبار بأن العير قد قاربت بدراً، وأن المشركين قد خرجوا، ليمنعوا عنها،ثم ارتحل رسول اللهﷺ ونزل في بدر، على أدنى ماء من القوم، وأشار سعد بن معاذ ببناء عريش لرسول اللهﷺ، فعمل وجلس عليه رسول اللهﷺ، ومعه أبوبكر، وأقبلت قريش،فلما رآهم رسول اللهﷺ قال: اللهّم هذه قريش، قد أقبلت بخيلائها وفخرها. تكذّب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني، وتقاربوا، وبرز من المشركين عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، فأمر النبيﷺ أن يبارز عبيدة بن الحارث بن المطلب عتبة، وحمزة عم النبي ﷺ شيبة، وعلي بن أبي طالب الوليد بن عتبة، فقتل حمزة شيبة، وعلي الوليد،وضرب كل واحد من عبيدة وعتبة صاحبه، وكُر علي وحمزة على عتبة فقتلاه، واحتملا عبيدة وقد قطعت رجله ثم مات، وتراحف القوم ورسول اللهﷺ، ومعه أبو بكر على العريش، وهو يدعو ويقول: «اللهم إن تهلك هذه العصابة، لاتعبد في الأرض، اللهم أنجز لي ما وعدتني» ولم يزل كذلك حتى سقط رداؤه، فوضعها أبو بكر عليه، وخفق رسول اللهﷺ خفقة، ثم انتبه فقال: أبشر يا أبا بكر فقد أتى نصر الله، ثم خرج رسول الله ﷺ من العريش يحرض الناس على القتال، وأخذ حفنة من الحصباء ورمى بها قريشاً وقال: شاهت الوجوه، ثم قال لأصحابه: شدوا عليهم فكانت الهزيمة، وكانت الوقعة صبيحة الجمعة، لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان، وحَمَل عبد الله ابن مسعود رأس أبي جهل بن هشام إلى النبيﷺ، فسجد شكراً لله تعالى،وقتل أبو جهل وله سبعون سنة، واسم أبي جهل عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكذلك قتل أخو أبي جهل، وهو العاص بن هشام، ونصر الله نبيه بالملائكة. قال الله تعالى: ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم إني ممدكم بألف من الملائكة﴾[الأنفال:٩] وجاء الخبر إلى أبي لهب بمكة عن مصاب أهل بدر، فلم يبق غير سبع ليال ومات كمداً، وكانت عدة قتلى بدر من المشركين سبعين

(١) الصفراء :قرية فوق ينبع مما يلي المدينة . البلدان ٣ / ٤١٢ .

رجلاً، والأسرى كذلك، فمن القتلى غير من ذكرنا حنظلة بن أبي سفيان بن حرب، وعبيدة بن سعيد بن العاص بن أمية، قتله علي بن أبي طالب، وزمعة بن الأسود قتله حمزة وعلي،وأبو البحتري بن هشام، قتله المجدر بن زياد ونوفل بن خويلد، أخو خديجة، وكان من شياطين قريش، وهو الذي قرن أبا بكر وطلحة بن خويلد لما أسلما في حبل، قتله علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وعمير بن عثمان بن عمر التميمي، قتله علي أيضاً ومسعود بن أبي أمية المخزومي، قتله حمزة، وعبد الله بن المنذر المخزومي، قتله علي بن أبي طالب، ومنبه بن الحجاج السهمي، قتله أبو يسر الأنصاري،وابنه العاص بن منبه، قتله علي بن أبي طالب، وأخوه نبيه بن الحجاج، اشترك فيه حمزة وسعد بن أبي وقاص، وأبو العاص بن قيس السهمي، قتله علي بن أبي طالب.

وكان من جملة الأسرى العباس عم النبيﷺ وابنا أخويه، عقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب، ولما انقضى القتال، أمر النبيﷺ بسحب القتلى إلى القليب، وكانو أربعة وعشرين رجلاً، من صناديد قريش، فقذفوا فيه، وأقام رسول الله ﷺ بعرصة بدر ثلاث ليال، وجميع من استشهد من المسلمين أربعة عشر رجلاً، ستة من المهاجرين،وثمانية من الأنصار، ولما وصل رسول اللهﷺ إلى الصفراء راجعاً من بدر، أمر علياً فضرب عنق النضر بن الحارث،وكان من شدة عداوته للنبي ﷺ، إذا تلا النبي ﷺ القرآن، يقول لقريش: ما يأتيكم محمد إلا بأساطير الأولين، ثم أمر بضرب عنق عقبة بن أبي معيط بن أمية، وكان عثمان بن عفان قد تخلف عن رسولﷺ في المدينة بأمره، بسبب مرض زوجته رقية بنت رسول اللهﷺ ،وماتت رقية في غيبة رسول ﷺ، وكانت مدة غيبة رسولﷺ تسعة عشر يوماً.

(ثم كانت غزوة بني قينقاع من اليهود)

وهم أوّل يهود نقضوا ما كان بينهم وبين رسول اللهﷺ من العهد، فخرج إليهم في منتصف شوال سنة اثنتين، فتحصنوا، فحاصرهم خمس عشرة ليلة، ونزلوا على حكم رسول اللهﷺ فكتفوا وهو يريد قتلهم، فكلمه عبد الله بن أبي بن أبي سلول الخزرجي المنافق، وكان هؤلاء اليهود خلفاء الخزرج، فأعرض النبي عنه، فأعاد السؤال، فأعرض عنه، فأدخل يده في جيب رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله أحسن. فقال: «ويحك أرسلني» فقال لا والله حتى تحسن. فقال رسول اللهﷺ

«هم لك» ثم أمر بإجلائهم، وغنم رسول اللهﷺ والمسلمون جميع أموالهم.

ثم كانت غزوة السويق وكان من أمرها، انّ أبا سفيان حلف أن لا يمس الطيب والنساء حتى يغزو محمدﷺ، بسبب قتلى بدر، فخرج في مائتي راكب،وبعث قدامه رجال إلى المدينة، فوصلوا إلى العريض[١] وقتلوا رجالاً من الانصار، فلما سمع النبيﷺ بذلك، ركب في طلبه، وهرب أبو سفيان وأصحابه، وجعلوا يلقون جرب السويق تخفيفاً، فسميت لذلك غزوة السويق.

(ثم كانت غزوة قرقرة الكدر)

وقيل كانت سنة ثلاث، وقرقرة الكدر، ماء ممايلي جادة العراق إلى مكة، وبلغ النبيﷺ انّ بهذا الموضع جمعاً من سليم وغطفان، فخرج لقتالهم، فلم يجد أحداً، فاستاق ما وجد من النعم، ثم قدم المدينة. (وفي هذه السنة) أعني سنة اثنتين، مات عثمان بن مظعون رضي الله عنه. (وفي هذه السنة) تزوج علي بفاطمة بنت رسول اللهﷺ، (وفيها) كانت الوقعة بذي قار بين بكر بن وائل وبين جيش كسرى برويز، وعليه الهامرز، واقتتلوا قتالاً شديداً، وانهزمت الفرس ومن كان معهم من العرب، وقتل الهامرز. (وفيها) هلك أمية بن أبي الصلت، واسم أبي الصلت عبد الله ابن ربيعة، وكان أمية المذكور من رؤساء الكفار، وكان قد قرأ في الكتب واطّلع على بعثة النبيﷺ، فكفر به حسداً، وكان يرتجي أن يكون هو المبعوث، وكان أمية قد سافر إلى الشام، وعاد إلى الحجاز عقب وقعة بدر، ولما مر بالقليب قيل له أن فيه قتلى بدر، ومنهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وهما ابنا خال أمية المذكور، فجدع أذني ناقته ووقف على القليب وقال قصيدة طويلة منها:

ألا بكيتَ على الكرا ... م بني الكرامِ أولي الممادح
كبكا الحمام على فرو ... ع الأيك في الغصن الجوانح
يبكين حزني مستكيـ ... ـنات يرحن مع الروايح
أمثالهن الباكيا ... تُ المعولاتُ من النوايح
ماذا ببدرٍ والعقنـ ... ـقلُ من مرازبة جحاجح
شمطٌ وشبانٌ بهاليـ ... ـلٌ مغاويرٍ وحاوح
إن قد تغيّرَ بطن مكة ... فهي موحشة الاباطح

(ثم دخلت سنة ثلاث) وفيها في رمضان ولد الحسن بن علي. (وفيها) قتل

---

(١) العُرَيْض: واد بالمدينة. البلدان ٤/ ١١٤.

كعب بن الأشرف اليهودي قتله محمد بن مسلمة الانصاري.

(ذكر غزوة أحد)

وكان من حديثها أنه اجتمعت قريش في ثلاثة آلاف، فيهم سبعمائة دارع، ومعهم مائتا فرس، وقائدهم أبوسفيان بن حرب، ومعه زوجته هند بنت عتبة، وكان جملة النساء خمس عشرة امرأة ومعهن الدفوف يضربن بها، ويبكين على قتلى بدر، ويحرضن المشركين على حرب المسلمين. وساروا من مكة حتى نزلوا ذا الحليفة، مقابل المدينة وكان وصولهم يوم الاربعاء لأربع ليال مضين من شوال، سنة ثلاث، وكان رأي رسول اللهﷺ المقام في المدينة، وقتالهم بها، وكذلك رأي عبد الله بن أبيّ بن أبي سلول المنافق، وكان رأي باقي الصحابة الخروج لقتالهم، فخرج النبيﷺ في ألف من الصحابة، إلى أن صار بين المدينة وأحد، فانخزل عنه عبد الله بن أبي بن أبي سلول في ثلث الناس، وقال: أطاعهم وعصاني، علام نقتل أنفسنا ههنا، ورجع بمن تبعه من أهل النفاق، ونزل رسول الله ﷺ الشعب من أحد، وجعل ظهره إلى أحد، ثم كانت الوقعة يوم السبت، لسبع مضين من شوال، وعدةُ أصحاب رسول الله ﷺ سبعمائة فيهم مائة دارع، ولم يكن معهم من الخيل سوى فرسين، فرس لرسول اللهﷺ، وفرس لأبي بردة، وكان لواء رسول الله ﷺ مع مصعب بن عمير من بني عبد الدار، وكان على ميمنة المشركين خالد بن الوليد، وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبي جهل، ولواؤهم مع بني عبد الدار، وجعل رسول الله ﷺ الرماة، وهم خمسون رجلاً، وراءه، ولما التقى الناس، ودنا بعضهم من بعض، قامت هند بنت عتبة زوج أبي سفيان في النسوة اللاتي معها، وضربن بالدفوف خلف الرجال، وهند تقول:

ويها بني عبد الدار   ويها حماة الأدبار   ضرباً بكل بتار

وقاتل حمزة عم النبي عليه السلام قتالاً شديداً يومئذ، فقتل أرطاة حامل لواء المشركين، ومر به سباع بن عبد العزى، وكانت أمه ختانة بمكة، فقال له حمزة هلم يا ابن مقطعة البظور، وضربه، فكأنما أخطأ رأسه، فبينا هو مشتغل بسباع، إذ ضربه وحشي عبد جبير بن مطعم، وكان وحشي حبشياً بحربة، فقتل حمزة، وقتل ابن قمية الليثي مصعب بن عمير حامل لواء رسول الله ﷺ، وهو يظن أنه رسول اللهﷺ، فقال لقريش: إني قتلت محمداً، ولما قتل مصعب بن عمير، أعطى النبي ﷺ، الراية لعلي بن أبي طالب.

(ذكر الكرة على المسلمين)

وانهزمت المشركون، فطمعت الرماة في الغنيمة، وفارقوا المكان الذي أمرهم النبيﷺ بملازمته، فأتى خالد بن الوليد مع خيل المشركين من خلف المسلمين، ووقع الصراخ أن محمداً قتل، وانكشفت المسلمون، وأصاب فيهم العدو، وكان يوم بلاء على المسلمين، وكانت عدة الشهداء من المسلمين سبعين رجلاً، وعدةقتلى المشركين اثنين وعشرين رجلاً، ووصل العدو إلى رسول الله عليه السلام، وأصابته حجارتهم حتى وقع، وأصيبت رباعيته، وشج في وجهه، وكلمت شفته، وكان الذي أصاب رسول اللهﷺ عتبة بن أبي وقاص، أخو سعد بن أبي وقاص، وجعل الدم يسيل على وجه رسول اللهﷺ وهويقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم، وهو يدعوهم إلى ربهم،فنزل في ذلك قوله تعالى: ﴿ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾[آل عمران:١٢٨] ودخلت حلقتان من حلق المغفر في وجه رسول الله ﷺ من الشجة، ونزع أبو عبيدة بن الجراح إحدى الحلقتين من وجهه ﷺ، فسقطت ثنيته الواحدة، ثم نزع الأخرى فسقطت ثنيته الأخرى، فكان أبوعبيدة ساقط الثنيتين، ومص سنان أبو سعيد الخدري الدم من وجه رسول الله ﷺ، وازدرده، فقال النبي ﷺ: «من مس دمي دمه لم تصبه النار». وروي أن طلحة أصابته يومئذ ضربة فشلت يده وهو يدافع عن رسول اللهﷺ، وكان رسول اللهﷺ قد ظاهر بين درعين، ومثّلت هند وصواحبها بالقتلى من أصحاب رسول اللهﷺ، فجدعن الآذان والأنوف، واتخذن منها قلائد، وبقرت هند عن كبد حمزة ولاكتها ولم تسغها، وضرب أبوسفيان زوجها، بزج الرمح شدق حمزة، وصعد الجبل وصرخ بأعلى صوته: الحرب سجال، يوم بيوم بدر، أعل هبل، أي ظهر دينك، ولما انصرف أبو سفيان ومن معه، نادى إنَّ موعدكم بدراً العام القابل، فقال النبيﷺ لواحد قل: «هو بيننا وبينكم». ثم سار المشركون إلى مكة، ثم التمس رسول اللهﷺ عمه حمزة، فوجده وقد بقر بطنه وجدع أنفه وأذناه، فقال رسول الله ﷺ: «لئن أظهرني الله على قريش لأمثلن بثلاثين منهم». ثم قال: «جاءني جبرائيل فأخبرني أن حمزة مكتوب في أهل السموات السبع، حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله» ثم أمر رسول الله ﷺ بحمزة فسجي ببرده، ثم صلى عليه، فكبر سبع تكبيرات، ثم أتى بالقتلى يوضعون إلى حمزة، فيصلي عليهم وعليه معهم، حتى صلى عليه اثنتين وسبعين صلاة، وهذا دليل لأبي حنيفة، فإنه يرى الصلاة على الشهيد خلافاً للشافعي رحمهما الله تعالى، ثم أمر بحمزة فدفن، واحتمل ناس من

المسلمين قتلاهم إلى المدينة فدفنوهم بها، ثم نهى رسول الله ﷺ عن ذلك وقال: «ادفنوهم حيث صرعوا».

(ثم دخلت سنة أربع) فيها في صفر قدم على النبي ﷺ قوم من عضل والقارة، وطلبوا من رسول الله ﷺ أن يبعث معهم من يفقه قومهم في الدين، فبعث معهم ستة نفر، وهم: ثابت بن أبي الأقلح، وخبيب بن عدي، ومرثد بن أبي مرثد الغنوي، وخالد بن البكير الليثي، وزيد بن الدثنة، وعبد الله بن طارق، وقدم عليهم مرثد بن أبي مرثد.

فلما وصلوا إلى الرجيع، وهو ماء لهذيل، على أربعة عشر ميلاً من عسفان، غدروا بهم، فقاتلهم أصحاب رسول الله ﷺ ، فقتل ثلاثة وأسر ثلاثة، وهم زيد بن الدثنة ، وخبيب، وعبد الله بن طارق، فأخذوهم إلى مكة، وانفلت عبد الله بن طارق في الطريق،فقاتل إلى أن قتلوه بالحجارة، ووصلوا بزيد بن الدثنة، وخبيب إلى مكة، وباعوهما من قريش فقتلوهما صبراً.

(وفي صفر) سنة أربع أيضاً قدم أبو برا عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة على النبي ﷺ ، ولم يسلم ولم يبعد من الإسلام، وقال للنبي ﷺ : لو بعثت من أصحابك رجالاً إلى أهل نجد يدعونهم، رجوت أن يستجيبوا لك، فقال رسول الله ﷺ : «أخاف على أصحابي» فقال أبو برا: أنا لهم جار. فبعث رسول الله ﷺ ، المنذر بن عمر الأنصاري في أربعين رجلاً من خيار المسلمين،فيهم عامر بن فهير مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فمضوا ونزلوا بئر معونة على أربع مراحل من المدينة، وبعثوا بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدو الله عامر بن الطفيل، فقتل الذي أحضر الكتاب، وجمع الجموع وقصد أصحاب رسول الله ﷺ ، فتقاتلوا وقُتلوا عن آخرهم، إلاّ كعبُ بن زيد، فإنه بقي فيه رمق وتوارى بين القتلى، ثم لحق بالنبي ﷺ واستشهد يوم الخندق، وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري، ورجل من الأنصار، فرأيا الطيور تحوم حول العسكر فقصدا العسكر، فوجدا القوم مقتولين، فقاتل الأنصاري وقتل، وأما عمرو بن أمية فأُخذا أسيراً، وأعتقه عامر ابن الطفيل لكونه من مضر، ولحق برسول الله ﷺ ، وأخبره بالخبر فشق عليه.

(ذكر غزوة بني النضير من اليهود)

وسار رسول الله ﷺ إليهم وحاصرهم، في ربيع الأول سنة أربع. ونزل تحريم الخمر، وهو محاصر لهم، فلما مضى ست ليال محاصراً لهم، سالوا رسول الله ﷺ أن

يُخليهم، على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا السلاح، فأجابهم إلى ذلك، فخرجوا ومعهم الدفوف والمزامير، مظهرين بذلك تجلداً، وكانت أموالهم فيئاً لرسول اللهﷺ، يقسمها حيث شاء،فقسمها على المهاجرين دون الأنصار، إلا أنّ سهل بن حنيفة وأبا دجانة ذكرا فقراً، فأعطاهما رسول اللهﷺ من ذلك شيئاً، ومضى إلى خيبر من بني النضير ناس، وإلى الشام ناس.

(ذكر غزوة ذات الرقاع)

ثم غزا رسول اللهﷺ نجداً، فلقي جمعاً من غطفان في ذات الرقاع، وسميت بذلك لأنهم رقعوا فيها راياتهم، فتقارب الناس، ولم يكن بينهم حرب، وكان ذلك في جمادى الأولى ، سنة أربع، وفي هذه الغزوة قال رجل من غطفان لقومه: ألا أقتل لكم محمداً؟ قالوا: بلى، وحضر إلى عند النبي ﷺ وقال: يامحمد أريد أنظر إلى سيفك هذا، وكان محلّى بفضة، فدفعه النبيﷺ إليه،فأخذه واستله، ثم جعل يهزه ويهم، ويكبته الله، ثم قال يا محمد: ماتخافني؟ فقال له :لا أخاف منك ثم رد سيف رسول اللهﷺ إليه، فأنزل الله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ همّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم ﴾[المائدة: ١١].

(ذكر غزوة بدر الثانية)

وفي شعبان سنة أربع، خرج رسول الله ﷺ لميعاد أبي سفيان، وأتى بدراً وأقام ينتظر أبا سفيان، وخرج أبوسفيان من مكة، ثم رجع من أثناء الطريق إلى مكة، فلما لم يأت انصرف رسول الله ﷺإلى المدينة، (وفي هذه السنة) ولد الحسين بن علي رضي الله عنهما. (ثم دخلت سنة خمس).

(ذكر غزوة الخندق وهي غزوة الأحزاب)

وكانت في شوال من هذه السنة، وبلغ رسول الله ﷺ، تحزّب قبائل العرب، فأمر بحفر الخندق حول المدينة، قيل: إنه كان بإشارة سلمان الفارسي، وهو أول مشهد شهده مع رسول الله ﷺ، وظهرت للنبي ﷺ في حفر الخندق عدة معجزات.

منها: ما رواه جابر قال: اشتدت عليهم كدية أي صخرة، فدعا النبي ﷺ وسلم بماء وتفل فيه ونضحه عليها، فانهالت تحت المساحي، ومنها أنّ ابنة بشير بن سعد الأنصاري، وهي أخت النعمان بن بشير، بعثتها أمها بقليل تمر غذاء أبيها

بشير، وخالها عبد الله بن رواحة، فمرت برسول الله ﷺ، فدعاها وقال: «هاتي ما معك يا بنية» قالت: فصببت ذلك التمر في كفي رسول الله ﷺ، فما امتلاتا،ثم دعا رسول الله ﷺ بثوب، وبدد ذلك التمرعليه، ثم قال لإنسان: اصرخ في أهل الخندق أنْ هلموا إلى الغداء، فجعلوا يأكلون منه، وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه، وإنه ليسقط من أطراف الثوب.

ومنها ما رواه جابر قال: كانت عندي شويهة غير سمينة، فأمرت امرأتي أن تخبز قرص شعير، وأن تشوي تلك الشاة لرسول اللهّ ﷺ، وكنا نعمل في الخندق نهاراً، وننصرف إذا أمسينا، فلما انصرفنا من الخندق، قلت: يارسول الله صنعت لك شويهة ومعها شيئاً من خبز الشعير، وأنا أحب أن تنصرف إلى منزلي، فأمر رسول الله ﷺ من يصرخ في الناس، أن انصرفوا مع رسول ﷺ إلى بيت جابر، قال جابر:فقلت إنّا للّه وإنّا إليه راجعون، وكان قصده أن يمضي رسول الله ﷺ وحده، وأقبل رسول الله ﷺ والناس معه، وقدّمنا له ذلك، فبرك وسمى، ثم أكل، وتواردها الناس، كلما صدر عنها قوم جاء ناس، حتى صدر أهل الخندق عنها.

وروى سلمان الفارسي قال: كنت قريباً من رسول الله ﷺ، وأنا أعمل في الخندق، فتغلظ علي الموضع الذي كنت أعمل فيه، فلما رأى رسول الله ﷺ شدة المكان، أخذ المعول وضرب ضربة، فلمعت تحت المعول برقة، ثم ضرب أخرى فلمعت برقة أخرى، ثم ضرب أخرى فلمعت برقة أخرى، قال: فقلت بأبي أنت وأمي، ما هذا الذي يلمع تحت المعول، فقال: «أرأيت ذلك ياسلمان» فقلت: نعم. فقال: «أما الأولى، فإنّ الله فتح علي بها اليمن، وأما الثانية: فإن الله فتح علي بها الشام والمغرب، وأما الثالثة: فإن الله فتح علي بها المشرق»، وفرغ رسول الله ﷺ من الخندق، وأقبلت قريش في أحابيشها ومن تبعها من كنانة، في عشرة آلاف وأقبلت غطفان ومن تبعها من أهل نجد، وكان بنو قريظة وكبيرهم كعب بن أسد، قد عاهدوا النبي ﷺ فمازال عليهم أصحابهم من اليهود حتى نقضوا العهد، وصاروا مع الأحزاب على رسول الله ﷺ، وعظم عند ذلك الخطب واشتد البلاء، حتى ظن المؤمنون كل الظن، ونجم النفاق، حتى قال معتب بن قشير: كان محمد يعدنا أنْ نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط، وأقام المشركون بضعاً وعشرين ليلة، ورسول الله ﷺ مقابلهم، وليس بينهم قتال غير المراماة بالنبل، ثم خرج عمرو بن عبد ود من ولد لؤي بن غالب يريد المبارزة، فبرز إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال له عمرو: يا ابن أخي واللهّ ما أحب أن

أقتلك. فقال علي: لكني والله أحب أن أقتلك، فحمي عمرو عند ذلك ونزل عن فرسه فعقره، وأقبل إلى علي وتجاولا وعلا عليهما الغبرة، وسمع المسلمون التكبير، فعلموا أن علياً قتله، وانكشفت الغبرة وعلي على صدر عمرو يذبحه، ثم إن الله تعالى أهبّ ريح الصبا، كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها﴾[الأحزاب: ٩] وكان ذلك في أيام شاتية. فجعلت تكفأ قدورهم، وتطرح أبنيتهم، ورمى الله الاختلاف بينهم، فرحلت قريش مع أبي سفيان، وسمعت غطفان ما فعلت قريش فرحلوا راجعين إلى بلادهم.

(ذكر غزوة بني قريظة)

ولما أصبح رسول الله ﷺ، انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة، ووضع المسلمون السلاح، فلما كان الظهر، أتى جبرائيل رسول الله ﷺ، فقال: «إن الله يأمرك بالسير إلى بني قريظة» فأمر رسول الله ﷺ منادياً ينادي: من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلي العصر إلا ببني قريظة، وقدّم رسول الله ﷺ، علي بن أبي طالب كرم الله وجهه برايته إلى بني قريظة، ثم نزل رسول الله ﷺ، على بئر من آبارهم، وتلاحق الناس، وأتى قوم بعد العشاء الآخرة ولم يصلوا العصر، لقول رسول الله ﷺ لا يصل أحد العصر إلا ببني قريظة، فلم ينكر النبي ﷺ عليهم ذلك، وحاصر بني قريظة خمساً وعشرين ليلة، وقذف الله في قلوبهم الرعب، ولما اشتد بهم الحصار، نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، وكانوا حلفاء الأوس، فسأل الأوس رسول الله ﷺ في إطلاقهم، كما أطلق بني قينقاع، حلفاء الخزرج بسؤال عبد الله بن أُبي بن أبي سلول المنافق، فقال رسول الله ﷺ: «ألا ترضون أن يحكم فيهم سعد بن معاذ وهو سيد الأوس». فقالوا: بلى، ظناً منهم أن يحكم بإطلاقهم، فأمر بإحضار سعد، وكان به جرح في أكحله من الخندق، فحملت الأوس سعداً على حمار قد وطأوا له عليه بوسادة، وكان رجلاً جسيماً، ثم أقبلوا به إلى رسول الله ﷺ وهم يقولون لسعد: يا أبا عمرو. أحسن إلى مواليك، فقال رسول الله ﷺ: قوموا إلى سيدكم. والمهاجرون يقولون: إنما أراد ﷺ الأنصار، والأنصار يقولون: قد عم بها رسول الله ﷺ المسلمين، فقاموا إليه وقالوا: يا أبا عمرو، إنّ رسول الله قد حكّمك في مواليك. فقال سعد: أحكم فيهم، أنْ تقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتسبى الذراري والنساء. فقال النبي ﷺ: «لقد حكمت فيهم بحكم الله تعالى من فوق سبعة أرقعة» ثم رجع

رسول الله ﷺ إلى المدينة، وحبس بني قريظة في بعض دور الأنصار، وأمر فحفر لهم خنادق، ثم بعث بهم فضرب أعناقهم في تلك الخنادق، وكانوا سبعمائة رجل يزيدون أو ينقصون عنها قليلاً. ثم قسّم رسول الله ﷺ سبايا بني قريظة فأخرج الخمس، واصطفى لنفسه ريحانة بنت عمرو، فكانت في ملكه حتى ماتت، ولما انقضى أمر بني قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ فمات، رضي الله عنه ، وجميع من استشهد من المسلمين في حرب الخندق ستة نفر، منهم سعد بن معاذ، ما بعد حرب بني قريظة على ما وصفناه، وكان سعد بن معاذ لما جرح على الخندق، قد سأل الله تعالى أن لا يميته حتى يغزو بني قريظة، لغدرهم برسول الله ﷺ ، فاندمل جرحه حتى فرغ من غزو بني قريظة كما سأل الله تعالى ،ثم انتقض جرحه ومات، رحمه الله تعالى، وفي حرب بني قريظة، لم يستشهد غير رجل واحد،وكانت غزوة بني قريظة في ذي القعدة، سنة خمس، وأقام رسول الله ﷺ بالمدينة حتى خرجت السنة.

(ثم دخلت سنة ستة) فيها خرج رسول الله ﷺ في جمادى الأولى إلى بني لحيان، طلباً بثأر أهل الرجيع فتحصنوا بروس الجبال، فنزل عسفان تخويفاً لأهل مكة، ثم رجع إلى المدينة.

(ذكر غزوة ذي قرد)

ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة أيّاماً، فأغار عيينة بن حصين الفزاري على لقاح رسول الله ﷺ ، وهي بالغابة، فخرج رسول الله يوم الأربعاء، حتى وصل إلى ذي قرد، لأربع خلون من ربيع الأول، فاستنقذ بعضها، وعاد إلى المدينة، وكانت غيبته خمس ليال، وذوقرد موضع على ليلتين من المدينة على طريق خيبر.

(ذكرغزوة بني المصطلق)

وكانت في شعبان من هذه السنة، أعني سنة ست،وقيل سنة خمس، وكان قائد بني المصطلق الحارث بن أبي ضرار، ولقيهم رسول الله ﷺ ، على ماء لهم يقال له المريسيع، واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق، فقتل وسبى وغنم الأموال ووقعت جويرة بنت قائدهم، الحارث بن أبي ضرار، في سهم ثابت بن قيس، فكاتبته على نفسها، فأدّى عنها رسول الله ﷺ كتابتها وتزوجها، فقال الناس: أصهار رسول الله ﷺ ، فأعتق بتزوجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق، فكانت عظيمة البركة

على قومها، وفي هذه الغزوة قَتَل رجل من الانصار، رجلاً من المسلمين خطا، يظنه كافراً، وكان المقتول من بني ليث بن بكر، واسمه هشام، وكان اخوه مقيس مشركاً، فلما بلغه قتلَ اخيه خطا، قدم من مكة مظهراً الإسلام، وانه يطلب دية اخيه، فامر له رسول الله ﷺ بها، واقام عند رسول الله ﷺ غير كثير ثم عدا على قاتل اخيه فقتله، ثم رجع إلى مكة مرتداً، وقال من ابيات لعنه الله:

حللت به وتري وأدركت ثورتي وكنتُ إلى الأوثان أوّل راجع

وهو ممن اهدر النبي ﷺ دمه يوم فتح مكة، (وفي هذه الغزوة) ازدحم جهجاه الغفاري، اجير عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وسنان الجهني، حليف الانصار، على الماء، وتقاتلا، فصرخ الغفّاري: يا معشر المهاجرين، وصرخ الجهني: يا معشر الانصار، فغضب عبد الله بن أُبي بن ابي سلول المنافق، وعنده رهط من قومه، فيه زيد بن أرقم، فقال عبد الله المنافق: لقد فعلوها قد كاثرونا في بلادنا، امّا والله لئن رجعنا إلى المدينة، لنخرجن الاعزّ منها الاذل، ثم قال لمن حضر من قومه: هذا ما فعلتم بانفسكم، احللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، ولوامسكتم عنهم ما بايديكم لتحولوا عنكم، فاخبر زيد بن ارقم النبي ﷺ بذلك،وعنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه،فقال يارسول الله: مُرْ به عبد الله بن بشير فليقتله، فقال النبي ﷺ: كيف يتحدث الناس إذن انّ محمداً يقتل أصحابه، ثم امر بالرحيل، في وقت لم يكن ليرحل فيه، ليقطع ما الناس فيه، فلقيه أسيد بن حصين وقال: يا رسول الله، رحت في ساعة لم تكن لتروح فيها، فقال: اوَما بلغك ما قاله عبد الله بن أُبي؟ فقال: وماذا قال: فاخبره رسول الله بمقاله. فقال أسيد: انت والله تخرجه إنْ شئت، انت العزيز وهو الذليل، وبلغ ابن عبد الله المنافق، واسمه ايضاً عبد الله وكان حسن الإسلام، مقال ابيه، فقال يا رسول الله: بلغني انك تريد قتل ابي، فإن كنت فاعلاً فمرني، فانا احمل إليك راسه، فقال رسول الله ﷺ: بل ترفق به وتُحسن صحبته.

(ذكر قصة الإفك)

ولما رجع رسول الله ﷺ من هذه الغزوة، وكان ببعض الطريق، قال اهل الإفك ما قالوا: وهم مسطح بن إثاثة بن عباد بن عبد المطلب، وهو ابن خالة ابي بكر، وحسان بن ثابت، وعبد الله بن أُبي بن ابي سلول الخزرجي المنافق، وامّ حسنة ابنة جحش فرموا عائشة بالإفك مع صفوان بن المعطل، وكان صاحب الناقة، فلمّا نزلت براءتها، جلدهم رسول الله ﷺ ثمانين ثمانين إلا عبد الله بن ابي فإنه لم يجلده.

(من الأشراف) للمسعودي، وفي هذه الغزوة، أعني غزوة بني المصطلق نزلت آية التيمم.

(ذكر عُمرْة الحديبية)

وهي أن رسول الله ﷺ خرج من المدينة في ذي القعدة،سنة ست، معتمراً لايريد حرباً بالمهاجرين والأنصار في ألف وأربعمائة، وساق الهدي وأحرم بالعمرة، وسار حتى وصل إلى ثنية المرار مهبط الحديبية أسفل مكة، وأمر بالنزول فقالوا: لينزل على غير ماء، فأعطى رجلاً سهماً من كنانته، وغرزه في بعض تلك القلب في جوفه، فجاش حتى ضرب الناس عنه، وهذا من مشاهير معجزاته ﷺ، فبعث قريش عروة بن مسعود الثقفي، وهو سيد أهل الطائف، فأتى رسول الله ﷺ وقال: إنّ قريشاً لبسوا جلود النمور، وعاهدوا الله أن لا تدخل عليهم مكة عنوة أبداً. ثم جعل عروة يتناول لحية رسول الله وهويكلمه، والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله ﷺ فجعل يقرع يده ويقول: كف يدك عن وجه رسول الله ﷺ قبل أن لاترجع إليك. فقال له عروة: ماأفظك وأغلظك فتبسم رسول الله ﷺ ثم قام عروة، من عند رسول الله ﷺ وهو يرى ما يصنع أصحابه لا يتوضئ إلا ابتدروا وضوءه ولا يبصق إلا ابتدروا بصاقه، ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه، ورجع إلى قريش وقال لهم: أني جئت: كسرى وقيصر في ملكهما، فوالله ما رأيت ملكاً في قومه مثل محمد في أصحابه، ثم إن رسول الله ﷺ دعا عمر بن الخطاب ليبعثه إلى قريش، ليعُلمهم بأنّ رسول الله ﷺ لم يأت لحرب،فقال عمر: أني أخاف قريشاً لغلظي عليهم، وعدواتي لهم، فبعث رسول الله عثمان بن عفان إلى أبي سفيان وأشراف قريش، أنه لم يأت لحرب، وإنما جاء زائراً ومعظماً لهذا البيت، فلما وصل إليهم عثمان وعرفهم بذلك، قالوا له: إن أحببت أنك تطوف بالبيت فطف، فقال: ما كنت لأفعله حتى يطوف رسول الله ﷺ، فامسكوه وحبسوه، وبلغ رسول الله ﷺ أنّ عثمان قُتل، فقال رسول الله ﷺ: «لا نبرح حتى نناجز القوم» (ودعا) رسول الله ﷺ إلى البيعة،، فكانت بيعة الرضوان، تحت الشجرة، وكان الناس يقولون بايعهم رسول الله ﷺ على الموت، وكان جابر يقول: لم يبايعنا إلاّ على أننا لانفرّ، فبايع رسول الله عليه السلام الناس، ولم يتخلف أحد من المسلمين إلاّ الجد بن قيس استتر بناقته، وبايع رسول الله عليه السلام لعثمان في غيبته، فضرب بإحدى يديه على الأخرى، ثم أتى النبي الخبر أن عثمان لم يقتل.

(ذكر الصلح بين النبي ﷺ وقريش)

ثم إن قريشاً بعثوا سهيل بن عمرو في الصلح، وتكلمّ مع النبي ﷺ وسلّم في ذلك فلما أجاب إلى الصلح، قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: يارسول الله أولست برسول الله، أولسنا بالمسلمين؟ فقال النبي ﷺ : بلى، قال: فعلام نعُطي البينة في ديننا؟ فقال رسول الله ﷺ : «أنا عبد الله ورسوله ولن أخالف أمْره، ولن يضيعني» ثم دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فقال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل: لا أعرف هذا، ولكن اكتب باسمك اللهم. فقال رسول الله ﷺ : اكتب باسمك اللهم، ثم قال: اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله، فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله، لم أقاتلك، ولكن اكتبْ اسمك واسم أبيك فقال رسول الله ﷺ : اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله، سهيل بن عمرو، على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، وأنّه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، وأشهدْ في الكتاب على الصلح، رجالاً من المسلمين والمشركين، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ ، لما خرجوا من المدينة، لا يشكّون في فتح مكة، لرؤيا رآها النبي ﷺ ، فلما رأوا ما رأوا من الصلح، والرجوع، داخل الناس من ذلك، أمر عظيم حتى كادوا يهلكون، ولما فرغ رسول الله ﷺ من ذلك، نحر هديه وحلق رأسه، وقام الناس أيضاً فنحروا وحلقوا، وقال رسول الله ﷺ : يومئذ «يرحم الله المحلقين»، قالوا والمقصرين يا رسول الله؟ قال: «رحم الله المحلقين حتى أعادوا، وأعاد ذلك ثلاث مرات، ثم قال: «والمقصرين» ثم قفل رسول الله ﷺ إلى المدينة، وأقام بها حتى خرجت السنة (ثم دخلت سنة سبع).

(ذكر غزوة خيبر)

ثم خرج رسول الله ﷺ ، في منتصف المحرّم من هذه السنة، أعني سنة سبع، إلى خيبر، وحاصرهم وأخذ الأموال، وفتحها حصناً حصناً، فأوّل ما فُتح، حصن ناعم، ثم افتتح حصن القموص، وأصاب رسول الله ﷺ منهما سبايا، منهنّ صفية بنت كبيرهم، حُيَيْ بن أخطب ، فتزوجها رسول الله ﷺ وجعل عتقها صداقها، وهي من خواصه عليه السلام، ثم افتتح حصن المصعب، وما كان بخيبر حصن أكثر طعاماً وودكاً منه، ثم انتهى إلى الوطيح والسلالم، وكانا آخر حصون خيبر افتتاحاً.

وروي أنّ رسول الله ﷺ ، ربما كانت تأخذه الشقيقة،فيلبث اليوم واليومين لا

يخرج، فلما نزل خيبر أخذته،فأخذ ابو بكر الصدّيق الراية، فقاتل قتالاً شديداً، ثم رجع فأخذها عمر بن الخطاب، فقاتل قتالاً أشد من الاول، ثم رجع فأخبر بذلك رسول اللهﷺ وسلم فقال: «أمّا والله لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله. كراراً غير فرار، يأخذها عنوة» فتطاول المهاجرون والأنصار، وكان علي بن أبي طالب غائباً، فجاء وهو ارمد قد عصب عينيه، فقال له رسول اللهﷺ : ادن مني، فدنا منه، فتفل في عينيه، فزال وجعهما ، ثم أعطاه الراية، فنهض بها، وعليه حلة حمراء، وخرج مرحب صاحب الحصن، وعليه مغفرة، وهويقول:

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب

فقال علي:

أنا الذي سمّتني أمي حيدره اكيلكم بالسيف كيل السندره

فاختلفا بضربتين، فَقَدَّتْ ضربة علي المغفر ورأس مرحب، وسقط على الأرض. وروى ابن إسحاق خلاف ذلك، والذي ذكرنا هوالأصح، وفتحت المدينة على يد علي رضى الله عنه، وذلك بعد حصار بضع عشرة ليلة، وحكى ابو رافع مولى رسول اللهﷺ قال: خرجنا مع علي رضي اللهّ عنه، حين بعثه رسول الله ﷺ إلى خيبر، فخرج إليه أهل الحصن، وقاتلهم علي رضي الله عنه،فضربه رجل من اليهود، فطرح ترس علي من يده، فتناول باباً كان عند الحصن، فتترس به، ولم يزل في يده وهويقاتل حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه من يده.

فلقد رأيتني في سبعة نَفَر أنا ثامنهم، نجهد على ان نقلب ذلك الباب فما نقلبه.

وكان فتح خيبر في صفر، سنة سبع للهجرة، وسأل أهل خيبر رسول اللهﷺ الصلح، على أن يساقيهم على النصف من ثمارهم، ويخرجهم متى شاء، ففعل ذلك، وفعل ذلك أهل فدك فكانت خيبر للمسلمين، وكانت فدك خالصة لرسول اللهﷺ لأنها فتحت بغير إيجاف خيل، ولم يزل يهود خيبر كذلك إلى خلافة عمر رضي الله عنه، فأجلاهم منها، ولما فرغ رسول اللهﷺ من خيبر، انصرف إلى وادي القرى، فحاصره ليلة وافتتحه عنوة، ثم سار إلى المدينة، ولما قدمها وصل إليه من الحبشة بقية المهاجرين، ومنهم جعفر بن أبي طالب، فروي أن النبيﷺ قال: ما أدري بأيهما أُسَرُّ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر، وكان النبيﷺ قد كتب إلى النجاشي

يطلبهم ، ويخطب أم حبيبة بنت أبي سفيان، وكانت قد هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش، فتنصر عبيد الله المذكور، وأقام بالحبشة، فزوجها للنبيﷺ ابن عمها خالد بن سعيد بن العاص بن أمية، وكان بالحبشة من جملة المهاجرين، وأصدقهاالنجاشي عن النبي ﷺ أربعمائة دينار، ولما بلغ أباها أباسفيان أن النبيﷺ تزوجها قال: ذلك الفحل الذي لا يقرع أنفه، فقدمت إلى النبيﷺ وكلّم رسول اللهﷺ المسلمين، في أن يدخلوا الذين حضروا من الحبشة في سهامهم من مغنم خيبر ففعلوا، (وفي غزوة خيبر) أهدت إلى النبي ﷺ زينب بنت الحارث اليهودية شاة مسمومة، فأخذ منها قطعة ولاكها. ثم لفظها، وقال: تخبرني هذه الشاة أنها مسمومة، ثم قال في مرض موته أن أكلة خيبر لم تزل تعاودني، وهذا زمان انقطاع أبهري.

(ذكر رسل النبيﷺ إلى الملوك)

(في هذه السنة) أعني سنة سبع، بعث النبيﷺ كتبه ورسله إلى الملوك، يدعوهم إلي الإسلام، فأرسل إلى (كسرى برويز) بن هرمز، عبد الله بن حذافة، فمزّق كسرى كتاب النبيﷺوقال: يكاتبني بهذا وهو عبدي، ولما بلغ النبيﷺ ذلك قال: مزق الله ملكه، ثم بعث كسرى إلى (باذان) عامله باليمن، أن ابعث إلى هذا الرجل الذي في الحجاز، فبعث باذان إلى النبيﷺ اثنين، أحدهما يقال له خرخسره، وكتب معهما يامر النبيﷺ بالمسير إلى كسرى، فدخلا على النبي عليه السلامُ وقد حلقا لحاهما وشواربهما، فكره النبي النظر إليهما وقال: ويلكما من أمركما بهذا؟ قالا: ربنا. يعنيان كسرى. فقال النبي عليه السلام: «لكنّ ربي أمرني أن أعفّ عن لحيتي وأقص شاربيْ» فأعلماه بما قَدما له وقالا: إن فعلت، كتب فيك، باذان إلى كسرى، وإن أبيت فهو يهلكك.

فأخر النبي ﷺ الجواب إلى الغد، وأتى الخبر من السماء إلى النبي ﷺ، أنّ الله قد سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله. فدعاهما رسول اللهﷺ وأخبرهما بذلك، وقال لهما: «إن ديني وسلطاني سيبلغ ما يبلغ مِلْكَ كسرى، فقولا (لباذان) أسلم» فرجعا إلى باذان وأخبراه بذلك، ثم ورد مكاتبة شيرويه إلى باذان بقتل أبيه كسرى، وأن لا يتعرض إلى النبيﷺ فأسلم باذان وأسلم معه ناس من فارس.

(فأرسل دحية) بن خليفة الكلبي إلى (قيصر) ملك الروم، فأكرم قيصر دحية ووضع كتاب رسول اللهﷺ وسلم على مخدة، وردّ دحية رداً جميلاً.

(وأرسل) حاطب بن أبي بلتعة، وهو بالحاء المهملة، إلى صاحب مصر، وهو (المقوقس)جريج بن متى، فأكرم حاطباً، وأهدى إلى النبيﷺ أربع جوار، وقيل جاريتين، إحداهما مارية، وولدت من النبيﷺ إبراهيم ابنه، وأهدى أيضاً بغلةالنبيﷺ دلدل، وحماره يعفور.

وكان قد أرسل إلى (النجاشي) عمرو بن أمية، فقبّل كتاب رسول اللهﷺ وأسلم على يد جعفر بن أبي طالب، حيث كان عنده في الهجرة.

وأرسل شجاع بن وهب الأسدي إلى (الحارث) بن أبي شمرّ الغساني. فلما قرأ كتاب النبيﷺ قال: ها أنا سائر إليه، فقال النبيﷺ لما بلغه ذلك: «باد ملكه».

وأرسل سليط بن عمرو إلى (هوذة) بن علي ملك اليمامة، وكان نصرانياً فقال هوذة: إن جعل الأمر لي من بعده سرت إليه، وأسلمت، ونصرته، وإلا قصدت حربه. فقال النبيﷺ: «لا ولا كرامة، اللّهم اكفنيه» فمات بعد قليل.

وكان قد أرسل هوذة رجلاً يقال له الرحّال بالحاء، وقيل بالجيم، إلى النبيﷺ، فقدم وأسلم وقرأ سورة البقرة، وتفقه ورجع إلى اليمامة، وارتد وشهد انّ النبي ﷺ أشرك معه مسيلمة الكذاب في النبوة.

وأرسل العلاء بن الحضرمي إلى ملك البحرين وهو (المنذر) بن ساوي، فاسلم وهو من قبل الفرس، وأسلم جميع العرب بالبحرين.

(ذكر عمرة القضاء)

ثم خرج رسول ﷺ في ذي القعدة[١] من سنة سبع، معتمراً عمرة القضاء، وساق معه سبعين بدنة، ولماقرب من مكة خرجت له قريش عنها، وتحدثوا أن النبيﷺ في عسر وجهد، فاصطفوا له عند دار الندوة، فلما دخل المسجد اضطبع، بأن جعل وسط ردائه تحت عضده الأيمن،وطرفيه على عاتقه الأيسر، ثم قال رحم الله أمرأ اراهم اليوم قوة»[٢] ورمل في أربعة أشواط من الطواف، ثم خرج إلى الصفا والمروة فسعى بينهما، وتزوج في سفره هذا ميمونة بنت الحارث، زوجه إياها عمه العباس، وذكر أنه تزوجها محرماً، وهي من خواصه، ثم رجع إلى المدينة (ثم دخلت

---

(١) ورد في الكامل: في ذي الحجة. ج٢ ص١٠٧.

(٢) في الكامل: «.. اراهم اليوم من نفسه قوّة». ج٢ ص١٠٧

سنة ثمان) من الهجرة وهو بالمدينة.

(ذكر إسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص)

وفي سنة ثمان قدم خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص السهمي، وعثمان بن طلحة بن عبد الدار فأسلموا، (ثم كانت) غزوة مؤتة وهي أول الغزوات بين المسلمين والروم، وكانت في جمادى الأولى سنة ثمان، بعث رسول الله ﷺ ثلاثة آلاف وأمرّ عليهم مولاه زيد بن حارثة، وقال: «إن قتل فأمير الناس جعفر بن أبي طالب، فإن قتل فأميرهم عبد الله بن رواحة» ووصلوا الى مؤتة من أرض الشام، وهي قبلي الكرك، فاجتمعت عليهم الروم والعرب المنتصرة في نحومائة ألف والتقوا بمؤتة،وكانت الراية مع زيد فقتل، فأخذها جعفر فقتل، فأخذها عبد اللهّ بن وراحة فقتل ،واتفق العسكر على خالد بن الوليد، فأخذ الراية ورجع بالناس وقدم المدينة، وكان سبب هذه الغزوة، أنّ النبي ﷺ بعث الحارث بن عمير رسولاً إلى ملك بصرى بكتاب، كما بعث إلى سائر الملوك، فلما نزل مؤتة عرض له عمرو بن شرحبيل الغساني فقتله، ولم يقتل لرسول الله ﷺ غيره.

(ذكر نقض الصلح وفتح مكة)

كان السبب في نقض الصلح،أنّ بني بكر كانوا في عقد قريش وعهدهم، وخزاعةُ في عقد رسول الله ﷺ وعهده، وفي هذه السنة. أعني سنةثمان، لقيت بنو بكر خزاعة فقتلوا منهم، وأعانهم على ذلك جماعة من قريش، فانتقض بذلك عهد قريش، وندمت قريش على نقض العهد، فقدم أبو سفيان بن حرب إلى المدينة لتجديد العهد، ودخل على ابنته أمّ حبيبة زوج النبي ﷺ ،وأراد أن يجلس على فراش رسول الله ﷺ فطوته عنه، فقال: يابنية أرغبت به عني؟ فقالت: هو فراش رسول الله، وأنت مشرك نجس، فقال: لقد أصابك بعدي شر، ثم أتى النبي ﷺ فكلمه، فلم يرد شيئاً وأتى كبار الصحابة مثل أبي بكر الصديق، وعلي رضي الله عنهما، فتحدث معهما فأجاباه الى ذلك، فعاد إلى مكة وأخبر قريشاً بماجرى، وتجهز رسول الله ﷺ وقصد أن يبغت قريشاً بمكة من قبل أن يعلموا به، فكتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش مع سارة مولاة بني هاشم يعلمهم بقصد النبي ﷺ إليهم، فاطلع الله رسوله على ذلك. وأرسل علي بن أبي طالب والزبير بن العوام فأدركا سارة، وأخذا منها الكتاب، وأحضر النبي ﷺ حاطباً وقال: ما حملك على هذا؟ فقال: والله إني مؤمن مابدلت ولاغيرت، ولكن لي بين أظهرهم أهل

وولد، وليس لي عشيرة فصانعتهم. فقال عمر بن الخطاب دعني أضرب عنقه فإنه منافق، فقال النبي ﷺ : لعل الله قد اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، ثم خرج رسول الله ﷺ من المدينة لعشر مضين من رمضان، سنة ثمان، ومعه المهاجرون والأنصار وطوائف من العرب، فكان جيشه عشرة آلاف حتى قارب مكة، فركب العباس بغلة رسول الله ﷺ وقال: لعلي أجد حطّاباً أورجلاً يعلم قريشاً بخبر رسول الله ﷺ، فيأتونه ويستأمنونه، وإلا هلكوا عن آخرهم. قال: فلما خرجت سمعت صوت أبي سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء الخزاعي: قدخرجوا يتجسسون، فقال العباس: أبا حنظلة، يعني أباسفيان، فقال أبا الفضل قلت نعم،قال لبيك فداك أبي وأمي ما وراءك، فقلت : قدأتاكم رسول الله ﷺ في عشرة آلاف من المسلمين. فقال أبو سفيان: ما تأمرني به؟ قلت تركب لأستأمن لك رسول الله وإلا يضرب عنقك، فردفني وجئت به إلى رسول الله ﷺ، وجاءت طريقي على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال عمر : أبا سفيان الحمد للهّ الذي أمكنني منك بغير عقد ولا عهد، ثم اشتد نحو رسول الله ﷺ وأدركته، فقال: يا رسول الله دعني أضرب عنقه، وسأل العباس رسول الله ﷺ فيه فقال: النبي ﷺ قد أمنته، وأحضره ياعباس بالغداة، فرجع به العباس إلى منزله، وأتى به إلى رسول الله ﷺ بالغداة، فقال له رسول الله ﷺ : «يا أباسفيان أما آن أن تعلم أنّ لا إله إلا الله؟ قال بلى: قال: ويحك ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله» فقال: بأبي أنت وأمي، أما هذه ففي النفس منها شيء، فقال له العباس: ويحك تشهّد قبل أن تُضرب عنقك، فتشاهد وأسلم معه حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء. فقال النبي ﷺ للعباس «اذهب بأبي سفيان إلى مضيق الوادي ليشاهد جنود اللّه»، فقال العباس يارسول الله إنه يحب الفخر، فاجعل له شيئاً يكون في قومه، فقال:«من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن،ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن». قال: فخرجت به كما أمرني رسول الله ﷺ، فمرت عليه القبائل وهويسأل عن قبيلة قبيلة، وأنا أعلمه حتّى مرّ رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء من المهاجرين والأنصار،لايبين منهم إلا الحدق، فقال من هؤلاء؟ فقلت رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار. فقال: لقد أصبح ملك ابن أخيك ملكاً عظيماً. قال: فقلت ويحك إنها النبوة، فقال نعم.

ثم أمر رسول الله ﷺ الزبير بن العوام أن يدخل ببعض الناس من كداء وأمر سعد بن عبادة سيد الخزرج أن يدخل ببعض الناس من ثنية كداء، ثم أمر عليّاً أن

يأخذ الراية منه فيدخل بها لما بلغه من قول سعد:

اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة.

وأمر خالد بن الوليد أن يدخل من أسفل مكة في بعض الناس، وكل هؤلاء الجنود لم يقاتلوا، لانّ النبيﷺ نهى عن القتال، إلا ان خالد بن الوليد لقيه جماعة من قريش، فرموه بالنبل ومنعوه من الدخول، فقاتلهم خالد فقتل من المشركين ثمانية وعشرين رجلاً، فلما ظهر النبيﷺ على ذلك قال: ألم انه عن القتال؟ فقالوا له: إن خالد قوتل فقاتل وقُتل من المسلمين رجلان. (وكان فتح مكة) يوم الجمعة، لعشر بقين من رمضان، ودخل رسول اللهﷺ مكة وملكها صلحاً، وإلى ذلك ذهب الشافعي رضي الله عنه، وقال أبو حنيفة إنها فتحت عنوة، ولما أمكن الله رسوله من رقاب قريش عنوة، قال لهم: ماتروني فاعلاً بكم؟ قالوا له: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم، قال «فاذهبوا فانتم الطلقاء» و لما اطمان الناس، خرج النبي ﷺ إلى الطواف، فطاف بالبيت سبعاً على راحلته، واستلم الركن بمحجن كان في يده، ودخل الكعبة ورأى فيها الشخوص على صور الملائكة، وصورة إبراهيم وفي يده الأزلام يستقسم بها، فقال: قاتلهم الله جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام، ما شأن إبراهيم والأزلام، ثم أمر بتلك الصور فطمست، وصلى في البيت وأهدر دم ستة رجال وأربع نسوة، (أحدهم) عكرمة بن أبي جهل، ثم استأمنت له زوجته أم حكيم، فامنّه فقدم عكرمة فاسلم. (وثانيهم) هبار بن الاسود، (وثالثهم) عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وكان أخا عثمان بن عفان من الرضاعة، فأتى عثمان به النبيﷺ وسأله فيه، فصمت النبيﷺ طويلاً ثم امنّه فاسلم، وقال لاصحابه: «إنما صمتُ ليقوم احدكم فيقتله» فقالوا: هلا أومأت إلينا، فقال: «إن الانبياء لا تكون لهم خائنة الأعين» وكان عبد الله المذكور قد أسلم قبل الفتح، وكتب الوحي، فكان يبدل القرآن، ثم ارتد، وعاش إلى خلافة عثمان رضي الله عنه، وولاه مصر.

(ورابعهم) مقيس بن صبابة لقتله الانصاري الذي قتل أخاه خطأ، وارتد، (وخامسهم) عبد الله بن هلال كان قد أسلم ثم قتل مسلماً وارتد. (وسادسهم) الحويرث بن نفيل، كان يؤذي رسول اللهﷺ ويهجوه، فلقيه علي بن أبي طالب فقتله. وأما النساء (فإحداهن) هند زوج أبي سفيان أم معاويةالتي أكلت من كبد حمزة، فتفكرت مع نساء قريش وبايعت رسول الله ﷺ، فلما عرفها قالت: أنا هند فاعف عما سلف فعفا، ولما جاء وقت الظهر يوم الفتح، اذن بلال على ظهر الكعبة،

فقالت جويرية بنت أبي جهل: لقد أكرم الله أبي حين لم يشهد نهيق بلال فوق الكعبة، وقال الحارث بن هشام ليتني مت قبل هذا، وقال خالد بن أسيد: لقد أكرم الله أبي فلم ير هذا اليوم، فخرج عليهم رسول اللهﷺ ثم ذكر لهم ماقالوه، فقال الحارث بن هشام أشهد أنك رسول الله، والله ما اطلع على هذا أحد فنقول أخبرك، (ومن النساء) المهدرات الدم سارة مولاة بني هاشم التي حملت كتاب حاطب.

(ذكر غزوة خالد بن الوليد على بني خزيمة)[1]

لما فتح رسول الله ﷺ مكة، بعث السرايا حول مكة إلى الناس يدعوهم إلى الإسلام، ولم يأمرهم بقتال، وكان بنوخزيمة قد قتلوا في الجاهلية عوفاً أبا عبد الرحمن بن عوف، وعم خالد بن الوليد، كانا أقبلا من اليمن، وأخذوا ما كان معهما، وكان من السرايا التي بعث رسول الله ﷺ إلى الناس ليدعوهم إلى الإسلام، سرية مع خالد بن الوليد، فنزل على ماء لبني خزيمة المذكورين، فلما نزل عليه أقبلت بنو خزيمة بالسلاح، فقال لهم خالد: ضعوا السلاح، فإن الناس قد أسلموا، فوضعوه، وأمر بهم فكتفوا، ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم، فلمّا بلغ النبي ﷺ ما فعله خالد، رفع يديه إلى السماء حتى بان بياض إبطيه وقال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد»، ثم أرسل رسول اللهﷺ علي بن أبي طالب بمال، وأمر أن يؤدي لهم الدماء والأموال، ففعل علي ذلك، ثم سألهم هل بقي لكم مال أو دم؟ فقالوا لا، وكان قد فضل مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه قليل مال، فدفعه إليهم زيادة، تطييباً لقلوبهم، وأخبر النبيﷺ بذلك، فأعجبه وأنكر عبد الرحمن بن عوف على خالد فعله ذلك، فقال خالد: ثأرتُ أباك. فقال عبد الرحمن: بل ثأرت عمك الفاكه، وفعلت فعل الجاهلية في الإسلام، وبلغ رسول اللهﷺ خصامهما فقال: يا خالد دع عنك أصحابي، فوالله لوكان لك أُحدٌ ذَهَباً، ثم أنفقته في سبيل الله تعالى ما أدركت غدوة أحدهم ولا روحته.

(ذكر غزوة حنين)

وكانت في شوال سنة ثمان، وحنين واد بين مكة والطائف، وهو إلى الطائف أقرب. لما فُتحت مكة تجمّعت هوازن بحريمهم وأموالهم لحرب رسول اللهﷺ، ومقدمهم مالك بن عوف النضري، وانضمت إليهم ثقيف، وهم أهل الطائف، وبنو

(١) في الكامل: بني جذيمة. ج٢ ص١٢٨.

سعد بن بكر، وهم الذين كان النبي ﷺ مرتضعاً عندهم، وحضر مع بني جشم دريد ابن الصمة، وهو شيخ كبير قد جاوز المائة، وليس يراد منه التيمن برأيه، وقال رجزاً:

ياليتني فيها جذع أخب فيها وأضع

ولما سمع رسول الله ﷺ باجتماعهم، خرج من مكة لست خلون من شوال سنة ثمان، وكان يقصر الصلاة بمكة، من يوم الفتح إلى حين خرج للقاء هوازن، وخرج معه اثنا عشر ألفاً، ألفان من أهل مكة، وعشرة آلاف كانت معه، وكان صفوان ابن أمية مع رسول الله ﷺ وهو كافر لم يُسلم، سأل أن يُمهل بالإسلام شهرين، وأجابه رسول الله ﷺ، إلى ذلك، واستعار رسول الله ﷺ منه مائة درع في هذه الغزوة، وحضرها أيضاً جماعة كثيرة من المشركين وهم مع رسول الله ﷺ، فانتهى رسول الله ﷺ إلى حنين، والمشركون بأوطاس[١]، فقال دريد بن الصمة: بأي واد أنتم. قالوا: بأوطاس. قال: نعْمَ مجال الخيل، لا حَزن[٢] ضرس ولا سهل دَهِس، وركب النبي ﷺ بغلته الدُلْدُل، وقال رجل من المسلمين لما رأى كثرة جيش النبي ﷺ : «لن يغلب هؤلاء من قلة»[٣] وفي ذلك نزل قوله تعالى: ﴿ ويوم حنين إذا أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً ﴾[التوبة: ٢٥] ولما التقوا انكشف المسلمون لايلوي أحد على أحد، وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين في نفر من المهاجرين والانصار وأهل بيته، ولما انهزم المسلمون أظهر أهل مكة ما في نفوسهم من الحقد، فقال أبو سفيان بن حرب: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر، وكانت الازلام معه في كنانته، وصرخ كلدة: الآن بطل السحر، وكلدة أخو صفوان بن أمية لأمه، وكان صفوان حينئذ مشركاً، فقال له صفوان: اسكت فضّ الله تعالى فاك. قال والله لئن يُربني رجل من قريش أحبّ إليّ من أن يُربني رجل من هوازن، واستمر رسول الله ﷺ ثابتاً وتراجع المسلمون واقتتلوا قتالاً شديداً، وقال النبي ﷺ : لبغلته الدلدل: «البدي البدي» فوضعت بطنها على الأرض، وأخذ رسول الله ﷺ حفنة تراب فرمى بها في وجه المشركين فكانت الهزيمة، ونَصَر الله تعالى المسلمين، واتبع المسلمون المشركين يقتلونهم ويأسرونهم، وكان في السبي الشيماء بنت الحارث وأمها حليمة السعدية، وكانت أخت رسول الله من الرضاع، فعرّفته بذلك وأرته

---

(١) أوطاس: واد في ديار هوازن، فيه كانت وقعة حنين. الكامل ج٢ ص١٣٥.

(٢) الحَزْن: ماغلظ من الأرض.

(٣) في الكامل: هذا القول للرسول ﷺ «لن نغلب اليوم من قلة». ج٢ ص ١٣٦.

العلامة، وهي عضة النبي ﷺ في ظهرها، فعرفها وبسط لها رداءه، وزودها وردها إلى قومها حسبما سألت.

(ذكر حصار الطائف)

ولما انهزمت ثقيف من حنين إلى الطائف، سار النبي ﷺ إليهم، فاغلقوا باب مدينتهم، وحاصرهم النبي ﷺ نيفاً وعشرين يوماً، وقاتلهم بالمنجنيق ، وامر رسول الله ﷺ بقطع أعناب ثقيف فقطعت، ثم أذن رسول الله ﷺ بالرحيل، فرحل عنهم حتى نزل الجعرانة[1]، وكان قد ترك بها غنائم هوازن، وأتى رسول الله ﷺ بعض هوازن ودخلوا عليه، فرد عليهم نصيبه ونصيب بني عبد المطلب، ورد على الناس ابناءهم ونساءهم، ثم لحق مالك بن عوف مقدم هوازن برسول الله ﷺ، وأسلم وحسن إسلامه، واستعمله رسول الله ﷺ على قومه وعلى من أسلم من تلك القبائل، وكان عدة السبي الذي أطلقه ستة آلاف رأس، ثم قسّم الأموال، وكانت عدة الإبل أربعة وعشرين ألف بعير، والغنم أكثر من أربعين ألف شاة،ومن الفضة أربعة آلاف أوقية، وأعطى المؤلفة قلوبهم مثل: أبي سفيان وابنيه يزيد ومعاوية وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل والحارث بن هشام أخي أبي جهل وصفوان بن أمية وهؤلاء من قريش، وأعطى الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الذبياني وملك بن عوف مقدم هوازن وأمثالهم، فاعطى لكل واحد من الأشراف مائة من الإبل، وأعطى للآخرين أربعين أربعين، وأعطى للعباس بن مرداس السلمي اباعر لم يرضها، وقال في ذلك من أبيات:

فاصبح نهبي ونهب العبيـ ـد بين عيينة والأقرع

وماكان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع

وما كنت دون امرئ منهما ومن يضع اليوم لا يرفع

فروي أنّ النبي ﷺ قال: «اقطعوا عني لسانه» فاعطي حتى رضي. ولما فرق رسول الله ﷺ الغنائم، لم يعط الأنصار شيئا، فوجدوا في نفوسهم، فدعاهم النبي ﷺ وقال لهم: «أوجدتم يا معشر الأنصار في لعاعة[2] من الدنيا الفت بها قوماً ليسلموا وكلتكم إلى إسلامكم، اما ترضون أن يذهب الناس بالبعير والشاة،

(١) الجعرانة : منزل بين الطائف ومكة وهي إلى مكة أقرب . الكامل ج٢ص١٤١ .

(٢) اللعاعة :نبت ناعم في أول ما ينبت . يريد قليل البقاء. الكامل ج٢ص١٤٤ .

وترجعون برسول الله ﷺ إلى رحالكم ، أمّا والذي نفس محمد بيده، لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً لسلكت شعْب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار».

(ولما قسم) رسول الله ﷺ غنيمة هوازن، وأعطى عيينة بن حصن وأبا سفيان ابن حرب وغيرهما ماذكرنا، قال ذو الخويصرة من بني تميم للنبي ﷺ: لم أرك عدلت، فغضب ﷺ وقال: «ويحك إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون» فقال عمر: يا رسول الله ألا أقتله؟ قال: «لا، دعوه فإنه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرميّة» وهذه الرواية عن محمد بن إسحاق.

وروى غيره أن ذا الخويصرة قال للنبيﷺ في وقت قسم الغنيمة المذكورة: لم تعدل، هذه قسمة ما أريد بها وجه الله. قال رسول اللهﷺ «سيخرج من ضئضئ هذا الرجل قوم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرميّة، لا يجاوز إيمانهم تراقيهم». فكان كما قاله ﷺ، فإنه خرج من ذي الخويصرة المذكور حرقوص بن زهير البجلي المعروف بذي الثدية، وهوأوّل من بويع من الخوارج بالإمامة، وأول مارق من الدين، وذو الخويصرة تسمية سماه بها رسول اللهﷺ.

(ثم اعتمر) رسول اللهﷺ وعاد إلى المدينة، واستخلف على مكة عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية، وهو شاب لم يبلغ عشرين سنة، وترك معه معاذ بن جبل يفقه الناس، وحج بالناس في هذه السنة عتاب بن أسيد على ماكانت العرب تحج.

(وفي ذي الحجة) سنة ثمان، ولد إبراهيم بن النبي ﷺ من مارية القبطية. (وفيها) أعني سنة ثمان مات حاتم الطائي، وهو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج من ولد طي بن أدد، وكان حاتم يكنى أبا سفانة وهو اسم ابنته، كني بها، وسفانة المذكورة أتت النبيﷺ بعد بعثته، وشكت إليه حالها، وحاتم المذكور كان يضرب بجوده وكرمه المثل، وكان من الشعراء المجيدين. (ثم دخلت سنة تسع) والنبي ﷺ بالمدينة، وترادفت عليه وفود العرب فممن ورد عليه عروة بن مسعود الثقفي، وكان سيد ثقيف، وكان غائباً عن الطائف لما حاصرها النبيﷺ ، وأسلم وحسن إسلامه، وقال: يارسول الله أمضي إلى قومي بالطائف فادعوهم، فقال له النبيﷺ: «إنهم قاتلوك» فاختار المضي فمضى إلى الطائف ودعاهم إلى الإسلام، فرماه أحدهم بسهم فوقع في أكحله فمات، رحمه الله تعالى، ووفد كعب بن زهير

ابن أبي سلمى بعد أن كان النبيﷺ قد أهدر دمه، ومدح النبيﷺ بقصيدته المشهورة وهي:

بانت سعادُ فقلبي اليوم متبول

وأعطاه النبيﷺ بردته، فاشتراها معاوية في خلافته من أهل كعب بأربعين ألف درهم، ثم توارثها الخلفاء الأمويون والعباسيون حتى أخذها التتر.

(ذكر غزوة تبوك)

وفي رجب من هذه السنة أعني سنة تسع،أمرالنبي ﷺ بالتجهز لغزو الروم، وأعلم الناس مقصدهم لبعد الطريق وقوة العدو، وكان قبل ذلك إذا أراد غزوة ورّى بغيرها، وكان الحر شديداً والبلاد مجدبة والناس في عسرة، ولذلك سمي ذلك الجيش جيش العسرة، وكانت الثمار قد طابت، فأحب الناس المقام في ثمارهم، فتجهزوا على كره، وأمر النبي ﷺ المسلمين بالنفقة، فأنفق أبوبكرجميع ماله، وأنفق عثمان نفقة عظيمة، قيل كانت ثلاثمائة بعير طعاماً. وألف دينار، وروي أن النبيﷺ قال: «لا يضر عثمان ما صنع بعد اليوم، وتخلف عبد الله بن أبي المنافق، ومن تبعه من أهل النفاق، وتخلف ثلاثة من عين الأنصار، وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية، واستخلف رسول الله ﷺ على أهله علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فارجف به المنافقون وقالوا: ما خلفه إلا استثقالاً له، فلما سمع ذلك علي أخذ سلاحه، ولحق النبي ﷺ واخبره بما قال المنافقون، فقال له النبيﷺ: «كذبوا، وإنما خلفتك لما ورائي فارجع فاخلفني في أهلي أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي». وكان مع رسول الله ﷺ ثلاثون ألفاً فكانت الخيل عشرة آلاف فرس، ولقوا في الطريق شدة عظيمة من العطش والحر، ولما وصلوا إلى الحجر وهي أرض ثمود، نهاهم رسول الله ﷺ عن ورود ذلك الماء، وأمرهم إن يهريقوا ما استقوه من مائه، وأن يطعموا العجين الذي عجن بذلك الماء الإبل، ووصل رسول الله ﷺ إلى تبوك واقام بها عشرين ليلة، وقدم عليه بها (يوحنا) صاحب ايلة فصالحه على الجزية، فبلغت جزيتهم ثلاثمائة دينار، وصالح أهل أذرج على مائة دنيار في كل رجب، وأرسل خالد بن الوليد إلى اكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل، وكان نصرانياً من كندة، فأخذه خالد وقتل أخاه، وأخذ منه خالد قباء ديباج مخوصاً بالذهب، فأرسله إلى رسول الله ﷺ، فجعل المسلمون يتعجبون منه، وقدم خالد بأكيدر على رسول الله ﷺ فحقن دمه وصالحه

على الجزية وخلى سبيله، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، فاعتذر إليه الثلاثة الذي تخلفوا عنه، فنهى رسول الله ﷺ عن كلامهم، وأمر باعتزالهم، فاعتزلهم الناس فضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وبقوا كذلك خمسين ليلة، ثم أنزل الله تعالى توبتهم، فقال تعالى:﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لاملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم﴾[التوبة:٨١] وكان قدوم رسول الله ﷺ في رمضان، ولما دخلها قدم عليه وفد الطائف من ثقيف، ثم إنهم أسلموا، وكان فيما سألوا رسول الله ﷺ أن يدع لهم اللات التي كانوا يعبدونها، لا يهدمها إلى ثلاث سنين، فأبى النبي ﷺ ذلك، فنزلوا إلى شهر واحد فلم يجبهم، وسألوه أن يعفيهم من الصلاة فقال: «لاخير في دين لاصلاة فيه» فأجابوا وأسلموا، وأرسل معهم المغيرة بن شعبة، وأبا سفيان بن حرب، ليهدما اللات، فتقدم المغيرة فهدمها، وخرج نساء ثقيف حسراً يبكين عليها.

(ذكر حج أبي بكر الصديق رضي الله عنه بالناس)

وبعث النبي ﷺ أبا بكر الصديق في سنة تسع ليحج بالناس، ومعه عشرون بدنة لرسول الله ﷺ، ومعه ثلاثمائة رجل، فلما كان بذي الحُلَيْفَة، أرسل النبي ﷺ في إثره علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأمره بقراءة آيات من أول سورة براءة على الناس، وأن ينادي أن لا يطوف بالبيت بعد السنة عريان، ولا يحج مشرك، فعاد أبو بكر وقال: يارسول الله أنزل فيّ شيء، قال: «لا ولكن لا يبلغ عني إلا أنا أو رجل مني ألا ترضى يا أبا بكر أنك كنت معي في الغار وصاحبي على الحوض؟» قال: بلى، فسار أبو بكر رضي الله عنه أميراً على الموسم، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يؤذن براءة يوم الأضحى، وأن لا يحج مشرك ولا يطوف عريان، (من الأشراف للمسعودي). (وفي ذي القعدة) سنة تسع، كانت وفاة عبد الله بن أبي بن أبي سلول المنافق، (ثم دخلت سنة عشر) ورسول الله ﷺ بالمدينة وجاءته وفود العرب قاطبة، ودخل الناس في الدين أفواجاً كما قال الله:﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ [النصر:١]، وأسلم أهل اليمن وملوك حمير.

(ذكر إرسال علي بن أبي طالب إلى اليمن)

روي أن النبي ﷺ بعث علياً كرم الله وجهه إلى اليمن، فسار إليها وقرأ كتاب رسول الله ﷺ على أهل اليمن، فأسلمت همذان كلها في يوم واحد، وكتب بذلك

إلى رسول الله ﷺ، ثم تتابع أهل اليمن على الإسلام، وكتب بذلك إلى النبي ﷺ، فسجد شكراً لله تعالى، ثم أمر علياً بأخذ صدقات نجران وجزيتهم، ففعل وعاد فلقي رسول الله ﷺ بمكة في حجة الوداع.

(ذكر حجة الوداع)

وخرج رسول الله ﷺ حاجاً لخمس بقين من ذي القعدة، وقد اختلف في حجه، هل كان قراناً أم تمتعاً أم إفراداً، والأظهر الذي اشتهر أنه كان قارناً، وحج رسول الله ﷺ بالناس، ولقي علي بن أبي طالب محرماً، فقال: «حل كما حل أصحابك» فقال: إني أهللت بما أهل به رسول الله ﷺ، فبقي على إحرامه، ونحر رسول الله ﷺ الهدي عنه، وعلّم رسول الله ﷺ الناس مناسك الحج والسنن، ونزل قوله تعالى: ﴿اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشوني اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ [المائدة:٣] فبكى أبو بكر رضي الله عنه لما سمعها، فكأنه استشعر أنه ليس بعد الكمال إلا النقصان، وأنه قد نعيت إلى النبي ﷺ نفسه، وخطب رسول الله ﷺ الناس خطبة، بين فيها الأحكام، منها: «يا أيها الناس إنما النسيء زيادة في الكفر، فإن الزمان استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً» وتمم حجته وسميت حجة الوداع، لأنه لم يحج بعدها، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة؛ وأقام بها حتى خرجت السنة. (ثم دخلت سنة إحدى عشرة).

(ذكر وفاة رسول الله ﷺ)

لما قدم رسول الله ﷺ من حجة الوداع، أقام بالمدينة حتى خرجت سنة عشر، والمحرم من سنة إحدى عشرة، ومعظم صفر، وابتدأ برسول الله ﷺ مرضه في أواخر صفر، قيل لليلتين بقيتا منه، وهو في بيت زينب بنت جحش، وكان يدور على نسائه؛ حتى اشتد مرضه وهو في بيت ميمونة بنت الحارث، فجمع نساءه واستأذنهن في أن يمرض في بيت إحداهن، فأذن له أن يمرض في بيت عائشة، فانتقل إليها، كان قد جهز جيشاً مع مولاه أسامة بن زيد، وأكد في مسيره في مرضه، وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: جاء رسول الله ﷺ وبي صداع وأنا أقول وارأساه، فقال: «بل أنا والله يا عائشة أقول وارأساه» ثم قال ماضرك لومتّ قبلي فقمت عليك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك» قالت: فقلت كأني بك والله لو فعلت ذلك ورجعت إلى بيتي وتعرّيت ببعض نسائك، فتبسم ﷺ. وفي أثناء مرضه، وهو في

بيت عائشة، خرج بين الفضل بن العباس وعلي بن أبي طالب، حتى جلس على المنبر، فحمد الله ثم قال: «أيها الناس من كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليستقدمني، ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي فليستقد منه، ومن أخذت له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه، ولايخشى الشحناء من قبلي فإنها ليست من شأني». ثم نزل وصلى الظهر ثم رجع إلى المنبر، فعاد إلى مقالته، فادّعى عليه رجل ثلاثة دراهم فاعطاه عوضها، ثم قال: «ألا إن فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة» ثم صلى على أصحاب أُحد واستغفر لهم ثم قال: «إنّ عبداً خيّره الله بين الدنيا وبين ماعنده، فاختارماعنده» فبكى أبو بكر ثم قال: فديناك بأنفسنا. ثم أوصى بالأنصار فقال: يا معشر المهاجرين أصبحتم تزيدون وأصبحت الأنصار لا تزيد، والأنصار عيبتي التي أويت إليها فأكرموا كريمهم وتجاوزوا عن مسيئهم. ثم إن رسول ﷺ كان في أيام مرضه يصلي بالناس، وإنما انقطع ثلاثة أيام، فلما أذن بالصلاة أول ماانقطع فقال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس» وتزايد به مرضه حتى توفي يوم الاثنين ضحوة النهار، وقيل نصف النهار، وقالت عائشة رضي الله عنها: رأيت رسول الله ﷺ وهو يموت وعنده قدح فيه ماء، يدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء، ثم يقول: «اللّهم أعني على سكرات الموت». قالت: وثقل في حجري، فذهبت أنظر في وجهه وإذا بصره قد شخص وهو يقول: «بل الرفيق الأعلى». قالت: فلما قبض، وضعت رأسه على وسادة وقمت ألتدم مع النساء وأضرب وجهي مع النساء، وكانت وفاته ﷺ يوم الاثنين، لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، فعلى هذه الرواية يكون يوم وفاته موافقا ليوم مولده.

ولمامات رسول الله ﷺ ارتد أكثر العرب، إلا أهل المدينة ومكة والطائف، فإنه لم يدخلها ردة، وكان عامل رسول الله ﷺ على مكة عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية، فاستخفى عتاب خوفاً على نفسه، فارتجت مكة، وكاد أهلها يرتدون، فقام سهيل بن عمرو على باب الكعبة وصاح بقريش وغيرهم، فاجتمعوا إليه فقال: يأهل مكة، كنتم آخر من أسلم، فلا تكونوا أوّل من ارتدّ، والله ليتمن الله هذا الأمر كما قال رسول الله عليه الصلاة والسلامُ، فامتنع أهل مكة من الردة، وحكى القاضي شهاب الدين بن أبي الدم في تاريخه قال: فاقتحم جماعة على النبي ﷺ ينظرون إليه وقالوا: كيف يموت وهو شهيد علينا؟ لا والله ما مات بل رفع كما رفع عيسى، ونادوا على الباب لا تدفنوه؛ فإن رسول الله لم يمت؛ فتربصوا به حتى خرج عمه العباس وقال: والله الذي لا إله إلا هو لقد ذاق رسول الله الموت. (وقيل) دفن رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء ثاني يوم موته، وقيل ليلة الأربعاء وهو الأصح، وقيل بقي

ثلاثاً لم يدفن، وكان الذي تولى غسله علي بن أبي طالب والعباس والفضل وقثم ابنا العباس وأسامة بن زيد وشقران مولى رسول الله ﷺ رضي الله عنهم، فكان العباس وابناه يقلبونه وأسامة بن زيد وشقران يصبان الماء وعلي يغسله وعليه قميصه وهو يقول بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً، ولم يرُ منه مايُرى من ميت، (وكفن) ﷺ في ثلاثة أثواب، ثوبين صحاريين وبرد حبرة درج فيها أدراجاً، وصلوا عليه ودفن تحت فراشه الذي مات عليه، وحفر له أبو طلحة الأنصاري ونزل في قبره علي بن أبي طالب والفضل وقثم أبناء العباس .

(ذكر عمره)

واختلف في مدة عمره، فالمشهور أنه ثلاث وستون سنة، وقيل خمس وستون سنة، وقيل ستون سنة، والمختار أنه بعث لأربعين سنة، وأقام بمكة يدعو إلى الإسلام ثلاث عشرة سنة وكسراً، وأقام بالمدينة بعد الهجرة قريب عشر سنين، فذلك ثلاث وستون سنة وكسور، وقد مضى ذكره وتحقيقه عند ذكر الهجرة .

(ذكر صفته)

وصفه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: كان النبي ﷺ ليس بالطويل ولا بالقصير،ضخم الرأس، كثّ اللحية، شثن الكفين والقدمين، ضخم الكراديس، مشرباً وجهه حمرة، وقيل كان أدعج العين، سبط الشعر، سهل الخدين، كأن عنقه إبريق فضة، وقال أنس: لم يشنه الله بالشيب، وكان في مقدم لحيته عشرون شعرة بيضاء، وفي مفرق رأسه شعرات بيض، وروي أنه كان يخضب بالحناء والكتم، وكان بين كتفيه (خاتم النبوة)، وهو بضعة ناشزةحولها شعر مثل بيضة الحمامة تشبه جسده وقيل كان لونه أحمر، قال القاضي شهاب الدين بن أبي الدم في تاريخه المظفري وكان أبو رثمة طبيباً في الجاهلية فقال: يا رسول الله إني أداوي فدعني أطب ما بكتفك فقال: «يداويها الذي خلقها» .

(ذكر خلقه)

كان ﷺ أرجح الناس عقلاً وأفضلهم رأياً، يكثر الذكر ويقل اللغو دائم البشر، مطيل الصمت لين الجنب، سهل الخلق، وكان عنده القريب والبعيد، والقوي والضعيف، في الحق سواء، وكان يحب المساكين ولا يحقر فقيراً لفقره، ولايهاب ملكاً لملكه، وكان يؤلف قلوب أهل الشرف، وكان يؤلف أصحابه ولا ينفرهم،

ويصابر من جالسه ولا يحيد عنه، حتى يكون الرجل هو المنصرف،وما صافحه أحد فيترك يده حتى يكون ذلك الرجل هو الذي يترك يده، وكذلك من قاومه لحاجة، يقف رسول اللهﷺ معه حتى يكون الرجل هو المنصرف، وكان يتفقد أصحابه، ويسأل الناس عما في الناس،وكان يحب العنز، ويجلس على الأرض،وكان يخصف النعل، ويرقع الثوب، ويلبس المخصوف، والمرقوع، عن أبي هريرة قال: خرج رسول الله ﷺمن الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير، وكان يأتي على آل محمد الشهر والشهران لا يوقد في بيت من بيوته نار، وكان قوتهم التمر والماء،وكان رسول اللهﷺ يعصب على بطنه الحجر من الجوع.

(ذكر أولاده)

وكل أولاده عليه السلام من خديجة، إلا إبراهيم فإنه من ماريّة، وولد إبراهيم في سنة ثمان من الهجرة في ذي الحجة، وتوفي سنة عشر (من الأشراف للمسعودي) قال: عاش إبراهيم سنة وعشرة أشهر، وأولاده الذكور من خديجة (القاسم) وبه كان يكنى، (والطيب والطاهر وعبد الله) ماتوا صغاراً، والإناث أربع، (فاطمة) زوج علي رضي الله عنهما (وزينب) زوج أبي العاص، وفرق رسول اللهﷺ بينهما بالإسلام، ثم ردها إلى أبي العاص بالنكاح الأول لما أسلم، (ورقية وأم كلثوم) تزوج بهما عثمان واحدة بعد أخرى.

(ذكر زوجاته)

وتزوج ﷺ خمس عشرة امرأة، دخل بثلاث عشرة، وجمع بين إحدى عشرة، وقيل انه دخل بإحدى عشرة، ولم يدخل بأربع، وتوفي عن تسع غير مارية القبطية سريته، والتسع هن عائشة بنت أبي بكر،وحفصة بنت عمر، سودة بنت زمعة، وزينب بنت جحش، وميمونة، وصفية، وجويرية، وام حبيبة، وأم سلمة رضي الله عنهن.

(ذكر كتّابه)

وكان يكتب له عثمان بن عفان أحياناً، وعلي بن أبي طالب،وكتب له خالد بن سعيد بن العاص، وأبان بن سعيد، والعلا بن الحضرمي، وأول من كتب له أبي بن كعب، وكتب له زيد بن ثابت، وكتب له عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وارتد ثم أسلم يوم الفتح، وكتب له بعد الفتح معاوية بن أبي سفيان.

(ذكر سلاحه)

وكان لرسول الله ﷺ من السلاح سيفه المسمى ذا الفقار؛ غنمه يوم بدر، وكان لمنبه بن الحجاج السهمي، وقيل لغيره، وسمي ذا الفقار لحفر فيه، وغنم من بني قينقاع ثلاثة أسياف، وقدم معه إلى المدينة لما هاجر سيفان، شهد بأحدهما بدراً، وكان له أرماح ثلاثة وثلاثة قسي، ودرعان غنمهما من بني قينقاع، وكان له ترس فيه تمثال، فأصبح وقد أذهبه الله تعالى.

(ذكر عدد غزواته وسراياه ﷺ)

قيل كانت غزواته تسع عشرة، وقيل ستاً وعشرين، وقيل سبعاً وعشرين غزوة، وآخر غزواته غزوة تبوك، ووقع القتال منها في تسع وهي بدر وأحد والخندق وقريظة والمصطلق وخيبر والفتح وحنين والطائف، وباقي الغزوات لم يُجر فيها قتال، وأما السرايا والبعوث فقيل خمس (وثلاثون) وقيل ثمان وأربعون.

(ذكر أصحابه ﷺ)

قد اختلف الناس فيمن يستحق أن يطلق عليه صحابي، فكان سعيد بن المسيب لايعد الصحابي إلا من أقام مع رسول الله ﷺ سنة وأكثر، وغزا معه، (وقال) بعضهم كلّ من أدرك الحلم وأسلم ورأى النبي ﷺ، فهو صحابي، ولو أنه صحب رسول الله ﷺ ساعة واحدة، (وقال) بعضهم لا يكون صحابياً إلا من تخصص به الرسول ﷺ وتخصص هو بالرسول ﷺ، بأن يثق رسول الله ﷺ بسريرته، ويلازم هو رسول الله ﷺ في السفر والحضر، (والأكثر) على أنّ الصحابي: هو كل من أسلم ورأى النبي ﷺ، وصحبه ولو أقل زمان، وأما عددهم على هذا القول الأخير، فقد روي أنّ النبي ﷺ سار في عام فتح مكة في عشرة آلاف مسلم، وسار إلى حنين في اثني عشر ألفاً، وسار إلى حجة الوداع في أربعين ألفاً وأنهم كانوا عند وفاته ﷺ مائة ألف، وأربعة وعشرين ألفاً.

(وأمّا مراتبهم) فالمهاجرون أفضل من الأنصار على الإجمال، وأما على التفضيل فسبّاق الأنصار أفضل من متأخري المهاجرين، وقد رتب أهل التواريخ الصحابة على طبقات، (فالطبقة الأولى) أول الناس إسلاماً كخديجة وعلي وزيد وأبي بكر الصديق رضي الله عنهم ومن تلاهم ولم يتأخر إلى دار الندوة. (الطبقة الثانية) أصحاب دار الندوة، وفيها أسلم عمر رضي الله عنه. (الطبقة الثالثة)

المهاجرون إلى الحبشة، (الرابعة) أصحاب العقبة الأولى وهم سباق الأنصار، (الخامسة) أصحاب العقبة الثانية، (السادسة) أصحاب العقبة الثالثة وكانوا سبعين، (السابعة) المهاجرون الذين وصلوا إلى النبي ﷺ بعد هجرته وهو بقباء قبل بناء مسجده، (الثامنة) أهل بدر الكبرى، (التاسعة) الذين هاجروا بين بدر والحديبية، (العاشرة) أهل بيعة الرضوان الذين بايعوا بالحديبية تحت الشجرة، (الحادية عشرة) الذين هاجروا بعدالحديبية وقبل الفتح، (الثانية عشرة) الذين أسلموا يوم الفتح، (الثالثة عشرة) صبيان أدركوا النبي ﷺ ورأوه، ومن الصحابة أهل الصفة وكانوا أناساً فقراء لا منازل لهم ولا عشائر، ينامون على عهد رسول الله ﷺ في المسجد ويظلون فيه؛ وكان صفة المسجد مثواهم فنسبوا إليها، وكان إذا تعشى رسول الله ﷺ يدعو منهم طائفة يتعشون معه، ويفرق منهم طائفة على الصحابة ليعشوهم، وكان من مشاهيرهم أبو هريرة وواثلة بن الأسقع وأبو ذر رضي الله عنهم.

(ذكر خبر الأسود العنسي)

وفي مدة مرض رسول الله ﷺ، قتل الأسود العنسي، واسمه عيهلة بن كعب، ويقال له ذو الخمار، لأنه كان يقول يأتيني ذو خمار، وكان الأسود المذكور يشعبذُ ويُري الجهال الأعاجيب، ويسبي بمنطقه قلب من يسمعه، وهو ممن ارتد وتنبأ من الكذابين، وكاتبه أهل نجران، وكان هناك من المسلمين عمرو بن حزم وخالد بن سعيد بن العاص، فأخرجهما أهل نجران وسلموهما إلى الأسود، ثم سار الأسود من نجران إلى صنعاء فملكها، وصفي له ملك اليمن واستفحل أمره وكان خليفته في مذحج عمرو بن معدي كرب، فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك بعث رسولاً الى الابناء وأمرهم أن يخاذلوا الاسود إمّا غيلة وإما مصادمة، وأن يستنجدوا رجالاً من حمير وهمذان، وكان الأسود قد تغير على قيس بن عبد يغوث، فاجتمع به جماعة ممن كاتبهم رسول الله ﷺ، وتحدثوا معه في قتل الأسود فوافقهم، واجتمعوا بامرأة الأسود، وكان الأسود قد قتل أباها فقالت: والله إنه لأبغض الناس إليّ، ولكنّ الحرس محيطون بقصره، فانقبوا عليه البيت، فواعدوها على ذلك ونقبوا عليه البيت، ودخل عليه شخص اسمه فيروز، فقتل الأسود وأحز رأسه فخار خوار الثور، فابتدر الحرس الباب، فقالت زوجته: هذا النبي يوحى إليه، فلما طلع الفجر، أمروا المؤذن فقال: أشهد أن محمداً رسول الله، وأنّ عيهلة كذاب، وكتب أصحاب النبي ﷺ بذلك، فورد الخبر من السماء إلى النبي ﷺ، وأعلم أصحابه بقتل الأسود المذكور، ووصل

الكتاب بقتل الأسود في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، فكان كما أخبر به رسول الله ﷺ، وروى عبد الله بن أبي بكر: أنّ رسول الله ﷺ قال: «أيها الناس إني قد رأيت ليلة القدر، ثم انتزعت مني، ورأيت في يدي سوارين من ذهب فكرهتهما فنفختهما فطارا، فأولتهما هذين الكذابين صاحب اليمامة وصاحب صنعاء، ولن تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالاً كل منهم يزعم أنه نبي» وكان قتل الأسود المذكور قبل وفاة رسول الله ﷺ بيوم وليلة، وكان من أول خروج الأسود إلى أن قتل أربعة أشهر، وأما صاحب اليمامة فهو مسيلمة الكذاب، وسنذكر خبره ومقتله في خلافة أبي بكر رضي الله عنه.

(ذكر أخبار أبي بكر الصديق وخلافته رضي الله عنه)

لما قبض الله نبيه، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من قال: إنّ رسول الله ﷺ مات علوت راسه بسيفي هذا، وإنما ارتفع إلى السماء، فقرأ أبو بكر ﴿وما محمد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾ [آل عمران: ١٤٤] فرجع القوم إلى قوله وبادروا سقيفة بني ساعدة، فبايع عمر أبا بكر رضي الله عنهما، وانثال الناس عليه يبايعونه، في العشر الأوسط من ربيع الأول سنة إحدى عشرة، خلا جماعة من بني هاشم والزبير وعتبة بن أبي لهب وخالد بن سعيد ابن العاص والمقداد بن عمرو وسلمان الفارسي وأبي ذر وعمار بن ياسر والبراء بن عازب وأبي بن كعب ومالوا مع علي بن أبي طالب، وقال في ذلك عتبة بن أبي لهب:

ما كنت أحسب أن الأمر منصرف ... عن هاشم ثم منهم عن أبي حسن
عن أول الناس إيماناً وسابقه ... وأعلم الناس بالقرآن والسنن
وآخر الناس عهداً بالنبي من ... جبريل عون له في الغسل والكفن
من فيه ما فيهم لا يمترون به ... وليس في القوم ما فيه من الحسن

وكذلك تخلف عن بيعة أبي بكر أبو سفيان من بني أمية ثم إن أبا بكر بعث عمر بن الخطاب إلى علي ومن معه ليخرجهم من بيت فاطمة رضي الله عنها، وقال: إن أبوا عليك فقاتلهم. فاقبل عمر بشيء من نار على أن يضرم الدار، فلقيته فاطمة رضي الله عنها وقالت: إلى أين يا ابن الخطاب؟ أجئت لتحرق دارنا؟ قال: نعم، أو تدخلوا فيما دخل فيه الأمة فخرج علي حتى أتى أبا بكر فبايعه، كذا نقله القاضي جمال الدين بن واصل، وأسنده إلى ابن عبد ربه المغربي. (وروى) الزهري عن عائشة قالت: لم يبايع علي أبا بكر حتى ماتت فاطمة، وذلك بعد ستة أشهر لموت

أبيها صلى الله عليه وسلم، فأرسل علي إلى أبي بكر رضي الله عنهما فأتاه في منزله فبايعه وقال علي: ما نفسنا عليك ما ساقه الله إليك من فضل وخير ولكنا نرى انّ لنا في هذا الأمر شيئاً فاستبددت به دوننا، وما ننكر فضلك.

ولما تولى أبو بكر كان أسامة بن زيد مبرزاً، وكان عمر بن الخطاب من جملة جيش أسامة علي ما عينه رسول الله ﷺ، فقال عمر لأبي بكر: إن الانصار تطلب رجلاً أقدم سناً من أسامة، فوثب أبو بكر وكان جالساً وأخذ بلحية عمر وقال: ثكلتك أمك يا ابن الخطاب، استعمله رسول الله وتامرني أن أعزله، ثم خرج أبو بكر إلى معسكر أسامة، وأشخصهم، وشيعهم وهو ماش وأسامة راكب، فقال له أسامة: يا خليفة رسول الله ﷺ والله لتركبن أو لأنزلن، فقال أبو بكر: والله لا تنزل ولا ركبت، وما علي أن أغبر قدمي ساعة في سبيل الله، ولما أراد الرجوع قال أبو بكر لأسامة: إن رأيت أن تعينني بعمر فافعل، فأذن أسامة لعمر بالمقام.

وفي أيام أبي بكر ادعت سجاح بنت الحارث بن سويد التميمية النبوة، واتبعها بنو تميم وأخوالها من تغلب وغيرهم من بني ربيعة، وقصدت مسيلمة الكذاب، ولما وصلت إليه قصدت الاجتماع به، فقال لها: أبعدي أصحابك، ففعلت، فنزل وضرب لها قبة وطيبها بالبخور واجتمع بها، وقالت: له ماذا أوحي إليك؟ فقال: «الم تر إلى ربك كيف فعل بالحبلى. أخرج منها نسمة تسعى. من بين صفاق وغشى». قالت: وما أنزل الله عليك أيضاً؟ قال: «ألم تر أنَّ الله خلق النساء أفواجاً. وجعل الرجال لهن أزواجاً، فتولج فيهن إيلاجاً. ثم نخرج ما شئنا إخراجاً. فينتجن لنا إنتاجاً». فقالت: أشهد أنك نبي، فقال: هل لك أن أتزوجك؟ قالت: نعم. فقال لها:

ألا قومي إلى النيك ... فقد هُيّي لك المضجع
فإن شئت ففي البيت ... وان شئت ففي المخدع
وان شئت سلقناك ... وإن شئت على أربع
وإنْ شئت بثلثيه ... وإن شئت به أجمع

فقالت: بل به أجمع يا رسول الله. فقال: بذلك أُوحي إليّ، فأقامت عنده ثلاثاً، ثم انصرفت إلى قومها، ولم تزل سجاح في أخوالها من تغلب حتى نفاهم معاوية عام بويع فيه، فأسلمت سجاح وحسن إسلامها، وانتقلت إلى البصرة وماتت بها.

(وفي أيام أبي بكر) قتل مسيلمة الكذاب، وكان أبو بكر قد أرسل إلى قتاله

جيشاً، وقدَّم عليهم خالد بن الوليد، فجرى بينهم قتال شديد وآخره انتصر المسلمون وهزموا المشركين، وقتل مسيلمة الكذاب، قتله وحشي بالحربة التي قتل بها حمزة عم النبي ﷺ، وشاركه في قتله رجل من الأنصار، وكان مقام مسيلمة باليمامة، وكان مسيلمة قد قدم على النبي ﷺ في وفد بني حنيفة فاسلم؛ ثم ارتد وادعى النبوة استقلالاً، ثم مشاركة مع النبي ﷺ، وقتل من المسلمين في قتال مسيلمة جماعة من القرّاء من المهاجرين والأنصار، ولما رأى أبو بكر كثرة من قتل أمر بجمع القرآن من أفواه الرجال وجريد النخل والجلود، وترك ذلك المكتوب عند حفصة بنت عمر زوج النبي ﷺ، ولما تولى عثمان ورأى اختلاف الناس في القرآن، كتب من ذلك المكتوب الذي كان عند حفصة نسخاً وأرسلها إلى الأمصار وأبطل ما سواها.

(وفي أيام أبي بكر) منعت بنو يربوع الزكاة، وكان كبيرهم مالك بن نويرة، وكان ملكاً فارساً مطاعاً شاعراً قدم على النبي ﷺ وأسلم، فولاه صدقه قومه، فلما منع الزكاة أرسل أبو بكر إلى مالك المذكور خالد بن الوليد في معنى الزكاة؛ فقال مالك: أنا آتي بالصلاة دون الزكاة: فقال خالد: أما علمت أن الصلاة والزكاة معاً؛ لا تقبل واحدة دون الأخرى فقال مالك: قد كان صاحبكم يقول ذلك. قال خالد: أوما تراه لك صاحبا؟ والله لقد هممت أن أضرب عنقك، ثم تجاولا في الكلام فقال له خالد: إني قاتلك. فقال له: أو بذلك أمرك صاحبك؟ قال: وهذه بعد تلك، وكان عبد الله بن عمر وأبو قتادة الأنصاري حاضرين، فكلما خالداً في أمره، فكره كلامهما. فقال مالك: يا خالد، ابعثنا إلى أبي بكر فيكون هو الذي يحكم فينا. فقال خالد: لا أقالني الله إنْ أقلتك، وتقدم إلى ضرار بن الأزور بضرب عنقه، فالتفت مالك إلى زوجته وقال لخالد: هذه التي قتلتني، وكانت في غاية الجمال، فقال خالد: بل الله قتلك برجوعك عن الإسلام. فقال مالك: أنا على الإسلام، فقال خالد: يا ضرار اضرب عنقه. فضرب عنقه وجعل رأسه أثفية القدر، وكان من أكثر الناس شعراً، وقبض خالد امرأته؛ قيل: إنه اشتراها من الفيء وتزوج بها، وقيل إنها اعتدت بثلاث حيض وتزوج بها، وقال لابن عمر ولأبي قتادة: احضرا النكاح فأبيا، وقال له ابن عمر: نكتب إلى أبي بكر ونعلمه بأمرها وتتزوج بها، فأبى وتزوجها. وفي ذلك يقول أبو نمير السعدي:

ألا قل لحي أوطؤا بالسنابك ... تطاول هذا الليل من بعد مالك
قضى خالد بغياً عليه بعرسه ... وكان له فيها هوى قبل ذلك

فأمضى هواه خالد غير عاطف عنان الهوى عنها ولا متمالك
فأصبح ذا أهل وأصبح مالك إلى غير أهل هالكاً في الهوالك

ولما بلغ ذلك أبا بكر وعمر، قال عمر لأبي بكر: إن خالداً قد زنى فارجمه، قال: ما كنت أرجمه؛ فإنه تأول فأخطأ. قال: فإنه قد قتل مسلماً فاقتله، قال: ما كنت أقتله فإنه تأول فأخطأ. قال فاعزله، قال ما كنت أغمد سيفاً سله الله عليهم. ولما بلغ متمم بن نويرة أخا مالك المذكور مقتل أخيه، بكاه وندبه بالأشعار الكثيرة، فمن ذلك قصيدة متمم العينية المشهورة التي منها:

وكنا كندماني جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن نتصدعا
وعشنا بخير في الحياة وقبلنا أصاب المنايا رهط كسرى وتبعا
فلما تفرقنا كأني ومالكاً لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وفي أيام أبي بكر فتحت الحيرة بالأمان على الجزية.

(ثم دخلت سنة اثنتي عشرة) (وسنة ثلاثة عشرة) فيها كانت وقعة اليرموك، وهي الوقعة العظيمة التي كانت سبب فتوح الشام، وكانت سنة ثلاث عشرة للهجرة، وكان هرقل إذ ذاك بحمص فلما بلغه هزيمة الروم باليرموك رحل عن حمص؛ وجعلها بينه وبين المسلمين، ولما فرغ خالد بن الوليد وأبو عبيدة من وقعة اليرموك قصدا بصرى، فجمع صاحب بصرى الجموع للملتقى، ثم إن الروم طلبوا الصلح؛ فصولحوا على كل رأس دينار وجريب حنطة.

(ذكر وفاة أبي بكر رضي الله عنه)

وقد اختلف في سبب موته، فقيل إن اليهود سمته في أرز، وقيل في حسو فأكل هو والحارث بن كلدة فقال الحارث: أكلنا طعاماً مسموماً سُمَّ سنة، فماتا بعد سنة، وعن عائشة رضي الله عنها، أنه اغتسل وكان يوماً بارداً، فحمّ خمسة عشر يوماً لا يخرج الى الصلاة، وأمر عمر أن يصلي بالناس، وعهد بالخلافة إلى عمر، ثم توفي في مساء ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء لثمان بقين من جمادى الآخر، سنة ثلاث عشرة، فكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال، وعمره ثلاث وستون سنة، وغسلته زوجته أسماء بنت عميس، وحمل على السرير الذي حمل عليه رسول الله ﷺ، وصلى عليه عمر في مسجد رسول الله ﷺ بين القبر والمنبر، وأوصى أن يدفن إلى جنب رسول الله ﷺ، فحفر له وجعل رأسه عند كتفي رسول الله ﷺ، وكان

حسن القامة؛ خفيف العارضين؛ معروق الوجه؛ غائر العينين؛ ناتئ الجبهة؛ أحنى؛ عاري الأشاجع؛ يخضب بالحناء والكتيم.

(ذكر خلافة عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزى رضي الله عنه)

بويع بالخلافة في اليوم الذي مات فيه أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، وأول خطبة خطبها قال: ياأيها الناس، والله ما فيكم أحداً أقوى عندي من الضعيف؛ حتى آخذ الحق له، ولا أضعف عندي من القوي حتى آخذ الحق منه. ثم أول شيء أمر به أن عزل خالد بن الوليد عن الإمرة، وولى أبا عبيدة على الجيش والشام، وأرسل بذلك إليهما، وهو أول من سميَ بأمير المؤمنين. وكان أبو بكر يخاطب بخليفة رسول الله ﷺ.

(ثم سار أبو عبيدة) ونازل دمشق، وكانت منزلته من جهة باب الجابية، ونزل خالد من جهة باب توما وباب شرقي، ونزل عمرو بن العاص بناحية أخرى، وحاصروهما قريباً من سبعين ليلة، وفتح خالد مايليه بالسيف، فخرج أهل دمشق وبذلوا الصلح لابي عبيدة من الجانب الآخر؛ وفتحوا له الباب، فامنهم ودخل والتقى مع خالد في وسط البلد، وبعث أبو عبيدة بالفتح إلى عمر، (وفي أيامه) فتح العراق.

(ثم دخلت سنة أربع عشرة)، فيها في المحرم أمر عمر ببناء البصرة، فاختطت، وقيل في سنة خمس عشرة)، وفيها توفي أبو قحافة أبو أبي بكر الصديق وعمره سبع وتسعون سنة، وكانت وفاته بعد وفاة ابنه أبي بكر.

(ثم دخلت سنة خمس عشرة) فيها فتحت حمص بعد دمشق؛ بعد حصار طويل، حتى طلب الروم الصلح، فصالحهم أبو عبيدة على ما صالح أهل دمشق، ثم سار إلى حماة، قال القاضي جمال الدين ابن واصل رحمه الله تعالى في التاريخ الذي نقلنا هذا منه: إنّ حماة كانت في زمن داود وسليمان عليهما السلام مدينة عظيمة، قال: وقد وجدت ذكرها في أخبار داود وسليمان في كتاب أسفار الملوك الذي بأيدي اليهود، وكذلك كانت في زمن اليونان، إلا أنها في زمن الفتوح وقبله كانت صغيرة هي وشيرز، وكانا من عمل حمص، وكانت حمص كرسي مملكة هذه البلاد، وقد ذكرهما امرؤ القيس في قصيدته التي أولها:

(سما لك شوق بعدما كان اقصرا)

ويقول من جملتها:

تقطع أسباب اللبانة والهوى عشية جاوزنا حماة وشيزرا

قال بعض الشراح: حماة شيزر قريتان من قرى حِمص، ولما وصل أبو عُبيدة إلى حماة خرجت الروم التي بها إليه يطلبون الصلح، فصالحهم على الجزية لرؤوسهم، والخراج على أرضهم، وجعل كنيستهم العظمى جامعاً، وهو جامع السوق الأعلى من حماة، ثم جدد في خلافة المهدي من بني العباس، وكان على لوح منه مكتوب أنه جددمن خراج حمص، ثم سار أبو عبيدة إلى شيزر فصالحه أهلها على صلح أهل حماة، وكذلك صالح أهل المعرة، وكان يقال لها معرة حمص، ثم قيل لها معرة النعمان بن بشير الأنصاري، لأنها كانت مضافة إليه مع حمص في خلافة معاوية، (ثم) سار أبو عبيدة إلى اللاذقية ففتحها عنوة، (وفتح) جبلة وطرطوس، (ثم) سار أبو عبيدة إلى قنسرين وكانت كرسي المملكة المنسوبة اليوم إلى حلب، وكانت حلب من جملة أعمال قنسرين، ولما نازلها أبو عبيدة وخالد بن الوليد، كان بها جمع عظيم من الروم، فجرى بينهم قتال شديد انتصر فيه المسلمون، ثم بعد ذلك طلب أهلها الصلح على صلح أهل حمص، فأجابهم على أن يخربوا المدينة، فخربت. (ثم) فتح بعد ذلك حلب وأنطاكية ومنبج ودلوك وسرمين وتنزين وعزاز، واستولى على الشام من هذه الناحية، (ثم) سار خالد إلى مرعش ففتحها وأجلى أهلها وأخربها، وفتح حصن الحدث، (وفي هذه السنة) لما فتحت هذه البلاد وهي سنة خمس عشرة وقيل ست عشرة، أيس هرقل من الشام وسار إلى قسطنطينية من إثرها، ولما سار هرقل على نشز من الأرض، ثم التفت إلى الشام وقال: السلام عليك يا سوريا، سلام لا اجتماع بعده، ولا يعود إليك رومي بعدها إلا خائفاً، حتى يولد الولد المشؤوم وليته لم يولد، فأجل فعله فتنته على الروم، ثم فتحت قيسارية[1] وصبصطية، وبها قبر يحيى بن زكريا، ونابلس واللد ويافا، وتلك البلاد جميعها.

وأما بيت المقدس فطال حصاره، وطلب أهله من أبي عبيدة أن يصالحهم على صلح أهل الشام، بشرط أنْ يكون عمر بن الخطاب متولي أمر الصلح، فكتب أبو عبيدة إلى عمر بذلك، فقدم عمر رضي الله عنه إلى القدس وفتحها، واستخلف على المدينة علي بن أبي طالب رضي الله عنه،

(وفي هذه السنة) أعني سنة خمس عشرة، وضع عمر بن الخطاب الدواوين،

---

(١) قيسارية: مدينه عظيمة في بلاد الروم، وهي كرسيّ ملك بني سلجوق. البلدان ٤ / ٤٢١.

وفرض العطاء للمسلمين، ولم يكن قبل ذلك، وقيل: كان ذلك سنة عشرين، فقيل له: ابدأ بنفسك. فامتنع وبدأ بالعباس عم رسول الله ﷺ، ففرض له خمسة وعشرين ألفاً، ثم بدأ بالأقرب فالأقرب من رسول من رسول الله ﷺ، وفرض لأهل بدر خمسة آلاف خمسة آلاف، وفرض لمن بعدهم إلى الحديبية وبيعة الرضوان أربعة آلاف أربعة آلاف، ثم لمن بعدهم ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف، وفرض لأهل القادسية وأهل الشام ألفين ألفين، وفرض لمن بعد القادسية واليرموك ألفاً ألفاً،ولروادفهم خمس مائة خمس مائة، ثم ثلاثمائة ثلاثمائة ثم مائتين وخمسين مائتين وخمسين.

(وكان في هذه السنة) أعني سنة خمس عشرة وقعة القادسية، وكان المتولي لحرب الأعاجم فيها سعد بن أبي وقاص، وكان مقدم العجم رستم، وجرى بين المسلمين وبين الأعاجم إذ ذاك قتال عظيم دام أياماً، فكان (اليوم) الأول يوم أغواث، ثم (يوم) غماس، ثم (ليلة) الهرير، لتركهم الكلام فيها، وإنما كانوا يهرون هريراً حتى أصبح الصباح، ودام القتال إلى الظهيرة، وهبت ريح عاصفة، فآل الغبار على المشركين فانكسروا، وانتهى القعقاع وأصحابه إلى سرير رستم، وقدقام رستم عنه، واستظل تحت بغال عليها مال وصلت من كسرى للنفقة، فلما شدوا على رستم هرب، ولحقه هلال بن علقمة، فأخذ برجله وقتله، ثم جاء به حتى رُمي به بين أرجل البغال، وصعدالسرير ونادى: قتلت رستم ورب الكعبة، وتمت الهزيمة على العجم، وقتل منهم ما لا يحصى، ثم ارتحل سعد ونزل غربي دجلة، على نهر شير[1]، قبالة مدائن كسرى، وديوانه المشهور، ولما شاهد المسلمون إيوان كسرى، كبروا وقالوا: هذا أبيض كسرى، هذا ما وعد الله ورسوله.

(ثم دخلت سنة ست عشرة) وأقام سعد على نهر شير إلى أيام من صفر، ثم عبروا دجلة، وهربت الفرس من المدائن نحو حلوان، وكان يزدجرد قد قدم عياله إلى حلوان، وخرج هو ومن معه بما قدروا عليه من المتاع، ودخل المسلمون المدائن، وقتلوا كل من وجدوه، واحتاطوا بالقصر الأبيض، ونزل به سعد، واتخذوا إيوان كسرى مصلى، واحتاطوا على أموال من ذهب والآنية والثياب، تخرج عن الاحصاء، وأدرك بعض المسلمين بغلاً وقع في الماء فوجد عليه حلية كسرى، من التاج والمنطقة والدرع، وغير ذلك، كله مكلل بالجوهر، ووجدوا أشياء يطول شرحها. وكان لكسرى بساط طوله ستون ذراعاً في ستين ذراعاً، وكان على هيئة روضة، قد

(١) في الكامل: نَهُرَسِيْر. ج٢ص٣٥٦.

صورت فيه الزهور بالجوهر على قضبان الذهب، فاستوهب سعد ما يخص أصحابه منه، وبعث به إلى عمر، فقطعه عمر وقسمه بين المسلمين، فأصاب علي بن أبي طالب منه قطعة، فباعها بعشرين ألف درهم.

(وأقام) سعد بالمدائن، وأرسل جيشاً الى (جلولاء)(١) وكان قد اجتمع بها الفرس، فانتصر المسلمون، وقتلوا من الفرس ما لا يحصى، وهذه الوقعة هي المعروفة بوقعة جلولاء، وكان يزدجرد بحلوان، فسار عنها وقصدها المسلمون واستولوا عليها (ثم) فتح المسلمون تكريت والموصل. (ثم) فتحوا ما سبذان(٢) عنوة، وكذلك قرقيسيا(٣).

(وفي هذه السنة) أعني سنة ست عشرة للهجرة، قدم جبلة بن الأيهم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فتلقاه جماعة من المسلمين، ودخل في زي حسن، وبين يديه جنائب مقادة، ولبس أصحابه الديباج، ثم خرج عمر إلى الحج في هذه السنة فحج جبلة معه، فبينما جبلة طائفاً إذ وطئ رجل من فزارة على إزاره، فلطمه جبلة فهشم أنفه، فاقبل الفزاري إلى عمر وشكاه، فأحضره عمر وقال: افتد نفسك وإلا أمرته أن يلطمك، فقال جبلة: كيف ذلك وأنا ملك وهو سوقة، فقال عمر: إن الإسلام جمعكما وسوى بين الملك والسوقة في الحد. فقال جبلة: كنت أظن أني بالإسلام أعز مني في الجاهلية. فقال عمر: دع عنك هذا. فقال جبلة أتنصّر. فقال عمر: إن تنصّرت ضربت عنقك. فقال أنظرني ليلتي هذه، فأنظره، فلما جاء الليل سار جبلة بخيله ورجاله إلى الشام، ثم صار إلى القسطنطينية، وتبعه خمس مائة رجل من قومه، فتنصروا عن آخرهم، وفرح هرقل بهم وأكرمه، ثم ندم جبلة على فعله ذلك وقال:

تنصرتِ الأشرافُ مِنْ عارِ لطمةٍ ... وما كان فيها لو صبرت لها ضررْ
تكنفني فيها لجاجٌ ونخوةٌ ... وبعتُ لها العينَ الصحيحة بالعورْ
فيا ليتَ أمي لم تلدني وليتني ... رجعتُ إلى القولِ الذي قاله عمرْ

---

(١) جَلُولاء: في طريق خراسان، وهو نهر عظيم ممتد إلى بعقوباء، ويشق بين منازلها، وعليه في وسطها قنطرة. وجلولاء، مدينة مشهورة بافريقيا مبنية على الصخر. الكامل ج٢ص٣٦٤.

(٢) ماسبذان: هي مدن عدّة، أصله ماه سبذان. الكامل ج٢ص٣٦٩.

(٣) قرقيسيا: بلد على نهر الخابور قرب رحبة مالك بن طوع، وعندها مصب الخابور في الفرات. البلدان ٤/٣٢٨.

وكان قد مضى رسول عمر إلى هرقل، وشاهد ما هو فيه جبلة من النعمة، فأرسل جبلة خمس مائة دينار لحسان ابن ثابت، وأوصلها عمر إليه، ومدحه حسان ابن ثابت بأبيات منها:

إن ابن جفنة من بقيةِ معشرِ ... لم يعرُهم آباؤهم باللوم

لم ينسني بالشام إذ هو ربها ... كلا ولا متنصراً بالروم

يعطي الجزيل ولا يراه عنده ... إلا كبعض عطيةِ المذمومِ

(ثم دخلت سنة سبع عشرة) فيها اختطت الكوفة، وتحوّل سعد إليها، (وفي هذه السنة) اعتمر عمر وأقام بمكة عشرين ليلة، ووسّع في المسجد الحرام، وهدم منازل قوم أبوا أن يبيعوها، وجعل أثمانها في بيت المال، وتزوج أم كلثوم بنت علي ابن أبي طالب، وأمها فاطمة رضي الله عنهما.

(وفي هذه السنة) كانت واقعة المغيرة بن شعبة، وهي أنّ المغيرة كان عمر قد ولاه البصرة، وكان في قبالة العليّة التي فيها المغيرة بن شعبة، علية فيها أربعة وهم: أبو بكرة مولى النبي ﷺ، وأخوه لأمه زياد بن أبيه، ونافع بن كلدة، وشبل بن معبد، فرفعت الريح الكوة عن العلية، فنظروا إلى المغيرة وهو على أم جميل بنت الأرقم بن عامر بن صعصعة، وكانت تغشي المغيرة، فكتبوا إلى عمر بذلك، فعزل المغيرة واستقدمه مع الشهود، وولى البصرة أبا موسى الأشعري، فلما قدم إلى عمر، شهد أبو بكرة ونافع وشبل على المغيرة بالزنا، وأما زياد بن أبيه فلم يفصح شهادة الزنا، وكان عمر قد قال، قبل أن يشهد: أرى رجلاً أرجو أن لا يفضح الله به رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ، فقال زياد: رأيته جالساً بين رجلي امرأة ورأيت رِجلين مرفوعتين كاذني حمار، ونفساً يعلو وإستاً تنبو عن ذكر، ولا أعرف ما وراء ذلك. فقال عمر هل رأيت الميل في المكحلة؟ قال: لا. فقال: هل تعرف المرأة؟ قال: لا. ولكن أشبهها. فأمر عمر بالثلاثة الذين شهدوا بالزنا أن يحدّوا حدّ القذف، فجلدوا، وكان زياد أخا أبي بكرة لامه، فلم يكلمه أبو بكرة بعدها.

(وفيها) فتح المسلمون الأهواز، وكان قد استولى عليها الهرمزان، وكان من عظماء الفرس، ثم فتحوا رام هرمز، وتستر وتحصن الهرمزان في القلعة، وحاصروه، فطلب الصلح على حكم عمر، فانزل على ذلك، وأرسلوا به إلى عمر ومعه وفد، منهم أنس بن مالك، والأحنف بن قيس، فلما وصلوا به إلى المدينة، ألبسوه كسوته من الديباج المذهب، ووضعوا على رأسه تاجه وهو مكلل بالياقوت، ليراه عمر

والمسلمون، فطلبوا عمر فلم يجدوه، فسألوا عنه، فقيل جالس في المسجد، فأتوه وهو نائم فجلسوا دونه، فقال الهرمزان :أين هو عمر: قالوا: هوذا . قال: فأين حرسه وحجابه، قالوا ليس له حارس ولا حاجب، واستيقظ عمر على جلبة الناس، فنظر إلى الهرمزان وقال: الحمدلله الذي أذل بالإسلام هذا وأشباهه وأمر بنزع ما عليه، فنزعوه وألبسوه ثوبا ضيقاً، فقال له عمر:كيف رأيت عاقبة الغدر، وعاقبة أمر الله، فقال الهرمزان :نحن وإياكم في الجاهلية لما خلّى الله بيننا وبينكم غلبناكم، ولما كان الله الآن معكم غلبتمونا.

ودار بينهما الكلام، وطلب الهرمزان ماء فأتي به، فقال: أخاف أن تقتلني وأنا أشرب، فقال عمر:لابأس عليك حتى تشرب، فرمى بالإناء فانكسر، فقصد عمر قتله، فقالت الصحابة: إنك أمنته بقولك لا بأس عليك إلى أن تشرب، ولم يشرب ذلك الماء، وآخر الأمر أنّ الهرمزان أسلم وفرض له عمر ألفين،

(ثم دخلت سنة ثماني عشرة) فيها حصل في المدينة والحجاز قحط عظيم، فكتب عمر إلى سائر الأمصار يستعينهم، فكان ممن قدم عليه، أبو عبيدة من الشام، بأربعة آلاف راحلة من الزاد، وقسم عمر ذلك على المسلمين، حتى رخص الطعام بالمدينة، ولما اشتدالقحط، خرج عمر ومعه العباس وجمع الناس واستسقى مستشفعاً بالعباس، فما رجع الناس حتى تداركت السحب وأمطروا، وأقبل الناس يتمسحون بأذيال العباس رضي الله عنه.

(وفي هذه السنة) أعني سنة ثمان عشرة، كان طاعون عم الناس بالشام، مات به أبو عبيدة بن الجراح، واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، واستخلف أبو عبيدة على الناس (معاذ) بن جبل الأنصاري، فمات أيضا بالطاعون، واستخلف (عمرو) بن العاص، ومات من الناس في هذا الطاعون خمسة وعشرون ألف نفس، فطال مكثه شهراً، وطمع العدو في المسلمين، وأصاب بالبصرة مثله.

(وفي هذه السنة) سار عمر إلى الشام فقسم مواريث الذين ماتوا ثم رجع إلى المدينة في ذي القعدة.

(ثم دخلت سنة تسع عشرة) (وسنة عشرين) فيها فتحت مصر والإسكندرية على يد عمرو بن العاص والزبير بن العوام، فنازلا عين شمس، وهي بقرب المطرية، وكان بها جمعهم، ففتحاها، وبعث عمرو بن العاص أبرهة بن الصباح إلى الفرماء،

وضرب عمرو فسطاطه موضع جامع عمرو بمصر الآن واختطت مصر، وبني موضع الفسطاط الجامع المعروف بجامع عمرو بن العاص.

(ثم) توجه إلى الإسكندرية ففتحها عنوة بعد قتال كثير، (وفيها) أعني سنة عشرين توفي بلال بن رباح مؤذن رسول الله ﷺ، وهو مولى أبي بكر الصديق، واسم أمه حمامة، وهو من مولدي الحبشة، أسلم بعد إسلام أبي بكر الصديق، ولم يؤذن بعد رسول الله ﷺ، فطلب من أبي بكر أن يرسله إلى الجهاد، فسأله أبو بكر أن يقيم معه فأقام معه حتى تولى عمر، فسأله عمر ذلك، فأبى بلال وسار إلى دمشق وأقام بها حتى مات ودفن عند الباب الصغير.

(ثم دخلت سنة إحدى وعشرين) (فيها) كانت وقعة نهاوند[1] مع الأعاجم وكان قد اجتمعوا في مائة وخمسين ألفاً ومقدمهم الفيرزان، فجرى بينهم وبين المسلمين حروب كثيرة آخرها أن المسلمين هزموا الأعاجم وأفنوهم قتلاً، وهرب الفيرزان مقدم جيش الأعاجم، فلما وصل إلى ثنية همذان، وجد بغالاً محملة عسلاً، فلم يقدر على المضي، فنزل عن فرسه وهرب في الجبل، فتبعه القعقاع راجلاً وقتله فقال المسلمون إن لله جنداً من عسل.

(وفي هذه السنة) فتحت الدِّينور[2] والصيميرة[3] وهمذان وأصفهان. (وفي هذه السنة) توفي خالد بن الوليد، واختلف في موضع قبره، فقيل بحمص، وقيل بالمدينة.

(ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين) فيها فتحت أذربيجان[4] والري[5]

---

(١) نهاوند: مدينة عظيمة في همذان ببلاد فارس، وهي أقدم مدينة في الجبل، وكان في وسطها حصن عجيب البناء. الكامل ج٢ص٤١١.

(٢) الدِّيْنَوَر: مدينة من أعمال الجبل بفارس. الكامل ج١ص٤٢٠.

(٣) الصَّيمَرَة: مدينة من الجبال، أعذبها ماء وأطيبها هواء. وهي أكبر مدينة بها. الكامل ج١ص٤٢٠.

(٤) أذربيجان: في الإقليم الخامس. حدّها من برذعة مشرقاً الى أرزنجان. من مشهور مدائنها تبريز. البلدان ١/١٢٨.

(٥) الرَّيّ: من أمهات البلاد وأعلام المدن بفارس، بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخاً. الكامل ج٢ص٤٢٦.

وجرجان[١] قزوين[٢] وزنجان[٣] وطبرستان[٤].

(وفيها) سار عمرو بن العاص إلى برقة، فصالحه أهلها على الجزية، (ثم) سار إلى طرابلس الغرب، فحاصرها وفتحها عنوة.

(وفي هذه السنة) غزا الأحنف بن قيس خراسان، وحارب يزدجرد وافتتح هراة[٥] عنوة، (ثم) سار إلى مرو روز، وكتب يزدجرد إلى ملك الترك يستمده، وإلى ملك الصغد والى ملك الصين يستمدهما، وانهزم يزدجرد إلى بلخ ثم سار إليه المسلمون فهزموه، وعبر يزدجرد نهر جيحون، (ثم) إن يزدجرد اختلف هو وعسكره، فإنه أشار بالمقام مع الترك، وأشار عسكره بمصالحة المسلمين والدخول في حكمهم، فأبى يزدجرد ذلك، فطرده عسكره، وأخذوا خزانته، وسار يزدجرد مع الترك في حاشيته، وأقام بفرغانة زمن عمر كله، وبقي عسكره في أماكنهم وصالحوا المسلمين.

(وفيها) توفي أُبي بن كعب بن قيس، وهو من ولد مالك بن النجار، وكان يكنى أبا المنذر، أحد كتاب الوحي لرسول الله ﷺ، وهو الذي أمر الله تعالى رسوله عليه السلام أن يقرأ القرآن على أبي بن كعب المذكور، وقال رسول الله ﷺ: أقرأ أمتي أُبي بعدي، وقيل مات في سنة ثلاثين في خلافة عثمان، (ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين).

(ذكر مقتل عمر رضي الله عنه)

(وفي هذه السنة) طعن أبو لؤلؤة واسمه فيروز عبد المغيرة بن شعبة عمرَ بن الخطاب وهو في الصلاة، بخنجر في خاصرته، وتحت سرّته، وذلك لست بقين من

---

(١) جرجان: مدينة بفارس بين طبرستان وخراسان. الكامل ج٢ص٤٢٧.

(٢) قزوين: مدينة فارسية بينها وبين الرّي سبعة وعشرون فرسخاً. الكامل ج٢ص٤٢٦.

(٣) زنجان: بلد من نواحي الجبال بفارس قريب من أبهر وقزوين. الكامل ج٢ص٤٢٦.

(٤) طبرستان: بلاد واسعة ومدن كثيرة، يشملها هذا الاسم بفارس، يغلب عليها الجبال. الكامل ج٢ص٤٢٧.

(٥) هراة من أمهات مدن خراسان، كانت فيها بساتين كثيرة ومياه غزيرة، إلا أن التتار خرّبوها، الكامل ج٢ص٤٣٤.

ذي الحجة من السنة المذكورة، وتوفي يوم السبت[١] سلخ ذي الحجة، ودفن يوم الأحد هلال المحرم سنة أربع وعشرين، وكانت مدة خلافته عشر سنين وستة أشهر وثمانية أيام، ودفن عند النبي ﷺ، وأبي بكر الصديق رضي الله عنهما، وعهد بالخلافة إلى النفر الذين مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، وهم علي وعثمان وطلحة والزبير وسعد رضي الله عنهم، بعد أن عرضها على عبد الرحمن بن عوف فأبى.

وكان عمر رضي الله عنه طويل القامة أبيض أصلع أشيب، وكان عمره خمسا وخمسين سنة، وقيل ستين، وقيل ثلاثاً وستين، وكان له من الفضل والزهد والعدل والشفقة على المسلمين القدر الوافر، فمن ذلك أنه جاء إلى عبد الرحمن بن عوف وهو يصلي في بيته ليلاً؛ فقال عبد الرحمن: ما جاء بك يا أمير المؤمنين في هذه الساعة؟ فقال: إنّ رفقة نزلوا في ناحية السوق، خشيت عليهم سرّاق المدينة، فانطلق لنحرسهم، فأتيا السوق، وقعدا على نشز من الأرض يتحدثان ويحرسانهم.

وعمر أول من سمي بأمير المؤمنين، وأول من كتب التاريخ، وأرّخ من السنة التي هاجر فيها رسول الله ﷺ، وأول من عسّ بالليل، وأول من نهى عن بيع أمهات الأولاد، وأول من جمع الناس في صلاة الجنازة على أربع تكبيرات، وكانوا قبل ذلك يكبرون أربعاً وخمساً وستاً، وأول من جمع الناس على إمام يصلي بهم التراويح في رمضان، وكتب بذلك إلى سائر البلدان وأمرهم به، وأول من حمل الدِّرّة وضرب بها، ودوّن الدواوين.

وخطب مرة الناس وعليه إزار فيه اثنتا عشرة رقعة، وكان مرة في بعض حجته فلما مرّ بضحيان[٢] قال لا إله إلا الله، المعطي ما شاء من شاء، كنت أرعى إبل الخطاب في هذا الوادي في مدرعة صوف، وكان فظاً يرعبني إذا عملت؛ ويضربني إذا قصرت، وقد أصبحت وليس بيني وبين الله أحد. وفضائله رضي الله عنه أكثر من أن تحصى.

(ثم دخلت سنة أربع وعشرين) فيها عَقِبَ موت عمر، اجتمع أهل الشورى،

---

(١) في الكامل: توفي يوم الأربعاء لثلاث بقين من ذي الحجة. ج٢ص٤٤٨.

(٢) في الكامل: بضجنان. ج١ص٤٥٦.

وهم علي وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبدالله بن عمر رضي الله عنهم، وكان قدشرط عمر أن يكون ابنه عبد الله شريكاً في الرأي ، ولا يكون له حظٌ في الخلافة، وطال الأمر بينهم، وكان قد جعل لهم عمر مدة ثلاثة أيام، وقال لا يمضي اليوم الرابع إلا ولكم أمير، وإن اختلفتم فكونوا مع الذي معه عبد الرحمن. فمضى علي إلى العباس رضي الله عنهما؛ وقال له: عدل عنّا لان سعداً لا يخالف عبد الرحمن، لأنه ابن عمه، وعبد الرحمن صهر عثمان، فلا يختلفون فيوليها أحدهم الآخر . فقال العباس: لم ادفعك عن شيء إلاّ رجعت إلى مستاخر، اشرت عليك قبل وفاة رسول الله ﷺ ان نساله فيمن يجعل هذا الامر فابيت، وأشرت عليك بعد وفاته أن تعاجل هذا الأمر فابيت، وأشرت عليك حين سمّاك عمر في الشورى ان لا تدخل فيهم فابيت، وهذا الرهط لا يبرحون يدفعوننا عن هذا الأمر؛ حتى يقوم له غيرنا، وايم الله لا يناله إلا بشر لا ينفع معه خير.

(ثم) جمع عبد الرحمن الناس بعد ان أخرج نفسه عن الخلافة، فدعا علياً فقال :عليك عهد الله وميثاقه، لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده، فقال : أرجو أن أفعلِ وأعملِ مبلغ علمي وطاقتي، ودعا بعثمان وقال له مثل ما قال لعلي، فرفع عبد الرحمن راسه إلى سقف المسجد ويده في يد عثمان وقال: اللهم اسمع واشهد، اللهم إني جعلت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان وبايعه، فقال علي ليس هذا أول يوم تظاهرتم علينا فيه، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون، والله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر إليك، والله كل يوم هو في شان. فقال عبد الرحمن: يا علي، لا تجعل على نفسك حجةً وسبيلاً، فخرج عليٌ وهو يقول: سيبلغ الكتاب أجله. (فقال) المقداد بن الأسود لعبد الرحمن: والله لقد تركته، يعني علياً، وإنه من الذين يقضون بالحق، وبه يعدلون. فقال: يا مقداد لقد أجتهدت للمسلمين، فقال المقداد: إني لأعجب من قريش، إنهم تركوا رجلاً ما أقول ولا أعلم أنّ رجلاً أقضى بالحق، ولا أعلم منه، فقال عبد الرحمن: يا مقداد، اتق الله، فإني اخاف عليك الفتنة، ثم لما أحدث عثمان رضي الله ما أحدث من توليته الأمصار للاحداث من اقاربه، روي انه قيل لعبد الرحمن بن عوف: هذا كله فعلك. فقال: لم أظن هذا به؛ لكن لله عليَّ أن لا أكلمه أبداً، ومات عبد الرحمن وهو مهاجر لعثمان رضي الله عنهما، ودخل عليه عثمان عائداً في مرضه فتحول إلى الحائط ولم يكلمه.

(ذكر خلافة عثمان رضي الله عنه)

وبويع عثمان رضي الله عنه لثلاث مضين من المحرم، من هذه السنة، أعني سنة أربع وعشرين، وهو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة. ولما بويع رقي المنبر وقام خطيباً فحمدالله وتشهد ثم أرتج عليه فقال: إن أول كل أمر صعب، وإن أعش فسآتيكم الخطب على وجهها، ثم نزل وأقر عثمان ولاة عمر سنة، لأنه كان أوصى بذلك، ثم عزل المغيرة بن شعبة عن الكوفة، وولاها سعد بن أبي وقاص، ثم عزله وولى الكوفة الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وكان أخا عثمان من أمه.

(ثم دخلت سنة خمس وعشرين) فيها توفي أبو ذر الغفاري واسمه جندب بن جنادة، وكان بالشام ينكر على معاوية جمع المال، ويتلو ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ﴾ [التوبة: ٣٤] الآية، فكتب معاوية إلى عثمان يشكوه، فكتب إليه عثمان أن أقدم المدينة، فقدم إلى المدينة، واجتمع الناس عليه، فصار يذكر ذلك ويكثر الشناعة على من كنز الذهب والفضة، فنفاه عثمان إلى الربدة وقيل كانت وفاته بالربدة سنة إحدى وثلاثين.

(ثم دخلت سنة ست وعشرين) فيها عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر وولاها عبدالله بن سعد بن ابي سرح العامري، وكان أخا عثمان من الرضاعة، وكان رسول الله ﷺ قد أهدر دم عبد الله بن سعد المذكور يوم الفتح، وشفع فيه عثمان، حتى أطلقه رسول الله ﷺ.

(وفي) أيام عثمان فتحت إفريقية، وكان المتولي لذلك عبد الله بن سعد بن أبي سرح المذكور، وبعث بالخمس إلى عثمان، فاشتراه مروان بن الحكم بخمس مائة ألف دينار، فوضعها عنه عثمان، وهذا من الأمور التي انكرت عليه، ولما فتحت إفريقية، أمر عثمان عبد الله نافع بن الحصين أن يسير إلى جهة الأندلس، فغزى تلك الجهة، وعاد عبد الله بن نافع إلى إفريقية، فأقام بها من جهة عثمان، ورجع عبد الله ابن سعد إلى مصر.

(ثم دخلت سنة سبع وعشرين) (وسنة ثمان وعشرين) فيها استأذن معاوية عثمان في غزو البحر، فأذن له، فسيّر معاوية إلى قبرس جيشاً وسار إليها أيضاً عبد الله ابن سعد من مصر، فاجتمعوا عليها وقاتلوا أهلها، ثم صولحوا على جزية سبعة آلاف دينار في كل سنة، وكان هذا الصلح بعد قتل وسبي كثير من أهل قبرس.

(ثم دخلت سنة تسع وعشرين) فيها عزل عثمان أبا موسى الأشعري عن البصرة، وولاها ابن خاله عبد الله بن عامر بن كريز، (ثم) عزل الوليد بن عقبة من الكوفة، بسبب أنه شرب الخمر وصلى بالمسلمين الفجر أربع ركعات وهو سكران، ثم التفت إلى الناس وقال: هل أزيدكم؟ فقال ابن مسعود: مازلنا معك في زيادة منذ اليوم، وفي ذلك يقول الحطيئة:

شهدا الحطيئة يوم يلقى ربه أن الوليد أحق بالعذر
نادى وقد فرغت صلاتهم أأزيدكم سكراً وما يدري
فأبوا أبا وهب ولو أذنوا لقرنت بين الشفع والوتر

(ثم دخلت سنة ثلاثين) فيها بلغ عثمان ما وقع في أمر القرآن من أهل العراق، فإنهم يقولون: قرآننا أصح من قرآن أهل الشام، لأننا قرأنا على أبي موسى الأشعري، وأهل الشام: يقولون قرآننا أصح لأنّا قرأنا على المقداد بن الأسود، وكذلك غيرهم من الأمصار، فاجمع رأيه ورأي الصحابة، على أن يحمل الناس على المصحف الذي كتب في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، وكان مودعاً عند حفصة زوج النبي ﷺ، وتحرق ما سواه من المصاحف التي بأيدي الناس، ففعل ذلك ونسخ من ذلك المصحف مصاحف، وحمل كلاً منها إلى مصر من الأمصار، وكان الذي تولّى نسخ المصاحف العثمانية بأمر عثمان، زيد بن ثابت، وعبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي.

وقال عثمان: إن اختلفتم في كلمة فاكتبوها بلسان قريش، فإنما نزل القرآن بلسانهم.

(وفي هذه السنة) سقط من يد عثمان خاتم النبي ﷺ، وكان من فضة فيه ثلاثة أسطر، محمد رسول الله وكان النبي يتختم به، ويختم به الكتب التي كان يرسلها إلى الملوك. ثم ختم به بعده أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، إلى أن سقط في بئرأريس (ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين)

(ذكر مهلك يزدجرد بن شهريار بن برويز)

وهو آخر ملوك الفرس، (في هذه السنة) هلك يزدجرد، وقد اختلف في ذلك، فقيل إنه نزل بمرو، فثار عليه أهلها وقتلوه، وقيل بغته الترك وقتلوا أصحابه؛ فهرب

يزدجرد إلى بيت رجل ينقر الأرحا فقتله ذلك الرجل، واتبع الفرس اثر يزدجرد إلى بيت النقار، وعذبوا النقار فاقر بقتله فقتلوه.

(وفيها) عصت خراسان، واجتمع أهلها في خلق عظيم، وسار إليهم المسلمون، وذلك في أيام عثمان ففتحوها فتحاً ثانيا.

(وفي هذه السنة) مات أبو سفيان بن حرب بن أمية أبو معاوية.

(ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين) فيها توفي عبد الله بن مسعود ابن غافل بن حبيب بن شمخ من ولد مدركة بن إلياس بن مضر، وفي مدركة يجتمع مع رسول الله ﷺ، وقد جاء في بعض الروايات أن عبدالله بن مسعود المذكور، أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة، والذي روى أنّه من العشرة، أسقط ابا عبيدة بن الجراح، وجعل عبد الله المذكور بدله، وكان جليل القدر، عظيماً في الصحابة، وهو أحد القراء رحمه الله تعالى ورضي عنه.

(ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين) فيها تكلم جماعة من الكوفة في حق عثمان، بانه ولى جماعة من أهل بيته، لا يصلحون للولاية، فكتب سعيد بن العاص والي الكوفة من قبل عثمان إليه بذلك، فامره عثمان بان يسير الذين تكلموا بذلك إلى معاوية بالشام، فارسلهم وفيهم الحارث بن مالك المعروف بالأشتر النخعي، وثابت ابن قيس النخعي، وجميل بن زياد، وزيد بن صوحان العبدي، وأخوه صعصعة، وجندب بن زهير، وعروة بن الجعد، وعمرو بن الحمق، فقدموا على معاوية وجرى بينهم كلام كثير، وحذرهم الفتنة، فوثبوا واخذوا بلحية معاوية ورأسه، فكتب بذلك إلى عثمان، فكتب إليه عثمان أن يردهم إلى سعيد بن العاص، فردهم إلى سعيد، فاطلقوا السنتهم في عثمان، واجتمع أهل الكوفة.

(ثم دخلت سنة اربع وثلاثين) فيها قدم سعيد إلى عثمان، واخبره بما فعله اهل الكوفة، وانهم يختارون أبا موسى الأشعري، فولى عثمان ابا موسى الكوفة، فخطبهم أبو موسى وأمرهم بطاعة عثمان، فأجابوا إلى ذلك، وتكاتب نفر من الصحابة بعضهم إلى بعض، أن اقدموا فالجهاد عندنا، ونال الناس من عثمان، وليس أحد من الصحابة ينهي عن ذلك، ولا يذب إلاّ نفر، منهم زيد بن ثابت، وأبو أسيد الساعدي، وكعب بن مالك ، وحسان بن ثابت، ومما نقم الناس عليه رده الحكم بن

العاص، طريد رسول الله ﷺ، وطريد أبي بكر وعمر أيضاً، وإعطاء مروان بن الحكم خمس غنائم إفريقية، وهو خمس مائة ألف دينار، وفي ذلك يقول عبد الرحمن الكندي:

سأحلف بالله جهد اليمين ... ما ترك الله أمراً سدا
ولكن خلقت لنا فتنةً ... لكي نبتلى بك أو تبتلى
فإن الأمينين قد بنيا ... منار الطريق عليه الهدى
فما أخذا درهماً غيلة ... وما جعلا درهماً في الهوى
دعوت اللعين فادنيته ... خلافاً لسنة من قد مضى
وأعطيت مروان خمس العباد ... ظلماً لهم وحميت الحمى

وأقطع مروان بن الحكم فدك، وهي صدقة رسول الله ﷺ، التي طلبتها فاطمة ميراثاً، فروى ابو بكر عن رسول الله ﷺ «نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة» ولم تزل فدك في يد مروان وبنيه، إلى أن تولى عمر بن عبد العزيز فانتزعها من أهله، وردها صدقة.

(وفي هذه السنة) توفي المقداد بن الأسود، وهو المقداد بن عمرو بن ثعلبة، ونسب إلى الأسود بن عبد يغوث، لأنه كان قد حالف الأسود المذكور في الجاهلية، فتبناهُ، فعرف بالمقداد بن الأسود، فلما نزل قوله تعالى ﴿ادعوهم لآبائهم﴾ [الأحزاب: ٥] الآية، قيل له المقداد بن عمرو، ولم يكن في يوم بدر من المسلمين صاحب فرس غير المقداد، في قول، وشهد مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها، وكان عمره نحو سبعين سنة.

(ثم دخلت سنة خمس وثلاثين) فيها قدم من مصر جمع، قيل ألف، وقيل سبع مائة، وقيل خمس مائة، وكذلك قدم من الكوفة جمع، وكذلك من البصرة، وكان هوى المصريين مع علي، وهوى الكوفيين مع الزبير، وهوى البصريين مع طلحة، فدخلوا المدينة، ولما جاءت الجمعة التي تلي دخولهم المدينة، خرج عثمان فصلى بالناس، ثم قام على المنبر وقال للجموع المذكورة: يا هؤلاء، الله يعلم وأهل المدينة يعلمون أنكم ملعونون على لسان محمد ﷺ. فقام محمد بن مسلمة الأنصاري فقال: أنا أشهد بذلك، فثار القوم بأجمعهم فحصبوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد، وحصب عثمان حتى خرّ على المنبر مغشياً عليه، فأدخل داره، وقاتل

جماعة من أهل المدينة عن عثمان، منهم سعد بن أبي وقاص، والحسن بن علي بن أبي طالب، وزيد بن ثابت، وأبو هريرة رضى الله عنهم، فأرسل إليهم عثمان يعزم عليهم بالانصراف فانصرفوا، وصلى عثمان بالناس بعد ما نزلت الجموع المذكورة في المسجد ثلاثين يوماً ثم منعوه الصلاة، فصلى بالناس أميرهم الغافقي أمير جمع مصر، ولزم أهل المدينة بيوتهم، وعثمان محصور في داره، ودام ذلك أربعين يوماً، وقيل خمسين، ثم إن علياً اتفق مع عثمان على ما تطلبه الناس منه من عزل مروان عن كتابته، وعبد الله بن أبي سرح عن مصر، فأجاب عثمان إلى ذلك، وفرق علي الناس عنه، ثم اجتمع عثمان بمروان فرده عن ذلك، (ثم) اضطره الحال حتى عزل ابن أبي سرح عن مصر، وولاها محمد بن أبي بكر الصديق، وتوجه مع محمد بن أبي بكر عدة من المهاجرين والانصار، فبينما هم في أثناء الطريق، وإذا بعبد على هجين يجهده، فقالوا له: إلى أين؟ قال: إلى العامل بمصر. فقالوا: هذا عامل مصر، يعنون محمد بن أبي بكر، فقال: بل العامل الآخر، يعني ابن أبي سرح فامسكوه وفتشوه، فوجدوا معه كتاباً مختوماً بختم عثمان يقول: إذا جاءك محمد بن أبي بكر ومن معه، بأنك معزول فلا تقبل، واحتل بقتلهم، وأبطل كتابهم، وقرّ في عملك.

فرجع محمد بن أبي بكر ومن معه من المهاجرين والانصار إلى المدينة وجمعوا الصحابة وأوقفوهم على الكتاب، وسألوا عثمان عن ذلك فاعترف بالختم وخط كاتبه، وحلف بالله أنه لم يأمر بذلك، فطلبوا منه مروان ليسلمه إليهم بسبب ذلك فامتنع.

فازداد حنق الناس على عثمان وجدّوا في قتاله، فأقام علي ابنه الحسن يذب عنه، وأقام الزبير ابنه عبد الله وطلحة ابنه محمد يذبون عنه، بحيث خرج الحسن وانصبغ بالدم، وآخر الحال أنهم تسوروا على عثمان من دار لزق داره، ونزل عليه جماعة فيهم محمد بن أبي بكر فقتلوه. (وكان) عثمان رضي الله عنه حين قتل صائماً يتلو في المصحف، وكان مقتله لثمان عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين. وكانت مدة خلافته اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً.

واختلف في عمره، فقيل خمس وسبعون، وقيل اثنتان وثمانون، وقيل تسعون، وقيل غير ذلك، ومكث ثلاثة أيام لم يدفن، لأن المحاربين له منعوا من ذلك، ثم أمر علي بدفنه، وكان عثمان معتدل القامة، حسن الوجه، بوجهه أثر جدري، عظيم اللحية، أسمر اللون، أصلع يصفر لحيته، وتزوج ابنتي رسول الله

ﷺ. وبسبب ذلك قيل له ذو النورين، وكان كاتبه مروان بن الحكم بن العاص ابن عمه، وقاضيه زيد بن ثابت.

(وأما) فضائله: فإنه الذي جهز جيش العسرة بجملة من المال، وكان قدأصاب الناس مجاعة في غزوة تبوك، فاشترى عثمان طعاماً يصلح العسكر، وجهز به عيراً. فلما وصل ذلك الى النبي ﷺ، رفع يده إلى السماء وقال: «اللهم إني قد رضيت عن عثمان، فارضَ عنه»، وروي الشعبي أن عثمان دخل على رسول الله ﷺ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبه عليه وقال رسول الله ﷺ: «كيف لا استحي ممن تستحي منه الملائكة» وانفتح بقتل عثمان باب الشر والفتن.

(ذكر أخبار علي بن أبي طالب رضي الله عنه)

واسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب، جد رسول الله ﷺ، وأم علي فاطمة بنت أسد بن هاشم، فهو هاشمي ابن هاشميين، بويع بالخلافة يوم قتل عثمان، وقد اختلف في كيفية بيعته، فقيل: اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ، وفيهم طلحة والزبير، فأتوا علياً وسألوه البيعة له، فقال: لا حاجة لي في أمركم، من اخترتم رضيت به، فقالوا: ما نختار غيرك، وترددوا إليه مراراً. وقالوا: إنا لا نعلم أحداً أحق بالأمر منك، ولا أقدم منك سابقة ولا أقرب من رسول الله ﷺ، فقال: أكون وزيراً خير من أنْ أكون أميراً. فأتوا عليه، فأتى المسجد، فبايعوه.

وقيل: بايعوه في بيته، وأول من بايعه طلحة بن عبد الله، وكانت يد طلحة مشلولة من نوبة أُحد، فقال حبيب بن ذؤيب: إنّا لله، أول من بدأ بالبيعة يد شلاء، لا يتم هذا الأمر، وبايعه الزبير، وقال علي لهما: إنْ أحببتما أنْ تبايعا لي بايعا، وإنّ أحببتما بايعتكما، فقالا: بل نبايعك، وقيل إنهما قالا بعد ذلك: إنما بايعنا خشية على نفوسنا، ثم هربا إلى مكة بعد مبايعة علي بأربعة أشهر، وجاؤوا بسعدبن أبي وقاص رضي الله عنهم، فقال له علي: بايع، فقال: لا، حتى يبايع الناس، والله ما عليك مني بأس فقال خلوا سبيله.

وكذلك تأخر عن البيعة عبد الله بن عمر، وبايعته الأنصار إلاّ نفراً قليلاً، منهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك، ومسلمة بن مخلد، وأبو سعيد الخدري، والنعمان ابن بشير، ومحمد بن مسلمة، وفضالة بنُ عبيد، وكعب بن عجرة وزيد بن ثابت وكان هؤلاء قد ولاهم عثمان على الصدقات وغيرها، وكذلك لم يبايع علياً سعيد بن زيد وعبد الله بن سلام، ،صهيب بن سنان، وأسامة بن زيد، قدامة بن مطعون،

والمغيرة بن شعبة، ،سموا هؤلاء المعتزلة، لاعتزالهم بيعة علي.

وسار النعمان بن بشير إلى الشام، ومعه ثوب عثمان الملطخ بالدم، فكان معاوية يعلق قميص عثمان على المنبر؛ ليحرض أهل الشام على قتال علي وأصحابه، وكلما رأى أهل الشام ذلك، ازدادوا غيظاً.

(وقد روي) في بيعة علي غير ذلك، فقيل: لما قتل عثمان، بقيت المدينة خمسة أيام، والغافقي أمير المصريين ومن معه، يلتمسون من يجيبهم إلى القيام بالأمر فلا يجدونه، ووجدوا طلحة في حائط له ووجدوا سعداً والزبير قد خرجا من المدينة، ووجدوا بني أُمية قد هربوا، وأتى المصريون علياً فباعدهم، وكذلك أتى الكوفيون الزبير، والبصريون طلحة فباعداهم، وكانوا مع اجتماعهم على قتل عثمان، مختلفين فيمن يلي الخلافة، حتى غشي الناس علياً فقالوا: نبايعك، فقد ترى ما نزل بالإسلام، وما ابتلينا به، فامتنع علي، فألحوا عليه، فقال: قد أجبتكم، واعلموا أني إنْ أجبتكم، ركبت بكم ما أعلم، وإن تركتموني، فإنّما أنا كأحدكم. وافترق الناس على ذلك، وتشاوروا فيما بينهم؛ وقالوا: إن دخل طلحة والزبير فقد استقامت البيعة، فبعث البصريون إلى الزبير حكيم بن جبلة، ومعه نفر فجاؤوا بالزبير كرهاً بالسيف، فبايع، وبعثوا إلى طلحة الأشتر ومعه نفر، فأتوا بطلحة ولم يزالوا به حتى بايع، ولما أصبحوا يوم الجمعة، اجتمع الناس في المسجد، وصعد علي المنبر واستعفى من ذلك، فلم يعفوه، فبايعه أولاً طلحة، وقال: أنا أبايع مكرهاً، وكانت يد طلحة شلاء، فقيل هذا الأمر لا يتم، كما ذكرنا، وبايعه أهل المدينة من المهاجرين والأنصار، خلا من لم يبايع ممن ذكرنا. (وكان) ذلك يوم الجمعة، لخمس بقين من ذي الحجة، من سنة خمس وثلاثين. (ثم) فارقه طلحة والزبير ولحقا بمكة، واتفقا مع عائشة رضي الله عنهم وكانت قد مضت إلى الحج وعثمان محصور، وكانت عائشة تنكر على عثمان مع من ينكر عليه، وكانت تخرج قميص رسول الله ﷺ وشعره وتقول: هذا قميصه وشعره لم يبل، وقد بلي دينه، لكنها لم تظن أن الأمر ينتهي إلى ما انتهى إليه.

(وكان) ابن عباس بمكة لما قتل عثمان، ثم قدم المدينة بعد البيعة لعلي فوجد علياً مستخلياً بالمغيرة بن شعبة، قال: فسألته عما قال له، فقال علي: أشار عليّ بإقرار معاوية وغيره من عمال عثمان إلى أنْ يبايعوا ويستقر الأمر، فأبيت ثم أتاني الآن وقال: الرأي مارأيته. فقال ابن عباس: نصحك في المرة الأولى وغشك في الثانية، وإني أخشى أن ينتقض عليك الشام، مع أني لا آمن طلحة والزبير أنْ يخرجا

عليك، وأنا أشير عليك أن تقر معاوية، فإن بايع لك، فعلي أن اقتلعه لك من منزله متى شئت. فقال علي والله لا أعطيه إلا السيف، ثم تمثل:

وما ميتةٌ أن مِتُّها غيرَ عاجزٍ بعارٍ إذا ما غالتِ النفسُ غولُها

فقلت: يا أمير المؤمنين أنت رجل شجاع، ولست صاحب رأي. فقال علي: إذا عصيتك فاطعني. فقال ابن عباس: أفعل، إن أيسر مالك عندي الطاعة، وخرج المغيرة ولحق بمكة.

(ثم دخلت سنة ست وثلاثين) فيها أرسل علي إلى البلاد عماله، فبعث إلى الكوفة عمارة بن شهاب، وكان من المهاجرين، (وولّى) عثمان بن حنيف الأنصاري البصرة، (وعبد اللّه) بن عباس اليمن، وكان من المشهورين بالجود، (وولّى) قيس ابن سعد بن عبادة الأنصاري مصر، (وسهل) بن حنيف الأنصاري الشام، فلما وصل تبوك، لقيته خيل، فقالوا من أنت: قال أمير على الشام. فقالوا إن كان بعثك غير عثمان فارجع. قال: او ما سمعتم بالذي كان قالوا: بلى. فرجع إلى علي، ومضى قيس بن سعد إلى مصر فوليها، واعتزلت عنه فرقة، كانوا عثمانية، وابوا أن يدخلوا في طاعة علي، إلاّ أن يقتل قاتل عثمان، ومضى عثمان بن حنيف إلى البصرة فدخلها، واتبعته فرقة وخالفته فرقة، ومضى عمارة إلى الكوفة فلقيه طلحة بن خويلد الاسدي، الذي كان ادعى النبوة في خلافة ابي بكر، فقال له: إنّ أهل الكوفة لا يستبدلون بأميرهم، فرجع إلى علي وكان على الكوفة من قبل عثمان، أبو موسى الأشعري، ومضى عبد الله إلى اليمن، وكان العامل بها من جهة عثمان، يعلى بن منبه، فوليها عبد الله وخرج يعلى، وأخذ ما كان حاصلاً من المال، ولحق بمكة وصار مع عائشة وطلحة والزبير، وسلّم إليهم المال.

(ذكر مسير عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة)

ولما بلغ عائشة قتل عثمان، أعظمت ذلك، ودعت إلى الطلب بدمه، وساعدها على ذلك طلحة والزبير وعبد الله بن عمر، وجماعة من بني أمية، وجمعوا جمعاً عظيماً، واتفق رأيها على المضي إلى البصرة للاستيلاء عليها، وقالوا معاوية بالشام، قد كفانا أمرها، وكان عبد الله بن عمر قد قدم من المدينة، فدعوه إلى المسير معهم فامتنع، وساروا، وأعطى يعلى بن منبه عائشة الجمل المسمى بعسكر، اشتراه بمائة دينار، وقيل بثمانين ديناراً، فركبته، وضربوا في طريقهم مكاناً يقال له (الحوأب)

فنبحتهم كلابه، فقالت عائشة: أي ماء هو هذا؟ فقيل: هذا ماء الحواب[1]، فصرخت عائشة بأعلى صوتها وقالت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، سمعت رسول الله ﷺ يقول وعنده نساؤه: «ليت شعري أيتّكن ينبحها كلاب الحواب»، ثم ضربت عضد بعيرها فأناخته وقالت: ردو ني، أنا والله صاحبة ماء الحواب، فأناخوا يوماً وليلةً، وقال لها عبد الله بن الزبير إنه كذب، يعني ليس هذا ماء الحواب، ولم يزل بها وهي تمتنع، فقال لها: النجاء النجاء فقد أدرككم علي بن أبي طالب، فارتحلوا نحو البصرة، فاستولوا عليها بعد قتال مع عثمان بن حنيف، فقتل من أصحاب عثمان بن حنيف أربعون رجلاً، وأُمسك عثمان بن حنيف، فنتفت لحيته وحواجبه، وسجن ثم أطلقته.

(ذكر مسيرة علي إلى البصرة)

ولما بلغ علياً مسير عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة، سار نحوهم في أربعة آلاف من أهل المدينة، فيهم أربع مائة ممن بايع تحت الشجرة، وثمانمائة من الأنصار، ورايته مع ابنه محمد بن الحنفية، وعلى ميمنته الحسن، وعلى ميسرته الحسين، وعلى الخيل عمار بن ياسر، وعلى الرجالة محمد بن أبي بكر الصديق، وعلى مقدمته عبد الله بن العباس.

وكان مسيره في ربيع الآخر سنة ست وثلاثين، ولمّا وصل علي إلى ذي قار، أتاه عثمان بن حنيف وقال له: يا أمير المؤمنين بعثتني ذا لحية، وجئتك أمرد. فقال أصبت أجراً وخيراً، وقال علي: إن الناس وليهم قبلي رجلان، فعملا بالكتاب والسنة، ثم وليهم ثالث، فقالوا في حقه وفعلوا، ثم بايعوني وبايعني طلحة والزبير ثم نكثا، ومن العجب انقيادهما لأبي بكر وعمر وعثمان، وخلافهما علي، والله إنهما يعلمان أني لست بدون رجل ممن تقدم.

(ذكر وقعة الجمل)

واجتمع إلى علي من أهل الكوفة جمع، واجتمع إلى عائشة وطلحة والزبير جمع، وسار بعضهم إلى بعض، فالتقوا بمكان يقال له الخريبة في النصف من جمادى الآخرة، من هذه السنة، ودعي على الزبير إلى الاجتماع به، فاجتمع به، فذكّره علي وقال: أتذكر يوماً مررت مع رسول الله ﷺ في بني غنم، فنظر إليّ فضحكت

---

(١) الحواب: موضع في طريق البصرة محاذي البقرة، ماء من مياههم. الكامل ج٣ ص١٠٣.

وضحك إليّ فقلت: لا يدع ابن أبي طالب زَهوَه. فقال لك رسول الله ﷺ: «إنه ليس بِمُزْهٍ ولتقاتلنه وأنت ظالم له» فقال الزبير: اللهم نعم، ولو ذكرته ما سرت مسيري هذا. فقيل إنه اعتزل القتال، وقيل بل غيره ولده عبد الله، وقال خفت من رايات ابن أبي طالب. فقال الزبير إني حلفت أن لا أقاتله. فقال له ابنه: كفّرْ عن يمينك، فعتق غلامه مكحولاً وقاتل، ووقع القتال وعائشة راكبة الجمل المسمى عسكر في هودج، وقد صار كالقنفذ من النشاب، وتمت الهزيمة على أصحاب عائشة وطلحة والزبير، ورمى مروان بن الحكم طلحة بسهم فقتله، وكلاهما كانا مع عائشة، قيل إنه طلب بذلك أخذ ثار عثمان منه، لأنه نسبه إلى أنّه أعان على قتل عثمان، وانهزم الزبير طالباً المدينة، وقطعت على خطام الجمل أيد كثيرة، وقتل أيضاً بين الفريقين خلق كثير، ولما كثر القتل على خطام الجمل، قال علي: اعقروا الجمل فضربه رجل فسقط، فبقيت عائشة في هودجها إلى الليل، وأدخلها محمد بن أبي بكر أخوها إلى البصرة، وأنزلها في دار عبد الله بن خلف، وطاف علي على القتلى من أصحاب الجمل وصلى عليهم ودفنهم. ولما رأى طلحة قتيلاً قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، والله لقد كنت أكره أن أرى قريشاً صرعى، أنت والله كما قال الشاعر:

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه ... إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر

وصلى عليه، ولم ينقل عنه أنّه صلى على قتلى الشام بصفين، ولما انصرف الزبير من وقعة الجمل طالباً المدينة، مر بماء لبني تميم وبه الأحنف بن قيس، فقيل للأحنف وكان معتزلاً القتال: هذا الزبير قد أقبل، فقال: قد جمع بين هذين الغارين، يعني العسكرين وتركهم وأقبل، وفي مجلسه عمرو بن جرموز المجاشعي، فلما سمع كلامه قام من مجلسه واتبع الزبير؛ حتى وجده بوادي السباع نائماً، فقتله؛ ثم أقبل برأسه إلى علي بن أبي طالب. فقال علي: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «بشروا قاتل الزبير بالنار». قال عمرو بن جرموز المذكور لعنه الله:

أتيتُ علياً برأس الزبير ... وقد كنتُ أحسبها زلفة
فبشر بالنّار قبل العيان ... فبئس البشارة والتحفه
وسيان عندي قتل الزُّبير ... وضَرطة عير بذي الجحفة

ثم أمر علي عائشة بالرجوع إلى المدينة، وأن تقر في بيتها، فسارت مستهل رجب من هذه السنة، وشيعها الناس، وجهزها علي بما احتاجت إليه، وسير معها

أولاده مسيرة يوم، وتوجهت إلى مكة، فأقامت للحج تلك السنة، ثم رجعت إلى المدينة.

وقيل كانت عدة القتلى يوم الجمل من الفريقين، عشرة آلاف، واستعمل علي على البصرة عبد الله بن العباس، وسارعلى الكوفة فنزلها، وانتظم له الأمر بالعراق ومصر واليمن والحرمين وفارس وخراسان، ولم يبق خارج عنه إلاّ الشام، وفيه معاوية وأهل الشام مطيعون له، فأرسل إليه علي جريرَ بن عبد الله البجلي، ليأخذ البيعة على معاوية، ويطلب منه الدخول فيما دخل فيه المهاجرون والأنصار.

فسار جرير إلى معاوية، فماطله معاوية، وكان عمرو بن العاص بفلسطين، حتى قدم عمرو إلى معاوية، فوجد أهل الشام يحضون على الطلب بدم عثمان، فقال لهم عمرو :أنتم على الحق، واتفق عمرو ومعاوية على قتال علي، وشرط عمرو، على معاوية إذا ظفر ، أن يوليه مصر، فأجابه إلى ذلك، وكان قيس بن سعد بن عبادة متولياً على مصر من جهة علي، على ما ذكرناه، فقد اعتزل عنه جماعة عثمانية إلى قرية من بلد مصر يقال لها خربتا،وكان قيس المذكور من دهاة العرب، فرأى من المصلحة مداهنة المذكورين، وكف الحرب عنهم لئلا ينضموا إلى معاوية، وكتب معاوية إلى قيس المذكور يستميله، ويبذل له الولايات العظام، فلم يفد فيه، فزور عليه معاوية كتاباً وقرأه على الناس، يوهمهم أن قيساً معه، ولذلك لم يقاتل المعتزلين عنه بخربتا، فبلغ علياً ذلك، فعزل قيساً عن مصر؛ وولّى عليها محمد بن أبي بكر، ولحق قيس بالمدينة، ثم وصل إلى علي وحضر معه حرب صفين، وحكى لعلي ما جرى له مع معاوية، فعلم صحة ذلك، وبقي قيس المذكور مع علي ثم مع الحسن على ذلك، إلى أن سلمّ الأمر إلى معاوية، وأما محمد بن أبي بكر، فوصل إلى مصر وتولى عليها، ووصاه قيس في أنه لا يتعرض إلى أهل خربتا، فلم يقبل محمد ذلك، وبعث إلى أهل خربتا يأمرهم بالدخول في بيعة علي، أو الخروج من أرض مصر،فأجابوه أن لا نفعل، ودعنا ننظر إلى ما يصير إليه أمرنا، فأبى عليهم.

(ذكروقعة صفين)[1]

ولما قدم عمرو على معاوية كما ذكرنا واتفقا على حرب علي، قدم جرير بن عبد الله البجلي على علي، فأعلمه بذلك، فسار علي من الكوفة إلى جهة معاوية،

(١) صفين : موضع بقرب الرّقة على شاطئ الفرات من غربيها. الكامل ج٣ص١٦١.

وقدم عليه عبد الله بن عباس ومن معه من أهل البصرة، فقال علي رضي الله عنه:

لأصبحن العاص وابن العاصي   سبعين ألفاً عاقدي النواصي
مجنبين الخيل بالقلاصِ   مستحقبين حلق الدلاص[١]

وحدا بعلي نابغة بني جعد الشاعر فقال:

قد علم المصران والعراقِ   أنّ علياً فحلها العتاقُ
أبيض جحجاح له رواقَ   إن الأولى جاروك لا أفاقوا
لكم سباق ولهم سباق   قد سلمتْ ذلكم الرفاق

وسار عمر ومعاوية من دمشق بأهل الشام إلى جهة علي، وتأنى معاوية في مسيره، حتى اجتمعت الجموع بصفين، وخرجت سنة ست وثلاثين والأمر على ذلك.

(ثم دخلت سنة سبع وثلاثين) والجيشان بصفين، ومضى المحرّم ولم يكن بينهم قتال، بل مراسلات يطول ذكرها، لم ينتظم بها أمر، ولما دخل صفر وقع بينهما القتال فيه، وكانت بينهم وقعات كثيرة بصفين، قيل كانت تسعين وقعة، وكان مدة مقامهم بصفين مائة وعشرة أيام، وكانت عدة القتلى بصفين من أهل الشام خمسة وأربعين ألفاً، ومن أهل العراق خمسة وعشرين ألفاً، منهم ستة وعشرون رجلاً من أهل بدر، وكان علي قد تقدم إلى أصحابه أن لا يقاتلوهم حتى يبدؤوا بالقتال، وأن لا يقتلوا مدبراً وألا يأخذوا شيئاً من أموالهم وأن لا يكشفوا عورة. قال معاوية أردت الانهزام بصفين، فتذكرت قول ابن الإطنابة فثبت، وكان جاهلياً، والإطنابة مرة وهو قوله:

أبت لي همتي وحياء نفسي   وإقدامي على البطل المشيح[٢]
وإعطائي على المكروه مالي   وأخذي الحمد بالثمن الربيح
وقولي كلما جاشت وجاشت   رويدك تحمدي أو تستريحي[٣]

وقاتل عمار بن ياسر رضي الله عنه مع علي قتالاً عظيماً، وكان قد نيف عمره على تسعين سنة، وكانت الحربة في يده ترعد؛ وقال: هذه راية قاتلت بها مع رسول الله ﷺ ثلاث مرات، وهذه الرابعة، ودعى بقدح من لبن فشرب منه ثم قال: صدق

---

(١) الدلاص: الدروع.
(٢) في الكامل: ابت لي عِفّتي فابى بلائي. ج٣ص١٨٢.
(٣) في الكامل وقولي كلّما جشأت وجاشت. ج٣ ص١٨٢.

الله ورسوله:

اليـــوم ألقـــى الأحبـة محمــــداً وحـــزبـــه

قال رسول الله ﷺ: «إن آخر رزقي من الدنيا ضيحة لبن»، والضيحُ: اللبن الرقيق الممزوج. وروي أنه كان يرتجز:

نحن قتلناكم على تأويله كما قتلناكم على تنزيله

ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

ولم يزل عمار المذكور يقاتل حتى استشهد رضي الله عنه، وفي الصحيح المتفق عليه، أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «يقتل عمار الفئة الباغية، قيل: إنّ الذي قتله، أبو عادية برمح، فسقط عمار، فجاء آخر فاحتز رأسه» واقبلا يختصمان إلى عمرو ومعاوية، كل منهما يقول: انا قتلته. فقال عمرو: إنكما في النار، فلما انصرفا قال معاوية لعمرو: ما رأيت مثل ما رأيت اليوم، صرفت قوماً بذلوا أنفسهم دوننا. فقال عمرو: هو والله ذلك، والله إنك لتعلمه، ولوددت أني مت قبل هذا بعشرين سنة.

وبعد قتل عمار رضي الله عنه انتدب علي اثني عشر الفاً، وحمل بهم على عسكر معاوية، فلم يبق لأهل الشام صف إلاّ انتقض وعلي يقول:

أقتلهــــم ولاأرى معـاويــــه الجاحظ العين العظيم الخاويه[1]

ثم نادى: يا معاوية، علام تقتل الناس ما بيننا، هلمّ أحاكمك إلى الله، فأينا قتل صاحبه استقامت له الأمور. فقال عمرو: أنصفك ابن عمك، فقال معاوية: ما أنصف، إنك تعلم أنه لم يبرز إليه أحد إلاّ قتله. فقال عمرو وما يحسن بك ترك مبارزته. فقال معاوية: طمعتَ في الأمر بعدي.

ثم تقاتلوا ليلة الهرير، شُبهت بليلة القادسية، وكانت ليلة الجمعة، واستمر القتال إلى الصبح، وقد روي أن علياً كبر تلك الليلة أربعمائة تكبيرة، وكانت عادته أنه كلما قتل قتيلاً كبر، ودام القتال إلى ضحى يوم الجمعة.

وقاتل الأشتر قتالاً عظيماً، حتى انتهى إلى معسكرهم، وأمدّه علي بالرجال، ولما رأى عمرو ذلك، قال لمعاوية: هلمّ نرفع المصاحف على الرماح، ونقول هذا

(١) في الكامل: الحاويه. ج٣ص١٨٩.

كتاب الله بيننا وبينكم، ففعلوا ذلك، ولما رأى أهل العراق ذلك قالوا لعلي : ألا نجيب إلى كتاب الله؟ فقال علي: امضوا على حقكم وصدقكم في قتال عدوكم، فإن عمرا ومعاوية وابن أبي معيط وابن أبي سرح والضحاك بن قيس، ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، وأنا أعرف بهم منكم، ويحكم، والله ما رفعوها إلا خديعة ومكيدة.

فقالوا: لا تمنعنا أن ندعى إلى كتاب الله، فنأبى . فقال علي: إني إنما قاتلتهم ليدينوا بحكم كتاب الله، فإنهم قد عصوا الله فيما أمرهم.

فقال له مسعود بن فدك التميمي، وزيد بن حصين الطائي في عصابة من الذين صاروا خوارج: يا علي أجب إلى كتاب الله إذا دعيتُ إليه، وإلا دفعناك برمتك إلى القوم، نفعل بك ما فعلنا بابن عفان.

فقال علي: إن تطيعوني فقاتلوا، وإن تعصوني فافعلوا ما بدا لكم. قالوا فابعث إلى الأشتر فليأتك، فبعث إليه يدعوه، فقال الأشتر: ليس هذه الساعة التي ينبغي لك أن تزيلني عن موقفي، فرجع الرسول وأخبره بالخبر، وارتفعت الأصوات وكثر الرهج من جهة الأشتر، فقالوا لعلي: ما نراك أمرته إلا بالقتال؟ فقال: هل رأيتموني ساررت الرسول إليه، أليس كلمته وأنتم تسمعون؟ فقالوا: فابعث إليه ليأتك وإلا اعتزلناك فرجع الرسول إلى الأشتر وأعلمه.

فقال: قد علمت والله أن رفع المصاحف يوقع اختلافاً، وإنها مشورة ابن العاهرة،فرجع الأشتر إلى علي وقال: خدعتم فانخدعتم، وكان غالب تلك العصابة الذين نهوا عن القتال قراء، ولما كفوا عن القتال سألوا معاوية: لأي شيء رفعت المصاحف؟ فقال: تنصبوا حكماً منكم وحكماً منا، ونأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله، ثم نتبع ما اتفقا عليه، فوقعت الإجابة من الفريقين إلى ذلك.

فقال الأشعث بن قيس وهو من أكبر الخوارج: إنا قد رضينا بأبي موسى الأشعري.

فقال علي: قد عصيتموني في أول الأمر فلا تعصوني الآن. لا أرى أن أولي أبا موسى.

فقالوا: لا نرضى إلا به.

فقال علي: إنه ليس بثقة؛ قد فارقني وخذل عني الناس، ثم هرب مني حتى أمنته بعدأشهر، ولكن ابن عباس أولى منه.

فقالوا: ابن عباس ابن عمك، ولا نريد إلاّ رجلاً هو منك ومن معاوية سواء.

قال علي: فالأشتر. فأبوا وقالوا: هل أسعرها إلاّ الأشتر.

فاضطر علي إلى إجابتهم، وأخرج أبا موسى، وأخرج معاوية عمرو بن العاص بن وائل، واجتمع الحكمان عند علي رضي الله عنه، وكتب بحضوره كتاب القصة وهو:

بسم الله الرحم الرحيم، هذا ما تقاضى أمير المؤمنين علي . فقال عمرو: هو أميركم، وأما أميرنا فلا. فقال الأحنف: لا تمح اسم أمير المؤمنين. فقال الأشعث بن قيس:امح هذا الاسم فأجاب علي ومحاه.

وقال علي: الله أكبر سنة بسنة، والله إني لكاتب رسول الله يوم الحديبية، فكتبت محمد رسول الله، فقالوا لست برسول الله، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، فأمرني رسول الله ﷺ بمحوه فقلت: لا أستطيع، فقال: فأرني، فأريته فمحاه بيده، فقال لي:«إنك ستدعى إلى مثلها فتجيب».

فقال عمرو:سبحان الله تشبهنا بالكفار ونحن مؤمنون.

فقال علي رضي الله عنه: يا ابن النابغة، ومتى لم تكن للفاسقين وليّاً وللمؤمنين عدواً.

فقال عمرو: والله لا يجمع بيني وبينك مجلس بعد اليوم. فقال علي: إني لأرجو أن يطهر الله مجلسي منك، ومن أشباهك.

وكتب الكتاب؛ فمنه: هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، قاضى علي على أهل الكوفة ومن معهم ، وقاضى معاوية على أهل الشام ومن معهم أنا تنزل عند حكم الله وكتابه، نحيي ما أحيى، ونميت ما أمات، فما وجد الحكمان في كتاب الله – وهما أبو موسى الأشعري عبدالله قيس وعمرو بن العاص– عملاً به، وما لم يجداً في كتاب الله فبالسنّة العادلة.

وأخذ الحكمان من علي ومعاوية ومن الجندين المواثيق، أنهما أمينان على أنفسهما وأهلهما، والأمة لهما أنصار على الذي يتقاضيان عليه، وأجلا القضاء إلى رمضان، من هذه السنة، وإن أحبا أن يؤخّرا ذلك أخراه. وكتب في يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين على أن يوافي علي ومعاوية موضع الحكمين، بدومة الجندل، في رمضان، فإن لم يجتمعا لذلك؛ اجتمعا في العام

المقبل بإذرح[1].

ثم سار علي إلى العراق، وقدم إلى الكوفة ولم تدخل الخوارج معه إلى الكوفة؛ واعتزلوا عنه، ثم في هذه السنة، بعث علي للميعاد أربعمائة رجل، فيهم أبو موسى الأشعري وعبد الله بن عباس ليصلي بهم، ولم يحضر علي. وبعث معاوية عمرو بن العاص في أربعمائة رجل، ثم جاء معاوية، واجتمعوا بإذرح وشهد معهم عبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، والمغيرة بن شعبة.

والتقى الحكمان؛ فدعى عمرو أبا موسى إلى أن تجعل الأمر إلى معاوية، فأبى وقال: لم أكن لأوليه وأدع المهاجرين الأولين،ودعى أبو موسى عمراً إلى أن يجعل الأمر إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب، فأبى عمرو، ثم قال عمرو: ما ترى انت؟ فقال أرى أن نخلع علياً ومعاوية؛ ونجعل الأمر شورى بين المسلمين، فاظهر لهم عمرو أن هذا هو الرأي؛ ووافقه عليه.

ثم اقبلا إلى الناس وقد اجتمعوا، فقال أبو موسى: إن رأينا قد اتفق على أمر نرجو به صلاح هذه الأمة. فقال عمرو: تقدّم فتكلم يا أبا موسى. فلماتقدّم لحقه عبد الله بن عباس وقال: ويحك والله إني أظن أنه خدعك إن كنتما قد اتفقتما على أمر فقدمه قبلك. فإني لا آمن أن يخالفك.فقال أبو موسى :إنا قد اتفقنا فحمد الله وأثنى عليه وقال: أيها الناس إنا لم نر أصلح لأمرهذه الأمة من أمر قد اجتمع عليه رأيي ورأي عمرو،وهو أن نخلع علياً ومعاوية، وتستقبل هذه الأمة هذا الأمر، فيولوا منهم من احبوا و إني قد خلعت علياً ومعاوية، فاستقبلوا أمركم وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر اهلاً.

ثم تنحّى واقبل عمرو فقام مقامه: فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :إن هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه، وانا أخلع صاحبه كما خلعه، وأثبت صاحبي فإنه ولي عثمان، والطالب بدمه، وأحق الناس بمقامه. فقال له أبو موسى :ما لك لا وفقك الله غدرت وفجرت.

وركب أبو موسى ولحق بمكة حياء من الناس،وانصرف عمرو وأهل الشام إلى معاوية فسلموا عليه بالخلافة، ومن ذلك الوقت أخذ أمر علي في الضعف،

---

(١) اذرح بلد في أطراف الشام من أعمال الشراة. البلدان ١ / ١٢٩.

وأمرمعاوية في القوة.

ولما اعتزلت الخوارج علياً دعاهم إلى الحق؛ فامتنعوا وقتلوا كل من أرسله إليهم، فسار إليهم وكانوا أربعة آلاف، ووعظهم ونهاهم عن القتل، فتفرقت منهم جماعة، وبقي مع عبد الله بن وهب جماعة على ضلالتهم، وقاتلوا فقتلوا عن آخرهم، ولم يقتل من أصحاب علي سوى سبعة أنفس، أولهم يزيد بن نويرة، وهو ممن شهد مع رسول الله ﷺ غزوة أُحد.

ولما رجع علي إلى الكوفة، حض الناس على المسير إلى قتال معاوية، فتقاعدوا وقالوا: نستريح ونصلح عدتنا، فاحتاج لذلك علي أن يدخل الكوفة.

(ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين) فيها جهز معاوية عمرو بن العاص بعسكر إلى مصر، وكتب محمد بن أبي بكر يستنجد علياً، فأرسل إليه الأشتر فلما وصل الأشتر إلى القلزم، سقاه رجل عسلاً مسموماً فمات منه، فقال معاوية: إن لله جنداً من عسل، وسار عمرو حتى وصل إلى مصر، وقاتله أصحاب محمد بن أبي بكر، فهزمهم عمرو، وتفرق عن محمد أصحابه، وأقبل محمديمشي حتى انتهى إلى خربة فقبض عليه وأتوا به إلى معاوية بن خديج فقتله، وألقاه في جيفة حمار وأحر قه بالنار، ودخل عمرو مصر وبايع أهلها لمعاوية.

ولما بلغ عائشة قتل أخيها محمد جزعت عليه وقنتت في دُبُر كل صلاة تدعو على معاوية وعمرو بن العاص، وضمت عيال أخيها محمد إليها، ولما بلغ علياً مقتله جزع عليه وقال: عند اللّه نحتسبه، وكان ذلك في هذه السنة أعني سنة ثمان وثلاثين (ثم) بث معاوية سراياه بالغارات على أعمال علي، فبعث النعمان بن بشير الأنصاري إلى عين التمر، فنهب وهزم كل من كان بها من أصحاب علي، وبعث سفيان بن عوف إلى هيت والأنبار والمدائن، فنهب وحمل كل ما كان بالأنبار من الأموال، ورجع بها إلى معاوية، وسير عبد الله بن مسعدة الفزاري إلى الحجاز، فجهز إليه علي خيلاً، فالتقوا بتيماء؛ وانهزم أصحاب معاوية ولحقوا بالشام، وتتابعت الغارات على بلاد علي رضي الله عنه، وهو في ذلك يخطب الناس الخطب البليغة، ويجتهد بحضّهم على الخروج إلى قتال معاوية، فيتقاعد عنه عسكره.

(ثم دخلت سنة تسع وثلاثين) والأمر على ذلك، وفيها سير عبد الله بن عباس، وكان عامل البصرة، زياداً إلى فارس، وكانت قد اضطربت لما حصل من قتال علي ومعاوية، فوصل إليها زياد وضبطها أحسن ضبط، حتى قالت الفرس: ما رأينا

مثل سياسة أنوشروان إلاّ سياسة هذا العربي .

(ثم دخلت سنة أربعين) وعلي بالعراق ومعاوية بالشام، وله معها مصر، وكان علي يقنت في الصلاة ويدعو على معاوية، وعلى عمرو بن العاص، وعلى الضحاك، وعلى الوليد بن عقبة، وعلى الأعور السلمي .

ومعاوية يقنت في الصلاة ويدعو على علي ، وعلى الحسن وعلى الحسين، وعلى عبد الله بن جعفر.

(وفي هذه السنة) سير معاوية بشر بن أرطأة في عسكر إلى الحجاز، فأتى المدينة وبها أبو أيوب الأنصاري عاملاً لعلي، فهرب ولحق بعلي، ودخل بشر المدينة وسفك فيها الدماء واستكره الناس على البيعة لمعاوية، ثم سار إلى اليمن وقتل الوفاً من الناس، فهرب منه عبيد الله بن العباس، عامل علي باليمن، فوجد لعبيد الله ابنين صبيين فذبحهما، وأتى في ذلك بعظيمة فقالت أمهما – وهي عائشة بنت عبد الله ابن عبد المدان – تبكيهما :

ها من أحسّ بابنيّ اللذين هما كالدرتين تشظى عنهما الصدف[١]
ها من أحس بابني اللذين هما قلبي وسمعي فقبلي اليوم مختطف[٢]
من ذل والهة حيرى مدلهة على صبيين ذلا إذ غدا السلف
خبرت بشراً وما صدقت ما زعموا من إفكهم ومن القول الذي اقترفوا[٣]
أنحا على ودجي ابني مرهفة مشحوذة وكذاك الإثم يقترف[٤]

(ذكر مقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه)

قيل اجتمع ثلاثة من الخوارج منهم عبد الرحمن بن ملجم المراديّ، وعمرو بن بكر التميمي، والبرُك بن عبد الله التميمي، ويقال إن اسمه الحجاج، فذكروا إخوانهم من المارقة المقتولين بالنهروان، فقالوا : لو قتلنا أئمة الضلالة أرحنا منهم البلاد، فقال ابن ملجم: أنا أكفيكم علياً، وقال البرك : أنا أكفيكم معاوية، وقال عمرو بن بكر: أنا أكفيكم عمرو بن العاص، وتعاهدوا أن لا يفر أحد منهم عن صاحبه الذي

(١) في الكامل : يا من . ج٣ ص٢٥١
(٢) في الكامل : يا من. ج٣ص٢٥١ .
(٣) نبئت بسراً ج٣ص٢٥١ .
(٤) أخي على ودجي ابني مرهفة من الشفار كذاك الإثم يعترف ج٣ص٢٥١ .

توجه إليه واستصحبوا سيوفاً مسمومة، وتواعدوا لسبع عشرة ليلة تمضي من رمضان، من هذه السنة، أعني سنة أربعين، أن يثب كل واحد منهم بصاحبه.

واتفق مع عبد الرحمن بن ملجم رجلان، أحدهما يقال له وردان من تيم الرباب، والآخر شبيب من أشجع، ووثبوا على علي وقد خرج إلى صلاة الغداة، فضربه شبيب فوقع سيفه في الطاق، وهرب شبيب فنجا في غمار الناس، وضربه ابن ملجم في جبهته، وأما وردان فهرب.

وأمسك ابن ملجم وأحضر مكتوفاً بين يدي علي، ودعا علي الحسن والحسين وقال: أوصيكما بتقوى الله، ولا تبغيا الدنيا، ولا تبكيا على شيء زوى عنكما منها، ثم لم ينطق إلاّ بلا إله إلا الله ،حتى قبض رضي الله عنه.

(وأما) البرك فوثب على معاوية في تلك الليلة، وضربه بالسيف فوقع في إلية معاوية، وأمسك البرك فقال له: إني أبشرك فلا تقتلني، فقال بماذا؟ قال إن رفيقي قتل علياً هذه الليلة، فقال معاوية: لعله لم يقدر، فقال بلى ، إن علياً ليس معه من يحرسه، فقتله معاوية.

(وأما) عمرو بن بكر، فإنه جلس تلك الليلة لعمرو بن العاص، فلم يخرج عمرو إلى الصلاة، وكان قد أمر خارجة بن أبي حبيبة، صاحب شرطته، أن يصلي بالناس، فخرج خارجة ليصلي بالناس، فشد عليه عمرو بن بكر، وهو يظن انه عمرو ابن العاص فقتله، فأخذه الناس وأتوا به عمراً، فقال: من هذا؟ قالوا عمرو. فقال: أنا مَنْ قتلت؟ قالوا: خارجة. فقال عمرو: أردت عمراً وأراد الله خارجة.

(ولما) مات علي أخُرج عبد الرحمن بن ملجم من الحبس، فقطع عبد الله بن جعفر يده، ثم رجله، وكحلت عيناه بمسمار محمى، وقطع لسانه، وأحرق، لعنه الله.

ولبعض الخوارج، وهو عمران بن حطان لعنه الله، يرثي ابن ملجم المذكور لعنه الله:

لله در المرادي الذي فتكت	كفاه مهجة شر الخلق إنسانا
يا ضربة من ولي ما اراد بها	إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره يوماً فأحسبه	أو فالخليقة عند الله ميزانا

واختلف في عمر علي رضى الله عنه، فقيل كان ثلاثاً وستين سنة، وقيل

خمساً وستين، وقيل تسعاً وخمسين، وكانت مدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر، وكان قتله ما ذكرنا صبيحة يوم الجمعة، لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان، سنة أربعين، واختلف في موضع قبره، فقيل دفن مما يلي قبلة المسجد بالكوفة، وقيل عند قصر الإمارة، وقيل حوله ابنه الحسن إلى المدينة، ودفنه بالبقيع عند قبر زوجته فاطمة رضى الله عنهما، والأصح وهو الذي ارتضاه ابن الأثير وغيره، أن قبره هو المشهور بالنجف، وهو الذي يزار اليوم.

(ذكر صفته رضي الله عنه)

كان شديد الأدمة، عظيم العينين، أصلع، عظيم اللحية، كثير شعر الصدر، مائلاً إلى القصر، حسن الوجه، لا يغير شيبه، كثير التبسم.

وكان حاجبه قنبر مولاه،وصاحب شرطته نعثل بن قيس الرياحي، وكان قاضيه شريح، وكان قد ولاه عمر قضاء الكوفة، ولم يزل قاضياً بها إلى أيام الحجاج بن يوسف، وأول زوجة تزوج بها علي رضي الله عنه، فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ولم يتزوج غيرها في حياتها، وولد له منها الحسن والحسين ومحسن، ومات صغيراً ،

وزينب وأم كلثوم التي تزوجها عمر بن الخطاب، ثم بعد موت فاطمة تزوج أم البنين بنت حزام الكلابية، فولد له منها العباس وجعفر وعبد الله وعثمان، قتل هؤلاء الأربعة مع أخيهم الحسين، ولم يعقب منهم غير العباس، وتزوج ليلى بنت مسعود ابن خالد النهشلي التميمي، وولد له منها عبيد الله، وأبو بكر قتلا مع الحسين أيضاً، وتزوج أسماء بنت عميس، وولد له منها محمد الأصغر ويحيى، ولا عقب لهما، وولد له من الصهباء بنت ربيعة التغلبية وهي من السبي الذي اغار عليهم خالد ابن الوليد بعين التمر عمر ورقية، وعاش عمر المذكور حتى بلغ من العمر خمساً وثمانين سنة، وحاز نصف ميراث أبيه علي؛ ومات بينبع وله عقب، وتزوج علي أيضاً أمامة بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد شمس بن عبد مناف، وأمها زينب بنت رسول الله ﷺ، وولد له منها محمد الأوسط، ولا عقب له، وولد له من خولة بنت جعفر الحنفية محمد الأكبر المعروف بابن الحنفية، وله عقب، وكان له بنات من امهات شتى، منهن: أم حسن ورملة الكبرى من أم سعيد بنت عروة، ومن بناته أم هاني وميمونة وزينب الصغرى ورملة الصغرى وأم كلثوم الصغرى وفاطمة وأمامة وخديجة وأم الكرام وأم سلمة وأم جعفر وجمانة ونفيسة، فجمع بنيه الذكور أربعة عشر، لم يعقب منهم إلاّ خمسة الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية والعباس وعمر.

(ذكر شيء من فضائله)

من ذلك مشاهده المشهورة بين يدي رسول الله ﷺ، وأخوة رسول الله ﷺ له، وسبق إسلامه، وقول رسول الله ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، وقول رسول الله ﷺ فيه في غزوة حنين[1]: لأبعثن الراية غداً مع رجل يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، وقوله صلى الله عليه وسلم له: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى» وقال عليه السلام «أقضاكم علي» والقضاء يستدعي معرفة أبواب الفقه كلها، بخلاف قوله: «أفرضكم زيد»، وأقرأكم أبي، ولم يبن علي بناء أصلاً، وكان قد ضاع لعلي درع فوجده مع نصراني، فأقبل به إلى شريح القاضي وجلس إلى جانبه وقال: لو كان خصمي مسلماً لساويته، وقال: هذه درعي، فقال النصراني ما هي إلا درعي فقال شريح لعلي: ألك بينة؟ فقال علي لا، وهو يضحك. فأخذ النصراني الدرع ومشى يسيراً ثم عاد وقال: أشهد أن هذه أحكام الأنبياء، ثم أسلم واعترف أن الدرع سقطت من علي عند مسيره إلى صفين، ففرح علي بإسلامه ووهبه الدرع وفرساً. وشهد مع علي قتال الخوارج، فقتل رحمه الله تعالى.

وحمل علي في ملحفته تمراً اشتراه بدرهم، فقيل له: يا أمير المؤمنين الا نحمله عنك، فقال: أبو العيال أحق بحمله.

وكان يقسم ما في بيت المال كل جمعة، حتى لا يترك فيه شيئاً، ودخل مرة إلى بيت المال فوجد الذهب والفضة، فقال: ياصفراء اصفري ويا بيضاء ابيضي واغري غيري، لا حاجة لي فيك.

وقصده أخوه لأبيه وأمه عقيل بن أبي طالب يسترفده، فلم يجد عنده ما يطلب، ففارقه ولحق بمعاوية حباً للدنيا، وكان مع معاوية يوم صفين، فقال له معاوية يمازحه: يا أبا يزيد أنت اليوم معنا. فقال عقيل: ويوم بدر كنت أيضاً معكم، وكان عقيل يوم بدر مع المشركين هو وعمه العباس.

(أخبار الحسن ابنه) ولما توفي علي رضي الله عنه بايع الناس ابنه الحسن، وكان عبد الله بن العباس قد فارق علياً قبل مقتله، وأخذ من البصرة مالاً وذهب به إلى مكة، وجرت بينه وبين علي مكاتبات في ذلك، ولما تولى الحسن الخلافة، كتب إليه ابن عباس يقوي عزيمته على جهاد عدوه، وكان أول من بايع الحسن، قيس

---

(١) في الكامل: في غزوة خيبر. ج٢ص١٠١.

ابن سعد بن عبادة الأنصاري، فقال: أبسط يدك على كتاب الله وسنة رسوله وقتال المخالفين، فقال الحسن: على كتاب الله وسنة رسوله، فإنهما ثابتان، وبايعه الناس، وكان الحسن يشترط أنكم سامعون مطيعون، تسالمون من سالمت وتحاربون من حاربت، فارتابوا من ذلك وقالوا: ما هذا لكم بصاحب، وما يريد إلاّ القتال. (ثم دخلت سنة إحدى وأربعين).

(ذكر تسليم الحسن الأمر إلى معاوية)

قيل: كان علي قبيل موته، قد بايعه أربعون ألفاً من عسكره على الموت، وأخذ في التجهز إلى قتال معاوية، فاتفق مقتله، ولما بويع الحسن، بلغه مسير أهل الشام إلى قتاله مع معاوية، فتجهز الحسن في ذلك الجيش، الذين كانوا قد بايعوا أباه، وسار عن الكوفة إلى لقاء معاوية، ووصل إلى المدائن، وجعل الحسن على مقدمته قيس بن سعد في اثني عشر ألفاً، وقيل بل الذي جعله على مقدمته عبيد الله ابن عباس، وجرى في عسكره فتنة، قيل حتى نازعوا الحسن بساطاً كان تحته، فدخل المقصورة البيضاء بالمدائن، وازداد لذلك العسكر بغضاً ومنهم ذعراً.

ولما رأى الحسن ذلك، كتب إلى معاوية، واشترط عليه شروطاً وقال إن أجبت إليها فأنا سامع مطيع، فأجاب معاوية إليها، وكان الذي طلبه الحسن أن يعطيه ما في بيت مال الكوفة، وخراج دارا بجرد من فارس، وأن لا يسب علياً، فلم يجبه إلى الكف عن سبّ علي، فطلب الحسن أن لا يشتم عليا، وهو يسمع، فأجابه إلى ذلك، ثم لم يفِ له به، وقيل إنه وصله بأربعمائة ألف درهم، ولم يصل إليه شيء من خراج دارا بجرد، ودخل معاوية الكوفة، فبايعه الناس، وكتب الحسن إلى قيس بن سعد، يأمره بالدخول في طاعة معاوية، ثم جرت بين قيس وعبيد الله بن عباس، وبين معاوية، مراسلات، وآخر الأمر أنهما بايعا ومن معهما، وشرطا أن لا يطالبا بمال ولادم، ووفى لهما معاوية بذلك، ولحق الحسن بالمدينة وأهل بيته، وقيل كان تسليم الحسن الأمر إلى معاوية في ربيع الأول سنة إحدى وأربعين، وقيل في ربيع الآخر، وقيل في جمادى الأولى، وعلى هذا فتكون خلافته على القول الأول، خمسة أشهر ونحو نصف شهر، وعلى الثاني ستة أشهر وكسراً، وعلى الثالث سبعة أشهر وكسراً.

(روى) سفينة أنّ النبي ﷺ قال: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم يعود ملكاً عضوضاً». وكان آخر الثلاثين يوم خلع الحسن نفسه من الخلافة، وأقام الحسن بالمدينة إلى أن توفي بها في ربيع الأول، سنة تسع وأربعين، وكان مولده بالمدينة

سنة ثلاث من الهجرة، وهو أكبر من الحسين بسنة، وتزوج الحسن كثيراً من النساء، وكان مطلاقاً، وكان له خمسة عشر ولداً ذكراً، وثماني بنات، وكان يشبه جده رسول الله ﷺ من رأسه إلى سرته، وكان الحسين يشبه جده رسول الله ﷺ من سرته إلى قدمه.

وتوفي الحسن من سم سقته زوجته جعدة بنت الأشعث، قيل فعلت ذلك بأمر معاوية، وقيل بأمر يزيد بن معاوية، ووعدها أنه يتزوجها إن فعلت ذلك، فسقته السم وطالبت يزيد أن يتزوجها فأبى.

وكان الحسن قد أوصى أن يدفن عند جده رسول الله ﷺ، فلما توفي أرادوا ذلك، وكان على المدينة مروان بن الحكم من قبل معاوية، فمنع من ذلك، وكاد يقع بين بني أمية وبين بني هاشم بسبب ذلك فتنة، فقالت عائشة رضي الله عنها: البيت بيتي ولا آذن أن يدفن فيه، فدفن بالبقيع، ولما بلغ معاوية موت الحسن خرّ ساجداً.

فقال بعض الشعراء:

أصبح اليوم ابن هند شامتاً ... ظاهر النخوة إذ مات الحسن
يا ابن هند إن تذق كأس الردى ... تكُ في الدهر كشيء لم يكن
لست بالباقي فلا تشمت به ... كل حي للمنايا مرتهن

ومن فضائل الحسن في الصحيح قول النبي ﷺ: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خير منهما»، وروي أنه قال عن الحسن: «إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين»، وروي أنه مر بالحسن والحسين وهما يلعبان، فطاطالهما عنقه وحملهما، وقال: «نعم المطية مطيتهما، ونعم الراكبان هما».

ذكر خلفاء بني أمية

وهم أربعة عشر خليفة، أولهم معاوية بن أبي سفيان، وآخرهم مروان الجعدي وكان مدة ملكهم نيفاً وتسعين سنة، وهي ألف شهر تقريباً، قال القاضي جمال الدين ابن واصل رحمه الله: إن ابن الأثير قال في تاريخه، إنه لما سار الحسن من الكوفة، عرض له رجل فقال: يا مسوّد وجوه المؤمنين. فقال لا تعذلني فإن رسول الله ﷺ أُري في منامه، إن بني امية ينزّون على منبره رجلاً فرجلاً، فساءه ذلك، فأنزل الله تعالى ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ [الكوثر:١] ﴿وإنا أنزلناه في ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ [القدر:١] يملكها بعد بنو امية.

(ذكر أخبار معاوية بن أبي سفيان)

ابن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وأمه هند بنت عتبة، ويكنى أبا عبد الرحمن، وبويع بالخلافة يوم اجتماع الحكمين، وقيل ببيت المقدس بعدقتل علي، وبويع البيعة التامة لما خلع الحسن نفسه، وسلم الأمر إليه، واستمر معاوية في الخلافة.

(ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين) (وسنة ثلاث وأربعين)، فيها توفي عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي القرشي السهمي، وعمرو المذكور، هو أحد الثلاثة الذين كانوا يهجون رسول الله ﷺ، وهم عمرو بن العاص، وأبو سفيان بن حرب، وعبد الله بن الزبعرى، وكان يجيبهم عن رسول الله ﷺ ثلاثة أيضاً، وهم حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك، وكانت مصر طمعة لعمرو من معاوية، بعد رزق جندها، حسب ما كان شرطه له لمعاوية، عند اتفاقه معه على حرب علي بن أبي طالب، رضى الله عنه، وفي ذلك يقول عمرو:

معاوي لا أعطيك ديني ولم أنل ... به منك دنيا فانظرن كيف تصنعُ
فإن تعطني مصرا ربحت بصفقة ... أخذت بها شيخاً يضر وينفع

ولما مات عمرو ولى معاوية مصر ابنه عبد الله بن عمرو، ثم عزله عنها، (ثم

دخلت سنة أربع وأربعين)

(ذكر استلحاق معاوية زياداً)

(وفي هذه السنة)، استلحق معاوية زياد بن سمية، وكانت سمية جارية للحارث بن كلدة الثقفي، فزوجها بعبد له رومي، يقال له عبيد، فولدت سمية زياداً على فراشه، فهو ولد عبيد شرعاً.

وكان أبو سفيان قد سار في الجاهلية الى الطائف، فنزل على إنسان يبيع الخمر، يقال له أبو مريم، أسلم بعد ذلك، وكانت له صحبة فقال له أبو سفيان: قد اشتهيت النساء، فقال أبو مريم: هل لك في سمية؟ فقال أبو سفيان: هاتها على طول ثدييها، وذفرة بطنها. فأتاه بها، فوقع عليها، فيقال إنها علقت منه بزياد ثم وضعته في السنة التي هاجر فيها رسول الله ﷺ.

ونشأ زياد فصيحاً، وحضر زياد يوماً بمحضر من جماعة من الصحابة، في خلافة عمر، فقال عمرو بن العاص، لو كان أبو هذا الغلام من قريش، لساق العرب بعصاه، فقال أبو سفيان لعلي بن أبي طالب: إني لأعرف من وضعه في رحم أمه. فقال علي فما يمنعك من استلحاقه؟ قال: أخاف الأصلع، يعني عمر، أن يقطع إهابي بالدرة.

ثم لما كان قضية شهادة الشهود على المغيرة بالزنا، وجلدهم، ومنهم أبو بكرة أخو زياد لأمه، وامتناع زياد عن التصريح كما ذكرنا، اتخذ المغيرة بذلك لزياد يداً، ثم لما ولي علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخلافة، استعمل زياداً على فارس، فقام بولايتها أحسن قيام، ولما سلّم الحسن الأمر إلى معاوية، امتنع زياد بفارس، ولم يدخل في طاعة معاوية، وأهمل معاوية أمره، وخاف أن يدعو إلى أحد من بني هاشم، ويعيد الحرب، وكان معاوية قدولّى المغيرة بن شعبة الكوفة، فقدم المغيرة على معاوية، سنة اثنتين وأربعين، فشكا إليه معاوية امتناع زياد بفارس، فقال المغيرة: أتأذن لي في المسير إليه: فأذن له. وكتب معاوية لزياد أماناً، فتوجّه المغيرة إليه، لما بينهما من المودة، وما زال عليه حتى أحضره إلى معاوية، وبايعه، وكان المغيرة يكرم زياداً ويعظمه، من حين كان منه في شهادة الزنا ما كان.

فلما كانت هذه السنة، أعني سنة أربع وأربعين، استلحق معاوية زياداً، فأحضر الناس، وحضر من يشهد لزياد بالنسب، وكان ممن حضر لذلك، أبو مريم الخمار،

الذي أحضر سمية الى أبي سفيان بالطائف، فشهد بنسب زياد من أبي سفيان، قال: إني رأيت أسكتي سمية، يقطران من مني أبي سفيان، فقال زياد: رويدك، طلبت شاهداً ولم تطلب شتاماً، فاستلحقه معاوية، وهذه أول واقعة خولفت فيها الشريعة علانية، لصريح قول النبي ﷺ، «الولد للفراش، وللعاهر الحجر»، وأعظَمَ الناس ذلك وأنكروه، خصوصاً بنو أمية، لكون زياد بن عبيد الرومي، صار من بني أمية بن عبد شمس، وقال عبد الرحمن بن الحكم اخو مروان في ذلك:

ألا أبلغ معاوية بن صخر … لقد ضاقت بما تأتي اليدان
أتغضبُ أن يقال أبو عف … وترضى ان يقال أبوك زاني
وأشهد أن رحمك من زياد … كرحم الفيل من ولد الأتان

ثم ولّى معاوية زياداً البصرة، وأضاف إليه خراسان وسجستان، ثم جمع له الهند والبحرين وعُمان.

(وفيها) أعني سنة أربع وأربعين، توفيت أم حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي ﷺ.

(ثم دخلت سنة خمس وأربعين)، فيها قدم زياد إلى البصرة، فشدد أمر السلطنة، وأكد الملك لمعاوية، وجرد السيف، وأخذ بالظنة، وعاقب على الشبهة، فخاف الناس خوفاً شديداً، وذكر انه لم يخطب أحد بعد علي بن أبي طالب رضي الله عنه مثل زياد.

ولما مات المغيرة سنة خمسين وكان عاملاً لمعاوية على الكوفة، ولّى معاوية الكوفة أيضاً زياداً، فسار زياد إليها واستخلف على البصرة سمرة بن جندب، فحذا حذو زياد في سفك الدماء، وكان زياد يقيم بالكوفة ستة أشهر، وفي البصرة مثلها، وهو أول من سير بين يديه بالحراب والعمد، واتخذ الحرس خمس مائة لا يفارقون مكانه.

(وكان) معاوية وعماله يدعون لعثمان في الخطبة يوم الجمعة، ويسبون علياً، ويقعون فيه، ولما كان المغيرة متولي الكوفة، كان يفعل ذلك طاعة لمعاوية، فكان يقوم حجر وجماعة معه، فيردون عليه سبّه لعلي رضي الله عنه، وكان المغيرة يتجاوز عنهم، فلما ولي زياد، دعا لعثمان وسب علياً، وما كانوا يذكرون علياً باسمه، وإنما كانوا يسمونه بأبي تراب، وكانت هذه الكنية أحب الكنى إلى علي، لان رسول الله ﷺ، كناه بها، فقام حجر وقال: كما كان يقول من الثناء على علي، فغضب زياد

وامسكه، واوثقه بالحديد، وثلاثة عشر نفراً معه، وأرسلهم إلى معاوية، فشفع في ستة منهم عشائرهم، وبقي ثمانية، منهم: حجر، فارسل معاوية من قتلهم بعذرا، وهي قرية بظاهر دمشق، رضي اللّه عنهم، وكان حجر من أعظم الناس ديناً وصلاة، وارسلت عائشة تتشفع في حجر، فلم يصل رسولها إلاّ بعد قتله.

قال القاضي جمال الدين بن واصل، وروى ابن الجوزي بإسناده عن الحسن البصري أنه قال: أربع خصال كن في معاوية، لو لم يكن فيه إلا واحدة لكانت موبقة، وهي أخذه الخلافة بالسيف من غير مشاورة، وفي الناس بقايا الصحابة، وذوو الفضيلة، واستخلافه ابنه يزيد، وكان سكيراً خميراً يلبس الحرير، ويضرب بالطنابير، وادعاؤه زياداً، وقد قال رسول اللّه ﷺ الولد للفراش، والعاهر للحجر، وقتله حجر بن عدي وأصحابه، فيا ويلاً له من حجر وأصحاب حجر.

وروي عن الشافعي رحمة اللّه عليه، انه أسرّ إلى الربيع، انّه لا يقبل شهادة أربعة من الصحابة، وهم معاوية، وعمرو بن العاص، والمغيرة، وزياد.

(وفيها) أعني سنة خمس وأربعين، توفي عبد الرحمن بن خالد[1] بن الوليد، وكان أهل الشام قد مالوا إليه جداً، فدس إليه معاوية سماً مع نصراني يقال له اثال، فاغتاله به.

(ثم دخلت سنة ست وأربعين) (وسنة سبع وأربعين) فيها توفي قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر، وإليه ينسب، فيقال المنقري، وفد على النبي صلى اللّه تعالى عليه وسلم في وفد بني تميم فأسلم، وكان قيس المذكور موصوفاً بمكارم الأخلاق.

(ثم دخلت سنة ثمان وأربعين)

(ذكر غزوة القسطنطينية)[2]

في هذه السنة، أعني سنة ثمان وأربعين، سيّر معاوية جيشاً كثيفاً مع سفيان ابن عوف، إلى القسطنطينية، فأوغلوا في بلاد الروم، وحاصروا القسطنطينية، وكان في ذلك الجيش، ابن عباس، وعمرو بن الزبير، وابو أيوب الأنصاري.

---

(١) في الكامل: توفي عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، سنة ست وأربعين. ج٣ ص٣٠٩

(٢) في الكامل: تمت غزوة القسطنطينية سنة تسع وأربعين. ج٣ص٣١٤.

وتوفي في مدة الحصار أبو أيوب الأنصاري، ودفن بالقرب من سورها، وشهد أبو أيوب مع النبي ﷺ بدراً واحداً، وشهد مع علي صفين، وغيرها من حروبه.

(ثم دخلت سنة تسع وأربعين) (وسنة خمسين)، فيها بنيت القيروان، وكمل بناؤها في سنة خمس وخمسين، وكان من حديثها أنَّ معاوية ولى عقبة بن نافع إفريقية وكان عقبة المذكور صحابياً من الصالحين، فوضع السيف في أهل إفريقية، لأنهم كانوا يرتدون إذا فارقهم العسكر، وكان مقام الولاة بزويلة وبرقة،فرأى عقبة أن يتخذ مدينة بتلك البلاد، تكون مقراً للعسكر، واختار موضع القيروان، وكان دخلة مشتبكة فقطع أشجارها وبناها مدينة، وهي مدينة القيروان.

(وفيها) أعني في سنة خمسين، توفي دحية الكلبي، وهو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة، منسوب إلى كلب بن وبرة، أسلم قديماً، ولم يشهد بدراً، قال النبي ﷺ: «أشبه من رأيت بجبريل، دحية الكلبي».

(ثم دخلت سنة إحدى وخمسين)، فيها توفي سعيد بن زيد أحد العشرة المشهود له بالجنة، رضي الله عنهم.

(ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين) (وسنة ثلاث وخمسين). فيها هلك زياد ابن أبيه، في رمضان، من أكلة[1] في إصبعه وكان مولده عام الهجرة.

(ثم دخلت سنة أربع وخمسين) (وسنة خمس وخمسين) (وسنة ست وخمسين) وفيها ولّى معاوية سعيد بن عثمان بن عفان، خراسان، فقطع نهر جيحون إلى سمرقند[2]، والصغد، وهزم الكفار، وسار إلى ترمذ[3] ففتحها صلحاً.

وممن قتل معه في هذه الغزوة (قثم) بن العباس، ودفن بسمرقند، ومات أخوه (عبد الله) بن العباس بالطائف، (والفضل) بالشام، (ومعبد) بإفريقية، فيقال: لم يرَ قبور إخوة أبعد من قبور هؤلاء الإخوة بني العباس.

(وفي هذه السنة) بايع معاوية الناس لابنه يزيد بولاية العهد بعده، وبايعه أهل الشام والعراق، وكان المتولي على المدينة من جهة معاوية، مروان بن الحكم، فأراد

---

(١) في الكامل: خرجت طاعونه على إصبع يمينه فمات منها. ج٣ص٣٤١.
(٢) سمرقند: بلد معروف مشهور بما وراء النهر في الإقليم الرابع، البلدان ٣/٢٤٦.
(٣) ترمز: مدينة مشهورة راكبة على نهر جيحون من جانبه الشرقي. البلدان ٢/٢٦.

البيعة له، فامتنع من ذلك الحسين، وعبد اللّه بن عمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد اللّه بن الزبير، وامتنع الناس لامتناعهم، وآخر الأمر أن معاوية قدم بنفسه إلى الحجاز، ومعه ألف فارس، وتحدث مع عائشة في أمرهم، وآخر الأمر، أنه بايع ليزيد أهل الحجاز، وتأخر المذكورون عن البيعة.

ويروى أنّ معاوية قال لابنه يزيد: إني مهدت لك الأمور، ولم يبق أحد لم يبايعك غير هؤلاء الأربعة، فأمّا عبد الرحمن، فرجل كبير، تهابه اليوم أوغداً، وأمّا ابن عمر، فرجل قد غلب عليه الورع، وأمّا الحسين فله قرابة، فإن ظفرت به، فاصفح عنه، وأمّا ابن الزبير، فإن ظفرت به، فقطعه إرْباً إرْباً.

(ثم دخلت سنة سبع وخمسين) (وسنة ثمان وخمسين) فيها توفيت أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق، زوج النبي ﷺ، رضي اللّه عنها.

(وفيها)، توفي أخوها عبد الرحمن بن أبي بكر.

(ثم دخلت سنة تسع وخمسين)، فيها توفي سعيد بن العاص بن أمية، ولد عام الهجرة، وقُتل أبوه العاص يوم بدر كافراً، وكان سعيد من أجواد بني أمية. (وفي هذه السنة) أعني سنة تسع وخمسين مات الحطيئة، واسمه جرول بن مالك، لقب الحطيئة لقصره، أسلم ثم ارتد، ثم أسلم، وقال عند موت النبي ﷺ وارتداد العرب:

أطعنا رسول اللّه ما كان بيننا	فيا لعباد اللّه ما لأبي بكر
أيورثها بكراً إذا مات بعده	وتلك لعمر اللّه قاصمة الظهر

(وفيها) توفي أبو هريرة، واختُلف في اسمه ونسبه، وهو ممن لازم خدمة رسول اللّه ﷺ، وروى عنه الكثير، فاتهمه بعض الناس لكثرة مارواه من الأحاديث، والأكثر يصححون روايته ولا يشكون فيها.

(ثم دخلت سنة ستين)

(ذكر وفاة معاوية)

(وفيها) في رجب توفي معاوية بن أبي سفيان، وكانت مدة خلافته تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وسبعة وعشرين يوماً، منذ اجتمع له الأمر، وبايعه الحسن بن علي، وكان عمره خمساً وسبعين، وقيل سبعين، وقيل غير ذلك، وأنشد معاوية وقد تجلد للعائدين:

وتجلّـدي للشامتين أريهُـم أنّي لريبِ الدهرِ لا أتضَعْضَعُ[١]
وإذا المنيّةُ أنشبتْ أظفارها ألفيت كلّ تميمةٍ لا تنفعُ

ولما توفي معاوية، خرج الضحاك بن قيس حتى أتى المنبر، فصعده ومعه أكفان معاوية فأثنى على معاوية، وأعلم الناس بموته، وأنّ هذه أكفانه، ثم صلى عليه الضحاك، وكان يزيد غائباً بقرية حوارينِ[٢] من عمل حمص، فكتبوا إليه وطلبوه، فحضر بعد دفن أبيه فصلّى على قبره.

(ذكر أخبار معاوية)

أسلم معاوية مع أبيه عام الفتح، واستكتبه النبي ﷺ، واستعمله عمر على الشام أربع سنين من خلافته، وأقره عثمان مدة خلافته، نحو اثنتي عشرة سنة، وتغلب على الشام محارباً لعلي أربع سنين، فكان أميراً وملكاً على الشام نحو أربعين سنة، وكان حليماً حازماً داهية، عالماً بسياسة الملك، وكان حلمه قاهراً لغضبه، وجوده غالباً على منعه، يصل ولا يقطع.

ومما يُحكى عن حلمه من تاريخ القاضي جمال الدين بن واصل، أنّ أروى بنت الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، دخلت على معاوية وهي عجوز كبيرة، فقال لها معاوية: مرحباً بك ياخالة، كيف أنت؟ فقالت بخير يا ابن أختي، لقد كفرت النعمة، وأسأت لابن عمك الصحبة، وتسميت بغير اسمك، وأخذت غير حقك، وكنا أهل البيت أعظم الناس في هذا الدين بلاء، حتى قبض الله نبيه، مشكوراً سعيه، مرفوعاً منزلته، فوثبت علينا بعده تيم وعدي وأمية، فابتزونا حقنا، ووليتم علينا، فكنا فيكم بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون، وكان علي بن أبي طالب بعد نبينا، بمنزلة هارون من موسى.

فقال لها عمرو بن العاص: كفي أيتها العجوز الضالة، واقصري عن قولك مع ذهاب عقلك. فقالت: وأنت ياابن النابغة، تتكلم وأمّك كانت أشهر بغي بمكة، وأرخصهن أجرة، وادعاك خمسة من قريش، فسُئلتْ أمك عنهم فقالت: كلّهم أتاني، فانظروا أشبههم به، فالحقوه به، فغلب عليك شبه العاص بن

---

(١) البيتان لأبي ذؤيب الهذلي. ديوانه ١/٣٨ - الكامل ج٣ص٣٦٩.
(٢) في الكامل: خوارين: ج٣ص٣٧١.

وائل، فالحقوك به.

فقال لها معاوية: عفا الله عما سلف، هاتي حاجتك. فقالت: أريد ألفي دينار، لأشتري بها عيناً فوارة، في أرض خرارة، تكون الفقراء بني الحارث بن عبد المطلب، وألفي دينار أخرى، أزوّج بها فقراء بني الحارث، وألفي دينار أخرى، أستعين بها على شدة الزمان، فأمر لها معاوية بستة آلاف دينار، فقبضتها وانصرفت.

ومعاوية أول خليفة بايع لولده، وأول من وضع البريد، وأول من عمل المقصورة في مسجد، وأول من خطب جالساً، في قول بعضهم، وكان عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ممن يرى سماع الأوتار والغناء، وهو رأي أهل المدينة، وكان معاوية ينكر ذلك عليه، فدخل ابن جعفر يوما على معاوية ومعه بديح المغني، فقال ابن جعفر لبديح: غنِّ، فغنى بشعر كان يحبه معاوية وهو:

يالُبينى أوقدي النارا ... إنّ من تهوين قد حارا

رب نار بِتُّ أرمقها ... تقضم الهنديّ والغارا

ولها ظبي يؤججها ... عاقد في الخصر زنارا

فطرب معاوية وتحرك، وضرب برجله الأرض، فقال له ابن جعفر: مَهْ[1] ياأمير المؤمنين. فقال معاوية: إنّ الكريم لطروب، وقال معاوية: أعنت على علي بثلاث: كان رجلاً ظهرت علته، وكنت كتوماً لسري، وكان في أخبث جند، وأشده خلافاً، وكنت في أطوع جند وأقله خلافاً. وخلا بأصحاب الجمل فقلت: إن ظفر بهم، أعددت ذلك عليه وَهْناً، وإن ظفروا به، كانوا أهوَنَ شوكة عليّ منه.

(أخبار يزيد ابنه) وهو ثاني خلفائهم، وأم يزيد ميسون بنت بحدل الكلبية، بويع بالخلافة لما مات أبوه في رجب سنة ستين، ولما استقر يزيد في الخلافة، أرسل إلى عامله بالمدينة بإلزام الحسين وعبد الله بن الزبير وابن عمر بالبيعة، فأما ابن عمر فقال: إن أجمع الناس على بيعته بايعته، وأمّا الحسين وابن الزبير فلحقا بمكة، ولم يبايعا، وأرسل عامل المدينة جيشاً مع عمرو بن الزبير، أخي عبد الله بن الزبير، وكان شديد العداوة لأخيه عبد الله، لقتال أخيه عبد الله، فانتصر عبد الله بن الزبير، وهزم الجمع الذي مع أخيه، وأمسك أخاه عمراً وحبسه حتى مات في حبسه.

(ذكر مسير الحسين إلى الكوفة)

وورد على الحسين مكاتبات أهل الكوفة، يحثونه على المسير إليهم ليبايعوه،

---

(١) مَهْ: أي كُفَّ.

وكان العامل عليها النعمان بن بشير الأنصاري، فأرسل الحسين إلى الكوفة، ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب، ليأخذ البيعة عليهم، فوصل إلى الكوفة، وبايعه بها قيل ثلاثون ألفاً، وقيل ثمانية وعشرون ألف نفس.

وبلغ يزيد عن النعمان بن بشير ما لايرضيه، فولّى على الكوفة عبيد الله بن زياد، وكان والياً على البصرة، فقدم الكوفة، ورأى ما الناس عليه، فخطبهم وحثهم على طاعة يزيد بن معاوية، واستمر مسلم بن عقيل عند قدوم عبيد الله بن زياد على ما كان، ثم اجتمع إلى مسلم بن عقيل من كان بايعه للحسين، وحصروا عبيد الله بن زياد بقصره، ولم يكن مع عبيد الله في القصر أكثر من ثلاثين رجلاً، ثم إن عبيد الله أمر أصحابه أن يشرفوا من القصر، ويمنّوا أهل الطاعة، ويخذلوا أهل المعصية، حتى أن المرأة ليأتي ابنها وأخاها فتقول: انصرف إن الناس يكفونك، فتفرق الناس عن مسلم، ولم يبق مع مسلم غير ثلاثين رجلاً، فانهزم واستتر، ونادى منادي عبيد الله ابن زياد، من أتى بمسلم بن عقيل فله ديته، فامسك مسلم وأُحضر إليه، ولما حضر مسلم بين يدي عبيد الله، شتمه وشتم الحسين وعلياً، وضرب عنقه في تلك الساعة، ورميت جيفته من القصر، ثم أُحضر هانىء بن عروة، وكان ممن أخذ البيعة للحسين، فضرب عنقه أيضاً، وبعث برأسيهما إلى يزيد بن معاوية، وكان مقتل مسلم بن عقيل، لثمان مضين من ذي الحجة، سنة ستين.

وأخذ الحسين وهو بمكة في التوجه إلى العراق، وكان عبد الله بن عباس يكره ذهاب الحسين الى العراق، خوفاً عليه، وقال للحسين: يا ابن العم، إني أخاف عليك أهل العراق، فإنهم قوم أهل غدر، وأقم بهذا البلد، فإنك سيد أهل الحجاز، وإن أبيت إلاّ أن تخرج، فسر إلى اليمن، فإن بها شيعة لأبيك، وبها حصون وشعاب.

فقال الحسين: يا ابن العم، إني أعلم والله أنك ناصح مشفق، ولقد أزمعت وأجمعت، ثم خرج ابن عباس من عنده، وخرج الحسين من مكة يوم التروية، سنة ستين، واجتمع عليه جمائع من العرب، ثم لما بلغه مقتل ابن عمه مسلم بن عقيل وتخاذل الناس عنه، وأعلم الحسين من معه بذلك وقال: من أحب أن ينصرف فلينصرف، فتفرق الناس عنه يميناً وشمالاً، ولما وصل الحسين إلى مكان يقال له سراف، وصل إليه الحر[1]، صاحب شرطة عبد الله بن زياد في ألفي فارس، حتى وقفوا مقابل الحسين، في حرّ الظهيرة، فقال لهم الحسين: ما أتيت إلا بكتبكم، فإن

(١) الحرّ بن يزيد التميمي ثمّ اليربوعي . الكامل ج٣ص٤٠٧ .

رجعتم رجعت من هنا، فقال له صاحب شرطة ابن زياد: إنا أُمرنا ان لا نفارقك. حتى نوصلك الكوفة بين يدي عبيد الله بن زياد، فقال الحسين: الموت أهون من ذلك، وما زالوا عليه حتى سار مع صاحب شرطة ابن زياد.

(ثم دخلت سنة إحدى وستين).

(ذكر مقتل الحسين)

ولما سار الحسين مع الحر، ورد كتاب من عبيد الله بن زياد إلى الحر، يأمره أن يُنزل الحسين ومن معه على غير ماء، فأنزلهم في الموضع المعروف بكربلاء، وذلك يوم الخميس، ثاني المحرم من هذه السنة، أعني سنة إحدى وستين.

ولما كان من الغد، قدم من الكوفة عمر بن سعد بن أبي وقاص بأربعة آلاف فارس، أرسله ابن زياد لحرب الحسين، فسأله الحسين في أن يُمكَّن إمّا من العودِ من حيثُ أتى، وإمّا أن يجهّز إلى يزيد بن معاوية، وإمّا أن يُمكّن أن يلحق بالثغور.

فكتب عمر إلى ابن زياد يسأل أن يجاب الحسين إلى أحد هذه الأمور، فاغتاظ ابن زياد فقال: لا ولا كرامة، فارسل مع شمُر بن ذي الجوشن، إلى عمر بن سعد: إمّا أن تقاتل الحسين وتقتله، وتطأ الخيل جثته، وإمّا أن تعتزل، ويكون الأمير على الجيش شمر. فقال عمر بن سعد بل أقاتله، ونهض عشية الخميس، تاسع المحرم من هذه السنة، والحسين جالس أمام بيته بعد صلاة العصر، فلما قرب الجيش منه، سألهم مع أخيه العباس، أن يمهلوه الى الغد، وأنه يجيبهم إلى ما يختارونه فأجابوه إلى ذلك.

وقال الحسين لأصحابه، إني قد أذنت لكم فانطلقوا في هذا الليل، وتفرقوا في سوادكم ومدائنكم. فقال أخوه العباس: لم نفعل ذلك؟ لنبقى بعدك، لا أرانا الله ذلك أبداً، ثم تكلم إخوته وبنو أخيه وبنو عبد الله بن جعفر، بنحو ذلك، وكان الحسين وأصحابه يصلون الليل كله، ويدعون، فلمّا أصبحوا، ركب عمر بن سعد في أصحابه، وذلك يوم عاشوراء من السنة المذكورة، وعبأ الحسين أصحابه وهم اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً، ثم حملوا على الحسين وأصحابه، واستمر القتال الى وقت الظهر من ذلك اليوم، فصلى الحسين و أصحابه صلاة الخوف، واشتد بالحسين العطش، فتقدم ليشرب، فرُمي بسهم فوقع في فمه، ونادى شمر: ويحكم ما تنتظرون بالرجل اقتلوه، فضربه زرعة بن شريك على كفه، وضربه آخر على عاتقه، وطعنه سنان

ابن أنس النخعي بالرمح، فوقع فنزل إليه فذبحه واحتز رأسه، وقيل إن الذي نزل واحتز رأسه هو شمر المذكور، وجاء به إلى عمر بن سعد، فأمر عمر بن سعد جماعة فوطئوا صدر الحسين، وظهره بخيولهم.

ثم بعث بالرؤوس والنساء والأطفال إلى عبيد الله بن زياد، فجعل ابن زياد يقرع فم الحسين بقضيب في يده، فقال له زيد بن أرقم: ارفع هذا القضيب، فوالذي لا إله غيره، لقد رأيت شفتي رسول الله ﷺ على هاتين الشفتين، ثم بكى، وروي أنّه قتل مع الحسين من أولاد علي أربعة، هم العباس وجعفر ومحمد وأبو بكر، ومن أولاد الحسين أربعة، وقتل عدة من أولاد عبد الله بن جعفر، ومن أولاد عقيل.

ثم بعث ابن زياد بالرؤوس وبالنساء وبالأطفال، إلى يزيد بن معاوية، فوضع يزيد رأس الحسين بين يديه، واستحضر النساء والأطفال، ثم أمر النعمان بن بشير أن يجهزهم بما يصلحهم، وأن يبعث معهم أميناً يوصلهم الى المدينة، فجهزهم إلى المدينة، ولما وصلوا إليها لقيهم نساء بني هاشم حاسرات، وفيهن ابنة عقيل بن أبي طالب وهي تبكي وتقول.

ماذا تقولونَ إنْ قالَ النبي لكم ... ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي ... منهم أسارى وصرعى ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم ... أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

(واختلف) في موضع رأس الحسين، فقيل: جهز إلى المدينة ودفن عند أمه، وقيل دفن عند باب الفراديس، وقيل: ان خلفاء مصر نقلوا من عسقلان رأساً إلى القاهرة ودفنوه بها، وبنوا عليه مشهداً يعرف بمشهد الحسين، وقد اختلف في عمره، والصحيح أنه خمس وخمسون سنة وأشهر، وقيل حج الحسين خمساً وعشرين حجة وكان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة.

(وأما) عبد الله بن الزبير فإنه استمر بمكة ممتنعاً عن الدخول في طاعة يزيد ابن معاوية.

(ثم دخلت سنة اثنتين وستين) (وسنة ثلاث وستين)، فيها اتفق أهل المدينة على خلع يزيد بن معاوية، وأخرجوا نائبه عثمان بن محمد بن أبي سفيان منها، فجهز يزيد جيشاً مع مسلم بن عقبة، وأمره يزيد أن يقاتل أهل المدينة، فإذا ظفر بهم، أباحها للجند ثلاثة أيام، يسفكون فيها الدماء، ويأخذون ما يجدون من

الأموال، وأن يبايعهم على أنهم خوّل وعبيد ليزيد، وإذا فرغ من المدينة، يسير إلي مكة.

فسار مسلم المذكور في عشرة آلاف فارس من أهل الشام، حتى نزل على المدينة من جهة الحرة، واصر أهل المدينة من المهاجرين والأنصار وغيرهم على قتاله وعملوا خندقاً واقتتلوا، فقتل الفضل بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، بعد أن قاتل قتالاً عظيماً، وكذلك قتل جماعة من الأشراف والأنصار، ودام قتالهم، ثم انهزم أهل المدينة، وأباح مسلم مدينة النبي ﷺ ثلاثة أيام، يقتلون فيها الناس ويأخذون ما بها من الأموال، ويفسقون بالنساء.

وعن الزهري أنّ قتلى الحرة، كانوا سبعمائة من وجوه الناس، من قريش والمهاجرين والأنصار، وعشرة آلاف من وجوه الموالي، وممن لا يعرف، وكانت الوقعة لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وستين، ثم إنّ مسلماً بايع من بقي من الناس على انهم خوّل وعبيد ليزيد بن معاوية، ولما فرغ مسلم بن عقبة من المدينة سار بالجيش الى مكة.

(ثم دخلت سنة اربع وستين)

(ذكر حصار الكعبة)

ولما فرغ مسلم من المدينة وسار إلى مكة كان مريضاً، فمات قبل أن يصل إلى مكة، وأقام على الجيش مقامه (الحصين) بن نمير السكوني، وذلك في المحرم من هذه السنة، فقدم الحصين مكة وحاصر عبد الله بن الزبير أربعين يوماً، حتى جاءهم الخبر بموت يزيد بن معاوية، على ماسنذكره بعد رمي البيت الحرام بالمنجنيق، وإحراقه بالنار، ولما علم الحصين بموت يزيد، قال لعبد الله بن الزبير: من الرأي أن ندع دماء القتلى بيننا، وأقبل لأبايعك، وأقدم إلى الشام،فامتنع عبد الله بن الزبير من ذلك، فارتحل الحصين راجعاً الى الشام، ثم ندم ابن الزبيرعلى عدم الموافقة، وسار مع الحصين من كان المدينة من بني امية، وقدموا إلى الشام.

(ذكر وفاة يزيد بن معاوية بحوارين من عمل حمص)

لاربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، من هذه السنة، أعني سنة أربع وستين، وهو ابن ثمان وثلاثين سنة، وكان مدة خلافته ثلاث سنين وستة أشهر، وكان آدم جعداً أحور العينين، بوجهه آثار جدري، حسن اللحية خفيفها، طويلاً، وخلف عدة بنين وبنات، وكانت أمه ميسون بنت بحدل الكلبية، اقام يزيد معها بين أهلها في

البادية، وتعلم الفصاحة، ونظم الشعر هناك في بادية بني كلب، وكان سبب إرساله مع أمه هناك، أن معاوية سمع ميسون بنت بحدل تنشد هذه الأبيات وهي:

للبس عباءة وتقر عيني أحب إليّ من لبس الشفوفِ
وبيت تخفق الأرياح فيه أحب إليّ من قصر منيف
وبكر تتبع الأظعان صعب أحبّ إليّ من بغل زفوفِ
وكلب ينبح الأضياف دوني أحبّ إليّ من هرّ ألوفِ
وخرق من بني عمي فقير أحبّ إليّ من علجٍ عنيفِ

فقال لها معاوية: مارضيت ياابنة بحدل، حتى جعلتني علجاً عنيفاً، الحقي بأهلك فمضت إلى بادية بني كلب ويزيد معها.

(ذكر أخبار معاوية بن يزيد بن معاوية)

وهو ثالث خلفائهم، ولما توفي يزيد بن معاوية،بويع بالخلافة ولده معاوية في رابع عشر ربيع الأول من هذه السنة، وكان شاباً ديناً، فلم تكن ولايته غير ثلاثة أشهر وقيل: أربعين يوماً، ومات وعمره إحدى وعشرون سنة، وفي أواخر أيامه جمع الناس وقال: قد ضعفت عن أمركم، ولم أجد لكم مثل عمر بن الخطاب لأستخلفه، ولا مثل أهل الشورى، فأنتم أولى بأمركم، فاختاروا من أحببتم، ثم دخل منزله وتغيب فيه حتى مات، وقيل إنه أوصى أن يصلي بالناس الضحاك بن قيس حتى يقوم لهم خليفة.

(ذكر البيعة لعبد الله بن الزبير)

ولما مات يزيد بن معاوية، بايع الناس بمكة ابن الزبير، وكان مروان بن الحكم بالمدينة، فقصد المسير إلى عبد الله بن الزبير ومبايعته، ثم توجّه مع من توجّه من بني أمية إلى الشام، وقيل إن ابن الزبير كتب إلى عامله بالمدينة، أن لا يترك بها من بني أمية أحداً.

ولو سار ابن الزبير مع الحصين إلى الشام، أوصانع بني أمية ومروان، لاستقر أمره، ولكن لا مرد لما قدّره الله تعالى، ولما بويع عبد الله بن الزبير بمكة، كان عبيد الله بن زياد بالبصرة، فهرب إلى الشام، وبايع أهلُ البصرة ابن الزبير، واجتمعت له العراق والحجاز واليمن، وبعث إلى مصر فبايعه أهلها، وبايع له في الشام سراً الضحاك

ابن قيس، وبايع له بحمص النعمان بن بشير الأنصاري، وبايع له بقنسرين[١] زفر بن الحارث الكلابي، وكاد يتم له الأمر بالكلية، وكان عبد الله بن الزبير شجاعاً، كثير العبادة، وكان به البخل وضعف الرأي.

(أخبار مروان بن الحكم) وهو رابع خلفائهم، وقام مروان بالشام في أيام ابن الزبير، واجتمعت إليه بنو أمية، وصار الناس بالشام فرقتين، اليمانية مع مروان، والقيسية مع الضحاك بن قيس، وهم يبايعون لابن الزبير، وجرت مقاولات وأمور يطول شرحها.

(ذكر وقعة مرج راهط)[٢]

وآخر ذلك، أن الفريقين التقوا بمرج راهط، في غوطة دمشق، واقتتلوا، وكانت الكرة على الضحاك والقيسية، وانهزموا أقبح هزيمة، وقتل الضحاك بن قيس، وقتل جمع كثير من فرسان قيس.

ولما انهزمت قيس يوم المرج، نادى منادي مروان بن الحكم، الا لايتبع أحد، ودخل دمشق مروان، ونزل في دار معاوية بن أبي سفيان، واجتمع عليه الناس، وتزوج أم خالدبن يزيد بن معاوية، لخوفه من خالد.

(ولما) انهزمت القيسية وقتل الضحاك وبلغ ذلك أهل حمص، وعليها النعمان ابن بشير الأنصاري، خرج هارباً بامرأته وأهله، فخرج أهل حمص وقتلوا النعمان بن بشير وردوا برأس النعمان وأهله إلى حمص.

(ولما) بلغ زفر بن الحارث، وهو بقنسرين، يدعو لابن الزبير، خبر الهزيمة، خرج من قنسرين وأتى قرقيسيا، فغلب عليها، واستوسق الشام لمروان بن الحكم، ثم خرج إلى جهة مصر وبعث قدامه عمرو بن سعيد بن العاص، فدخل مصر وطرد عامل ابن الزبير عنها، وبايع لمروان بن الحكم أهلها، ولما ملك مروان مصر، رجع إلى دمشق، وخرجت سنة أربع وستين ومروان خليفة بالشام ومصر، وابن الزبير خليفة في الحجاز والعراق واليمن.

---

(١) قنسرين : مدينة بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص بقرب العواصم . معجم البلدان ج٤ ص٤٠٤ .

(٢) مرج راهط : بنواحي دمشق. البلدان ٥ / ١٠٠.

(وفي هذه السنة) أعني سنة أربع وستين هدم ابن الزبير الكعبة، وكانت حيطانها قد مالت من ضرب المنجنيق، فهدمها وحفر أساسها، وأدخل الحجر فيها، وأعادها على ما كانت عليه أولاً.

(ثم دخلت سنة خمس وستين)

(ذكر وفاة مروان بن الحكم)

وتوفي بأن خنقته أم خالد بن يزيد بن معاوية زوجته، وصاحت مات فجأة، وذلك لثلاث خلون من رمضان، من هذه السنة، أعني سنة خمس وستين، ودفن بدمشق، وعمره ثلاث وستون سنة، وكانت مدة خلافته تسعة أشهر وثمانية عشر يوماً.

(ذكر شيء من أخباره)

كان النبي ﷺ، قد طرد أباه الحكم، إلى الطائف، ولم يزل طريداً في أيام أبي بكر وعمر، إلى أن رده عثمان، كما ذكرنا، ومروان هو الذي قتل طلحة بسهم نشاب في حرب الجمل.

(ذكر أخبار عبد الملك)

وهو خامس خلفائهم، لما مات مروان، بويع ابنه عبد الملك بن مروان، في ثالث رمضان من هذه السنة، أعني سنة خمس وستين، عقب موت مروان، واستثبت له الأمر بالشام ومصر، وقيل إنه لما أتته الخلافة، كان قاعداً والمصحف في حجره، فاطبقه وقال: هذا آخر العهد بك. (ثم دخلت سنة ست وستين).

(ذكر خروج المختار بن أبي عبيد الثقفي)

وفي هذه السنة، خرج المختار بالكوفة، طالباً بثأر الحسين، واجتمع إليه جمع كثير، واستولى على الكوفة، وبايعه الناس بها على كتاب الله وسنة رسوله، والطلب بدم أهل البيت وتجرّد المختار لقتال قتلة الحسين، وطلب شمر بن ذي الجوشن حتى ظفر به وقتله، وبعث إلى خولي الأصبحي، وهو صاحب رأس الحسين، فاحتاط بداره، وقتله وأحرقه بالنار، ثم قتل عمر بن سعد بن أبي وقاص، صاحب الجيش، الذين قتلوا الحسين، وهو الذي أمر أن يداس صدر الحسين وظهره بالخيل، وقتل ابن عمر المذكور، واسمه حفص، وبعث برأسهما إلى محمد بن الحنفية بالحجاز، وذلك

في ذي الحجة من هذه السنة، ثم إن المختار اتخذ كرسياً، وادعى أن فيه سراً، وأنه لهم مثل التابوت لبني إسرائيل ولما أرسل المختار الجنود لقتال عبيد الله بن زياد، خرج بالكرسي على بغل يحمله في القتال. (ثم دخلت سنة سبع وستين)

(ذكر مقتل عبيد الله بن زياد)

وفي هذه السنة في المحرم، أرسل المختار الجنود لقتال عبيد الله بن زياد، وكان قد استولى على الموصل، وقدم على الجيش إبراهيم بن الأشتر النخعي، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وانهزمت أصحاب ابن زياد، وقتل عبيد الله بن زياد، قتله إبراهيم بن الأشتر في المعركة، وأخذ رأسه وأحرق جثته، وغرق في الزاب[1] من أصحاب ابن زياد المنهزمين أكثر ممن قتل، وبعث إبراهيم برأس ابن زياد، وبعدة رؤوس معه إلى المختار، وانتقم الله للحسين بالمختار، وإن لم تكن نية المختار جميلة.

(وفي هذه السنة)، أعني سنة سبع وستين، ولى ابن الزبير أخاه مصعباً البصرة، ثم سار مصعب إلى البصرة، بعد أن طلب المهلب بن أبي صفرة من خراسان، فقدم إليه بمال وعسكر كثير، فسارا جميعاً إلى قتال المختار بالكوفة، وجمع المختار جموعه والتقيا، فتمت الهزيمة بعد قتال شديد على المختار وأصحابه، وانحصر المختار في قصر الإمارة بالكوفة، ودخل مصعب الكوفة وحاصر المختار، وما زال المختار يقاتل حتى قتل، ثم نزل أصحابه من القصر على حكم مصعب، فقتلهم جميعهم، وكانوا سبعة آلاف نفس، وكان مقتل المختار في رمضان سنة سبع وستين، وعمره سبع وستون سنة.

(وفي هذه السنة)، أعني سنة سبع وستين للهجرة، وقيل سنة إحدى وسبعين، وقيل سنة تسع وستين، وقيل سنة ثمان وستين، توفي بالكوفة أبو بحر الضحاك بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة، وكان يعرف الضحاك المذكور بالأحنف، وهو الذي يضرب به المثل في الحلم، وكان سيد قومه، موصوفاً بالعقل، والدهاء والعلم، والحلم والذكاء، أدرك عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، ولم يصحبه، ووفد على عمر بن الخطاب في أيام خلافته، وكان من كبار التابعين، وشهد مع علي وقعة صفين، ولم يشهد وقعة الجمل، مع أحد الفريقين، والأحنف: المائل؛ سمي بذلك لأنه كان أحنف الرجل، يطأ على جانبها الوحشي، وقدم الأحنف المذكور

---

(١) الزاب: اسم نهر بالعراق حفره زاب بن توركان البلدان. ٣ / ١٢٣.

على معاوية في خلافته، وحضر عنده في وجوه الناس، فدخل رجل من أهل الشام، وقال خطيباً، وكان آخر كلامه أن لعن علي بن أبي طالب، فاطرق الناس، وتكلّم الأحنف، فقال: يا أمير المؤمنين، إن هذا القائل لو يعلم أن رِضاك في لعن المرسلين، للعنهم، فاتق الله ودع عنك علياً، فقد لقي ربه، وأفرد في قبره، وكان والله الميمونة نقيبته العظيمة مصيبته، فقال معاوية: يا أحنف لقد أغضيت العين على القذى، فايم الله لتصعدنّ المنبر ولتلعننه، وطوعاً أو كرهاً، فقال الأحنف: أوتعفيني فهو خير لك، فالح عليه معاوية، فقال الأحنف: أما والله لا نصفنك في القول، قال: وما أنت قائل، قال أحمد الله بما هو أهله وأصلي على رسوله وأقول: أيها الناس، إن أمير المؤمنين معاوية، أمرني أن ألعن علياً، الا وإن علياً ومعاوية اختلفا فاقتتلا، وادّعى كل منهما أنّهمبغّي عليه، فإذا دعوت فامنوا. ثم أقول: اللّهم العنْ أنت وملائكتك ورسلك وجميع خلقك، الباغي منهما على صاحبه، والعن الفئة الباغية، اللهم العنهم لعنا كثيراً، امنوا رحمكم الله. يامعاوية أقوله ولو كان فيه ذهاب روحي، فقال معاوية: إذن نعفيك من ذلك، ولم يلزمه به.

(ثم دخلت سنة ثمان وستين) فيها توفي عبد الله بن عباس بالطائف، وكان محمد ابن الحنفية مقيماً بالطائف أيضاً، فصلى على ابن عباس، وأقام محمد بن الحنفية بالطائف إلى أن قدم الحجاج بن يوسف إلى مكة، وكان مولد عبد الله بن عباس قبل الهجرة بثلاث سنين، ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم وقال: اللهم فقهه في الدين، وعلمه الكلمة والتأويل، فكان كذلك، وكان يسمى الحبر، لكثرة علومه.
(ثم دخلت سنة تسع وستين) (وما بعدها إلى سنة إحدى وسبعين).

(ذكر مقتل مُصْعب بن الزُبير)

في هذه السنة، أعني سنة إحدى وسبعين، تجهز عبد الملك، وسار إلى العراق، وتجهز مصعب لملتقاه، واقتتل الجمعان، وكان أهل العراق قد كاتبوا عبد الملك، وصاروا معه في الباطن، فتخلوا عن مصعب، وقاتل مصعب حتى قتل، هو وولده وكان مقتل مصعب بدير الجاثليق، عند نهر دجيل، وكان عمر مصعب ستاً وثلاثين سنة: وكان مقتله في جمادى الآخرة سنة إحدى وسبعين.

وكان مصعب صديق عبد الملك بن مروان قبل خلافته، وتزوج مصعب سكينة بنت الحسين، وعائشة بنت طلحة، وجمع بينهما في عقد نكاحه.

ثم دخل عبد الملك الكوفة وبايعه الناس، واستوسق له ملك العراقين.

(ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين)، فيها جهز عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفي في جيش إلى مكة، لقتال عبد الله بن الزبير، فسار الحجاج في جمادى الأولى من هذه السنة، ونزل الطائف، وجرى بينه وبين أصحاب ابن الزبيرحروب، كانت الكرة فيها على أصحاب ابن الزبير، وآخر الأمر أنه حصر ابن الزبير بمكة، ورمى البيت الحرام بالمنجنيق، ودام الحصار حتى خرجت هذه السنة.

(ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين)، والحجاج محاصر لابن الزبير، وأبى ابن الزبير أن يسلم نفسه، وقاتل حتى قتل، في جمادى الآخرة، من هذه السنة، بعد قتال سبعة أشهر، وكان عمر ابن الزبير حين قتل نحو ثلاث وسبعين سنة، وهو أول من ولد من المهاجرين بعد الهجرة، وكانت مدة خلافته تسع سنين، لأنه بويع له سنة أربع وستين، لما مات يزيد بن معاوية، وكان عبد الله بن الزبير كثير العبادة، مكث أربعين سنة لم ينزع ثوبه عن ظهره.

وفي هذه السنة، بعد مقتل ابن الزبير، بويع لعبد الملك بالحجاز واليمن، واجتمع الناس، على طاعته.

(وفي هذه السنة) أعني سنة ثلاث وسبعين، توفي عبد الله بن عمر بن الخطاب، رضي الله عنهما، وكان موته بعد قتل ابن الزبير بثلاثة أشهر، وعمره سبع وثمانون سنة.

(ثم دخلت سنة أربع وسبعين)، فيها هدم الحجاج الكعبة، وأخرج الحجر عن البيت، وبنى البيت على ما كان عليه في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو على ذلك الى الآن ، واستمر الحجاج أميراً على الحجاز.

(ثم دخلت سنة خمس وسبعين)، فيها أرسل عبد الملك إلى الحجاج بولاية العراق، فسار من المدينة إلى الكوفة، وخرج في أيام ولاية الحجاج العراق (شبيب) الخارجي، وكثرت جموعه، وجرى له مع الحجاج حروب كثيرة، آخرها أن جموع شبيب تفرقت، وتردّى به فرسه من فوق جسر، وسقط شبيب في الماء وغرق، وكذلك خرج على الحجاج، عبد الرحمن بن الأشعث، واستولى على خراسان، ثم سار إلى جهة الحجاج،وغلب على الكوفة، وكثرت جموعه وقويت شوكته، وفي ذلك يقول بعض أصحابه:

شطب نوى من داره بالإيوان ... إيوان كسرى ذي القرى والزنجان

من عاشــق أضحـــى بزابلستــان إن ثقيفـاً منهـم الكـذابـــان
كذابها الماضـي وكــذاب ثـان إنـا سـمونا للكـفـور الفتـان
حتى طغى في الكفر بعد الإيمان بالسيد الغطريف عبد الرحمن
سار بجمع كالدبـا مـن قحطـان بجحفل جم شـديد الأركـان
فقل الحجـاج ولـي الشـيطان يثبت لجمع مذحج و همـذان
فإنهـم سـاقوه كـأس الديفـان وملحقـوه بقـرى ابـن مـروان

ثم أمد عبد الملك الحجاج بالجيوش من الشام، وآخر الامر أن جموع عبد الرحمن تفرقت، وانهزم، ولحق بملك الترك، وأرسل الحجاج يطلبه من ملك الترك، ويتهدده بالغزو إن أخره، فقبض ملك الترك على عبد الرحمن المذكور، وعلى أربعين من أصحابه، وبعث بهم إلى الحجاج، فلما نزل في مكان في الطريق، ألقى عبد الرحمن نفسه من سطح فمات.

(ثم دخلت سنة ست وسبعين) وما بعدها إلى إحدى وثمانين، فيها توفي أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب، المعروف بابن الحنفية.

(ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين) فيها توفي المهلب بن ابي صفرة الأزدي، وكان من الأجواد المشهورين بالكرم والشهامة، وكان الحجاج قد ولّى المهلب خراسان، ومات المهلب بمرو الرود، واستخلف بعده ابنه يزيد بن المهلب، ولما دنت من المهلب الوفاة، أحضر السهام لأولاده وقال: أتكسرونها مجتمعة؟ قالوا: لا قال أتكسرونها متفرقة؟ قالوا: نعم، قال هكذا أنتم.

(وفي هذه السنة) (أعني سنة اثنتين وثمانين) توفي خالد بن يزيد بن معاوية، وكان من المعدودين في بني أمية بالسخاء والفصاحة والعقل.

(ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين)، فيها بنى الحجاج مدينة واسط.

(ثم دخلت سنة أربع وثمانين) (وسنة خمس وثمانين)، فيها أعني سنة خمس وثمانين، توفي عبد العزيز بن مروان بمصر. (ثم دخلت سنة ست وثمانين)

(ذكر وفاة عبد الملك بن مروان)

وفي منتصف شوال، من هذه السنة، توفي عبد الملك بن مروان وعمره ستون سنة، وكانت مدة خلافته، منذ قتل ابن الزبير، واجتمع له الناس، ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر، تنقص سبع ليال، وكان شديد البخر، وكنّي لذلك بأبي الذبّان، وكان

يلقب لبخله برشح الحجر، وكان حازماً، عاقلاً، فقيهاً، عالماً، وكان ديناً، فلما تولى الخلافة استهوته الدنيا، فتغير عن ذلك، وفيه يقول الحسن البصري، ماذا أقول في رجلٍ، الحجاج سيئة من سيئاته.

(ذكر ولاية الوليد بن عبد الملك)

وهو سادس خلفائهم، لما توفي عبد الملك، بويع الوليد بالخلافة، في منتصف شوال من هذه السنة، أعني سنة ست وثمانين، بعهد من أبيه إليه، وكان مغرماً بالبناء، واستوثقت له الأمور، وفتحت في أيامه الفتوحات الكثيرة، من ذلك جزيرة الأندلس، وما وراء النهر، وولى الحجاج خراسان مع العراقين، فتغلغل في بلاد الترك، وتغلغل مسلمة بن عبد الملك في بلاد الروم، ففتح وسبى، وفتح محمد بن القاسم الثقفي بلاد الهند.

(وفي هذه السنة) أعني سنة ست وثمانين، ولى الوليد ابن عمه، عمر بن عبد العزيز المدينة، فقدم إليها ونزل في دار جده مروان، ودعا عشرة من فقهاء المدينة، وهم عروة بن الزبير بن العوام، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وأبو بكر ابن عبد الرحمن، وأبو بكر بن سليمان، وسليمان بن يسار، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عامر بن ربيعة، وخارجة بن زيد..

فقال لهم عمر بن عبد العزيز: إريد أن لا أقطع أمراً إلاّ برأيكم، فماعلمتموه من تعدي عامل، أو من ظلامة، فعرفوني به، فجزوه خيراً.

(ثم دخلت سنة سبع وثمانين) (وسنة ثمان وثمانين) فيها كتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز يأمره بهدم مسجد رسول الله ﷺ، وهدم بيوت أزواج النبي ﷺ، وأن يدخل البيوت في المسجد، بحيث تصير مساحة المسجد مائتي ذراع، في مائتي ذراع، وأن يضع أثمان البيوت في بيت المال، فأجابه أهل المدينة إلى ذلك، وقدمت الفعلة والصناع من عند الوليد، لعمارة المسجد، وتجرد لذلك عمر بن عبد العزيز.

(وفي هذه السنة) أيضاً أعني سنة ثمان وثمانين، أمر الوليد ببناء جامع دمشق فأنفق عليه أموالاً عظيمة، تجل عن الوصف.

(ثم دخلت سنة تسع وثمانين) وما بعدها حتى دخلت (سنة ثلاث

وتسعين)، فيها عزل الوليد عمر بن عبد العزيز عن المدينة.

(ثم دخلت سنة أربع وتسعين)، فيها قتل الحجاج سعيد بن جبير، بسبب أن سعيداً كان خلع الحجاج، وصار مع عبد الرحمن بن الاشعث، وكان سعيد بن جبير قد هرب من الحجاج، وأقام في مكة، فأرسل الحجاج يطلب جماعة من الوليد قد التجاوا إلى مكة، فكتب الوليد الى عامله على مكة، وهو خالد بن عبد الله القسري، يأمره بإرسال من يطلبه الحجاج، وطلب الحجاج سعيد بن جبير وغيره، فبعث بهم إليه، فضرب عنق سعيد بن جبير، وسعيد بن جبير المذكور، كان من أعلام التابعين، اخذ العلم عن عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعنه روى القرآن أبو عمرو، وقال أحمد بن حنبل: قتل الحجاج سعيد بن جبير، وما على وجه الأرض احد إلا وهو مفتقر إلى علمه.

(وفي هذه السنة) أعني سنة أربع وتسعين، توفي سعيد بن المسيب، وكان من كبار التابعين، وفقهائهم.

(وفيها) وقيل في سنة خمس وتسعين توفي علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، المعروف بزين العابدين، وكان مع أبيه الحسين لمّا قتل، وسلم من القتل، لانه كان مريضاً على الفراش، وكان كثير العبادة، ولهذا قيل له زين العابدين، وتوفي بالمدينة، ودفن بالبقيع[1] وعمره اثنان وخمسون سنة.

(ثم دخلت سنة خمس وتسعين)، فيها توفي الحجاج بن يوسف الثقفي، والي العراقين وخراسان، وعمره أربع وخمسون سنة، وكانت مدة ولايته العراق نحو عشرين سنة، وكان الحجاج، أخفش، رقيق الصوت، في غاية الفصاحة، قيل إنه أُحصي من جملة الذين قتلهم الحجاج، فكانوا مائة ألف وعشرين ألفا.

(ثم دخلت سنة ست وتسعين)

(ذكر وفاة الوليد)

وفي جمادى الآخرة، من هذه السنة، أعني سنة ست وتسعين، توفي الوليد بن عبد الملك بن مروان، وكانت مدة خلافته تسع سنين وسبعة أشهر، وكانت وفاته بدير مران، ودفن بدمشق، خارج الباب الصغير، وصلى عليه ابن عمه عمر بن عبد

(١) البقيع :مقبرة أهل المدينة وهي داخل المدينة. البلدان ١ / ٤٧٣.

العزيز، وكان عمره اثنتين وأربعين سنة، وستة أشهر، وكان سائل الأنف جداً، وكان له من الولد ثمانية عشر ابناً، وهو الذي بنى مسجد دمشق، واحتمل له الصناع من بلاد الروم، ومن سائر بلاد الإسلام، وكان في جانب الجامع كنيسة، قد سلمت للنصارى، بسبب أنها في نصف البلد الذي أخذ بالصلح، وكانت تعرف بكنيسة (ماريحنا) فهدمها الوليد، وأدخلها في الجامع، وكان الوليد لحاناً، دخل عليه أعرابي يشكو صهراً له، فقال له الوليد: ماشانَك، بفتح النون. فقال الأعرابي أعوذ بالله من الشين، فقال له سليمان بن عبد الملك: أمير المؤمنين يقول: ما شانُك بضم النون. فقال الأعرابي: ختني ظلمني، فقال الوليد: من ختنَك بالفتح. فقال الأعرابي: إنما ختنني الحجام، ولست أريد ذا. فقال سليمان بن عبد الملك: أمير المؤمنين يقول من ختنُك بالضم؟ فقال: هذا وأشار إلى خصمه، وكان أبوه عبد الملك فصيحاً، وعرف بلحن ابنه، فقال له: إنك يابني لا تصلح للولاية على العرب، وأنت تلحن، وجعله في بيت؛ وجعل معه من يعلمه الإعراب، فمكث الوليد كذلك مدة، ثم خرج وهو أجهل مما دخل.

(ذكر أخبار سليمان بن عبد الملك بن مروان)

وهو سابعهم، بويع بالخلافة لما مات أخوه الوليد، في جمادى الآخرة من هذه السنة، أعني سنة ست وتسعين، وكان سليمان لما مات الوليد في مدينة الرملة، فلما وصل إليه الخبر بعد سبعة أيام، سار إلى دمشق ودخلها، وأحسن السيرة، وردّ المظالم، واتخذ ابن عمه عمر بن عبد العزيز وزيراً.

(وفي هذه السنة) غزا مسلمة بن عبد الملك بلاد الروم.

(ثم دخلت سنة سبع وتسعين) (وسنة ثمان وتسعين)، فيها خرج سليمان ابن عبد الملك بالجيوش لغزوقسطنطينية، ونزل بمرج دابق، وسير أخاه مسلمة إلى قسطنطينية، وأمره أن يقيم عليها حتى يفتحها، فشتّى مسلمة على قسطنطينية، وزرع الناس بها الزرع، وأكلوه، وأقام مسلمة قاهراً لأهل قسطنطينية، حتى جاءه الخبر بموت سليمان.

(وفيها) أعني سنة ثمان وتسعين، فتح يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، الوالي على خراسان، من قبل سليمان بن عبد الملك، جرجان وطبرستان.

(ثم دخلت سنة تسع وتسعين)

(ذكر وفاة سليمان بن عبد الملك)

وفي هذه السنة أعني سنة تسع وتسعين، توفي سليمان بن عبد الملك، في صفر، وكانت مدة خلافته سنتين وثمانية أشهر، وعمره خمس وأربعون سنة، ومات بدابق، من أرض قنسرين، مرابطاً، وأخوه مسلمة منازل قسطنطينية، وكان سليمان طويلاً أسمر، جميل الصورة، وكان به عرج، وكان حسن السيرة، وكان مُغْرماً بالنساء، كثير الأكل، حج مرّة، وكان الحرّ في الحجاز إذ ذاك شديداً، فتوجه إلى الطائف طلباً للبرودة، وأتي برمّان فأكل سبعين رمّانة، ثم أتي بجدي وست دجاجات فأكلها، ثم أتي بزبيب من زبيب الطائف فأكل منه كثيراً، ونعس فنام، ثم انتبه فأتو بالغداء فأكل على عادته، وقيل كان سبب موته أنه أتاه نصراني وهو نازل على دابق، بزنبيلين مملوءين تيناً وبيضاً، فأمر من يقشر له البيض، وجعل يأكل بيضة وتينة، حتى أتى على الزنبيلين، ثم أتوه:بمخ وسكّر، فأكله فاتخم، ومرض ومات، وصلى عليه عمر بن عبد العزيز، ودفن، وكان شديد الغيرة، أمر بخصي المخنثين الذين كانوا بالمدينة، فخصاهم عامله على المدينة، وهو أبو بكر بن محمد بن عمرو الأنصاري.

(ذكر أخبار عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف

وهو ثامن خلفائهم، وأم عمر بن عبد العزيز، بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، وأوصى إليه بالخلافة سليمان بن عبد الملك، لما اشتد مرضه بدابق، وبويع عمر بن عبد العزيز بالخلافة في صفر، من هذه السنة، أعني سنة تسع وتسعين بعد موت سليمان.

(ذكر إبطال عمر بن عبد العزيز سب علي بن أبي طالب على المنابر)

كان خلفاء بني أمية يسبون علياً رضي الله عنه، من سنة إحدى وأربعين، وهي السنة التي خلع الحسن فيها نفسه. من الخلافة، إلى أول سنة تسع وتسعين، آخر أيام سليمان بن عبد الملك، فلما ولّي عمر، أبطل ذلك، وكتب إلى نوابه :بإبطاله، ولما خطب يوم الجمعة، أبدل السب في آخر الخطبة بقراءة قوله تعالى ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾[النحل: ٩٠] فلم يسب علي بعد ذلك. واستمرت الخطباء على قراءة هذه الآية، ومدحه كثير بن عبد الرحمن الخزاعي فقال:

وليت فلم تشتم علياً ولم تخفْ بريّاً ولم تتبع سجية مجرمِ
وقلتَ فصدقتَ الذي قلتَ بالذي فعلتَ فاضحى راضياً كل مسلم

(ثم دخلت سنة مائة) (وسنة إحدى ومائة)

(ذكر وفاة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه)

وفي هذه السنة، أعني سنة إحدى ومائة، توفي عمر بن عبد العزيز، لخمس بقين من رجب، يوم الجمعة، بخناصرة[١] ، ودفن بدير سمعان، وقيل: توفي بدير سمعان[٢] ودفن به، قال القاضي جمال الدين بن واصل، مؤلف التاريخ المنقول هذا الكلام منه: والظاهر عندي أن دير سمعان، هو المعروف الآن بدير النقيرة، من عمل معرة النعمان، وأن قبره هو هذا المشهور، وكان موته بالسم، عند أكثر أهل النقل، فإن بني أمية علموا أنه إن امتدت أيامه، أخرج الأمر من أيديهم، وأنه لا يعهده بعده إلا لمن يصلح للأمر. فعالجوه وما أمهلوه، وكان مولده بمصر على ما قيل، سنة إحدى وستين، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر، وكان عمره أربعين سنة وأشهراً، وكان في وجهه شجة من رمح دابة، وهو غلام، ولهذا كان يدعى بالأشج، وكان متحرياً سيرة الخلفاء الراشدين.

(أخبار يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص)

ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وهو تاسعهم، وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، بويع بالخلافة لما مات عمر بن عبد العزيز، في رجب سنة إحدى ومائة، بعهد من سليمان بن عبد الملك إليه بعد عمر.

(وفي أيام يزيد بن عبد الملك) خرج يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، واجتمع إليه جمع، وأرسل يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة فقاتله، وقتل يزيد بن المهلب، وجميع آل المهلب بن أبي صفرة، وكانوا مشهورين بالكرم والشجاعة، وفيهم يقول الشاعر:

نزلت على آل المهلب شاتياً غريباً عن الأوطان في زمن المحل
فما زال بي إحسانهم وافتقادهم وبرهم حتى حسبتهم أهلي

---

(١) خناصرة :بلدة من اعمال حلب تحاذي قنسرين نحو البادية. البلدان ٢ / ٣٩٠.
(٢) دير سمعان : بنواحي حلب بين جبل بني عُلَيم والجبل الاعلى .

(ثم دخلت سنة اثنتين ومائة)، فيها أعني في سنة اثنتين ومائة، توفي عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، احد الفقهاء السبعة بالمدينة، وعبيد الله المذكور، هو ابن أخي عبد الله بن مسعود الصحابي، وهؤلاء الفقهاء السبعة، هم الذين انتشر عنهم الفقه والفتيا، وقد نظم بعض الفضلاء أسماءهم فقال:

ألا كُلّ من لا يقتدي بأئمة فقسمته ضيزى عن الحق خارجه

فخذهم عبيد الله عروة قاسم سعيد سليمان أبو بكر خارجه

ولنذكرهم على ترتيبهم في النظم، (فأولهم عبيد الله) المذكور، وكان من أعلام التابعين، ولقي خلقاً كثيراً من الصحابة.

(الثاني عروة) بن الزبير بن العوام بن خويلد القرشي، أبوه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأم عروة أسماء بنت أبي بكر، وهي ذات النطاقين، وهو شقيق عبد الله بن الزبير، الذي تولى الخلافة، وتوفي عروة المذكور، في سنة ثلاث وتسعين للهجرة، وقيل أربع وتسعين، وكان مولده سنة اثنتين وعشرين.

(الثالث قاسم) بن محمد بن أبي بكر الصدّيق، وكان من أفضل أهل زمانه، وأبوه محمد بن أبي بكر، الذي قتل بمصر على ماشرحنا.

(الرابع سعيد) بن المسيب بن حزن بن أبي وهب القرشي، جمع بين الحديث والفقه، والزهد والعبادة، ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر، وتوفي في سنة إحدى وقيل اثنتين، وقيل ثلاث، وقيل أربع وقيل خمس وتسعين.

(الخامس سليمان) بن يسار، مولى ميمونة زوج النبي ﷺ، روى عن ابن عباس، وعن إبي هريرة، وأم سلمة، وتوفي في سنة سبع ومائة، وقيل غير ذلك، وعمره ثلاث وسبعون سنة.

(السادس أبو بكر) بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي، وكنيته اسمه، كان من سادات التابعين، وسمي راهب قريش، وجده الحارث، هو أخو أبي جهل بن هشام، وتوفي أبو بكر المذكور في سنة أربع وتسعين للهجرة، وولد في خلافة عمر بن الخطاب.

(السابع خارجة) بن زيد بن ثابت الأنصاري، وأبوه زيد بن ثابت من أكابر الصحابة، الذي قال رسول الله ﷺ في حقه «أفرضكم زيد». وتوفي خارجة المذكور، في سنة تسع وتسعين للهجرة، وقيل سنة مائة بالمدينة، وأدرك زمن عثمان

ابن عفان، فهؤلاء السبعة هم المعروفون بفقهاء المدينة السبعة، وانتشرت عنهم الفتيا والفقه، وكان في زمانهم من هو في طبقتهم في الفضيلة، ولم يذكر معهم، مثل سالم ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب، وغيره، وتوفي سالم المذكور في سنة ست ومائة، وقيل غير ذلك، وكان من أعلام التابعين أيضاً، وقد ذكر في موضع آخر وفاة بعض المذكورين، وإنما ذكرناهم جملة لأنه أقرب للضبط، (ثم دخلت سنة ثلاث) (وسنة أربع) (وسنة خمس ومائة).

(ذكر وفاة يزيد بن عبد الملك)

وفيها، أعني سنة خمس ومائة، لخمس بقين من شعبان، توفي يزيد بن عبد الملك، وعمره أربعون سنة، وقيل غير ذلك، وكانت مدة خلافته أربع سنين وشهراً، وكان يزيد المذكور، قد عهد بالخلافة إلى أخيه هشام، ثم من بعده إلى ابنه الوليد ابن يزيد بن عبد الملك.

وكان يزيد صاحب لهو وطرب، وهو صاحب حبابة، وسلامة القس، وكان مغرماً بهما جداً، وماتت حبابة، فمات بعدها بسبعة عشر يوماً، وإنما سميت سلامة القس، لأن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمار، كان يسمى القس، لعبادته، وكان فقيهاً، فمرّ بمنزل أستاذ سلامة، فسمع غناءها، فهويها وهويته، واجتمعا، فقالت له سلامة: إني أحبك، فقال: وأنا أيضاً. وقالت: وأشتهي أن أقبلك. قال: وأنا أيضاً. فقالت له: ما يمنعك: قال تقوى الله، وقام وانصرف عنها، فسميت سلامة القس، بسبب عبد الرحمن المذكور.

(أخبار هشام بن عبد الملك)

وهو عاشرهم، وكان عمره لما ولي الخلافة، أربعاً وثلاثين سنة وأشهراً، وكان هشام بالرصافة[1] لما مات يزيد بن عبد الملك، في دويرة له صغيرة، فجاءته الخلافة على البريد، فركب من الرصافة وسار إلى دمشق.

(ثم دخلت سنة ست ومائة) (وما بعدها، حتى دخلت سنة عشر ومائة)، فيها توفي الإمام المشهور الحسن بن أبي الحسن البصري، وكان مولده في خلافة عمر بن

---

(١) الرصافة: مدينة واقعة في بادية تدمر (سورية) كانت مقرّ أسقفيّة. دفن فيها الخليفة هشام بن عبد الملك.

الخطاب، وهو من أكابر التابعين.

(وفيها) توفي محمد بن سيرين، وكان أبوه سيرين، عبداً لأنس بن مالك، فكاتبه أنس على مال، وحمله سيرين وعتق، وكان من سبي خالد بن الوليد، وروى محمد بن سيرين المذكور، عن جماعة من الصحابة، منهم أبو هريرة، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وغيرهم، وكان من كبار التابعين، وله اليد الطولى في تعبير الرؤيا.

(ثم دخلت سنة إحدى عشرة ومائة) (ودخلت سنة اثنتي عشرة ومائة) وما بعدها، حتى دخلت (سنة ست عشرة ومائة)، فيها توفي الباقر محمد بن زين العابدين، علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، المقدم ذكره، وقيل كانت وفاته سنة أربع عشرة، وقيل سنة سبع عشرة، وقيل سنة ثماني عشرة ومائة، وكان عمر الباقر المذكور ثلاثاً وسبعين سنة، واوصى أن يكفن بقميصه الذي كان يصلي فيه، وقيل له الباقر: لتبقره في العلم، أي توسعه فيه، وولد الباقر المذكور في سنة سبع وخمسين، وكان عمره لما قتل جده الحسين ثلاث سنين، وتوفي بالحميمة[1] من الشراة، ونقل ودفن بالبقيع.

(ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائة)، فيها أعني في سنة سبع عشرة، وقيل سنة عشرين ومائة، توفي نافع مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب، أصابه عبد الله في بعض غزواته، وكان نافع من كبار التابعين، سمع مولاه عبد الله، وأبا سعيد الخدري، وروي عن نافع الزهري، ومالك بن أنس، وأهل الحديث يقولون: رواية الشافعي عن مالك بن أنس، عن نافع، عن ابن عمر، سلسلة الذهب لجلالة كل واحد من هؤلاء الرواة.

(ثم دخلت سنة ثماني عشرة ومائة) (وسنة تسع عشرة ومائة) فيها غزا المسلمون بلاد الترك، فانتصروا وغنموا أشياء كثيرة، وقتلوا من الأتراك مقتلة عظيمة، وقتلوا خاقان، ملك الترك، وكان المتولي لحرب الترك، أسد بن عبد الله القسري.

(ثم دخلت سنة عشرين ومائة) فيها توفي أبو سعيد عبد الله بن كثير أحد القراء السبعة.

---

(١) الحُمَيْمَةَ: بلد من أرض الشراة من أعمال عمّان في أطراف الشام. البلدان ٢/٣٠٧.

(ثم دخلت سنة إحدى وعشرين ومائة)، فيها غزا مروان بن محمد بن مروان، وكان على الجزيرة وأرمينية، بلاد صاحب السرير، فأجاب صاحب السرير إلى الجزية، في كل سنة سبعين ألف رأس، يؤديها.

(وفيها) غزا مسلمة بن عبد الملك بلاد الروم، فافتتح حصونها وغَنِمَ. (وفيها) غزا نصر بن سيار بلاد ماوراء النهر، وقتل ملك الترك، ثم مضى إلى فرغانة [١] فسبى بها سبياً كثيراً.

(وفيها) أعني سنة إحدى وعشرين، وقيل اثنتين وعشرين ومائة، خرج زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم، بالكوفة، ودعا الى نفسه، وبايعه جمع كثير، وكان الوالي على الكوفة من قبل هشام، يوسف بن عمر الثقفي، فجمع العسكر وقاتل زيداً، فأصاب زيداً سهم في جبهته، فأدخل بعض الدور، ونزعوا السهم من جبهته، ثم مات.

ولما علم يوسف بن عمر بمقتله، تطلبه حتى دُلّ عليه واستخرجه وصلب جثته، وبعث برأسه إلى هشام بن عبد الملك، فأمر بنصب الرأس بدمشق، ولم تزل جثته مصلوبة حتى مات هشام، وولي الوليد، فأمر بحرق جثته، فأحرقت، وكان عمر زيد لما قتل، اثنتين وأربعين سنة.

(ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين ومائة) فيها توفي إياس بن معاوية بن قرة المزني، المشهور بالفراسة والذكاء، وكان وليَّ قضاء البصرة في أيام عمر بن عبد العزيز.

(ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائة) (وسنة أربع وعشرين ومائة)، فيها وقيل غير ذلك، توفي محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب القرشي، وعمره ثلاث وسبعون سنة، المعروف بالزُهري، بضم الزاي المنقوطة، وسكون الهاء، وبعدها راء، هذه النسبة إلى زهرة بن كلاب بن مرة، وكان الزُهري المذكور، من أعلام التابعين، رأى عشرة من أصحاب النبي، وروى عن الزهري المذكور، جماعة من الأئمة، مثل مالك وسفيان الثوري وغيرهما، وكان الزهري، إذا جلس في بيته وضع كتبه حوله مشتغلاً بها عن كل أحد فقالت له زوجته: والله لهذه الكتب أشد علي من ثلاث ضرائر. (ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائة).

---

(١) فرغانة: مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان. البلدان ٤ / ٢٥٣.

(ذكر وفاة هشام)

وفي هذه السنة، أعني سنة خمس وعشرين ومائة، توفي هشام بن عبد الملك بالرصافة، لست خلون من ربيع الأول، فكانت مدة خلافته تسع عشرة سنة وتسعة أشهر، وكسراً، وكان مرضه الذبحة، وكان عمره خمساً وخمسين سنة، ولما مات طلبوا له ما يسخنون فيه الماء، فلم يعطهم عياض كاتب الوليد، ما يسخنون فيه الماء، فإنه ختم على جميع موجوده للوليد، فاستعاروا له من الجيران قمقماً لتسخين الماء، ودفن بالرصافة، وكان أحول بين الحول، وخلف عدة بنين، منهم معاوية أبو عبد الرحمن، الذي دخل الأندلس، وملكها لما زال ملك بني أمية، وكان هشام حازماً سديد الرأي، غزير العقل، عالماً بالسياسة، واختار هشام الرصافة، وبناها، وإليه تنسب فيقال رصافة هشام، وكانت مدينة رومية، ثم خرجت وهي صحيحة الهواء، وإنما اختارها لأن خلفاء بني أمية، كانوا يهربون من الطاعون، وينزلون في البرية، فأقام هشام بالرصافة، وهي في تربة صحيحة، وابتنى بها قصرين وكان بها دير معروف.

(ذكر أخبار الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان)

وهو حادي عشر خلفاء بني أمية، لما مات هشام، نفذت الكتب إلى الوليد، وكان الوليد مقيماً في البريّة بالأزرق خوفاً من هشام، وكان الوليد وأصحابه في ذلك الموضع في أسوأ حال، ولما اشتد به الضيق، أتاه الفرج بموت هشام، وكانت البيعة للوليد يوم الأربعاء، لثلاث خلون من ربيع الآخر، من هذه السنة أعني سنة خمس وعشرين ومائة، وعكف الوليد على شرب الخمر، وسماع الغناء ومعاشرة النساء، وزاد الناس في أعطيتهم عشرات، ثم زاد أهل الشام بعد زيادة العشرات عشرة أخرى، ولم يقل في شيء سُئله لا.

(انتهى) النقل من تاريخ القاضي جمال الدين بن واصل، وابتدأت من هنا من تاريخ ابن الأثير الكامل، (وفي هذه السنة) أعني سنة خمس وعشرين ومائة، توفي القاسم بن أبي برة، وهو من المشهورين بالقراءة.

(ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائة)، فيها سلم الوليد بن يزيد بن عبد الملك، خالد بن عبد الله القسري. إلى يوسف بن عمر، عامله على العراق، فعذبه وقتله

ذكر قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك

في هذه السنة، قتل الوليد، قتله يزيد بن الوليد بن عبد الملك، الذي يقال له يزيد الناقص، وكان مقتله في جمادى الآخرة، سنه ست وعشرين ومائة، بسبب كثرة

مجونه ولهوه وشربه الخمر، ومنادمة الفساق، فثقل ذلك على الرعية والجند، وأذى بني عميه هشام والوليد، فرموه بالكفر، وغشيان أمهات أولاد أبيه، ودعا يزيد إلى نفسه، واجتمعت عليه اليمانية، ونهاه أخوه العباس بن الوليد بن عبد الملك عن ذلك، وتهدده، فأخفى يزيد الأمر عن أخيه، وكان يزيد مقيماً بالبادية، لوخم دمشق، فلما اجتمع له أمره، قصد دمشق متخفياً في سبعة نفر، وكان بينه وبينها مسيرة أربعة أيام، ونزل بجيرود[1] على مرحلة من دمشق، ثم دخل دمشق ليلاً، وقد بايع له أكثر أهلها، وكان عامل الوليد على دمشق، عبد الملك بن محمد بن الحجاج، وجاء الوباء بدمشق فخرج منها، ونزل قرية قطنا[2]، وظهر يزيد في دمشق، واجتمعت عليه الجند وغيرهم، وأرسل إلى قطنا مائتي فارس، فأخذوا عبد الملك المذكور، عامل الوليد على دمشق بالأمان، ثم جهز يزيد جيشاً إلى الوليد بن زيد بن عبد الملك، ومقدمهم عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك، ولما ظهر يزيد بن الوليد بدمشق، سار بعض موالي الوليد إليه، وأعلمه، وهو بالأغذف من عمان، فسار الوليد حتى أتى البحرة، إلى قصر النعمان بن بشير، ونازله عبد العزيز، وجرى بينه وبين الوليد قتال كثير، وقصد العباس بن الوليد بن عبد الملك، أخوه يزيد المذكور، اللحوق بالوليد ونصرته على أخيه، فأرسل عبد العزيز، منصور بن جمهور، إلى العباس، فأخذه قهراً، وأتى به إلى عبد العزيز، فقال له: بايع لأخيك، فبايع، ونصب عبد العزيز راية وقال: هذه راية العباس، قد بايع لأمير المؤمنين يزيد، فتفرق الناس عن الوليد، فركب الوليد بمن بقي معه، وقاتل قتالاً شديداً، ثم انهزم عنه أصحابه، فدخل القصر وأغلقه، وحاصروه ودخلوا إليه وقتلوه، واحتزوا رأسه، وسيروه إلى يزيد بن الوليد، فسجد يزيد شكراً لله، ووضع الرأس على رمح، وطيف به في دمشق، وكان قتله لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة، سنة ست وعشرين ومائة، فكانت مدة خلافته سنة وثلاثة أشهر، وكان عمره اثنتين وأربعين سنة، وقيل غير ذلك، وكان الوليد من فتيان بني أمية وظرفائهم، منهمكاً في اللهو والشرب وسماع الغناء.

(ذكر أخبار يزيد بن الوليد بن عبد الملك)

وهو ثاني عشر خلفائهم، استقر يزيد الناقص في الخلافة، لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة، سنة ست وعشرين ومائة، وسمي يزيد الناقص، لأنه نقص الناس

---

(١) جيرود: بلدة بين دمشق وحمص من أعمال القلمون.

(٢) قطنا: من قرى دمشق. البلدان ٤ / ٣٧٤.

العشرات التي زادها الوليد، وقررهم على ما كانوا عليه أيام هشام، ولما قتل الوليد وتولى يزيد الخلافة خالفه أهل حمص، وهجموا دار أخيه العباس بحمص، ونهبوا ما بها، وسلبوا حرمه، وأجمعوا على المسير إلى دمشق لحرب يزيد، فأرسل إليهم يزيد عسكراً، والتقوا قرب ثنية العقاب[١]، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وانهزم أهل حمص، واستولى عليها يزيد، وأخذ البيعة عليهم.

ثم اجتمع أهل فلسطين، فوثبوا على عامل يزيد، فأخرجوه من فلسطين، وأحضروا يزيد بن سليمان بن عبد الملك، فجعلوه عليهم، ودعا الناس إلى قتال يزيد الناقص، فأجابوه إلى ذلك، وبلغ يزيد ذلك، فأرسل إليهم جيشاً مع سليمان بن هشام ابن عبد الملك، ووعد كبراء فلسطين ومناهم، فتخاذلوا عن صاحبهم، فلما قرب منهم الجيش تفرقوا، وقدم جيش سليمان في أثر يزيد بن سليمان بن عبد الملك، فنهبوه، وسار سليمان بن هشام بن عبد الملك حتى نزل طبرية، وأخذ البيعة بها ليزيد الناقص، ثم سار حتى نزل الرملة، وأخذ البيعة على أهلها أيضاً للمذكور.

ثم أن يزيداً عزل يوسف بن عمر عن العراق، واستعمل عليه منصور بن جمهور، وضم إليه مع العراق خراسان، فامتنع نصر بن سيار في خراسان، ولم يجب إلى ذلك، ثم عزل يزيد بن الوليد، منصور بن جمهور عن العراق، وولاها عبد الله بن عمر بن عبد العزيز.

(وفي هذه السنة) أعني سنة ست وعشرين ومائة، أظهر مروان بن محمد الخلاف ليزيد بن الوليد.

(ذكر وفاة يزيد بن الوليد بن عبد الملك)

(وفي هذه السنة)، توفي يزيد الناقص المذكور، لعشر بقين من ذي الحجة، وكانت خلافته خمسة أشهر واثني عشر يوماً، وكان موته بدمشق، وكان عمره ستاً وأربعين سنة، وقيل ثلاثون سنة، وقيل غير ذلك.

وكان أسمر طويلاً، صغير الرأس جميلاً، ولما مات يزيد بن الوليد، قام بالأمر بعده (إبراهيم) أخوه وهو ثالث عشر خلفائهم، غير أنه لم يتم له الأمر، وكان يسلم عليه بالخلافة تارة، وتارة بالإمارة، فمكث أربعة أشهر وقيل سبعين يوماً.

---

(١) ثنية العقاب: ثنية شرفة على غوطة دمشق يطؤها القاصد من دمشق إلى حمص. البلدان ٢/ ٨٥.

(وفيها) توفي عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق.

(وفيها) توفي أبو جمرة صاحب ابن عباس، جمرة بالجيم والراء المهملة.

(ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائة)، فيها سار مروان بن محمد بن مروان بن الحكم، أمير ديار الجزيرة، إلى الشام لخلع ربراهيم بن الوليد، ولما وصل إلى قنسرين، اتفق معه أهلها، وساروا معه، ولما وصل مروان إلى حمص، بايعه أهلها، وصاروا معه أيضاً، ولما قرب مروان من دمشق، بعث إبراهيم إلى قتاله الجنود، مع سليمان بن هشام بن عبد الملك، وكانت عدتهم مائة وعشرين ألفاً، وعدة عسكر مروان بن محمد ثمانين ألفا، فاقتتلوا من ارتفاع النهار الى العصر، وكثر القتل بينهم، وانهزم عسكر إبراهيم، ووقع القتل فيهم والاسر، وهرب سليمان فيمن هرب إلى دمشق، واجتمعوا مع إبراهيم، وقتلوا ابني الوليد بن يزيد وكانا في السجن، ثم هرب إبراهيم واختفى، ونهب سليمان بن هشام بيت المال، وقسّمه في أصحابه، وخرج من دمشق.

(ذكر بيعة مروان بن محمد بن مروان بن الحكم)

وهو رابع عشر خلفاء بني أمية وآخرهم، (وفي هذه السنة)، أعني سنة سبع وعشرين ومائة، بويع لمروان المذكور في دمشق بالخلافة، ولما استقر له الأمر، رجع إلى منزله بحران[1]، وأرسل إبراهيم المخلوع بن الوليد، وسليمان بن هشام، فطلبا من مروان الأمان، فأمنهما، فقدما عليه ومع سليمان إخوته وأهل بيته فبايعوا مروان بن محمد.

(وفي هذه السنة)، عصي أهل حمص على مروان، فسار مروان من حران إلى حمص، وقد سد أهلها أبوابها، فاحدق بالمدينة، ثم فتحوا له الأبواب وأظهروا طاعته، ثم وقع بينهم قتال، فقتل من أهل حمص مقتلة، وهدم بعض سورها، وصلب جماعة من أهلها.

ولما فتح حمص جاءه الخبر بخلاف أهل الغوطة، وأنهم ولوا عليهم يزيد بن خالد القسري،وأنهم قد حصروا دمشق، فأرسل مروان عشرة آلاف فارس، مع (أبي الورد) بن الكوثر، وعمرو بن الصباح، وساروا من حمص، ولما وصلوا إلى قرب دمشق، حملوا على أهل الغوطة، وخرج من بالبلد عليهم أيضاً، فانهزم أهل الغوطة،

---

(١) حرّان : قصبة ديار مضر ، بينها وبين الرها يوم وبين الرّقة يومان، وهي على طريق الموصل الشام. البلدان ٢ / ٢٣٥.

ونهبهم العسكر وأحرقوا المزة[1] وقرى غيرها.

ثم عقيب ذلك خالفت أهل فلسطين، ومقدمهم ثابت بن نعيم، فكتب مروان إلى أبي الورد يأمره بالسير إليه، فسار إليه وهزمه على طبرية، ثم اقتتلوا على فلسطين، فانهزم ثابت بن نعيم، وتفرق أصحابه، وأسر ثلاثة من أولاده، فبعث بهم أبو الورد إلى مروان، وأعلمه بالنصر.

ثم سار مروان بن محمد إلى قرقيسيا، فخلعه سليمان بن هشام بن عبد الملك، واجتمع إليه من أهل الشام سبعون ألفاً، وعسكر بقنسرين، وسار إليه مروان من قرقيسيا، والتقوا بأرض قنسرين، وجرى بينهم قتال شديد، ثم انهزم سليمان بن هشام وعسكره، واتبعهم خيل مروان يقتلون ويأسرون، فكانت القتلى من عسكر سليمان تزيد على ثلاثين ألفاً، ثم إن سليمان وصل إلى حمص، واجتمع إليه أهلها وبقية المنهزمين، فسار إليهم مروان وهزمهم ثانية، وهرب سليمان الى تدمر، وعصى أهل حمص، فحاصرهم مروان مدة طويلة، ثم طلبوا الأمان، وسلموا إلى مروان من كان عليهم من الولاة، من جهة سليمان، فأجابهم إلى ذلك وأمنهم.

(وفي هذه السنة)، أعني سنة سبع وعشرين ومائة، مات محمد بن واسع الأزدي الزاهد.

(وفيها) مات عبد الله بن إسحاق. مولى الحضرمي من خلفاء عبد شمس، وكنيته أبو بحر، وكان إماماً في النحو واللغة، وكان يعيب الفرزدق في شعره، وينسبه إلى اللحن، فهجاه الفرزدق بقوله:

ولو كان عبد الله مولى هجوته ولكنّ عبد الله مولى مواليا

فقال له عبد الله: وقد لحنت أيضاً في قولك مولى مواليا، بل ينبغي أن تقول مولى موالي .

(ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ومائة)، فيها أرسل مروان بن محمد، يزيد بن هبيرة إلى العراق، لقتال من به من الخوارج، وكان بخراسان نصر بن سيار، والفتنة بها قائمة، بسبب دعاة بني العباس.

(وفيها) مات عاصم بن أبي النجود، صاحب القراة،والنجود الحمارة الوحشية.

---

(١) المزّة: قرية كبيرة غناء في وسط بساتين دمشق. البلدان ٥ / ١٢٢.

(ظهور دعوة بني العباس)

(ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومائة)، فيها ظهرت دعوة بني العباس بخراسان، وكان يختلف أبو مسلم الخراساني من خراسان، إلى إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وكان يُسمى إبراهيم الامام، ومنه الى خراسان، ليستلم منه إبراهيم الأحوال، فلما كانت هذه السنة، استدعى إبراهيم أبا مسلم من خراسان، فسار إليه، ثم أرسل إليه إبراهيم أن ابعث إليّ بما معك من المال مع قحطبة، وارجع إلى أمرك من حيث وافاك كتابي، ووافاه الكتاب بقومس [١]، فامتثل أبو مسلم ذلك، وأرسل ما معه إلى إبراهيم مع قحطبة، ورجع أبو مسلم الى خراسان، فلما وصل إلى (مرو) اظهر الدعوة لبني العباس، فأجابه الناس، وأرسل إلى بلاد خراسان بإظهار ذلك، وذلك بعد أن كان قد سعى في ذلك سراً مدة طويلة، ووافقه الناس في الباطن، وأظهروا ذلك في هذه السنة، وجرى بين أبي مسلم، وبين نصر بن سيار، أمير خراسان من جهة بني أمية، مكاتبات ومراسلات يطول شرحها، ثم جرى بينهما قتال، فقتل أبو مسلم بعض عمال نصر بن سيار، على بعض بلاد خراسان، واستولى على ما بأيديهم، وكان أبو مسلم من أهل خطرنية [٢] من سواد الكوفة، وكان قهرماناً لإدريس معقل العجلي، ثم صار إلى أن ولاه محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الأمر في استدعاء الناس في الباطن، ثم مات محمد، فولاه ابنه إبراهيم الإمام بن محمد ذلك، ثم الأئمة من ولد محمد، ولما قوي أبو مسلم على نصر بن سيار، ورأى نصر أن أمر أبي مسلم كلما جاء في قوة، كتب إلى مروان بن محمد يعلمه بالحال، وأنه يدعو إلى إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وكتب أبيات شعر وهي :

أرى تحتَ الرَّماد وميضَ نارٍ ... وأوشك أن تكون لها ضرامُ
فإن لم يُطفها عُقلاءُ قومٍ ... يكون وقودها جثثٌ وهامُ
فقلتُ من التعجب ليتَ شعري ... أأيقاظٌ أمية أم نيامُ

وكان مقام إبراهيم الإمام وأهله بالشراة، من الشام، بقرية يقال لها الحميمة [٣]، والحميمة، بضم الحاء المهملة، وميم مفتوحة، وياء مثناة من تحتها ساكنة، ثم ميم وهاء، هي عن الشوبك [٤] أقل من مسيرة يوم، بينها وبين الشوبك وادي موسى، وهي

---

(١) قومس : كورة كبيرة تشمل مدن وقرى ومزارع في ذيل جبال طبرستان. البلدان ٤ / ٤١٤.
(٢) خطرنية ناحية من نواحي بابل العراق. البلدان ٢ / ٣٧١.
(٣) الحميمة : انظر ص٢٧٨.
(٤) الشوبك : قلعة حصينة في أطراف الشام بين عَمّان وأيله والقلزم قرب الكرك. البلدان ٣ / ٣٧٠.

من الشوبك قبلة بغرب، وتلك البقعة التي هي من الشوبك، إلى جهة الغرب، والقبلة، يقال لها الشراة.

ولما بلغ مروان الحال، أرسل إلى عامله بالبلقاء، أن يسيّر إليه إبراهيم بن محمد المذكور، فشدّه وثاقاً، وبعث به إليه، فأخذه مروان وحبسه في حران، حتى مات إبراهيم في حبسه، وكان مولده في سنة اثنتين وثمانين.

(ثم دخلت سنة ثلاثين ومائة)، في هذه السنة، دخل أبو مسلم مدينة (مرو) ونزل في قصر الإمارة،في ربيع الآخر، وهرب نصر بن سيار من مرو، ثم وصل قحطبة من عند الإمام إبراهيم بن محمد إلى أبي مسلم، ومعه لواء كان قد عقده له إبراهيم، فجعل أبو مسلم قحطبة في مقدمته، وجعل إليه العزل والاستعمال، وكتب إلى الجنود بذلك.

(وفيها) أعني سنة ثلاثين ومائة، وقيل سنة ست وثلاثين، توفي ربيعة الرأي ابن فروج، فقيه أهل المدينة، أدرك جماعة من الصحابة، وعنه أخذ العلم الإمام مالك.

(ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين ومائة)، فيها مات نصر بن سيار بساوة، قرب الري، وكان عمره خمساً وثمانين سنة، (وفيها)، أيضاً توفي أبو حذيفة، واصل بن عطاء الغزّال المعتزلي، وكان مولده سنة ثمانين للهجرة، وكان يشتغل على الحسن البصري، ثم اعتزل عنه، وخالفه في قوله في أصحاب الكبائر من المسلمين، أنهم ليسوا مؤمنين ولا كافرين، بل لهم منزلة بين المنزلتين، فسمي وأصحابه معتزلة، وكان واصل المذكور، يلثغ بالراء، ويتجنب اللفظ بالراء في كلامه، حتى ذكر ذلك في الأشعار فمنه في المديح:

نعم تجنب لا يوم العطاء كما ... تجنب ابن عطاء لثغة الراء

ولم يكن واصل بن عطاء غزّالاً، وإنما كان يلازم الغزّالين، ليعرف المتعففات من النساء، فيحمل صدقته لهن.

(وفيها) أعني سنة إحدى وثلاثين ومائة، توفي بالبصرة مالك بن دينار، من موالي بني أسامة بن ثور القرشي، العالم الناسك الزاهد المشهور، وما أحسن ما وري باسم مالك المذكور، واسم أبيه دينار، بعض الشعراء، في ملك اقتتل مع أعدائه، وانتصر عليهم، وأسر الرجال وفرق الأموال فقال:

أعتقت من أموالهم ما استعبدوا ... وملكتُ رقهم وهم أحرارُ

حتى غدا من كان منهم مالكا متمنياً لو انه دينار

(ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين ومائة)، في هذه السنة، سار قحطبة في جيش كثيف من خراسان، طالباً يزيد بن هبيرة أمير العراق، من جهة مروان، آخر خلفاء بني أمية، وسار حتى قطع الفرات، والتقيا، فانهزم ابن هبيرة، وعدم قحطبة، فقيل غرق، وقيل وجد مقتولاً، وقام بالأمر بعده ابنه الحسن بن قحطبة.

(وفي هذه السنة) بويع أبو العباس السفاح، واسمه عبد الله بن محمد بن علي ابن عبد الله بن العباس بالخلافة، في ربيع الأول، وقيل في ربيع الآخر بالكوفة، بعد مسيره من الحميمة، وكان سبب مسيره من الحميمة، وكان مقامه بها، أن إبراهيم الإمام لما أمسكه مروان، نعى نفسه إلى أهل بيته، وأمرهم بالمسير الى أهل الكوفة، مع أخيه أبي العباس السفاح، وبالسمع له والطاعة، وأوصى إبراهيم الإمام بالخلافة إلى أخيه السفاح، وسار أبو العباس السفاح بأهل بيته، منهم أخوه أبو جعفر المنصور، وغيره، إلى الكوفة، فقدم إليها في صفر، واستخفى إلى شهر ربيع الأول، فظهر وسلم عليه الناس بالخلافة، وعزوه في أخيه إبراهيم الإمام، ودخل دار الإمارة بالكوفة، صبيحة يوم الجمعة، ثاني عشر ربيع الأول من هذه السنة، أعني سنة اثنتين وثلاثين ومائة.

ثم خرج إلى المسجد، فخطب وصلى بالناس، ثم صعد إلى المنبر ثانياً، وصعد عمه داود بن علي، فقام دونه، وخطبا الناس، وحضاهم علي الطاعة ثم نزل السفاح وعمه داود بن علي أمامه، حتى دخل القصر، وأجلس أخاه أبا جعفر المنصور في المسجد، يأخذ له البيعة على الناس، ثم خرج السفاح فعسكر (بحمام أعين)[1] واستخلف على الكوفة وأرضها، عمه داود بن علي، وحاجب السفاح يومئذ عبد الله ابن بسام.

(ثم بعث) السفاح عمه عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس إلى شهرزور[2]، وأهلها مذعنون بالطاعة لبني العباس، وبها من جهة بني العباس أبو عون، عبد الملك بن يزيد الأزدي.

(وبعث) ابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد، إلى الحسن بن قحطبة، وهو

---

(١) حمّام أعْيَن: بالكوفة. منسوب إلى اعين مولى سعد بن ابي وقاص، البلدان ٢ / ٢٩٩.

(٢) شهرزور: كورة واسعة في الجبال بين إربل وهمذان.

يومئذ يحاصر ابن هبيرة بواسط.

(وبعث) يحيى بن جعفر بن تمام بن عباس، إلى حميد بن قحطبة، أخي الحسن بن قحطبة بالمدائن، (وأقام) السفاح في العسكر أشهراً، ثم ارتحل فنزل المدينة الهاشمية، وهي هاشمية الكوفة، بقصر الإمارة.

(ذكر هزيمة مروان بالزاب وأخباره إلى أن قتل)

كان مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، آخر خلفاء بني أمية، وكان يقال له مروان الجعدي، وحمار الجزيرة أيضاً، بحران، فسار منها طالباً أبا عون، عبد الملك بن يزيد الأزدي، المستولي على شهر زور من جهة بني العباس، فلما وصل مروان إلى الزاب، نزل به وحفر عليه خندقاً، وكان في مائة ألف وعشرين ألفاً، وسار أبو عون من شهر زور إلى الزاب، بما عنده من الجموع، وأردفه السفاح بعساكر في دفوع، مع عدة مقدّمين، منهم سلمة بن محمد ابن عبد الله الطائي، وعم السفاح عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس، كما ذكرناه، ولما قدم عبد الله بن علي على أبي عون، تحول أبو عون عن سرادقه وخلاّه له وما فيه.

(ثم) إن مروان عقد جسراً على الزاب، وعبر إلى جهة عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس، فسار عبد الله بن علي إلى مروان، وقد جعل على ميمنته أبا عون، وعلى ميسرته الوليد بن معاوية، وكان عسكر عبد الله عشرين ألفاً، وقيل أقل من ذلك، والتقى الجمعان، واشتد بينهم القتال، وداخل عسكر مروان الفشل، وصار لا يريد أمراً إلاّ وكان فيه الخلل، حتى تمت الهزيمة على عسكر مروان، فانهزموا وغرق من أصحاب مروان عدة كثيرة، وكان ممن غرق، إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان المخلوع، وهو يومئذ مع مروان الحمار، وكتب عبد الله بن علي إلى السفاح بالفتح، وحوى من عسكر مروان سلاحاً كثيراً.

(وكانت) هزيمة مروان بالزاب، يوم السبت، لإحدى عشرة خلت من جمادى الآخرة، سنة اثنتين وثلاثين ومائة، ولما انهزم مروان من الزاب، أتى الموصل، فسبّه أهلها وقالوا: ياجعدي، الحمد لله الذي أتانا بأهل بيت نبينا، فسار عنها حتى أتى حران، وأقام بها نيفاً وعشرين يوماً، حتى دنا منه عسكر السفاح، فحمل مروان أهله وخيله، ومضى منهزماً الى حمص، وقدم عبد الله بن علي حران، ثم سار مروان من حمص وأتى دمشق، ثم سار عن دمشق إلى فلسطين، وكان السفاح قد كتب إلى

عمه عبد الله بن علي باتباع مروان، فسار عبد الله في أثره إلى أن وصل إلى دمشق، فحاصرها ودخلها عنوة، يوم الأربعاء لخمس مضين من رمضان، سنة اثنتين وثلاثين ومائة.

(ولما فتح) عبد الله بن علي دمشق، أقام بها خمسة عشرة يوماً، ثم سار من دمشق حتى أتى فلسطين، فورد عليه كتاب السفاح يأمره أن يرسل أخاه، صالح بن علي بن عبد الله بن عباس في طلب مروان، فسار صالح في ذي القعدة من هذه السنة، حتى نزل نيل مصر، ومروان منهزم قدامه، حتى أدركه في كنيسة في بوصير من أعمال مصر، وانهزم أصحاب مروان، وطعن إنسان مروان برمح فقتله، وسبق إليه رجل من أهل الكوفة، كان يبيع الرمان، فاحتزّ رأسه، وكان قتله لثلاث بقين من ذي الحجة، سنة اثنتين وثلاثين ومائة، ولما أحضر رأسه قدام صالح بن علي بن عبد الله ابن العباس، أمر أن ينفض، فانقطع لسانه، فأخذته هرة، وأرسله صالح الى السفاح وقال:

قد فتحَ اللهُ مصراً عنــوةً لكُــمُ ... وأهلكَ الفاجرَ الجعــديَ إذ ظلما
وذاكَ مقـــولــه هـــــرٌ يجـــرره ... وكان ربُكَ من ذي الكفر منتقما

ثم رجع صالح المذكور إلى الشام، ، وخلّف أبا عون بمصر، ولما وصل الرأس إلى السفاح وهو بالكوفة، سجد شكراً لله تعالى، ولما قتل مروان، هرب ابناه عبد الله وعبيد الله إلى أرض الحبشة، فقاتلتهم الحبشة، فقتل عبيد الله، ونجا عبد الله في عدّة ممن معه، وبقي الى خلافة المهدي، فأخذه نصر بن محمد بن الأشعث عامل فلسطين، فبعث به إلى المهدي، (ولما قتل) مروان حُملت نساؤه وبناته إلى بين يدي صالح بن علي بن عبد الله بن عباس، فأمر بحملهن الى حران، فلما دخلنها ورأين منازل مروان، رفعن أصواتهن بالبكاء، وكان عمر مروان لما قتل، اثنتين وستين سنة، وكانت مدة خلافته خمس سنين وعشرة أشهر ونصفاً، وكان يكنى أبا عبد الملك وكانت أمه أم ولد كردية، وكان يلقب بالحمار، وبالجعدي، لأنه تعلم من الجعد بن درهم مذهبه، في القول بخلق القرآن، والقدر، وكان مروان بن محمد، الحكم المذكور، أبيض أشهل، ضخم الهامة، كثّ اللحية أبيضها، ربعة، وكان شجاعاً، حازماً، إلاّ أن مدته انقضت، فلم ينفعه حزمه وهو آخر الخلفاء من بني أمية.

(ذكر من قتل من بني أمية)

كان سليمان بن هشام بن عبد الملك، قد أمنه السفاح وأكرمه، فدخل سديف

على السفاح وأنشده:

لا يغرّنّك ما ترى من رجال ... إنّ تحت الضلوع داءً دويا

فضعِ السيفَ وارفعِ السوطَ حتّى ... لا ترىَ فوق ظهرها أمويا

فأمر السفاح بقتل سليمان، فقتل، وكان قد اجتمع عند عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس، عدّة من بني أمية، نحو تسعين رجلاً، فلما اجتمعوا عند حضور الطعام، دخل شبل بن عبد الله، مولى بني هاشم، على عبد الله بن علي عم السفاح المذكور وأنشده:

أصبحَ المُلكُ ثابتُ الأساسِ ... بالبهاليل من بني العباسِ

طلبوا وتر هاشم فشفوها ... بعد ميل من الزمانِ وياسِ

لا تقيلن عبد شمس عثاراً ... واقطعن كل رقلة وغراس

ذلها أظهر التودد منها ... وبها منكم كحد المواسي

ولقد ساءني وساء سوائي ... قربهم من نمارقٍ وكراسي

أنزلوها بحيث أنزلها اللـ ... ـه بدار الهوانِ والإتعاسِ

واذكروا مصرع الحسين وزيد ... وشهيد بجانب المهراسِ

والقتيل الذي بحران أضحى ... ثاوياً بين غربة وتناسِ

فأمر عبد الله بهم، فضربوا بالعمد حتى وقعوا، وبسط عليهم الأنطاع، ومد عليهم الطعام، وأكل الناس وهم يسمعون أنينهم حتى ماتوا جميعاً، وأمر عبد الله بنبش قبور بني أمية بدمشق، فنبش قبر معاوية بن أبي سفيان، ونبش قبر يزيد ابنه، ونبش قبر عبد الملك بن مروان، ونبش قبر هشام بن عبد الملك، فوجد صحيحاً، فأمر بصلبه فصلب ثم أحرقه بالنار، وذراه، وتتبع يقتل بني أمية من أولاد الخلفاء وغيرهم، فلم يفلت منهم غير رضيع، أومن هرب إلى الأندلس، وكذلك قَتَل سليمان ابن علي بن عبد الله بن عباس بالبصرة، جماعة من بني أمية، وألقاهم في الطريق فأكلتهم الكلاب، ولما رأى من بقي من بني أمية ذلك، تشتتوا واختفوا في البلاد.

(وفي هذه السنة) أعني سنة اثنتين وثلاثين ومائة، خلع أبو الورد بن الكوثر، وكان من أصحاب مروان بن محمد، طاعة بني العباس، بعد أن كان قد دخل في طاعتهم، فسار عبد الله بن علي ابن عبد الله بن عباس، إلى أبي الورد، وهو بقنسرين، في جمع عظيم، واقتتلوا قتالاً شديداً، وكثر القتل في الفريقين، ثم

انهزمت أصحاب أبي الورد، وثبت أبو الورد حتى قتل.

ولما فرغ عبد الله بن علي من أمر أبي الورد، أمن أهل قنسرين، وجدد البيعة معهم، ثم رجع إلى دمشق، وكان قد خرج من بها عن الطاعة أيضاً، ونهبوا أهل عبد الله بن علي، فلما دنا عبد الله من دمشق، هربوا، ثم أمّنهم.

(وفيها) ولى السفاح أخاه يحيى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الموصل، وكان أهلها قد أخرجوا الوالي الذي بها، فسار يحيى إلى الموصل، ولما استقر بها، قتل من أهلها نحو أحد عشر ألف رجل، ثم أمر بقتل نسائهم وصبيانهم، وكان مع يحيى قائد معه أربعة آلاف زنجي، فاستوقفت امرأة من الموصل يحيى، وقالت: مأنف للعربيات أن ينكحن الزنوج، فعمل كلامها فيه، وجمع الزنوج فقتلهم، عن آخرهم.

(وفي هذه السنة) أرسل السفاح أخاه أبا جعفر المنصور، والياً على الجزيرة واذربيجان وارمنية، وولى عمه داود المدينة ومكة واليمن واليمامة، وولى ابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، الكوفة وسوادها، وكان على الشام عمه عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس، وعلى مصر أبو عون بن يزيد، وعلى خراسان والجبال أبو مسلم.

(ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين ومائة)، فيها استولى ملك الروم، وكان اسمه قسطنطين على ملطية[1]، وقاليقلا[2]، (وفيها) ولى السفاح عمه سليمان بن علي ابن عبد الله بن عباس، البصرة وكور دجلة والبحرين وعمان، واستعمل عمه إسماعيل ابن علي بن عبد الله بن عباس على الأهواز.

(وفيها) مات عم السفاح داود بن علي بالمدينة، وولى السفاح مكانه زياد بن عبد الله الحارثي.

(وفيها) عزل السفاح أخاه يحيى بن محمد عن الموصل، لكثرة قتله فيهم، وولى عليها عمه إسماعيل بن علي.

(ثم دخلت سنة أربع وثلاثين ومائة) فيها تحول السفاح من الحيرة، وكان مقامه بها، إلى الأنبار، في ذي الحجة.

---

(١) ملطية: من بلاد الروم تتاخم الشام. البلدان ٥ / ١٩٢.

(٢) قاليقلا: بأرمينية العظمى من نواحي خلاط. البلدان ٤ / ٢٩٩.

(ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ومائة) فيها توفي يحيى أخو السفاح بفارس، وكان قد ولاه إياها السفاح بعد عزله عن الموصل.

(ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومائة) فيها استأذن أبو مسلم السفاح في القدوم عليه، وفي الحج، فأذن له فحج أبو مسلم، وحج أبو جعفر المنصور أيضاً، وكان أبو جعفر هو أمير الموسم.

(ذكر موت السفاح)

في هذه السنة مات السفاح بالأنبار، في ذي الحجة بالجدري، وعمره ثلاث وثلاثون سنة فمدة خلافته، من لدن قتل مروان، أربع سنين، وكان قد بويع له بالخلافة قبل قتل مروان بثمانية أشهر، وكان السفاح طويلاً أقنى الأنف، أبيض، حسن الوجه واللحية، وصلى عليه عمه عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس، ودفنه بالزنبار العتيقة.

(ذكر خلافة المنصور)

وهو ثاني خلفاء بني العباس، كان السفاح قد عهد بالخلافة إلى أخيه أبي جعفر المنصور، ثم من بعده إلى ابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، فعقد العهد في ثوب، وختم عليه، ودفعه إلى عيسى بن موسى، ولما مات السفاح، كان أبو جعفر في الحج، فأخذ له البيعة على الناس عيسى بن موسى، وأرسل يعلمه بذلك، وبموت السفاح، وكان مع أبي جعفر أبو مسلم في الحج، فبايع أبو مسلم أبا جعفر وبايعه الناس.

(ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومائة) فيها قدم أبو جعفر المنصور من الحج إلى الكوفة، فصلى بأهلها الجمعة، وخطبهم، وسار إلى الأنبار فأقام بها.

(وفيها) بايع عم المنصور عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس لنفسه بالخلافة، وكان أبو مسلم قد قدم من الحج مع أبي جعفر المنصور، فأرسل أبو جعفر أبا مسلم ومعه الجنود، إلى قتال عمه عبد الله بن علي، وكان عبد الله بأرض نصيبين، فاقتتل هو وأبو مسلم عدة دفوع، واجتهد أبو مسلم بأنواع الخدع في قتاله، وداموا كذلك مدّة ،وفي آخر الأمر انهزم عبد الله بن علي وأصحابه في جمادى الآخرة، من هذه السنة، إلى جهة العراق، واستولى أبو مسلم على عسكره، وكتب بذلك إلى المنصور.

(ذكر قتل أبي مسلم الخراساني)

وفيها قتل ابو جعفر المنصور أبا مسلم الخراساني، بسبب وحشة جرت

بينهما، فإن المنصور كتب إلى أبي مسلم بعد أن هزم عبد الله عمه، بالولاية على مصر والشام، وصرفه عن خراسان، فلم يجب أبو مسلم إلى ذلك، وتوجه أبو مسلم يريد خراسان، وسار المنصور من الأنبار الى المدائن، وكتب إلى أبي مسلم يطلبه إليه، فاعتذر عن الحضور إليه، وطالت بينهما المراسلات في ذلك، وآخر الأمر أن أبا مسلم قدم على أبي جعفر المنصور بالمدائن، في ثلاثة آلاف رجل، وخلف باقي عسكره بحلوان، ولما قدم أبو مسلم، دخل على المنصور، وقبل يده، وانصرف، فلما كان من الغد، ترك المنصور بعض حرسه خلف الرواق، وأمرهم أنه إذا صفّق بيديه، يخرجون ويقتلون أبا مسلم، ودعا أبا مسلم، فلما حضر أخذ المنصور يعدد ذنوبه، وأبو مسلم يعتذر عنها، ثم صفق المنصور، فخرج الحرس وقتلوا أبا مسلم، وكان قتله في شعبان من هذه السنة، أعني سنة سبع وثلاثين ومائة، وكان أبو مسلم قد قتل في مدة دولته ستمائة ألف صبراً.

(ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ومائة) في هذه السنة، خرج قسطنطين ملك الروم إلى بلد الإسلام، فأخذ ملطية عنوة، وهدم سورها، وعفا عن من فيها من المقاتلة والذرية، وقد مر في سنة ثلاث وثلاثين ومائة نحو ذلك، (وفيها) وسع المنصور في المسجد الحرام. (ثم دخلت سنة تسع وثلاثين ومائة).

ذكر ابتداء الدولة الأموية بالأندلس

في هذه السنة، دخل عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ابن الحكم، إلى الأندلس، وسبب ذلك أنّ بني أميّة، لما قُتلوا، استخفى من سلم منهم، فهرب عبد الرحمن المذكور، واستولى على الأندلس في هذه السنة. وفيها ظفر المنصور بعمه عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس، وأعدمه وكان عبد الله مستخفياً عند أخيه سليمان بن علي من حين هرب من أبي مسلم على ماذكرناه.

(ثم دخلت سنة أربعين ومائة) في هذه السنة، أرسل المنصور عبد الوهاب ابن أخيه، إبراهيم الإمام، والحسن بن قحطبة،في سبعين ألف مقاتل، ليعمروا ملطية[1] فعمروها في ستة أشهر، وسار إليهم ملك الروم في مائة ألف مقاتل، حتى نزل على نهر جيحان،فبلغه كثرة المسلمين، فرجع عنهم.

وفيها حج المنصور وتوجه إلى البيت المقدس، ثم إلى الرقة، وعاد إلى هاشمية الكوفة، وفيها أمر المنصور بعمارة مدينة المصيصة، وبنى بها مسجداً جامعاً، وأسكنها ألف جندي، وسماها المعمورة[2] .(ثم دخلت سنة إحدى وأربعين ومائة) في هذه السنة، كان خروج الراوندية على المنصور، وهم قوم من أهل خراسان، على مذهب أبي مسلم الخراساني يقولون بالتناسخ، فيزعمون أنّ روح آدم في عثمان بن نهيك، وأن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم، هو الخليفة أبو جعفر المنصور، فلما ظهروا وأتوا إلى قصر المنصور، قالوا: هذا قصر ربنا، فحبس المنصور رؤساءهم، وهم مائتان، فغضب أصحابهم، وأخذوا نعشاً وحملوه ومشوا به على أنهم ماشون في جنازة، حتى بلغوا باب السجن، فرموا بالنعش، وكسروا باب السجن، وأخرجوا رؤساءهم، ثم قصدوا المنصور وهم نحوستمائة رجل ، فتنادى الناس، وأغلقت

---

(١) ملطية : بلدة من بلاد الروم تتاخم الشام . البلدان ٥ / ١٩٢.

(٢) المعمورة : اسم لمدينة المصيصة نفسها بعد أن أعيد إعمارها. البلدان ٥ / ١٥٩.

أبواب المدينة وخرج المنصور ماشياً، واجتمع عليه الناس، وكان معن بن زائدة مستخفياً من المنصور، فحضر وقاتل الراوندية بين يدي المنصور، فعفا عن معن لذلك، وقتل في ذلك اليوم الراوندية عن آخرهم.

(ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين ومائة) فيها مات عم المنصور سليمان بن علي. (ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين ومائة، ودخلت سنة أربع وأربعين ومائة) في هذه السنة، حبس المنصور من بني الحسن بن علي بن أبي طالب أحد عشر رجلاً وقيدهم، وفيها مات عبد الله بن شبرمة وعمرو بن عبيد المعتزلي الزاهد، وعُقيل بن خالد صاحب الزهري.

(ثم دخلت سنة خمس وأربعين ومائة) فيها ظهرمحمد بن عبد الله بن الحسن ابن الحسين بن علي بن أبي طالب، واستولى على المدينة، وتبعه أهلها. فأرسل المنصور ابن أخيه عيسى بن موسى إليه، فوصل إلى المدينة، وخندق محمد ابن عبد الله على نفسه، موضع خندق رسول الله ﷺ للأحزاب، وجرى بينهما قتال، آخره أنّ محمد بن عبد الله المذكور، قُتل هو وجماعة من أهل بيته وأصحابه، وانهزم من سلم من أصحابه، وكان محمد المذكور، سميناً أسمر شجاعاً، كثير الصوم والصلاة، وكان يلقب المهدي، والنفس الزكية، ولما قتل محمد، أقام عيسى بن موسى بالمدينة أياماً، ثم سار عنها في أواخر رمضان يريد مكة معتمراً.

(ذكر بناء بغداد)

وفي هذه السنة، ابتدأ المنصور في بناء مدينة بغداد، وسبب ذلك: أنّ المنصور كره سكنى الهاشمية التي ابتناها أخوه بنواحي الكوفة، لما ثارت عليه الراوندية فيها، وكرهها أيضاً لجوار أهل الكوفة، فإنه كان لا يأمنهم على نفسه، فخرج يرتاد له موضعاً يسكنه، فاختار موضع بغداد، وابتدأ في عملها سنة خمس وأربعين ومائة.

(ذكر ظهور إبراهيم العلوي)

في هذه السنة أيضاً، في رمضان، ظهر إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أخو محمد النفس الزكية، وكان مستخفياً هارباً من بلد إلى بلد، والمنصور مجتهد على الظفر به، فقدم البصرة ودعا الناس إلى بيعة أخيه

محمد بن عبد الله، وذلك قبل أن يبلغه قتله بالمدينة، فبايعه جماعة، منهم: مرّة العبشمي[1] وعبد الواحد بن زياد، وعمرو بن سلمة الهجيمي، وعبد الله بن يحيى الرقاشي، وأجابه جماعة كثيرة من الفقهاء وأهل العلم، حتى أحصى ديوانه أربعة آلاف، وكان أمير البصرة سفيان بن معاوية، فلما رأى اجتماع الناس على إبراهيم المذكور، تحصّن في دار الإمارة بجماعة، فقصده إبراهيم وحصره، فطلب سفيان منه الأمان فأمنّه إبراهيم، ودخل إبراهيم القصر، فجاء يجلس على حصير فرشت له هناك، فقلبها الريح، فتطير الناس بذلك، فقال إبراهيم: إنّا لا نتطير وجلس عليها مقلوبة، ووجد إبراهيم في بيت المال ألفي ألف درهم، فاستعان بها، وفرض لأصحابه خمسين خمسين.

ومضى إبراهيم بنفسه إلى دار زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، وإليها ينسب الزينبيون من العباسيين،فنادى هناك لأهل البصرة بالأمان، وأن لا يتعرض إليهم أحد.

ولمّا استقرت البصرة لإبراهيم، أرسل جماعة فاستولوا على الأهواز، ثم أرسل هارون بن سعد العجلي في سبعة عشر ألفاً إلى واسط[2] فملكها العجلي، ولم يزل إبراهيم بالبصرة يفرق العمال والجيوش، حتى أتاه خبر مقتل أخيه محمد بن عبد الله، قبل عيد الفطر بثلاثة أيام.

ثم إن إبراهيم أجمع على المسير إلى الكوفة، وسار من البصرة وقد أحصى ديوانه مائة ألف،حتى نزل (باحمرا)[3] وهي من الكوفة على ستة عشر فرسخاً، وكان المنصور قد استدعى عيسى بن موسى من الحجاز، فحضر، وجعله في جيش قبالة إبراهيم بن عبد الله، وجرى بينهما قتال شديد، انهزم فيه غالب عسكر عيسى بن موسى ثم تراجعوا. ثم وقعت الهزيمة على أصحاب إبراهيم، وثبت هو في نفر قليل من أصحابه يبلغون ستمائة، فجاء سهم في حلق إبراهيم، فتنحى عن موقفه فقال أردنا أمراً وأراد الله غيره، واجتمع عليه أصحابه وأنزلوه، فحمل عليهم عسكر عيسى ابن موسى وفرقوهم عنه، واحتزوا رأس إبراهيم، وأتوا به إلى عيسى فسجد شكراً لله تعالى، وبعث به إلى المنصور.

---

(١) في الكامل: نميلة بن مرّة العبشمي. ج ٥ص١٦٩.
(٢) واسط: بلدة تتوسط المسافة بين البصرة والكوفة. البلدان ٥ /٣٤٧ ..
(٣) باخمرا: موضع بين الكوفة وواسط وهو أقرب إلى الكوفة. البلدان ١ /٣١٦.

وكان قتل إبراهيم، لخمس بقين من ذي القعدة، سنة خمس وأربعين ومائة، وكان عمره ثمانياً وأربعين سنة. (ثم دخلت سنة ست وأربعين ومائة) فيها تحوّل المنصور من مدينة ابن هبيرة إلى بغداد ليكمل عمارتها، واستشار أصحابه، وفيهم خالد بن برمك؛ في نقض إيوان كسرى والمدائن، ونقل ذلك إلى بغداد، فقال خالد ابن برمك: لا أرى ذلك، لأنه من أعلام المسلمين، فقال المنصور: مِلْتَ ياخالد إلى أصحابك العجم، وأمر المنصور بنقض القصر الأبيض، فنقضت ناحية منه، فكان ما يغرمون على نقضه، أكثر من قيمة ذلك المنقوض، فترك نقضه، فقال له خالد: إني لا أرى أن تبطل ذلك لئلا يقال أنك عجزت عن تخريب ما بناه غيرك، فلم يلتفت المنصور إلى ذلك، وترك هدمه، ونقل المنصور أبواب مدينة واسط، فجعلها على بغداد، وجعل المنصور بغداد مدوّرة، لئلا يكون بعض الناس أقرب إلى السلطان من بعض، وبني قصره في وسطها، والجامع في جانب القصر.

(ثم دخلت سنة سبع وأربعين ومائة): فيها خلع المنصور ابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، من ولاية العهد، وبايع لابنه المهدي محمد بن المنصور.

(ثم دخلت سنة ثمان وأربعين ومائة): فيها ولد الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك، وفيها ولّى المنصور خالد بن برمك الموصل، وكان مولد الفضل قبل مولد الرشيد بتسعة أيام، فأرضعته الخيزران أمّ الرشيد.

وفيها توفي جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. وجعفر الصادق، أحد الأئمة الاثني عشر، على رأي الإمامية، فإنه قد تقدم منهم علي بن أبي طالب،ثم ابنه الحسن، ثم الحسين،ثم زين العابدين، ثم الباقر،ثم جعفر الصادق المذكور، وسنذكر الباقين إن شاء الله تعالى، وسمي جعفر بالصادق لصدقه، وله كلام في صنعة الكيمياء، والزجر، والفال، وولد سنة ثمانين، وتوفي في هذه السنة. أعني سنة ثمان وأربعين ومائة بالمدينة، ودفن بالبقيع، وأمّه بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وفيها توفي محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى القاضي.

(ثم دخلت سنة تسع وأربعين ومائة): فيها مات مسلم بن قتيبة بالرّي، وكان مشهوراً، عظيم القدر، وفيها مات كهمش بن الحسن التميمي البصري. وفيها مات

عيسى بن عمر الثقفي، وعنه أخذ الخليل النحو.

(ثم دخلت سنة خمسين ومائة): فيها بنى عبد الرحمن الأموي سورقرطبة، وفيها مات جعفر بن أبي جعفر المنصور، وفيها مات الإمام أبوحنيفة النعمان بن ثابت ابن زوطا، مولى تيم الله بن ثعلبة، وكان زوطا من أهل كابل، وقيل من أهل بابل، وقيل من أهل الأنبار، وهو الذي مسه الرق فاعتق، وولد له ثابت على الإسلام، وقال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة المذكور: ماوقع علينا رِقّ قط، وروى أن ثابتاً أبا أبي حنيفة وهو صغير، ذهب إلى علي بن أبي طالب فدعا له بالبركة فيه وفي ذريته. وقيل في نسب أبي حنيفة غير ذلك، فقيل: هوالنعمان بن ثابت بن النعمان بن المرزبان، وأنّ جده النعمان بن المرزبان، أهدى إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه في يوم المهرجان فالوذجا، فقال له علي: مهرجونا في كل يوم، وأدرك أبو حنيفة أربعة من الصحابة، وهم أنس بن مالك، وعبد الله بن أبي، أوفى بالكوفة، وسهل بن سعد الساعدي بالمدينة، وأبو الطفيل عامر بن واثلة بمكة، ولم يلق أحداً منهم، ولا أخذ عنهم، وأصحابه يقولون: لقي جماعة من الصحابة وأخذ عنهم، ولم يثبت ذلك عند أهل النقل.

وكان أبوحنيفة عالماً عاملاً زاهداً ورعاً، راوده أبو جعفر المنصور في أن يلي القضاء فامتنع، وكان حسن الوجه، ربعة، وقيل طويلاً، أحسن الناس منطقاً.

قال الشافعي: قيل لمالك، هل رأيت أبا حنيفة؟ فقال: نعم، رأيت رجلاً، لو كلمته في هذه السارية أن يجعلها ذهباً، لقام بحجته، وكان يصلي غالب الليل، حتى قيل إنه صلى الصبح بوضوء عشاء الآخرة أربعين سنة، وحفظ عليه أنه ختم القرآن في الموضع الذي توفي فيه، سبعة آلاف مرة. وكان يعاب بقلة العربية،وكانت ولادته سنة ثمانين للهجرة، وقيل ولد سنة إحدى وستين، وكانت وفاته ببغداد، في السجن ليلي القضاء، فلم يفعل ، وقيل إنه توفي في اليوم الذي ولد فيه الشافعي، وذلك في رجب من هذه السنة، وقيل في جمادى الأولى وقبره ببغداد مشهور. وزوطا، بضم الزاي المعجمة وسكون الواو وفتح الطاء المهملة.

وفيها مات محمد بن اسحاق، صاحب المغازي فقيل كانت وفاة محمد بن إسحاق المذكور، سنة إحدى وخمسين ومائة، وكان ثبتاً في الحديث عند أكثر العلماء، وقد ذكره البخاري في تاريخه، ولكن لم يرو عنه، وكذلك مسلم لم يخرج

عنه إلا حديثاً واحداً في الرجم، وإنما لم يرو عنه البخاري لأجل طعن الإمام مالك بن أنس فيه، وكانت وفاة ابن اسحاق ببغداد، وفيها مات مقاتل بن سليمان البلخي المفسر.

(ثم دخلت سنة إحدى وخمسين ومائة) فيها ولّى المنصور، هشام بن عمرو الثعلبي[١] على السند، وكان على السند، عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة بن أبي صفرة، فعزله وولاه إفريقية، وكان يلقب عمر المذكور «بهزار مرد» أي الف رجل وفيها بنى المنصور الرصافة، للمهدي ابنه وهي من الجانب الشرقي من بغداد، وحوّل إليها قطعة من جيشه، وفيها قتل معن بن زائدة الشيباني، بسجستان[٢] في بست. وكان المنصور قد استعمله على سجستان، قتله جماعة من الخوارج، هجموا عليه في بيته بغتة وهو يحتجم فقتلوه، وقام بالأمر بعده ابن أخيه يزيد بن مزيد[٣] بن زائدة الشيباني.

(ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين ومائة) فيها غزا حميد بن قحطبة كابل[٤] وكان أمير خراسان.

(ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وسنة أربع وخمسين ومائة) فيها أعني في سنة أربع وخمسين ومائة، توفي بالكوفة ابو عمرو، واسمه كنيته، ابن العلا بن عمار من ولد الحصين التميمي المازني البصري، وكانت ولادته في سنة سبعين، وقيل ثمان وستين، وهو أحد القراء السبعة، وكان أعلم الناس بالقرآن الكريم، وفيها سار المنصور إلى الشام، وجهزجيشاً إلى المغرب، لقتال الخوارج بها، وفيها مات أشعب الطامع، وفيها مات وهيب بن الورد المكي الزاهد.

(ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومائة) : فيها عمل المنصور للكوفة والبصرة سوراً وخندقاً، وجعل ما أنفق فيه، من أموال أهلهما، ولما أراد المنصور معرفة عددهم، أمر أن يقسم فيهم خمسة الدراهم خمسة الدراهم، ثم جبى منهم أربعين أربعين فقال بعض شعرائهم:

---

(١) في الكامل : التغلبي. ج٥ ص١٩٣.
(٢) سجستان : ناحية كبيرة جنوبي هراة على بعد ثمانين فرسخاً. البلدان ٣ / ١٩٠.
(٣) في الكامل : يزيد بن مزيد . ج٥ ص٢٠١.
(٤) كَابُل : اسم يشمل الناحيه ومدينتها بين هند وغزنة من ثغور طخارستان. البلدان ٤ / ٤٢٦.

يالقــوم مـا لقيــنا من أمــير المؤمنينا
قسم الخمسة فينا وجبــانـا أربعـينـا

(ثم دخلت سنة ست وخمسين ومائة) : في هذه السنة توفي حمزة بن حبيب ابن عمارة الكوفي، المعروف بالزيات، أحد القراء السبعة، وعنه أخذ الكسائي القراءة. وكان يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان، ويجلب من حلوان الجبن والجوز إلى الكوفة، فقيل له الزيات لذلك.

(ثم دخلت سنة سبع وخمسين ومائة) : فيها مات الأوزاعي الفقيه، واسمه: عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد، وعمره سبعون سنة، وكنيته أبو عمرو، وكان يسكن بيروت، وبها توفي، وكانت ولادته ببعلبك سنة ثمان وثمانين للهجرة، وكان يخضب بالحناء، وكان إمام أهل الشام، قيل إنه أجاب في سبعين ألف مسألة وقبره في قرية على باب بيروت يقال لها خنتوس، وأهل القرية لا يعرفونه، بل يقولون هاهنا رجل صالح.

والأوزاعي منسوب إلى أوزاع وهي بطن من ذي كلاع، وقيل بطن من همذان، وجدّه يُحمد، بضم الياء المثناة من تحتها، وسكون الحاء المهملة وكسر الميم،وبعدها دال مهملة.

(ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ومائة)

(ذكر وفاة المنصور)

وهو المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وكانت وفاته في هذه السنة، لست خلون من ذي الحجة،ببئر ميمونة[1] وكان قد خرج من بغداد لحج، فسار معه ابنه المهدي، فقال له المنصور: إني ولدت في ذي الحجة، ووليت في ذي الحجة، وقد هجس في نفسي أني أموت في ذي الحجة من هذه السنة، وهذا هو الذي حداني على الحج، فاتق الله فيما أعهد إليك من أمور المسلمين بعدي، ووصاه وصية طويلة، ثم ودّعه وبكيا، ثم سار إلى الحج، ومات ببئر ميمونة محرماً، في التاريخ المذكور، وكان مرضه القيام، وكان عمره ثلاثاً وستين سنة، وكانت مدة

---

(١) في الكامل : بئر ميمون . ج٥ ص٢١٥.

خلافته اثنتين وعشرين سنة وثلاثة أشهر وكسراً.

وكان المنصور أسمر نحيفاً خفيف العارضين، ولد بالحميمة من أرض الشراة، ودفن بمقابر باب المعلى[1] وبقي أثر الإحرام، فدفن ورأسه مكشوف، ومما يحكى عنه فيما جرى له في حجه، قيل: بينما الخليفة المنصور يطوف بالكعبة ليلاً، إذ سمع قائلاً يقول: اللّهم إني أشكو إليك ظهور البغي والفساد في الأرض، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع، فخرج المنصور إلى ناحية من المسجد، ودعا القائل وسأله عن قوله، فقال له : يا أمير المؤمنين إن أمنّتني أنبأتك بالأمور على جليتها وأصولها، فأمنه .فقال: إن الذي دخله الطمع حتى حال بين الحق وأهله، هو أنت يا أمير المؤمنين .فقال المنصور: ويحك وكيف يدخلني الطمع، والصفراء والبيضاء في قبضتي، والحلو والحامض عندي؟فقال الرجل: لأن اللّه تعالى استرعاك المسلمين وأموالهم، فجعلت بينك وبينهم حجاباً من الجص والآجر، وأبواباً من الحديد، وحجاباً معهم الأسلحة، وأمرتهم أن لا يدخل عليك إلا فلان وفلان، ولم تأمر بإيصال المظلوم والملهوف، ولا الجائع والعاري، ولا الضعيف والفقير، وما أحد إلا وله من هذا المال حق، فلما رآك هؤلاء النفر الذي استخلصتهم لنفسك، وآثرتهم على رعيتك، تجبي الأموال فلا تعطيها، وتجمعها ولا تقسمها، قالوا: هذا قد خان اللّه تعالى، فما لنا لا نخونه، وقد سخر لنا نفسه، فاتفقوا على أن لا يصل إليك من أخبار الناس إلا ماأرادوا، ولا يخرج لك عامل فيخالف أمرهم إلا أقصوه ونفوه،حتى تسقط منزلته ويصغر قدره، فلما انتشر ذلك عنك وعنهم،عظّمهم الناس وهابوهم، فكان أول من صانعهم عملك بالهدايا، ليتقووا بهم على ظلم رعيتك، ثم فعل ذلك ذو القدرة والثروة من رعيتك، لينالوا به ظلم من دونهم، فامتلأت بلاد اللّه بالطمع ظلماً وفساداً، وصارهؤلاء القوم شركاءك في سلطانك، وأنت غافل، فإن جاء متظلم، حيل بينه وبين الدخول إليك، فإن أراد رفع قصة إليك، وجدك قد منعت من ذلك، وجعلت رجلاً ينظر في المظالم، فلا يزال المظلوم يختلف إليه، وهو يدافعه خوفاً من بطانتك، فإذا صرخ بين يديك، ضرب ضرباً شديداً، ليكون نكالاً لغيره، وأنت تنظر ولا تنكر فما بقاء الإسلام على هذا، فإن قلت إنما تجمع المال لولدك، فقد أراك اللّه في الطفل يسقط من بطن أمه وماله في الأرض مال، وما من مال إلا ودونه يد شحيحة

---

(١) في الكامل : مقبرة المعلاة. ج٥ ص٢١٨.

تحوبه،فما يزال الله يلطف بذلك الطفل، حتى يعظم رغبة الناس إليه، ولست الذي يعطي، وإنما اللّه عزّ وجلّ يعطي من يشاء بغير حساب، وإن قلت إنما أجمع المال لتسديد الملك وتقويته، فقد أراك اللّه في بني أمية ما أغنى عنهم ماجمعوه من الذهب والفضة، وما أعدوا من الرجال والسلاح والكراع، حين أراد اللّه تعالى لهم ماأراد، وإن قلت إنما أجمعه لطلب غاية هي أجسم من الغاية التي أنت فيها، فو اللّه ما فوق الذي أنت فيه منزلةٌ، إلا منزلةً ما تنُال إلا بخلاف ما أنت عليه.

(ذكر أولاده)

وهم المهدي محمد، وجعفر الأكبر، مات في حياة أبيه المنصور، ومنهم سليمان وعيسى ويعقوب وجعفر الأصغر وصالح المسكين، وكان المنصور أحسن الناس خلقاً في الخلوة حتى يخرج إلى الناس.



ذكر خلافة المهدي

محمد بن المنصور، وهو ثالثهم، ووصل إليه الخبر بموت أبيه، وبالبيعة له، في منتصف ذي الحجة لأن القاصد وصل من مكة إلى بغداد، في أحد عشر يوماً، فبايعه أهل بغداد.

(ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومائة وسنة ستين ومائة) فيها أمر المهدي برد نسب آل زياد، الذي استلحقه معاوية بن أبي سفيان، إلى عبيد الرومي، وأخرجهم من قريش، فاخرجوا من ديوان قريش والعرب، وردوهم إلى ثقيف. وفيها حج المهدي، وفرق في الناس أموالأعظيمة،ووسع مسجد رسول اللهﷺ، وحمل الثلج إلى مكة

وفيها مات داود الطائي الزاهد، وكان من أصحاب أبي حنيفة، وعبد الرحمن ابن عبد اللهّ بن عتبة بن مسعود المسعودي، وفيها توفي الخليل بن أحمد البصري النحوي أستاذ سيبويه.

(ثم دخلت سنة إحدى وستين ومائة) فيها أمر المهدي باتخاذ المصانع في طريق مكة وبتجديد الأميال والبرك وبحفر الركايا، وبتقصير المنابر في البلاد، وجعلها بمقدار منبر رسول الله ﷺ .

وفيها جعل المهدي يحيى بن خالد بن برمك مع ابنه هارون، وجعل مع الهادي أبان بن صدقة، وفيها توفي سفيان الثوري، وكان مولده سنة سبع وتسعين.

وفيها توفي إبراهيم بن أدهم بن منصور الزاهد، وكان مولده ببلخ، وانتقل إلى الشام، فاقام به مرابطاً، وهو من بكر بن وائل.

قال إبراهيم بن يسار، سألت إبراهيم بن أدهم، كيف كان بدو أمرك حتى صرت إلى الزهد؟ قال: غير هذا أولى بك، فمازال يلح عليه بالسؤال حتى قال: إني من ملوك خراسان، وكان قد حُبب إلي الصيد، فبينا أنا راكب فرساً وكلبي معي، إذ

تحركت على صيد، فسمعت نداء من ورائي: يا إبراهيم، ليس لهذا خلقت، ولا به أُمرت، فوقفت مقشعراً أنظر يمنة ويسرة، فلم أر أحداً، قلت: لعن الله إبليس. ثم حركت فرسي، فسمعت من قربوس سرجي: يا إبراهيم ليس لهذا خلقت ولا به أُمرت فوقفت وقلت هيهات! جاءني النذير من رب العالمين، والله لا عصيت ربي، فتوجهت إلى أهلي وجئت إلى بعض رعاء أبي فأخذت جبته وكساءه، وألقيت إليه ثيابي، ثم سرت حتى صرت إلى العراق، ثم صرت إلى الشام، ثم قدمت إلى طرسوس، فاستأجرني شخص ناطور البستان، قال: فمكثت في البستان أياماً كثيرة، كلما اشتهرت، اختفيت وهربت من الناس، وكان إبراهيم بن أدهم يأكل من عمل يده، مثل الحصاد وحفظ البساتين، والعمل في الطين، رحمه الله تعالى.

(ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومائة) فيها تجهز المهدي لغزو الروم، وجمع العساكر من خراسان وغيرها، وعسكر بالبردان[1] وسار عنها، وكان قد استخلف على بغداد، ابنه موسى الهادي، واستصحب معه ابنه هارون الرشيد، فلما وصل المهدي إلى حلب، بلغه أن في تلك الناحية زنادقة، فجمعهم وقتلهم وقطع كتبهم.

وسار إلى جيحان، وجهز ابنه هارون بالعسكر إلى الغزو، فتغلغل هارون في بلاد الروم، وفتح فتوحات كثيرة، ثم عاد سالماً منصوراً.

وفيها قتل المقنع الخراساني، واسمه عطا، وكان من حديثه، أنه كان رجلاً ساحراً، خيل للناس صورة قمر يطلع ويراه الناس من مسافة شهرين، وإلى هذا القمر أشار ابن سناء الملك بقوله:

إليك فما بدر المقنع طالعاً ... بأسحر من ألحاظ بدري المعمم

وادعى المقنع المذكور الربوبية، وأطاعه جماعة كثيرة، وقال: إن الله عزّ وجلّ حل في آدم، ثم في نوح، ثم في نبي بعد آخر، حتى حل فيه، وعمرّ قلعة تسمى سنام، بما وراء النهر من رستاق كيش، وتحصن بها، ثم اجتمع عليه الناس وحصروه في قلعته، فسقى نساءه سماً فمتن، ثم تناول منه فمات في السنة المذكورة، لعنه الله، فدخل المسلمون قلعته وقتلوا من بها من أشياعه، وكان المقنع المذكور في

(١) البردان: نهر بطرسوس. الكامل ج٥ ص٢٤٤.

مبدأ أمره قصاراً، من أهل مرو وكان مشوّه الخلق أعور قصيراً، وكان لايسفر عن وجهه، بل اتخذ له وجهاً من ذهب فتقنع به، ولذلك قيل له المقنع.

(ثم دخلت سنة أربع وستين ومائة) فيها مات عم المنصور، عيسى بن علي ابن عبد الله بن عباس، وعمره ثمان وسبعون سنة

(ثم دخلت سنة خمس وستين ومائة) : فيها أرسل المهدي ابنه هارون الرشيد إلى الروم في جيش كثير، فسار حتى بلغ خليج القسطنطينية، وغنم شيئاً كثيراً وقتل في الروم وعاد.

(ثم دخلت سنة ست وستين ومائة) : فيها قبض المهدي وزيره يعقوب بن داود بن طهمان، وكان قبل أن يتولى وزارة المهدي، يكتب لنصر بن سيار، ثم بقي بعده بطالاً، واتصل بالمهدي فاستوزره، وصارت الأمور إليه وتمكن عنده فحسده أصحاب المهدي، وسعوا فيه حتى أمسكه في هذه السنة، وحبسه، ولم يزل محبوساً إلى خلافة الرشيد، فأخرجه وقد عمي، فلحق بمكة، وكان أصحاب المهدي يشربون عنده، وكان يعقوب ينهي المهدي عن ذلك، فضيق على المهدي حتى أمسكه المهدي وحبسه، وفيه يقول بشار بن برد:

بني أمية هبوا طال نومكم ... إن الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا ... خليفة الله بين الناء والعود[1]

(وفي هذه السنة) أقام المهدي بريداً بين مكة والمدينة واليمن، بغالاً وإبلا: وفيها قتل بشار بن برد الشاعر على الزندقة، وكان أعمى، خلق ممسوح العينين، ولما قتل كان قد نيف على التسعين، وكان بشار المذكور يفضل النار على الأرض ويصوب رأي إبليس في امتناعه من السجود لآدم عليه السلام.

(ثم دخلت سنة سبع وستين ومائة) : فيها توفي عيسى بن موسى بن محمد ابن علي بن عبد الله بن عباس ابن أخي السفاح والمنصور وهو الذي أوصى له السفاح بالخلافة بعد المنصور. ثم خلعه المنصور وولى ابنه المهدي، وكان عمر عيسى بن موسى المذكور، خمساً وستين سنة، وفي هذه السنة زاد المهدي في

---

(١) في الكامل : الناي. ج٥ ص٢٥٠.

المسجد الحرام، ومسجد النبي ﷺ.

(ثم دخلت سنة ثمان وستين ومائة وسنة تسع وستين ومائة)

(ذكر موت المهدي)

فيها توفي المهدي، محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بماسبذان[1] في المحرم، لثمان بقين منه، وكانت خلافته عشر سنين وشهراً، وعمره ثلاث وأربعون سنة، ودفن تحت جوزة، وصلى عليه ابنه الرشيد، وكان المهدي يجلس للمظالم ويقول: أدخلوا عليَّ القضاة، فلو لم يكن ردي للمظالم إلا للحياء منهم (لكفى)[2].



(١) ما سبذان : من بلاد الفرس ، بيمين مرج القلعة وهي مدن عدّة منها أريوجان . البلدان ٥ / ٤١ .

(٢) من الكامل لإتمام المعنى . لكفى . ج٥ ص٢٦٠ .

ذكر خلافة الهادي

وهو رابعهم، كان موسى الهادي مقيماً بجرجان، يحارب أهل طبرستان، فبويع له بالخلافة في عسكر المهدي، في اليوم الذي مات فيه المهدي، وهو لثمان بقين من المحرم، من هذه السنة،أعني سنة تسع وستين ومائة، ولما وصل الرشيد وعسكر المهدي إلى بغداد، راجعين من ماسبذان، أُخذت البيعة ببغداد أيضاً للهادي وكتب الرشيد إلى الآفاق بوفاة المهدي، وأخذ البيعة للهادي، ولما وصل إلى الهادي وهو بجرجان الخبر بموت أبيه المهدي، وبيعة الناس له بالخلافة، نادى بالرحيل، وسار على البريد مجداً، فدخل بغداد في عشرين يوماً واستوزر الربيع.

(ذكر ظهور الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب)

وفي هذه السنة، ظهر الحسين المذكور بمدينة الرسول عليه السلام،وكان معه جماعة من أهل بيته منهم الحسن بن محمد بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وعبد الله بن إسحاق بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وعبد الله المذكورهو ابن عاتكة.

واشتد أمر الحسين المذكور، وجرى بينه وبين عامل الهادي على المدينة، وهو عمر بن العزيز بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، قتال، فانهزم عمر المذكور، وبايع الناس الحسين المذكور على كتاب الله وسنة نبيه، للمرتضى من آل محمد. وأقام الحسين هو وأصحابه بالمدينة يتجهزون، أحد عشر يوماً، ثم خرجوا يوم السبت، لست بقين من ذي القعدة، ووصل الحسين إلى مكة ولحق به جماعة من عبيد مكة. وكان قد حج تلك السنة جماعة من بني العباس وشيعتهم، فمنهم سليمان بن أبي جعفر المنصور، ومحمد بن سليمان بن علي، والعباس بن محمد بن علي، وانضم إليهم من حجّ من شيعتهم ومواليهم وقوادهم، واقتتلوا مع الحسين المذكور يوم التروية، فانهزم أصحاب الحسين وقتل الحسين واحتز راسه، وأحضر قدام المذكورين من بني العباس، وجمع معه من رؤوس أصحابه ورؤوس أهل المدينة مايزيد على مائة راس،وفيها أيضاً رأس سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن

علي بن أبي طالب، واختلط المنهزمون بالحاج، وكان مقتلهم بموضع يقال له وج وهو عن مكة إلى جهة الطائف، ووج المذكور هو الذي ذكره النميري في شعره فقال:

تضوع مسكاً بطن نعمان أن مشت | به زينب في نسوة خفرات
مررن بوجّ ثم قمن عشية | يلبين للرحمن معتمرات

وفي قتل المذكورين بوج يقول بعضهم:

فلأ بكين على الحسين | ن بعولة وعلى الحسن
وعلى ابن عاتكة الذي. | واروه ليس له كفن
تركوا بوج غدوة. | في غير منزلة الوطن

وأفلت من المنهزمين، إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، فأتى مصر، وعلى بريدها واضح، مولى بني العباس وكان شيعياً، فحمل إدريس المذكور على البريد إلى المغرب، حتى انتهى إلى طنجة، ولما بلغ الهادي ذلك، ضرب عنق واضح، وبقي إدريس في تلك البلاد حتى أرسل الرشيد الشماخ النامي، مولى بني الأسد، فاغتاله بالسم فمات، ولما مات إدريس المذكور كانت له حظية حبلى، فولدت ابناً وسموه إدريس باسم أبيه، وبقي حتى كبر، واستقل بملك تلك البلاد، وحمل رأس الحسين ومعه باقي الرؤوس إلى الهادي، فأنكر الهادي عليهم حمل رأس الحسين، ولم يعطهم جوائزهم غضباً عليهم، وكان الحسين المذكور، شجاعاً كريماً، قدم على المهدي فاعطاه أربعين ألف دينار، ففرقها ببغداد والكوفة، وخرج من الكوفة ما يملك ما يلبسه إلا فروة لم يكن تحتها قميص.

وفي هذه السنة مات مطيع بن إياس الشاعر. وفيها توفي نافع بن عبد الرحمن ابن أبي نعيم المقرئ. أحد القراء السبعة، وروى عن نافع راويان، وهما ورش وقنبل، وكان نافع إمام أهل المدينة في القراءة، ويرجعون إلى قراءته، وكان محتسباً فيه دعابة، وكان أسود شديد السواد، وقرأ مالك عليه القرآن، وهذا نافع بن عبد الرحمن المقرئ. غير نافع مولى عبد الله بن عمر المحدث، فليُعْلم ذلك. وفيها مات الربيع بن يونس حاجب المنصور ومولاه.

(ثم دخلت سنة سبعين ومائة)

(ذكر وفاة الهادي)

وفي هذه السنة توفي موسى الهادي بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور، في ليلة الجمعة منتصف ربيع الأول، وكانت خلافته سنة وثلاثة أشهر، وكان عمره ستاً وعشرين سنة، قيل إن أمه الخيزران قتلته، بأن أمرت الجواري فغمين وجهه وهو مريض، فمات ودفن «بعيسا باذ»[1] الكبرى في بستانه، وكان طويلاً جسيماً أبيض، وكان بشفته العليا تقلص، وكان له سبعة بنين وابنتان.



(١) عيساباذ: محلة كانت بشرقي بغداد. منسوبة إلى عيسى بن المهدي. البلدان ٤ / ١٧٢.

ذكر خلافة الرشيد بن المهدي

وهو خامسهم. وفي هذه السنة أعني سنة سبعين ومائة، بويع للرشيد هارون ابن المهدي محمد بالخلافة، في الليلة التي مات فيها الهادي، وكان عمر الرشيد حين ولي اثنتين وعشرين سنة، وأمه وأم الهادي الخيزران أم ولد[1] وكان مولد الرشيد بالري في آخر ذي الحجة،سنة ثمان وأربعين ومائة، ولما مات الهادي بعيسا باذ صلى عليه الرشيد وسار إلى بغداد وفي هذه السنة في شوال، أولد الأمين محمد بن الرشيد من زبيدة، واستوزر الرشيد يحيى بن خالد، وألقى إليه مقاليد الأمور. وفي هذه السنة عزل الرشيد الثغور كلها، من الجزيرة وقنسرين، وجعلها حيزاً واحداً، وسميت العواصم، وأمر بعمارة طرسوس، على يد فرج الخادم التركي، ونزلها الناس. وفي هذه السنة أمر عبد الرحمن الداخل الأموي المستولي على الأندلس ببناء جامع قرطبة، وكان موضعه كنيسة، وأنفق عليه مائة ألف دينار.

(ثم دخلت سنة إحدى وسبعين ومائة): في هذه السنة توفي عبد الرحمن الأموي صاحب الأندلس بقرطبة، ويعرف بعبد الرحمن الداخل، لدخوله بلاد المغرب، وهو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. في ربيع الآخر، وكان مولده بأرض دمشق سنة ثلاث عشرة ومائة، ومدة ملكه الأندلس ثلاث وثلاثون سنة، لأنه تولى الأندلس في سنة تسع وثلاثين ومائة، ولمّا مات ملك بعده ابنه هشام بن عبد الرحمن، وكان عبد الرحمن أصهب خفيف العارضين طويلاً نحيفاً أعور.

وقصده بنو أمية من المشرق والتجأوا إليه.

(ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين ومائة): فيها توفي رباح وكنيته أبو زيد[2] اللخمي الزاهد بمدينة القيروان، وكان مجاب الدعوة.

---

(١) في الكامل: أم ولد يمانية جرشية.

(٢) في الكامل: أبو يزيد رباح بن يزيد اللخمي. ج٥ص٢٨٥.

(ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ومائة) : فيهاماتت الخيزران أم الرشيد، وفيها حج الرشيد وأحرم من بغداد.

(ثم دخلت سنة أربع وسبعين ومائة، وسنة خمس وسبعين ومائة) : فيها صار يحيي بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب إلى الديلم. فتحرك هناك، وفيها ولد إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وإدريس بن عبد الله المذكور، هو الذي سلم وانهزم لما قتل أهل بيته يوم التروية بظاهر مكة، حسب ماذكرناه في سنة تسع وستين ومائة، وكان قد توفي أبوه إدريس الأول وله جارية حبلى، ولم يكن له ولد، فولدت الجارية بعد موته في ربيع الآخر من هذه السنة ولداً ذكراً، فسموه إدريس أيضا باسم أبيه، فبقي حتى كبر واستقل بالملك.

(دخلت سنة ست وسبعين ومائة) : فيها ظهر أمر يحيى بن عبد الله بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب بالديلم،واشتدت شوكته، ثم إن الرشيد جهز إليه الفضل بن يحيى في جيش كثيف،فكاتبه الفضل وبذل له الأمان وما يختاره،فأجاب يحيى بن عبد الله إلى ذلك وطلب يمين الرشيد، وأن يكون بخطه ويشهد فيه الأكابر، ففعل ذلك، وحضر يحيى بن عبد الله إلى بغداد، فأكرمه الرشيد وأعطاه مالاً كثيراً، ثم أمسكه وحبسه حتى مات في الحبس.

وفي هذه السنة هاجت الفتنة بدمشق بين المضرية واليمنية، وكان على دمشق حينئذ عبد الصمد بن علي، فجمع الرؤساء وسعوا في الصلح بينهم، فأتوا بني القين وكلموهم في الصلح فأجابوا، وأتوا اليمانية وكلموهم في الصلح، فقالوا: انصرفوا عنّا حتى ننظر، ثم سارت اليمانية إلى بني القين، وقتلوا منهم نحو ستمائة، فاستنجدت بنوالقين، قضاعة وسليحا، فلم ينجدوهم، فاستنجدوا قيسا فأجابوهم وساروا معهم إلى العواليك[1] من أرض البلقاء فقتلوا من اليمانية ثمانمائة، وكثر القتال بنيهم،ثم عزل الرشيد عبد الصمد عن دمشق وولاها إبراهيم بن صالح بن علي، ودام القتال بين المذكورين نحوسنتين وكان سبب الفتنة بين اليمانيين والمضريين، أن رجلاً من القين أتى رحى بالبلقاء ليطحن فيه، فمر بحائط رجل من لخم أو جذام، وفيه بطيخ فتناول منه فشتمه صاحبه وتضاربا، واجتمع قوم من

---

(١) في الكامل : الصواليك. ج٥ ص٢٩٣.

اليمانيين وضربوا الذي من القين، فأعانه جماعة من مضر، فقتل رجل من اليمانيين فكان ذلك سبب الفتنة.

وفيها مات الفرج بن فضالة وصالح بن بشر القاري، وكان ضعيفاً في الحديث.

وفيها مات نعيم بن مسيرةالنحوي الكوفي.

(ثم دخلت سنة سبع وسبعين ومائة): في هذه السنة أعني سنة سبع وسبعين ومائة، توفي بالكوفة أبو عبد الله شريك بن عبد الله بن أبي شريك، تولى القضاء أيام المهدي، ثم عزله الهادي، وكان عالماً عادلاً في قضائه كثير الصواب حاضر الجواب، ذكر معاوية بن أبي سفيان عنده، ووصف بالحلم فقال شريك: ليس بحليم من سفّه الحق، وقاتل علي بن أبي طالب، وكان مولده ببخارى سنة خمس وتسعين للهجرة.

(ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ومائة، وسنة تسع وسبعين ومائة): فيها توفي مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث من ولد ذي الأصبح. ولذلك قيل له الأصبحي، وذو الأصبح اسمه الحارث بن عوف من ولد يعرب بن قحطان، وكان مولد الإمام مالك المذكور سنة خمس وتسعين للهجرة، أخذ القراءة عن نافع بن أبي نعيم، وسمع الزهري، وأخذ العلم عن ربيعة الراي.

قال الشافعي رضي الله عنه: قال لي محمد بن الحسن، أيهما أعلم، صاحبنا أم صاحبكم، يعني أبا حنيفة ومالكاً.

قال: قلت على الإنصاف؟.

قال: نعم.

قال: قلت فأنشدك الله من أعلم بالقرآن، صاحبنا أو صاحبكم؟.

قال: اللهم صاحبكم.

قال: قلت فأنشدك الله من أعلم بالسنة؟

قال: اللهم صاحبكم.

قال: قلت فأنشدك الله من أعلم بأقاويل أصحاب رسول الله المتقدمين، صاحبنا أم صاحبكم؟.

قال: اللهم صاحبكم .

قال الشافعي: فلم يبق إلا القياس، والقياس لا يكون إلا على هذه الأشياء، وسعى بمالك إلى جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس، وهو ابن عم أبي

جعفر المنصور وقالوا له: إنه لايرى الإيمان ببيعتكم هذه بشيء، لأن يمين المكره ليست لازمة فغضب جعفر، ودعا بمالك وجرده وضربه بالسياط، ومدت يده حتى انخلعت من كتفه، وارتكب منه أمراً عظيماً، فلم يزل بعد ذلك الضرب في علو ورفعة.

وتوفي مالك المذكور بالمدينة ودفن بالبقيع، وكان شديدالبياض إلى الشقرة، طويلاً، وفيها توفي مسلم بن خالد الزنجي الفقيه المكي، وكان الشافعي قد صحبه قبل مالك وأخذ عنه الفقه، وكان أبيض مشرباً بحمرة. ولذلك قيل له الزنجي.

وفيها أعني في سنة تسع وسبعين ومائة، توفي السيد الحميري الشاعر، واسمه إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري، والسيد لقب غلب عليه أكثر من الشعر، وكان شيعياً كثيراً الوقيعة في الصحابة،وكان كثير المدح لآل البيت، والهجو لعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، فمن ذلك قوله في مسيرها إلى البصرة لقتال علي من قصيدة طويلة:

كأنها في فعلها حية تريد أن تأكل أولادها

وكذلك له فيها وفي حفصة أبيات، منها:

إحداهما نمت عليه حديثه وبغت عليه بغية إحداهما

(ثم دخلت سنة ثمانين ومائة): فيها مات هشام بن عبد الرحمن بن معاوية ابن هشام بن عبد الملك صاحب الأندلس. وكانت إمارته سبع سنين وسبعة أشهروثمانية أيام وعمره تسع وثلاثون سنة وأربعة أشهر، واستخلف بعده ابنه الحكم ابن هشام، ولما وليَ الحكم خرج عليه عمّاه، سليمان وعبد الله ابنا عبد الرحمن، وكانا في بر العدوة، فتحاربوا مدة والظفرللحكم، وظفر الحكم بعمه سليمان فقتله سنة أربع وثمانين ومائة، فخاف عمه عبد الله، وصالح الحكم سنة ست وثمانين، ولما اشتغل الحكم بقتال عميه، اغتنمت الفرنج الفرصة فقصدوا بلاد الإسلام، وأخذوا مدينة برشلونة في سنة خمس وثمانين ومائة.

وفي هذه السنة أعني سنة ثمانين ومائة سار جعفر بن يحيى بن خالد إلى الشام،فسكّن الفتنة التي كانت بالشام، وفيها هدم الرشيد سورالموصل بسبب ما كان يقع من أهلهامن العصيان في كل وقت.

وفيها أي سنة ثمانين ومائة وقيل سنة سبع وسبعين ومائة، توفي سيبويه النحوي بقرية يقال لها البيضاء من قرى شيراز، واسم سيبويه، عمرو بن عثمان بن

قنبر، وكان أعلم المتقدمين والمتأخرين بالنحو، وجميع كتب الناس في النحو عيلة على كتاب سيبويه واشتغل على الخليل بن أحمد، وكان عمره لما مات نيفاً وأربعين سنة، وقيل توفي بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة، وقيل سنة ثمان وثمانين ومائة، وقال أبو الفرج ابن الجوزي: توفي سيبويه في سنة أربع وتسعين ومائة، وعمره اثنتان وثلاثون سنة، وإنه توفي بمدينة ساوة، وذكر خطيب بغداد عن ابن دريد، أن سيبويه مات بشيراز وقبره بها، وكان سيبويه كثيراً ما ينشد:

إذا بل من داء به ظن أنه نجا وبه الداء الذي هو قاتله

وسيبويه لقبه، هو لفظ فارسي معناه بالعربية رائحة التفاح، وقيل إنما لقب سيبويه لأنه كان جميل الصورة، ووجنتاه كأنهما تفاحتان، وجرى له مع الكسائي البحث المشهور في قولك: كنت أظن لسعة العقرب أشد من لسعة الزنبور. قال سيبويه: فإذا هو هي، وقال الكسائي فإذا هو إيّاها، وانتصر الخليفة للكسائي فحمل سيبويه من ذلك هماً، وترك العراق وسافر إلى جهة شيراز وتوفي هناك.

(ثم دخلت سنة إحدى وثمانين ومائة) فيها غزا الرشيد أرض الروم فافتتح حصن الصفصاف[1] وفيها توفي عبد الله بن المبارك المروزي، في رمضان، وعمره ثلاث وستون سنة.

وفيها توفي مروان بن أبي حفصة الشاعر، وكان مولده سنة خمس ومائة، وفيها توفي أبو يوسف القاضي، واسمه يعقوب بن إبراهيم من ولد سعد بن خيثمة، وسعد المذكور صحابي من الأنصار وهو سعد بن بجير واشتهر باسم أمه خيثمة، وأبو يوسف المذكورهوأكبر أصحاب أبي حنيفة.

(ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين ومائة): فيها مات جعفر الطيالسي المحدث.

(ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ومائة) فيها توفي موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ببغداد في حبس الرشيد، وحبسه عند السندي بن شاهك، وتولى خدمته في الحبس أخت السندي، وحكت عن موسى المذكور أنه كان إذا صلى العتمة،حمد الله ومجّده ودعاه إلى أن يزول الليل، ثم يقوم يصلي حتى يطلع الصبح، فيصلي الصبح ثم يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس، ثم يقعد إلى ارتفاع الضحى، ثم يرقد

---

(١) حصن الصفصاف: كورة من ثغور المصيصة. البلدان ٣/٤١٣.

ويستقيظ قبل الزوال، ثم يتوضا ويصلي حتى يصلي العصر، ثم يذكر الله تعالى حتى يصلي المغرب، ثم يصلي ما بين المغرب والعتمة، فكان هذا دابه إلى ان مات رحمة الله عليه، وكان يلقب الكاظم: لانه كان يحسن إلى من يسيء إليه، وموسى الكاظم المذكورسابع الائمة الاثني عشر على رأي الإمامية ، وقد تقدم ذكر أبيه جعفر الصادق في سنة ثمان وأربعين ومائة، وتقدم ذكر جده محمد الباقر في سنة ست عشرة ومائة وولد موسى المذكور في سنة تسع وعشرين ومائة، ،وتوفي في هذه السنة أعني سنة ثلاث وثمانين ومائة لخمس بقين من رجب ببغداد، وقبره مشهور هناك، وعليه مشهد عظيم في الجانب الغربي من بغداد، وسنذكر باقي الائمة الاثني عشر إن شاء الله تعالى.

وفي هذه السنة توفي يونس بن حبيب النحوي المشهور، أخذ العلم عن أبي عمرو بن العلاء وكان عمره قد زاد على مائة سنة، وروى عنه سيبويه، وليونس المذكورقياس في النحو ومذاهب ينفرد بها.

(ثم دخلت سنة أربع وثمانين ومائة) فيها ولّى الرشيد حمادالبربري اليمن ومكة وولىّ داود بن يزيد بن مرثد بن حاتم المهلبي السند. وولى يحيى الحرسي[1] الجبل، وولى مهرويه الرازي طبرستان وولى إفريقية إبراهيم بن الأغلب وكان على الموصل وأعمالهايزيد بن مرثد بن زائدة الشيباني.

(ثم دخلت سنة خمس وثمانين ومائة) فيها مات عم المنصور، عبد الصمد ابن علي بن عبد الله بن عباس، وكان في القرب إلى عبد المناف بمنزلة يزيد بن معاوية، وبين موتهما ما يزيد على مائة وعشرين سنة.

وفيها توفي يزيد بن مرثد بن زائدة الشيباني وهو ابن أخي معن بن زائدة

(ثم دخلت سنة ست وثمانين ومائة ودخلت سنة سبع وثمانين ومائة)

(ذكر الإيقاع بالبرامكة)

في هذه السنة أوقع الرشيد بالبرامكة، وقتل جعفر بن يحيى وقد اختلف في سبب ذلك اختلافاً كثيراً، والاكثر ان ذلك لإتيانه عباسة اخت الرشيد، فإنه زوّجه بها ليحل له النظر إليها، وشرط على جعفر انه لايقربها، فوطئها وحبلت منه وجاءت

---

(١) في الكامل: الحرشي . ج٥ ص٢٨٤.

بغلام، وقيل بل الرشيد حبس يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب، عند جعفر فاطلقه جعفر، وقيل بل إنه لما عظم أمر البرامكة واشتهر كرمهم وأحبهم الناس، والملوك لاتصبر على مثل ذلك، فنكبهم لذلك، وقيل غير ذلك، وكان قتل جعفر بالأنبار، مستهل صفر من هذه السنة، عندعود الرشيد من الحج، وبعد أن قتل جعفر وحمل رأسه، أُرسل أن أحاط بيحيي وولده وجميع أسبابه، وأخذ ما وجد للبرامكة من مال ومتاع وضياع وغير ذلك، وأُرسل إلى سائر البلاد بقبض أموالهم ووكلائهم، وسائر أسبابهم، وأُرسل رأس جعفر وجيفته إلى بغداد، وامر بنصب رأسه وقطعة من جيفته على الجسر، ونصب الأخرى على الجسر الآخر، ولم يتعرض الرشيد لمحمد بن خالد بن برمك وولده وأسبابه لبراءته مما دخل فيه أخوه يحيى بن خالد بن برمك وولده، وكان عمر جعفر لما قتل سبعاً وثلاثين سنة، وكانت الوزارة إليهم سبع عشرة سنة، وفي ذلك يقول الرقاشي وقيل أبو نواس:

الآن استرحنا واستراحت ركابُنا ... وأمسك من يجدي ومن كان يحتدي
فقل للمطايا قد أمنت من السرى ... وطي الفيافي فدْفداً بعد فدْفدِ
وقل للمنايا قد ظفرت بجعفر ... ولم تظفري من بعده بمسودِ
وقل للعطايا يا بعد فضل تعطّلي ... وقل للرزايا كل يوم تجددي
ودونك سيفاً برمكيا مهنداً ... أصيب بسيف هاشمي مهندِ

وقال يحيى بن خالد لما نكب: الدنيا دول، والمال عارية، ولنا بمن قبلنا أسوة، وفينا لمن بعدنا عبرة.

وفي هذه السنة خلع الروم ملكتهم وكانت امرأة تدعى رمنى[١] وملّكوا تقفور[٢] فكتب إلى الرشيد: «من تقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب، أمّا بعد، فإن الملكة التي كان قبلي أقامتك مقام الرُخ، وأقامت نفسها مقام البيدق، فحملت إليك من أموالها ماكنت حقيقاً بحمل أضعافه إليها، لكنَّ ذلك من ضعف النساء وحمقهن، فإذا قرأت كتابي هذا فاردد ما حصل لك من أموالها، وإلا السيف بيننا وبينك» فلما قرأ الرشيد الكتاب استفزه الغضب، وكتب على ظهرالكتاب «بسم الله الرحمن الرحيم، من هارون أمير المؤمنين، إلى نقفور كلب الروم، قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة، والجواب ما تراه لا ما تسمعه» ثم سار الرشيد

من يومه حتى نزل على هرقلة،ففتح وغنم وخرب، فسأله نقفور المصالحة على خراج يحمله في كل سنة فأجابه.

وفي هذه السنة هاجت الفتنة بالشام بين المضرية واليمانية،فأرسل الرشيد وأصلح بينهم، وفيها توفي الفضيل بن عياض الزاهد وكان مولده بسمرقند وانتقل إلى مكة ومات بها، وفيها توفي أبو مسلم معاذ الفرء[1] النحوي وعنه أخذ الكسائي النحو وولد أيام يزيد بن عبد الملك.

(ثم دخلت سنة ثمان وثمانين ومائة) فيها توفي العباس بن الأحنف الشاعر.

(ثم دخلت سنة تسع وثمانين ومائة) فيها وقيل في سنة إحدى وثمانين توفي أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن فيروز المعروف بالكسائي، في الري، وهوأحد القراء السبعة، وكان إماماً في النحو واللغة، وقيل له الكسائي لأنه دخل الكوفة وأتى إلى حمزة بن حبيب الزيات ملتفاً بكساء، وقيل بل حج وأحرم بكساء.

وفيها سار الرشيد إلى الري وأقام به أربعة أشهر،ثم رجع الرشيد إلى العراق ودخل بغداد في آخر ذي الحجة، وأمر بإحراق جثة جعفر؛ وكانت مصلوبة على الجسر، ولم ينزل ببغداد، ومضى من فوره إلى الرقة، فقال في ذلك بعض شعراء الرشيد:

ما أنخنا حتى ارتحلنا فانفـ ... رق بين المناخ والارتحال

سألونا عن حالنا إذ قدمنا ... فقرانا وداعهم بالسؤال

فقال الرشيد: والله إني أعلم أنه ما في الشرق ولافي الغرب مدينة أيمن ولاأيسر من بغداد، وأنها دار مملكة بني العباس، ولكني أريد المناخ على ناحية أهل الشقاق والنفاق، والبغض لأئمة الهدي، والحب لشجرة اللعنة بني أمية،ولولا ذلك مافارقت بغداد.

وفي هذه السنة مات محمد بن الحسن الشيباني الفقيه صاحب أبي حنيفة، وكان والده الحسن من أهل قرية حرستا، من غوطة دمشق، فسار إلى العراق وأقام بواسط،فولد ولده محمد بن الحسن المذكور، ونشأ بالكوفة، ثم صحب أبا حنيفة وتفقه على أبي يوسف، وصنف عدة كتب مثل: الجامع الكبير، والجامع الصغير، في

---

(١) في الكامل: الهراء، ج٥ ص٢٣٦.

فقه أبي حنيفة وغير ذلك.

(ثم دخلت سنة تسعين ومائة) في هذه السنة سار الرشيد في مائة ألف وخمسة وثلاثين ألفاً من المرتزقة سوى من لا ديوان له من الاتباع والمتطوعة، حتى نزل على هرقلة[1] وحصرها ثلاثين يوماً، ثم فتحها في شوال من هذه السنة، وسبى أهلها، وبث عساكره في بلاد الروم، ففتحوا الصفصاف وملقونية[2] وخربوا ونهبوا وبعث تقفور بالجزية عن رعيته وعن رأسه أيضاً، ورأس ولده، وبطارقته، وفي هذه السنة نقض أهل قبرس العهد. فغزاهم معتوق بن يحيى، وكان عاملاً على سواحل مصر والشام، فسبى أهل قبرس،وفيها أسلم الفضل بن سهل على يد المأمون، وكان مجوسياً،وفيها توفي أسد بن عمر، وابن عامر الكوفي صاحب أبي حنيفة، وفيها توفي يحيى بن خالد بن برمك محبوساً بالرقة،في المحرم وعمره سبعون سنة.

(ثم دخلت سنة إحدى وتسعين ومائة)

(ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين ومائة) فيها سار الرشيد من الرقة إلى خراسان فنزل بغداد، ورحل عنها إلى النهروان، لخمس خلون من شعبان، واستخلف على بغداد ابنه الأمين.

(ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ومائة). فيها مات الفضل بن يحيى بن خالد ابن برمك في الحبس بالرقة، في المحرم، وعمره خمس وأربعون سنة،وكان من محاسن الدنيا؛ لم ير في العالم مثله.

(ذكر موت الرشيد)

في هذه السنة أعني سنة ثلاث وتسعين ومائة، مات الرشيد لثلاث خلون من جمادى الآخرة، وكان به مرض من حين ابتدأ بسفره، فاشتدت علته بجرجان، في صفر، فسار إلى طوس[3] فمات بها في التاريخ المذكور،وكان قد سير ابنه المأمون إلى مرو، وحفر الرشيد قبره في موضع الدار التي كان فيها، وأنزل فيه قوماً ختموا فيه القرآن، وهو في محفة على شفير القبر، وكان يقول في تلك الحالة واسوءتاه من

---

(١) هرقلة : مدينة ببلاد الروم . غزاها الرشيد وفتحها عنوة . البلدان ٥ / ٣٩١.
(٢) ملقونية : في الكامل عن الطبري ملقونية وفي بعض النسخ مقلونية. ج٥ ص٤٣٢.
(٣) طوس : مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور عشرة فراسخ. البلدان ٤ / ٤٩.

رسول اللّه، ولما دنت منه الوفاة غشي عليه ثم افاق، فرأى المفضل بن الربيع على راسه فقال: يافضل

أحين دنا ما كنت اخشى دنُوّه رمتني عيونُ الناس من كلّ جانب
فاصبحتُ مرحوماً وكنت محسداً فصبراً على مكروه مر العواقب(١)
سابكي على الوصل الذي كان بيننا وأندبُ أيام السرور الذواهب

ثم مات،وصلى عليه ابنه صالح، وحضر وفاته الفضل بن الربيع وإسماعيل بن صبيح وسرور وحسين، وكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وشهرين وثمانية عشر يوماً، وكان عمره سبعاً وأربعين سنة وخمسة أشهر وخمسة أيام، وكان جميلاً أبيض قد وخطه الشيب،وكان له من البنين: الأمين من زبيدة، والمأمون من أم ولد اسمها مراجل، والقاسم المؤتمن، والمعتصم محمد، وصالح،وأبو عيسى محمد،وأبو يعقوب، وأبو العباس محمد، وأبو سليمان محمد، وأبو علي محمد، وأبو محمد، وهو اسمه، وأبو احمد محمد، كلهم لأمهات أولاد، وخمس عشرة بنتاً، وكان الرشيد يتصدق من صلب ماله في كل يوم بألف درهم، وعهد بالخلافة إلى الأمين،ثم من بعده إلى المأمون، وكتب بينهما عهداً بذلك،وجعله في الكعبة، وكان قد جعل ابنه القاسم ولقبه المؤتمن، ولي العهد بعد المأمون، وجعل أمر استقراره وعزله إلى المأمون إنْ شاء استمر به وإن شاء عزله.

---

(٢) في الكامل: أمن العواقب. ج٥ ص٣٥٤.

ذكر خلافة الأمين

وهو سادسهم، ولما توفي الرشيد بويع للأمين بالخلافة، في عسكر الرشيد، صبيحة الليلة التي توفي فيها الرشيد، وكان المأمون حينئذ بمرو وكتب صالح بن الرشيد إلى أخيه الأمين،بوفاة الرشيد، مع رجاء الخادم، وأرسل معهُ خاتم الخليفة، والبردة والقضيب، ولماوصل إلى الأمين ببغداد، اخذت له البيعة ببغداد، وتحول إلى قصر الخلافة، ثم قدمت عليه زبيدة أمه من الرقة، ومعها خزائن الرشيد، فتلقاها ابنها الأمين بالأنبار ومعه جميع وجوه بغداد، وفي هذه السنة قتل نقفور ملك الروم في حرب برجان، وكان ملكه سبع سنين.

(ثم دخلت سنة أربع وتسعين ومائة) وفي هذه السنة اختلف أهل حمص على عاملهم إسحاق بن سليمان، فانتقل عنهم إلى سلمية، فعزله الأمين واستعمل مكانه عبد الله بن سعيد الحرسي، فقاتل أهل حمص حتى سألوا الأمان فأمنّهم. وفي هذه السنة قتل شقيق البلخي الزاهد في غزوة كولان من بلاد الترك.

(ثم دخلت سنة خمس وتسعين ومائة) فيها أبطل الأمين اسم المأمون من الخطبة، وكان أبوهما قد عهد إلى الأمين، ثم من بعده إلى المأمون حسب ماذكرناه، فخطب لهما إلى هذه السنة، فقطعها الأمين، وخطب لابنه موسى بن الأمين، ولقبه الناطق بالحق. وكان موسى طفلاً صغيراً، ثم جهز الأمين جيشاً لحرب المأمون بخراسان، وقدم عليهم علي بن عيسى بن ماهان، وكان طاهر بن الحسين مقيماً في الري من جهة المأمون ومعه عسكر قليل، وسار علي بن عيسى بن ماهان في خمسين ألفاً، حتى وصل إلى الري، والتقى العسكران، فخلع طاهر بيعة الأمين وبايع المأمون بالخلافة، وقاتل علي بن عيسى بن ماهان قتالاً شديداً،فانهزم عسكر الأمين، وقتل علي بن عيسى بن ماهان، وحمل رأسه إلى طاهر، فأرسل طاهر بالرأس وبالفتح إلى المأمون، وهو بخراسان.

وفي هذه السنة توفي أبو نواس الحسن بن هانئ الشاعر، وكان عمره تسعاً وخمسين سنة.

(ثم دخلت سنة ست وتسعين ومائة) في هذه السنة سير الأمين جيشاً صحبة

أحمد بن مرثد، وعبد الله بن حميد بن قحطبة، ومع كل واحد عشرون ألف فارس، فساروا إلى حلوان لحرب طاهر، فلما وصلوا إلى خانقين وقع الاختلاف بينهم، فرجعوا من خانقين من غير أن يلقوا طاهراً، فتقدم طاهر فنزل حلوان، ولحقه هرثمة بجيش من عند المأمون، وكتاب يأمره فيه أن يسلم ماحوى من المدن والكور إلى هرثمة، وأن يتوجه طاهر إلى الأهواز، ففعل ذلك،وأقام هرثمة بحلوان، ولما تحقق المأمون قتل ابن ماهان وانهزام عساكر الأمين، أمر أن يخطب له بإمرة المؤمنين، وأن يخاطب بأمير المؤمنين، وعقد للفضل بن سهل على المشرق، من جبل همدان إلى التبت طولاً، ومن بحر فارس إلى بحر الديلم وجرجان عرضاً، ولقبه ذا الرياستين، رياسة الحرب والقلم، وولىّ الحسن بن سهل ديوان الخراج، وذلك كله في هذه السنة،ثم استولى طاهر على الأهواز، ثم على واسط، ثم على المدائن، ونزل صرصر (ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومائة) في هذه السنة حاصر طاهر وهرثمة بالعساكر الذين صحبتهما بغداد، وحصروا الأمين، ووقع في بغداد النهب والحريق، ومنع طاهر دخول الميرة إلى بغداد، فغلت بها الأسعار ودام الحصار وشدة الحال، إلى أن انقضت هذه السنة.

وفي هذه السنة أعني سنة سبع وتسعين ومائة، توفي إبراهيم بن الأغلب عامل إفريقية، وقد تقدم ذكر ولايته في سنة أربع وثمانين ومائة) ولما توفي تولى على إفريقية بعده ولده أبو العباس عبد اللهّ بن إبراهيم بن الأغلب (ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ومائة).

(ذكر استيلاء طاهر على بغداد وقتل الأمين)

في هذه السنة هجم طاهر على بغداد بعد قتال شديد، ونادى مناديه: من لزم بيته فهو آمن. وأخذ الأمين أمه وأولاده إلى عنده بمدينة المنصور؛ وتحصن بها؛ وتفرق عنه عامة جنده وخصيانه، وحصره طاهر هناك، وأخذ عليه الأبواب، ولما أشرف على أخذه، طلب الأمين الأمان من هرثمة، وأن يطلع إليه فروجع في الطلوع إلى طاهر، فأبى ذلك، فلما كانت ليلة الأحد لخمس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة، خرج الأمين بعد عشاء الآخرة وعليه ثياب بيض وطيلسان أسود، فأرسل إليه هرثمة يقول: إني غير مستعد لحفظك، وأخشى أن أغلب عنك، فأقم إلى الليلة القابلة، فأبى الأمين إلا الخروج تلك الليلة،ثم دعا الأمين بابنيه وضمهما إليه وقبّلهما وبكى، ثم جاء راكباً إلى الشط، فوجد حراقة هرثمة، فصعد إليها، فاحتضنه

هرثمة وضمه إليه، وقبل يديه ورجليه ثم شد أصحاب طاهر على حراقة هرثمة حتى غرّقوها،فأخرج الملاح هرثمة من الماء، وأما الأمين فلما سقط في الماء، شق ثيابه،ثم أخذ بعض أصحاب طاهر الأمين وهوعريان عليه سراويل وعمامة، فأمر به طاهر فحبس في بيت، فلما انتصف الليل، أرسل إليه طاهر قوماً من العجم فقتلوه وأخذوا رأسه ومضوا به إلى طاهر، فنصبه على برج من أبرجة بغداد، وأهل بغداد ينظرون إليه .

ثم أرسل طاهر رأس الأمين إلى أخيه المأمون وكتب بالفتح، وأرسل البردة والقضيب، ودخل طاهر المدينة يوم الجمعة، وصلّى بالناس وخطب للمأمون، وكان قتل الأمين لست بقين من المحرم، سنة ثمان وتسعين ومائة، وكانت مدة خلافته أربع سنين وثمانية أشهر وكسراً، وكان عمره ثمانياً وعشرين سنة، وكان سبطاً أنزع صغير العينين، أقنى جميلا طويلاً وكان منهمكاً في لذات وشرب الخمر، حتى أرسل إلى جميع البلاد في طلب الملهين وضمهم إليه، وأجرى عليهم الأرزاق، واحتجب عن إخوته وأهل بيته، وقسم الأموال والجواهر في خواصه، وفي الخصيان والنساء، وعمل خمس حراقات في دجلة، على صورة الأسد، وعلى صورة الفيل، وعلى صورة العقاب، وعلى صورة الحية، وعلى صورة الفرس، وأنفق في عملها مالاً عظيماً، وذكر ذلك أبونواس في شعره فقال:

سخر اللّه للأمين مطايا ... لم تسخر لصاحب المحراب
فإذا ما ركابه سرْنَ براً ... سار في الماء راكباً ليثُ غاب
عجب الناسُ إذ رأوك عليه ... كيف لو أبصروك فوق العقاب[1]
ذات سور ومنسر وجناحيـ ... ـن تشق العباب بعد العباب[2]

ولما قتل الأمين،استوثق الأمر في المشرق والمغرب للمأمون، وهو سابعهم،فولى الحسن بن سهل أخا الفضل، على كور الجبال والعراق وفارس والأهواز والحجاز واليمن.

(ثم دخلت سنة تسع وتسعين ومائة) .فيها ظهر ابن طباطبا العلوي، وهو محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي

---

(١) في الكامل ج٥ ص٤١١ : عجب الناس إذ رأوك على صو ... رة ليث تمرّ مرّ السحاب
سبّحوا إذ رأوك سرت عليه ... كيف لو أبصروك فوق العقاب

(٢) في الكامل : ذات زور. ج٥ ص٤١١ .

طالب، بالكوفة، يدعو إلى الرضا من آل محمدﷺ وكان القيم بأمره، أبو السرايا السري بن منصور، وبايعه أهل الكوفة واستوثق له أهلها، فارسل إليه الحسن بن سهل بن زهير بن المسيب الضبي، في عشرة آلاف مقاتل، فهزمهم ابن طباطبا واستباحهم، وكانت الوقعة في جمادى الآخرة من هذه السنة،فلما كان مستهل رجب، مات محمد بن إبراهيم بن طباطبا فجاة، سمه أبو السرايا ليستبد بالأمر،لأنه علم انه لاحكم له مع ابن طباطبا، وأقام أبو السرايا غلاماً يقال له ابن زيد،من ولد علي بن أبي طالب،صورة مكان ابن طباطبا،ثم استولى أبو السرايا على البصرة وواسط، وجرى بينه وبين عساكر المأمون عدة وقائع يطول شرحها.

وفي هذه السنة توفي والد طاهر،وهو الحسين بن مصعب، بخراسان، وأرسل المأمون يعزي ابنه طاهراً بأبيه.

وفيها توفي عبد الله بن نمير الهمداني الكوفي، وكنيته أبو هاشم،وهو والد محمد بن عبد الله بن نمير شيخ البخاري.

(ثم دخلت سنة مائتين) فيها في المحرم هرب أبو السرايا من الكوفة في ثمان مائة فارس، بعد أن حاصره هرثمة ودخل هرثمة الكوفة وآمن أهلها، وسارأبو السرايا إلى جلولاء[1] وتفرق عنه أصحابه ، فظفر به حماد الكندغوش، فامسك أبا السرايا ومن بقي معه، وأتى بهم إلى الحسن بن سهل وهو بالنهروان، فقتل أبا السرايا وبعث برأسه إلى المأمون، وكان بين خروج أبي السرايا وقتله عشرة أشهر.

وفي هذه السنة ظهر إبراهيم بن موسى بن عيسى بن جعفربن محمد العلوي وسار إلى اليمن ، وبها إسحاق بن موسى بن عيسى بن محمدبن علي بن عبد الله بن عباس، عاملاً للمأمون، فهرب من إبراهيم بن موسى العلوي المذكور، واستولى إبراهيم على اليمن، وكان يسمى الجزار، لكثرة من قتل وسبى.

وفي هذه السنة سار هرثمة من الكوفة بعد فراغه من أمر أبي السرايا، إلى جهة المأمون، ووردت عيه مكاتبات المأمون بالمسير إلى الشام والحجاز، فحملته الدالية وكثرة مناصحته، على القدوم على المأمون ومخالفة مرسومه، وكان بينه وبين الحسن ابن سهل عداوة، فدس الحسن بن سهل أصحاب المأمون بالحض على هرثمة، وكان يظن هرثمة أن قوله هو المقبول في حق الحسن بن سهل، فقدم على المأمون بمرو

(١) جلولاء: نهر عظيم يمتد الى بعقوبا بينها وبين خانقين سبعة فراسخ. البلدان ٢ / ١٥٦.

في ذي القعدة هذه السنة، أعني سنة مائتين، فلما حضر هرثمة بين يدي المأمون، ضربه وحبسه، ثم دس إليه من قتله في الحبس وقالوا مات.

وفي هذه السنة أمر المأمون أن يحصى ولد العباس، فبلغوا ثلاثة وثلاثين ألفاً، ما بين ذكر وأنثى.

وفيها قتلت الروم ملكهم الليون، وملك عليهم ميخائيل. وفيها توفي معروف الكرخي الزاهد، صاحب الكرامات، وكان أبو معروف نصرانياً.

(ثم دخلت سنة إحدى ومائتين) فيها اشتد أذى فساق بغداد وشطارها على الناس، حتى قطعوا الطريق،وأخذوا النساء والصبيان علانية و نهبوا القرى مكابرة،وبقي الناس معهم في بلاء عظيم، فتجمع أهل بعض المحال ببغداد، مع رجل يقال له خالد بن الدريوس، وشدوا على من يليهم من الفساق فمنعوهم وطردوهم، وقام بعده رجل يقال له سهل بن سلامةالأنصاري، من أهل خراسان، وردع الفساق،واجتمع إليه جمع كثير من أهل بغداد،وعلق مصحفاً في عنقه، وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر،فقبل الناس منه وكان قيام سهل المذكورلأربع خلون من رمضان، وقيام ابن الدريوس قبله بنحو ثلاثة أيام

وفي هذه السنة جعل المأمون علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر بن محمد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ولي عهد المسلمين، والخليفة من بعده، ولقبه الرضا من آل محمد ﷺ وأمر جنده بطرح السواد ولبس الخضرة، وكتب بذلك إلى الآفاق، وذلك لليلتين خلتا من رمضان، من هذه السنة، وصعب ذلك على بني العباس، وكان أشدهم تحرقاً في ذلك منصور وإبراهيم ابنا المهدي، وامتنع بعض أهل بغداد عن البيعة، وكان المتحدث في أخذ البيعة لعلي بن موسى في بغداد. عيسى بن محمد بن أبي خالد.

وفي هذه السنة، في ذي الحجة خاض الناس ببغداد في البيعة لإبراهيم بن المهدي بالخلافة وخلع المأمون،لأنهم نقموا على المأمون توليته الحسن بن سهل، وجعله الخلافة في آل علي بن أبي طالب، وإخراجها عن بني العباس،فاظهر العباسيون الخلاف، لخمس بقين من ذي الحجة، ووضعوا يوم الجمعة رجلاً يقول إنا نريد أن ندعو للمأمون وبعده لإبراهيم بن المهدي،ووضعوا آخر يجيبه،بأنا لانرضى إلا أن تبايعوا لإبراهيم بن المهدي بالخلافة،وبعده لإسحاق بن موسى الهادي، وتخلعوا المأمون، ففعلوا ذلك، فتفرق الناس من الجامع، ولم يصلّوا الجمعة.

وفي هذه السنة توفي عبد اللّه بن إبراهيم بن الأغلب، صاحب إفريقية، وتولى بعده أخوه زيادة اللّه بن إبراهيم.

وفي هذه السنة افتتح عبد اللّه بن خرداذبة والي طبرستان جبال طبرستان، وأنزل شهريار بن شهريار بن شروين عنها وأسر أبا ليلى ملك الديلم.

(ثم دخلت سنة اثنتين ومائتين)



ذكر البيعة لإبراهيم بن المهدي

بايعه أهل بغداد بالخلافة، في المحرم من هذه السنة، أعني سنة اثنتين ومائتين. ولقب المبارك بعد أن خلعوا المأمون، وكان المتولي لبيعته، المطّلب بن عبد الله بن مالك، واستولى إبراهيم على الكوفة وعسكر بالمدائن، واستعمل علي الجانب الغربي من بغداد، العباس بن موسى الهادي، وعلى الجانب الشرقي، إسحاق ابن الهادي، ولما تولى إسحاق المذكور، ظفر بسهل بن سلامة الذي ظهر يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وقمع الفساق، فتفرق عنه أصحابه وأمسكه إسحاق وبعث به إلى إبراهيم بن المهدي إلى المدائن، فضربه وحبسه.

(ذكر مسير المأمون إلى العراق وقتل ذي الرياستين)

وفي هذه السنة،سار المأمون من مرو إلى العراق، واستخلف على خُرَاسان غسان بن عباد وكان سبب مسيره ما وقع في العراق من الفتن،في البيعة لإبراهيم بن المهدي،ولما أتى المأمون سرخس،وثب أربعة أنفس بالفضل بن سهل، فقتلوه في الحمام،لليلتين خلتا من شعبان من هذه السنة، أعني سنة اثنتين ومائتين، وكان عمره ستين سنة، وجعل المأمون لمن أمسكهم عشرة آلاف دينار،فأمسكهم العباس ابن الهيثم الدينوري، وأحضرهم إلى المأمون فقالوا: أنت أمرتنا بقتله، فأمر بهم فضربت أعناقهم.

ورحل المأمون طالباً العراق، وبلغ إبراهيم بن المهدي، والمطّلب الذي أخذ البيعة لإبراهيم وغيرهما، قدوم المأمون، فتمارض المطلب،وراح إلى بغداد، وسعى في الباطن في أخذ البيعة للمأمون، وخلع إبراهيم، وبلغ إبراهيم ذلك وهو في المدائن فقصد بغداد وأرسل في طلب المطلب ، فامتنع عليه، فأمر بنهبه،فنهبت دور أهله،ولم يظفروا بالمطلب ، وذلك في صفر من هذه السنة.

(وفي هذه السنة) عقد المأمون العقد على بوران بنت الحسن بن سهل، وزوج المأمون ابنته من علي بن موسى الرضا.

وفي هذه السنة توفي أبومحمد اليزيدي، وهو يحيى بن المبارك بن المغيرة

المقرئ، صاحب أبي عمرو بن العلاء، وإنما قيل له اليزيدي، لأنه صحب يزيد بن منصور،خال المهدي، وكان يعلم ولده.

(ثم دخلت سنة ثلاث ومائتين) في هذه السنة في صفر مات علي بن موسى الرضا بأن أكل عنباً فأكثر منه فمات فجاة بطوس وصلى عليه المأمون، ودفنه عند قبرأبيه الرشيد،وكان مولد علي بالمدينة، سنة ثمان وأربعين ومائة، ولمامات،كتب المأمون إلى أهل بغداد يعلمهم بموت علي الرضا، وقال: إنما نقمتم عليّ بسببه،وقد مات، وكان يقال لعلي المذكور،علي الرضا وهوثامن الائمة الاثني عشر،على رأي الإمامية، وهو علي الرضا بن موسى الكاظم المقدم ذكره، في سنة ثلاث وثمانين مائة، ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب،وعلي الرضا المذكور هووالد محمد الجواد تاسع الأئمة، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

(وفي هذه السنة) أعني سنة ثلاث ومائتين، خلع أهل بغداد إبراهيم بن المهدي، ودعوا للمأمون بالخلافة،وتخلى عن إبراهيم أصحابه، فلما رأى إبراهيم ذلك فارق مكانه واختفى، ليلة الأربعاء لثلاث عشرة بقيت من ذي الحجة ، من هذه السنة، وأحدق حميد، أحد قوادالمأمون بدار إبراهيم بن المهدي، فلم يجده في الدار، فلم يزل إبراهيم متوارياً حتى قدم المأمون إلى بغداد،وكانت أيام ولاية إبراهيم نحو سنة وأحد عشر شهراً، وكسر.

(وفي هذه السنة) في آخر ذي الحجة وصل المأمون إلى همدان،وكانت بخراسان وما وراء النهر زلازل عظيمة، دامت مقدار سبعين يوماً ، فخربت البلاد وهلك فيها خلق كثير وكان معظمها ببلخ والجورجان والفارياب والطالقان، وفي هذه السنة غلبت السوداء على الحسن بن سهل وتغير عقله، حتى شدّ في الحديد، وحبس، وكتب قواد العسكر الذين كانوا مع الحسن بذلك إلى المأمون.

(ذكر ابتداء دولة بني زياد ملوك اليمن وذكرهم عن آخرهم)

وكان ينبغي ذكر ذلك مبسوطاً في السنين، ولكن جمعناه ليضبط،بخلاف ما لوتفرق، فإنه كان يصعب التقاطه وضبطه، فنقول : كان ابتداؤها في هذه السنة من تاريخ اليمن، لعمارة اليمني قال: كان شخص من بني زياد بن أبيه، اسمه محمد بن فلان، وقيل ابن إبراهيم بن عبيد الله بن زياد، مع جماعة من بني أمية، قد سلمهم المأمون إلى الفضل بن سهل ذي الرياستين، وقيل إلى أخيه الحسن، وبلغ المأمون

اختلال أمر اليمن، فأثنى ابن سهل على محمد بن زياد المذكور وأشار بإرساله أميراً على اليمن، فأرسل المأمون محمد بن زياد المذكور، ومعه جماعة، فحجَّ ابن زياد في هذه السنة أعني سنة ثلاث ومائتين، وسار إلى اليمن وفتح تهامة، بعد حروب جرت بينه وبين العرب، واستقرت قدم ابن زياد المذكور باليمن، وبني مدينة زبيد، واختطَّها في سنة أربع ومائتين،وأرسل ابن زياد المذكور مولاه جعفراً بهدايا جليلة إلى المأمون، فسار جعفر بها إلى العراق، وقدمها إلى المأمون في سنة خمس ومائتين، وعاد جعفر إلى اليمن في سنة ست ومائتين، ومعه عسكر من جهة المأمون، بمقدار ألفي فارس، فعظم أمر ابن زياد،وملك إقليم اليمن بأسره وتقلد جعفر المذكورالجبال، واختط بها مدينة يقال لها المديحرة، والبلاد التي كانت لجعفر تسمى إلى اليوم مخلاف جعفر، والمخلاف عبارة عن قطر واسع، وكان جعفرهذا من الكفاة الدهاة، وبه تمت دولة بني زياد، حتى قتل ابن زياد بجعفرة، وبقي محمد بن زياد كذلك حتى توفي.

(ثم ملك) بعده ابنه إبراهيم بن محمد.

(ثم ملك) بعده ابنه زياد بن إبراهيم بن محمد، ولم تطل مدته.

(ثم ملك) بعده أخوه أبو الجيش إسحاق بن إبراهيم،وطالت مدته وأسنّ وتوفي أبو الجيش المذكور في سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة خلف طفلاً واختلف في اسم الطفل المذكور، قيل زياد، وقيل غير ذلك،وتولت كفالة الطفل المذكور أخته هند بنت أبي الجيش، وتولى معها عبد لأبي الجيش اسمه رشد، وبقي رشد على ولايته حتى مات، فتولى موضعه عبده حسين بن سلامة، عبد رشد المذكور، وسلامة المذكورة هي أم حسين، ونشأ حسين المذكور حازماً عفيفاً إلى الغاية، وصار وزيراً لهند، ولأخيها المذكور، حتى ماتا. ثم انتقل ملك اليمن إلى طفل من آل زياد، وقام بأمر الطفل عمته، وعبد من عبيد حسين بن سلامة، اسمه مرجان، وكان لمرجان المذكور عبدان، قد تغلبا على أمور مرجان،اسم أحدهما قيس،والآخر نجاح، ونجاح المذكور هو جد ملوك زبد، على ما سنذكره إن شاء الله تعالى، فوقع التنافس بين قيس ونجاح عبدي مرجان على الوزارة، وكان قيس؛ عسوفاً ونجاح رؤوفاً، وكان سيدهما مرجان يميل مع قيس على نجاح، وكانت عمة الطفل تميل إلى نجاح، فشكا قيس ذلك إلى مولاه مرجان، فقبض مرجان على الملك، قيل كان اسمه إبراهيم، وقيل عبد الله، وعلى عمته، وسلمها إلى قيس، فبنى قيس على

إبراهيم وعمته جداراً وختمه عليهما حتى ماتا، وكان إبراهيم المذكور آخر ملوك اليمن من بني زياد، وكان قبض مرجان على إبراهيم وعمته في سنة سبع وأربعمائة فيكون مدة ملك بني زياد لليمن مائتي سنة وأربع سنين، لأنهم تولّوا من قبل المأمون في سنة،ثلاث ومائتين، وزال ملكهم في سنة سبع وأربعمائة.

وانتقل ملكهم في سنة سبع وأربعمائة، وانتقل ملكهم إلى عبيد عبيدهم، لأن الملك صار لنجاح المذكور، على ما سنذكره إن شاء الله تعالى. ولما قتل قيس، إبراهيم وعمته، تملّك، فعظم ذلك على نجاح، واستنصر نجاح الأسود والأحمر، وقصد قيساً في زبيد، وجرى بين نجاح وقيس، حروب عدة، آخرها أن قيساً قُتل على باب زبيد، وفتح نجاح زبيد في ذي القعدة سنة اثنتي عشرة وأربع مائة. وقال نجاح لسيده مرجان: مافعلت بمواليك وموالينا؟ قال: هم في ذلك الجدار، فاخرج نجاح إبراهيم وعمته ميتين، وصلّى عليهما ودفنهما،وبنى عليهما مشهداً، وجعل نجاح سيده مرجان موضعهما، ووضع معه جثة قيس،وبني عليهما ذلك الجدار، وتملّك نجاح وركب بالمظلة، وضرب السكة باسمه، واستقل بملك اليمن، على ما سنذكره إن شاء الله تعالى في سنة اثنتي عشرة وأربع مائة.

(ثم دخلت سنة أربع ومائتين)

(ذكر قدوم المأمون إلى بغداد)

في هذه السنة قدم المأمون إلى بغداد، وانقطعت الفتن بقدومه، وكان لباس المأمون لما دخل بغداد ولباس أصحابه الخضرة، وكان الناس يدخلون عليه في الثياب الخضر،ويحرقون كل ملبوس يرونه من السواد، ودام ذلك ثمانية أيام، ثم تكلم بنو العباس وقواد خراسان في ذلك، فترك الخضرة وأعاد لبس السواد.

(ذكر وفاة الإمام الشافعي رحمه الله)

وفي هذه السنة، أعني سنة أربع ومائتين، توفي الإمام الشافعي وهو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السايب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف، وهذا شافع الذي ينسب إليه الشافعي، لقي النبيﷺ، وهو مترعرع، وأبوه السايب أسلم يوم بدر.

فالشافعي شقيق رسول الله ﷺ في نسبه، يجتمع معه في عبد مناف، وكانت زوجة هاشم بن لمطلب بن عبد مناف بنت عمه الشفاء بنت هاشم بن عبد مناف

فولد له منها عبد يزيد، جدّ الشافعي، فالشافعي إذن ابن عم رسول اللهﷺ وابن عمته، لأن الشفاء أخت عبد المطلب جد رسول الله ﷺ.

وولد الشافعي سنة خمسين ومائة بغزة،على الصحيح، وقيل في غيرها، وأخذ العلم من مالك بن أنس، ومسلم بن خالد الزنجي، وسفيان بن عيينة، وسمع الحديث من إسماعيل بن علية، وعبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي، ومحمد بن الحسن الشيباني، وغيرهم، قال الشافعي: حفظت القرآن وأنا ابن تسع سنين، وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر، وقدمت على مالك وأنا ابن خمس عشرة سنة. وقال: رأيت علي بن أبي طالب في منامي، فسلّم علي وصافحني؛ وجعل خاتمه في إصبعي، ففسر لي انّ مصافحته لي أمان من العذاب، وجعله الخاتم في إصبعي، أنّه سيبلغ اسمي ما بلغ اسم علي، في الشرق والغرب.

وناظر الشافعي محمد بن الحسن في الرقة، فقطعه الشافعي، وكان الشافعي حافظاً للشعر، قال الأصمعي: قرأت ديوان الهذليين على محمد بن إدريس الشافعي،وقال أبو عثمان المازني: سمعت الأصمعي يقول قرأت ديوان الشنفرى على الشافعي بمكة، وكان أحمد بن حنبل يقول: ما عرفت ناسخ الحديث ومنسوخه، حتى جالست الشافعي.

وقدم الشافعي إلى بغداد مرّتين، مرّة في سنة خمس وسبعين ومائة، ثم قدمها مرّة أخرى في سنة ثمان وسبعين ومائة، وناظر بشر المريسي المعتزلي ببغداد، وناظر حفص الفرد بمصر، فقال حفص: القرآن مخلوق، واستدل عليه، فتحاربا في الكلام حتى كفرّه الشافعي وقد رواه أبويعقوب البويطي قال: سمعت الشافعي يقول: إنما خلق الله الخلق بـ «كن»، فإذا كانت كن مخلوقة، فكأن مخلوقاً خلق بمخلوق، قال ابن بنت الشافعي: حدثنا أبي قال: كان الشافعي ينظر في النجوم وهو حدث، وما نظر في شيء إلا فاق فيه، فجلس يوماً وامرأته تطلق، فحسب وقال: تلد جارية عوراء على فرجها خال أسود، تموت إلى كذا وكذا، فكان كما قال. فجعل علي نفسه الا ينظر فيه بعدها، ودفن الكتب التي كانت عنده في النجوم، وكان الشافعي ينكر على أهل علم الكلام وعلى من يشتغل فيه، وللشافعي أشعار فائقة منها:

وأحق خلق اللّـه بالهـمّ امـرؤ ذو همـة يبلـى بعيش ضيـق

وله أيضاً:

رعت النسـورُ بقوة جيف الفلا ورعى الذبابُ الشهدَ وهو ضعيف

(فيها) مات الحسن بن زياد اللؤلؤي الفقيه، أحد أصحاب أبي حنيفة، وأبو داود سليمان بن داود الطيالسي، صاحب المسند، ومولده سنة ثلاث وثلاثين ومائة، وفيها اعنى سنة أربع ومائتين، وقيل سنة ثلا ث ومائتين، توفي النصر بن شميل بن خرشة البصري النحوي، سار إلى خراسان من البصرة، ولما خرج من البصرة مسافراً، طلع لوداعه نحو ثلاثة آلاف رجل من أعيان أهل البصرة، فقال النضر: والله لو وجدت كل يوم كيلجة باقلي مافارقتكم، فلم يكن فيهم أحد يتكلف ذلك له، وأقام بمرو من خراسان، وصار ذا مال طائل، وصحب الخليفة المأمون وحظي عنده. وكان يوماً عنده فقال المأمون: حدثنا هشيم عن مخالد عن الشعبي عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها، كان فيه سداد من عوز» وفتح سين سداد، فأعاد النضر الحديث وكسر السين من سداد، فاستوى المأمون جالساً وقال: تلحنّيّ يا نضر ؟ فقال: إنما لحن هشيم، وكان لحّانة، فتتبع امير المؤمنين لفظه قال: فما الفرق بينهما؟ قال: السداد بالفتح، القصد في الدين والسبيل، والسداد بالكسر، البلغة، وكلما سددت به شيئاً فهو سداد، بكسر السين، وأنشد من أبيات عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان المعروف بالعرجي الشاعر المشهور:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

فأمر له المأمون بخمسين ألف درهم، وكان النضر من أصحاب الخليل بن أحمد، والنضر بفتح النون، وسكون الضاد المعجمة، ثم راء، وشُميل - بضم الشين - وخرشة بفتح الخاء المعجمة، والعَرج بفتح العين، وسكون الراء، ثم جيم، عقبة بين مكة والمدينة.

(ثم دخلت سنة خمس ومائتين): فيها استعمل المأمون طاهر بن الحسين على المشرق، من مدينة السلام إلى أقصى عمل المشرق، وفيها توفي يعقوب بن إسحاق بن زيد البصري المقرئ، وهو أحد القراء العشرة، وله في القراءات رواية مشهورة، قرأ على سلام بن سليمان الطويل، وقرأ سلام على عاصم بن أبي النجود وقرأ عاصم على أبي عبد الرحمن السلمي، وقرأ أبو عبد الرحمن على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقرأ علي على ﷺ .

(ثم دخلت سنة ست ومائتين) في هذه السنةمات الحكم بن هشام صاحب الأندلس ، لاربع بقين من ذي الحجة، وكانت ولايته في صفر سنة ثمانين ومائة، ولما

توفي كان عمره اثنتين وخمسين سنة، وخلّف من الولد تسعة عشر ذكراً. ولما مات قام بالملك بعده ابنه عبد الرحمن بن الحكم.

(في هذه السنة) توفي محمد بن المسير المعروف بقطرب النحوي، أخذ النحو عن سيبويه وكان يبكّر الحضور إلى سيبويه، للاشتغال عليه، قبل الصبح،فقال له سيبويه: ما أنت إلا قطرب، فغلب عليه ذلك وصار لقبه.

(وفيها) توفي أبو عمرو إسحاق الشيباني اللغوي.

(ثم دخلت سنة سبع ومائتين) في هذه السنة توفي طاهر بن الحسين في جمادى الأولى، من حمّى أصابته، وكان في آخر جمعة صلاها، قد ترك الدعاء للمأمون، وقصد أن يخلعه فمات، وكان طاهر أعور، ويلقب ذا اليمينين وفيه يقول بعضهم:

يا ذا اليمينين وعين واحدة   نقصان عين ويمين زائدة

وفي هذه السنة توفي بشر بن عمرو الزاهد الفقيه، وهوغير بشر الحافي.
(وفيها) توفي محمد بن عمر بن واقد الواقدي، وعمره ثمان وسبعون سنة، وكان عالماً بالمغازي واختلاف العلماء، وكان يضعف في الحديث، وللواقدي عدة مصنفات، وكان المأمون يكرم جانبه ويبالغ في رعايته، وكان الواقدي متولياً القضاء بالجانب الشرقي من بغداد.

(وفيها) توفي محمد بن عبد الله بن عبد الأعلى، المعروف بابن كناسة، وهو ابن أخت إبراهيم بن الأدهم، وكان عالماً بالعربية والشعر وأيام الناس.

(وفيها) توفي أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله، المعروف بالفرّاء الديلمي الكوفي، وكان أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنّون الأدب وكان في ذلك إماماً. قال الجاحظ: دخلت بغداد في سنة أربع ومائتين، حين قدم إليها المأمون، وكان الفراء يحبني ويشتهي أن يتعلم شيئاً من علم الكلام، فلم يكن له فيه طبع، واتخذ المأمون الفراء معلماً لأولاده، وللفراء عدّة مصنفات منها، كتاب الحدود، وكتا ب المعاني، وكتابان في الشكل، وكتاب النهي، وغير ذلك، وكانت وفاته بطريق مكة حرسها الله تعالى، وعمره نحو ثلاث وستين سنة، ولم يكن الفراء يعمل الفراء ولا يبيعها،بل تلقب بذلك لأنّه كان يفري الكلام.

(ثم دخلت سنة ثمان ومائتين) فيها مات الفضل بن الربيع .

(ثم دخلت سنة تسع ومائتين) فيها مات ميخائيل ملك الروم، وكان ملكه تسع سنين، وملك بعده ابنه توفيل.

(وفيها) توفي ابو عبيدة محمد بن حمزة اللغوي، وكان يميل إلى مقالة الخوارج، وعمره تسع وتسعون سنة، وكان متفنناً في العلوم، وكان مع كمال فضائله، إذا أنشد شعراً كسره، ولا يحسن يقيم وزنه ، وبلغت مصنفاته نحو مائتي مصنف.

(ثم دخلت سنة عشر ومائتين) في هذه السنة ظفر المأمون بإبراهيم بن محمد ابن عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام، وكان يعرف بابن عائشة، وبجماعة معه من الأعيان الذين كانوا قد سعوا في البيعة لإبراهيم بن المهدي، فحبسهم، ثم صلب ابن عائشة، وهو أول عباسي صُلب، ثم انزل وكفن وصلي عليه ودفن .

(ذكر ظفر المأمون بإبراهيم بن المهدي)

وفي هذه السنة أعني سنة عشر ومائتين في ربيع الآخر، امسك حارس أسود إبراهيم بن المهدي، وهومتنقب مع امرأتين،في زي امرأة وأحضر بين يدي المأمون، فحبسه، ثم بعد ذلك أطلقه، قيل شفع فيه الحسن بن سهل؛ وقيل ابنته بوران،وقيل بل المأمون من نفسه عفا عنه.

(وفي هذه السنة) دخل المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل، وكان الحسن ابن سهل مقيماً في فمّ الصلح[1] فسار المأمون من بغداد إلى فمّ الصلح، ودخل بها ونثرت عليه جدة بوران أم الحسن والفضل الف حبة لؤلؤ، من أنفس ما يكون، واوقدت شمعة عنبر، فيها اربعون مناً، وكتب الحسن بن سهل أسماء ضياعه في رقاع ونثرها على القواد، فمن وقع له رقعة، أخذ الضيعة المسماة فيها، أقول: قد تقدم في سنة ثلاث ومائتين، أن الحسن بن سهل تغير عقله من السوداء، وقيد وحبس، وكانه بعد ذلك تعافى وعاد إلى منزلته، ولكن لم يذكروا ذلك.

(وفي هذه السنة) ماتت علية بنت المهدي، ومولدها سنة ستين ومائة، وكان زوجها موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد اللّه بن عباس.

(ثم دخلت سنة إحدى عشرة ومائتين) فيها أمرالمأمون منادياً فنادى: برات الذمة ممن ذكر معاوية بخير، او فضّله على احد من اصحاب رسول اللّه ﷺ.

(١) فمّ الصلح : نهر كبير فوق واسط ، بينها وبين جبُل . البلدان ٤ / ٢٧٦.

(وفيها) مات أبو العتاهية الشاعر. (وفيها) توفي أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش النحوي البصري والأخفش: الصغير العينين مع سوء بصرهما. وكان من أئمة العربية البصريين، وأخذ النحو عن سيبويه، وكان أكبر من سيبويه، وكان يقول: ما وضع سيبويه في كتابه شيئاً إلا بعد أن عرضه عليّ، وللأخفش المذكور عدة مصنفات وهو الذي زاد في العروض بحر الخبب، والذين يسمون بالأخفش ثلاثة، أولهم: الأخفش الأكبر، وهو أبو الخطاب عبد الحميد، من أهل هجر، وكان نحوياً أيضاً. ثم الأخفش الأوسط، سعيد بن مسعدة الإمام المذكور. ثم الأخفش الأصغر المتأخر، وهو علي بن سليمان بن الفضل، وكان الأخفش الأصغر المذكور، نحوياً أيضاً، وتوفي في سنة خمس عشرة، وقيل ست عشرة وثلاثمائة.

(وفيها) توفي عبد الرزاق الصغاني المحدث وهو من مشايخ أحمد بن حنبل، وكان يتشيع.

(ثم دخلت سنة اثنتي عشرة ومائتين) فيها أظهر المأمون القول بخلق القرآن وتفضيل علي بن أبي طالب رضي الله عنه على جميع الصحابة، وقال: هو أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ.

(وفيها) توفي محمد بن يوسف الضبي، وهو من مشايخ البخاري.

(ثم دخلت سنة ثلاث عشر ومائتين) فيها ولّى المأمون ابنه العباس الجزيرة والثغور والعواصم، وولّى أخاه أبا إسحاق المعتصم الشام ومصر، وولّى غسان بن عباد على السند.

(وفيها) توفي إبراهيم الموصلي المغني، وكان كوفياً، وسار إلى الموصل، وعاد، فقيل له الموصلي.

(وفيها) مات علي بن جبلة الشاعر، وأبو عبد الرحمن المقرئ المحدث.

(وفيها) وقيل في سنة ثماني عشرة ومائتين، توفي بمصر أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، وهذا ابن هشام، هو الذي جمع سيرة رسول الله ﷺ من المغازي والسير، لابن إسحاق وهذّبها وشرحها السهيلي، وابن هشام المذكور، من أهل مصر، وأصله من البصرة.

(ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائتين) فيها استعمل المأمون، عبد الله بن طاهر على خراسان.

(وفيها) صلح حال أبي دلف مع المأمون، وكان أبو دلف من أصحاب الأمين، وقدم على المأمون وهو شديد الخوف منه، فأكرمه وأعلى منزلته.

(وفيها) وقيل في سنة ثلاث عشرة ومائتين، توفي إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بالمغرب، وقام بعده ابنه محمد بن إدريس بفاس والبربر، وولى أخاه القاسم بن إدريس طنجة وما يليها، وولّى أخاه عمر صنهاجة وغمارة، وولّى أخاه داود هوارة بأسليب، وولى أخاه يحيى مدينة داني وما والاها. واستعمل باقي إخوته على ملك البربر، وسنذكر أخبار باقي الأدارسة في سنة سبع وثلاثمائة إن شاء الله تعالى.

(وفيها) توفي أبو عاصم بن مخلد الشيباني، وهو إمام في الحديث.

(ثم دخلت سنة خمس عشرة ومائتين) فيها سار المأمون لغزو الروم، ووصل إلى منبج ثم إلى أنطاكية،ثم إلى المصيصة وطرسوس، ودخل منها إلى بلاد الروم، في جمادى الأولى، ففتح حصونا، ثم عاد وتوجه إلى دمشق. (وفي هذه السنة) توفي أبوسليمان الداراني الزاهد؛ توفي بداريا[1]، ومكي بن إبراهيم البلخي وهو من مشايخ البخاري، وأبو زيد سعيد النحوي اللغوي وعمره ثلاث وتسعون سنة. (وفيها)توفي أبوسعيد الأصمعي اللغوي البصري، وقيل في سنة ست عشرة، وقيل في سنة سبع عشر ومائتين، واسم الأصمعي: عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن صالح، وكان عمره نحو ثمان وثمانين سنة، والأصمعي نسبة إلى جده أصمع، وكان إماماً في الأخبار والنوادر واللغة، وله عدّة مصنفات منها: كتاب خلق الإنسان، وكتاب الأجناس، وكتا ب الأنواء، وكتاب الصفات، وكتاب الميسر والقداح، وكتاب خلق الفرس، وكتاب خلق الإبل،وكتاب الشاء، وكتاب جزيرةالعرب، وكتاب النبات، وغير ذلك، وقُرَيب - بضم القاف وفتح الراء المهملة وياء مثناة من تحتها ساكنة ثم باء موحدة من تحتها.

(ثم دخلت سنة ست عشرة ومائتين) فيها سار المأمون إلى بلاد الروم فقتل وسبى وفتح عدة حصون، ثم عاد إلى دمشق، ثم سارالمأمون في هذه السنة في ذي الحجة من دمشق إلى مصر، وفي هذه السنة ماتت أم جعفر زبيدة ببغداد.

(ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائتين) فيها عاد المأمون من مصر إلى الشام، ثم دخل بلاد الروم، وأناخ على لؤلؤة مائة يوم، ثم رحل عائداً وأرسل ملك الروم يطلب المهادنة فلم تتم (ثم دخلت سنة ثمان عشرة ومائتين).

---

(١) داريًا: قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق بالغوطة. البلدان ٢ / ٤٣١.

(ذكر ما كان في أمر القرآن المجيد)

في هذه السنة كتب المأمون إلى عامله ببغداد، إسحاق بن إبراهيم أن يمتحن القضاة والشهود، وجميع أهل العلم بالقرآن، فمن أقرّ أنّه مخلوق محدث، خلى سبيله، ومن أبى يعلمه به، ليرى فيه رأيه، فجمع أولي العلم الذين كانوا ببغداد، منهم قاضي القضاة بشر بن الوليد الكندي، ومقاتل، وأحمد بن حنبل، وقتيبة، وعلي بن الجعد، وغيرهم. وقرأ عليهم كتاب المأمون، ثم قال لبشر بن الوليد: ما تقول في القرآن؟ فقال بشر: القرآن كلام الله. قال: لم أسألك عن هذا، أمخلوق هو؟ قال: الله خالق كل شيء. قال: والقرآن شيء؟ قال: نعم. قال: مخلوق هو؟ قال: ليس بخالق. قال: ليس عن هذا أسألك، أمخلوق هو؟ قال: ما أحسن غير ما قلت لك. فقال إسحاق للكاتب: اكتب ما قال. ثم سأل غيره وغيره، فيجيبون قريباً مما أجاب به بشر.

ثم قال لأحمد بن حنبل: ما تقول في القرآن؟قال: كلام الله. قال: أمخلوق هو؟ قال: كلام الله ما أزيد عليها. ثم قال له: ما معنى قوله سميع بصير؟ قال أحمد: هو كما وصف نفسه، قال: فما معناه؟ قال: لا أدري، هو كما وصف نفسه.

ثم سأل قتيبة، وعبيد الله بن محمد، وعبدالمنعم بن إدريس ابن بنت وهب بن منبه، وجماعة معهم، فأجابوا أنّ القرآن مجعول لقوله تعالى ﴿إنا جعلناه قرآناً عربياً﴾ [الزخرف:٣] والقرآن محدث لقوله تعالى ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾ [الأنبياء:٢] قال إسحاق: فالمجعول مخلوق، قالوا: نعم. قال فالقرآن مخلوق؟ قالوا: لا نقول مخلوق، ولكن مجعول.

فكتب مقالتهم، ومقالة غيرهم، رجلاً رجلاً، ووجهت إلى المأمون، فورد جواب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم، أن يحضر قاضي القضاة بشر بن الوليد، وإبراهيم بن المهدي، فإن قالا بخلق القرآن وإلا تضرب أعناقهما، وأما من سواهما، فمن لم يقل بخلق القرآن، يوثقه بالحديد، ويحمله إليّ فجمعهم إسحاق، وعرض عليهم ما أمر به المأمون، فقال بشر وإبراهيم وجميع الذين أحضروا لذلك، بخلق القرآن، إلاّ أربعة نفر، وهم أحمد بن حنبل، والقواريري، وسجادة، ومحمد بن نوح المضروب، فإنهم لم يقولوا بخلق القرآن فأمر بهم إسحاق، فشدوا في الحديد، ثم سألهم، فأجاب سجادة والقواريري إلى القول بخلق القرآن، فأطلقهما، وأصر أحمد ابن حنبل ومحمد بن نوح المضروب على قولهما؛ فوجههما إلى طرسوس، ثم ورد

كتاب المأمون يقول: بلغني أن بشر بن الوليد، وجماعة معه، إنما أجابوا بتأويل الآية التي أنزلها الله تعالى في عمار بن ياسر ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾ [النحل: ١٠٦] وقد أخطؤوا التأويل، فإن الله تعالى عنى بهذه الآية، من كان معتقداً للإيمان، مظهراً للشرك، فأما من كان معتقداً للشرك، مظهراً للإيمان، فليس هذا له، فاشخصهم إلى طرسوس ليقيموا بها، إلى أن يخرج أمير المؤمنين من بلاد الروم، فأمسكهم إسحاق وأرسلهم، فلما صاروا إلى الرقة، بلغهم موت المأمون فرجعوا إلى بغداد.

(ذكر مرض المأمون وموته رحمه الله تعالى)

في هذه السنة، أعني سنة ثماني عشرة ومائتين، مرض المأمون لثلاث عشرة خلت من جمادى الآخرة، وكان سببه ما حكاه سعيد بن العلاف قال: دعاني المأمون، وهو وأخوه المعتصم جالسان على شاطئ نهر البدندون، وقد وضعا أرجلهما في الماء، فقال لي: أي شيء يؤكل ليشرب عليه من هذا الماء، الذي هو في نهاية الصفاء والعذوبة؟ قال: أمير المؤمنين أعلم، فقال: الرطب، فبينما هم في الحديث، إذ وصلت بغال البريد، عليها الحقائب، وفيها الألطاف، فقال لخادم له: انظر إن كان في هذه الألطاف رطب، فمضى وعاد ومعه سلتان فيهما رطب من أطيب ما يكون، فشكر الله تعالى، وتعجبنا جميعاً، وأكل وأكلنا من ذلك الرطب، وشربنا عليه من ذلك الماء، فما قام منا أحد إلا وهو محموم، ولم يزل المعتصم مريضاً حتى دخل العراق، ولما مرض المأمون، أوصى إلى أخيه المعتصم، بحضرة ابنه العباس، بتقوى الله تعالى، وحسن سياسة الرعية، في كلام حسن طويل، ثم قال للمعتصم: عليك عهد الله وميثاقه، وذمة رسوله، لتقومن بحق الله في عباده ولتؤثرن طاعة الله على معصيته، إذا أنا نقلتها من غيرك إليك. قال: اللهم نعم. ثم قال: هؤلاء بنو عمك ولد أمير المؤمنين علي، صلوات الله عليه، أحسن صحبتهم، وتجاوز عن مسيئهم، ولا تغفل صلاتهم في كل سنة، عند محلها، وتوفي المأمون في هذه السنة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب، وحمله ابنه العباس وأخوه المعتصم إلى طرسوس، فدفناه بدار جلعان خادم الرشيد، وصلى عليه المعتصم، وكانت خلافة المأمون عشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً سوى أيام دعي له بالخلافة، وأخوه الأمين محصور ببغداد، وكان مولده للنصف من ربيع الأول سنة سبعين ومائة، وكانت كنيته أبا العباس، وكان ربعة، أبيض جميلاً طويل اللحية رقيقها، قد وخطه

الشيب، وقيل كان أسمر، أحنى، أعين، ضيق الجبهة، بخده خال أسود.

(ذكر بعض سيرته وأخباره)

لما كان المأمون بدمشق، قلّ المال الذي صحبته، حتى ضاق وشكى ذلك إلى المعتصم، فقال له يا أمير المؤمنين: كأنك بالمال وقد وافاك بعد جمعة، وحمل إليه المعتصم ثلاثين ألف ألف ألف،من خراج ما يتولاه له، فلما ورد ذلك، قال المأمون ليحيى بن أكثم: اخرج بنا ننظر إلى هذا المال فخرجا ونظرا إليه، وقد هيىء بأحسن هيئة، وحليت أباعره، فاستكثر المأمون ذلك، واستحسنه، واستبشر به الناس، والناس ينظرون ويتعجبون، فقال المأمون :يا أبا محمد، ننصرف بالمال،ويرجع أصحابنا خائبين. إن هذا للؤم،فدعا محمد بن رداد، فقال له: وقع لآل فلان بألف ألف ولآل فلان بمثلها، فما زال كذلك حتى فرق أربعة وعشرين ألف ألف ألف؛ ورجله في الركاب، وكان المأمون ينظم الشعر، فمما يُروى له من أبيات:

بعثتُك مرتاداً ففزتَ بنظرة ... واغفلتني حتى أسأتُ بك الظنّا

فناجيتُ من أهوى وكنت مباعداً ... فيا ليت شعري عن دنوك ماأغنى

أرى أثراً منها بعينيك بيّنا ... لقد أخذت عيناكَ من عينها حُسنا

وكان المأمون شديد الميل إلى العلويين، والإحسان إليهم رحمه الله تعالى، وردّ فدك على ولد فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسلمها إلى محمد ابن يحيى بن الحسن بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ليفرقها على مستحقيها من ولد فاطمة، وكان المأمون فاضلاً مشاركاً في علوم كثيرة.

ذكر خلافة المعتصم

وهو ثامنهم، وبويع للمعتصم أبي إسحاق محمد بن هرون الرشيد بالخلافة، بعد موت المأمون، ولما بويع له، ونادوا باسم العباس بن المأمون، فأرسل المعتصم إلى العباس وأحضره، فبايعه العباس، ثم خرج إلى الجند فقال لهم قد بايعت عمي، فسكنوا، وانصرف المعتصم إلى بغداد، ومعه العباس بن المأمون، فقدمها مستهل شهر رمضان.

(وفي هذه السنة) توفي بشر بن غياث المريسي وكان يقول بخلق القرآن.

(ثم دخلت سنة تسع عشرة ومائتين) في هذه السنة أحضر المعتصم أحمد ابن حنبل، وامتحنه بالقرآن، فلم يجب إلى القول بخلقه، فجلده حتى غاب عقله، وتقطع جلده، وقيد وحبس.

(وفيها) توفي أبو نعيم الفضل التيمي وهو من مشايخ البخاري ومسلم. وكان مولده سنة ثلاثين ومائة، وكان شيعياً.

(ثم دخلت سنة عشرين ومائتين) في هذه السنة خرج المعتصم لبناء سامراء فخرج إلى القاطول[1]، واستخلف على بغداد ابنه الواثق، وفيها قبض المعتصم على وزيره الفضل بن مروان، وكان قد استولى على الأمور، بحيث لم يبق للمعتصم معه أمر، وولى المعتصم مكانه محمد بن عبد الملك الزيات.

(وفي هذه السنة) توفي محمد الجواد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. وهو أحد الأئمة الاثني عشر، عند الإمامية، وصلى عليه الواثق، وكان عمره خمساً وعشرين سنة، ودفن ببغداد عند جده موسى بن جعفر، ومحمد الجواد المذكور، هو تاسع الأئمة الاثني عشر، وقد تقدم ذكر أبيه علي الرضا، في سنة ثلاث ومائتين، وسنذكر الباقين إن شاء الله تعالى.

---

(١) القاطول: نهر كان في موضع سامرّاء قبل أن تعمّر. البلدان ٤/٢٩٧.

(ثم دخلت سنة إحدى وعشرين ومائتين) فيها توفي قاضي القيروان، أحمد ابن محرز، وكان من العلماء العاملين الزاهدين. (وفيها) توفي آدم بن أبي إياس العسقلاني، وهو من مشايخ البخاري في صحيحه.

(ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين ومائتين، ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائتين)

(ذكر فتح عمورية وإمساك العباس بن المأمون وحبسه وموته)

في هذه السنة خرج ملك الروم نوفيل في جمع عظيم، فبلغ زبطرة [١] وقتل وسبى ومثل بمن وقع في يده من المسلمين، ولما بلغ المعتصم ذلك، وأن امرأة هاشمية صاحت وهي في أيدي الروم وامعتصماه، استعظمه ونهض من وقته، وجمع العساكر وسار لليلتين بقيتا من جمادى الأولى من هذه السنة، أعني سنة ثلاث وعشرين ومائتين.

وبلغه أنّ عمورية [٢] هي عين النصرانية وهي أشرف عندهم من قسطنطينة، وأنه لم يتعرض أحد إليها منذ كان الإسلام، وتجهز المعتصم جهازاً لم يعهد قبله، مثله من السلاح وخيام الأدم، وغير ذلك، وسار المعتصم حتى نزل على نهر قريب من البحر، بينه وبين طرسوس يوم، وجعل عسكره ثلاث فرق، فرقة مع الإفشين خيذر ابن كاؤوس ميمنة، وفرقة مع أشناس ميسرة، وفرقة مع المعتصم في القلب، وبين كل فرقة وفرقة فرسخان، وأمرهم المعتصم بحريق القرى وتخريب بلاد الروم ففعلوا ذلك، حتى وصلو إلى عمورّية، فأول من قدمها أشناس، ثم المعتصم، ثم الإفشين،فأحدقوا بها، وكان نزوله عليها لست خلون من رمضان، من هذه السنة، وأقام عليها المنجنيقات، وجرى بين المسلمين والروم عليها قتال شديد يطول شرحه، وآخره أن المسلمين خربوا في السور مواضع بالمنجنيق، وهاجموا البلد وقتلوا أهله، ونهبوا الأموال والنساء، وأقبل الناس بالسبي والأسرى إلى المعتصم، من كل جهة، وأمر بعمورية فهدمت، وأحرقت، وكان مقامه على عمورية خمسة وخمسين يوماً، ثم ارتحل

---

(١) زبَطْرة : مدينة بين ملطية وسميساط والحَدث في طرف بلد الرّوم البلدان ٣ / ١٣٠.
(٢) عمورية : بلد في بلاد الروم غزاه المعتصم . البلدان ٤ / ١٥٨.

راجعاً إلى الثغور، فلما كان في أثناءالطريق، بلغ المعتصم أن العباس بن المأمون قد بايعه جماعة من القواد وهو يريد أن يثب عليه، ويأخذ الخلافة منه، فدعا المعتصم بالعباس بن المأمون، وأمسكه. وسلمه إلى الإفشين خيذر، فلما وصل إلى منبج، طلب العباس الطعام، فأكل ومُنع الماء حتى مات بمنبج، فصلى عليه بعض إخوته، وأتم المعتصم سيره حتى دخل سامراء.

(وفيها) أعني سنة ثلاث وعشرين ومائتين، توفي ملك إفريقية زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب، وتولى بعده أخوه أبو عقال الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب.

(ثم دخلت سنة أربع وعشرين ومائتين) في هذه السنة مات إبراهيم بن المهدي في رمضان، وصلى عليه المعتصم.

(وفيها) مات أبو عبيد القاسم بن سلام الإمام اللغوي، وكان عمره سبعاً وستين سنة.

(ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائتين) في هذه السنة توفي أبو دلف، وعلي بن محمد المدايني المشهور.

(ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائتين) في هذه السنة غضب المعتصم على الإفشين خيذر بن كاؤوس، وحبسه حتى مات في حبسه، وأُخرج فصُلب، ثم أُحرقت جثته، والإفشين هو الذي قاتل بابك المجوسي، الذي استولى على جبال طبرستان مدة عشرين سنة، وعظم أمره، وهزم عدة مرار عساكر المعتصم، حتى انتدب له المعتصم الإفشين المذكور، فجرى له معه قتال شديد، في مدة طويلة، ثم انتصر الإفشين وأخذ مدينة بابك البذ، وأسر بابك، وأحضره إلى المعتصم، فقتله -والإفشين خيذر المذكور بفتح الخاء المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الذال المعجمة وفي آخرها راء مهملة -

(وفي هذه السنة) توفي الهذيل محمد بن الهذيل بن عبد الله العلاف البصري شيخ المعتزلة وزاد عمره على مائة سنة.

(وفيها) توفي أبو عقال الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب، وتولى بعده أخوه أبو العباس محمد بن إبراهيم بن الأغلب، فكانت ولاية الأغلب سنتين وتسعة أشهر.

(ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائتين)

(ذكر وفاة المعتصم)

وفيها توفي أبو إسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيد، لثماني عشرة مضت من ربيع الأول بسامراء، وكانت خلافته ثمان سنين وثمانية أشهر ويومين، وكان مولده سنة سبع وتسعين ومائة، وهو ثامن الخلفاء، والثامن من ولدالعباس، ومات عن ثمانية بنين، وثمان بنات، وكان أبيض، اصهب اللحية طويلها، مربوعاً مشرب اللون بحمرة،. وهو أول من أضيف إلى لقبه اسم الله تعالى من الخلفاء، وكان المعتصم بالله، طيب الأخلاق، لكنه إذا غضب لا يبالي من قتل، وما فعل، وقد حكي أن المعتصم انفرد عن أصحابه في يوم مطر، فبينما هو يسير إذ رأى شيخاً مع حمار عليه حمل شوك، وقد توحل الحمار ووقع الحمل، وهو ينتظر من يمر عليه ويساعده على ذلك، فنزل المعتصم بالله عن دابته، وخلص الحمار، ورفع معه الحمل عليه، ثم لحقه أصحابه، فأمر لصاحب الحمار بأربعة آلاف درهم، وقال ابن أبي داود: تصدق المعتصم ووهب على يدي مائة ألف ألف درهم.

ذكر خلافة ابنه الواثق

وهو تاسعهم، وبويع الواثق بالله هارون بن المعتصم في اليوم الذي توفي فيه أبوه، وذلك يوم الخميس لثماني عشرة مضت من ربيع الأول،في هذه السنة أعني سنة ستع وعشرين ومائتين، وأم الواثق أم ولد رومية تسمى قراطيس. (وفي هذه السنة) هلك نوفيل ملك الروم، وملك بعده امرأته بدورة، وابنها ميخائيل بن نوفيل.

(ذكر الفتنة بدمشق)

لما مات المعتصم، ثارت القيسية بدمشق، وعاثوا وافسدوا، وحصروا أميرهم بدمشق. فبعث إليهم الواثق عسكراً مع رجاء بن أيوب فقاتلهم، وكانوا قد اجتمعوا بمرج راهط فقتل من القيسة نحو ألف وخمس مائة، وانهزم الباقي، وصلح أمر دمشق.

(وفي هذه السنة) توفي بشر بن الحارث الزاهد، المعروف بالحافي في ربيع الأول.

(ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ومائتين) في هذه السنة فتح المسلمون عدة أماكن من جزيرة صقلية، وكان الأمير على صقلية محمد بن عبد الله بن الأغلب، وكان مقيماً في صقلية، بمدينة بلرم، لم يخرج منها، لكن يجهز الجيوش والسرايا، فيفتح ويغنم، وكانت إمارته على صقلية تسع عشرة سنة، وتوفي في سنة سبع وثلاثين ومائتين في رجب على ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

(وفي هذه السنة) مات أبو تمام حبيب بن أوس الطائي الشاعر، (وفيها) أعطى الواثق أشناس، تاجاً ووشاحين.

(ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومائتين) في هذه السنة حبس الواثق الكتّاب، والزمهم أموالاً عظيمة، (وفيها) توفي خلف بن هشام البزار المقرئ البزار، بالزاي المنقوطة والراء المهملة.

(ثم دخلت سنة ثلاثين ومائتين) في هذه السنة مات عبد الله بن طاهر

بنيسابور وهو أمير خراسان وعمره ثما ن وأربعون سنة، واستعمل الواثق موضعه ابنه طاهر بن عبد الله. (وفي هذه السنة) خرجت المجوس في أقاصي بلاد الأندلس، في البحر، إلى بلاد المسلمين، وجرى بينهم وبين المسلمين بالأندلس عدة وقائع، انهزم فيها المسلمون، وساروا يقتلون المسلمين، حتى دخلوا حاضر إشبيلية، ووافاهم عسكر عبد الرحمن الأموي صاحب الأندلس، ثم أجتمع عليهم المسلمون من كل جهة، فهزموا المجوس، وأخذوا لهم أربعة مراكب، بما فيها، وهربت المجوس في مراكبهم إلى بلادهم.

(وفي هذه السنة) مات أشناس التركي بعد عبد الله بن طاهر بتسعة أيام.

(ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين ومائتين)، فيها مات مخارق المغني وأبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطي الفقيه، صاحب الشافعي، وكان قدحبس في محنة الناس بالقرآن المجيد، فلم يجب إلى القول بأنه مخلوق، وكان البويطي من الصالحين، وهو منسوب إلى بويط، قرية من قرى مصر. (وفيها) توفي محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي الكوفي، صاحب اللغة، وكان أبوه زياد عبداً سندياً أخذ الأدب عن المفضل الضبي صاحب المفضليات، ولابن الأعرابي المذكور عدة مصنفات منها: كتاب النوادر وكتاب الأنواء وكتاب تاريخ القبائل وغير ذلك، وولد في الليلة التي توفي فيها أبو حنيفة، سنة خمسين ومائة، والأعرابي منسوب إلى الأعراب، يقال رجل أعرابي إذا كان بدوياً، وإن لم يكن من العرب، ورجل عربي منسوب إلى العرب، وإن لم يكن بدوياً، ويقال رجل أعجم وأعجمي إذا كان في لسانه عجمة، وإن كان من العرب، ورجل عجمي منسوب إلى العجم، وإن كان فصيحاً، هكذا ذكر محمد بن عزيز السجستاني، في كتابه الذي فسر فيه غريب القرآن.

(ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين ومائتين)

(ذكر موت الواثق بالله)

وتوفي الواثق بالله أبو جعفر هارون بن المعتصم بالله، في هذه السنة، لست بقين من ذي الحجة بالاستسقاء وعولج بالإقعاد في تنور مسخن، ووجد عليه خفة، فعاوده وشدد سخونته، وقعدفيه أكثر من اليوم الأول، فحمي عليه، وأخرج منه في محفة، فمات فيها، ودفن بالهاروني، ولما اشتد مرض الواثق، أحضر المنجمين، فنظروا في مولده،فقدروا له انه يعيش خمسين سنة مستأنفة، من ذلك اليوم، فلم

يعش بعد قولهم إلا عشرة أيام، وكان أبيض مشرّباً حمرة، في عينه اليسرى نكتة بياض، وكانت خلافته، خمس سنين وتسعة أشهر وكسراً، وعمره اثنتان وثلاثون سنة وكان الواثق يبالغ في إكرام العلويين والإحسان إليهم، وفرق في الحرمين أموالاً عظيمة، حتى أنه لم يبق بالحرمين في أيام الواثق سائل، ولما بلغ أهل المدينة موته، كانت تخرج نساؤهم إلى البقيع كل ليلة، ويندبن الواثق، لفرط إحسانه إليهم، وسلك الواثق مذهب أبيه المعتصم، وعمه المأمون في امتحان الناس بالقرآن المجيد، وألزمهم القول بخلق القرآن، وأن الله لا يُرى في الآخرة بالأبصار.



ذكر خلافة المتوكل
جعفـــر بـــن المعتصـــم

هو عاشرهم، ولما مات الواثق، عزم كبراء الدولة على البيعة لمحمد بن الواثق، فالبسوه قلنسوة ودرّاعة سوداء وهو غلام أمرد قصير، فلم يروا ذلك مصلحة، فتناظروا فيمن يولونه، وذكروا عدة من بني العباس، ثم أحضروا المتوكل،فقام أحمد بن أبي داود وألبسه الطويلة، وعممه، وقبل بين عينيه وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين. فبويع بالخلافة في يوم مات الواثق فيه، لست بقين من ذي الحجة، سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، وكان عمر المتوكل لما بويع ستاً وعشرين سنة.

(ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين ومائتين)

(ذكر القبض على ابن الزيات)

في صفر من هذه السنة، قبض المتوكل على محمد بن عبد الملك الزيات، وحبسه وأخذ جميع أمواله، وعذبه بالسهر، ثم حطه في تنور خشب، فيه مسامير حديد، أطرافها إلى داخل التنور، يمتنع من يكون فيه من الحركة، ولا يقدر على الجلوس، فبقي كذلك محمد بن الزيا ت أياماً، ومات لإحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول من هذه السنة، وكان ابن الزيات هو الذي عمل هذا التنور، وعذب به ابن أسباط المضري وأخذ أمواله، وكان ابن الزيات صديق إبراهيم الصولي، فلما ولّي ابن الزيات الوزارة صادره بألف ألف درهم، فقال الصولي:

وكـنـت أذمُّ إليك الزمـان ... فأصبحت منك أذمُّ الزمانا
وكـنـت أعـدك للنائبـات ... فها أنا أطلب منك الأمانا

(وفي هذه السنة) ولّي المتوكل ابنه المنتصر الحرمين واليمن والطائف، (وفيها) توفي أبو زكريا يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام المري البغدادي المشهور، وكان إماماً حافظاً، قيل إنه من قرية نحو الأنبار تسمى نقيا، وهو صاحب الجرح والتعديل، وكان الإمام أحمد بن حنبل شديد الصحبة له، وكانا مشتركين في

الاشتغال بعلوم الحديث، وذكر الدارقطني يحيى بن معين المذكور في جملة من روى عن الإمام الشافعي. وولد يحيى بن معين المذكور في سنة ثمان وخمسين ومائة، وتوفي في هذه السنة أعني سنة ثلاث وثلاثين ومائتين، في ذي القعدة، وقيل في ذي الحجة رحمه الله تعالى.

(ثم دخلت سنة أربع وثلاثين ومائتين) فيها توفي محمد بن مبشر، أحد المعتزلة البغداديين، وأبو جيثمة زهر المحدث، وعلي بن عبد الله بن جعفر المعروف بابن المديني الحافظ، وهو إمام ثقة. (ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ومائتين) في هذه السنة، ظهر بسامراء رجل يقال له: محمود بن فرج، وادّعى النبوة، وزعم أنه ذو القرنين، وتبعه سبعة وعشرون رجلاً، فأُتي به وبأصحابه إلى المتوكل، فأمر أصحابه فصفعه كل واحد عشر صفعات، وضرب حتى مات من الضرب، وحبس أصحابه.

(وفي هذه السنة) مات الحسن بن سهل وعمره تسعون سنة، وكان قد شرب دواء فأفرط عليه القيام حتى مات، (وفيها) مات إسحاق بن إبراهيم الموصلي، صاحب الألحان والغناء. (وفيها) مات سريح بن يونس بن سريح بالسين المهملة، (وفيها) وقيل في السنة التي تليها، توفي عبد السلام بن رغبان – بالغين المنقوطة – الشاعر المشهور المعروف بديك الجن، وكان يتشيع، وعاش بضعاً وسبعين سنة، ومن جيد شعره أبياته التي من جملتها:

وقم أنت فاحثث كأسها غير صاغر ... ولا تسق إلاّ خمرها وعقارها
مشعشة من كف ظبي كأنما ... تناولها من خده وأدارها

(ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومائتين) في هذه السنة أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهدم ما حوله من المنازل ومنع الناس من إتيانه، وكان المتوكل شديد البغض لعلي بن أبي طالب، ولأهل بيته، وكان من جملة ندمائه عبادة المخنث، وكان يشد على بطنه تحت ثيابه مخدة، ويكشف رأسه، وهو أصلع، ويرقص ويقول: قد أقبل الأصلع البطين، خليفة المسلمين، يعني علياً، والمتوكل يشرب ويضحك، وفعل كذلك يوماً بحضرة المنتصر، فقال: يا أمير المؤمنين ، إن علياً ابن عمك، فكل أنت لحمه إذا شئت، ولا تخلي مثل هذا الكلب وأمثاله يطمع فيه، فقال المتوكل للمغنين غنوا:

غـارا الفـتى لابـن عمـه ... رأس الفـتى فـي حـرامـه

وكان يجالس من اشتهر ببغض علي، مثل ابن الجهم الشاعر، وأبي السمط من ولد مروان بن أبي حفصة، من موالي بني أمية وغيرهما، فغطى ذمه لعلي على حسناته، وإلاَّ فكان من أحسن الخلفاء سيرة، ومنع الناس عن القول بخلق القرآن.

(وفي هذه السنة) توفي منصور بن المهدي.

(ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومائتين) في هذه السنة مات محمد بن عبد الله أمير صقلية، وتولى موضعه على جزيرة صقلية العباس بن الفضل بن يعقوب بن فزارة، وفتح فيها الفتوحات الجليلة، وفتح قصر يانه، وهي المدينة التي بها دار الملك بصقلية، وكان الملك قبلها يسكن مرقوسة، فلما أخذ المسلمون بعض الجزيرة، انتقل الملك إلى قصر يانه. لحصانتها، ففتحها العباس في هذه السنة، يوم الخميس منتصف شوال، وبنى فيها مسجداً في الحال، ونصب فيه منبراً وخطب وصلى فيه الجمعة.

(وفيها) توفي حاتم الأصم الزاهد المشهور البلخي، ولم يكن أصم؛ وإنما سمي به لأن امرأة جاءت تسأله عن مسألة فخرج منها صوت فخجلت، فأوهمها أنّه أصم، وقال: ارفعي صوتك، فسرّت المرأة ظناً منها أنه لم يسمع حبقتها، فغلب عليه هذا الاسم.

(ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ومائتين) في هذه السنة توفي عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الأموي، صاحب الأندلس، في ربيع الآخر، وكان مولده سنة ست وسبعين ومائة. وولايته إحدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر، وكان أسمر طويلاً عظيم اللحية، يخضب بالحناء، وخلف خمسة وأربعين ابناً، ولما مات ملك بعده ابنه محمد بن عبد الرحمن.

(ثم دخلت سنة تسع وثلاثين ومائتين) فيها توفي محمود بن غيلان المروزي، وهو من مشايخ البخاري ومسلم.

(ثم دخلت سنة أربعين ومائتين) في هذه السنة مات ابن الإمام الشافعي، واسمه محمد، وكنيته أبو عثمان، وكان قاضي الجزيرة، وروى عن أبيه وعن ابن عينية، وكان للشافعي ولد آخر اسمه محمد أيضاً، مات بمصر سنة إحدى وثلاثين ومائتين.

(وفيها) توفي أبو ثور إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي، الفقيه البغدادي، صاحب الإمام الشافعي، وناقل أقواله القديمة عنه، وكان على مذهب أهل

الرأي، حتى قدم الشافعي إلى العراق، فاختلف إليه واتبعه، ورفض مذهبه الأول.

(ثم دخلت سنة إحدى وأربعين ومائتين) في هذه السنة توفي الإمام أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس، ينسب إلى معد بن عدنان، وكان وفاته في ربيع الأول وروى عنه مسلم، والبخاري، وأبو داود، وإبراهيم الحرثي، وكان مجتهداً ورعاً زاهداً صدوقاً، قال الشافعي: خرجت من بغداد، وما خلفت بها أحداً أتقى ولا أورع ولا أفقه من أحمد بن حنبل.

(ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين ومائتين) فيها مات أبو العباس محمد بن إبراهيم بن الأغلب أمير إفريقية، وولي بعده ابنه أبو إبراهيم أحمد بن محمد المذكور.

(وفيها) توفي القاضي يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن من ولد أكثم بن صيفي التميمي، حكم العرب، وكان يحيى المذكور عالماً بالفقه بصيراً بالأحكام، وهو من أصحاب الشافعي، وكان إماماً في عدة فنون، وكان ذميم الخلق، وابن أكثم المذكور، هو الذي رد المأمون عن القول بتحليل المتعة. فقال ابن أكثم لبعض الفضلاء الذي كانوا يعاشرون المأمون، ومنهم أبو العيناء: بكروا غداً إليه، فإن وجدتم للقول وجهاً فقولوا، وإلا فاسكتوا، حتى أدخل. قال أبو العيناء: فدخلنا على المأمون وهو يسأل ويقول وهو مغتاظ: متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ وعلى عهد أبي بكر رضي الله عنه، وأنا أنهي عنهما، ومن أنت يا جعل حتى تنهي عما فعله رسول الله، فأوجم أولئك، حتى دخل يحيى بن أكثم فقال له المأمون: أراك متغيراً، فقال يحيى: هو غمٌ لما حدث من النداء بتحليل الزنا يا أمير المؤمنين. فقال المأمون: الزنا؟ فقال: نعم. المتعة زنا. قال: ومن أين قلت هذا. قال: من كتاب الله وحديث رسوله. قال الله تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون إلى قوله والذين هم لفروجهم حافظون إلاّ على ازواجهم أوما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾ [المؤمنون:٥] يا أمير المؤمنين زوجة المتعة ملك يمين؟ قال: لا. قال: فهي الزوجة ترث وتورث؟ قال: لا. قال: وهذا الزهري روى عن عبد الله والحسن ابني محمد بن الحنفية عن أبيهما عن علي بن أبي طالب قال «أمرني رسول الله ﷺ أن أنادي بالنهي عن المتعة وتحريمها، بعد أن كان أمر بها» فقال المأمون: أمحفوظ هذا عن الزهري؟ قال: نعم. رواه عنه جماعة، منهم مالك رضي الله عنه، فقال: المأمون: أستغفر الله، فبادروا بتحريم المتعة، والنهي عنها،

ولم يكن في يحيى بن أكثم ما يعاب به سوى ما يتهم به من محبة الصبيان، وقد قيل فيه بسبب ذلك عدة أشعار منها:

وكنا نرجى أن نري العدل ظاهراً ... فاعقبنا بعد الرجاء قنوط
متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها ... وقاضي قضاة المسلمين يلوط

ولاحمد بن نعيم في ذلك:

أنطقني الدهر بعد إخراس ... لنائبات أطلن وسواسي
لا افلحت امة وحق لها ... بطول نكس وطول إتعاسِ
ترضى بيحيى يكون سايسها ... وليس يحيى لها بسواسِ
قاضٍ يرى الحد في الزناء ولا ... يرى على من يلوط من باسِ
يحكم للأمرد العذير على ... مثل جرير ومثل عباسِ
فالحمد لله كيف قد ذهب الـ ... ـعدل وقل الوفاء في الناسِ
أميرنا يرتشي وحاكمنا ... يلوط والرأس شر ما راسِ
لا أحسب الجور ينقضي ... وعلى الأمة والٍ من آل عباسِ

وأكثم بالتاء المثناة من فوقها والثاء المثلثة كلاهما لغتان، وهو الرجل العظيم البطن، والشبعان أيضاً.

(ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين ومائتين) في هذه السنة سار المتوكل إلى دمشق في ذي القعدة. (وفيها) مات إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول الصولي (وفيها) توفي الحارث بن أسد المحاسبي الزاهد، وكان قد هجره أحمد بن حنبل لأجل علم الكلام، فاختفى لتعصب العامة لأحمد، فلم يصل عليه غير أربعة أنفس.

(ثم دخلت سنة أربع وأربعين ومائتين) في هذه السنة وصل المتوكل إلى دمشق ودخلها في صفر ،وعزم على المقام بها، ونقل دواوين الملك إليها، فقال يزيد ابن محمد المهلبي:

أظن الشام يشمت بالعراق ... إذا عزم الإمام على انطلاقِ
فإن تدعِ العراقَ وساكنيهِ ... فقد تبكي المليحةُ بالطلاقِ

ثم استوبأ المتوكل دمشق، واستثقل ماءها، فرجع إلى سامراء وكان مقامه بدمشق شهرين وأياماً، (وفيها) غضب المتوكل على بختيشوع الطبيب، وقبض ماله

ونفاه إلى البحرين. (وفيها) قتل المتوكل أبا يوسف يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السكّيت، صاحب كتاب إصلاح المنطق في اللغة وغيره وكان إماماً في اللغة والأدب، قتله المتوكل لأنه قال له أيمّا أحب اليك: ابناي المعتز والمؤيد، أم الحسن والحسين، فغض ابن السكّيت عن ابنيه، وذكر عن الحسن والحسين ما هما أهله، فأمر مماليكه فداسوا بطنه، فحمل إلى داره فمات بعد غد ذلك اليوم. وقيل إن المتوكل لما سأل ابن السكّيت عن ولديه، وعن الحسن والحسين، قال له ابن السكيت: والله إن قنبراً خادم علي خير منك ومن ولديك. فقال المتوكل سلوا لسانه من قفاه، ففعلوا به ذلك، فمات لساعته، في رجب في هذه السنة المذكورة، وكان عمره ثمانياً وخمسين سنة والسكّيت بكسر السين المهملة وتشديد الكاف فعيل، اسم لكثير السكوت والصمت.

(ثم دخلت سنة خمس وأربعين ومائتين) في هذه السنة توفي ذو النون المصري، في ذي القعدة، وأبو علي الحسين بن علي، المعروف بالكرابيسي، صاحب الشافعي.

(ثم دخلت سنة ست وأربعين ومائتين) (فيها) تحول المتوكل إلى الجعفري، وكان قد ابتدئ في عمارته سنة خمس وأربعين ومائتين، وأنفق عليه أموالاً تجل عن الحصر، وكان يقال لموضعه الماحورة (وفيها) توفي دعبل بن علي الخزاعي الشاعر، وكان مولده سنة ثما ن وأربعين ومائة، وكان يتشيع.

(ثم دخلت سنة سبع وأربعين ومائتين)

(ذكر مقتل المتوكل)

في هذه السنة قتل المتوكل جماعة بالليل بالسيوف، وقت خلوته، باتفاق من ابنه المنتصر، وبغا الصغير الشرابي، وقتل في مجلس شرابه، وقتل معه وزيره الفتح ابن خاقان، وكان قتله ليلة الأربعاء لأربع خلون من شوال، وكانت خلافته أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وثلاثة أيام، وعمره نحو أربعين سنة، وكان أسمر خفيف العارضين.

ذكر بيعة المنتصر

وهو حادي عشرهم، لما أصبح نهار الاربعاء صبيحة الليلة التي قتل فيها المتوكل حضر الناس والقواد والعساكر إلى الجعفري، فخرج أحمد بن الخصيب إلى الناس، وقرا عليهم كتاباً من المنتصر، أن الفتح بن خاقان قتل المتوكل فقتلته به، فبايع الناس المنتصر، صبيحة الليلة، التي قتل فيها المتوكل.

(وفي هذه السنة) توفي العباس أمير صقلية، فولى الناس عليهم ابنه عبد الله ابن عباس، ثم ورد من إفريقية خفاجة بن سفيان أميراً على صقلية، فغزا وفتح في جزيرة صقلية ، ثم اغتاله رجل من عسكره، فقتله وهرب القاتل إلى المشركين، ولما قتل خفاجة استعمل الناس ابنه محمد بن خفاجة، ثم أقره على ولايته محمد بن أحمد بن الأغلب صاحب القيروان، وبقي محمد بن خفاجة أميراً على صقلية إلى سنة سبع وخمسين ومائتين، فقتله خدمه الخصيان وهربوا، فادركهم الناس وقتلوهم، على ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

(وفي هذه السنة) توفي أبو عثمان بكر بن محمد المازني النحوي الإمام في العربية.

(ثم دخلت سنة ثمان وأربعين ومائتين)

(ذكر موت المنتصر)

في هذه السنة توفي المنتصر بالله، محمد بن جعفر المتوكل، يوم الأحد بسامراء لخمس خلون من ربيع الأول، بالذبحة، وكانت مدة علته ثلاثة أيام وعمره خمس وعشرون سنة وستة أشهر، وكانت خلافته ستة أشهر ويومين، وكان أعين، أقنى ،قصيراً، سهيباً، عظيم اللحية، راجح العقل، كثير الإنصاف، وأمر الناس بزيارة قبر الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وأمن العلويين، وكانوا خائفين أيام أبيه.

(ذكر خلافة المستعين أحمد بن محمد المعتصم)

وهو ثاني عشرهم، ولما توفي المنتصر، اتفق كبراء الدولة مثل بغا الكبير، وبغا

الصغير، وأتامش الأتراك، ومحمد بن الخصيب، على تولية المستعين وكرهوا أن يقيموا بعض ولد المتوكل، لكونهم قتلوا المتوكل، فبايعوا المستعين ليلة الاثنين، لست خلون من ربيع الآخر، وهو ابن ثمان وعشرين سنة، ويكنى أبا العباس. (وفيها) وردعلى المستعين الخبر بوفاة طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عبد الله أمير خراسان، في رجب، فعقد المستعين لولده محمد بن طاهر على خراسان. (وفيها) مات بغا الكبير. فجعل المستعين ابنه موسى بن بغا مكانه. (وفي هذه السنة) شغب أهل حمص على كيدر عاملهم، فأخرجوه عنهم. (وفي هذه السنة) تحرك يعقوب ابن الليث الصفار من سجستان، نحو هراة. (وفيها) توفي محمد ابن العلا الهمداني، وكان من مشايخ البخاري ومسلم.

(ثم دخلت سنة تسع وأربعين ومائتين) في هذه السنة كان بين المسلمين والروم وقعة بمرج الأسقف. قتل فيها مقدم العسكر، وهو عمر بن عبد اللّه الأقطع، وكان من شجعان المسلمين وانهزمت المسلمون وقتل منهم جماعة، وخرجت الروم، فأغاروا إلى الثغور الجزرية.

(وفي هذه السنة) شغبت الجند، الشاكرية والعامة، ببغداد، على الأتراك، بسبب استيلائهم على أمور المسلمين، يقتلون من شاؤوا من الخلفاء ويستخلفون من أحبوا من غير ديانة، ولا نظر للمسلمين، ثم وقعت في سامراء فتنة من العامة وفتحوا السجون وأطلقوا ما فيها، ثم ركبت الأتراك وقتلوا من العامة جماعة وسكنت الفتنة.

(وفي هذه السنة) ثارت الموالي بأتامش، فقتلته، ونهبوا من داره أموالاً جمة، لأن المستعين كان قد أطلق يد أتامش، ويد والدته، أعني والدة المستعين، ويد شاهك الخادم، في بيوت الأموال، فكانوا يأخذون الأموال من دون غيرهم، فقتل أتامش بسبب استيلائه على الأموال.

(وفي هذه السنة) توفي علي بن الجهم الشاعر. (وفي هذه السنة) توفي ابو إبراهيم أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الأغلب صاحب أفريقية، ولما مات وليّ موضعه أخوه زيادة الله بن محمد، وكنية زيادة الله المذكور أبو محمد.

(ثم دخلت سنة خمسين ومائتين) (في هذه السنة) ظهر يحيى عمر بن يحيى بن حسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ويكنى أبا الحسين، بالكوفة، وكثر جمعه، واستولى على الكوفة، ثم جهز إليه محمد بن عبد

الله بن طاهر جيشاً، فخرج إليهم يحيى بجمعة، فقتل يحيى وانهزم أصحابه، وقتل منهم جماعة وحمل رأسه إلى المستعين، ثم في هذه السنة ظهر الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن زيد بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بطبرستان، وكثر جمعه واستقل بملك طبرستان، ويسمى بالداعي إلى الحق، وبقي مستولياً حتى قتل في سنة سبع وثمانين ومائتين، وقام بعده الناصر الحسن بن علي. (وفي هذه السنة) وثب أهل حمص على عاملهم، وهو الفضل بن قارن أخو مازيار فقتلوه، فأرسل المستعين إليهم موسى بن بغا الكبير، فحاربوه بين حمص والرستن، فهزمهم وافتتح حمص،فقتل من أهلها مقتلة عظيمة، وأحرقها. (وفي هذه السنة) توفي زيادة الله بن محمد بن إبراهيم بن الأغلب أمير إفريقية، وكانت ولايته سنة وستة أشهر، وملك بعده ابن أخيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد المذكور (وفيها) مات الخليع الشاعر، واسمه الحسين بن الضحاك، وأشعاره وأخباره مشهورة، وكان مولده سنة اثنتين وستين ومائة.

(ثم دخلت سنة إحدى وخمسين ومائتين) في هذه السنة اتفق بغا الصغير ووصيف، وقتلا باغر التركي، فشغبت الترك، وحصروا المستعين وبغا الصغير ووصيفاً في القصر، بسامراء فهرب المستعين وبغا ووصيف في حرّاقه، وانحدروا إلى بغداد، واستقر بها المستعين.

(ذكر البيعة للمعتز بالله)

في هذه السنة بعد مسير المستعين إلى بغداد من سامراء، كما ذكرنا، خافه الأتراك فأخرجوا المعتز بالله بن المتوكل، وكان في الحبس، وبايعوه، واستولى على الأموال التي كانت في سامراء للمستعين، ولأمه، وأنفق في الجند، ثم عقد المعتز لأخيه أبي أحمد طلحة بن المتوكل، وهو الموافق لسبع بقين من المحرم، وجهزه مع خمسين ألفاً من الترك، إلى حرب المستعين، وتحصن المستعين ببغداد، وبقي المعتز بسامراء والمستعين ببغداد، وجرى بين الفريقين قتال كثير، ثم اتفق كبراء الدولة ببغداد، على خلع المستعين، وألزموه بذلك، وفي هذه السنة مات السري السقطي الزاهد،

(ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين ومائتين).

ذكر خلع المستعين
وولاية المعتز

وهو ثالث عشرهم، ولما جرى من أمر المعتز والمستعين ماذكرناه، خلع المستعين أحمد بن محمد المعتصم نفسه من الخلافة، وبايع المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم، وخطب للمعتز ببغداد يوم الجمعة، رابع المحرم من هذه السنة، وأخذت له البيعة على جميع من ببغداد، ثم نقل المستعين من الرصافة إلى قصر الحسن بن سهل بعياله وأهله، وأخذ منه البردة والقضيب والخاتم، فطلب المستعين أن يكون مقامه بمكة، فمنع من التوجه إلى مكة، فاختار المقام بالبصرة، فوكل به جماعة، وانحدر إلى واسط، ثم أمر المعتز بقتل المستعين، وكتب إلى أحمد بن طولون بقتل المستعين، فامتنع أحمد بن طولون عن قتله، وسار أحمد بن طولون بالمستعين إلى القاطول[1] وسلمه إلى الحاجب سعيد بن صالح، فضربه سعيد حتى مات، وحمل رأسه إلى المعتز. فأمر بدفنه، وكانت مدة خلافة المستعين إلى أن خلع ثلاث سنين وتسعة أشهر وكسرا، وكان عمره أربعا وثلاثين سنة.

(وفي هذه السنة) عقد لعيسى بن الشيخ علي الرملة، فأنفذ له نائبا عليها يسمى أبا المعتز[2]، وهذا عيسى شيباني وهو عيسى بن الشيخ بن السليك[3] من ولد جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان، فلما كان من فتنة الأتراك ما كان بالعراق، تغلّب ابن الشيخ المذكور على دمشق وأعمالها، وقطع ماكان يحمل من الشام إلى الخليفة، واستبد بالأموال.

(وفيها) توفي محمد بن بشار، ومحمد بن المثنى الزمن البصريان وهما من مشايخ البخاري ومسلم في الصحيح.

(ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ومائتين) في هذه السنة شغبت الجند

---

(١) القاطول: انظر الصفحة ٣٥ .

(٢) في الكامل: أبا المغراء. ج٦ ص ١٨٨.

(٣) في الكامل: السليل ج٦ ص ١٨٨.

بسبب طلب رزق أربعة أشهر، فلم يجبهم وصيف إلى ذلك، فوثبوا على وصيف وقتلوه، فجعل المعتز كل ما كان إلى وصيف إلى بغا الشرابي.

(وفي هذه السنة) مات محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين. (وفي هذه السنة) ملك يعقوب الصفّار هراة وبوشنج، وعظم أمره، وهابه أمير خراسان وغيره.

(ثم دخلت سنة أربع وخمسين ومائتين). في هذه السنة قتل بغا الشرابي الصغير، تحت الليل، وكان بغا قد خرج من بين أصحابه وجنده، ومعه خادمان له، وقصد الركوب في زورق، فأعلم المتوكلون بالجسر المعتز بخبره، فأمرهم بقتله، فقتلوه وحملوا رأسه إلى المعتز.

(وفي هذه السنة) في جمادى الآخرة، توفي علي الهادي؛ وعلي التقي وهو أحد الأئمة الإثني عشر عند الإمامية، وهو علي الزكي بن محمد الجواد المقدم ذكره في سنة عشرين ومائتين، وكان علي المذكور قد سعى به إلى المتوكل، أن عنده كتباً وسلاحاً، فأرسل المتوكل جماعة من الأتراك، وهجموا عليه ليلاً على غفلة، فوجدوه في بيت مغلق، وعليه مدرعة من شعر، وهو مستقبل القبلة يترنم بآيات من القرآن، في الوعد والوعيد، ليس بينه وبين الأرض بساط إلا الرمل، والحصا، فحمل على هيئته إلى المتوكل، والمتوكل يستعمل الشراب، وفي يده الكاس، فلما رآه المتوكل أعظمه، وأجلسه إلى جانبه، وناوله الكاس، فقال: يا أمير المؤمنين ما خامر لحمي ودمي قط، فاعفني منه، فأعفاه، وقال: أنشدني شعراً. فقال: إني لقليل الرواية للشعر. فقال المتوكل: لا بد من ذلك. فأنشده:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم ... غلبَ الرِّجالُ فما اغنتهُمُ القللُ
واستُنزلوا بعد عزٍ عَنْ معاقلهِمْ ... فأودَعوا حُفراً يا بئس ما نزلوا
ناداهُمُ صارخٌ من بعدما قبروا ... أين الأسرَّةُ والتيجانُ والحللُ
أين الوجوهُ التي كانت مُنعَّمةً ... منْ دونها تُضرب الأستارُ والكللُ
فأفصحَ القبرُ عنهمْ حين ساءلهم ... تلكَ الوجوهُ عليها الدودُ يقتتلُ
قد طال ما أكلوا دهراً وما شربوا ... فأصبحوا بعد طولِ الأكل قد أُكلوا

فبكى المتوكل، ثم أمر برفع الشراب وقال: يا أبا الحسن، أعليك دين؟ قال: نعم، أربعة آلاف دينار، فدفعها إليه وردّه إلى منزله مكرّماً، وكانت ولادة علي المذكور، في رجب سنة أربع عشرة ومائتين، وقيل ثلاث عشرة، وتوفي لخمس بقين من جمادى الآخرة، من هذه السنة، أعني سنة أربع وخمسين ومائتين، بسرّمن رأى،

ويقال لعلي المذكور، العسكري لسكناه بسرمن رأى، لأن «سرّ من رأى» يقال لها العسكري، لسكنى العسكر بها، وعلي المذكور عاشر الأئمة الاثني عشر، وهو والد الحسن العسكري، والحسن العسكري هو حادي عشر الأئمة الاثني عشر، وهو الحسن بن علي الزكي المذكور بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، المقدم ذكرهم، رضي الله عنهم أجمعين.

وكانت ولادة الحسن العسكري المذكور، في سنة ثلاثين ومائتين، وتوفي في سنة ستين ومائتين في ربيع الاول، وقيل في جمادى الأولى، بسرمن رأى، ودفن إلى جانب أبيه علي الزكي المذكور، والحسن العسكري المذكور، هو والد محمد المنتظر، صاحب السرداب، ومحمد المنتظر المذكور هو ثاني عشر الأئمة الاثني عشر، على رأي الإمامية، ويقال له القائم، والمهدي، والحجة. وولد المنتظر المذكور، في سنة خمس وخمسين ومائتين، والشيعة يقولون: دخل السرداب في دار أبيه، بسرمن رأى، وأمه تنظر إليه، فلم يعد يخرج إليها، وكان عمره حينئذ تسع سنين، وذلك في سنة خمس وستين ومائتين، وفيه خلاف.

(وفيها) توفي أحمد بن الرشيد، وهو عم الواثق. (وفي هذه السنة) ولي أحمد بن طولون على مصر.

(ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومائتين) في هذه السنة استولى يعقوب بن الليث الصفّار على كرمان، ثم استولى بالسيف على فارس، ودخل يعقوب الصفار إلى شيراز، ونادى بالأمان وكتب إلى الخليفة بطاعته، وأهدى له هدية جليلة، منها عشرة بازات[1] بيض، ومائة مَنٍّ[2] من المسك.

(ذكر خلع المعتز وموته)

وفي هذه السنة، في يوم الأربعاء لثلاث بقين من رجب، خلع المعتز بن جعفر؛ المتوكل بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد، واختُلف في اسم المعتز، فقيل محمد، وقيل الزبير، ويكنّى أبا عبد الله، وقيل كنيته غير ذلك، ومولده، بسرّ من رأى، في ربيع الآخر، سنة أثنتين وثلاثين ومائتين، وأمه أم ولد، تدعى قبيحة،

(١) بازات : عن الكامل ج٦ص١٩٩.
(٢) المنّ: كيل أو ميزان، وقيل: هو رطلان.

ولليلتين خلتا من شعبان ظهر موته، وكان سبب ذلك: أن الأتراك طلبوا أرزاقهم، فلم يكن عند المعتز مال يعطيهم، فنزلوا معه إلى خمسين ألف دينار فأرسل المعتز وسأل أمه قبيحة في ذلك، فقالت: ما عندي شيء. فاتفق الأتراك والمغاربة والفراعنة، على خلع المعتز، فصاروا إلى بابه، فقالوا: اخرج إلينا، فقال: قد شربت أمس دواء، وقد أفرط في العمل، فإن كان لا بد من الاجتماع، فليدخل بعضكم إليّ، فدخل إليه جماعة منهم، فجروا المعتز برجله إلى باب الحجرة وضربوه بالدبابيس، وخرقوا قميصه، وأقاموه في الشمس، فكان يرفع رجلاً ويضع أخرى لشدة الحر، وبقي بعضهم يلطمه وهو يتقي بيده، وأدخلوه حجرة، وأحضروا ابن أبي الشوارب القاضي وجماعة، فأشهدوهم على خلعه، ثم سلموا المعتز إلى من يعذبه، ومنعوه الطعام والشراب ثلاثة أيام، ثم أدخلوه سرداباً، وجصصوه عليه، فمات ودفنوه بسامراء مع المنتصر. وكانت خلافته من لدن بويع بسامراء، إلى أن خلع، أربع سنين وسبعة أشهر إلاّ سبعة أيام، وكان عمره أربعاً وعشرين سنة، وثلاثة وعشرين يوماً، وكان أبيض، أسود الشعر.

ذكر خلافة المهتدي

وهو رابع عشرهم، وفي يوم الأربعاء لثلاث بقين من رجب، من هذه السنة، بويع لمحمد بن الواثق بالخلافة، ولقّب المهتدي بالله، وكنيته أبو عبد الله، وأمه روميّة اسمها قرب.

(وفي هذه السنة) في رمضان، ظهرت قبيحة أم المعتز، وكانت قد اختفت لما قتل ابنها، وكان لقبيحة أموال عظيمة ببغداد، وكان لها مطمور تحت الأرض ألف ألف دينار، ووجد لها في سفط قدر مكوك زمرّد، وفي سفط آخر مقدار مكوك لؤلؤ، وفي سفط مقدار كيلجة ياقوت أحمر، لا يوجد مثله. ونبش ذلك كله، وحمل جميعه إلى صالح بن وصيف، فقال صالح: قبّح الله قبيحة، عرّضت ابنها للقتل، لأجل خمسين ألف دينار، وعندها هذه الأموال كلها، وكان المتوكل قد سماها قبيحة، لحسنها وجمالها كما يسمى الأسود كافور. ثم سارت قبيحة إلى مكة، فكانت تدعو بصوت عال على صالح بن وصيف وتقول: هتك ستري، وقتل ولدي، وأخذ مالي، وغرّبني عن بلدي ، وركب الفاحشة مني.

(ذكر ظهور صاحب الزنج)

في هذه السنة كان أول خروج صاحب الزنج، وهو علي بن محمد بن عبد الرحيم، ونسبه في عبد القيس، فجمع إليه الزنج الذين كانوا يسكنون السباخ، في جهة البصرة، وادعى أنه علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. ولما صار له جَمْعٌ عبر دجلة ونزل الديناري[1]، وكان صاحب الزنج المذكور قبل ذلك، متصلاً بحاشية المنتصر في سامراء، يمدحهم ويستمنحهم بشعره، ثم إنه شخص من سامراء سنة تسع وأربعين ومائتين إلى البحرين، فادّعى نسبته في العلويين، كما ذكر وأقام في الإحساء، ثم صار إلى البصرة في سنة أربع وخمسين ومائتين. وخرج في هذه السنة أعني سنة خمس وخمسين

---

(١) الديناري : نسبة الى دينار بالرّي البلدان ٢ / ٥٤٥.

ومائتين، واستفحل أمره، وبث أصحابه يميناً وشمالاً للإغارة والنهب. (وفي هذه السنة) توفي خفاجة بن سفيان أمير صقلية، وولي بعده ابنه محمد، (وفيها) توفي محمد بن كرام صاحب المقالة في التشبيه، وكان موته بالشام، وهو من سجستان، (وفيها) توفي عبد الله بن عبد الرحمن الداراني صاحب المسند، توفي في ذي الحجة، وعمره خمس وسبعون سنة. (وفيها) توفي أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، صاحب التصانيف المشهورة، وكان كثير الهزل، نادر النادرة، خالط الخلفاء ونادمهم، أخذ العلم عن النظام المتكلم، وكان الجاحظ قد تعلق بأسباب ابن الزيات، فلما قتل ابن الزيات، قيدّ الجاحظ وسجن، ثم أُطلق. قال الجاحظ: ذُكرت للمتوكل لتعليم ولده، فلما مثلت بين يديه بسامراء، استبشع منظري، فأمر لي بعشرة آلاف درهم وصرفني. وصنف الجاحظ كتباً كثيرة منها: كتاب البيان والتبيين، جمع فيه بين المنثور والمنظوم، وكتاب الحيوان، وكتاب الغلمان، وكتاب في الفرق الاسلامية، وكان جاحظ العينين كاسمه، قال المبرد: دخلت على الجاحظ في مرضه فقلت: كيف أنت؟ فقال: كيف يكون من نصفه مفلوج؟ لو نُشر ما أحِسَّ به ونصفه الآخر منقرسٌ، لو طار الذباب به آلمه، وقد جاوز التسعين، ثم أنشد:

أترجو أن تكون وأنت شيخٌ كما قد كنت أيام الشبابِ
لقد كذبتكَ نفسكَ ليسَ ثوبٌ دريسٌ كالجديد من الثيابِ

وقد رويَ أنّ موته كان بوقوع مجلدات عليه، وكان من عادته أن يصفُّها قائمة كالحائط، محيطة به، وهو جالس إليها، وكان عليلاً فسقطت عليه فقتلته، في محرم هذه السنة.

(ثم دخلت سنة ست وخمسين ومائتين) في هذه السنة، جمع موسى بن بغا أصحابه لقتل صالح بن وصيف، فهرب صالح واختفى، ثم ظفر به موسى فقتله.

(ذكر خلع المهتدي وموته)

في هذه السنة، في منتصف رجب، خُلع محمد المهتدي بن هرون الواثق بن المعتصم، وتوفي لاثنتي عشرة ليلة بقيت منه، وكان سببه أنه قصدقتل موسى بن بغا، وكان موسى المذكور معسكراً قبالة بعض الخوارج، وكتب بذلك إلى بابكيال، -كان من مقدمي الترك- أن يقتل موسى بن بغا، ويصير موضعه، فاطّلَعَ بابكيال موسى على ذلك، فاتفقا على قتل المهتدي، وسارا إلى سامراء، ودخل بابكيال إلى

المهتدي، فحبسه المهتدي وقتله، وركب لقتال موسى، ففارقت الأتراك الذي كانوا مع المهتدي عسكر المهتدي، وصاروا مع أصحابهم الأتراك مع موسى، فضعف المهتدي وهرب، ودخل بعض الدور، فأُمسك وداسوا خصيتيه، وصفعوه، فمات، ودفن بمقبرة المنتصر. وكانت خلافة المهتدي أحد عشر شهراً ونصفاً، وكان عمره ثمانياً وثلاثين سنة، وكان المهتدي أسمر عظيم البطن، قصيراً طويل اللحية، ومولده (بالقاطول) وكان ورعاً كثير العبادة، قصد أن يكون في بني العباس مثل عمر بن عبد العزيز في بني أمية.



ذكر خلافة المعتمد على الله

وهو خامس عشرهم، لما خُلع المهتدي وقُتل، أخرج كبراء الدولة، أبا العباس أحمد بن المتوكل من الحبس، وبايعه الناس بالخلافة، ولقّب المعتمد على الله، واستوزر عبيدالله بن يحيى بن خاقان.

(وفي هذه السنة) ملك صاحب الزنج الأبله[1] عنوة. وقتل من أهلها خلقاً كثيراً وأحرقها، وكانت مبنية بالساج، فأسرعت النار فيها، ثم استولى على عبادان بالأمان ثم استولى على الأهواز بالسيف، (وفيها) عزل عيسى بن الشيخ عن الشام، وكان قد استولى عليه، وقطع الحمل عن بغداد، كما ذكرنا، فعقد لعيسى على أرمينية، وولى أماجور الشام، فسار واستولى عليه، بعد أن جرى بينه وبين أصحاب عيسى قتال شديد، انتصر فيه أماجور واستقر أميراً بالشام.

(وفي هذه السنة) توفي الإمام محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي صاحب المسند الصحيح، الذي هو الدرجة العالية في الصحة، المتفق على تفضيله والأخذ منه، والعمل به، ورحل في طلب الحديث إلى الأمصار، وكان مولده سنة أربع وتسعين ومائة لثلاث عشرة خلت من شوال. قال البخاري: أُلهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب، ابن عشر سنين، فلما بلغت ثماني عشرة سنة صنفت قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم، وصنفت كتاب التاريخ، إذ ذاك، عند قبر رسول الله ﷺ، قال: أخرجت الصحيح من زهاء ستمائة الف حديث، وما أدخلت فيه إلاّ ما صح.

وورد مرّة إلى بغداد، فعمد أهل الحديث إلى مائة حديث، فقلبوا متونها وأسانيدها، ووضعوا عشرة أنفس، فأورد واحد بعد آخر الأحاديث المذكورة، والبخاري يقول في كل حديث منها: لا أعرفه. فلما فرغوا قال: أما الحديث الأول فهو كذا، وردّه إلى حقيقته، وأما الثاني فهو كذا، حتى ذكرها عن آخرها على حقيقتها.

---

(١) الأبُلّة: بضم أوله وثانيه وتشديد اللام وفتحها، بلدة على شاطئ دجلة البصرة، وهي أقدم من البصرة. معجم البلدان ج١ ص٧٧.

ووقع بين البخاري وأمير بخارى واسمه خالد وحشة، فدسّ خالد من قال: إنّ البخاري يقول بخلق الأفعال للعباد، وبخلق القرآن فتبرأ البخاري من ذلك وأنكره، وعظُم عليه فارتحل، ونزل عند بعض أقاربه، بقرية من قرى سمرقند على فرسخين منها، اسمها (خرشك) فمات بها ليلة عيد الفطر من هذه السنة.

(ثم دخلت سنة سبع وخمسين ومائتين)، (فيها) أخذ الزنج البصرة، وقتلوا بها كل من وجدوه، وخربوها. (وفي هذه السنة) ملك يعقوب الصفار بلخ، ثم سار إلى كابل، فاستولى عليها، وأرسل هدية إلى الخليفة، وفيها أصنام من تلك البلاد. (وفي هذه السنة) قصد الحسن بن زيد العلوي صاحب طبرستان جرجان وملكها (وفيها) قُتل محمد بن خفاجة أمير صقلية، [قتله][1] خدَمه كما تقدم ذكره في سنة سبع وأربعين ومائتين، واستعمل محمد بن أحمد الأغلبي صاحب إفريقية على صقلية أحمد بن يعقوب. (وفيها) توفي العباس بن الفرج الرياشي اللغوي.

(ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ومائتين) في هذه السنة أرسل المعتمد أخاه الموفق، أبا أحمد إلى قتال الزنج.

(ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومائتين) في هذه السنة استولى يعقوب الصفار على نيسابور وملكها. (وفيها) توفي محمد بن موسى بن شاكر، أحد الإخوة الثلاثة الذين ينسب إليهم جيل بني موسى المشهورين، واسم أخويه أحمد والحسين، وكان لهم همم عالية في تحصيل العلوم القديمة، وكان الغالب عليهم الهندسة والحيل والموسيقى، ولما بلغ المأمون من كتب الأوائل أن دور الأرض أربعة وعشرون ألف ميل، أراد تحقيق ذلك، فأمر بني موسى المذكورين بتحرير ذلك، فسألوا عن الأراضي المتساوية، فأُخبروا بصحراء سنجار ووطاة الكوفة، فأرسل معهم المأمون جماعة يثق إلى أقوالهم، فساروا إلى صحراء سنجار؛ وحققوا ارتفاع القطب الشمالي، وضربوا هناك وتداً، وربطوا فيه حبلاً طويلاً ومشوا إلى الجهة الشمالية على الاستواء، من غير انحراف حسب الإمكان، وبقي كلما فرغ حبل نصبوا في الأرض وتداً آخر؛ وربطوا فيه حبلاً آخر كفعلهم الأول، حتى انتهوا كذلك إلى موضع قد زاد فيه ارتفاع القطب الشمالي المذكور درجة محققة، ومسحوا ذلك القدر، فكان ستة وستين ميلاً، وثلثي ميل، ثم وقفوا عند موقفهم الأول، وربطوا في الوتد حبلاً،

---

(١) أضيفت لإيضاح المعنى عن الكامل ج٦ ص٢٢٤.

ومشوا إلى جهة الجنوب من غير انحراف، وفعلوا ما شرحناه، حتى انتهوا إلى موضع قد انحط فيه ارتفاع القطب الشمالي درجة، ومسحوا ذلك القدر، فكان ستة وستين ميلا وثلثي ميل، ثم عادوا إلى المأمون وأخبروه بذلك، فأراد المأمون تحقيق ذلك في موضع آخر، فسيرهم إلى أرض الكوفة، فساروا إليها وفعلوا كما فعلوا في أرض سنجار، فوافق الحسابان، وعادوا إلى المأمون، فتحقق صحة ذلك، وصحة ما نقل من كتب الأوائل، لمطابقة ما اعتبره، ثم ضربوا الأميال المذكورة في ثلاثمائة وستين، وهي درج الفلك، فكان الحاصل أربعة وعشرين ألف ميل، وهو دور الأرض. أقول: كذا نقله ابن خلكان. ونقل غيره من المؤرخين أن الذي وجد في أيام المأمون لحصّة الدرجة ستة وستون ميلاً وثلثا ميل، وهو غير صحيح، فإن ذلك هو لحصة الدرجة على رأي القدماء، وأما في أيام المأمون فإنه وجد حصة الدرجة ستة وخمسين ميلاً، وقد تحقق ذلك في علم الهيئة.

(ثم دخلت سنة ستين ومائتين) فيها قتلت العرب [١] منجور والي حمص، واستعمل عليها بكتمر. (وفيها) توفي مالك بن طوق التغلبي[٢] بالرحبة، وهو الذي بناها والذي تنسب إليه فيقال رحبة مالك[٣]. (وفيها) توفي الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي اله عنه، وهو المعروف بالعسكري، وهو أحد الأئمة الاثني عشر، على مذهب الإمامية. وهو والد محمد المنتظر من سرداب سر من رأى[٤] على زعمهم، وكان مولده سنة اثنتين وثلاثين ومائتين حسبما تقدم ذكره، في سنة أربع وخمسين ومائتين. (وفيها) توفي الحسن بن الصباح الزعفراني الفقيه، وهو من أصحاب الشافعي البغداديين. (وفيها) توفي حنين بن إسحاق الطبيب العبادي، وهو الذي نقل كتب الحكماء اليونانيين إلى العربية، وكان عالماً بها، وهو الذي عرّب كتاب إقليدس، وكتاب بطليموس «المجسطي» وأصلحهما، ونقّحهما، والعبَادي بكسر العين المهملة وفتح الباء الموحدة من تحتها هذه النسبة إلى عباد الحيرة، وهم عدة بطون من قبائل شتى، نزلوا الحيرة، وكانوا نصارى، ينسب إليهم خلق كثير، منهم عدي بن زيد العبادي.

---

(١) في الكامل: الأعراب. ج٦ ص٢٤٩.
(٢) في الكامل: التغلبي. ج٦ ص٢٤٩.
(٣) رحبة مالك: بين الرقة وبغداد على شاطئ الفرات عن الكامل ج٦ ص٢٤٩.
(٤) في الكامل: سامرا ج٦ ص٢٥٠.

(ثم دخلت سنة إحدى وستين ومائتين)

(ذكر ولاية نصر بن أحمد الساماني)
(ما وراء النهر، وابتداء أمر الساماني)

في هذه السنة استُعملَ نصر بن أحمدبن اسد بن سامان اخذه [1] بن جثمان بن طغاث بن نوشرد بن بهرام جوبين، وهو بهرام جوبين الذي ذكر في أخبار كسرى برويز، وكان لأسد بن سامان أربعة أولاد هم نوح، وأحمد، ويحيى، وإلياس، وكانوا في خراسان حين تولى عليها المأمون بن الرشيد، فأكرم المأمون أولاد أسد بن سامان، الأربعة المذكورين، وقدّمهم واستعملهم. ولما رجع المأمون من خراسان إلى العراق، استخلف على خراسان غسان بن عباد، فولّى غسان المذكور؛ أحمد بن أسد فرغانة، في سنة أربع ومائتين، ويحيى بن أسد الشاش مع أسرشة[2] وولى[3] إلياس بن أسد هراة، وولى نوح بن أسد سمرقند، ولما تولى طاهر بن الحسين على خراسان، أقرهم على هذه الأعمال، حسبما كان قد ولأهم غسان بن عباد عليه، ثم مات نوح ابن أسد ثم مات بعده إلياس بهراة، فاستقر على عمله ابنه محمد بن إلياس. وكان لأحمد بن أسد سبعة بنين، وهم نصر ويعقوب ويحيى وأسد وإسماعيل وإسحق وحميد، ثم مات أحمد بن أسد، فاستخلف ابنه نصراً على اعماله، وكان إسماعيل ابن أحمد يخدم أخاه نصراً، فولاه نصر بخارى. في هذه السنة، أعني سنة إحدى وستين ومائتين.

ثم بعد ذلك، سعت السعاة بين نصر وأخيه إسماعيل، فأفسدوا ما بينهما، حتى اقتتلا سنة خمس وسبعين ومائتين، فظفر إسماعيل بأخيه نصر، فلما حمل إليه، ترجل له إسماعيل وقبل يده، وردّه إلى موضعه، واستمر إسماعيل ببخارى، وكان إسماعيل رجلاً خيراً يحب أهل العلم ويُكرمُهم، فلذلك دام ملكه وملك أولاده، وطالت أيامهم على ما سنذكره إن شاء الله تعالى. (وفي هذه السنة) عصى أهل برقة على أحمد بن طولون، فجهز إليهم جيشاً، فحاصروا برقة، وفتحوها، وقبضوا على جماعة من رؤسائهم.

---

(١) في الكامل: خداه ج٦ ص٢٥٣..

(٢) في الكامل: أشروسنة ج٦ ص٢٥٣.

(٣) في الكامل: ويحيى بن أسد الشاس واشروسنة وإلياس بن أسد هراة ج٦ ص٢٥٣.

(وفي هذه السنة) توفي محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الأغلب صاحب إفريقية، في جمادى الأولى. وكانت ولايته عشر سنين وخمسة أشهر ونصفاً. وتولى بعده أخوه إبراهيم بن أحمد بن محمد، ثم سار إبراهيم بن أحمد بن محمد إلى صقلية، وفتح الفتوحات العظيمة، وجاهد في الله حق جهاده، وتوفي إبراهيم بالذرب[1] ليلة السبت، لإحدى عشرة بقيت من ذي القعدة، سنة تسع وثمانين ومائتين بصقلية، رحمه الله تعالى، وجعل في تابوت، وحمل إلى إفريقية، ودفن بالقيروان، وكانت ولايته خمساً وعشرين سنة، وكان له فطنة عظيمة، وتصدق بجميع ماله.

(وفي هذه السنة) توفي الحسن بن عبد الملك بن أبي الشوارب، قاضي القضاة، وهو من ولد عتاب بن أسيد، الذي ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة، أسيد بفتح الهمزة وكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها ثم دال مهملة.

(وفيها) توفي أبو يزيد البسطامي الزاهد، واسمه طيفور بن عيسى بن سروبيان، وكان سروبيان مجوسياً فأسلم. (وفي هذه السنة) توفي أبو الحسين مسلم ابن الحجاج النيسابوري صاحب المسند الصحيح. رحل إلى الأمصار لسماع الحديث. قال مسلم: صنفت هذا المسند الصحيح من ثلاث مائة ألف حديث مسموعة، ولما قدم البخاري إلى نيسابور لازمه مسلم، ولما وقعت للبخاري مسألة خلق اللفظة انقطع الناس عنه إلاّ مسلماً. وقال مسلم للبخاري: دعني أُقبّل رجليك يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين، وطبيب الحديث.

(ثم دخلت سنة اثنين وستين ومائتين) في هذه السنة، أرسل الخبيث صاحب الزنج، جيشاً إلى جهة بطايح[2] واسط، فقتلوا وسبوا وأحرقوا. (وفيها) مات عمر بن شيبة.

(ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومائتين) في هذه السنة، استولى يعقوب الصفار على الأهواز.

(ثم دخلت سنة أربع وستين ومائتين) في هذه السنة مات أماجور مقطع

---

(١) الذرب: في الكامل: علّة الذرب: ج٦ ص٢٥٧.

(٢) في الكامل: البطيحة. وهي أرض واسعة بين واسط والأهواز ج٦ ص٢٦٢.

دمشق، وسار أحمد بن طولون من مصر إلى دمشق، ثم إلى حمص، ثم إلى حماة، ثم إلى حلب، فملكها جميعها، ثم سار أحمد بن طولون إلى أنطاكية، ودعا (سيما الطويل) أمير أنطاكية إلى الدخول في طاعته، فأبى، فقاتله أحمد وملك انطاكية عنوة، وقاتل سيما قتالاً شديداً حتى قتل، ثم رحل أحمد إلى طرسوس، وعزم على المقام بها للجهاد، فغلا بها السعر وقلّ القوت، فرجع إلى الشام.

(وفي هذه السنة) خرج بالصين خارجي مجهول النسب والاسم وعظيم جمعه، فقصد مدينة خانقو من الصين، وحصرها، وهي حصينة، ولها نهر عظيم، وبها عالم كثير من المسلمين، والنصارى، واليهود، والمجوس، وغيرهم من أهل الصين، ففتحها عنوة، وقتل من أهلها ما لا يحصى، واستولى على شيء كثير من بلاد الصين، ثم عدم الخارجي المذكور في حرب ملك الصين، وانهزمت أصحابه فلم يجتمع بعد ذلك.

(وفي هذه السنة) فرغ إبراهيم بن أحمد بن محمد الأغلبي صاحب إفريقية من بناء مدينة رقادة، وانتقل إليها وسكنها.

وكان قد ابتدى في بنائها سنة ثلاث وستين ومائتين.

(وفي هذه السنة) ماتت قبيحة أم المعتز. (وفيها) مات أبو إبراهيم الزني[1] صاحب الشافعي. (وفيها) توفي في مصر يونس بن عبد الأعلى بن موسى أحد أصحاب الشافعي، وكان مولده سنة سبعين ومائة، وكان يروي يونس المذكور للشافعي

ما حكّ جلدكَ مثلُ ظفركْ   فتولَ أنتَ جميع أمركْ

وإذا قَصدتَ لحاجةٍ   فاقْصُدْ لمعترفٍ بقدرِكْ

وقال: سمعت الشافعي يقول: رضى الناس غاية لا تدرك، فانظر ما فيه صلاح نفسك. في أمر دينك ودنياك، فالزمه.

وعبد الرحمن، مؤلف تاريخ مصر المشهور، هو ولد ولد يونس المذكور، وهو عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى المذكور،

---

(١) في الكامل المزني ج٦ ص٢٨٠.

(ثم دخلت سنة خمس وستين ومائتين) فيها دخل الزنج النعمانية، وسبوا وأحرقوها، ثم صاروا إلى جرجرايا، ودخل أهل السواد بغداد.

(ذكر موت يعقوب الصفار)

وفي هذه السنة، مات يعقوب بن الليث الصفار، تاسع عشر شوال، بجنديسابور، من كور الأهواز، وكانت علته القولنج، فوصف له الحكماء الحقنة، فلم يحتقن، وكان المعتمد قد أرسل إليه رسولاً، وكتاباً يستمليه، ويعقوب مريض، فأحضر الرسول وجعل عنده سيفا، ورغيفاً من الخشكار، وبصلا، وقال الرسول: قل للخليفة إن متُّ، فقد استراح مني واسترحت منه، وإنْ عوفيت، فليس بيني وبينه إلاّ هذا السيف، وإنْ كسرني وأفقرني، عدت إلى أكل هذا الخبز والبصل.

وكان يعقوب قد افتتح الرخُج، وقتل ملكها، وأسلم أهلها على يده، وكان ملك الرخج يجلس على سرير ذهب، ويدَّعي الإلهية، وكان يعقوب حازماً عاقلاً، وكان يعمل الصفر في مبتدأ أمره، فقيل له الصفار لذلك. وصحب في حداثته رجلاً من أهل سجستان، كان مشهوراً بالتطوع في قتال الخوارج، يقال له صالح بن النضر الكناني، ثم هلك صالح المذكور، فتولى مكانه درهم بن الحسين، فصار يعقوب مع درهم كما كان مع صالح، وكان درهم غير ضابط لأمور العسكر، فلما رأى أصحاب درهم ضعفه وعجزه، اجتمعوا على يعقوب بن الليث الصفار المذكور، وملكوه أمرهم، فلما تبين ذلك لدرهم لم ينازعه، وسلّم الأمر إليه، فاستبد يعقوب بالأمر، وقويت شوكته، واستولى على البلاد، على ما تقدم ذكره، في مواضعه، من السنين.

ولما مات يعقوب، قام بالأمر بعده أخوه عمرو بن الليث، وكتب إلى الخليفة بطاعته، فولاّه الموفق خراسان وأصفهان وسجستان والسند وكرمان، وسير إليه الخلع مع الولاية. (وفي هذه السنة) توفي إبراهيم بن هاني بن إسحق النيسابوري، وكان من الابدال.

(ثم دخلت سنة ست وستين ومائتين) في هذه السنة قتل أهل حمص عاملهم، عيسى الكرخي. (وفي هذه السنة) كان الناس في البلاد التي تحت حكم الخليفة في شدة عظيمة، بسبب تغلب القواد والاجناد على الأمر، لقلة خوفهم، وأمنهم من الإنكار على ما يفعلونه، لاشتغال الموفق بقتال صاحب الزنج، ولعجز الخليفة المعتمد واشتغاله بغير تدبير المملكة.

(ثم دخلت سنة سبع وستين ومائتين) في هذه السنة كان بين الموفق أخي الخليفة، وبين الخبيث صاحب الزنج حروب كثيرة يطول شرحها، وكشف الزنج عن الأهواز، واستولى عليها، ثم سار الموفق إلى مدينة صاحب الزنج، وكان قد حصنها إلى غاية ما يكون، وسمّاها المختارة، وحاصرها الموفق، فخرج أكثر أهلها إليه بالأمان، وضعف الباقون عن حفظها، فسلموها بالأمان.

(وفي هذه السنة) ولي صقلية الحسن بن العباس، فبث السرايا إلى كل ناحية.

(ثم دخلت سنة ثمان وستين ومائتين وسنة تسع وستين ومائتين) في هذه السنة حالف لؤلؤ غلام احمد بن طولون على مولاه احمد بن طولون، وكان في يد لؤلؤ حلب وحمص وقنسرين وديار مضر من الجزيرة، وكاتب الموفق في المسير إليه، ثم سار إليه.

(وفي هذه السنة) أمر المعتمد بلعن أحمد بن طولون على المنابر، لكونه قطع خطبة الموفق وأسقط اسمه من الطرز، وإنما أمر المعتمد بذلك مكرهاً، لأن هواه كان مع ابن طولون، ولم يكن للمعتمد من الأمر شيء، بل الأمر لأخيه الموفق، وكان المعتمد قد قصد اللحوق باحمد بن طولون بمصر، لينجده على أخيه الموفق، وسار عن بغداد لما كان أخوه مشتغلاً في قتال الزنج، فامسك إسحق بن كنداج عامل الموصل القواد الذين كانوا صحبة المعتمد، وأرسلهم إلى بغداد، وتقدم إلى المعتمد بالعَود، فلم يمكنه مخالفته بعد إمساك قواده، فرجع إلى سامراء.

(ثم دخلت سنة سبعين ومائتين) في هذه السنة قتل صاحب الزنج لعنه الله بعد قتل وغَرقِ غالب أصحابه، وقُطع رأسه، وطيف به على رمح، وكثر ضجيج الناس بالتحميد، ورجع الموفق إلى موضعه، والرأس بين يديه، وأتاه من الزنج عالم كيثر يطلبون الأمان، فأمنهم، ثم بعث برأس الخبيث إلى بغداد، وكان خروج صاحب الزنج يوم الأربعاء، لأربع بقين من رمضان، سنة خمس وخمسين ومائتين، وقتل يوم السبت لليلتين خلتا من صفر، سنة سبعين ومائتين، فكانت أيامه أربع عشرة سنة وأربعة أشهر وستة أيام.

(وفي هذه السنة) توفي الحسن بن زيدالعلوي، صاحب طبرستان، في رجب، وكانت ولايته تسع عشرة سنة وثمانية أشهر وكسراً، وولي مكانه أخوه محمد بن زيد.

(ذكر وفاة أحمد بن طولون)

وفي هذه السنة توفي أحمد بن طولون، صاحب مصر والشام، بعد مسيره إلى طرسوس، ورجوعه منها، ولما وصل إلى انطاكية، قُدِّم له لبن جاموس، فأكثر منه، فأصابه منه تخمة، واتصلت به حتى صار منها ذرب، حتى مات، وكانت إمارته نحو ست وعشرين سنة، وكان حازماً عاقلاً، وهو الذي بنى قلعة يافا، ولم يكن لها قبل ذلك قلعة، وبنى بين مصر والقاهرة الجامع المعروف به، وهو جامع عظيم مشهور هناك، وولي بعده ابنه خمارويه.

(وفي هذه السنة) توفي محمد بن إسحاق بن جعفر الصاغاني، وداود بن علي الأصفهاني، إمام أصحاب الظاهر، وكان مولده سنة اثنتين ومائتين، وكان إماماً مجتهداً ورعاً زاهداً، وسمي هو وأصحابه بأهل الظاهر، لأخذهم بظاهر الآثاروالأخبار، وإعراضهم عن التأويل، وكان داود لا يرى القياس في الشريعة، ثم اضطر إليه، فسماه دليلاً، وله أحكام خالف فيها الأئمة الأربعة، منها أنه قال: الشرب خاصة في آنية الذهب والفضة حرام، ويجوز الأكل والتوضي، وغيرهما من الانتفاعات بها، لأن النبي صلى الله عليه وسلم، إنما قال: «الذي يشرب في آنية الذهب والفضة، إنما يجرجر في بطنه، نار جهنم» وله مثل ذلك كثير.

(ثم دخلت سنة إحدى وسبعين ومائتين) في هذه السنة جرت وقعة بين ابن الموفق، وهو المعتضد، وبين خمارويه بن أحمد بن طولون صاحب مصر. آخرها أن المعتضد انهزم هو وأصحابه، وكانت الوقعة بين دمشق والرملة، وانهزم خمارويه إلى حدود مصر، وثبت عسكره، ولم يعلموا بهزيمته، وانهزم المعتضد، ولم يعلم بهزيمة خمارويه.

(ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين ومائتين وسنة ثلاث وسبعين ومائتين) في هذه السنة توفي محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الأموي، صاحب الاندلس، سلخ صَفَر. وكان عمره نحو خمس وستين سنة، وكانت ولايته أربعاً وثلاثين سنة وأحد عشر شهراً. لأنه تولى في سنة ثمان وثلاثين ومائتين، وخلف ثلاثة وثلاثين ذكراً، لما مات وليَ بعده ابنه المنذر بن محمد، وبويع له بعد موت أبيه بثلاث ليال. (وفيه هذه السنة) مات أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، صاحب كتاب السنن، (وفيها) توفي خالد بن أحمد السدوسي، وكان أمير خراسان، وقصد الحج، فقبض عليه المعتمد وحبسه، فمات في الحبس في هذه السنة، وهو الذي أخرج البخاري صاحب الصحيح من بخارى، فدعا

عليه البخاري، فأدركته الدعوة.

(وفيها) توفي الحافظ محمد بن يزيد بن ماجة القزويني المشهور، مصنف كتاب السنن في الحديث. وكان إماماً في الحديث، عارفاً بعلومه، وجميع ما يتعلق به، ارتحل إلى العراق والشام ومصر والري، لطلب الحديث، وله تفسير القرآن العظيم، وتاريخٌ أحسنَ فيه. وكتابه في الحديث أحد الكتب الستة الصحاح، وكانت ولادته سنة تسع ومائتين.

(ثم دخلت سنة أربع وسبعين ومائتين، وسنة خمس وسبعين ومائتين) في هذه السنة قبض الموفق على ابنه المعتضد، واستمر في الحبس حتى خرج في مرض الموفق الذي مات فيه.

(وفيها) توفي المنذر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الربضي بن هشام الأموي صاحب الأندلس، في المحرم، وكانت ولايته سنة واحد عشر شهراً، وكان عمره نحو ست وأربعين سنة، وكان أسمر بوجهه أثر جدري. ولما مات بويع أخوه عبدالله بن محمد.

(وفي هذه السنة) توفي أبو سعيد الحسين بن الحسن بن عبد الله البكري النحوي اللغوي المشهور، صاحب التصانيف.

(ثم دخلت سنة ست وسبعين ومائتين) فيها مات عبد الملك بن محمد الرقاشي. (ثم دخلت سنة سبع وسبعين ومائتين) فيها مات يعقوب بن سفيان النسائي[1] الإمام، وكان يتشيع. (وفيها) توفيت عُريب المغنية المأمونية،

(ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ومائتين)

(ذكر وفاة الموفق بالله)

فيها توفي أبو أحمد طلحة الموفق بالله بن جعفر المتوكل، وكان قد حصل في رجله داء الفيل وطال به، وضجر، فقال يوماً: قد اشتمل ديواني على مائة ألف مرتزق، ما فيهم أسوأ حال مني، ومات الموفق يوم الأربعاء، لثمان بقين من صفر، من هذه السنة، وكان الموفق قد بويع له بولاية العهد، بعد المفوض بن المعتمد، فلما مات الموفق، اجتمع القواد وبايعوا ابنه أبا العباس المعتضد بن الموفق، بولاية العهد

---

(١) في الكامل: يعقوب بن سفيان بن جوّان السري ج٦ ص٣٦٠.

بعد المفوض، واجتمع عليه أصحاب أبيه وتولى ما كان أبوه يتولاه.

(ذكر ابتداء أمر القرامطة)

وفي هذه السنة تحرك بسواد الكوفة، قوم يعرفون بالقرامطة، وكان الشخص الذي دعاهم إلى مذهبه ودينه قد مرض بقرية من سواد الكوفة، فحمله رجل من أهل القرية، يقال له كرميته، لحمرة عينيه، وهو بالنبطية اسم لحمرة العين، فلما تعافى شيخ القرامطة المذكور، سمي باسم ذلك الرجل، ثم خفف فقالوا قرمط، ودعا قوماً من أهل السواد والبادية، ممن ليس لهم عقل ولا دين إلى دينه، فأجابوا إليه، وكان ما دعاهم إليه، أنه جاء بكتاب فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، يقول الفرج بن عثمان، وهو من قرية يقال لها نصرانة إنه داعية المسيح، وهو عيسى، وهو الكلمة، وهو المهدي، وهو أحمد بن محمد بن الحنفية، وهو جبريل، وإن المسيح تصور في جسم إنسان وقال: إنك الداعية، وإنك الحجة ، وإنك الدابة، وإنك يحيى بن زكريا، وإنك روح القدس. وعرفه أنّ الصلاة أربع ركعات، ركعتان قبل طلوع الشمس، وركعتان قبل غروبها، وأن الأذان في كل صلاة أن يقول المؤذن: الله أكبر ثلاث مرات، أشهد أن لا إله إلا الله مرتين، أشهد أن آدم رسول الله، أشهد أن نوحاً رسول الله، أشهد أن إبراهيم رسول الله، أشهد أن عيسى رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن أحمد بن محمد بن الحنفية رسول الله، والقبلة إلى بيت المقدس، وأن الجمعة يوم الاثنين، لا يعمل فيها شيئاً، ويقرأ في كل ركعة الاستفتاح، وهو المنزل على أحمد بن محمد بن الحنفية، وهو الحمد لله بكلمته، وتعالى باسمه، المنجد لأوليائه بأوليائه، قل إن الأهلة مواقيت للناس، ظاهرها ليعلم عدد السنين، والحساب والشهور والأيام، وباطنها لأوليائي الذين عرفوا عبادي سبيلي، واتقوني يا أولي الألباب، وأنا الذي لا أُسأل عما أفعل، وأنا العليم الحليم، وأنا الذي أبلو عبادي وأمتحن خلقي، فمن صبر على بلائي ومحبتي واختياري، أدخلته في جنتي وأخلدته في نعيمي، ومن زال عن أمري، وكذّب رسلي، أخلدته مهاناً في عذابي، وأتممت أجلي وأظهرت أمري على السنة رسلي، وأنا الذي لم يعل جبار إلا وضعته، ولا عزيز إلاّ ذللته، وبئس الذي أصر على أمره، ودام على جهالته، وقال: لن نبرح عليه عاكفين، وبه موقنين، أولئك هم الكافرون، ثم يركع. ومن شرائعه أن يصوم يومين من السنة، وهما المهرجان والنيروز، وأن النبيذ حرام، والخمر حلال، ولا غسل من جنابة، لكن الوضوء كوضوء الصلاة، وأن يؤكل كل ذي ناب

وكل ذي مخلب.

(ثم دخلت سنة تسع وسبعين ومائتين) في هذه السنة خلع المعتمد ابنه جعفر المفوض ابن المعتمد من ولايه العهد، وجعل المعتضد ابن أخيه ولي العهد بعده.

(ذكر وفاة المعتمد)

وفي هذه السنة، أعني سنة تسع وسبعين ومائتين، توفي أحمد المعتضد بالله ابن جعفر المتوكل بن المعتصم، لإحدى عشرة بقيت من رجب ببغداد، وكان قد شرب على الشط وتعشى، وأكثر من الشراب والأكل، فمات ليلاً، وأحضر المعتضد القضاة وأعيان الناس، فنظروا إليه، وحمل إلى «سر من رأى» فدفن بها، وكان عمر المعتمد خمسين سنة وستة أشهر، وكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وستة أيام. وكان قد تحكم عليه في خلافته أخوه الموفق، وضيق عليه، حتى إنّه احتاج إلى ثلاثمائة دينار فلم يجدها في ذلك الوقت، فقال:

أليس من العجائب أنّ مثلي ... يرى ما قلّ ممتنعا عليه

وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً ... وما من ذاك شيء في يديه

ذكر خلافة
أبي العباس أحمد المعتضد بالله

وهو سادس عشرهم، وفي صبيحة الليلة التي مات فيها المعتمد، بويع لأبي العباس احمد المعتضد بالله بن الموفق أبي احمد طلحة بن المتوكل. (وفي هذه السنة) توفي نصر بن أحمد الساماني، فقام بما كان إليه من العمل بما وراء النهر، أخوه إسماعيل ابن احمد بن أسدبن سامان.

(وفي هذه السنة) قدم الحسين بن عبدالله المعروف بابن الجصاص من مصر بهدايا عظيمة، من خمارويه بن أحمد بن طولون صاحب مصر، بسبب تزويج المعتضد بنت خمارويه.

(وفيها) توفي أبو عيسى محمد بن عيسى بن سودة الترمذي السلمي، بترمذ، في رجب، وكان إماماً حافظاً له تصانيف حسنة، منها الجامع الكبير في الحديث، وكان ضريراً، وهو من أئمة الحديث المشهورين، الذين يقتدى بهم في علم الحديث، وهو تلميذ محمد بن إسماعيل البخاري، وشاركه في بعض شيوخه، مثل قتيبة بن سعيد، وعلي بن حجر.

(ثم دخلت سنة ثمانين ومائتين) فيها توفي جعفر بن المعتمد وهو الذي كان لقبه المفوض، وخلعه أبوه وولى المعتضد على ما ذكرنا.

(ثم دخلت سنة إحدى وثمانين ومائتين): فيها سار المعتضد إلى ماردين، فهرب صاحبها حمدان، وخلّى ابنه بها، فقابله المعتضد، فسلمها إليه. (وفيها) دخل طغج بن جف وكان عاملاً على دمشق، من طرسوس إلى بلاد الروم، من قبل خمارويه، وفتح وسبى. (وفيها)-توفي عبد الله بن محمد بن أبي عبد الله بن أبي الدنيا، صاحب التصانيف الكثيرة المشهورة.

(ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين ومائتين)

(ذكر النيروز المعتضدي)

فيها أمر المعتضد بافتتاح الخراج في النيروز المعتضدي، للرفق بالناس، وهو

في حزيران من شهور الروم، عندكون الشمس في أواخر الجوزاء.

(ذكر قتل خمارويه)

في هذه السنة، قتل خمارويه بن أحمد بن طولون، ذبحه بعض خدمه على فراشه، في ذي الحجة بدمشق، وكان سببه أنه نقل إلى خمارويه، انّ جواريه قد أخذت كل واحدة منهن خصياً، وجعلته لها كالزوج، وقصد خمارويه تقرير بعض الجواري على ذلك، فاجتمع جماعة من الخدم، واتفقوا على قتله، ثم قتل من خدمه الذين اتهموا بذلك، نيفاً وعشرين نفساً.

ولما مات خمارويه، بايع قواده جيش بن خمارويه، وكان صبياً، (وفيها) توفي أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري، صاحب كتاب النبات. (وفيها) توفي الحارث ابن أبي أسامة، وله مسند. (وفيها) توفي أبو العيناء محمدبن القاسم، وكان روى عن الأصمعي، وكان ضريراً صاحب نوادر وأشعار، وكان من ظرفاء الناس، وفيه من سرعة الجواب والذكاء ما لم يكن في أحد، وولد في سنة إحدى وتسعين ومائتين، وكف بصره وقد بلغ أربعين سنة، ولقب بأبي العيناء، لأنه قال: لأبي زيد الأنصاري: كيف تصغر عيناً؟ فقال عييناً يا أبا العيناء فبقي عليه لقباً، وكان قد ذكر للمتوكل للمنادمة، فقال المتوكل: لولا أنه ضرير لصلح لذلك، وبلغ ذلك أبا العيناء فقال: إن أعفاني من رؤية الأهلة، فإني أصلح للمنادمة.

(ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ومائتين) في هذه السنة، خلع طعج بن جف أمير دمشق، جيش بن خمارويه بدمشق واختلف جند جيش عليه، لصباه وتقريبه الأرذال، وتهديده لقواد أبيه، فثاروا به فقتلوه ونهبوا داره، ونهبوا مصر وأحرقوها، وأقعدوا أخاه هارون بن خمارويه في الولاية، وكانت ولاية جيش بن خمارويه تسعة أشهر.

(وفي هذه السنة) مات البحتري الشاعر، واسمه الوليدبن عبادة، بمنبج أو بحلب، وكان مولده سنة ست ومائتين، (وفيها) توفي علي بن العباس المعروف بابن الرومي الشاعر، (وفيها) أمر المعتضد أن يكتب إلى الأقطار، برد الفاضل من سهام المواريث، على ذوي الأرحام، وإبطال ديوان المواريث. من تاريخ القاضي شهاب الدين بن أبي الدم، قال: (وفيها) أمر بكتبة الطعن، في معاوية وابنه وأبيه، وإباحة لعنهم، وكان من جملة ما كتب في ذلك: بعد الحمد لله والصلاة على نبيه، وأنه لما

بعثه الله رسولاً، كان أشد الناس في مخالفته بنو أمية، وأعظمهم في ذلك أبو سفيان ابن حرب، وشيعته من بني أمية، قال الله تعالى في كتابه العزيز ﴿ والشجرة الملعونة ﴾ [الإسراء: ٦٠] اتفق المفسرون أنه أراد بها بني أمية. ورأى النبي صلى الله عليه وسلم أبا سفيان مقبلاً ومعاوية يقوده، ويزيد أخو معاوية يسوق به، فقال: « لعن الله القائد والراكب والسائق » وقد روي أن أبا سفيان قال: يا بني عبد مناف، تلقفوها تلقف الكرة، فما هناك جنّة ولا نار. وطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم معاوية ليكتب بين يديه، فتأخر عنه، واعتذر بطعامه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا أشبع الله بطنه » فبقي لا يشبع. وكان يقول: والله ما أترك الطعام شبعاً وإنما أتركه إعياء. وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه »، وأطال في ذلك، وأمر أن يقال ذلك في البلاد، ويُلعن معاوية على المنابر، فقيل له: إنّ في ذلك استطالة للعلويين، وهم في كل وقت يخرجون على السلطان ويحصل به الفتن بين الناس، فأمسك عن ذلك.

(ثم دخلت سنة أربع وثمانين ومائتين) في هذه السنة أخبر المنجمون الناس بغرق أكثر الأقاليم، وأن ذلك يكون بسبب كثرة الأمطار، وزيادة الأنهار، فتحفظ الناس، فقلت الأمطار، وغارت المياه، حتى استسقوا ببغداد مرات.

(وفيها) اختل حال هارون بن خمارويه بن أحمدبن طولون بمصر، واختلف القوادعليه، وانحل نظام مملكته، وكان على دمشق من جهته طغج بن جف.
(وفيها) توفي إسحاق بن موسى الإسفرائيني الفقيه الشافعي.

(ثم دخلت سنة خمس وثمانين ومائتين) في هذه السنة سار المعتضد إلى آمد، فافتتحها بالأمان، وكان صاحبها محمد بن أحمد بن عيسى بن الشيخ، ثم سار المعتضد إلى قنسرين، فتسلمها وتسلم العواصم، من نواب هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون صاحب مصر، وكان هارون قد سأل المعتضد في أن يتسلم هذه البلاد منه. (وفيها) توفي إبراهيم بن إسحاق، وهو من أعيان المحدثين ببغداد.

(ثم دخلت سنة ست وثمانين ومائتين) في هذه السنة ظهر رجل من القرامطة بالبحرين، يعرف بأبي سعيد الجنابي، وكثر جمعه، وقتل جماعة بالقطيف، وبتلك القرى. (وفيها) توفي المبرد، وهو أبو العباس محمد بن عبد الله بن زيد، وكان إماماً في النحو واللغة، وله التصانيف المشهورة، منها: كتاب الكامل، والروضة، والمقتضب، وغير ذلك، أخذ العلم عن أبي عثمان المازني وغيره، وأخذ عنه نفطويه

وغيره، وولد سنة سبع ومائتين، والمبرد لقب غلب عليه، قيل: إنه كان عند بعض أصحابه، وأن صاحب الشرطة طلبه للمنادمة، فكره المبرد المسير إليه، وألح الرسول في طلبه، وكان هناك مزملة لتبريد الماء فارغة،فدخل المبرد واختفى في غلاف تلك المزملة، ودخل رسول صاحب الشرطة في تلك الدار، وفتش على المبرد فلم يجده، فلما تركه ومضى، جعل صاحب الدار وكان يقال له أبو حاتم السجستاني، يصفق وينادي على المزملة: المبرد المبرد، وتسامع الناس بذلك، فلهجوا به، وصار لقباً على أبي العباس المذكور.

(ثم دخلت سنة سبع وثمانين ومائتين) في هذه السنة استولى إسماعيل بن أحمدالسلماني، صاحب ما وراء النهر على خراسان، بعد قتال، وأسر أمير خراسان، وهو عمرو بن الليث الصفار، ثم أرسله إلى المعتضد ببغداد، فحبس عمرو بها، ولم يزل محبوساً حتى قُتل سنة تسع وثمانين ومائتين في الحبس. (وفي هذه السنة) سار محمد بن زيد العلوي صاحب طبرستان إلى خراسان، لما بلغه أسر الصفار، ليستولي عليها، فجرى بينه وبين عسكر إسماعيل الساماني قتال شديد، ثم انهزم عسكر العلوي، وجرح جراحات عديدة، ثم مات محمد بن زيد العلوي صاحب طبرستان المذكور من تلك الجراحات، بعد أيام، وأُسرَ ابنه زيد في الوقعة، وحمل إلى إسماعيل الساماني، فأكرمه ووسع عليه، وكان محمد بن زيد أديباً فاضلاً شاعراً، حسن السيرة، رحمه الله تعالى، ثم قام بعده بالأمر الناصر للحق، الحسن بن علي، وكان يعرف بالأطروش، وتوفي الناصر في سنة أربع وثلاثمائة على ما سنذكره إن شاء الله تعالى. (وفيها) مات علي بن عبد العزيز البغوي بمكة.

(ثم دخلت سنة ثمان وثمانين ومائتين). (ودخلت سنة تسع وثمانين ومائتين) في هذه السنة كانت حروب بالشام بين طغج بن جف أمير دمشق وبين القرامطة.

(ذكر وفاة المعتضد)

في هذه السنة، لثمان بقين من ربيع الآخر، توفي أبو العباس أحمد المعتضد ابن طلحة الموفق بن جعفرالمتوكل بن محمد المعتصم بن هرون الرشيد، ودفن ليلاً في دارمحمد بن طاهر، وكان مولده في ذي الحجة سنة اثنتين وأربعين ومائتين. وكانت خلافته تسع سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً، وخلّف من الذكور علياً، وهو المكتفي، وجعفر، أو هو المقتدر، وهارون، وخلّف، إحدى عشرة بنتاً، ولما

حضرت المعتضد الوفاة، أنشد أبياتاً منها:

ولا تأمنن الدهــر إنــي أمنتــهُ	فلم يبقِ لي خلاًولم يرع لـي حقـا
قتلتُ صناديدَ الرجـالِ ولـم أدع	عـدواً ولم أمهـل على طغيه خلقا
وأخليت دار الملك من كل نازع	فشرّدتهم غرباً ومـزّقتهـم شـرقا
فلما بلغت النجـم عـزاً ورفعـة	وصارت رقاب الخلق أجمع لي رقا
رماني الردى سهماً فأخمد جمرتي	فها أنا ذا في حفرتي عاجلا أُلقـى

وكان المعتضد شهماً مهيباً عند أصحابه، يتقون سطوته، ويكفون عن المظالم خوفاً منه، وكان فيه الشح، وكان عفيفاً، حكى القاضي ابن إسحاق قال: دخلت على المعتضد وعلى رأسه أحداثٌ رومٌ صباح الوجوه، فأطلت النظر إليهم ، فلما قمت ، أمرني بالقعود، فجلست، فلما تفرق الناس قال: يا قاضي، والله ما حللت سراويلي على حرام قط.



ذكر خلافة المكتفي بالله

وهو سابع عشرهم، لما توفي المعتضد، بايع الناس ابنه المكتفي، وكان بالرقة، فكتب الوزير إليه بوفاة المعتضد، وأخذ البيعة له، ولما وصله الخبر، أخذ البيعة على من عنده أيضاً، وسار إلى بغداد، فدخلها لثمان خلون من جمادى الأولى.

(وفي هذه السنة) توفي إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم بن الأغلب، صاحب إفريقية كما تقدم ذكره في سنة إحدى وستين ومائتين، وملك بعده ابنه عبد الله بن إبراهيم، ثم قتل عبد الله آخر شعبان، في سنة تسعين ومائتين، على ما سنذكره إن شاء الله تعالى. وكان سكنى عبد الله وقتله بمدينة تونس، وكان كثير العدل حسن السيرة.

(ثم دخلت سنة تسعين ومائتين) في هذه السنة اشتدت شوكة القرامطة، حتى حصروا دمشق، بعد أن هزموا جيش أميرها طغج بن جف، ثم اجتمعت عليهم العساكر وقتلوا مقدمهم يحيى المعروف بالشيخ، ولما قتل مقدم القرامطة يحيى المذكور، قام فيهم أخوه الحسين، وتسمى بأحمد، وأظهر شامة في وجهه، وزعم أنها آيته، وكثر جمعه، فصالحه أهل دمشق على مال دفعوه إليه، فانصرف عنهم إلى حمص، فغلب عليها، وخطب له على منابرها، وتسمى بالمهدي أمير المؤمنين، وعهد إلى ابن عمه عبد الله، ولقبه المدثر، وزعم أنه المدثر الذي في القرآن، ثم سار إلى حماة والمعرة وغيرهما، فقتل أهلها، حتى قتل الأطفال والنساء، وسار إلى سلمية[1]، فأخذها بالأمان، ثم قتل أهلها حتى صبيان المكتب، ولما اشتد أمر القرمطي صاحب الشامة المذكور، خرج المكتفي من بغداد، ونزل الرَّقة[2]، وأرسل إليه الجيوش.

(ثم دخلت سنة إحدى وتسعين ومائتين): في هذه السنة واقعت عساكر الخليفة صاحب الشامة القرمطي، وأصحابه، بمكان بينه وبين حماة اثنا عشر ميلاً، لست خلون من المحرم، فانهزمت القرامطة، وتبعهم العسكر يقتلونهم، وهرب صاحب الشامة ومعه ابن عمه المدثر، وغلام له رومي، فأمسكوا في البرية، وأحضروا

---

(1) سلمية: بلدة من أعمال حماة. شرقاً على طرف البرية.

(2) الرَّقة: مدينة مشهورة في الجزيرة على ضفة الفرات من جهة الشمال.

إلى المكتفي، وهو بالرقة، فسار بهم إلى بغداد وقتلهم، وطيف برأس صاحب الشامة.
ومن كتاب الشريف العابد أنّ المكان الذي كان فيه الوقعة المذكورة هو «تمنع» أقول: وهي قرية من بلاد المعرة، على الطريق الآخذة من حماة إلى حلب، (وفيها) توفي ببغداد أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد، المعروف بثعلب، كان إمام الكوفيين في النحو واللغة، ثقة حجة، صالحاً، وولد في أول سنة مائتين.

(ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين ومائتين)

(ذكر استيلاء المكتفي على الشام ومصر، وانقراض ملك بني طولون)

في هذه السنة، بعث المكتفي جيشاً مع محمد بن سليمان، فاستولى على دمشق، وسار حتى دنا من مصر، وصاحبها هارون بن خمارويه، ففارقه غالب قواده، ولحقوا بعسكر الخليفة، وخرج هارون فيمن بقي معه، وجرى بينه وبين محمد بن سليمان وقعات، ثم وقع في عسكر هارون خصومة، وادت إلى قتال، فركب هارون ليُسكن الفتنة، فزرقه بعض المغاربة بمزراق فقتله، ولما قتل هارون،قام عمه شيبان بالأمر، ثم طلب الأمان من محمد بن سليمان فآمنه، ثم هرب شيبان تحت الليل، فلم يوجد، واستولى محمد بن سليمان على مصر، وأمسك بني طولون، وكانوا بضعة عشر رجلاً، واستصفى مالهم وقيدهم وحملهم إلى بغداد، وكتب إلى المكتفي بالفتح، وكان ذلك في صفر من هذه السنة.

(ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ومائتين)

(ذكر أخبار القرامطة)

في هذه السنة بعد استيلاء عسكر الخليفة على مصر، وتوجه محمد بن سليمان عنها، خرج ببلاد مصر خارجي يدعى الخلنجي، وقويت شوكته، فسار إليه عامل دمشق، أحمد بن كيغلغ، وطمعت القرامطة في دمشق، بحكم غيبة عاملها، وقصدوها، فهبوا وقتلوا ونهبوا طبرية، ثم ساروا إلى جهة الكوفة، فسير المكتفي إليهم عسكراً مع قواده المختصين به، مثل وصيف بن صوار تكين التركي، والفضل ابن موسى بن بغا، وبشر الخادم الأفشيني، ورايق الجزري، فاقتتلوا، وتمت الهزيمة على عسكر الخليفة، فقتل منهم خلق كثير، وغنمت القرامطة منهم شيئاً كثيراً فتقووا به.

---

(١) في الكامل: الشاشي ج٦ ص٤٣١.

(وفي هذه السنة) توفي عبد الله بن محمد الناشئ الشاعر ونصر بن أحمد الحافظ . (وفيها) توفي أحمد الزنديق بن يحيى بن إسحق، المعروف بابن الراوندي المتكلم، صنف عدة كتب في الكفر والإلحاد، ومناقضة الشريعة، منها قضيب الذهب، وكتاب اللامع، وكتاب الفرند، وكتاب الزمردة، وغير ذلك، وقد أجاب العلماء عن كل ما قاله من معارضة القرآن العظيم، وغيره من كفرياته، وبينوا وجه فساد ذلك بالحجج البالغة، فمن قوله لعنه الله، في كتاب الزمردة : إنّا نَجِدُ في كلام أكثم بن صيفي، ما هو أحسن من قوله : ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ وقال : إن الأنبياء وقعوا بطلسمات، جذبوا بها دواعي الخلق، كما يجذب المغناطيس الحديد، ووضع كتاباً لليهود وللنصارى، يتضمن مناقضة دين الإسلام، وقال لليهود : قولاً عن موسى ابن عمران أنه قال لانبي بعدي، وقال في كتاب الفرند : إن المسلمين احتجوا لنبوة نبيهم بالقرآن، الذي تحدّى به النبي ﷺ ، فلم تقدر العرب على معارضته، فيقال لهم : أخبرونا لو ادعى مُدَّعٍ لمن تقدم من الفلاسفة، مثل دعواكم في القرآن فقال : الدليل على صدق بطليموس وإقليدس، أن إقليدس ادعى أن الخلق يعجزون عن أن يأتوا بمثل كتابه، كانت نبوته تثبت . وقال : قوله تعالى ﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفا﴾ أي ضعف به، وقد أخرج آدم من الجنة، وله من هذا شيء كثير، أضربنا عن ذكره . وكان موته، لعنه الله، برحبة مالك بن طوق، وذكر أن عمره كان ستاً وثلاثين سنة، هكذا وجدت أخباره وتاريخ وفاته، في تاريخ القاضي شهاب الدين بن أبي الدم الحموي، وقد وجدته في تاريخ القاضي شمس الدين بن خلكان، أن وفاته كانت في سنة خمس وأربعين ومائتين ، وقيل في سنة خمسين ومائتين، والله اعلم بالصواب .

(ثم دخلت سنة أربع وتسعين ومائتين) في هذه السنة أخذت القرامطة الحجاج من طريق العراق، وقتلوهم عن آخرهم، وكانت عدة القتلى عشرين ألفاً، وأخذوا منهم أموالاً عظيمة، وكان كبير القرامطة ذكرويه، فجهز المكتفي اليهم عسكرا، واقتتلوا، فانهزمت القرامطة، وقتل منهم خلق كثير، وأسر ذكرويه الملعون مجروحاً، فبقي ستة أيام ومات، وقدم العسكر برأسه إلى بغداد وطيف به .

(وفي هذه السنة) توفي محمد بن نصر المروزي بسمرقند، وله تصانيف كثيرة .

(ثم دخلت سنة خمس وتسعين ومائتين) في هذ السنة في صفر توفي إسماعيل بن أحمد بن أسد السماني، صاحب ما وراء النهر وخراسان، وولي بعده ابنه

أبو نصر أحمد بن إسماعيل وأرسل له المكتفي التقليد .

(ذكر وفاة المكتفي)

في هذه السنة لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي القعدة، توفي المكتفي بالله أبو محمد علي بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق بالله أبي أحمد طلحة بن المتوكل جعفر بن المعتصم محمد بن هرون الرشيد، وكانت خلافته ست سنين وستة أشهر وتسعة عشر يوما، وكان عمره ثلاثاً وثلاثين سنة، وكان ربعة جميلا، رقيق السمرة، حسن الوجه، والشعر، وافر اللحية، وأمه أم ولد تركية تدعى حجك، وطالت مرضته عدة شهور، ودفن في دار محمد بن طاهر.



ذكر خلافة المقتدر بالله
أبي الفضل جعفر بن المعتضد بالله

وامه أم ولد يقال لها شعب، وهو ثامن عشرهم، بويع بالخلافة في اليوم الذي مات فيه المكتفي، وكان عمر المقتدر يوم بويع ثلاث عشرة سنة.

(ذكر موت الترمذي)

(وفيها) في المحرم توفي أبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر الترمذي، الفقيه الشافعي المحدث، روى عن يحيى بن بدير المصري، ويوسف بن عدي، وكثيرين يحيى وغيرهم، وروى عنه أحمد بن كامل الشافعي وغيره، وكان مولد الترمذي المذكور، سنة مائتين، وقيل ست عشرة ومائتين.

(ثم دخلت سنة ست وتسعين ومائتين)

(ذكر خلع المقتدر ومبايعة ابن المعتز)

في هذه السنة خلع القواد والقضاة المقتدر، وبايعوا عبد الله بن المعتز، ولقبوه الراضي بالله، وجرت بين غلمان الدار المريدين للمقتدر، وبين المريدين لابن المعتز، حروب، وآخر ذلك أن عبد الله بن المعتز انهزم واختفى وتفرق أصحابه، ثم أمسك عبد الله بن المعتز، وحبس ليلتين، وقتل خنقا، واظهروا أنه مات حتف أنفه، وأخرجوه إلى أهله، وكان مولد عبد الله بن المعتز لسبع بقين من شعبان، سنة سبع وأربعين ومائتين، وكان فاضلا شاعرا، وتشبيهاته واشعاره مشهورة، وأخذ العلم عن المبرد، وثعلب، وتولى الخلافة يوماً واحداً، وقال حين تولى: قد آن للحق أن يتضح، وللباطل أن يفتضح، له الكلام البديع فمن ذلك قوله: أنفاس الحمى خطاه إلى أجله، ربما أورد الطمع ولم يصدر، يشفيك من الحاسد أنّه يغتم وقت سرورك. وكان عبد الله بن المعتز آمنا في سربه، منعكفاً على طلب العلم والشعر، قد اشتهر عند الخلفاء أنه لم يؤهل نفسه للخلافة، فكان مستريحاً، إلى أن حمله على تولي الخلافة القوم الذين خذلوه بعد بيعته، وقد رثاه علي بن محمد بن بسام فقال:

(للّـه درك مـن مـلك بمضيعـة ناهيك في العلم والآداب والحسب)
(ما فيه لـولا ولا ليـت فتنقصـه وإنمـا أدركتـه حـرفـة الأدب)

وقد روي عنه أنه كان يقول: إنْ ولاني اللّه لأفنين جميع بني أبي طالب، فبلغ ذلك ولد علي فكانوا يدعون عليه.

(ذكر أخبار أبي نصر(١) زيادة اللّه بن عبد اللّه بن إبراهيم)
(ابن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الأغلب)

كان المذكور قد ملك إفريقية، سنة تسعين ومائتين، في مستهل رمضان، بعد قتل أبيه، باتفاق من زيادة اللّه المذكور، فإن زيادة اللّه كان قد حبسه أبو عبد اللّه، على شرب الخمر، فاتفق مع ثلاثة من خدم أبيه الصقالية، على قتل أبيه، فقتلوه في شعبان سنة تسعين ومائتين، وأحضروا راسه إلى زيادة اللّه في الحبس، فلما تولى زيادة اللّه، أمر بهم فقُتلوا، وهو الذي كان امرهم بذلك، ولما تولى زيادة اللّه على إفريقية، انعكف على اللذات، وملازمة المضحكين وأهمل أمور المملكة، وقتل من الأغالبة كل من قدر عليه، من أعمامه وإخوته.

وفي أيام زيادة اللّه، قوي أمر أبي عبد اللّه الشيعي، القائم بدعوة الدولة العلوية الفاطمية بالمغرب، فأرسل إليه زيادة اللّه جميع عسكره، وكانوا أربعين ألفاً، مع إبراهيم من بني الأغلب، وهو من بني عمه، فهزمهم أبو عبد اللّه الشيعي، ولما رأى زيادة الله هزيمة عسكره وضعفه عن مقاومة أبي عبد الله الشيعي، جمع ما قدر عليه من الأموال، وسار عن ملكه إلى الشرق في هذه السنة، فقدم مصر وبها النُّوشري(٢) عاملا، فكتب بامره إلى المقتدر، ثم سار زيادة اللّه إلى الرقة، فامره المقتدر بالعود إلى المغرب، لقتال أبي عبد اللّه الشعبي، وكتب إلى النوشري عامل مصر، بإمداد زيادة اللّه بالعساكر والأموال، فقدم إلى مصر، فامره النُّوشري بالخروج إلى الحمامات، ليخرج إليه ما يحتاجه من الرجال والاموال، فخرج، ومطله النّوشري، وزيادة اللّه مع ذلك، يلازم شرب الخمر واستماع الملاهي، وطال مقامه هناك، فتفرق عنه أصحابه، وتتابعت به الأمراض، وسقط شعر لحيته، وأيس من النُّوشري، فسار إلى القدس للمقام به، فمات بالرملة ودفن بها، ولم يبق بالمغرب من بني الأغلب احد، وكانت

---

(١) في الكامل: أبي مضر ج٦ ص٤٤٤.
(٢) في الكامل: عيسى النوّشري ج٦ ص٤٤٥.

مدة ملكهم مائة سنة واثنتي عشرة سنة بالتقريب، لأنه قد تقدم أنّ الرشيد ولّى إبراهيم بن الأغلب على إفريقية، في سنة أربع وثمانين ومائة، وانقضى ملكهم في هذه السنة، أعني سنة ست وتسعين ومائتين، كان مدة ملك زيادة الله، إلى أن هرب من الشيعي في هذه السنة، خمس سنين وتسعة أشهر وأياماً، فسبحان الذي لا يزول ملكه.

(ذكر ابتداء الدولة العلوية الفاطمية)

وفي هذه السنة، أعني سنة ست وتسعين ومائتين، كان ابتداء ملك الخلفاء العلويين إفريقية، وانقرضت دولتهم بمصر، سنة سبع وستين وخمس مائة، على ما نذكره إن شاء الله تعالى، وأول من ولي منهم، أبو محمد عبيد الله بن محمد بن عبد الله بن ميمون بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وقيل: هو عبيد الله بن أحمد بن إسماعيل الثاني بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وقد اختلف العلماء في صحة نسبه. فقال القائلون بإمامته: إن نسبه صحيح، ولم يرتابوا فيه، وذهب كثير من العلويين العالمين بالأنساب، إلى موافقتهم أيضاً، ويشهد بصحته ما قاله الشريف الرضي:

ما مُقامي على الهوان وعندي ... مقولٌ صارمٌ وأنفٌ حميٌّ
أُلبسَ الذلّ في بلاد الأعادي ... وبمصر الخليفة العلويُّ
مَنْ أبوه أبي ومولى مولا ... ي إذا ضامني البعيد القصيُّ
لف عرقي بعرقه سيد النا ... سِ جميعاً محمد وعليّ

وذهب آخرون إلى أن نسبهم مدخول، ليس بصحيح، وبالغ طائفة منهم إلى أن جعلوا نسبهم في اليهود، فقالوا: لم يكن اسم المهدي عبيد الله بل كان اسمه سعيد ابن أحمد بن عبد الله القداح بن ميمون بن ديصان، وقيل عبيد الله بن محمد، وقيل فيه سعيد بن الحسين، وأن الحسين المذكور قدم إلى سلمية، فجرى بحضرته حديث النساء، فوصفوا له امرأة رجل يهودي حداد بسلمية، مات عنها زوجها، فتزوجها الحسين بن محمد المذكور لابن أحمد بن عبد الله القدّاح المذكور. وكان للمرأة ولد من اليهودي، فأحبه الحسين وأدبه، ومات الحسين ولم يكن له ولد، فعهد إلى ابن اليهودى الحداد وهو المهدي عبيد الله وعرفه أسرار الدعوة وأعطاه الأموال والعلامات، فدعا له الدعاة، وقد اختلف كلام المؤرخين، وكثر في قصة عبد

اللّه القداح بن ميمون بن ديصان المذكور، ونحن نشير إلى ذلك مختصراً. قالوا: ابن ديصان المذكور، هو صاحب كتاب الميزان في نصرةالزندقة، وكان يظهر التشيع لآل النبي صلى اللّه عليه وسلم، ونشأ لميمون بن ديصان ولد يقال له عبد اللّه القداح، لأنه كان يعالج العيون ويقدحها، وتعلّم من ميمون أبيه الحيل، وأطلعه أبوه على أسرار الدعاة لآل النبي صلى اللّه عليه سلم، ثم سار عبد اللّه القداح، من نواحي كرج وأصفهان، إلى الأهواز والبصرة وسلمية، من أرض حمص، يدعو الناس إلى آل البيت، ثم توفي عبد اللّه القداح وقام ابنه أحمد، وقيل محمد، مقامه، وصحبه إنسان يقال له رستم بن الحسين بن حوشب بن زادان النجار، من أهل الكوفة، فأرسله أحمد إلى الشيعة باليمن،وأن يدعو الناس إلى المهدي من آل محمد صلى اللّه عليه وسلم، فسار رستم بن حوشب إلى اليمن، ودعا الشيعة إلى المهدي، فأجابوه، وكان أبو عبد اللّه الشيعي من أهل صنعاء وقيل من أهل الكوفة، وسمع بقدوم ابن حوشب إلى اليمن، وأنه يدعو الناس إلى المهدي، فسار أبو عبد اللّه الشيعي من صنعاء إلى ابن حوشب، وكان بعَدن، فصحبه وصار من كبار أصحابه، وكان لأبي عبد اللّه الشيعي علم ودهاء، وكان قد أرسل ابن حوشب قبل ذلك، الدعاة إلى المغرب، وقد أجابه أهل كتامة، ولما رأى ابن حوشب، علمَ أبي عبد اللّه الشيعي ودهاه، أرسله إلى المغرب، إلى أهل كتامة، وأرسل معه جملة من المال، فسار أبو عبد اللّه الشيعي إلى مكة، وهو أبو عبد اللّه الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا، ولما قدم الحجاج مكة، اجتمع بالمغاربة من أهل كتامة، فرآهم مجيبين إلى ما يختار، فسار معهم إلى أرض كتامة من المغرب، فقدمها منتصف ربيع الأول، سنة ثمانين ومائتين، وأتاه البربر من كل مكان، وعظم أمره، وكان اسمه عندهم: أبا عبد اللّه المشرقي. وبلغ أمره إلى إبراهيم بن أحمد الأغلبي أمير إفريقية إذ ذاك، فاستصغر أمر أبي عبد اللّه، واستحقره، ثم مضى أبو عبد اللّه إلى مدينة تاهرت، فعظم شأنه، وأتته القبائل من كل مكان، وبقي كذلك حتى تولّى أبو نصر زيادة اللّه، آخر من ملك من بني الأغلب، وكان عم زيادة اللّه، ويعرف بالأحول، قبالة أبي عبد اللّه الشيعي، يقاتله، فلما تولى زيادة اللّه، أحضر عمّه الأحول وقتله، فصفت البلاد لأبي عبد اللّه الشيعي.

(ذكر اتصال المهدي عُبيد اللّه بأبي عبد اللّه الشيعي)

كانت الدعاة بالمغرب يدعون إلى محمد، والد المهدي، وكان بسلمية، فلما توفي أوصى إلى ابنه عبيد اللّه المهدي، وأطلعه على حال الدعاة

وشاع ذلك أيام المكتفي، فطُلب، فهرب عبيد الله، وابنه أبو القاسم محمد، الذي ولي بعد المهدي، وتلقب بالقائم، وتوجها نحو المغرب، ووصل عبيد الله المهدي إلى مصر في زي التجار، وكان عامل مصر حينئذ عيسى النّوشري، وقد كتب إليه الخليفة، بتطلب عبيد الله المهدي، والتوقع عليه، فَجَدَّ المهدي في الهرب، وقدم طرابلس الغرب، وزيادة الله بن الاغلب متوقع عليه، وقد كتب إلى عماله بإمساكه متى ظفروا به، فهرب من طرابلس، ولحق (بسجِلْماسة)[1] فاقام بها. وكان صاحب سجلماسة يسمى اليسع بن مدرار، فهاداه المهَدي، على أنه رجل تاجر، قد قدم إلى تلك البلاد، فوصل كتاب زيادة الله إلى اليسع، يعلمه انّ هذا الرجل، هو الذي يدعو له عبد الله الشيعي إليه، فقبض اليسع على عبيد الله المهدي، وحبسه بسجلماسة، ولما كان من قتل زيادة الله عمه الاحول، وهرب زيادة الله، واستيلاء أبي عبد الله الشيعي على إفريقية ما قدمنا ذكره، سار أبو عبد الله الشيعي من (رقادة)[2] في رمضان من هذه السنة، أعني سنة ست وتسعين ومائتين، إلى سجلماسة، واستخلف أبو عبد الله الشيعي اخاه أبا العباس، وأبا زاكي على إفريقية. فلما قرب من سجلماسة، خرج صاحبها اليسع وقاتله، فرأى ضعفه عنه، فهرب اليسع تحت الليل، ودخل أبو عبد الله الشيعي إلى سجلماسة، واخرج المهدي وولده من السجن، واركبهما ومشى هو ورؤوس القبائل بين ايديهما، وأبو عبد الله يشير إلى المهدي ويقول للناس: هذا مولاكم، وهو يبكي من شدة الفرح، حتى وصل إلى فسطاط، قد نصب له، ولما استقر المهدي فيه، أمر بطلب اليسع صاحب سجلماسة، فادرك وأُحضر بين يديه، فقتله، وأقام المهدي بسجلماسة أربعين يوماً، وسار إلى إفريقية، ووصل إلى رَقّادة، في ربيع الآخر، سنة سبع وتسعين ومائتين، فدون الدواوين، وجبى الاموال، وبعث العمال إلى سائر بلاد المغرب، واستعمل على جزيرة صقلية الحسن ابن أحمد بن أبي حفتزير[3]، وزال بملك المهدي ملك بني الأغلب، وملك بني مدرار أصحاب مملكة سجلماسة، وكان آخر بني مدرار اليسع، وكان مدة ملك بني مدرار مائة سنة وثلاثين سنة، وزال ملك بني رستم من (تاهرت)[4]، وكانت مدة ملكهم مائة سنة وستين سنة.

---

(١) مدينة في جنوب المغرب عن الكامل ج٦ ص٤٥٢.

(٢) رَقّادة: بلدة بينها وبين القيروان أربعة أميال: الكامل ج٦ ص٤٥٩.

(٣) في الكامل: الحسن بن احمد بن أبي خنزير ج٦ ص٤٦١.

(٤) تاهرت: اسم لمدينتين متقابلتين باقصى المغرب. البلدان ٢/٧.

(ذكر قتل أبي عبد الله الشيعي أخيه أبي العباس)

لما استقرت قدم المهدي في المملكة، باشر الأمور بنفسه، ولم يبق لأبي عبد الله، ولأخيه أبي العباس مع المهدي حكم، والفطام صعب، فشرع أبو العباس أخو أبي عبد الله الشيعي يندّم أخاه ويقول له: أخرجت الأمر عنك، وسلمته لغيرك. وأخوه ينهاه عن قول مثل ذلك، إلى ان احنقه، وذلك يبلغ المهدي، حتى شرع يقول لرؤوس القبائل: ليس هذا المهدي الذي دعوناكم إليه. فطلبهما المهدي وقتلهما، كذا أورد ابن الأثير في الكامل، مقتل ابي عبد الله الشيعي المذكور في سنة ست وتسعين ومائتين، ورأيت مقتل أبي عبد الله في (الجمع والبيان في تاريخ القيروان) أنه كان في نصف جمادى الأولى، سنة ثمان وتسعين ومائتين، وهو الأصح عندي. وكذلك ذكر في تاريخ مقتله ابن خلكان، أنّه كان في سنة ثمان وتسعين ومائتين.

(ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومائتين، وسنة ثمان وتسعين ومائتين) فيها توفي أبو القاسم جنيد بن محمد الصوفي، وكان إمام وقته، واخذ الفقه عن أبي ثور صاحب الشافعي، وأخذ التصوف عن سري السقطي.

(ثم دخلت سنة تسع وتسعين ومائتين) في هذه السنة قبض المقتدر على وزيره أبي الحسين بن الفرات، ونهب داره، وهتك حرمه، وولى الوزارة أبا علي محمد ابن يحيي بن عبيد الله ابن خاقان، وكان الخاقان المذكور ضجوراً، وتحكمت عليه أولاده، فكلّ منهم يسعى لمن يرتشي منه، فكان يولي العمل الواحد عدة من العمال في الأيام القليلة، حتى انه ولّى ماء الكوفة، في عشرين يوماً، سبعة من العمال، فقيل فيه:

وزير قد تكامل في الرقاعه	يولي ثم يعزل بعد ساعه
إذا أهل الرشا اجتمعوا عليه	فخير القوم أوفرهم بضاعه

والخليفة مع ذلك، يتصرف على مقتضى إشارة النساء والخدام، ويرجع إلى قولهم وآرائهم، فخرجت الممالك، وطمع العمال في الأطراف. (وفي هذه السنة) توفي أبو الحسن محمد بن أحمد بن كيسان النحوي، وكان عالماً بنحو البصريين والكوفيين. (وفيها) توفي إسحق بن حنين الطبيب.

(ثم دخلت سنة ثلاثمائة) فيها عزل المقتدر الخاقاني عن الوزارة، وولاها علي بن عيسى.

(ذكر وفاة عبد الله صاحب الأندلس)

في هذه السنة، توفي عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام ابن عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، طريد رسول الله صلى الله عيه وسلم، في ربيع الأول، وكان عمره اثنتين وأربعين سنة، وكان أبيض، أصهب، أزرق، ربعة، يخضب بالسواد، وكانت ولايته خمساً وعشرين سنة وكسراً، لأنه تولى في سنة خمس وسبعين ومائتين، ورزق إحدى عشر ولداً ذكراً، أحدهم محمد المقتول، قتله أبوه المذكور، في حد من الحدود، وهو والد عبد الرحمن الناصر. ولما توفي عبد الله، ولّي ابن ابنه واسمه عبد الرحمن بن محمد المقتول بن عبد الله المذكور، وتولى عبد الرحمن بحضرة أعمامه، وأعمام أبيه، ولم يختلفوا عليه، وهذا عبد الرحمن، هو الذي يسمى الناصر فيما بعد.

(ثم دخلت سنة إحدى وثلاثمائة)

(ذكر مقتل أحمد الساماني)

في هذه السنة قتل الأمير أحمد بن إسماعيل الساماني، صاحب خراسان وما وراء النهر، ذبحه بالليل جماعة من غلمانه على سريره، وهربوا ليلة الخميس، لسبع بقين من جمادى الآخرة، وكان قد خرج إلى البر متصيداً، فحُمل إلى بخارى ودفن بها، وظفروا ببعض أولئك الغلمان فقتلوهم، وولّي الأمر بعده، ولده أبو الحسن نصر ابن أحمد، وهو ابن ثمان سنين.

(ذكر قتل كبير القرامطة)

وفي هذه السنة قتل أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي، كبير القرامطة، قتله خادم له صقلبي، في الحمام، ولما قتله، استدعى رجلا آخر من أكابر رؤسائهم، وقال له: إنّ الرئيس يستدعيك، فلما دخل قتله، وفعل كذلك بغيره، حتى قتل أربعة انفس من كبرائهم، ثم علموا به فاجتمعوا عليه وقتلوه، وكان أبو سعيد الجنابي، قد جعل ولده سعيداً الأكبر ولي عهده، فتولّى بعده، وعجز عن القيام بالأمر، فغلبه أخوه الأصغر، أبو طاهر سليمان، وكان شهماً شجاعاً، واستولى على الأمر، ولما قتل أبو سعيد، كان ميستولياً على هجر والأحساء والقطيف وسائر بلاد البحرين.

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

في هذه السنة، سيّر المهدي العلوي جيشاً مع ولده أبي القاسم محمد، إلى

ديار مصر، فاستولى على الإسكندرية، والفيوم، فسيّر إليهم المقتدر، مع مؤنس الخادم جيشاً، فأجلاهم عن ديار مصر، وعادوا إلى المغرب. (وفيها) توفي القاضي أبو عبد الله محمد بن أحمد المقري الثقفي. (وفيها) توفي محمد بن يحيى بن مندة الحافظ المشهور، صاحب تاريخ أصفهان، كان أحد الحفاظ الثقاة، وهو من أهل بيت كبير، خرج منه جماعة من العلماء.

(ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثمائة) في هذه السنة، قبض المقتدر على الحسين بن عبد الله، المعروف بابن الجصاص الجوهري، وأخذ منه من صنوف الأموال ما قيمته أربعة آلاف ألف دينار، وأكثر من ذلك. (وفي هذه السنة) أرسل المهدي العلوي، جيشاً مع مقدم يقال له جاشه[1] في البحر، فاستولى على الإسكندرية، وأرسل المقتدر جيشاً مع مؤنس الخادم، فاقتتلوا بين مصر والإسكندرية أربع دفعات، انهزمت فيها المغاربة، وعادوا إلى بلادهم، وقتل من الفريقين خلق كثير. (وفي هذه السنة) انتهى تاريخ أبي جعفر الطبري. (وفيها)، وقيل في السنة التي قبلها، توفي علي بن أحمد بن منصور، الشاعر المعروف بالبسامي، وكان من أعيان الشعراء، كثير الهجاء، هجا أباه وإخوته وأهل بيته، وعمل في القاسم بن عبيد الله وزير المعتضد.

قل لأبي القاسم المرزي ... قابلك الدهر بالعجائب
مات لك ابن وكان زيناً ... وعاشَ ذو الشين والمعايبِ
حياةُ هذا كموتِ هذا ... فلستَ تخلو منَ المصائبِ

وله في المتوكل لما هدم قبر الحسين بن علي رضي الله عنهما، ومنع الناس من زيارته.

تالله إن كانت أمية قد أتت ... قتيل ابن بنت نبيّها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله ... هذا لعمرك قبره مهدوما
أسِفوا على أن لا يكونوا شاركوا ... في قتله فتتبعوه رميما

(ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثمائة)

(ذكر بناء المهدية)[2]

في هذه السنة، اختار المهدي موضع (المهدية) على ساحل البحر، وهو

(١) في الكامل: حباسة ج٦ ص٤٨٦.
(٢) على ساحل تونس. ج٦ ص٤٨٩.

جزيرة متصلة بالبر، كهيئة كفّ متصلة بزند، فبناها وجعلها دار ملكه، وجعل لها سوراً محكماً، وأبواباً عظيمة، وزن كل مصراع مائة قنطار، وكان ابتداء بنائها يوم السبت في هذه السنة، لخمس خلون من ذي القعدة، ولما تم بناؤها قال المهدي: الآن أمنت على الفاطمية بحصانتها (وفي هذه السنة) أغارت الروم على الثغور الجزرية، فغنموا وسبوا. (وفي هذه السنة) توفي أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب النسائي صاحب كتاب السنن بمكة، ودفن بين الصفا والمروة، وكان إماماً حافظاً محدثاً، رحل إلى نيسابور، ثم إلى العراق، ثم إلى الشام ومصر، ثم عاد إلى دمشق، فامتحن في معاوية، وطُلب منه أن يروي شيئا من فضائله، فامتنع وقال: ما يرضى معاوية أن يكون راساً براس، حتى يفضل. فقيل إنه وقع في حقه مكروه، وحمل إلى مكة فتوفي بها. (وفيها) توفي أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي المعتزلي.

(ثم دخلت سنة أربع وثلاثمائة) فيها توفي الناصر العلوي صاحب طبرستان، وعمره تسع وسبعون سنة، وكان يقال له الأطروش. واسمه الحسن بن علي بن الحسن بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وكان قد ملك طبرستان في سنة إحدى وثلاثمائة، واستولى على مملكتها، ثم قام بعد الناصر المذكور، الحسن بن القاسم العلوي، ويلقب بالداعي، وقتل في سنة ست عشرة وثلاثمائة، وانقرض بموته ملك العلويين من طبرستان. (وفيها) توفي يوسف ابن الحسين بن علي الرازي، صاحب ذي النون المصري وهو صاحب قصة (الغار[1]) معه.

(ثم دخلت سنة خمس وثلاثمائة) في هذه السنة مات أبو جعفر محمد بن عثمان العسكري، المعروف بالسمان، ويعرف أيضا بالعمري، رئيس الإمامية. وكان يدعي أنه الباب إلى الإمام المنتظر. (وفيها) قدم رسول ملك الروم إلى بغداد، فلما استحضروا عُبئ لهم العسكر وصفت الدار بالأسلحة، وأنواع الزينة، وكان جملة العسكر المصفوف حينئذ مائة ألف وستين ألفاً، ما بين راكب وواقف، ووقف الغلمان الحجرية بالزينة والمناطق المحلاّة، ووقف الخدام الخصيان كذلك، وكانوا سبعة آلاف، أربعة آلاف خادم أبيض وثلاثة آلاف أسود، ووقف الحجاب كذلك، وهم حينئذ سبع مائة حاجب، وألقيت المراكب والزوارق في دجلة بأعظم زينة،

(١) في الكامل: الفاره ج٦ ص٤٩٦.

وزينت دار الخلافة، فكانت الستور المعلقة عليها ثمانية وثلاثين ألف ستر، منها ديباج مذهبة اثنا عشر ألفاً وخمس مائة، وكانت البسط اثنين وعشرين ألفاً، وكان هناك مائة سبع، مع مائة سبّاع، وكان في جملة الزينة، شجرة من ذهب وفضة، تشتمل على ثمانية عشر غصناً، وعلى الأغصان والقضبان الطيور والعصافير من الذهب والفضة، وكذلك أوراق الشجرة من الذهب والفضة، والأغصان تتمايل بحركات موضوعة، والطيور تصفر بحركات مرتبة، وشاهد الرسول من العظمة ما يطول شرحه، وأحضر بين يدي المقتدر، وصار الوزير يبلغ كلامه إلى الخليفة، ويرد الجواب عن الخليفة.

(ثم دخلت سنة ست وثلاثمائة) في هذه السنة جعل على شرطة بغداد نجح الطولوني فجعل في الأرباع فقهاء، يكون عمل أصحاب الشرطة بفتواهم، فضعفت هيبة السلطنة بسبب ذلك، فطمع اللصوص والعيارون، وأخذت ثياب الناس في الطرق المنقطعة، وكثرت الفتن.

(ذكر ارسال المهدي العلوي ابنه القائم بعساكر إفريقية إلى مصر)

وفي هذه السنة جهز المهدي جيشاً كثيفاً مع ابنه القائم[١] إلى مصر فوصل إلى الإسكندرية، واستولى عليها، ثم سار حتى دخل الجيزة، وملك أشمونين، وكثيراً من الصعيد، وبعث المقتدر مؤنساً الخادم، فوصل إلى مصر، وجرى بينه وبين القائم عدة وقعات، ووصل إلى الإسكندرية من إفريقية ثمانون مركباً نجدة للقائم، وأرسل المقتدر مراكب من طرسوس، إلى قتال مراكب القائم، وكانت خمسة وعشرين مركباً، فالتقت المراكب المراكب على رشيد، واقتتلوا، واقتتلت العساكر في البر، وكانت الهزيمة على عسكر المهدي ومراكبه، فعادوا إلى إفريقية بعد أن قتل منهم وأسر.

(وفي هذه السنة) توفي القاضي محمد بن خلف بن حيان الضبي المعروف بوكيع، وكان عالما بأخبار الناس، وله تصانيف حسنة. (وفيها) في جمادى الأولى توفي الإمام أبو العباس أحمد بن سريج الفقيه الشافعي، وكان من عظماء الشافعية، وأئمة المسلمين، وكان يقال له الباز الأشهب، وولي القضاء بشيراز، وبلغت مصنفاته أربع مائة مصنف، ومنه انتشر مذهب الشافعي في الآفاق، وكان يقال في

---

(١) في الكامل: القاسم ج٦ ص٥٠١.

عصره، إن الله اظهر عمر بن عبد العزيز على رأس المائة من الهجرة، وأحيى كل سنّة، وامات كل بدعة، ثم منّ الله على الناس بالشافعي على رأس المائتين. فاظهر السنّة، وأخفى البدعة، ومن الله على رأس الثلاثمائة بابن سريج، فقوّى كل سنّة، وضعّف كل بدعة، وكان جده سريج رجلاً مشهوراً بالصلاح.

(ثم دخلت سنة سبع وثلاثمائة)

(ذكر انقراض دولة الأدارسة العلويين)

من كتاب (المغرب في أخبار أهل المغرب) انّ دولتهم انقرضت في هذه السنة، أقول: كنّا سقنا أخبارهم إلى محمد بن إدريس بن إدريس في سنة أربع عشرة ومائتين، وأن محمداً المذكور لما تولّى، فرّق غالب بلاده على إخوته، حسبما قدمنا ذكره في السنة المذكورة، وأنّه أعطى أخاه عمر صنهاجة وغمارة، وبقي محمد هو الإمام حتى توفي، ولم يقع لنا تاريخ وفاته، فلما مات محمد ملك بعده ابن أخيه علي بن عمر المذكور ابن إدريس بن إدريس، وكانت إمامة علي المذكور مضطربة، لم يتم له فيها أمر، فخلع عن قرب، وولي بعده ابن أخيه يحيى بن إدريس بن عمران ابن إدريس بن إدريس، وهذا يحيى هو آخر أمتهم بفاس، وانقرضت دولتهم في هذه السنة، أعني سنة سبع وثلاثمائة، وتغلب عليهم فضالة بن جبوس، ثم ظهر من الأدارسة حسن بن محمد بن القاسم بن إدريس بن إدريس، ورام ردّ الدولة، وقد أخذت في الاختلال، ودولة المهدي عبيد الله في الإقبال، فملك عامين، ولم يتم له مطلب، وانقرضت دولتهم من نجميع المغرب الأقصى، وحُمِل غالب الأدارسة إلى المهدي المذكور، وولده، الأمن اختفى منهم في الجبال إلى أن ثار بعد الأربعين والثلاثمائة إدريس من ولد محمد بن القاسم بن إدريس، فاعاد الإمامة لهذا البيت، ثم تغلب على بر العدوة، عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر، وخطب في تلك البلاد لبني أمية، ثم رجع عبد الملك الى الاندلس، فاضطربت ببر العدوة دولته، فتغلب على فاس بنو أبي العافية، الزناتيون، حتى ظهر يوسف بن تاشفين، أمير المسلمين، واستولى على تلك البلاد.

(ثم دخلت سنة ثمان وسنة تسع وثلاثمائة).

(ذكر مقتل الحُسين بن منصور الحلاج)

كان الحسين بن منصور الحلاج الصوفي، يُظهر الزهد والتصوف، ويظهر

الكرامات، ويخرج للناس فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء، ويمدّ يده إلى الهواء، ويعيدها مملوة دراهم، عليها مكتوب قل هو اللّه أحد، ويسميها دراهم القدرة، ويخبر الناس بما أكلوه، وما صنعوه في بيوتهم، ويتكلم بما في ضمائرهم، فافتتن به خلق كثير،واعتقدوا فيه الحلول، واختلف الناس فيه، كاختلافهم في المسيح، فمن قائل إنه قد حلّ فيه جزء إلهي، ومن قائل إنه ولي، وما يظهر منه كراماته، ومن قائل إنه مشعبذ ومتكهن وساحر كذاب. وقدم من خراسان إلى العراق، وسار إلى مكة، وأقام بها سنة في الحجر، لا يستظل تحت سقف، وكان يصوم الدهر، وكان يفطر على ماء، ويأكل ثلاث عضات من قرص خَشْب، ولا يتناول شيئا آخر، ثم عاد الحسين إلى بغداد، فالتمس حامد الوزير، من المقتدر، أن يسلّم إليه الحلاج، فأمر بتسليمه إليه، وكان حامد يخرج الحلاج إلى مجلسه، ويستنطقه، فلا يظهر منه ماتكرهه الشريعة، وحامد الوزير مجد في أمره ليقتله، وجرى له معه ما يطول شرحه، وفي الآخر إن الوزير رأى له كتابا، حكى فيه أن الانسان إذا أراد الحج، ولم يمكنه، أفرد من داره بيتاً نظيفاً من النجاسات، ولا يدخله أحد، وإذا حضرت أيام الحج، طاف حوله، وفعل ما يفعله الحجاج بمكة، ثم يجمع ثلاثين يتيماً، ويعمل أجود طعام يمكنه، ويطعمهم في ذلك البيت، ويكسوهم، ويعطى كل واحد منهم سبعة دراهم، فإذا فعل ذلك كان كمن حجّ، فأمر الوزير بقراءة ذلك قدّام القاضي أبي عمرو، فقال القاضي للحلاج: من أين لك هذا؟ فقال: من كتاب الإخلاص للحسن البصري فقال له القاضي: كذبت. ياحلاّل الدم، قد سمعناه بمكة، وليس فيه هذا، فطالب الوزير القاضي أبا عمرو أن يكتب خطه بما قاله، أنه حلاّل الدم، فدا فعه القاضي، ثم الزمه الوزير، فكتب بإباحة دم الحلاج، وكتب بعده من حضر المجلس، فلما سمع الحلاج ذلك قال: ما يحل لكم دمي وديني الإسلام، ومذهبي السنة، ولي فيها كتب موجودة، فاللّه اللّه في دمي، وكتب الوزير إلى الخليفة يستأذنه في قتله، وأرسل الفتاوى بذلك، فاذن المقتدر في قتله، فضرب ألف سوط، ثم قطعت يده، ثم رجله، ثم قتل وأحرق بالنار، ونصب رأسه ببغداد.

(وفي هذه السنة) توفي أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطا الصوفي، من كبار مشايخهم وعلمائهم، وإبراهيم بن هرون الحراني الطبيب.

(ثم دخلت سنة عشر وثلاثمائة) في هذه السنة توفي أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ببغداد، ومولده سنة أربع وعشرين ومائتين بامو طبرستان، وكان حافظاً لكتاب اللّه، عارفاً بالقراءات، بصيراً بالمعاني، وكان من المجتهدين، لم يقلد أحداً،

وكان فقيهاً عالماً عارفاً بأقاويل الصحابة والتابعين، ومن بعدهم. وله التاريخ المشهور، أبتدأ فيه من أول الزمان، إلى آخر سنة اثنتين وثلاثمائة، وكتاب في التفسيرلم يفسر مثله، وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة، ولما مات تعصبت عليه العامة، ورموه بالرفض، وما كان سببه إلاّ أنه صنف كتاباً فيه اختلاف الفقهاء، ولم يذكر فيه أحمد بن حنبل، فقيل له في ذلك فقال: لم يكن أحمد بن حنبل فقيهاً، وإنما كان محدثاً، فاشتد ذلك على الحنابلة، وكانوا لا يحصون كثرة ببغداد، فشنعوا عليه بما أرادوه.

(وفيها) توفي في ذي الحجة أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي، المعروف بابن السرّاج، كان أحد الأئمة المشاهير، أخذ العلم عن أبي العباس المبرد، وأخذ عنه النحو جماعة، منهم أبو سعيد السيرافي، وعلي بن عيسى الرماني، وغيرهما، ونقل عنه الجوهري في الصحاح، في مواضع عديدة، وله عدة مصنفات مشهورة. وكان مع كمال فضائله يلثغ في الراء، يجعلها غيناً، فأملى كلاماً يوماً بالراء، فكتبوه بالغين، فقال: لا بالغين بل بالغاء، وجعل يكررها على هذه الصورة، والسرّاج نسبة إلى عمل السروج، وقيل كانت وفاته في سنة خمس عشرة وثلاثمائة. (ثم دخلت سنة إحدى عشرة وثلاثمائة) وفي هذه السنة كبست القرامطة، وكبيرهم أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجاني، البصرة ليلاً، وعلوا على أسوارها، وقتلوا عاملها، وأقاموا بها سبعة عشر يوما، يقتلون ويحملون منها الأموال. (وفي هذه السنة) توفي أبو محمد أحمد بن محمد بن محمد بن الحسين الجُريري، بضم الجيم، وهو من مشاهير مشايخ الصوفية، وإبراهيم بن السري الزجّاج النحوي، صاحب كتاب معاني القرآن.

(وفيها) توفي محمد بن زكريا الرازي الطبيب المشهور، وكان في شبيبته يضرب بالعود، فلما التحى قال: كل غناء يخرج من بين شارب ولحية لا يستحسن، فتركه وأقبل على دراسة كتب الطب والفلسفة، وقد جاوز الأربعين سنة، وطال عمره، وبلغ في معرفة العلوم التي اشتغل فيها الغاية، وصار إمام وقته في علم الطب، والمشار إليه، وصنف في الطب كتباً نافعة، فمنها (الحاوي) في مقدار ثلاثين مجلدا، وكتاب (المنصوري) وهو كتاب مختصر نافع، صنفه لبعض الملوك السامانية، ملوك ما وراء النهر.

(ثم دخلت سنة اثني عشرة وثلاثمائة) في هذه السنة أخذ أبو طاهر القرمطي، الحجاج، وأخذ منهم أموالاً عظيمة، وهلك أكثرهم بالجوع والعطش.

(وفي هذه السنة) قبض المقتدر على وزيره أبي الحسن بن الفرات، ثم سعوا في قتله، فأمر بقتله فذبح هو وولده المحسن، وكان عمر ابن الفرات إحدى وسبعين سنة، وكان عمر ولده المحسن ثلاثاً وثلاثين سنة، واستوزر المقتدر بعده أبا القاسم الخاقاني.

(ذكر غير ذلك)[1]

وفيها سار أبو طاهر القرمطي إلى الكوفة، ودخلها بالسيف، وقتل فيها، وحمل منها شيئاً كثيراً، وأقام ستة أيام يدخل الكوفة نهاراً، ويخرج منها إلى عسكره، ليلاً، وحمل منها ما قدر على حمله من الأموال والثياب.

(ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة) في هذه السنة توفي عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، وكان عمره مائة سنة وسنتين، (وفيها) توفي علي بن محمد بن بشار الزاهد.

(ثم دخلت سنة أربع عشرة وثلاثمائة) في هذه السنة قلد المقتدر، يوسف ابن أبي الساج نواحي المشرق، وأمره بالمسير إلى واسط، لمحاربة القرامطة، وكان يوسف المذكور بأذربيجان، فسار إلى واسط لمحاربة القرامطة. (وفي هذه السنة) استولى نصر بن أحمد الساماني على الري، ومرض بها ثم سار عنها.

(ثم دخلت سنة خمس عشرة وثلاثمائة).

(ذكر أخبار القرامطة ومقتل ابن أبي السّاج)

في هذه السنة وصلت القرامطة إلى الكوفة، فسار إليهم يوسف بن أبي السّاج من واسط، بعسكر ضخم، تقدير أربعين ألفا، وكانت القرامطة ألفاً وخمس مائة رجل، منهم سبع مائة فارس، وثمان مائة راجل، فلما رآهم أبو الساج احتقرهم، وقال: صدروا الكتب إلى الخليفة بالفتح، فهؤلاء في يدي، واقتتلوا، فحملت القرامطة، فانهزم عسكر الخليفة، وأخذ يوسف بن أبي الساج مقدم العسكر أسيراً، ثم قتله أبو طاهر القرمطي، واستولى على الكوفة، وأخذ منها شيئاً كثيراً، ثم جهز المقتدر إلى القرامطة مؤنساً الخادم في عساكر كثيرة، فانهزم أكثر العسكر منهم قبل الملتقى، ثم التقوا، فانهزمت عساكر الخليفة، ووقع الجفل في بغداد خوفاً من القرامطة، ونهب القرامطة غالب البلاد الفراتية، ثم عادوا إلى هجر بالغنائم.

---

(١) في الكامل ذكر دخول القرامطة الكوفة ج٧ ص٢٢.

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(في هذه السنة)، ظفر عبد الرحمن الناصر بن محمد الأموي صاحب الأندلس، بأهل طليطلة، بعد حصارها مدة، لخلافهم عليه، وأخرب كثيراً من عمارتها.

(ثم دخلت سنة ست عشرة وثلاثمائة) في هذه السنة دخلت القرامطة إلى الرحبة[1]، فنهبوا وسبوا ثم ساروا إلى الرقة، فنهبوا ربضها، ثم ساروا إلى سنجار[2] فنازلوها، وطلب أهلها الأمان فأمنوهم، ثم نهبوا الجبال وغيرها من البلاد، وعادوا إلى هجر[3]. (وفي هذه السنة) عزل المقتدر علي بن عيسى الوزير، وقبض عليه، وولى الوزارة أبا علي بن مقلة.

(ذكر ابتداء أمر مرداويج)

وكان قد استولى على جرجان، أسفار بن شيرويه، سنة خمس عشرة وثلاثمائة وكان في أصحاب أسفار، قائد من أكبر قواده، يقال له مرداويج بن زيار، من الديلم. فخرج مرداويج على أسفار، بعد أن بايع غالب العسكر في الباطن، فهرب أسفار، فطلبه مرداويج فادركه وقتله، وابتدأ مرداويج في ملك البلاد من هذه السنة، فملك قزوين، ثم ملك الري، وهمدان، وكنكور، والدينور، وبرجرد[4]، وقم، وقاشان، وأصفهان، وجرباذقان، وعمل له سريراً من ذهب، يجلس عليه، ويقف عسكره صفوفاً بالبعد عنه، ولا يخاطبه أحد إلا الحجاب، الذين قد رتبهم لذلك، ثم استولى مرداويج على طبرستان.

(ذكر غير ذلك)

في هذه السنة، وصل الدمستق في جيش كبير من الروم، وحصر أخلاط، فطلبوا الصلح، فأجابهم على أن يقلع منبر الجامع، ويعمل موضعه صليباً، فأجابوا إلى ذلك، وأخرجوا المنبر وجعلوا مكانه الصليب، ورحل إلى بدليس، ففعل بهم كذلك، والدمستق اسم للنائب على البلاد التي في شرقي خليج قسطنطينية. (وفيها) مات

---

(١) الرحبة : قرية من قرى دمشق. البلدان ٣ / ٣٣.

(٢) سنجار : قرية في جبل سمعان غربي حلب. البلدان ٣ / ٢٦٥.

(٣) هجر: مدينة وهي قاعدة البحرين . البلدان ٥ / ٣٩٣.

(٤) في الكامل : بزدجرد . ج٧ ص٤٧.

يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الإسفرائيني، وله مسند مخرج على صحيح مسلم.

وكنيته أبو عوانة الحافظ، طاف البلاد في طلب الحديث، سمع مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح، وغيره من أئمة الحديث.

(ثم دخلت سنة سبع عشرة وثلاثمائة)

(ذكر خلع المقتدر)

في هذه السنة خلع المقتدر بالله من الخلافة، بسبب ما أنكره الجند والقواد عليه، من استيلاء النساء والخدام على الأمور، وكثرة ما أخذوا من الأموال والضياع، وانضم إلى ذلك وحشة مؤنس الخادم. من المقتدر، فاجتمعت العساكر إلى مؤنس، وقصدوا دار الخلافة، وأخرجوا المقتدر، ووالدته، وخالته، وخواص جواريه، وأولاده، من دار الخلافة، وحُملوا إلى دار مؤنس واعتقلوا بها، وأحضروا أخاه محمد بن المعتضد وبايعوه ولقبوه القاهر بالله، بعد أن الزموا المقتدر بان يشهد عليه بالخلع، فاشهد عليه القاضي أبا عمرو، بأنه خلع نفسه، ونهبت دار الخلافة، واستخرجوا من قبر في تُربة بنتها أم المقتدر، ستمائة ألف دينار.

(ذكر عودة المقتدر إلى الخلافة)

فلما كان يوم الاثنين، سابع عشر المحرم، ثالث يوم خلع المقتدر، بكر الناس إلى دار الخلافة، حتى امتلأت الرحاب، لأنه يوم موكب، ولم يحضر مؤنس المظفر ذلك اليوم، وحضرت الرجال المصافية بالسلاح، يطالبون بحق البيعة، وارتفعت زعقاتهم، فخرج من عند القاهر ياروك، ليطيب خواطرهم، فرأى في أيديهم السيوف المسلولة، فخافهم فرجع، وتبعوه فقتلوه في دار الخلافة، وصرخوا: يامقتدر يا منصور، وهجموا على القاهر، فهرب واختفى، وتفرق عنه الناس، ولم يبق بدار الخلافة أحد، ثم قصد الرّجالة دار مؤنس الخادم، وطلبوا المقتدر منه، فأخرجه وسلمه إليهم، فحمله الرّجالة على رقابهم حتى أدخلوه إلى دار الخلافة، ثم أرسل المقتدر خلف أخيه القاهر بالأمان وأحضره، وقال: قد علمت أنه لا ذنب لك، وقبل بين عينه وأمنه، فشكر إحسانه. ثم حبس القاهر عند والدة المقتدر، فأحسنت إليه ووسعت عليه، واستقر المقتدر في الخلافة، وسكنت الفتنة، وكان أشار مؤنس إعادة المقتدر إلى الخلافة، وإنما خلعه موافقة للعسكر.

(ذكر ما فعله القرامطة بمكة وأخذهم الحجر الاسود)

وفي هذه السنة، وافى أبو طاهر القرمطي مكة، يوم التروية، وكان الحجاج قد وصلوا إلى مكة سالمين، فنهب أبو طاهر أموال الحجاج وقتلهم، حتى في المسجد الحرام وداخل الكعبة، وقلع الحجر الأسود من الركن، ونقله إلى هجر، وقتل أمير مكة ابن محلب وأصحابه، وقلع باب البيت، وأصعد رجلاً ليقلع الميزاب فسقط فمات، وطرح القتلى في بئر زمزم، ودفن الباقين في المسجد الحرام، حيث قتلوا، وأخذ كسوة البيت فقسمها بين أصحابه.

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

وفي هذه السنة وقع بسبب تفسير قوله تعالى ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ [الإسراء: ٧٠] ببغداد فتنة عظيمة بين الحنابلة وغيرهم، ودخل فيها الجند والعامة، واقتتلوا، فقتل بينهم قتلى كثيرة، فقال أبو بكر المروزي الحنبلي وأصحابه: إن معنى ذلك أنّ اللّه تعالى يقعد النبي صلى اللّه عليه وسلم معه على العرش، وقالت الطائفة الأخرى: إنما هي الشفاعة، فاقتتلوا بسبب ذلك.

(وفي هذه السنة) توفي محمد بن جابر بن سنان الحراني الأصل، البتاني الحاسب، المنجم المشهور، صاحب الزيج الصابي، واسمه يدل على إسلامه، وكذلك خطبته في زيجة، قال ابن خلكان: ولم أعلم أنه أسلم، وله الأرصاد المتقنة، وابتدأ بالرصد في سنة أربع وستين ومائتين، إلى سنة ست وثلاثمائة وأثبت الكواكب الثابتة في زيجة لسنة تسع وتسعين ومائتين، وزيجة نسختان: أولى وثانية، والثانية أجود، والبتاني بفتح الباء الموحدة من تحتها، وقيل بكسرها نسبة إلى بتان، وهي ناحية من أعمال حرّان. (وفيها) توفي نصر بن أحمد بن نصر البصري، المعروف بالخبزأرزي، الشاعر المشهور، كان أديباً راوية للشعر، وكان أمياً لا يعرف أن يتهجا، ولا يكتب، وكان يخبز خبز الأرز، بمربد البصرة، وله الأشعار الفائقة منها:

خليليّ هل أبصرتما أو سمعتما ... بأحسن مِنْ مولى تمشّى إلى عبدِ

أتى زائري من غير وعد وقال لي ... أجلك عن تعليق قلبك بالوعدِ

فما زال نجم الوصل بيني بينه ... يدور بأفلاك السعادة والسعدِ

فطوراً على تقبيل نرجس ناظر ... وطوراً على تقبيل تفاحة الخدِ

(ثم دخلت سنة ثماني عشرة وثلاثمائة) في هذه السنة أخرجت الرّجّالة

المصافية من بغداد، فإنهم استطالوا بالكلام والفعل، من حين أعادوا المقتدر إلى الخلافة، فجرى بينهم وبين الجند وقعة، وقتل بينهم قتلى، فهربت الرجالة المصافية إلى واسط، واستولوا عليها، فسار إليهم مؤنس الخادم، وقتل منهم وشردهم. (وفيها) وقيل بل في السنة التي قبلها، توفي أبو بكر الحسن بن علي بن أحمد بن بشار، المعروف بابن العلاف، الضرير النهرواني، وقد بلغ عمره مائة سنة، وهو ناظم مراثي الهر المشهورة التي منها:

يا هر فارقتنا ولم تعد ... وكنت منا بمنزل الولد
وكان قلبي عليك مرتعداً ... وأنت تنساب غير مُرتعد
تدخل برج الحمام متئدا ... وتبلع الفرخ غير متئد
صادوك غيظاً عليك وانتقموا ... منك، وزادوا ومن يصد يُصد
ولم تزل للحمام مرتصداً ... حتى سقيت الحمام بالرصد
يامن لذيذُ الفراخ أوقعه ... ويحك هلا قنعت بالغدد
لا بارك الله في الطعام إذا ... كان هلاك النفوس في المعد
كم دخلت لقمة حشا شره ... فأخرجت روحه من الجسد
ما كان أغناك عن تسلقك الـ ... ـبرج ولو كان جنة الخلد

وهي قصيدة طويلة مشهورة، واختلف في سبب عملها، فقيل: كان له قط حقيقة وقتله الجيران فرثاه، وقيل بل رثى بها ابن المعتز، ولم يقدر يذكره خوفاً من المقتدر، فورّى بالقط، وقيل: بل هويت جارية علي بن عيسى، غلاماً لأبي بكر بن العلاف المذكور، ففطن بهما علي بن عيسى فقتلهما جميعا، فقال أبو بكر مولاه هذه القصيدة يرثيه، وكنى عنه بالهر.

(ثم دخلت سنة تسع عشرة وثلاثمائة) في هذه السنة، أرسل المقتدر عسكراً لقتال مرداويج، فالتقوا بنواحي همدان، فانهزم عسكر الخليفة، واستولى مرداويج على بلاد الجبل جميعا، وبلغت عساكره في النهب إلى نواحي حلوان، ثم أرسل مرداويج عسكراً إلى أصفهان، فملكوها. (وفي هذه السنة) في ذي الحجة تأكدت الوحشة بين مؤنس الخادم وبين المقتدر.

(ثم دخلت سنة عشرين وثلاثمائة) في هذه السنة سار مؤنس الخادم إلى الموصل مغاضباً للمقتدر، واستولى المقتدر على أقطاع مؤنس وماله وأملاكه وأملاك أصحابه، وكتب إلى بني حمدان أمراء الموصل، بصد مؤنس عن الموصل وقتاله،

فجرى بين مؤنس وبينهم قتال، فانتصر مؤنس واستولى على الموصل، واجتمعت عليه العساكر من كل جهة، وأقام مؤنس بالموصل تسعة أشهر.

(ذكر قتل المقتدر)

ولما اجتمعت العساكر بالموصل عند مؤنس الخادم، سار بهم إلى جهة بغداد، فقدم تكريت، ثم سار حتى نزل بباب الشماسية، فلما رأى المقتدر ضعفه، وانعزال العسكر عنه، قصد الانحدار إلى واسط ثم اتفق من بقي عنده على قتال مؤنس، ومنعوه من التوجه إلى واسط، فخرج المقتدر إلى قتال مؤنس وهو كاره ذلك، وبين يدي المقتدر الفقهاء والقراء، ومعهم المصاحف منشورة، وعليه البردة، فوقف على تل، ثم ألحّ عليه أصحابه بالتقدم إلى القتال فتقدم، ثم انهزمت أصحابه، ولحق المقتدر قوم من المغاربة فقال لهم: ويحكم أنا الخليفة. فقالوا: قد عرفناك يا سفلة، أنت خليفة إبليس، فضرب به واحد بسيفه فسقط إلى الأرض وذبحوه، وكان المقتدر ثقيل البدن، عظيم الجثة، فلما قتلوه رفعوا رأسه على خشبة، وهم يكبرون ويلعنونه، وأخذوا ما عليه حتى سراويله، ثم حُفر له في موضعه، وعفي قبره، وحمل رأس المقتدر إلى مؤنس، وهو بالراشدية، لم يشهد الحرب، فلما رأى رأس المقتدر، لطم وبكى، وكان المقتدر قد أهمل أحوال الخلافة، وحكم فيها النساء والخدم، وفرّط في الأموال، وكانت مدة خلافته أربعاً وعشرين سنة، وأحد عشر شهراً، وستة عشر يوماً، وكان عمره ثمانياً وثلاثين سنة.

ذكر خلافة القاهر بالله

وهو تاسع عشرهم، كان مؤنس الخادم قد أشار بإقامة ولد المقتدر، أبي العباس، فاعترض عليه أبو يعقوب إسحق بن إسماعيل النوبختي بأن هذا صبي، ولا يولى إلامن يدبر نفسه ويدبرنا، وكان في ذلك كالباحث عن حتفه بظلفه، فإن القاهر قتل النوبختي المذكور فيما بعد، فأحضروا القاهر بالله، وهو محمد بن المعتضد، وبايعوه لليلتين بقيتا من شوال هذه السنة، ثم أحضر القاهر أم المقتدر وسألها عن الأموال ، فاعترفت بما عندها من المصاغ والثياب فقط، فضربها أشد ما يكون من الضرب، وكانت مريضة، قد بدأ بها الاستسقاء، ثم علقها برجلها، فحلفت أنها ماتملك غيرما أطلعته عليه، واستوزر القاهر أبا علي بن مقلة، وعزل وولّى وقبض على جماعة من العمال.

(ذكر غير ذلك)

وفي هذه السنة. توفي القاضي أبو عمرو محمد بن يوسف، وكان فاضلاً. وأبو الحسين ابن صالح الفقيه الشافعي، وكان عابداً. وأبو نعيم عبد الملك الفقيه الشافعي الجرجاني المعروف بالأشتر[1] الأسترابادي.

(ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة) فيها في جمادى الآخرة، ماتت شغب، والدة المقتدر، ودفنت في تربتها بالرصافة. (وفي هذه السنة) حصلت الوحشة بين مؤنس وبين القاهر، وكان مؤنس قد أقام بليق[2] حاجباً، وجعل أمر دار الخلافة إليه، فضيق على القاهر، ومنع دخول امرأة إلى دار الخلافة، حتى يعرف من هي، فإنّ القاهر، قد استمال جماعة في الباطن، للقبض على بليق، الحاجب ومؤنس، واتفق مع القاهر على ذلك، طريف السبكري وهو من أكبر القواد.

(ذكر القبض على مؤنس الخادم وبليق)

في هذه السنة، في أول شعبان، قبض القاهر بالله على بليق الحاجب وابنه

---

(١) في الكامل: لم تذكر صفة الأشتر ج٧ ص٧٧.
(٢) في الكامل: يلبق ج٧ ص٧٩.

ومؤنس ، لأنهم اتفقوا على خلع القاهر، وإقامة أبي أحمد بن المكتفي، واتفق معهم الوزير ابن مقلة على ذلك، فاستمال القاهر طريف السبكري، واتفق معه ومع الساجية، على قبض ابن بليق، وأمكنهم في الدهاليز والممرات، وحضر ابن بليق بجماعة، وقصد الاجتماع بالخليفة، واظهر أنه يريد الاجتماع به بسبب القرامطة، وكان قصده القبض على الخليفة، ولم يعلم ابن بليق بما أعد له القاهر، فلما دخل دار الخلافة، قبض عليه، وبلغ أباه بليق ذلك، وكان منقطعاً في داره بسبب مرض حصل له، فركب وحضر إلى دار الخلافة بسبب ذلك، فقبض عليه أيضاً، ثم أرسل القاهر يستدعي مؤنساً فامتنع عن الحضور، فحلف له أنه آمن، ويريد أن يعرفه ما بلغه من اتفاق بليق وابنه على خلعه، فإن كان كذباً افرج عنهما، وما زال يحلف لمؤنس حتى حضر، فقبض عليه ايضا، وعزل أبا علي بن مقلة، واستوزر أبا جعفر محمد بن القاسم بن عبد الله، ثم جد في طلب أبي أحمد ابن المكتفي، فظفر به فبنى عليه حائطاً فمات.

(ذكر قتل مؤنس وبليق وابنه)

لما أمسك القاهر المذكورين، شغب الجند أصحاب مؤنس، وكانوا غالب العسكر، وثاروا بسبب حبس مؤنس، فطلبوا إطلاقه، فعمد القاهر إلى ابن بليق، وذبحه ووضع رأسه في طست، وكان قد حبسهم متفرقين، ثم أحضر الرأس في الطست إلى أبيه بليق، فأخذ ابوه يبكي ويترشف الرأس، ثم قتله القاهر، وجعل رأس بليق مع رأس ولده في الطست، وأحضرهما إلى مؤنس فلما رأى مؤنس الرأسين، تشاهد ولعن قاتلهما، فقتله أيضاً، وأطلع ثلاثة رؤوسهم، فطيف بها في بغداد، وتودي هذا جزاء من يخون الإمام، ثم نظفت وجعلت الرؤوس في خزانة الرؤوس، على جاري عادتهم، ثم عزل القاهر أبا جعفر الوزير وولّى الخصيبي الوزارة، ثم قبض على طريف السبكري، وكان من أكبر القواد، وهو الذي اتفق مع القاهر على قبض مؤنس وغيره، ولولاه لم يقدر القاهر على فعل مافعله.

(ذكر ابتداء دولة بني بوية)

كان بوية رجلاً متوسط الحال من الديلم، وكنيته أبو شجاع، ولما عظمت مملكة بني بويه، اشتهر نسبهم، فقالوا بويه بن فنا خسرو بن تمام بن كوهي بن شيرزير[1] الأصغر بن شيركنده بن شيرزير[1] الأكبر بن شيران شاه بن شيرفنه[2] بن

(١) شيزيل . الكامل ج٧ ص٨٧.
(٢) شيرويه الكامل ج٧ ص٨٧.

بستان[١] شاه بن شيرفيروز[٢] بن شيروزيك[٣] بن سبسذا[٤] بن بهرام جور الملك ابن يزدجرد الملك، وباقي النسب إلى أزدشير بن بابك، قد تقدم في أخبار ملوك الفرس الأكاسرة.

وكان لبويه المذكور ثلاثة أولاد، وهم عماد الدولة أبو الحسن علي، وركن الدولة الحسن، ومعز الدولة أبو الحسين أحمد، أولاد بويه أبي شجاع المذكور، وكانوا في خدمة (ماكان) بن كاكي[٥] الديلمي، ولما ملك من الديلم أسفار بن شيرويه، ومرداويج على ما أشرنا اليه، ملك ما كان بن كاكي الدّيلمي طبرستان، وكان أولاد بويه الثلاثة المذكورون من جملة عسكره، متقدمين عنده، فلما استولى مرداويج على ما كان بيد ما كان بن كاكي من طبرستان، سار ماكان عن طبرستان، واستولى على الدامغان، ثم انهزم ما كان بن كاكي وعاد إلى نيسابور مهزوماً، وأولاد بويه المذكورون معه لا يفارقونه، فلما رأوا ضعفه وعجزه عن مقاتلة مرداويج قالوا: نحن معنا جماعة، وأنت مضيق، والأصلح أن نفارقك لنخف المؤنة عنك، فإذا صلح أمرك، عدنا إليك، فأذن لهم ففارقوه ولحقوا بمرداويج، وتبعهم في ذلك جماعة من قواد ما كان، فأحسن إليهم مرداويج، وقلد عماد الدولة علي بن بوية كرج، ولما استقر عماد الدولة في كرج، قوي وكثر جمعه، ثم أطلق مرداويج لجماعة من قواده مالاً على كرج، فلما وصلوا لقبض المال، أحسن إليهم علي بن بويه المذكور، واستمالهم فمالوا إليه، حتى أوجبوا طاعته. وبلغ ذلك مرداويج، فاستوحش من ابن بويه، ثم قصد ابن بويه المذكور أصفهان وبها ابن ياقوت، فاقتتلوا فانهزم ابن ياقوت واستولى ابن بويه على أصفهان وكان أصحاب ابن بويه تسع مائة رجل، وعسكر ابن ياقوت عشرة آلاف، فلما هزم عماد الدولة بتسع مائة، عشرة آلاف، عظم في عيون الناس وقويت هيبته، وبقي مرداويج يراسل ابن بويه، ويستدعيه بالملاطفة، وابن بويه يعتذر ولا يحضر إليه، وأقام ابن بويه باصفهان شهرين، وجبى أموالها وارتحل إلى أرجان، وكان قد هرب إليها ابن ياقوت، واسمه أبو بكر، فانهزم من بين يدي ابن بويه بغير قتال، فاستولى ابن بويه على أرجان في ذي الحجة، سنة عشرين وثلاثمائة، ثم

---

(١) مشتان الكامل ج٧ ص٨٧.
(٢) سيس فيروز الكامل ج٧ ص٨٧ .
(٣) شيروزيل الكامل ج٧ ص٨٧
(٤) سنباد الكامل ج٧ ص٨٧.
(٥) كالي الكامل ج٧ ص٨٩.

سار ابن بويه إلى النوبندجان[1]، واستولى عليها في ربيع الآخر من هذه السنة أعني سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ثم أرسل عماد الدولة، أخاه ركن الدولة، إلى كازرون[2] وغيرها من أعمال فارس، فاستخرج أموالها، ثم كان منهم ماسنذكره إن شاء الله تعالى.

(ذكر غير ذلك من الحوادث وفي هذه السنة)

توفي أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد اللغوي، في شعبان. وولد سنة ثلاث وعشرين ومائتين، وأخذ العلم عن أبي حاتم السجستاني، وأبي الفضل الرياشي، وغيرهما، وكان فاضلاً شاعراً، نظم قصيدته المقصورة، المعروفة بمقصورة ابن دريد، وله تصانيف كثيرة في النحو واللغة، منها كتاب الجمهرة، وله كتاب الخيل. وكان ابن دريد قد ابتلي بشرب النبيذ، ومحبة سماع العيدان، قال الأزهري: دخلت على ابن دريد فوجدته سكران، فلم أعد بعدها إليه. قال ابن شاهين: كنا ندخل على ابن دريد، فنستحي مما نرى من العيدان المعلقة، والشراب المصفى، وكان قد جاوز التسعين. (وفيها) توفي أبو هاشم بن أبي علي الجبائي المتكلم المعتزلي، ومولده سنة سبع وأربعين ومائتين، أخذ العلم عن أبيه، أبي علي، واجتهد حتى صار أفضل من أبيه. قال أبو هاشم: كان أبي أكبر مني باثنتي عشرة سنة، وكان موت أبي هاشم وابن دريد في يوم واحد، فقال الناس: اليوم دفن علم الكلام وعلم اللغة، ودفنا بمقابر الخيزران ببغداد.

(وفيها) توفي محمد بن يوسف بن مطر الفربري، وكان مولده سنة إحدى وثلاثين ومائتين، وهو الذي روى صحيح البخاري عنه، وكان قد سمعه من البخاري عشرات ألوف، وهو منسوب إلى فربر – بالفاء والراء المهملة المفتوحتين ثم باء موحدة من تحتها ساكنة وبعدها راء مهملة – وفربر المذكورة، قرية ببخارى، كذا نقله ابن الأثير في تاريخه الكامل، وقد ذكر القاضي شمس الدين بن خلكان، أن فربر المذكورة بلدة على طرف جيحون. (وفيها) توفي بمصر أبو جعفر أحمد بن محمد ابن سلامة الأزدي الطحاوي، الفقيه الحنفي، انتهت إليه رياسة أصحاب أبي حنيفة بمصر، وكان شافعي المذهب، وقرأ على المزني، فقال له: والله لا جاء منك شيء.

---

(١) النوبندجان: مدينة من أرض فارس من كورة سابور قريبة من شعب بوّان. البلدان ٥ / ٣٠٧.

(٢) كازرون: مدينة بفارس بين البحر وشيراز البلدان ٤ / ٤٢٩.

فغضب الطحاوي من ذلك، وانتقل واشتغل بمذهب أبي حنيفة، وبرع فيه، وصنف كتباً مفيدة، منها أحكام القرآن، واختلاف العلماء ومعاني الآثار، وله تاريخ كبير، وكانت ولادته سنة ثمان وثلاثين ومائتين.

(ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة) في هذه السنة استولى عماد الدولة بن بويه على شيراز .

(ذكر خلع القاهر بالله)

وفي هذه السنة، في جمادى الأولى، خلع القاهر، بسبب ما ظهر منه من الغدر، بطريف والسبكري، وغشه في اليمين بالأمان للذين قتلهم، وكان ابن مقلة مستتراً من القاهر، والقاهر[1] يجتمع بالقواد ويغريهم به، وكان ابن مقلة يظهر تارة بزي عجمي، وتارة بزي مكدي. وأعطى لبعض المنجمين مائة دينار، ليقول للقواد ان عليه قطعاً من القاهر، وكذلك اعطى لبعض معبري المنامات، ممن كان يعبر المنامات لسيما القائد، أنه إذا قص عليه سيما مناماً، يعبره بما يخوفه به من القاهر، ففعلوا ذلك، فاستوحش سيما مقدم الساجية، وغيره من القاهر، واتفقوا على القبض على القاهر، فاجتمعوا وحضروا إليه، وكان القاهر قد بات يشرب أكثر ليلته، وهو سكران نائم، فأحدقوا بالدار، فاستيقظ القاهر مخموراً، وأوثقت الأبواب عليه، فهرب إلى سطح حمام هناك، فتبعوه واخذوه، وأتوا به إلى الموضع الذي فيه طريف السبكري، فأخرجوا طريفاً وحبسوا القاهر موضعه، ثم سملوا عيني القاهر، وكانت خلافته سنة واحدة وستة أشهر وثمانية أيام.

---

(١) ورد في الكامل : كان مستتراً من القاهر والقاهر يطلبه ج٧ ص٩٧ .

ذكر خلافة الراضي بالله

وهو العشرون من خلفاء بني العباس. لما قبض على القاهر، كان أبو العباس أحمد بن المقتدر ووالدته محبوسين، فأخرجوه وأجلسوه على سرير القاهر، وسلموا عليه بالخلافة ولقبوه الراضي بالله، وبويع بالخلافة يوم الأربعاء، لست خلون من جمادى الأولى. في هذه السنة، أعني سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، وأشار سيما القائد بوزارة ابن مقلة، فاستوزره الراضي بالله، وراودوا القاهر أن يشهد عليه بالخلع، فامتنع وهو في الحبس أعمى.

(ذكر وفاة المهدي العلوي صاحب إفريقية، وولاية ولده القائم)

في هذه السنة، في ربيع الأول، توفي المهدي عبيد الله العلوي الفاطمي بالمهدية، وأخفى ولده القائم أبو القاسم محمد موته سنة، لتدبير ما كان له، وكان عمر المهدي ثلاثاً وستين سنة، وكانت ولايته أربعاً وعشرين سنة وشهراً وعشرين يوماً، ولما أظهر ابنه القائم وفاته بايعه الناس واستقرت ولايته.

(ذكر قتل ابن الشلمغاني وحكاية شيء من مذهبه الخبيث)

في هذه السنة، قتل محمد بن علي الشلمغاني، وشلمغان المنسوب إليها، قرية بنواحي واسط، وأحدث مذهباً مداره على حلول الإلهية، والتناسخ، والتشيع، وقيل إنه اتبعه على ذلك الحسين بن القاسم بن عبيد الله، الذي وزر للمقتدر، واتبعه أيضا أبو جعفر، وأبو علي ابنا بسطام، وإبراهيم بن أبي عون، وأحمد بن محمد بن عبدوس، وكان محمد الشلمغاني وأصحابه مستترين.

فظهر في شوال من هذه السنة، أعني سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة فأمسكه ابن مقلة الوزير، فأنكر الشلمغاني مذهبه، وكان أصحابه يعتقدون فيه الألهية، فأمسك وأُحضر إلى عند الراضي، وأمسك معه ابن أبي عون، وابن عبدوس، فأمروهما بصفع الشلمغاني فامتنعا، فلما أكرِها، مد ابن عبدوس يده وصفعه، وأما ابن أبي عون فإنه مدّ يده ليصفعه فارتعدت يده، فقبل لحية الشلمغاني ورأسه، وقال: إلهي وسيدي ورازقي. فقالوا للشلمغاني: أما قلت إنك لم تدع الألهية؟ فقال: إني ما

ادعيتها قط، وما عليّ من قول ابن أبي عون عني مثل هذا: ثم أصرفا وأحضر الشلمغاني عدّة مرات بحضور الفقهاء، وآخر الأمر إنّ الفقهاء أفتوا بإباحة دمه، فصلب ابن الشلمغاني وابن أبي عون، في ذي القعدة من هذه السنة، وأحرقا بالنار، فمن مذهبه، لعنه اللّه، أنّ اللّه يحلُّ في كلّ شيء على قدر ما يحتمله ذلك الشيء، وأن اللّه خلق الضّد ليدل به على المضدود، فحلّ اللّه في آدم، وفي إبليس أيضاً، وكلاهما ضد لصاحبه، ومن مذهبه: أنّ الدليل على الحق، أفضل من الحق، وأن الضد أقرب إلى الشيء من شبهه، وأنّ اللّه إذا حلّ في جسد ناسوتي، أظهر فيه من القدرة ولمعجزة مايدل على انه هو، وأنّ الالهية اجتمعت في نوح وإبليسه، ثم افترقت بعده، ثم اجتمعت في صالح وإبليسه، عاقر الناقة، ثم افترقت بعده، ثم اجتمعت في إبراهيم وإبليسه نمرود، ثم افترقت بعدهما، وكذلك القول في هارون وفرعون، ثم في سليمان وإبليسه ، ثم في عيسى وإبليسه، ثم افترقت في الحواريين، ثم اجتمعت في علي بن أبي طالب وإبليسه. ومن مذهبه: أنّه من احتاج الناس إليه، فهو إله، ومن مذهبه ومذهب أصحابه: أنهم يسمون موسى ومحمداً صلوات اللّه عليهما وسلامه، الخائنين، لأن هرون وعلياً، أرسلا موسى ومحمداً فخاناهما، وأن علياً أمهل محمداً صلى اللّه عليه وسلم عدة سني أصحاب الكهف، وهي ثلاثمائة وخمسون سنة، فإذا انقضت، انتقلت الشريعة. ومن مذهبه ترك الصلاة والصوم، وغيرهما من العبادات، ويبيحون الفروج، وأن يجامع الإنسان من شاء من ذوي رحمه، وأنه لابد للفاضل منهم أن ينكح المفضول، ليولج النور فيه، وأنه من امتنع من ذلك، قلب في الدور الثاني امرأة، إذ كان مذهبهم التناسخ، ولعل هذه المقالة هي المقالة النصرية[1].

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

وفي هذه السنة قتل إسحق بن إسماعيل النوبختي، قتله القاهر قبل أن يخلع، وكان النوبختي المذكور، هو الذي أشار باستخلافه. (وفي هذه السنة) سار الدمستق إلى بلاد الإسلام، ففتح ملطية بالأمان، بعد حصار طويل، وأخرج أهلها، وأوصلهم إلى مأمنهم، وذلك في مستهل جمادى الآخرة، وفعل الروم الأفعال القبيحة بالمسلمين، وصارت أكثر البلاد في أيديهم. (وفي هذه السنة) توفي أبو نعيم الفقيه

(١) في الكامل: النصيريه ج٧ ص١٠٥.

الجرجاني الاستراباذي، وأبو علي محمد الروزباري الصوفي. (وفيها) توفي حسين ابن عبد الله النساج الصوفي، من أهل سامراء، وكان من الأبدال، ومحمد بن علي بن جعفر الكتاني الصوفي المشهور، وهو من أصحاب الجنيد.

(ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة).

(ذكر قتل مرداويج بن زيار)

في هذه السنة قتل مرداويج الديلمي، صاحب بلاد الجبل وغيرها، وسبب ذلك: أنه لما كان ليلة الميلاد، من هذه السنة، أمر بأن تجمع الأحطاب، وتلبس الجبال والتلال، وخرج إلى ظاهر أصفهان لذلك، وجمع ما يزيد عن الفي طائر من الغربان، ليعمل في أرجلها النفط، ليشعل ذلك كله ليلة الميلاد، وأمر بعمل سماط عظيم، فيه ألف فرس، والفا رأس بقر، ومن الغنم والحلوى شيء كثير، فلما استوى ذلك ورآه، استحقره وغضب على أهل دولته، وكان كثير الإساءة إلى الأتراك الذين في خدمته، فلما انقضى السماط، وإيقاد النيران، وأصبح ليدخل إلى أصفهان، اجتمعت الجند المخدمة، وكثرت الخيل حول خيمته، فصار للخيل صهيل وغلبة، حتى سمعها فاغتاظ، وقال: لمن هذه الخيل القريبة؟ فقالوا للأتراك. فأمر أن توضع سروجها على ظهور الأتراك، وأن يدخلوا البلد. كذلك، ففعل بهم ذلك، فكان له منظر قبيح استقبحه الديلم والترك، فازداد حنق الأتراك عليه، ورحل مرداويج إلى أصفهان وهو غضبان، فأمر صاحب حرسه أن لا يتبعه في ذلك اليوم، ولم يأمر أحداً غيره ليجمع الحرس، ودخل الحمام، فانتهزت الأتراك الفرصة، وهجموا عليه وقتلوه في الحمام، وكان مرداويج قد تجبر وعتا، وعمل لأصحابه كراسي فضة يجلسون عليها، وعمل لنفسه تاجاً مرصعاً على صفه تاج كسرى، ولما قُتل قام بالأمر بعده أخوه وشمكير بن زيار.

(ذكر فتنة الحنابلة ببغداد)

وفيها عظم أمر الحنابلة على الناس، وصاروا يكبسون دور القواد والعامة، فإن وجدوا نبيذاً أراقوه، وإن وجدوا مغنية ضربوها وكسروا آلة الغناء، واعترضوا في البيع والشراء، وفي مشي الرجال مع الصبيان، ونحو ذلك، فنهاهم صاحب الشرطة عن ذلك، وأمر أن لا يصلي منهم إمام إلا إذا جهر ببسم الله الرحمن الرحيم، فلم يفد فيهم، فكتب الراضي توقيعاً ينهاهم فيه، ويوبخهم باعتقاد التشبيه، فمنه: إنكم تارة

تزعمون أن صورة وجوهكم القبيحة السمجة على مثال رب العالمين، وهيئتكم على هيئته، وتذكرون له الشعر القطط، والصعود إلى السماء، والنزول إلى الدنيا، وعدد فيه قبائح مذهبهم، وفي آخره أن أمير المؤمنين يقسم قسماً عظيماً، لئن لم تنتهوا، ليستعملن السيوف في رقابكم، والنار في منازلكم ومحالكم.

(ذكر ولاية الأخشيدية مصر)

وفي هذه السنة، تولى الأخشيد وهو محمد بن طفج بن جف، مصر، من جهة الراضي. وكان الأخشيد المذكور قبل ذلك، قد تولى مدينة الرملة سنة ست عشرة وثلاثمائة من جهة المقتدر، وأقام بها إلى سنة ثماني عشرة وثلاثمائة فوردت إليه كتب المقتدر بولايته دمشق، فسار إليها وتولاها، وكان حينئذ المتولي على مصر أحمد بن كيغلغ، فما تولى الراضي، عزل أحمد بن كيغلغ، وولى الأخشيد المذكور مصر، وضم إليها البلاد الشامية، فسار الأخشيد من الشام إلى مصر، واستقر بها يوم الأربعاء لسبع بقين من شهر رمضان من هذه السنة، أعني سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة.

(ذكر قتل أبي العلاء بن حمدان)

كان ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان، هو أمير الموصل وديار ربيعة، وكان أول من تولى الموصل منهم، أبو ناصر الدولة المذكور، وهو عبد الله، وكنيته أبو الهيجاء، ولاه عليها المكتفي، وقبل أبو الهيجاء المذكور ببغداد، في المدافعة عن القاهر، لما قبض عليه، وكان ابنه ناصر الدولة المذكور نائباً عنه بالموصل، واستمر بها إلى هذه السنة، فضمن عمه أبو العلاء بن حمدان مابيد ابن أخيه، من ديوان الخليفة، بمال يحمله، وسار أبو العلاء إلى الموصل، فقتله ابن أخيه ناصر الدولة، فلما بلغ الخليفة ذلك، أرسل عسكرا إلى ناصر الدولة مع ابن مقلة الوزير، فلما وصل إلى الموصل، هرب ناصر الدولة، ولم يدركه، فأقام ابن مقلة بالموصل مدة، ثم عاد إلى بغداد، فعاد ناصر الدولة إلى الموصل، وكتب إلى الخليفة يسأله الصفح، وضمن الموصل بمال يحمله، فأجيب إلى ذلك.

(ذكر فتح جنوة وغيرها)

(وفي هذه السنة) سير القائم العلوي صاحب المغرب جيشاً من إفريقية في البحر، ففتحوا مدينة جنوة، وأوقعوا بأهل سردانية، وعادوا سالمين.

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

فيها استولى عماد الدولة بن بويه على أصفهان، وبقي هو وشمكير يتنازعان تلك البلاد، وهي أصفهان، وهمدان، وقم، وقاشان، وكرج، والري، وكنكور، وقزوين وغيرها. (وفي هذه السنة) في جمادى، شغب الجند ببغداد، ونقبوا دار الوزير، وهرب الوزير وابنه إلى الجانب الغربي، ثم راضوهم فسكنوا. (وفيها) توفي إبراهيم ابن محمد بن عرفة، المعروف بنفطويه النحوي الواسطي، وله مصنفات، وهو من ولد المهلب بن أبي صفرة، ولد سنة أربع وأربعين ومائتين، وفيه يقول الشيخ محمد بن زيد بن علي المتكلم:

من سره أن لا يرى فاسقاً   فليجتهد أن لا يرى نفطويه
أحرقه اللّه بنصف اسمه   وصير الباقي صراخاً عليه

(ثم دخلت سنة أربع وعشرين وثلاثمائة) في هذه السنة، قبض الحجرية والمظفر بن ياقوت على الوزير ابن مقلة، لما حضر إلى دار الخلافة على العادة، وأرسلوا أعلموا الخليفة، فاستحسن ذلك، ثم اتفقوا على وزارة علي بن عيسى، فامتنع، فولوا الوزارة أخاه عبد الرحمن بن عيسى، ثم قبض عليه، وولوا الوزارة أبا جعفر محمد بن قاسم الكرخي. (وفي هذه السنة) قطع ابن رائق حمل واسط والبصرة، وقطع البديدي حمل الأهواز وأعمالها، فضاقت أموال بغداد، وعجز أبو جعفر الوزير فعزلوه، وكانت ولايته ثلاثة أشهر ونصف، واستوزروا سليمان بن الحسن، ودام الحال على توقفه، فراسل الخليفة محمد بن رائق، وهو بواسط، يستقدمه ليقوم بالأمور، وقلده إمارة الجيش، وأمر أن يخطب له على المنابر، وقدم ابن رائق بغداد في أواخر ذي الحجة من هذه السنة، وكان ابن رائق قد أمسك الساجية قبل دخوله إلى بغداد،فاستوحشت الحجرية منه، ومن حين دخل ابن رائق بطلت الوزارة من بغداد، وبقي ابن رائق هو الناظر في الأمور جميعها، وتغلب عمال الأطراف عليها، ولم يبق للخليفة غير بغداد وأعمالها، والحكم فيها لابن رائق، وليس للخليفة فيها حكم، وأما باقي الأطراف، فكانت (البصرة) في يد ابن رائق المذكور. (وخورستان) في يد البريدي. (وفارس) في يد عماد الدولة بن بويه. (وكرمان) في يد أبي علي محمد بن الياس. (والري وأصفهان والجبل) في يد ركن الدولة ابن بويه ويد وشمكير بن زيار أخي مرداويج، يتنازعان عليها. (والموصل وديار بكر ومضر وربيعة)في يد بني حمدان. (ومصر والشام) في يد الأخشيد محمد بن طغج

(والمغرب وإفريقية) في يد القائم العلوي ابن المهدي. (والأندلس) في يد عبد الرحمن بن محمد الأموي الملقب بالناصر. (وخراسان وما وراء النهر) في يد نصر بن أحمد بن سامان الساماني. (وطبرستان وجرجان) في يد الديلم. (والبحرين واليمامة) في يد أبي طاهر القرمطي.

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

في هذه السنة، استقدم محمد بن رائق الفضل بن جعفر بن الفرات، وكان على خراج مصر والشام، فقدم بغداد وتولى الوزارة لابن رائق والخليفة. وفي هذه السنة قلد الخليفة محمد بن طغج مصر وأعمالها، مضافاً إلى ما بيده من الشام بعد عزل أحمد بن كيغلغ عن مصر. (وفي هذه السنة) ولد عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو ابن ركن الدولة الحسن بن بويه بأصفهان. (وفيها) توفي جحظة البرمكي من ولد يحيى بن خالد بن برمك، وكان عارفاً بفنون شتى من العلوم. (وفيها) توفي عبد الله ابن أحمد بن محمد بن المفلس الفقيه الظاهري، صاحب التصانيف المشهورة، وعبد الله بن محمد الفقيه الشافعي النيسابوري، ومولده سنة ثمان وثلاثين ومائتين، وكان قد جالس الربيع والمزني ويونس، أصحاب الشافعي، وكان إماماً.

ثم (دخلت سنة خمس وعشرين وثلاثمائة) في هذه السنة، أشار محمد بن رائق على الراضي بالمسير معه إلى واسط، لحرب ابن البريدي، فأجابه، وسار الراضي إلى واسط، وأمسك ابن رائق بعض الأجناد الحجرية، وأجاب ابن البريدي إلى ما طلب منه، ثم عاد الراضي وابن رائق إلى بغداد، ثم نكث أبو عبد الله بن البريدي عما أجاب إليه، فأرسل ابن رائق عسكراً مع بجكم، واقتتل مع أبي عبد الله بن البريدي، فانهزم ابن البريدي إلى عماد الدولة بن بويه، وطمّعه في العراق وهون عليه أمر الخليفة.

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

وفي هذه السنة، أساء عامل صقلية السيرة، وظلم، وكان عاملاً للقائم العلوي، واسمه سالم بن راشد فعصت عليه جرجنت، من صقلية، وكتب إلى القائم بذلك، فجهز إليه عسكراً وحاصروا جرجنت، فاستنجد أهل جرجنت بملك قسطنطينية فأنجدهم، ودام الحصار إلى سنة تسع وعشرين، فسار بعض أهلها، ونزل الباقون بالأمان، فأخذوا كبارهم وجعلوهم في مركب، ليقدموا على القائم بإفريقية، فلما

توسطوا اللجة، أمر مقدم جيش القائم فنقب مركبهم، وغرقوا عن آخرهم. (وفيها) توفي عبد الله بن محمد الخزاز النحوي، وله تصانيف في علوم القرآن.

(ثم دخلت سنة ست وعشرين وثلاثمائة) في هذه السنة سار معز الدولة بأمر أخيه عماد الدولة ابن بويه إلى الأهواز، وتلك البلاد، فاستولى عليها، وكان سبب ذلك مسير ابن البريدي إلى عماد الدولة كما أشرنا اليه.

(ذكر قطع يد أبي علي ابن مقلة)

وكان سببه: أنه سعى في القبض على ابن رائق، وأقامة بجكم موضعه، وعلم ابن رائق بذلك، فحبسه الراضي لأجل ابن رائق وترددت الرسل بين الراضي وبين ابن رائق في معنى ابن مقلة مرات عدة، وآخرها أنهم أخرجوا ابن مقلة فقطعوا يده في منتصف شوال، وعولج فبرأ، وعاد يسعى في الوزارة، وكان يشد القلم على يده المقطوعة ويكتب، ثم بلغ ابن رائق سعيه، وأنه يدعو عليه وعلى الراضي، فأمر بقطع لسانه، فقطع، وضيق عليه في الحبس، ثم لحق ابن مقلة مع ما هو فيه الذرب، ولم يكن عنده في الحبس من يخدمه، فقاسى شدة إلى أن مات في الحبس، في شوال سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة، ودفن بدار الخليفة، ثم إن أهله سألوا فيه فنبش وسلم إليهم، فدفنوه في داره، ثم نبش ونقل إلى دار أخرى، ومن العجب أنه ولي الوزارة ثلاث دفعات، ووزر لثلاثة خلفاء: المقتدر، والقاهر، والراضي. وسافر ثلاث سفرات، اثنتين إلى شيراز، وواحدة في وزارته إلى الموصل، ودفن بعد موته ثلاث مرات.

(ذكر استيلاء بجكم على بغداد)

وفي هذه السنة، سار بجكم من واسط إلى بغداد، غرة ذي القعدة، وجهز ابن رائق إليه عسكراً، فهزمهم بجكم، ولمّا قرب من بغداد هرب ابن رائق إلى عكبرا[1]، واستتر، ودخل بجكم بغداد ثالث عشر ذي القعدة، فخلع عليه الراضي وجعله أمير الأمراء، وكانت مدة إمارة ابن رائق سنة وعشرة أشهر وستة عشر يوما، وهذا بجكم كان مملوكاً لوزير ما كان بن كاكي الديلمي. ثم أخذه ما كان منه، ثم إنه فارق ماكان مع من فارقه، ولحق بمرداويج، ثم كان في جملة من قتل مرداويج، ثم سار إلى العراق واتصل بخدمة ابن رائق، وانتسب إليه حتى كتب على رايته الرائقي، وسيره

---

(١) عَكبرا: اسم بليدة من نواحي دُجيل قرب صريفين وأوانا، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ. البلدان ٤/١٤٢.

ابن رائق إلى الأهواز فاستولى عليها، وطرد ابن البريدي، ثم لما استولى ابن بويه على الأهواز، سار بجكم إلى واسط، ثم سار إلى بغداد، فطرد ابن رائق واستولى على بغداد وعلى حضرة الخليفة.

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

في هذه السنة فسد حال القرامطة، ووقع بينهم الفتن والقتل، فاستقروا في هجر.

(ثم دخلت سنة سبع وعشرين وثلاثمائة) فيها سار بجكم والراضي إلى الموصل، فهرب ناصر الدولة بن حمدان عنها، ثم حمل مالاً واستقر الصلح معه، ثم عاد الخليفة وبجكم إلى بغداد، وظهر ابن رائق مع جماعة انضموا إليه ببغداد، قبل وصول الخليفة إليها، فخافه الخليفة وبجكم، ثم استقر الحال على أن يولّي على حرّان والرها وقنسرين والعواصم، فسار ابن رائق واستولى عليها.

(ذكر غير ذلك من الحوادث)[1]

في هذه السنة، عصى أمية بن إسحاق على عبد الرحمن الأموي بشنترين[2] واستنجد بالجلالقة، فأنجدوه وهزموا المسلمين، ثم التقوا مرة ثانية، فانهزمت الجلالقة وكثر القتل فيهم، وطلب أمية المذكور الأمان من عبد الرحمن الأموي، فأمنه. (وفيها) مات عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، صاحب الجرح والتعديل، وعثمان بن خطاب أبو الدنيا، المعروف بالأشج، الذي يقال إنه لقي علي بن أبي طالب، وله صحيفة تروى عنه ولا تصح، وقد رواها كثير من المحدثين على علم منهم بضعفها. (وفيها) توفي محمد بن جعفر بمدينة يافا، صاحب التصانيف المشهورة كاعتلال القلوب وغيره. (وفيها) توفي الكعبي المعتزلي، واسمه عبد الله ابن أحمد بن محمود، وكنيته أبو القاسم وهو صاحب مقالة.

(ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة).

(ذكر استيلاء ابن رائق على الشام)

وفي هذه السنة، استولى ابن رائق على الشام، فاستولى على دمشق وحمص،

---

(١) في الكامل: ذكر الفتنة بالاندلس ج٧ ص١٤٥.

(٢) شنترين: مدينة في الأندلس على نهر تاجه قريب انصبابه في البحر. البلدان ٣/٣٦٧.

وطرد بدراً نائب الأخشيد[١]، وسار حتى بلغ العريش يريد الديار المصرية، فخرج إليه الاخشيد وجري بينهم قتال شديد، آخره أن ابن رائق انهزم إلى دمشق، ثم جهز الأخشيد إليه جيشاً مع أخيه، واقتتلوا، فانهزم عسكر الأخشيد، وقتل أخوه، فارسل ابن رائق يعزي الأخشيد في أخيه ويقول له: إنه لم يقتل بامري . وأرسل ولده مزاحم وقال: إن أحببت فاقتل ولدي به، فخلع الأخشيد على مزاحم وأعاده إلى أبيه، واستقرت مصر للاخشيد، والشام لمحمد بن رائق.

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(في هذه السنة) قتل طريف السبكري بالثغر، (وفيها) توفي محمد الكسليني – بالنون – وهو من أئمة الإمامية، ومحمد بن أحمد المعروف بابن شنبوذ المقري، وأبو محمد المرتعش، وهو من مشايخ الصوفية، (وفيها) توفي أبو بكر محمد بن القاسم المعروف بابن الأنباري، وهو مصنف كتاب الوقف والابتداء، الإمام المشهور في النحو والأدب، وكان ثقة، وولد سنة إحدى وسبعين ومائتين. (وفيها) توفي أبو عمر أحمد بن عبد ربه بن حبيب القرطبي، مولى هشام بن عبد الرحمن الداخل إلى الاندلس، الاموي، وكان من العلماء المكثرين من المحفوظات، وصنف كتابه العقد، وهو من الكتب النفيسة، ومولده في سنة ست وأربعين ومائتين.

(ثم دخلت سنة تسع وعشرين وثلاثمائة)

(ذكر موت الراضي بالله)

وفي هذه السنة، في منتصف ربيع الأول مات الراضي بالله، أبو العباس أحمد ابن المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق طلحة. وكانت خلافته ست سنين وعشرة أيام، وكان عمره اثنتين وثلاثين سنة وكان مرضه علة الاستسقاء وكان أديبا شاعراً فمن شعره:

يصفرُّ وجهي إذا تامله ... طرفي فيحمرّ وجهه خجلاً

حتى كأن الذي بوجنته ... من دم وجهي إليه قد نقلا[٢]

ومن شعره أيضاً من أبيات:

---

(١) في الكامل: بدر بن عبد الله الاخشيدي . ج٧ ص١٤٩.

(٢) في الكامل: من دم جسمي ج٧ ص١٥١.

كـلُّ صفـو إلى كـدرْ كـلّ أمـن إلـى حـذرْ
أيهـا الآمـن الـذي تـاه فـي لجـة الغـررْ(١)
أيـنَ مَـنْ كـان قبلنـا درسَ العيـنُ والأثـرْ
درَّ درُّ المشـيب مـن واعـظٍ يُنـذرُ البشـرْ

وكـان الراضي سخيـاً، يحبّ الأدباء والفضـلاء وكـان سنان بن ثابت الصابي الطبيب من جملة ندماء الراضي وجلسائه، وكان الراضي أسمر خفيف العارضين، وأمه أم ولد، اسمها ظلوم، وهو آخر خليفة له شعْر يدوّن، وآخر خليفة خطب كثيراً على منبر، وإن كان غيره قد خطب، فإنه كان نادراً، لا اعتبار به، وكان آخر خليفة جالس الجلساء، وآخر خليفة كانت نفقته، وجراياته، وخزانته، ومطابخه، وأموره، على ترتيب الخلفاء المتقدمين.



(١) في الكامل : أيها الآمل ج٧ ص١٥١.

(ذكر خلافة المتقي للّه)

وهو حادي عشرينهم، لمّا مات الراضي، بقي الأمر موقوفاً، انتظاراً لقدوم أبي عبد اللّه الكوفي، كاتب بجكم، من واسط، وكان بجكم بها أيضاً، واحتيط على دار الخلافة، فورد كتاب بجكم مع أبي عبد اللّه الكوفي، كاتب بجكم، يأمر فيه أن يجتمع مع أبي القاسم، سليمان بن الحسن، وزير الراضي ، كل من تقلد الوزارة، وأصحاب الدواوين والعلويون والقضاة والعباسيون ووجوه البلد، ويشاورهم الكوفي فيمن ينصب للخلافة، فاجتمعوا واتفقوا على إبراهيم بن المقتدر باللّه، أبي الفضل جعفر، وبويع له بالخلافة في العشرين من ربيع الأول، وعرضت عليه الألقاب فاختار المتقي للّه، ولما بويع له سير الخلع واللواء إلى بجكم، وهو بواسط، وكان بجكم قبل استخلاف المتقي، قد أرسل إلى دار الخلافة، وأخذ منها فرشاً وآلاتٍ كان يستحسنها، وجعل سلامة الطولوني حاجب المتقي، وأقر سليمان بن الحسن وزير الراضي على وزارته، وليس له من الوزارة إلّا اسمها، وإنما التدبير كله إلى الكوفي كاتب بجكم.

(ذكر قتل ماكان بن كاكي)

كان ماكان بن كاكي قد استولى على جرجان، فقصده أحد قواد السامانية بعسكر خراسان، وهو أبو علي بن محمد بن مظفر بن المحتاج، فهزم ماكان عن جرجان، فقصد ماكان طبرستان وأقام بها. ثم سار أبو علي بن المحتاج المذكور عن جرجان إلى الري، ليستولي عليها، وبها وشمكير بن زيار أخو مرداويج، فأرسل وشمكير يستنجد ماكان بن كاكي من طبرستان، فقدم ماكان بن كاكي من طبرستان، وبقي مع وشمكير، وقاتلهما أبو علي بن المحتاج، فجاء سهم غَرِبٌ، فوقع في رأس ماكان، ونفذ من الخوذة إلى جبينه، حتى طلع من قفاه، فوقع ماكان بن كاكي ميتاً، وهرب وشمكير إلى طبرستان، واستولى أبو علي ابن المحتاج على الري.

(ذكر قتل بجكم)

وفي هذه السنة قتل بجكم، وكان بجكم قد أرسل جيشاً إلى قتال أبي عبد الله

البريدي. ثم سار من واسط في أثرهم، فأتاه الخبر بنصرة عسكره، وهرب البريدي. فقصد الرجوع إلى واسط، وبقي يتصيد في طريقه حتى بلغ نهر جور، فسمع أنّ هناك أكراداً لهم مال وثروة، فشرهت عينه، وقصدهم في جماعة قليلة، وأوقع بهم، فهربوا من بين يدي بجكم، وجاء صبي من الأكراد من خلف بجكم، وطعنه برمح في خاصرته ولا يعرفه، فمات بجكم من تلك الطعنة. ولما بلغ قتله المتقي، استولى على دار بجكم وأخذ منها أموالاً عظيمة، وأكثرها كانت مدفونة، وأتى البريدي الفرج بقتل بجكم من حيث لا يحتسب. وكانت مدة إمارة بجكم سنتين وثمانية أشهر وأياماً. ولما قتل بجكم سار البريدي إلى بغداد واستولى على الأمر أياماً، ثم أخرجه العامة عنها لسوء سيرته، ثم استولى على الأمر كورتكين مدة قليلة، فسار ابن رائق من الشام إلى بغداد، واستخلف على الشام أبا الحسن أحمد بن علي بن مقاتل ولما وصل ابن رائق إلى بغداد جرى بينه وبين كورتكين قتال، آخره أن ابن رائق انتصر على كورتكين وهزمه، ثم ظفر بعد ذلك ابن رائق بكورتكين وحبسه، وقلد المتقي لابن رائق إمرة الأمراء ببغداد.

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(فيها) توفي متى بن يونس، الحكيم الفيلسوف، وبختيشوع بن يحيى الطبيب.

(ثم دخلت سنة ثلاثين وثلاثمائة)

(ذكر استيلاء ابن البريدي على بغداد وقتل ابن رائق)

في هذه السنة، عاد البريدي فاستولى على بغداد، وهرب ابن رائق والخليفة المتقي إلى جهة الموصل، ونهب البريدي بغداد، وحصل منه من الجور والظلم والعسف ما لازيادة عليه، ولما وصل المتقي وابن رائق إلى تكريت، كاتبا ناصر الدولة ابن حمدان يستمدانه، وقدما إلى الموصل، فخرج عنها ناصر الدولة إلى الجانب الآخر، فأرسل المتقي إليه ابنه أبا منصور، وابن رائق، فأكرمهما ناصر الدولة، ونثر على ابن الخليفة دنانير، ولما قاما لينصرفا، أمر ناصر الدولة أصحابه بقتل ابن رائق فقتلوه. ثم سار ابن حمدان إلى المتقي، فخلع المتقي عليه وجعله أمير الأمراء، وذلك في مستهل شعبان من هذه السنة، وخلع على أخيه أبي الحسن علي، ولقبه

سيف الدولة، وكان قتل ابن رائق يوم الاثنين، لسبع بقين من رجب من هذه السنة، أعني سنة ثلاثين وثلاثمائة، ولما بلغ الاخشيد صاحب مصر قتل ابن رائق، سار إلى دمشق، فاستولى عليها. ثم سار المتقي وناصر الدولة إلى بغداد، فهرب عنها ابن البريدي، ونهب الناس بعضهم بعضاً ببغداد، وكان مقام ابن البريدي ببغداد ثلاثة أشهر وعشرين يوماً، ودخل المتقي إلى بغداد ومعه بنو حمدان في جيوش كثيرة، في شوال من هذه السنة. ولما استقر ناصر الدولة ببغداد، أمر بإصلاح الدنانير، وكان الدينار بعشرة دراهم، فبيع الدينار بثلاثة عشر درهما.

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

فيها مات أبو بكر محمد بن عبد الله المحاملي الفقيه الشافعي، ومولده سنة خمس وثلاثين ومائتين. (وفيها) توفي أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري، وكان مولده سنة ستين ومائتين ببغداد، ودفن بمشرعة الزوايا[١] ثم طمس قبره خوفاً عليه، لئلا تنبشه الحنابلة وتحرقه، فإنهم عزموا على ذلك مراراً عديدة، ويردهم السلطان عنه. وهو من ولد أبي موسى الأشعري، واشتغل بعلم الكلام، على مذهب المعتزلة زماناً طويلاً. ثم خالف المعتزلة والمشبهة، فكانت مقالته أمراً متوسطاً، وناظر أبا علي الجبائي، في وجوب الأصلح على الله تعالى، فاثبته الجبائي على قواعد مذهبه.

فقال الأشعري ما تقول في ثلاثة صبية اخترم الله أحدهم قبل البلوغ، وبقي الاثنان فآمن أحدهما وكفر الآخر، ما العلة في اخترام الصغير؟.

فقال الجبائي: إنما اخترمه لأنه علم أنه لو بلغ لكفر، فكان اخترامه أصلح له.

فقال له الأشعري: فقد أحيا أحدهما فكفر.

فقال الجبائي: إنما أحياه ليعرضه لأعلى المراتب، أي ليبلغ ويصير أهلاً للتكليف، لأنّ الصبيّ والحيوان غير مكلف، فإذا أدرك الصبي، صار مكلّفاً، وهي أعلى المراتب، لأنها المرتبة الإنسانية.

فقال الأشعري: فلم لا أحيى الذي اخترمه ليعرضه لأعلى المراتب.

(١) مشرعة الزوايا: لم يذكرها ياقوت الحموي في معجم البلدان.

فقال الجبائي: وسوست.

فقال الأشعري: ما وسوست، ولكن وقف حمار الشيخ على القنطرة، يعني أنه انقطع.

ثم أظهر الأشعري مذهبه، وقرره، فصارت مقالته أشهر المقالات، حتى طبق الأرض ذكرها، ومعظم الحنابلة يحكمون بكفره ويستبيحون دمه، ودم من يقول بقوله، وذلك لجهلهم، وكان أبو علي الجبائي المعتزلي زوج أم أبي الحسن الأشعري.

(ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة) في هذه السنة سار ناصر الدولة عن بغداد إلى الموصل، وثارت الديلم ، ونهبت داره، وكان أخوه سيف الدولة بواسط، فثارت عليه الأتراك الذين معه، وكبسوه ليلاً، في شعبان، فهرب سيف الدولة أبو الحسن علي، إلى جهة أخيه ناصر الدولة أبي محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان، ولحق به، ثم قدم سيف الدولة إلى بغداد، وطلب من المتقي مالاً ليفرقه في العسكر، ويمنع تورون[1] والأتراك من دخول بغداد، فأرسل إليه المتقي أربع مائة ألف دينار، ففرقها في أصحابه، ولما وصل تورون إلى بغداد، هرب سيف الدولة عنها، ودخل تورون بغداد في الخامس والعشرين من رمضان، في هذه السنة، فخلع المتقي عليه وجعله أمير الأمراء وبقي المتقي خائفاً من تورون. وتورون بتاء مثناة من فوقها مضمومة وواو ساكنة وراء مهملة مضمومة وواو ثم نون، هو اسم تركي مشتق من اسم الباطية لأن الباطية اسمها بالتركي تروو بتاء وراء مضمومتين ووايين ساكنتين.

(ذكر موت نصر بن أحمد بن إسماعيل الساماني)[2]

وفي هذه السنة، توفي أبو السعيد نصر بن أحمد الساماني، صاحب خراسان وماوراء النهر، وكان مرضه السل، فبقي مريضاً ثلاثة عشر شهراً، وكانت ولايته ثلاثين سنة وثلاثة وثلاثين يوماً، وكان عمره ثمانياً وثلاثين سنة، وكان حليماً كريماً، ولما مات نصر بن أحمد، تولى بعده ابنه نوح بن نصر، وبايعه الناس، وحلفوا له في شعبان، واستقر ملكه على خراسان وما وراء النهر.

---

(١) في الكامل: توزون. ج٧ ص١٧١.

(٢) في الكامل: السعيد نصر بن احمدبن اسماعيل ج٧ ص١٧٤.

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

في هذه السنة، أرسل ملك الروم يطلب من المتقي منديلاً، زعم أن المسيح مسح به وجهه، فصارت صورة وجهه فيه، وأن هذا المنديل في بيعة الرها، وأنه إن أرسله، أطلق عدداً كثيراً من أسرى المسلمين، فاحضر المتقي القضاة والفقهاء واستفتاهم في ذلك، فاختلفوا. فقال بعضهم: ادفعه إليهم وإطلاق الأسرى أولى. وقال بعضهم: إن هذا المنديل لم يزل في بلاد الإسلام، ولم يطلبه ملك الروم منهم، ففي دفعه إليهم غضاضة، وكان في الجماعة علي بن عيسي الوزير فقال: إن خلاص المسلمين من الاسر والضنك، أولى من حفظ هذا المنديل، فامر الخليفة بتسليمه إليهم، وارسل من تسلم الأسرى فاطلقوا.

(وفي هذه السنة) توفي محمد بن إسماعيل الفرغاني الصوفي، استاذ أبي بكر الدقاق، وهو مشهور بين المشايخ. (وفيها) مات سنان بن ثابت بن قرة بعلة الذرب، وكان حاذقاً في الطب، ولم يغن عنه شيئا عند دنو الأجل .

(ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة) فيها سار المتقي عن بغداد خوفاً من تورون وابن شيرزاد، إلى جهة ناصر الدولة بالموصل، وانحدر سيف الدولة إلى ملتقى المتقي بتكريت، ثم انحدر ناصر الدولة إلى تكريت، وأصعد الخليفة إلى الموصل، ثم سار الخليفة وبنو حمدان إلى الرقة، فأقاموا بها، وظهر للمتقي تضجر بني حمدان منه، وإيثارهم مفارقته، فكتب إلى تورون يطلب الصلح منه، ليقدم إلى بغداد، وخرجت السنة على ذلك.

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(في هذه السنة) خرجت طائفة من الروس في البحر، وطلعوا من البحر في نهر الكر، فانتهوا إلى مدينة برْدَعَة[1]، فاستولوا على بردعة، وقتلوا ونهبوا، ثم عادوا في المراكب إلى بلادهم. (وفيها) مات أبو طاهر القرمطي رئيس القرامطة بالجدري، وفيها كان ببغداد غلاء عظيم. (وفيها) استعمل ناصر الدولة بن حمدان محمد بن علي بن مقاتل على قنسرين والعواصم وحمص. ثم استعمل بعده في السنة المذكورة ابن عمه الحسين بن سعيد بن حمدان على ذلك.

---

(١) بردعة : في معجم البلدان «برذعة » بلد في أقصى أذربيجان .

(ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة)

(ذكر مسير المتقي إلى بغداد وخلعه)

كان قد كتب المتقي إلى الإخشيد صاحب مصر، يشكو إليه حاله، وما هو فيه، فسار الإخشيد من مصر إلى حلب، ثم إلى الرقة، واجتمع بالمتقي، وحمل إليه هدايا عظيمة، واجتهد بالمتقي أن يسير معه إلى مصر أو الشام ليكون بين يديه، فلم يفعل، ثم أشار عليه بالمقام في الرقة، وخوفه من تورون، فلم يفعل، وكان قد أرسل المتقي إلى تورون في الصلح كما ذكرناه، فحلف تورون للمتقي على ما أراد، فانحدر المتقي لأربع بقين من المحرم إلى بغداد وعاد الإخشيد إلى مصر، ولما وصل المتقي إلى هيت، أقام بها، وأرسل فجدد اليمين على تورون وسار تورون عن بغداد لملتقى الخليفة. فالتقاه بالسندية[1]، ووكّل عليه حتى أنزله في مضرب به، ثم قبض تورون على المتقي وسمله[2]، وأعمى عينيه فصاح المتقي وصاح من عنده من الحرم والخدم، فأمر تورون بضرب الدبادب[3] لئلا تظهر أصواتهن، وانحدر تورون بالمتقي إلى بغداد وهو أعمى، وكانت خلافة المتقي لله، وهو إبراهيم بن جعفر المقتدر بن المعتضد ثلاث سنين وخمسة أشهر وعشرين يوماً، وأمه أم ولد اسمها خلوب.

---

(١) السنديه : قرية من قرى بغداد على نهر عيسى بين بغداد والانبار البلدان ٣ / ٢٦٨.

(٢) في الكامل : كحّله فاذهب عينيه ج٧ ص١٨٧.

(٣) الدبادب : جمع دبداب، الطبل.

(ذكر خلافة المستكفي بالله)

وهو ثاني عشرينهم، ولما قبض تورون على المتقي، بايع المستكفي بالله أبا القاسم عبد الله بن المكتفي بالله علي بن المعتضد أحمد بن الموفق طلحة بن المتوكل جعفر بن المعتصم محمد بن الرشيد هارون، وأحضره إلى السندية، وبايعه عامة الناس، وكانت بيعة المستكفي بالله يوم خلع المتقي في صفر من هذه السنة.

(ذكر خروج أبي يزيد الخارجي بالقيروان)

وفي هذه السنة اشتدت شوكة أبي يزيد الخارجي وهزم الجيوش،وهو رجل من زناتة، واسم والده كنداد، من مدينة توزر من بلاد قسطيلية[1].

فولد له أبو يزيد بتوزر من جارية سوداء، وانتشأ أبو يزيد في توزر وتعلم القرآن وسار إلى تاهرت[2]، وصارعلى مذهب النكارية وهو تكفير أهل الملة، واستباحة أموالهم ودمائهم، ودعا أهل تلك البلاد فاطاعوه، وكثر جمعه فحصر قسطيلية في هذه السنة، وكان أبويزيد قصيراً قبيح الصورة، يلبس جبة صوف، ثم فتح تبسة[3]، ثم سبيبة[4] وصلب عاملها، ثم فتح الأريس[5]، فاخرج القائم جيوشاً لحفظ رقادة والقيروان فهزمهم أبويزيد، واستولى على تونس، ثم على القيروان، ورقادة، ثم سار أبو يزيد إلى القائم فجهز إليه القائم جيشاً، فجرى بينهم قتال كثير، وآخره أن جيوش القائم انهزمت، وسار أبو يزيد وحصر القائم بالمهدية،في جمادى الأولى من هذه السنة، وضايقها وغلا بها السعر، وعدم القوت، ودام محاصرها حتى خرجت هذه السنة، ثم رحل عن المهدية في صفر سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، وسار إلى القيروان، وتوفي القائم وملك ابنه إسماعيل المنصور على مانذكره فجهز المنصور العساكر وسار بنفسه إلى القيروان، واستعادها من أبي يزيد وذلك في سنة أربع

---

(١) قسطيلية : مدينة بالاندلس. البلدان ٤ /٣٤٨.

(٢) تاهرت : اسم مدينتين بأقصى المغرب. البلدان ٢ /٧.

(٣) تبسة : بلدة مشهورة في افريقيا بينها وبين قفصة ست مراحل في قفر سبيبة. البلدان ٢ /١٣.

(٤) سبيبة : ناحية من اعمال إفريقية ثم القيروان. البلدان ٣ /١٨٦.

(٥) الأريس : مدينة وكورة بإفريقيا بينها وبين القيروان ثلاثة أيام جهة المغرب. البلدان ١ /١٣٦.

وثلاثين وثلاثمائة، ودام حالهم على القتال إلى سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة، فهزم المنصور عساكر أبي يزيد، وسار المنصور في أثره في ربيع الأول سنة خمس وثلاثين فادرك أبا يزيد على مدنية كاغلية[١]، فهرب أبو يزيد من موضع إلى آخر، حتى وصل طبسة[٢]، ثم هرب حتى وصل إلى جبل للبربر، واسم ذلك الجبل برزال، والمنصور في إثره، واشتد على عسكر المنصور الحال حتى بلغت عليقة الشعير ديناراً ونصفاً، وبلغت قربة الماء ديناراً، فرجع المنصور إلى بلاد صنهاجة، وبلغ إلى موضع يسمى قرية عمرة[٣] ، واتصل هناك بالمنصور، العلوي الأمير زيري الصنهاجي، وهو جد ملوك بني باديس على ما سيأتي ذكرهم إن شاء الله تعالى.

فأكرمه المنصور غاية الإكرام ومرض المنصور هناك مرضاً شديداً، ثم تعافى ورحل إلى المسيلة، ثاني رجب سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة، وكان قد اجتمع إلى أبي يزيد جمع من البربر، وسبق المنصور إلى مسيلة، فلما قدم المنصور إلى مسيلة هرب عنها أبو يزيد إلى جهة بلاد السودان، ثم صعد أبو يزيد إلى جبال كتامة، ورجع عن قصد بلاد السودان، فسار المنصور عاشر شعبان إليه، واقتتلوا في شعبان، فقتل غالب جماعة أبي يزيد وانهزم، فسار المنصور في إثره أول شهر رمضان واقتتلوا أيضاً، وانهزم أبو يزيد وأخذت[٤] أثقاله والتجأ أبو يزيد إلى قلعة كتامة، وهي منيعة،فحاصرها المنصور وداوم الزحف عليها، ثم ملكها المنصور عنوة، وهرب أبويزيد من القلعة من مكان وعر، فسقط منه، فأخذ أبو يزيد وحُمل إلى المنصور، فسجد المنصور شكراً لله تعالى، وكثر تكبير الناس وتهليلهم، وبقي أبو يزيد في الأسر مجروحاً فمات، وذلك في سلخ المحرم سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، فسلخ جلد أبي يزيد، وحشي تبناً، وكتب المنصور إلى سائر البلاد بالفتح، وبقتل أبي يزيد لعنه الله، وعاد المنصور إلى المهدية، فدخلها في شهر رمضان من سنة ست وثلاثين وثلاثمائة.

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

في هذه السنة أعني سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة نقل المستكفي، القاهر، من

---

(١) في الكامل: باغاية ج٧ ص١٩٩.

(٢) في الكامل: طينة ج٧ ص١٩٩.

(٣) في الكامل: دمره ج٧ ص١٩٩

(٤) في الكامل: واحترقت أثقاله ج٧ ص٢٠٠.

دار الخلافة إلى دار أبي طاهر، وكان قد بلغ بالقاهر الضر والفقر إلى أن كان ملتفاً بجبة قطن وفي رجله قبقاب خشب.

(ذكر ملك سيف الدولة مدينة حلب وحمص)

وفي هذه السنة، لما سار المتقي عن الرقة إلى بغداد، وسار عنها الإخشيد إلى مصر كما ذكرنا، سار سيف الدولة أبو الحسن علي بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان إلى حلب، وبها يانس المؤنسي، فأخذها منه سيف الدولة،واستولى عليها، ثم سار من حلب إلى حمص، فاستولى عليها ثم سار إلى دمشق فحصرها، ثم رحل عنها، وكان الإخشيد قد خرج من مصر إلى الشام، بسبب قصد سيف الدولة دمشق، وسار إليه فالتقيا بقنسرين، ولم يظفر أحد العسكرين بالآخر، ورجع سيف الدولة إلى الجزيرة، فلما رجع الإخشيد إلى دمشق، عاد سيف الدولة إلى حلب، فملكها، فلما ملكها سارت الروم حتى قاربت حلب، فخرج إليهم سيف الدولة وهزمهم وظفر بهم.

(ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة)

(ذكر موت تورون)

في هذه السنة في المحرم،مات تورون ببغداد، وكانت إمارته سنتين وأربعة أشهر وتسعة عشر يوماً، ولما مات، عقد الأجناد لابن شيرزاد الإمرة عليهم،وكان بهيت، فحضر إلى بغداد مستهل صفر، وأرسل إلى المستكفي فاستحلفه فحلف له بحضرة القضاة وولاة أمرة الأمراء.

(ذكر استيلاء معز الدولة بن بوية على بغداد)

كان معز الدولة في الأهواز، فلما بلغه موت تورون، سار إلى بغداد، فلما قرب منها اختفى المستكفي بالله وابن شيرزاد،فكانت إمارته ثلاثة أشهر وأياماً، وقدم الحسن بن محمد المهلبي، صاحب معز الدولة، إلى بغداد،وسارت الأتراك عنها إلى جهة الموصل، فظهر المستكفي واجتمع بالمهلبي، وأظهر المستكفي السرور بقدوم معز الدولة، وأعلمه أنه استتر خوفاً من الأتراك، فلما ساروا عن بغداد ظهر، ثم وصل معز الدولة إلى بغداد ثاني عشر جمادى الأولى من هذه السنة. واجتمع بالمستكفي وبايعه، وحلف له المستكفي وخلع عليه، ولقبه في ذلك اليوم بمعز الدولة، وأمر أن تضرب ألقاب بني بويه على الدنانير والدراهم، ونزل معز الدولة بدارمؤنس، وأنزل أصحابه في دور الناس، فلحق الناس من ذلك شدة عظيمة، ورتب معز الدولة للمستكفي، كل يوم خمسة آلاف درهم يتسلمها كاتبه لنفقات المستكفي.

(ذكر خلع المستكفي وخلافة المطيع)

وفي هذه السنة خلع المستكفي بالله ابوالقاسم عبد الله بن المكتفي علي بن المعتضد بن الموفق لثمان بقين من جمادى الآخرة، وصورةخلعه، أن معز الدولة وعسكره والناس، حضروا إلى دار الخليفة،بسبب وصول رسول صاحب خراسان،فأجلس الخليفة معز الدولة على كرسي، ثم حضر رجلان من نقباء الديلم، وتناولا يد المستكفي بالله، فظن أنهما يريدان تقبيلها، فجذباه عن سريره، وجعلا عمامته في عنقه، ونهض معز الدولة، فاضطرب الناس، وساقا المستكفي ماشياً إلى دار معز الدولة فاعتُقل بها، ونُهبت دار الخلافة حتى لم يبق بها شيء، وكانت مدة خلافة المستكفي سنة وأربعة أشهر، ولما بويع المطيع، سلّم إليه المستكفي، فسمله وأعماه، وبقي محبوساً إلى أن مات، وأمه أم ولد اسمها غصن.

ولما قُبض المستكفي بويع (المطيع لله) وهو ثالث عشرينهم، واسمه المفضل بن المقتدر، في يوم الخميس ثاني عشرين من جمادى الآخر، من هذه السنة، أعني سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، وازداد أمر الخلافة إدباراً، ولم يبق لهم من الأمر شيء، وتسلم نواب معز الدولة العراق، بأسره، ولم يبق في يد الخليفة غير ما أقطعه معز الدولة للخليفة، مما يقوم ببعض حاجته.

(ذكر الحرب بين ناصر الدولة بن حمدان ومعز الدولة بن بوية)

في هذه السنة سار ناصر الدولة إلى بغداد، وأرسل معز الدولة عسكراً لقتاله، فلم يقدروا على دفعه، وسار ناصر الدولة من سامراء، عاشر رمضان، إلى بغداد، وأخذ معز الدولة المطيع معه، وسارا إلى تكريت فنهبها، لأنها كانت لناصر الدولة، وعاد معز الدولة بالخليفة إلى بغداد ونزل بالجانب الغربي، ونزل ناصر الدولة بالجانب الشرقي، ولم يخطب تلك الأيام للمطيع ببغداد، وجرى بينهم ببغداد قتال كثير، آخره أن ناصر الدولة وعسكره انهزموا، واستولى معز الدولة على الجانب الشرقي، وأعيد الخليفة إلى مكانه في المحرم سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة، واستقر معز الدولة ببغداد، وناصر الدولة بعكبرا، ثم سار ناصر الدولة إلى الموصل، واستقر الصلح بين معز الدولة وناصر الدولة، في المحرم من سنة خمس وثلاثين.

(ذكر وفاة القائم العلوي وولاية المنصور)

في هذه السنة توفي القائم بأمر الله أبو القاسم محمد بن المهدي عبيد الله صاحب المغرب لثلاث عشرة مضت من شوال، وقام بالأمر بعده ابنه إسماعيل بن محمد، وتلقب بالمنصور بالله، وكتم موت القائم خوفاً من أبي يزيد الخارجي، واستمر كتمان ذلك حتى فرغ المنصور من أمر أبي يزيد الخارجي على ما ذكرناه، ثم اتسم بالخلافة، وضبط الملك والبلاد.

(ذكر موت الإخشيد وملك سيف الدولة دِمَشْق)

في هذه السنة مات الإخشيد بدمشق، وكان قد سار إليها من مصر، وهو محمد بن طغج صاحب مصر ودمشق، وكان مولده سنة ثمان وستين ومائتين ببغداد، وكان الإخشيد قبل مسيره عن مصر، قد وجد بداره رقعة مكتوب عليها «قدّرتم فأسأتم، وملكتم فبخلتم، ووسع عليكم فضيقتم، وأدرت لكم الأرزاق فقنطتم أرزاق العباد، واغتررتم بصفو أيامكم، ولم تتفكروا في عواقبكم، واشتغلتم بالشهوات، واغتنام اللذات وتهاونتم بسهام الأسحار وهنّ صائبات، ولا سيما إن خرجت من قلوب قرحتموها، وأكباد أجعتموها، وأجساد أعريتموها، ولو تأملتم في هذا حق التأمل لانتبهتم، أو ما علمتم أنّ الدنيا لو بقيت للعاقل، ما وصل إليها الجاهل، ولو دامت لمن مضى، مانالها من بقي، فكفى بصحبة ملك يكون في زوال ملكه فرح للعالم، ومن المحال أن يموت المنتظرون كلهم، حتى لايبقى منهم أحد، ويبقى المنتظر به، افعلوا ما شئتم فإنا صابرون، وجوروا فإنا بالله مستجيرون، وثقوا بقدرتكم وسلطانكم، فإنا بالله واثقون، وهو حسبنا ونعم الوكيل».

فبقي الإخشيد بعد سماع هذه الرقعة في فكر، وسافر إلى دمشق ومات.وولي الأمربعده ابنه أبو القسم أنوجور،وتفسيره محمود، واستولى على الأمر كافور الخادم الأسود، وهو من خدم الإخشيد،وكان أنوجور صغيراً، وسار كافور بعد موت الإخشيد إلى مصر فسار سيف الدولة إلى دمشق، وملكها، وأقام بها، واتفق أن سيف الدولة ركب يوما والشريف العقيقي معه، فقال سيف الدولة: ما تصلح هذه الغوطة إلا لرجل واحد.

فقال له العقيقي: هي لأقوام كثيرة: فقال سيف الدولة: لو أخذتها القوانين السلطانية لتبرؤا منها، فأعلم العقيقي أهل دمشق بذلك، فكاتبوا كافوراً يستدعونه، فجاءهم، فأخرجوا سيف الدولة عنهم.ثم استقر سيف الدولة بحلب، ورجع كافور

إلى مصر وولى على دمشق بدراً الإخشيدي فاقام سنة ثم وليها أبو المظفر بن طغج.

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(فيها) اشتد الغلاء وعُدِمَ القوت، ببغداد، حتى وجد مع إنسان صبي قد شواه ليأكله، وكثر في الناس الموت، (وفيها) توفي علي بن عيسى بن الجراح الوزير، وله تسعون سنة. (وفيها) توفي عمر بن الحسين الخرقي الحنبلي، وأبو بكر الشبلي الصوفي، وكان أبو الشبلي حاجباً للموفق أخي المعتمد، وحجب الشبلي أيضا للموفق، ثم تاب وصحب الفقراء، حتى صار واحد زمانه في الدين والورع، وكان الشبلي المذكور مالكي المذهب، حفظ الموطأ، وقرأ كتب الحديث، وقال الجنيد عنه: لكل قوم تاج، وتاج القوم الشبلي. (وفيها) توفي محمد بن عيسى، ويعرف بأبي موسى الفقية الحنفي.

(ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة) فيهاتوفي أبو بكر الصولي وكان عالماً بفنون الأدب والأخبار، روى عن أبي العباس ثعلب وغيره، وروى عنه الدارقطني وغيره وللصولي التصانيف المشهورة.

(ثم دخلت سنة ست وثلاثين وثلاثمائة) فيها عقد المنصورالعلوي ولاية جزيرة صقلية للحسن بن علي بن أبي الحسين الكلبي،من تاريخ جزيرة صقلية تاليف صاحب تاريخ القيروان، واستمر الحسن بن علي يغزو ويفتح في جزيرة صقلية حتى مات المنصور، وتولى المعز، فاستخلف الحسن على صقلية ولده أبا الحسين أحمد ابن الحسن، فكانت ولاية الحسن بن علي على صقلية خمس سنين ونحو شهرين، وسار الحسن عن صقلية إلى إفريقية في سنة اثنتين واربعين وثلاثمائة، ولما وصل الحسن إلى إفريقية، كتب المعز بولاية ابنه أحمد بن الحسن على صقلية فاستقر أحمد والياً عليها. وفي سنة سبع وأربعين وثلاثمائة قدم أحمد بن الحسن من صقلية،ومعه ثلاثون رجلاً من وجوه الجزيرة، على المعز بإفريقية فبايعوا المعز وخلع عليهم المعز، ثم أعاده إلى مقره بصقلية، وفي سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة ورد كتاب المعز على الأمير أحمد بصقلية، يأمره فيه بإحصاء أطفال الجزيرة، وان يختتنهم ويكسوهم في اليوم الذي يطهّر فيه المعز ولده، فكتب الأمير أحمد خمسة عشر الف طفل وابتدأ أحمد فختن أخوته في مستهل ربيع الأول من هذه السنة،ثم ختن الخاص والعام، وخلع عليهم، ووصل من المعز مائة الف درهم، وخمسون حملا من الصلات، ففرقت في المختونين، وفي سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة ارسل

الأمير أحمد بسبي طبرمين[1] بعد فتحها إلى المعز، وجملته ألف وسبع مائة ونيف، وسبعون رأسا، وفي سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة جهز المعز أسطولاً عظيماً، وقدم عليهم الحسن بن علي بن الحسين والد الأمير أحمد، فوصل إلى صقلية، واجتمعت الروم بها، وجرى بينهم قتال شديد، نصرالله فيه المسلمين، وقتل من الكفار فوق عشرة آلاف نفس، وغنم المسلمون أموالهم وسلاحهم، فكان في جملة ذلك سيف عليه منقوش: «هذا سيف هندي وزنه مائة وسبعون مثقالاً، طالما ضرب به بين يدي رسول اللهﷺ»، فبعث به الحسن بن علي إلى المعز، وكذلك بعدة من الأسرى والسلاح، وسارالحسن بعد هذا النصر وأقام بقصره بصقلية، ولحقه المرض حتى توفي في ذي القعدة سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة، وكان عمره ثلاثاً وخمسين سنة، وفي أواخر سنة ثمان وخسين وثلاثمائة استقدم المعز الأمير أحمد من صقلية وسار منها بأهله وماله وولده، فكانت أمارته بها ست عشرة سنة وتسعة أشهر، ولما سار أحمد عنها استخلف على الجزيرة (يعيش) مولى أبيه الحسن بن علي، فلما وصل أحمد إلى إفريقية أرسل المعز أبا القاسم علي بن الحسن بن علي أخا الأمير أحمد المذكور، وولاه الجزيرة نيابة عن أخيه أحمد، فوصل أبو القاسم إلى صقلية في منتصف شعبان سنة تسع وخمسين وثلاثمائة. وفي سنة تسع وخمسين وثلاثمائة قدم المعز الأمير أحمد على الأسطول وأرسله إلى مصر، فلما وصل إلى طرابلس، اعتل أحمد بن الحسن المذكور ومات بها، وفي سنة ستين وثلاثمائة أرسل المعز إلى أبي القاسم سجلاً باستقلاله بولاية صقلية، وتعزيته في أخيه أحمد وفي سنة ست وستين وثلاثمائة غزا الأمير أبو القاسم علي وعاد إلى الأرض الكبيرة،ونزل بموضع يعرف بالابرجة، فرأى عسكره قد أكثروا من جمع البقر والغنم، فأنكر ذلك وقال: لقد أثقلتم وهذا يعيقنا عن الغزو، فأمر بذبحها وتفريقها، فسميت تلك المرحلة مناخ البقر إلى الآن، وشنت غاراته في الأرض الكبيرة، وأخرب فيها مدناً، ثم عاد إلى صقلية مؤيداً منصوراً، واستمر أبو القاسم يغزو إلى سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة، فجرى بينه وبين الفرنج قتال استشهد فيه أبو القاسم ولذلك يعرف بالشهيد، وكان مقتله في المحرم من السنة المذكور ومدة ولايته على صقلية اثنتي عشرة سنة وخمسة أشهر وأياماً.

ولما استشهد أبو القاسم، تولى الأمر بعده ابنه جابر بن أبي القاسم بغير ولاية

---

(١) طبرمين: قلعة بصقلية .البلدان ٤ / ١٧ .

من الخليفة، وكان جابرالمذكور سيء التدبير، وفي سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة وصل إلى صقلية جعفر بن محمد بن الحسين بن علي بن أبي الحسين أميراً عليها من قبل العزيز خليفة مصر، فاغتم جابر لذلك غماً عظيماً، وكان جعفر المذكور مواظباً للعزيز خليفة مصر، وقريباً إليه جدا، وكان للعزيز وزير يقال له ابن كلس، فغار من جعفر، فلما استشهد أبوالقاسم أشار ابن كلس بتولية جعفر فأرسله العزيز إليها، فسار جعفر إلى صقلية، وهوكاره لذلك، وبقي جعفر والياً على صقلية حتى مات في سنة خمس وسبعين وثلاثمائة، فولي أخوه عبد الله بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي الحسين، وبقي عبد الله حتى توفي في سنة تسع وسبعين وثلاثمائة، وتولى بعده ولده أبو الفتوح يوسف بن عبد الله، وأحسن يوسف المذكور السيرة، وبقي على ولايته، ومات العزيز خليفة مصر، وتولى الحاكم واستوزر ابن عم يوسف المذكور، وهو حسن بن عمار بن علي بن أبي الحسين، وبقي حسن وزيراً بمصر، وابن عمه يوسف أميراً بصقلية، وفي سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة أصاب أبا الفتوح يو سف بن عبد اللهّ فالج، فعطب جانبه الأيسر،فتولى في حياته ابنه جعفر ابن يوسف وأتاه سجل من الحاكم بالولاية ولقبه تاج الدولة، فبقي مدة، ثم أحدث على أهل صقلية مظالم،فخرجوا عن طاعته، وحصروا جعفر المذكور في القصر،فخرج إليهم والده يوسف وهو مفلوج في محفة، ورد الناس، وشرط لهم عزل جعفر،فعزله وولى موضعه أخاه تأييد الدولةأحمد الأكحل بن يوسف، وانعزل جعفر وتولى الأكحل في المحرم سنة عشر وأربع مائة، وبقي الأكحل حتى خرج عليه أهل صقلية وقتلوه في سنة سبع وعشر ين وأربع مائة، ولما قتلوا الأكحل، ولوا أخاه الحسن صمصام الدولة، فجرى في أيامه اختلاف بين أهل الجزيرة وتغلبت الخوارج عليه، حتى صارت للفرنج على ما سنذكره إن شاء الله تعالى

(ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة)وفي هذه السنة ملك معز الدولة الموصل، وسار عنها ناصر الدولة إلى نصيبين، ثم جاءت الأخبار بحركة عسكر خراسان على بلاد معز الدولة،فرحل عن الموصل وعاد إليها ناصر الدولة.

(ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة) .

(ذكر موت عماد الدولة بن بوية)

وفي هذه السنة، مات عماد الدولة أبو الحسن علي بن بويه بشيراز،في جمادى الآخرة وكانت علته قرحة في كلاه،طالت به وتوالت به الأسقام، ولم يكن لعماد

الدولة ولد ذكر، فلما أحسّ بالموت، أرسل إلى أخيه ركن الدولة، يطلب منه ابنه عضد الدولة فناخسرو، ليجعله عماد الدولة ولي عهده، وارث مملكته بفارس، وكان ذلك قبل موته بسنة، ووصل عضد الدولة إلى عمه عماد الدولة، فولاه عماد الدولة مملكته في حياته، وأمر الناس بالانقياد إلى عضد الدولة، ولما مات عماد الدولة، بقي ابن أخيه عضد الدولة بفارس. واختلف عليه عسكره، فسار أبوه ركن الدولة من الري إليه، وقرر قواعد عضد الدولة، ولما وصل ركن الدولة شيراز، ابتدأ بزيارة قبر أخيه عماد الدولة باصطخر، فمشى إليه حافياً حاسراً، ومعه العساكر على تلك الحال، ولزم القبر ثلاثة أيام إلى أن سأله القواد والأكابر الرجوع إلى المدينة، فرجع إليها وكان عماد الدولة في حياته هو أمير الأمراء، فلما مات صار أخوه ركن الدولة أمير الأمراء، وكان معز الدولة هو المستولي على العراق وهو كالنائب عنهما.

وفي هذه السنة مات المستكفي المخلوع، وهو في الحبس أعمى.

(ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة) في هذه السنة مات وزير معز الدولة محمد الصيمري، واستوزرمعز الدولةأبا محمد الحسن المهلبي. (وفي هذه السنة) غزا سيف الدولة بلاد الروم، فأوغل فيها، وغنم وقتل، فلما عاد أخذت الروم عليه المضائق فهلك غالب عسكره وما معه، ونجا سيف الدولة بنفسه في عدد يسير. (وفي هذه السنة) أعادت القرامطة الحجر الأسود إلى مكة، وكان قد أخذوه سنةسبع عشرة وثلاثمائة، فكان لبثه عندهم اثنين وعشرين سنة.

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

في هذه السنة توفي أبو نصر محمد بن طرخان الفارابي الفيلسوف، وكان رجلاً تركياً، ولد بفاراب، التي تسمى هذا الزمان أُطرار، بضم الهمزة وسكون الطاء المهملة وبين الرائين المهملتين ألف، وهي من المدن العظام، سافر الفارابي من بلده حتى وصل إلى بغداد، وهو يعرف اللسان التركي وعدة لغات فشرع في اللسان العربي فتعلمه، وأتقنه، ثم اشتغل بعلوم الحكمة واشتغل على أبي بشرمتى بن يونس الحكيم المشهور في المنطق، وأقام الفارابي على ذلك برهة، ثم ارتحل إلى مدينة حران، واشتغل بها على أبي حيا[1] الحكيم النصراني، ثم قفل إلى بغداد، وأتقن علوم الفلسفة، وحل كتب أرسطو وأتقن علم الموسيقى، وألف ببغداد معظم

---

(١) في الكامل: يوحنا بن حيلان ج٧ ص٢٣٧.

تصانيفه. ثم سافر إلى دمشق، ولم يقم بها، وسافر إلى مصر ثم عاد إلى دمشق، وأقام بها في أيام ملك سيف الدولة بن حمدان، فأحسن اليد، وكان على زي الأتراك لم يغير ذلك، وحضر يوماً عند سيف الدولة بدمشق، بحضرة فضلائها فما زال كلام الفارابي يعلو، وكلامهم يسفل،حتى صمت الكل ثم أخذوا يكتبون ما يقوله، وكان الفارابي منفرداً بنفسه لايجالس الناس، وكان في مدة مقامه بدمشق لايكون إلا عند مجتمع ماء أو مشتبك رياض، وكان أزهد الناس في الدنيا، وأجرى عليه سيف الدولة كل يوم أربعة دراهم، فاقتصر عليها، ولم يزل مقيماً بدمشق إلى أن توفي بها، وقد ناهز ثمانين سنة ودفن خارج الباب الصغير.

(وفي هذه السنة) مات الزجاجي النحوي، وهو أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحق، صحب إبراهيم بن السري الزجّاج،فنسب إليه وعرف به، وكان إمام وقته وصنف الجمل في النحو.

(ثم دخلت سنة أربعين وثلاثمائة) في هذه السنة توفي عبد الله بن الحسين الكرخي،الفقيه المشهور، الحنفي المعتزلي، وكان عابداً، ومولده سنة ستين ومائتين، وأبو جعفر الفقيه، توفي ببخارى.

(وفيها) توفي أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن إسحاق المروزي الفقيه الشافعي بمصر، وانتهت إليه الرئاسة بالعراق بعد ابن سريج، وصنف كتباً كثيرة، وشرح مختصر المزني.

(ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة) في هذه السنة سار يوسف بن وجيه، صاحب عمان في البحر والبر إلى البصرة، وحصرها، وساعده القرامطة على ذلك، وأمدوه بجمع منهم وأقاموا هناك أياماً، فأدركهم المهلبي وزير معز الدولة بالعساكر فرحلوا عنها.

(ذكر وفاة المنصور العلوي)

وفي هذه السنة، توفي المنصور بالله العلوي أبو طاهر إسماعيل بن القائم بأمر الله أبي القاسم محمد بن عبيد الله المهدي سلخ شوال، وكانت خلافته سبع سنين وستة عشر يوما. وكان عمره تسعا وثلاثين سنة، وكان خطيباً بليغاً، يخترع الخطبة لوقته، وظهر من شجاعته في قتال أبي يزيد الخارجي ما تقدم ذكره، وعهد إلى ابنه أبي تميم معد بن المنصور إسماعيل بولاية العهد وهو معد المعز لدين الله، فبايعه

الناس في يوم مات أبوه في سلخ شوال من هذه السنة، وأقام في تدبير الأمور إلى سابع ذي الحجة فأذن للناس فدخلوا إليه، وسلموا عليه بالخلافة،وكان عمر المعز إذا ذاك أربعاً وعشرين سنة

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

وفي هذه السنة ملك الروم مدينة سروج[1] وسبوا أهلها وغنموا أموالهم، وخربوا المساجد. (وفيها) توفي أبوعلي إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الصفار النحوي المحدث، وهو من أصحاب المبرد، وكان مولده سنة سبع وأربعين ومائتين، وكان ثقة.

(ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة، ودخلت سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة)

(ذكرموت الأمير نوح بن نصربن أحمد بن إسماعيل وولاية ابنه عبدالملك)

وفي هذه السنة مات الأمير نوح بن نصر الساماني، في ربيع الآخر، وكانت ولايته في سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة، وكان يلقب بالأمير الحميد، وكان حسن السيرة كريم الأخلاق، ولما توفي ملك بعده ابنه عبد الملك بن نوح.

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

في هذه السنة في ربيع الأول، غزا سيف الدولة بن حمدان بلاد الروم، فغنم وقتل، ووقع بينه وبين الروم وقعة عظيمة، قتل فيها من الفريقين عالم كثير، وانتصر فيها سيف الدولة. (وفيها) أرسل معز الدولة سبكتكين في جيش إلى شهرزور، فعاد ولم يفتحها. (وفيها) مات محمد بن العباس، المعروف بابن النحوي الفقيه، ومحمد بن القاسم الكرخي.

(ثم دخلت سنة أربع وأربعين وثلاثمائة) فيها مات أبوعلي بن المحتاج، صاحب جيوش خراسان بعد أن عزله الأمير نوح عن خراسان، فخرج لذلك عن طاعته نوح ولحق بركن الدولة بن بويه، ومات في خدمته.

(ذكر ماجرى في هذه السنة بين المعز العلوي)
(وعبد الرحمن الأموي صاحب الأندلس)

وفي هذه السنة أنشأ عبد الرحمن الناصر الاموي مركباً كبيراً، لم يُعمل مثله،

---

(١) بلدة قريبة من حران من ديار مضر. الكامل ج٧ ص٢٤٣.

وسير فيه بضائع لتباع في بلاد الشرق، ويعتاض عنها، فلقي في البحر مركباً فيه رسول من صقلية إلى المعز العلوي، ومعه مكاتبات إليه، فقطع عليهم المركب الأندلسي وأخذهم بما معهم،وبلغ المعز فجهز أسطولاً إلى الأندلس، واستعمل عليه الحسن بن علي عامله على صقلية، فوصلوا إلى المرية[1] وأحرقوا جميع مافي ميناها من المراكب، وأخذوا ذلك المركب الكبير المذكور، بعد عوده من الإسكندرية، وفيه جوار مغنيات وأمتعة لعبد الرحمن، وصعد أسطول المعز إلى البر فقتلوا ونهبوا ورجعوا سالمين إلى المهدية، ولما جرى ذلك، جهز عبد الرحمن أسطولاً إلى بلاد إفريقية، فوصلوا إليها، فقصدهم عساكر المعز فرجعوا إلى الأندلس بعد قتال جرى بينهم.

(ثم دخلت سنة خمس وأربعين وثلاثمائة)

فيها سار سيف الدولة بن حمدان إلى بلاد الروم،فغنم وسبى وفتح عدة حصون، ورجع إلى أذنة فأقام بها، ثم ارتحل إلى حلب. (وفيها) توفي أبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهدغلام ثعلب المعروف بالمطرز، أحد أئمة اللغة المشاهير المكثرين، صحب أبا العباس ثعلباً زماناً فعرف به، وللمطرز المذكور عدة مصنفات، وكانت ولادته سنة إحدى وستين ومائتين، وكان اشتغاله بالعلوم، قد منعه عن اكتساب الرزق، فلم يزل مضيقاً عليه، وكان لسعة روايته وكثرة حفظه يكذبه أدباء زمانه في أكثر نقل اللغة، ويقولون: لو طار طائر يقول أبو عمر المذكور: حدثنا ثعلب عن ابن الاعرابي ويذكر في معنى ذلك شيئاً، وكان يلقي تصانيفه من حفظه، حتى أنه أملى في اللغة ثلاثين الف ورقة، فلهذا الإكثار نسب إلى الكذب. (ثم دخلت سنة ست وأربعين وثلاثمائة) في هذه السنة مات السلار المرزبان صاحب أذربيجان، وملك بعده ابنه حسان[2]، وكان لمرزبان أخ يسمى وهشوذان.فشرع في الإفساد بين أولاد أخيه، حتى وقع ما بينهم وتقاتلوا، وبلغ عمهم وهشوذان ما أراد، وقد ذكر ابن الأثير في حوادث هذه السنة ان البحر نقص ثمانين باعاً، فظهرت فيه جزائر وجبال لم تعرف قبل ذلك. (وفيها) توفي أبو العباس محمد بن يعقوب الأموي النيسابوري، المعروف بالأصم وكان عالي الإسناد في الحديث، وصحب الربيع بن سليمان صاحب

(١) المرية : مدينة كبيرة من كورة إلبيرة من أعمال الاندلس. البلدان ٥/ ١١٩.

(٢) جستان : الكامل ج٧ ص٢٥٨. وذكر في الكامل ان المرزبان أوصى لأخيه هسوذان وبعده لابنه جستان .

الشافعي، وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفقيه البخاري الأمين.

(ثم دخلت سنة سبع وأربعين وثلاثمائة)

(ذكر مسير جيوش المعز العلوي إلى أقاصي المغرب)

(فيها) عظم أمر أبي الحسن، جوهر عبدالمعز، فصار في رتبة الوزارة، وسيّره المعز في صفر هذه السنة، في جيش كثيف إلى أقاصي المغرب، فسار إلى تاهرت، ثم سار منها إلى فاس في جمادى الآخرة، وبها صاحبها أحمد بن بكر، فاغلق أبوابها، فنازلها جوهر وقاتل أهلها، فلم يقدر عليها، ومضى جوهر حتى انتهى إلى البحر المحيط، وسلك تلك البلاد جميعها،ثم عاد إلى فاس ففتحها عنوة وكان مع جوهر زيري بن مناذ[1] الصنهاجي، وكان شريكه في الإمرة، وكان فتح فاس في رمضان سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة. (وفيها) توفي أبو الحسن علي بن البوشنجي الصوفي بنيسابور، وهو أحد المشهورين منهم. (وفيها) توفي أبو الحسن محمد من ولد أبي الشوارب، قاضي بغداد، وكان مولده سنة اثنتين وتسعين ومائتين، وأبو علي الحسين بن علي النيسابوري. وأبو محمد عبد الله الفارسي النحوي، أخذ النحو عن المبرد.

(ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة) فيها توفي أبو بكر بن سليمان الفقيه الحنبلي ، المعروف بالنجاد، وعمره خمس وتسعون سنة، وجعفر بن محمد الخلدي الصوفي، وهومن أصحاب الجنيد، (وفيها) انقطعت الأمطار وغلت الأسعار في كثير من البلاد.

(ثم دخلت سنة تسع وأربعين وثلاثمائة) فيها وقع الخلف بين أولاد المرزبان، فاضطروا إلى مساعدة عمهم وهشوذان، فكاتبوه وصالحوه، وقدموا عليه فغدر بهم، وأمسك حسان وناصراً ابني أخيه وامهما وقتلهم. (وفي هذه السنة)غزا سيف الدولة ابن حمدان بلاد الروم في جمع كثير، ففتح وأحرق وقتل وغنم وبلغ إلى خرشنه[2] وفي عوده أخذت الروم عليه المضائق واستردوا ما أخذه، وأخذوا اثقاله وأكثروا القتل في أصحابه، وتخلص سيف الدولة في ثلاثمائة نفس. وكان قد أشار عليه أرباب المعرفة بأن لا يعود على الطريق، فلم يقبل، وكان سيف الدولة معجباً بنفسه، يحب

---

(١) في الكامل :مناد ج٧ ص٢٦١.

(٢) خرشنة: بلد قرب ملطية من بلاد الروم.البلدان ٢ / ٣٥٩.

ان يستبد ولا يشاور احداً، لئلا يقال إنه أصاب برأي غيره. (وفي هذه السنة)أسلم من الأتراك نحو مائتي ألف خركاة[1]. (وفيها) انصرف حجاج مصر من الحج فنزلوا وادياً وباتوا فيه، فاتاهم السيل ليلاً وأخذهم جميعهم مع اثقالهم وجمالهم،فالقاهم في البحر. (وفي هذه السنة) أو قريب من هذه السنة، توفي أبو الحسن التيناتي، نسبة إلى التينات، وكان عمره مائة وعشرين سنة، وله كرامات مشهورة. (وفيها) مات انوجور بن الإخشيد صاحب مصر،وأقيم أخوه علي بن الإخشيد مكانه.

(ثم دخلت سنة خمسين وثلاثمائة)

(ذكر موت صاحب خراسان)

وفي هذه السنة يوم الخميس حادي عشر شوال، تقنطر بالأمير عبدالملك بن نوح الساماني فرسه، فوقع عبد الملك إلى الأرض فمات من ذلك، فثارت الفتنة بخراسان بعده، وولي مكانه أخوه منصور بن نوح بن نصر بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد بن أسد بن سامان.

(ذكر وفاة صاحب الأندلس)

وفي هذه السنة توفي عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، في رمضان، وكانت مدة إمارته خمسين سنة ونصفاً، وعمره ثلاث وسبعون سنة، وكان أبيض أشهل حسن الوجه، وهو أول من تلقب من الأمويين أصحاب الأندلس بألقاب الخلفاء، وتسمى بأمير المؤمنين،وكان من قبله يخاطبون، ويخطب لهم بالأمير وأبناء الخلائف، وبقي عبد الرحمن كذلك إلى أن مضى من إمارته سبع وعشرون سنة، فلما بلغه ضعف الخلفاء بالعراق، وظهور الخلفاء العلويين بإفريقية ومخاطبتهم بأمير المؤمنين أمر حينئذ أن يلقب بالناصر لدين الله، ويخطب له بأمير المؤمنين، وأمه أم ولد اسمها مدنة [2] ولما مات ولي الأمر بعده ابنه الحكم بن عبد الرحمن وتلقب بالمستنصر وخلّف عبد الرحمن أحد عشر ولداً ذكراً.

(وفي هذه السنة) تولى قضاء القضاة ببغداد أبو العباس عبد الله بن الحسن بن أبي الشوارب، والتزم كل سنة أن يؤدي مائتي ألف درهم، وهو أول من ضمن

---

(١) كلمة فارسية معناها الخيمة الكبيرة . هامش الكامل ج٧ ص٢٦٧ .

(٢) في الكامل :مرجانة. ج٧ ص٢٧٠.

القضاء. وكان ذلك في أيام معز الدولة بن بويه، ولم يسمع بذلك قبلها، ثم ضمنت بعده الحسبة والشرطة ببغداد. (وفيها) توفي أبوشجاع فاتك وكان رومياً، وأخذه الإخشيد صاحب مصر من سيده بالرملة، وارتفعت مكانته عنده، وكان رفيق كافور، فلما مات الإخشيد وصار كافور أتابك ولده، أنف فاتك من ذلك، وكانت الفيوم إقطاعة، فانتقل وقام بها، وكثرت أمراضه لوخم الفيوم، فعاد إلى مصر كرهاً من المرض، وكان كافور يخافه ويخدمه، وكان المتنبي إذ ذلك بمصر عند كافور، فاستأذنه، ومدح فاتك المذكور بقصيدته التي أولها:

لا خيل عندك تُهديها ولا مالٌ فليسعد النطق إن لم يسعد الخال
كفاتك ودخول الكاف منقصة كالشمس قلّت وما للشمس أمثال

ولما توفي فاتك رثاه المتنبي بقصيدته التي أولها:

الحزن يقلق والتجملُ يردعُ والدمع بينهما عصيٌّ طيع

ومنها:

إني لأجبن من فراق أحبتي وتحس نفسي بالحمام فاشجع
تصفو الحياة لجاهل أو غافل عما مضى منهاوما يتوقع
ومن يغالط في الحقيقة نفسه ويسومها طلب المحال فتطمع
أين الذي الهرمان من بنيانه ما قومه ما يومه ما المصرع
تتخلف الآثار عن أصحابها حينا ويدركها الفناء فتتبعُ

(ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة)، (وفي هذه السنة)سارت الروم مع الدمستق وملكوا عين زربى[1] بالأمان فقتلوا بعض أهلها وأطلقوا أكثرهم

(ذكر استيلاء الروم على حلب وعودهم عنها بغير سبب)

(وفي هذه السنة)استولت الروم على مدينة حلب، دون قلعتها، وكان قد سار إليها الدمستق، ولم يعلم به سيف الدولة إلا عند وصوله، فلم يلحق سيف الدولة أن يجمع، وخرج فيمن معه وقاتل الدمستق، فقُتل غالب أصحابه وانهزم سيف الدولة في نفر قليل، وظفر الدمستق بداره، وكانت خارج مدينة حلب تسمى الدارين، فوجد الدمستق فيها ثلاثمائة بدرة من الدراهم، وأخذ لسيف الدولة ألف وأربعمائة بغل، ومن السلاح مالايحصى، وملكت الروم الحواضر[2] وحصروا المدينة وثلموا

(١) عين زربى: بلد بالثغر من نواحي المصيصة. معجم البلدان ٤ /١٧٧.

(٢) في الكامل: الحاضِرَ: يعني الحي العظيم.ج٧ ص٣٥١.

السور، وقاتلهم أهل حلب أشد قتال، فتأخر الروم إلى جبل جوشن.

ثم وقع بين أهل حلب ورجالة الشرطة فتنة، بسبب نهب كان وقع بالبلد، فاجتمع بسبب ذلك الناس، ولم يبق على الأسوار أحد، فوجد الروم السور خالياً، فهجموا البلد وفتحوا أبوابه وأطلقوا السيف في أهل حلب، وسبوا بضعة عشر ألف صبي وصبية، وغنموا ما لا يوصف كثرة، فلما لم يبق معهم ظهر يحمل الغنائم، أمر الدمستق فأحرقوا ما بقي بعد ذلك، وأقام الدمستق تسعة أيام ثم ارتحل عائداً إلى بلاده ولم ينهب قرايا حلب، وأمرهم بالزراعة ليعود من قابل إلى حلب في زعمه.

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(وفي هذه السنة) استولى ركن الدولة بن بويه على طبرستان وجرجان.
(وفيها) كتب عامة الشيعة بأمر معز الدولة على المساجد، ماهذه صورته «لعن الله معاوية بن أبي سفيان، ولعن من غصب فاطمة فدكاً، ومن منع أن يدفن الحسن عند قبر جده، ومن نفى أبا ذر الغفاري، ومن أخرج أبا العباس عن الشورى».

فلما كان من الليل حكّه بعض الناس، فأشار الوزير المهلبي على معز الدولة أن يكتب موضع المحي «لعن الله الظالمين لآل رسول الله ﷺ» ولا يذكر أحد في اللعن إلا معاوية، ففعل ذلك. (وفي هذه السنة) في ذي القعدة سارت جيوش المسلمين إلى صقلية، ففتحوا طبرمين، وهي من أمنع الحصون وأشدها على المسلمين بعد حصار سبعة أشهر ونصف، وسميت طبرمين المعزية نسبة إلى المعز العلوي. (وفيها) فتحت الروم حصن دلوك بالسيف وثلاثة حصون مجاورة له.

(وفي هذه السنة) في شوال أسرت الروم أبا فراس الحارث بن سعيد بن حمدان من منبج، وكان متقلداً بها. (وفيها) توفي أبو بكر محمد بن الحسن النقاش المقري، صاحب كتاب شفاء الصدور.

(ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة) في هذه السنة توفي الوزير المهلبي أبو محمد، وكانت مدة وزارته ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر، وكان كريماً عاقلاً ذا فضل. (وفيها) في عاشر المحرم أمر معز الدولة الناس أن يغلقوا دكاكينهم، وأن يظهروا النياحة، وأن يخرج النساء منشورات الشعور، مسودات الوجوه قد شققن ثيابهن ويلطمن وجوههن، على الحسين بن علي رضي الله عنهما، ففعل الناس ذلك. ولم يقدر السنية على منع ذلك لكثرة الشيعة، والسلطان معهم. (وفيها) عزل

ابن أبي الشوارب عن القضاء. وأبطل ماكان التزم به من الضمان. (وفيها) قتل الروم ملكهم، وملكوا غيره، وصار ابن شمشقيق دمستقاً، (وفيها) في ثامن ذي الحجة، أمر معز الدولة بإظهار الزينة في البلد والفرح، كما يفعل في الأعياد، فرحاً بعيد غديرخم، وضربت الدبادب والبوقات.

(ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة) في هذه السنة سار معز الدولة واستولى على الموصل ونصيبين، بعد أن انهزم ناصر الدولة من بين يديه، ثم وقع بينهما الاتفاق، وضمن ناصر الدولة الموصل بمال ارتضاه معز الدولة، فرحل معز الدولة ورجع إلى بغداد.

(ثم دخلت سنة أربع وخمسين وثلاثمائة) وفي هذه السنة سار ملك الروم إلى المصيصة، فحاصرها وفتحها عنوة بالسيف، يوم السبت ثالث عشر رجب، ووضع السيف في أهلها، ثم رفع السيف وأخذ من بقي اسرى، ونقلهم إلى بلد الروم، وكان أهلهانحو مائتي الف إنسان، ثم سار إلى طرسوس، فطلب أهلها الأمان فأمنهم، وتسلم طرسوس وسار أهلها عنها في البر والبحر، وسير ملك الروم معهم من يحميهم، حتى وصلوا إلى أنطاكية، وجعل جامع طرسوس اصطبلاً، وأحرق المنبر، وعمر طرسوس حصنها وتراجع إليها بعض أهلها وتنصر بعضهم، ثم عاد ملك الروم إلى القسطنطينية.

(ذكر مخالفة أهل انطاكية على سيف الدولة بن حمدان)

في هذه السنة أطاع أهل أنطاكية بعض المقدمين، الذين حضروا من طرسوس، وخالفوا سيف الدولة، وكان اسم المقدم الذي أطاعوه رشيقا[١] فسار إلى جهة حلب، وقاتل عامل سيف الدولة قرعويه، وكان سيف الدولة بميا فارقين[٢] فأرسل سيف الدولة عسكراً مع خادمه بشارة فاجتمع قرعويه العامل بحلب مع بشارة، وقاتلا رشيق، فقتل رشيق وهرب بأصحابه، ودخلوا أنطاكية.

(وفي هذه السنة) قتل المتنبي الشاعر وابنه، قتلهما الأعراب وأخذوا ما معهما، واسمه أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الكندي، ومولده سنة ثلاث وثلاثمائة في الكوفة، بمحلة تسمى كندة، فنسب إليها، وليس هو من كندة، التي هي قبيلة، بل هو جُعْفي القبيلة، بضم الجيم وسكون العين المهملة،

---

(١) في الكامل : رشيقاً النسيمي ج٧ ص٣٥٤.

(٢) ميافارقين : أشهر مدينة بديار بكر. البلدان ٥ / ٢٣٥.

ويقال إنّ المتنبي كان سقاء بالكوفة، وفي ذلك يقول بعضهم يهجو المتنبي بأبيات منها:

أي فضل لشاعر يطلب الفضـ ـل من الناس بكرة وعشيا

عاش حينا يبيع في الكوفة المـا ء وحينا يبيع ماء المحيا

ثم قدم المتنبي إلى الشام في صباه، واشتغل بفنون الأدب ، ومهر فيها، وكان من المكثرين لنقل اللغة، والمطلعين عليها وعلى غريبها، لايسأل عن شيء إلا واستشهد فيه بكلام العرب،حتى قيل إن الشيخ أبا علي الفارسي صاحب كتاب الإيضاح قال له يوماً : كم لنا من الجموع على وزن فعلى، فقال المتنبي في الحال: حجلى وظربى. قال أبو علي فطالعت كتب اللغة ثلاث ليال على أن أجد لهما ثالثاً فلم أجد، وحسبك من يقول في حقه أبو علي هذه المقالة، وأما شعره فهو النهاية ورزق فيه السعادة، وإنما قيل له المتنبي لأنه ادعى النبوة في برية السماوة،وتبعه خلق كثير من بني كلب، وغيرهم، فخرج إليه لؤلؤ نائب الإخشيدية بحمص، فأسر المتنبي وتفرق عنه أصحابه، وحبسه طويلاً ثم استتابه وأطلقه، ثم التحق المتنبي بسيف الدولة بن حمدان في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة، ثم فارقه واتصل بمصر سنة ست وأربعين، فمدح كافوراً الإخشيدي،ثم هجاه وفارقه سنة خمسين وقصدعضد الدولة ببلاد فارس ومدحه، ثم رجع قاصداً الكوفة، فقتل بقرب النعمانية، وهي من الجانب الغربي من سواد بغداد عند دير العاقول، قتلته العرب، وأخذوا ما معه.(وفيها) توفي محمد بن حبان أبو حاتم بن أحمد بن حبان البستي صاحب التصانيف المشهورة، حبان بكسرالحاء المهملة والباء الموحدة ثم ألف ونون.

(ثم دخلت سنة خمس وخمسين وثلاثمائة)

(ذكر خروج الروم إلى بلاد الإسلام)

في هذه السنة، خرجت الروم ووصلوا إلى آمد وحصروها، ثم انصرفوا عنها إلى قرب نصيبين،وغنموا ، وهرب أهل نصيبين، ثم ساروا من الجزيرة إلى الشام ونازلوا أنطاكية وأقاموا عليها مدة طويلة، ثم رحلوا عنها إلى طرسوس. (وفي هذه السنة) استفك سيف الدولة بن حمدان بن عمه أبا فراس ابن حمدان من الأسر، وكان بينه وبين الروم الفداء ، فخلص عدّة من المسلمين من الأسر.

(ثم دخلت سنة ست وخمسين وثلاثمائة)

(ذكر موت معزالدولة وولاية ابنه بختيار)

في هذه السنة سار معز الدولة إلى واسط، وجهز الجيوش لمحاربة عمران بن شاهين صاحب البطيحة، وحصل له إسهال، فلما قوي به عاد إلى بغداد، وترك العسكر في قتال عمران بن شاهين، ثم تزايد به المرض بعد وصوله إلى بغداد، فلما أحس بالموت، عهد إلى ابنه بختيار، ولقبه عز الدولة، وأظهر معز الدولة التوبة وتصدق بأكثر ماله وأعتق مماليكه، وتوفي ببغداد في ثالث عشر ربيع الآخر من هذه السنة، بعلة الذرب، ودفن بباب التبن،في مقابر قريش، وكانت أمارته إحدى وعشرين سنة، وأحد عشر شهراً. ولما مات معز الدولة استقر ابنه عز الدولة بختيار في الأمارة، وكتب بختيار إلى العسكر بمصالحة عمران بن شاهين، وعودهم إلى بغداد، ففعلوا ذلك، وكان معز الدولة مقطوع اليد، قيل إنها قطعت بكرمان في بعض حروبه، ومعز الدولة هو الذي أنشأ السعاة ببغداد لإعلام أخيه ركن الدولة بالأحوال سريعاً، فنشأ في أيامه فضل ومرعوش وفاقا جميع السعاة، وكان كل واحد منهما يسير في اليوم نيفا وأربعين فرسخا، وتعصبت لهما الناس، وكان أحدهما ساعي السنية والآخر ساعي الشيعة، ولما تولى بختيار، أساء السيرة واشتغل باللعب واللهو وعشرة النساء، والمغنيين وبغى كبائر الديلم شرهاً إلى إقطاعاتهم.

(ذكر القبض على ناصر الدولة بن حمدان)

وفي هذه السنة، قبض ابن ناصر الدولة ابو تغلب، على أبيه ناصر الدولة، وحبسه وكان سبب قبضه، أن ناصر الدولة كان قد كبر وساءت أخلاقه،وضيق على أولاده وأصحابه وخالفهم في أغراضهم فضجروا منه، حتى وثب عليه ابنه ابو تغلب فقبضه في هذه السنة في أواخر جمادى الاولى، ووكل به من يخدمه، ولما فعل أبو تغلب ذلك خالفه بعض إخوته، فاحتاج أبو تغلب إلى مداراة بختيار ليعضده،فضمن أبو تغلب البلاد لبختيار بألف ألف ومائتي ألف درهم.

(ذكر وفاة وشمكير)

في هذه السنة مات وشمكير بن زيار أخو مرداويج بان حمل عليه وهو في الصيد، خنزيرمجروح، فقامت به فرسه فسقط إلى الأرض فمات، فقام بالأمر بعده ابنه بيستون بن وشمكير بن زيار، وقيل إن موته كان سنة سبع وخمسين في المحرم.

(ذكر وفاة كافور)

وفيها مات كافور الإخشيدي وكان خصياً أسود من موالي محمد بن طفج الإخشيدي صاحب مصر، واستولى كافور على ملك مصر والشام بعد موت أولاد

الإخشيد، فإنه ملك بعد الإخشيد ابنه انوجور، والأمر جميعه إلى كافور، ثم مات انوجورسنة تسع وأربعين وثلاثمائة، فاقام كافور اخاه علياً بن الإخشيد، فتوفي علي ابن الإخشيد المذكور، وهو صغير، في سنة خمس وخمسين وثلاثمائة فاستقل كافور بالمملكة من هذا التاريخ وكان كافور شديد السواد، واشتراه الإخشيد بثمانية عشر ديناراً وقصده المتنبي ومدحه،وحكى المتنبي قال: كنت إذا دخلت على كافور، أنشده يضحك لي، ويبش في وجهي إلى ان أنشدته:

ولما صار ود الناس خباً ... جزيتَ على ابتسام بابتسام

وصرت أشك فيمن أصطفيه ... لعلمي أنه بعض الأنام

قال: فما ضحك بعدها في وجهي إلى ان تفرقنا، فعجبت من فطنته وذكائه، ولم يزل كافور مستقلاً بالأمر حتى توفي في هذه السنة يوم الثلاثاء لعشرين بقين من جمادى الأولى بمصر، وقيل كانت وفاته سنة سبع وخمسين، ودفن بالقرافة الصغرى، وكان يدعى له على المنابر بمكة والحجاز جميعه، والديار المصرية، وبلاد الشام، وكان تقدير عمره خمساً وستين سنة، ووقع الخلف فيمن ينصب بعده، واتفقوا على أبي الفوارس أحمد بن علي بن الإخشيد وخطب له في جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة.

(ذكر وفاة سيف الدولة)

وفيها مات سيف الدولة، أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبي الربعي، وكان موته بحلب في صفر، وحمل تابوته إلى ميافارقين، فدفن بها، وكان مولده في ذي الحجة سنة ثلاث، ثلاثمائة وكان مرضه عسر البول، وهو أول من ملك حلب من بني حمدان، أخذها من أحمد بن سعيد الكلابي نائب الإخشيد وقيل إن أول من ولي حلب من بني حمدان، الحسين بن سعيد، وهوأخو أبي فراس حمدان و كان سيف الدولة شجاعاً كريماً، وله شعر فمنه ما قاله في أخيه ناصر الدولة:

وهبت لك العلياء وقد كنت أهلها ... وقلت لهم بيني وبين أخي فرق

وما كان لي عنها نكول وإنما ... تجاوزت عن حقي فتم لك الحق

أما كنت ترضى أن أكون مصلياً ... إذا كنت أرضى أن يكون لك السبق

وله:

قد جرى في دمعه دمه ... فإلى كم أنت تظلمه

ردّ عنه الطرف منك فقد ... جَرحَتْه منك أسهمه

كيف يستطيع التجلد من خطرات الوهم تؤلمه

ولما توفي سيف الدولة، ملك بلاده بعده ابنه سعد الدولة شريف، وكنيته أبو المعالي بن سيف الدولة بن حمدان.

(وفي هذه السنة) توفي أبو علي محمد بن إلياس، صاحب كرمان. (وفي هذه السنة) توفي أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الله بن مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي، الكاتب الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني، وجده مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، وهو أصفهاني الأصل، بغدادي المنشأ، وروى عن عالم كثير من العلماء، وكان عالماً بأيام الناس والأنساب والسير، وكان على أمويته متشيعاً، قيل إنه جمع كتاب الأغاني في خمسين سنة وحمله إلى سيف الدولة، فأعطاه ألف دينار، واعتذر إليه، له غيره مصنفات عدة، وصنف كتباً لبني أمية أصحاب الأندلس، وسيرها إليهم سراً وجاءه الإنعام منهم سراً، وكان منقطعاً إلى الوزير المهلبي، وله فيه مدائح، وكانت ولادته سنة أربع وثمانين ومائتين، وأسماء الكتب التي صنفها لبني أمية: نسب بني عبد شمس، وأيام العرب ألف وسبع مائة يوم، وجمهرة النسب ونسب بني سنان.

(ثم دخلت سنة سبع وخمسين وثلاثمائة) في هذه السنة استولى عضد الدولة ابن ركن الدولةبن بويه على كرمان بعد موت صاحبها علي بن إلياس.

(ذكر قتل أبي فراس بن حمدان)

وفي هذه السنة في ربيع الآخر قتل أبوفراس وكان مقيماً بحمص، فجرى بينه وبين أبي المعالي بن سيف الدولة وحشة، وطلبه أبو المعالي، فانحاز أبوفراس إلى صدد فأرسل أبو المعالي عسكر مع قرعويه، أحد قواد عسكره، فكبسوا أبا فراس في صدد، وقتلوه، وكان أبو فراس خال أبي المعالي وابن عمه، واسم أبي فراس الحارث بن أبي العلا سعيد بن حمدان بن حمدون وهو ابن عم ناصر الدولة، وسيف الدولة أسر بمنبج كما ذكرناه، وحمل إلى القسطنطينية، وأقام في الأسر أربع سنين، وله في الأسر أشعار كثيرة، وكانت منبج إقطاعه. وقال ابن خالويه. لما مات سيف الدولة عزم أبو فراس على التغلب على حمص، فاتصل خبره بأبي المعالي بن سيف الدولة وغلام أبيه قرعويه، فأرسله إليه وقاتله، فقتل في صدد وقيل بقي مجروحاً أياماً، ومات، وكان مولده سنة عشرين وثلاثمائة. وفي مقتله في صدد يقول بعضهم:

وعلمني الصد من بعده عن النوم مصرعه في صدد
فسقيا لها إذ حوت شخصه وبعداً لها حيث فيها ابتعد

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

وفي هذه السنة مات المتقي لله إبراهيم بن المقتدر في داره أعمى مخلوعاً، ودفن فيها. (وفيها) توفي علي بن قيدار الصوفي في النيسابوري.

(ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة)

(ذكر ملك المعز العلوي مصر)

في هذه السنة، سيّر المعز لدين الله أبو تميم معد بن إسماعيل المنصور بالله ابن القائم محمد بن المهدي عبيد الله القائد أبا الحسين، جوهر أغلام، والده المنصور، وجوهر رومي الجنس، فسار جوهر المذكور، في جيش كثيف إلى الديار المصرية، فاستولى عليها، وكان سبب ذلك أنه لما مات كافور الإخشيدي، اختلفت الأهواء في مصر، وتفرقت الآراء، فبلغ ذلك المعز، فجهّز العسكر إليها،فهربت العساكر الإخشيدية من جوهر المذكور قبل وصوله، ووصل القائد جوهر إلى الديار المصرية سابع عشر شعبان، وأقيمت الدعوة للمعز في الجامع العتيق في شوال، وكان الخطيب أبا محمد عبد الله بن الحسين الشمشاطي، وفي جمادى الأولى من سنة تسع وخمسين وثلاثمائة، قدم جوهر إلى جامع ابن طولون وأمر فأذن فيه بحيّ على خير العمل، ثم أذّن بعده بذلك في الجامع العتيق، وجهر في الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم ولما استقر جوهر بمصر شرع في بناء القاهرة.

(ذكر ملك عسكر المعز دمشق وغيرها من البلاد)

ولما استقر قدم جوهر بمصر، سيّر جمعاً كثيراً مع جعفر بن فلاج[1] إلى الشام، فبلغ الرملة، وبها الحسن بن عبد اللهّ بن طغج، وجرى بينهما حروب كان الظفر فيها لعسكر المعز، وأسر ابن طغج وغيره من القواد، فسيرهم جوهر إلى المعز، واستولى عساكر المعز على تلك البلاد، وجبوا أموالها.

ثم سار جعفر بن فلاج بالعساكر إلى طبرية، فوجد أهلها قد أقاموا الدعوة للمعز قبل وصوله. فسار عنها إلى دمشق، فقاتله أهلها فظفر بهم، وملك دمشق

---

(١) في الكامل: ابن فلاح الكتامي ج٧ ص٣١٠.

ونهب بعضها، وكفّ عن الباقين، وأقام الخطبة يوم الجمعة للمعز لدين اللّه العلوي، لأيام خلت من المحرم، سنة تسع وخمسين، وقطعت الخطبة العباسية، وجرى في أثناء هذه السنة بعد إقامة الخطبة العلوية، فتنة بين أهل دمشق وجعفر بن فلاج، ووقع بينهم حروب، وقطعوا الخطبة العلوية، ثم استظهر جعفر بن فلاج واستولى على دمشق، فزالت الفتن واستقرت دمشق للمعز لدين اللّه العلوي.

(ذكر اختلاف أولاد ناصر الدولة وموت أبيهم)

كان أبو تغلب وأبو البركات، وأختهما فاطمة، أولاد ناصر الدولة، من زوجته فاطمة بنت أحمد الكردية، وكانت مالكة أمرناصر الدولة، فاتفقت مع ابنها أبي تغلب، وقبضوا على ناصر الدولة على ما ذكرناه، وكان لناصر الدولة ابن آخر اسمه حمدان، كان ناصر الدولة قد أقطعه الرحبة وماردين وغيرهما، فلما قبض ناصر الدولة، كاتب ابنه حمدان يستدعيه، ليتقوى به على المذكورين، فظفر أولاده بالكتاب، فخوفوا أباهم وحذّروه، وبلغ ذلك حمدان، فعادى إخوته، وكان أشجعهم، ولما خاف أبو تغلب من أبيه ناصر الدولة، نقله إلى قلعة كواشي، وحبسه بها، وبقي ناصر الدولة محبوساً بها شهوراً، ومات ناصر الدولة الحسن بن عبد اللّه بن حمدان بن حمدون بن الحارث بن لقمان التغلبي المذكور، بقلعة كواشي، في ربيع الأول من هذه السنة، ووقع بين حمدان بن ناصر الدولة، وبين أخويه أبي تغلب وأبي بركات حروب كثيرة، قتل فيها أبو البركات، قتله أخوه حمدان. ثم قوي أبو تغلب على أخيه حمدان وطرده عن بلاده، واستولى عليها، وكان يلقب أبو تغلب بن ناصر الدولة المذكور، عدّة الدولة الغضنفر أبا تغلب.

(ذكر ما فعله الروم بالشام)

في هذه السنة دخل ملك الروم إلى الشام، ولم يمنعه أحد، فسار في البلاد إلى طرابلس، وفتح قلعة عرقة بالسيف، ثم قصد حمص، وقد أخلاها أهلها، فأحرقها ورجع إلى بلاد الساحل، فأتى عليها نهباً وتخريباً، وملك ثمانية عشر منبراً، وأقام في الشام شهرين، ثم عاد إلى بلاده، ومعه من الأسرى والغنائم ما يفوق الحصر.

(ذكر استيلاء قرعويه على حلب)

في هذه السنة استولى قرعويه غلام سيف الدولة على حلب، وأخرج ابن أستاذه أبا المعالي شريف بن سيف الدولة بن حمدان منها، فسار أبو المعالي إلى عند والدته

بميا فارقين، وأقام عندها، ثم جرى بينهما وحشة،، ثم اتفقا بعدها، ثم سار أبو المعالي فعبر الفرات وقصد حماة وأقام بها. (وفي هذه السنة) طلب سابور بن أبي طاهر القرمطي من أعمامه، أن يسلموا الأمر إليه، فحبسوه ثم أخرج ميتاً في منتصف رمضان.

(ثم دخلت سنة تسع وخمسين وثلاثمائة)

(ذكر ما ملكه الروم من البلاد)

في هذه السنة، سارت الروم إلى الشام، ففتحوا إنطاكية بالسيف، وقتلوا أهلها، وغنموا وسبوا، ثم قصدوا حلب، وقد تغلب عليها قرعويه، غلام سيف الدولة بن حمدان، بعد طرد ابن أستاذه أبي المعالي عنها، فتحصن قرعويه بالقلعة، وملك الروم مدينة حلب وحصروا القلعة، ثم اصطلحوا على مال يحمله قرعويه إلى ملك الروم في كل سنة، وكانت المصالحة بحمل المال المقرر على حلب وما معها من البلاد، وهي حماة وحمص وكفر طاب والمعرة وأفاميةوشيزر وما بين ذلك، ودفع أهل حلب الرهائن بالمال إلى الروم، فرحلت الروم عن حلب، وعادت المسلمون إليها.

(وفيها) أرسل ملك الروم إلى ملاز كرد من ارمينية جيشاً، فحصروها وفتحوها، عنوة بالسيف، وصارت البلاد كلها مسبية، ولايمنع الروم عنها مانع.

(ذكر قتل ملك الروم)

كان قد غلب على ملك الروم رجل ليس من بيت المملكة، واسمه نقفور وخرج إلى بلاد الإسلام وفتح من الشام وغيره ما ذكرناه، وطمع في ملك جميع الشام وعظمت هيبته، وكان قد قتل الملك الذي قبله، وتزوج امرأته، ثم أراد أن يخصي أولادها الذين من بيت الملك، لينقطع نسلهم، ويبقى الملك في نسل نقفور المذكور وعقبه، فعظم ذلك على أمهم التي هي زوجة نقفور، فاتفقت مع الدمستق على قتله، وأدخلت الدمستق مع جماعة في زي النساء إلى كنيسة متصلة بدار نقفور، ، فلما نام نقفور وغلقت الأبواب قامت زوجته ففتحت الباب الذي إلى جهة الكنيسة، ودعت الدمستق، فدخل على نقفور وهو نائم، فقتله وأراح الله المسلمين من شره، وأقام الدمستق أحد أولادها الذي من بيت الملك في الملك، والدمستق عندهم اسم لكل من يلي بلاد الروم التي هي شرقي خليج قسطنطينية.

(ذكر استيلاء أبي تغلب بن ناصر الدولة على حرّان[1])

في هذه السنة سار أبو تغلب إلى حَرّان وحاصرها مدة وفتحها بالأمان، فاستعمل على حران البرقعيدي، وهو من أكابر أصحاب بني حَمْدان، ثم عاد أبو تغلب إلى المَوْصِل.

(ذكر غيرذلك من الحوادث)

في هذه السنة اصطلح قرعويه مع ابن أستاذه أبي المعالي، وخطب له بحلب، وكان أبو المعالي حينئذ بحمص، وخطب أيضا بحمص وحلب للمعز لدين الله العلوي، صاحب مصر، وخطب بمكة للمطيع، وبالمدينة النبوية للمعز، وخطب أبو محمد الموسوي والد الشريف الرضي خارج المدينة للمطيع.

(وفي هذه السنة) مات محمد بن داود الدينوري، المعروف بالرقي وهو من مشاهير مشايخ الصوفية، والقاضي أبو العلا محارب بن محمد بن محارب، الفقيه الشافعي، وكان عالماً بالفقه والكلام.

(ثم دخلت سنة ستين وثلاثمائة)

(ذكر ملك القرامطة دمشق)

في هذه السنة، في ذي القعدة، وصلت القرامطة إلى دمشق، وبلغ خبرهم جعفر ابن فلاج، نائب المعز لدين الله، فاستهان بهم، فكبسوه خارج دمشق وقتلوه، وملكوا دمشق وأمنوا أهلها، ثم ساروا إلى الرملة فملكوها، ثم اجتمع إليهم خلق من الإخشيدية. فقصدوا مصر، ونزلوا بعين شمس، وجرى بنيهم وبين المغاربة وجوهر قتال، انتصرت فيه القرامطة، ثم انتصرت المغاربة، فرحلت القرامطة وعادوا إلى الشام، وكان كبير القرامطة حينئذ اسمه الحسن بن أحمد بن بهرام.

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(في هذه السنة) ، استوزر مؤيد الدولة بن ركن الدولة، الصاحب أبا القاسم ابن عباد. (وفيها) مات أبوالقاسم سليمان بن أيوب الطبراني، صاحب المعاجم الثلاثة بأصفهان، وكان عمره مائة سنة.(وفيها) توفي السري الرفاء الشاعر الموصلي ببغداد.

---

(١) حران: مدينة مشهورة من مدن الجزيرة السورية.

(ثم دخلت سنة إحدى وستين وثلاثمائة) في هذه السنة وصلت الروم إلى الجزيرة والرها ونصيبين، فغنموا وقتلوا، ووصل المسلمون إلى بغداد مستصرخين، فثارت العامة. وجرى في بغداد فتن كثيرة، واستغاثوا إلى بختيار وهو في الصيد، فوعدهم الخروج إلى الغزاة، وأرسل بختيار يطلب من الخليفة المطيع مالاً، فقال المطيع: أنا ليس لي غير الخطبة، فإن أحببتم اعتزلت، فتهدده بختيار، فباع الخليفة قماشه[1] وغيرذلك، حتى حمل إلى بختيار أربعمائة ألف درهم، فانفقها بختيار وأخرجها في مصالح نفسه، وبطل حديث الغزاة، وشاع في الناس أن الخليفة صودِرَ.

(ذكر مسير المعز لدين الله العلوي إلى مصر)

وفي هذه السنة سار المعز من افريقية، في أواخر شوال واستعمل على بلاد إفريقية يوسف، ويسمى بلكين بن زيري بن مناذ[2] الصنهاجي، وجعل على بلاد صقلية أبا القاسم علي بن الحسين بن علي بن أبي الحسين، وعلى طرابلس الغرب عبد الله بن يخلف الكتامي، واستصحب المعز معه أهله وخزانته، وفيها أموال عظيمة، حتى سبك الدنانير وعملها مثل الطواحين، وشالها على جمال، ولما وصل إلى برقة ومعه محمد بن هاني الشاعر الأندلسي، قتل غيلة، لا يدري من قتله، وكان شاعراً مجيداً، وغالى في مدح المعز حتى كفر في شعره، فمما قاله:

ماشئتَ لا ماشاءَتِ الأقدارُ فاحكمْ فأنتَ الواحد القهارُ

ثم سار المعز حتى وصل إلى الإسكندرية في أواخر شعبان، سنة اثنتين وستين وثلاثمائة، وأتاه أهل مصر وأعيانها فلقيهم وأكرمهم، ودخل القاهرة خامس شهر رمضان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة.

(ذكر غيرذلك من الحوادث)

في هذه السنة،تمّ الصلح بين منصور بن نوح الساماني، صاحب خراسان وبين ركن الدولة بن بويه، على أن يحمل ركن الدولة إليه في كل سنة مائة ألف دينار وخمسين ألف دينار، وتزوج منصور بابنة عضد الدولة. (وفيها) ملك أبو تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان قلعة ماردين، سلمها إليه نائب أخيه حمدان، فأخذ أبو تغلب كل ما لأخيه فيها من مال وسلاح.

---

(١) ورد في الكامل : فاحتاج الى بيع ثيابه وانقاض داره وغير ذلك ج٧ ص٣٣٠.
(٢) في الكامل زيري بن مناد .ج٧ ص٣٣٠.

(ثم دخلت سنة اثنتين وستين وثلاثمائة) فيها وصل الدمستق إلى جهة ميافارقين، فنهب واستهان بالمسلمين، فجهز أبو تغلب بن ناصر الدولة، أخاه هبة الله بن ناصر الدولة، في جيش، فالتقوا مع الدمستق، فانهزمت الروم، وأُخذ الدمستق أسيراً، وبقي في الحبس عند أبي تغلب، ومرض فعالجه أبو تغلب، فلم ينجع فيه، ومات الدمستق في الحبس

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

في هذه السنة استوزر عز الدولة،بختيار، محمد بن بقية، فعجب الناس. من ذلك، لأن ابن بقية كان وضيعاً في نفسه من أهل أوانا، وكان أبوه أحد الزراعين. (وفي هذه السنة) حصلت الوحشة بين بختيار وبين أصحابه من الديلم والأتراك.

(ثم دخلت سنة ثلاث وستين وثلاثمائة)



(ذكر خلع المطيع وخلافة ابنه الطايع)

كان بختيار قد سار إلى الأهواز، وتخلف سبكتكين التركي عنه ببغداد، فأوقع بختيار بمن معه من الأتراك، واحتاط على إقطاع سبكتكين،فخرج عليه سبكتكين ببغداد فيمن بقي معه من الأتراك، ونهب دار بختيار ببغداد، ولما حكم سبكتكين، رأى المطيع عاجزاً من المرض، وقد ثقل لسانه، وتعذرت الحركة عليه، وكان المطيع يستر ذلك، فلما انكشف لسبكتكين، دعاه إلى أن يخلع نفسه من الخلافة، ويسلمها إلى ولده الطايع، فأجاب إلى ذلك، وخلع المطيع لله المفضل نفسه، في منتصف ذي القعدة من هذه السنة، أعني سنة ثلاث وستين وثلاثمائة وكانت مدة خلافته تسعاً وعشرين سنة وخمسة أشهر غير أيام.

وبويع الطايع لله وهو رابع عشرينهم، واسمه عبد الكريم بن المفضل المطيع لله بن جعفر المقتدر بن المعتضد أحمد، وكنية الطايع المذكور أبو بكر، واستقر أمره.

(ذكر أحوال المعز العلوي)

وفي هذه السنة سارت القرامطة إلى ديار مصر، وجرى بينهم وبين المعز حروب، آخرها أن القرامطة انهزمت، وقتل منهم خلق كثير، وأرسل المعز في أثرهم عشرة آلاف فارس، فسارت القرامطة إلى الإحساء والقطيف، ولما انهزمت القرامطة وفارقوا الشام، أرسل المعز لدين الله القائد ظالم بن موهوب العقيلي إلى دمشق فدخلها، وعظم حاله وكثرت جموعه. ثم وقع بين أهل دمشق والمغاربة وعاملهم المذكور فتن كثيرة، وأحرقوا بعض دمشق، ودامت الفتن بينهم إلى سنة أربع وستين وثلاثمائة.

(ذكر حال بختيار)

لمّا جرى لبختيار وسبكتكين والأتراك ما ذكرناه، انحدر سبكتكين بالأتراك إلى واسط، وأخذوا معهم الخليفة الطايع، والمطيع وهو مخلوع، فمات المطيع بدير العاقول، ومرض سبكتكين ومات أيضاً، وحملا إلى بغداد، وقدّم الأتراك عليهم

افتكين[١] وهو من أكابر قوادهم، وساروا إلى واسط، وبها بختيار، فنزلوا قريباً منه، ووقع القتال بين الأتراك وبختيار قريب خمسين يوما، والظفر للأتراك ورُسُل بختيار متتابعة إلى ابن عمه عضد الدولة، بالحث والإسراع، وكتب إليه:

فإن كنتُ ماكولاً فكن انت آكلي وإلا فادركني ولما أمزق

فسار عضد الدولة إليه، وخرجت هذه السنة والحال على ذلك. (وفي هذه السنة) انتهى تاريخ ثابت بن قره، وابتداؤه من خلافة المقتدر، سنة خمس وتسعين ومائتين.

(ثم دخلت سنة أربع وستين وثلاثمائة)

(ذكر استيلاء عضد الدولة على العراق)

والقبض على بختيار، في هذه السنة سار عضد الدولة بعساكر فارس، لما أتاه مكاتبات بختيار كما ذكرناه، فلما قارب واسط، رجع افتكين والأتراك إلى بغداد، وسار عضد الدولة من الجانب الشرقي، وأمر بختيار أن يسير في الجانب الغربي إلى نحو بغداد، وخرجت الأتراك من بغداد، وقاتلوا عضد الدولة،فانهزمت الأتراك وقتل بينهم خلق كثير، وكانت الوقعة بينهم رابع عشر جمادى الأولى من هذه السنة، وسار عضد الدولة فدخل بغداد، وكان الأتراك قد أخذوا الخليفة معهم، فرده عضد الدولة إلى بغداد، فوصل الخليفة إلى بغداد في الماء، ثامن رجب من هذه السنة.

ولمّا استقر عضد الدولة ببغداد، شغبت الجند على بختيار يطلبون أرزاقهم، ولم يكن قد بقي مع بختيار شيء من الاموال، فاشار عضد الدولة على بختيار أن يغلق بابه، ويتبرأ من الإمرة، ليصلح الحال مع الجند. ففعل بختيار ذلك، وصرف كتّابه وحجابه، فأشهد عضد الدولة الناس على بختيار، أنه عاجز وقد استعفى من الإمرة، عجزاً عنها، ثم استدعى عضد الدولة بختيار و إخوته إليه ، وقبض عليهم في السادس والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة، واستقر عضد الدولة ببغداد، وعظم أمر الخليفة وحمل إليه مالاً كثيراً وأمتعة.

(ذكر عود بختيار إلى ملكه)

لما قبض بختيار، كان ولده المرزبان بالبصرة متولياً لها، فلما بلغه قبض والده

(١) في الكامل: الفتكين ج٧ ص٣٤٧.

كتب إلى ركن الدولة يشكو إليه ذلك، فلما بلغ ركن الدولة ذلك، عظم عليه حتى القى نفسه إلى الارض، وامتنع عن الأكل والشرب، حتى مرض وأنكر على عضد الدولة أشد الإنكار. فأرسل عضد الدولة يسأل أباه في أن يعوض بختيار مملكة فارس، فأراد ركن الدولة قتل الرسول وقال: إن لم يعد بختيار إلى مملكته وإلاّ سرت إليه بنفسي، وكان قد سيّرعضد الدولة أبا الفتح بن العميد إلى والده ركن الدولة أيضاً، في تلطيف الحال، فرده ركن الدولة أقبح رد، فلما رأى عضد الدولة اضطراب الأمورعليه بسبب غضب أبيه، اضطر إلى امتثال أمره، فأخرج بختيار من محبسه، وخلع عليه، وأعاده إلى ملكه وسار عضد الدولة إلى فارس في شوال من هذه السنة.

(ذكر استيلاء أفتكين على دمشق)

كان أفتكين من موالي معز الدولة بن بويه، وكان تركيا، فلما انهزم من بختيار عند قدوم عضد الدولة، حسبما ذكرناه، سار إلى حمص، ثم إلى دمشق، وأميرها ريان الخادم، من جهة المعز العلوي فاتفق أهل دمشق مع أفتكين وأخرجوا ريان الخادم، وقطعوا خطبة المعز في شعبان، واستولى أفتكين على دمشق، فعزم المعز العلوي على المسير من مصر إلى الشام لقتال أفتكين، فاتفق موت المعز في تلك الأيام على مانذكره وتولى ابنه العزيز، فجهز القائد جوهراً إلى الشام. فوصل إلى دمشق وحصر أفتكين بها فارسل أفتكين إلى القرامطة فساروا إلى دمشق، فلما قربوا منها رحل جوهر عائداً إلى جهة مصر فسار أفتكين والقرامطة في أثره، واجتمع معهم خلق عظيم فلحقوا جوهراً قرب الرملة، فرأى جوهر ضعفه عنهم، فدخل عسقلان، فحصروه بها حتى أشرف جوهر وعسكره على الهلاك من الجوع، فراسل جوهر أفتكين، وبذل له أموالاً عظيمة في أن يمنّ عليه ويطلقه، فرحل عنه أفتكين.

وسار جوهر إلى مصر، وأعلم العزيز بصورة الحال، فخرج العزيز بنفسه وسار إلى الشام، فوصل إلى ظاهر الرملة، وسارإليه أفتكين والقرامطة، والتقوا، وجرى بينهم قتال شديد، وانهزم أفتكين والقرامطة، وكثر فيهم القتل والأسر، وجعل العزيز لمن يحضر أفتكين مائة الف دينار، وتم أفتكين هاربا حتى نزل ببيت مفرج بن دغفل الطائي فأمسكه مفرج بن دغفل المذكور، وكان صاحب أفتكين، وحضر مفرج إلى العزيز وأعلمه بأسر أفتكين، وطلب منه المال فأعطاه ما ضمنه، وأرسل معه من أحضر أفتكين، فلما حضر أفتكين ممسوكاً بين يدي العزيز أطلقه ونصب له خيمة، وأطلق من كان في الأسر من أصحابه، وحمل العزيز إليه أموالاً وخلعاً، ثم عاد العزيز إلى مصر

وأفتكين صحبته، على أعظم ما يكون من المنزلة، وبقي كذلك حتى مات افتكين بمصر.

(ثم دخلت سنة خمس وستين وثلاثمائة)

(ذكر وفاة المعز العلوي وولاية ابنه العزيز)

في هذه السنة توفي المعز لدين الله أبو تميم معد بن المنصور بالله إسماعيل ابن القائم بأمر الله أبي القاسم محمدبن المهدي عبيد الله العلوي الحسيني بمصر، في سابع عشر ربيع الأول وولد بالمهدية من إفريقية، حادي عشر شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلاثمائة فيكون عمره خمساً وأربعين سنة وستة أشهر تقريباً، وكان مغواً بالنجوم،ويعمل بأقوال المنجمين، وكان فاضلاً، ولمامات المعز أخفى العزيز ابنه موته، وأظهره في عيد النحر من هذه السنة،وبايعه الناس.

(ذكرغيرذلك من الحوادث)

في أواخر هذه السنة وأول التي بعدها سار أبو القاسم بن الحسن بن علي بن أبي الحسين أمير صقلية إلى الغزوة ففتح مدينة مسينةثم عدى إلى كتنه[1] ففتحها،وفتح قلعة جلوى وبث سراياه في نواحي قلورية، وغنم وسبى وفتح غير ذلك من تلك البلاد. (وفيها) خطب للعزيز العلوي بمكة. (وفيها) توفي ثابت بن سنان ابن قرة الصابي صاحب التاريخ. (وفيها) وقيل بل في سنةست وستين وثلاثمائة، وقيل في سنة ست وثلاثين وثلاثمائة توفي أبو بكر واسمه محمد بن علي بن إسماعيل القفال الشاشي الفقيه الشافعي إمام عصره، لم يكن بماوراء النهر في وقته مثله، رحل إلى العراق والشام والحجاز، وأخذ الفقه عن ابن سريج، وروى عن محمدبن جرير الطبري وأقرانه، وروى عنه الحاكم بن منده، وجماعة كثيرة، وأبو بكر القفال المذكور، هو والد قاسم صاحب كتاب التقريب، الذي ينقل عنه في النهاية والوسيط والبسيط، وذكره الغزالي في الباب الثاني من كتاب الرهن، لكنه قال أبو القاسم، وهو غلط، وصوابه القاسم وهذا التقريب غير التقريب الذي لسليم الرازي، فإن التقريب الذي للقاسم بن القفال الشاشي قليل الوجود، بخلاف تقريب سليم الرازي. والشاشي منسوب إلى الشاش، وهي مدينة وراء نهر سيحون في أرض الترك، وأبو بكر محمد الشاشي المذكور، غير أبي بكر محمد الشاشي صاحب العمدة،

(١) في الكامل : كسنته . ج٧ ص٣٦٢ .

والكتاب المستظهري الذي سنذكره إن شاء الله تعالى في سنة سبع وخمس مائة المتأخر عن الشاشي القفال المذكور.

(ثم دخلت سنة ست وستين وثلاثمائة)

(ذكر وفاة ركن الدولة وملك عضد الدولة)

في هذه السنة في المحرم، توفي ركن الدولة الحسن بن بويه، واستخلف على ممالكه ابنه عضد الدولة، وكان عمر ركن الدولة قد زاد على سبعين سنة، وكانت إمارته أربعاً وأربعين سنة، وأصيب به الدين والدنيا جميعاً لاستكمال خلال الخير فيه، وعقد لولده، فخر الدولة على همدان، وأعمال الجبل، لولده مؤيد الدولة على أصفهان وأعمالها، وجعلهماتحت حكم أخيهما عضد في هذه البلاد.

(ذكر مسير عضدالدولة إلى العراق)

وفيها بعد وفاة ركن الدولة، سار عضد الدولة إلى العراق، فخرج بختيار إلى قتاله، فاقتتلا بالأهواز، وخامر أكثر جيش بختيار عليه، فانهزم بختيار إلى واسط، وبعث عضدالدولة عسكراً فاستولوا على البصرة، ثم سار بختيار إلى بغداد، وسار عضد الدولة إلى البصرة، وتلك النواحي، وقرر أمورها، واستمر الحال على ذلك حتى خرجت هذه السنة.

(ذكر ابتداء دولة آل سبكتكين)

وفي هذه السنة ملك سبكتيكين مدينة غزنة[١]. وكان سبكتكين من غلمان أبي إسحاق بن البتكين، صاحب جيش غزنة للسامانية، وكان سبكتكين مقدماً عند مولاه أبي إسحاق، لعقله وشجاعته، فلما مات أبو إسحق ولم يكن له ولد، اتفق العسكر وولوا سبكتكين عليهم لكمال صفات الخير فيه، وحلفوا له وأطاعوه، ثم إن سبكتكين عظم شأنه وارتفع قدره وغزا بلاد الهند واستولى على بُسْت[٢] وقُصْدار[٣].

(ذكر غير ذلك من لحوادث)

فيها مات منصوربن نوح بن نصر بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد بن أسد بن

---

(١) غزنة: مدينة عظيمة وولاية واسعة في طرف خراسان. البلدان ٤ / ٢٠١.

(٢) بُسْت: مدينة بين سجستان وغزنين وهراة. الكامل ج٧ ص٣٧٣.

(٣) قصدار: ناحية مشهورة قرب غزنة. الكامل ج٧ ص٣٧٣.

سامان، صاحب خراسان وماوراء النهر في منتصف شوال، في بخارى،وكانت ولايته نحو خمس عشرة سنة، وولي الأمر بعده ابنه نوح بن منصور، وعمره نحو ثلاث عشرة سنة(وفيها) مات القاضي منذر بن سعيد البلوطي، قاضي قضاة الأندلس، وكان إماماً فقيهاً خطيباً شاعراً ذا دين متين، (وفيها) قبض عضد الدولة على أبي الفتح بن العميد وزير أبيه وسمل عينه الواحدة، وقطع أنفه ، وكان أبو الفتح ليلة قبض، قد أمسى مسروراً، وأحضر ندماءه، وأظهر من الآلات الذهبية والزجاج المليح، وأنواع الطيب، ماليس لأحد مثله، وشربوا وعمل شعراً، وغني له به وهو:

دعوتُ المنى ودعوتُ العلى   فلما أجابا دعوتُ القَدَح

وقلتُ لأيام شرخِ الشبابِ   إليّ فهذا أوان الفرح

إذا بلغ المرء آماله   ليس له بعدها مقترح

فطاب عليه وشرب حتى سكر ونام، فقبض عليه في السحر من تلك الليلة

(ذكر وفاة الحكم الأموي صاحب الأندلس الملقب بالمستنصر)

في هذه السنة توفي الحكم بن عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي، صاحب الأندلس وكانت إمارته خمس عشرة سنة، وخمسة أشهر، وعمره ثلاثاً وستين سنة وسبعة أشهر، وكان فقيهاً عالماً بالتاريخ، وغيره، وعهد إلى ابنه هشام بن الحكم، وعمره عشر سنين ولقبّه المؤيد بالله فلما مات بايع الناس ابنه هشاماً، ولما بويع المؤيد هشام بالخلافة، وكان عمره عشرة أعوام، فتولى حجابته وتنفيذ أموره أبو عامر محمد بن عبد الله بن أبي عامر محمد ابن الوليد بن يزيد المعافري القحطاني، ويلقّب أبو عامر المذكور، بالمنصور، واستولى على الدولة وحجب المؤيد، ولم يترك أحداً يصل إليه ولا يراه واستبدّ بالأمر، وأصل المنصور بن أبي عامر المذكور من الجزيرة الخضراء من الأندلس،من قرية من أعمالها تسمى طرش، واشتغل المنصور بالعلوم في قرطبة وكانت له نفس شريفة، فبلغ معالي الأمور، واجتمعت عنده الفضلاء وأكثر الغزو والجهاد في الفرنج، حتى بلغت عدة غزواته نيفاً وخمسين غزوة، ومن عجائب الاتفاقات أن صاعد بن الحسن اللغوي، أهدى إلى المنصور المذكور أيلاً مربوطاً في رقبته بحبل، وأحضر مع الأيل أبياتاً يمتدح المنصور فيها، وكان المنصور قد أرسل عسكراً لغزو الفرنج،

وملكهم إذ ذاك اسمه غرسية بن سانجة، والأبيات كثيرة منها:

عبد نشلت بضبعه وعرسته ... في نعمة أهدى إليك بأيل

سميته غرسية وبعثته ... في حبله ليتاح فيه تفاؤلي

فلان قبلت فتلك أسنى نعمة ... اسدى بها ذو منحة وتطول

فقضى الله في سابق علمه، أن عسكره أسروا غرسية في ذلك اليوم الذي أهدي فيه الأيل بعينه، وكان أسر غرسية. وهذه الواقعة في ربيع الآخر سنة خمس وثمانين وثلاثمائة، وبقي المنصور على منزلته حتى توفي في سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة على ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

(ذكر عود شريف إلى ملك حلب)

فيها عاد أبوالمعالي شريف بن سيف الدولة إلى ملك حلب، وسببه أنه لما جرى بين قرعويه وبين أبي المعالي ما قدمنا ذكره من استيلاء قرعويه على حلب، ومقام أبي المعالي بحماة، وصل إلى أبي المعالي وهو بحماة، مارقطاش[١] مولى أبيه من حصن برزية[٢] وخدمه وعمر له مدينة حمص، بعد ما كان قد أخربها الروم، وكان لقرعويه مولى يقال له بكجور وقد جعله قرعويه نائبه، فقوي بكجور واستفحل أمره، وقبض على مولاه قرعويه، وحبسه في قلعة حلب، واستولى بكجور على حلب وكاتب أهلها أبا المعالي، فسار أبو المعالي إلى حلب، وأنزل بكجور بالأمان، وحلف له أنه يوليه حمص، فنزل بكجور وولاه أبو المعالي حمص، واستقر أبوالمعالي مالكاً لحلب.

(ذكر غير ذلك)

(في هذه السنة) توفي بهستون بن وشمكير بجرجان، واستولى على طبرستان وعلى جرجان أخوه قابوس بن وشمكير بن زيار. (وفيها) توفي يوسف بن الحسن الجنابي القرمطي صاحب هجر، ومولده سنة ثمانين ومائتين، وتولى أمر القرامطة بعده ستة نفر شركة، وسموا السادة.

(ثم دخلت سنة سبع وستين وثلاثمائة)

---

(١) في الكامل: بارقتاش ج٧ ص٣٧٢.

(٢) في الكامل: برزوية ج٧ ص٣٧٢.

(ذكر استيلاء عضد الدولة على العراق وغيره وقتل بختيار)

وفي هذه السنة سارعضد الدولة إلى العراق. وكتب إلى بختيار يقول له اخرج عن هذه البلاد، وأنا أعطيك أي بلاد اخترت غيرها. فمال بختيار إلى ذلك، وأرسل له عضد الدولة خلعة فلبسها، وسار بختيار إلى نحو الشام، ودخل عضد الدولة بغداد واستقر فيها، وقتل ابن بقية وزير بختيار وصلبه، ورثاه أبو الحسن الأنباري بقصيدته المشهورة التي منها:

علو في الحياة وفي الممات ... لحق أنت إحدى المعجزات
كأن الناسَ حولك حين قاموا ... وفودُ نداك أيام الصلات
مَدَدْتَ يديكَ نحوهم اقتفاء ... كمدهما إليهم في الهبات
ولما ضاق بطن الأرض عن أن ... يضم علاك من بعد الممات
أصاروا الجو قبرك واستنابوا ... الأكفان ثوب السافيات
لعظمك في النفوس تبيتُ ترعى ... بحرّاس وحفاظ ثقات
وتُشعل عندك النيران ليلاً ... كذلك كنت أيام الحياة

وسار مع بختيار، حمدان بن ناصر الدولة، فاطمعه حمدان في ملك الموصل، وحسن له ذلك، وهون عليه أمر أخيه أبي تغلب، فسار بختيار إلى جهة الموصل، فأرسل أبو تغلب يقول لبختيار: إن سلمت إليّ أخي حمدان، صرت معك وقاتلت عضدالدولة، وأخرجته من العراق، فقبض بختيار على حمدان، وحبله وسلّمه إلى أخيه أبي تغلب، وارتكب فيه من الغدر أمراً شنيعاً، فحبسه أخوه أبو تغلب واجتمع أبو تغلب بعساكره مع بختيار، وقصدا عضد الدولة، فخرج عضد الدولة من بغداد نحوهما، والتقوا بقصر الجص من نواحي تكريت، ثامن شوال من هذه السنة، فهزمهما عضد الدولة وأمسك بختيار أسيراً فقتله، ثم سار عضد الدولة نحو الموصل فملكها وهرب أبو تغلب إلى نحو ميافارقين، فأرسل عضد الدولة جيشاً في طلبه ومقدّمهم أبو الوفاء فلما وصلوا إلى ميا فارقين هرب أبوتغلب إلى بدليس[1]، وتبعه عسكر عضد الدولة، فهرب إلى نحو بلاد الروم. فلحقه العسكر، وجرى بينهم قتال،فانتصر أبو تغلب وهزم عسكر عضد الدولة، ثم سار أبو تغلب إلى حصن زياد، ويعرف الآن بخرت برت، ثم سار إلى آمد، واقام بها، وفيها توفي ظهير الدولة بهستون ابن وشمكير، وملك بعده أخوه شمس المعالي قابوس بن وشمكير.

---

(١) بدليس: بلدة في نواحي أرمينية قرب خِلاط ذات بساتين كثيرة. الكامل ج٧ ص٣٧٩.

(وفيها) توفي محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن قريعة البغدادي، وكان قاضي السندية وغيرها من أعمال بغداد، وكان إحدى عجائب الدنيا في سرعة البديهة بالجواب عن جميع ما يسأل عنه، في أفصح لفظ وأملح سجَع. وكان مختصاً بصحبة الوزير المهلبي، وكان رؤساء العصر يلاعبونه ويكتبون إليه المسائل المضحكة، فيكتب الجواب من غير توقف، وكان الوزير المهلبي يغري به جماعة يضعون له الأسئلة الهزلية ليجيب عنها، فمن ذلك ما كتب إليه به العباس بن المعلى الكاتب، ما يقول القاضي وفقه الله تعالى،في يهودي زنى بنصرانية فولدت ولداً جسمه للبشر ووجهه للبقر، وقد قبض عليهما، فما يرى القاضي فيهما؟ فكتب الجواب بديهاً: هذا من أعدل الشهود على اليهود، بأنهم شربوا العجل في صدورهم فخرج من أيورهم، وأرى أن يناط برأس اليهودي رأس العجل ويصلب على عنق النصرانية الساق مع الرجل، ويسحبا على الأرض وينادى عليهما، ظلماتٌ بعضها فوق بعض والسلام. والسندية: قرية على نهر عيسى، بين بغداد والأنبار، وينسب إليها سندواني، ليحصل الفرق بين النسبة إليها وبين النسبة إلى بلاد السند.

(ثم دخلت سنة ثمان وستين وثلاثمائة) فيها فتح أبو الوفا مقدم عسكر عضد الدولة ميا فارقين بالأمان، فلما سمع أبو تغلب بفتحها، سار عن آمد نحو الرحبة، ثم سار عسكر عضدالدولة مع أبي الوفاء، ففتحوا آمد واستولى عضد الدولة على جميع ديار بكر،ثم استولى على ديار مضر - بالضاد المعجمة - والرحب، ولما استولى عضدالدولة على جميع مملكة أبي تغلب، واستخلف أبا الوفاء على الموصل، وسار عضد الدولة ودخل بغداد. وأما أبو تغلب فإنه سار إلى دمشق، وكان قد تغلب على دمشق (قسام) وهو شخص كان يثق إليه افتكين ويقدمه، فاستولى قسام على دمشق، وكان يخطب فيها للعزيز صاحب مصر، فلما وصل أبو تغلب إلى د مشق، قاتله قسام ومنعه من دخول دمشق، فسار أبو تغلب إلى طبرية.

(ذكر غيرذلك من الحوادث)

في هذه السنة توفي القاضي أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي النحوي مصنف شرح كتاب سيبويه، وكان فاضلاً فقيهاً مهندساً منطقياً وعمره أربع وثمانون سنة، وولي بعده أبو محمد بن معروف، الحكم بالجانب الشرقي ببغداد.

(ثم دخلت سنة تسع وستين وثلاثمائة)

(ذكر مقتل أبي تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان)

كان أبو تغلب قد سار عن دمشق إلى طبرية، كما ذكرناه، ثم سار إلى الرملة في المحرم من هذه السنة، وكان بتلك الجهة دغفل بن مفرج الطائي، وقائد من قواد العزيز اسمه الفضل، ومعه عسكر قد جهزه العزيز إلى الشام، فساروا لقتال أبي تغلب، ولم يبق مع أبي تغلب غير سبع مائة رجل من غلمانه، وغلمان أبيه، فولى أبوتغلب منهزماً، وتبعوه فأخذوه أسيراً، فقتله دغفل وبعث برأسه إلى العزيز بمصر، وكان معه أخته جميلة بنت ناصر الدولة، وزوجته بنت عمه سيف الدولة، فحملهما بنوعقيل إلى حلب، وبها ابن سيف الدولة فترك أخته عنده، وأرسل جميلة بنت ناصر الدولة إلى بغداد، فاعتقلت في حجرة في دار عضد الدولة.

(ذكر وفاة عمران بن شاهين صاحب البطيحة)
(وأخباره وولاية ابنه الحسن بن عمران)

كان عمران بن شاهين من أهل بلدة تسمى الجامدة[1]، فجنى جنايات وخاف من السلطان فهرب إلى البطيحة،[2] وأقام بين القصب والآجام، واقتصر على ما يصيده من السمك وطيورالماء، واجتمع إليه جماعة من الصيادين واللصوص، فقوي بهم، فلما استفحل أمره واشتدت شوكته، اتخذ له معاقل على التلال التي بالبطيحة، وغلب على تلك النواحي واستولى عليها في سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة في أيام معز الدولة، فأرسل إلى قتاله معز الدولة العسكر مرة ثم أخرى، فلم يظفر به، ومات معز الدولة وعسكره محاصر عمران المذكور، وتولى بختيار، فأمر العسكر بالعود إلى بغداد، فعادوا ثم جرى بين بختيار وبين عمران عدة حروب، فلم يظفر منه بشيء، وطلبه الملوك والخلفاء، وبذلوا جهدهم بأنواع الحيل، فلم يظفروا منه بشيء، ومات في مملكته في هذه السنة، في المحرم فجاة حتف أنفه، وكانت مدة ولايته من حين ابتداء أمره، قريب أربعين سنة، ولما مات تولى مكانه على البطيحة ابنه الحسن بن عمران بن شاهين، فطمع فيه عضد الدولة، وأرسل إليه عسكراً، ثم اصطلحوا على مال يحمله الحسن بن عمران إلى عضد الدولة في كل سنة.

(ذكر غيرذلك من الحوادث)

في هذه السنة سارعضد الدولة إلى بلاد أخيه فخر الدولة، لوحشة جرت

---

(١) الجامدة : قرية كبيرة جامعة من أعمال واسط بينها وبين البصرة. البلدان ٢ /٩٥

(٢) البطيحة : أرض واسعة بين واسط والبصرة. البلدان ١ / ٤٥٠.

بينهما، فهرب فخر الدولة، ولحق بشمس المعالي قابوس بن وشمكير، فأكرمه قابوس إلى غاية ما يكون، وملك عضد الدولة بلاد أخيه فخر الدولة علي، وهي همدان والري وما بينهما من البلاد، ثم سار عضد الدولة إلى بلاد حسنويه الكردي فاستولى عليها أيضاً، ولحق عضد الدولة في هذه السفرة صرع، فكتمه وصار كثير النسيان لا يذكر الشيء إلا بعد جهد، وكتم ذلك أيضاً، وهذا دأب الدنيا لا تصفو لأحد.

(وفي هذه السنة) أرسل عضد الدولة جيشاً إلى الأكراد الهكارية، من أعمال الموصل، فأوقع بهم وحاصرهم، فسلموا قلاعهم إليه، ونزلوا مع العسكر إلى الموصل، (وفيها) تزوج الطائع لله ابنة عضد الدولة. (وفيها) توفي الحسين بن زكريا اللغوي صاحب كتاب المجمل في اللغة، وغيره. (وفيها) توفي ثابت بن إبراهيم الحراني المتطبب الصابي، وكان حاذقاً في الطب.

(ثم دخلت سنة سبعين وثلاثمائة) فيها توفي الأحدب المزور، كان يكتب على خط كل أحد، فلا يشك المكتوب عنه أنه خطه، وكان عضد الدولة يوقع بخطه بين الملوك الذين يريد الإيقاع بينهم، بما يقتضيه الحال في الإفساد بينهم. (وفيها) ورد على عضد الدولة هدية من صاحب اليمن، فيها قطعة واحدة من العنبر، وزنها ستة وخمسون رطلاً بالبغدادي.

(وفيها) توفي الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة اللغوي الإمام المشهور، كان فقيهاً شافعي المذهب فغلبت عليه اللغة، واشتغل بها، وصنف في اللغة كتاب التهذيب، ويكون أكثر من عشرة مجلدات، وله تصنيف في غريب الألفاظ التي يستعملها الفقهاء. وولد سنة اثنتين وثمانين ومائتين، والأزهري منسوب إلى جده الأزهر.

(ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة) وفيها استولى عضد الدولة على بلاد جرجان وطبرستان، وأجلى عنها صاحبها قابوس بن وشمكير ومعه فخر الدولة علي أخو عضد الدولة، وكان ذلك بسبب أن عضد الدولة، طلب من قابوس أن يسلم إليه أخاه فخر الدولة علياً، فامتنع قابوس عن ذلك. (وفيها) قبض عضد الدولة على القاضي المحسن بن علي التنوخي الحنفي، وكان شديد التعصب على الشافعي، يطلق لسانه فيه. (وفيها) أفرج عضد الدولة عن أبي إسحق إبراهيم الصابي، وكان قد قبض عليه سنة سبع وستين بسبب أنه كان ينصح في المكاتبات لصاحبه بختيار، وهذا من العجب فإنه ما ينبغي أن تجعل مناصحة الإنسان لصاحبه وعدم مخامرته

ذنباً. (وفيها) أرسل عضد الدولة القاضي أبا بكر محمد بن الطيب الأشعري، المعروف بابن الباقلاني، إلى ملك الروم في جواب رسالةوردت عليه منه. (وفيها) توفي أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الإسماعيلي، الفقيه الشافعي الجرجاني، والإمام محمد بن أحمد بن عبد الله المروزي،الفقيه الشافعي، وكان عالماً بالحديث وغيره، وروى صحيح البخاري عن الفريري.

(ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة)في هذه السنة سيّر العزيز بالله العلوي صاحب مصر، جيشاً مع بكتكين إلى الشام،فوصلوا إلى فلسطين، وكان قد استولي عليها مفرج بن الجراح، وكثر جمعه،فجرى بينهم قتال شديد، فانهزم ابن الجراح وجماعته، وكثر القتل والنهب فيهم، ثم سار بكتكين إلى دمشق، فقاتله قسام المتولي عليها، فغلبه بكتكين وملك دمشق، وأمسك قساماً وأرسله إلى العزيز بمصر، واستقر بدمشق وزالت الفتن.

(ذكر وفاة عضد الدولة)

في ثامن شوال من هذه السنة، مات عضد الدولة فناخسرو بن ركن الدولة حسن بن بويه، بمعاودة الصرع مرة بعد أخرى، وحمل إلى مشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه فدفن به، وكانت ولايته بالعراق خمس سنين ونصفاً، وكان عمره سبعاً وأربعين سنة، وقيل إنه لما احتضر لم ينطق لسانه إلا بتلاوة ﴿ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه﴾ وكان عاقلاً فاضلاً، حسن السياسة شديد الهيبة، وهوالذي بنى على مدينةالنبيﷺ سوراً، وله شعر فمنه أبيات منها بيت لم يفلح بعده والأبيات هي:

ليس شرب الراح[1] إلاّ في المطر ... وغناء من جوار في السَّحر

غانياتٌ سالباتٌ للنهى ... ناغمات في تضاعيف الوتر

مبرزاتُ الكأس من مطلعها ... ساقياتُ الراح من فاق البشر

عضد الدولة وابن ركنها ... ملك الأملاك غلابُ القدر

وكان عضد الدولة محباً للعلوم وأهلها، فقصده العلماء من كل بلد، وصنفوا له الكتب، منها الإيضاح في النحو، والحجة في القراءات والملكي في الطب،

(١) في الكامل: ليس شراب الكأس إلا في المطر ج٧ ص٤٠٥.

والتاجي في تاريخ الديلم. وغيرذلك، ولما توفي عضد الدولة اجتمع القواد والامراءعلى ولده. كاليجار المرزبان، فبايعوه، وولوه الإمارة ولقبوه صمصام الدولة، وكان أخوه شرف الدولة شيرزيك[1] بن عضد الدولة بكرمان، فلما بلغه موت أبيه سار إلى فارس وملكها، وقطع خطبة أخيه صمصام ا لدولة.

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

فيها قَتَل أبو الفرج محمد بن عمران بن شاهين أخاه الحسن بن عمران صاحب البطيحة، واستولى أبو الفرج عليها.

(ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة) وفي هذه السنة توفي مؤيد الدولة بويه بن ركن الدولة حسن بن بويه بالخوانيق، وكان قد أقره أخوه عضد الدولة على ماكان بيده، وزاد عليه مملكة أخيهما فخر الدولة، وكان عمر مؤيد الدولة ثلاثاً وأربعين سنة، وكان أخوه فخر الدولة علي، مع قابوس بن وشمكير بن زيار كما ذكرناه، فلما مات مؤيد الدرلة اتفق قواد عسكره على طاعة فخر الدولة، وكتبوا إليه وسار فخر الدولة علي إليهم، وعاد إلى ملكه، واستقر فيه بغير منة لأحد ولا قتال، وذلك في رمضان هذه السنة، ووصلت إلى فخر الدولة الخلع من الخليفة والعهد بالولاية.

(ذكر ولاية بكجور دمشق)

كنا قد ذكرنا أن بكجور مولى قرعويه قبض على أستاذه قرعويه، وملك حلب ثم سار أبو المعالي سعد الدولةبن سيف الدولة بن حمدان، فأخذ حلب من بكجور وولاه حمص إلى هذه السنة، فكاتب العزيز صاحب مصر، وسأله في ولاية دمشق، فأجابه العزيز إلى مصر، فسلمها إلى بكجور في رجب، واستقر بكجور في ولاية دمشق، وأساء السيرة فيها.

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(وفيها) اتفق كبراء عسكر عمران بن شاهين فقتلوا أبا الفرج محمد بن عمران لسوء سيرته، وأقاموا أبا المعالي بن الحسن بن عمران بن شاهين، وكان صغيراً،فدبر أمره المظفر بن علي الحاجب، وهو أكبر قواد جده عمران، ثم بعد مدة أزال المظفر

---

(١) في الكامل: شيرزيل.

الحاجب المذكور أبا المعالي،وسيره هو وأمه إلى واسط، واستولى المظفر المذكورعلى ملك البطيحة، واستقل فيها، وانقرض بيت عمران بن شاهين. (وفيها) في ذي الحجة توفي يوسف بلكين بن زيري أمير إفريقية، وتولى بعده ابنه المنصور ابن يوسف بن زيري، وأرسل إلى العزيز بالله هدية عظيمة قيمتها ألف ألف دينار.

(ثم دخلت سنة أربع وسبعين وثلاثمائة) في هذه السنة ولي أبو طريف عليان ابن ثمال الخفاجي حماية الكوفة وهي أول إمارة بني ثمال. (وفيها) توفي أبو الفتح محمد بن الحسين الموصلي الحافظ المشهور.(وفيها) توفي بميافارقين الخطيب أبو يحيى عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نباتة، صاحب الخطب المشهورة، وكان إماما في علوم الأدب، ووقع الإجماع على أنه ما عُمل مثل خطبه، وصار خطيباً بحلب مدة، وبها اجتمع بالمتنبي، ثم اجتمع بالمتنبي في خدمة سيف الدولة بن حمدان، وكان الخطيب المذكور رجلاً صالحاً، رأى رسول الله ﷺ في المنام فقال له: مرحباً يا خطيب الخطباء، كيف تقول: كأنهم لم يكونوا للعيون قرة، ولم يعدوا في الأحياء مرة. قال الخطيب تتمة هذه الخطبة وهي المعروفة بخطبة المنام، وأدناه رسول اللهﷺ وتفل في فيه، فبقي الخطيب بعد هذه الرؤيا ثلاثة أيام لم يطعم طعاماً ولايشتهيه، ويوجد من فيه مثل رائحة المسك. ولم يعش بعد ذلك إلا أياماً يسيرة وكان مولده سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة.

(ثم دخلت سنة خمس وسبعين وثلاثمائة) وفي هذه السنة قصدت القرامطة الكوفة، مع نفرين من الستة الذي سموهم السادة، ففتحوها ونهبوها، فجهز صمصام الدولة بن عضد الدولة إليهم جيشاً، فانهزمت القرامطة، وكثر القتل فيهم، وانحرفت هيبتهم، وقدحكى ابن الأثير في حوادث هذه السنة، والعهدة على الناقل، انه خرج في هذه السنة بعُمان طائر من البحر كبير، أكبر من الفيل، ووقف على تل هناك وصاح بصوت عال، ولسان فصيح، قد هرب، قالها ثلاث مرات، ثم غاص في البحر فعل ذلك، ثلاثة أيام ولم ير بعد ذلك.

(ثم دخلت سنة ست وسبعين وثلاثمائة)

(ذكر ملك شرف الدولة بن عضد الدولة العراق)
(وقبضه على أخيه صمصام الدولة)

في هذه السنة سار شرف الدولة شيرزيك بن عضد الدولة، من الأهواز إلى واسط، فملكها، وأشار أصحاب صمصام الدولة عليه بالمسير إلى الموصل أو غيرها،

فأبى صمصام الدولة، وركب بخواصه وحضر إلى عند أخيه شرف الدولة مستأمنا، فلقيه شرف الدولة ، وطيب قلبه فلما خرج من عنده ، غدر به وقبض عليه ، وسار شرف الدولة شيرزيك حتى دخل بغداد في رمضان، وأخوه صمصام الدولة معتقل معه، وكانت إمارة صمصام الدولة ببغداد ثلاث سنين، ثم نقله إلى فارس، فاعتقله في قلعة هناك .

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

في هذه السنة توفي المظفر الحاجب صاحب البطيحة، وولي بعده ابن أخته أبو الحسن علي بن نصر، بعهد من المظفر، ووصل إليه التقليد من بغداد بالبطيحة، ولقب مهذب الدولة، فأحسن السيرة، وبذل الخيروالإحسان، (وفيها) توفي ببغداد أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي النحوي، صاحب الإيضاح، وقد جاوز تسعين سنة، وقيل كان معتزلياً، ولد في مدينة فسا، واشتغل ببغداد، وكان إمام وقته في علم النحو، ودار البلاد، وأقام بحلب عند سيف الدولة بن حمدان مدة، ثم انتقل إلى بلاد فارس، وصحب عضد الدولة، وتقدم عنده، ومن تصانيفه كتاب التذكير، وهو كبير، وكتاب المقصور والممدود، وكتاب الحجة في القراءات، وكتاب العوامل المائة، وكتاب المسائل الحلبيات، وغير ذلك .

(ثم دخلت سنة سبع وسبعين وثلاثمائة) (ودخلت سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة) فيها سير العزيز صاحب مصر العلوي، عسكراً مع القائد منير الخادم إلى دمشق، ليعزل بكجور، عنها ، ويتولاها ، فلما قرب منها خرج بكجور وقاتله عند داريا ، ثم انهزم بكجور ،ودخل البلد ، وطلب الأمان ، فأجابه منير إلى ذلك، فسار بكجور إلى الرقة، فاستولى عليها، واستقر منير في إمارة دمشق، وأحسن السيرة في أهلها. (وفي هذه السنة) في المحرم، أهدى الصاحب بن عباد، ديناراً وزنه ألف مثقال، إلى فخر الدولة علي بن ركن الدولة حسن وعلى الدينار مكتوب :

وأحمر يحكي الشمس شكلاً وصورة	فاوصافها[1] مشتقةٌ من صفاته
فإن قيل دينارٌ فقد صدق اسمه	وإن قيل ألفٌ فهو بعضُ سماتهِ
بديعٌ ولم يطبعْ علي الدهرِ مثلُهُ	ولا ضربتَ أضرابه لسراتهِ
وصار إلى شاهان شاه انتسابُهُ	على أنه مستصغرٌ لعفاتهِ
يخبر أن يبقى سنيناً كوزنه	لتستبشر الدنيا بطول حياتهِ

(١) في الكامل: فاوصافه، ج٧ ص٤٣٥ .

(وفي هذه السنة) توفي أبو حامد محمد محمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق الحاكم النيسابوري صاحب التصانيف المشهورة.

(ثم دخلت سنة تسع وسبعين وثلاثمائة) (وفيها) أرسل شرف الدولة، محمد الشيرازي، ليسمل أخاه صمصام الدولة المرزبان، فوصل إلى القلعة التي بها صمصام الدولة محبوساً بعد موت شرف الدولة، وسمل صمصام الدولة فأعماه.

(ذكر وفاة شرف الدولة)

في هذه السنة في مستهل جمادى الآخرة، توفي الملك شرف الدولة أبو الفوارس شيرزيك بن عضد الدولة بالاستسقاء، وحمل إلى مشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فدفن به، وكانت إمارته بالعراق سنتين وثمانية أشهر، وكان عمره ثمانيا وعشرين سنة وخمسة أشهر، ولما مات استقر في الإمارة موضعه أخوه أبو نصر بهاء الدولة، وقيل اسمه خاشاذ بن عضد الدولة، وخلع عليه الطائع وقلده السلطنة.

(ذكر الفتنة ببغداد)

وفي هذه السنة، وقعت الفتنة أيضاً بين الأتراك والديلم، ودام القتال بينهم خمسة أيام وبهاءالدولة في داره، يراسلهم في الصلح فلم يسمعوا، ودام ذلك بينهم اثني عشر يوماً، ثم صار بهاء الدولة مع الأتراك فضعفت الديلم، وأجابوا إلى الصلح، ثم من بعد ذلك أخذ أمرالأتراك في القوة، وأمرالديلم في الضعف.

(ذكر هرب القادر إلى البطيحة)

في هذه السنة هرب أبو العباس أحمد بن الأمير إسحق بن المقتدر إلى البطيحة، فاحتمى فيها، وكان سببها أن الأمير إسحق بن المقتدر والدالقادر، لما توفي جرى بين أبنه أحمد الذي تسمى فيما بعد بالقادر،وبين أخت له، منازعة على ضيعة، وكان الطائع قد مرض وشفي، فسعت بأخيها المذكور إلى الطائع، وقالت: إن أخي شرع في طلب الخلافة عند مرضك، فتغير الطائع على أخيها أحمد، وأرسل ليقبضه، فهرب المذكور واستتر، ثم سار إلى البطيحة، فنزل على مهذب الدولة صاحب البطيحة، فأكرمه مهذب الدولة،ووسع عليه وبالغ في خدمته.

(ذكر عود بني حمدان إلى الموصل)

كان ابنا ناصر الدولة، وهما أبو الطاهر إبراهيم،وأبو عبد الله الحسين، في خدمة شرف الدولة بن عضد الدولة ببغداد، فلما توفي شرف الدولة، وملك أخوه

بهاء الدولة،استأذناه في المسير إلى الموصل، فأذن لهما بهاء الدولة في ذلك، فسار أبو طاهر وأبو عبد الله الحسين المذكوران إلى الموصل، فقاتلهما العامل الذي بها، واجتمع اليهما المواصلة، فاستوليا على الموصل، وطردا عاملها، والعسكر الذي قاتلهما إلى بغداد، واستقرا في الموصل. (وفي هذه السنة) توفي محمد بن أحمد ابن العباس السلمي النقاش، وكان من متكلمي الأشعرية.

(ثم دخلت سنة ثمانين وثلاثمائة)

(ذكر قتل باد صاحب ديار بكر وابتداءدولة بني مروان)

في هذه السنة طمع باد صاحب ديار بكر في ابني ناصر الدولة، وهما أبو طاهر إبراهيم، وأبو عبد الله الحسين، المستوليان على الموصل، فقصدهما، وجرى بينهم قتال شديد، قتل فيه باد، وحمل رأسه إليهما، وكان باد المذكور، خال أبي علي بن مروان، فلما قتل باد، سار أبو علي بن أخته إلى حصن كيفا، وكان بالحصن امرأة خال باد المذكور وأهله، فقال لامرأة باد: قد أنفذني خالي إليك في مهم ، فلما صعد إليها أعلمها بهلاك خاله، وأطمعها في التزويج بها، فوافقته على ملك الحصن وغيره، ونزل أبو علي بن مروان، وملك بلاد خاله حصناً حصناً، حتى ملك ما كان لخاله جميعه، وجرى بينه وبين أبي طاهر وأبي عبد الله ابني العزيز ناصر الدولة حروب، ثم مضى أبو علي بن مروان إلى مصر، وتقلد من الخليفة العزيز بالله العلوي ولاية حلب، وتلك النواحي، وعاد إلى مكانه من ديار بكر، وأقام بتلك الديار إلى أن اتفق بعض أهل آمد مع شيخهم عبد البر، فقتلوا أبا علي بن مروان المذكور، عند خروجه من باب البلد بالسكاكين، وكان المتولي لقتله رجلاً من أهل آمد، يقال له ابن دمنة، فلما قُتل أبو علي بن مروان، استولى عبد البر شيخ آمد عليها، وزوج ابن دمنة بابنته، فوثب ابن دمنة فقتل عبد البر أيضاً، واستولى ابن دمنة على آمد واستقر فيها، وكان لأبي علي ابن مروان ، أخ يقال له ممهد الدولة، فلما قتل أبو علي، سار ممهد الدولة بن مروان إلى ميافارقين، فملكها وملك غيرها، من بلاد أخيه، وكان في جماعة ممهد الدولة رجل اسمه شروه، وهو من أكابر العسكر، فعمل دعوة لممهد الدولة وقتله فيها ، واستولى شروه على غالب بلاد بني مروان، وذلك في سنة اثنتين وأربعمائة، وكان لممهد الدولة أخ آخر اسمه أبو نصر أحمد، وكان قد حبسه أخوه أبو علي بن مروان، بسبب رؤيا رآها، وهو أنه رأى أن الشمس في حجره، وقد أخذها منه أخوه أبو نصر، فحبسه لذلك، فلما قتل ممهد الدولة، أخرج أبو نصر من الحبس، واستولى على

أرزن، وفي ذلك جميعه، وأبوهم مروان باق وهو أعمى، مقيم بأرزن عند قبر ولده أبي علي، ولما استقر أمر أبي نصر، انتقض أمرشروه، وخرجت البلاد عن طاعته، واستولى أبو نصر على سائر بلاد ديار بكر، ودامت أيامه، وحسنت سيرته، وبقي كذلك من سنة اثنتين وأربعمائة إلى سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة على ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

(ذكر ملك أبي الذواد الموصل)

في هذه السنة، أعني سنة ثمانين وثلاثمائة استولى أبو الذواد محمد بن المسيب بن رافع بن المقلد بن جعفر أمير بني عقيل على الموصل، وقتل أبا الطاهر ابن ناصر الدولة بن حمدان، وقتل أولاده وعدة من قواده، بعد قتال جرى بينهما، واستقر أمر أبي الذواد بالموصل. (ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة)

(ذكر القبض على الطائع لله)

في هذه السنة قبض بهاء الدولة بن عضد الدولة، على الطائع لله عبد الكريم، وكنيته أبو بكر بن المفضل المطيع لله بن جعفر المقتدر بن المعتضد بن الموفق بن المتوكل، بسبب طمع بهاء الدولة في مال الطائع، ولما أراد بهاء الدولة ذلك، أرسل إلى الطائع وسأله الإذن ليجدد العهد به، فجلس الطائع على كرسي ودخل بعض الديلم، كأنه يريد تقبيل يد الخليفة، فجذبه عن سريره، والخليفة يقول: إنّا لله وإنّا اليه راجعون. ويستغيث، فلا يغاث، وحمل الطائع إلى دار بهاء الدولة، واشهد عليه بالخلع، وكانت خلافته سبع عشرة سنة وثمانية اشهر. وأياماً، ولما تولى القادر حُمل اليه الطائع، فبقي عنده مكرماً إلى أن توفي الطائع سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة ليلة الفطر، وكان مولده سنة سبع عشرة وثلاثمائة، ولم يكن للطائع في ولايته من الحكم ما يستدل به على حاله، وكان في الناس الذين حضروا القبض على الطائع الشريف الرضي، فبادر بالخروج من دار الخلافة، وقال في ذلك أبياتاً من جملتها:

أمسيت أرحم من كنت أغبطه ... لقد تقارب بين العز والهون

ومنظر كان بالسراء يضحكني ... يا قرب ما عاد بالضراء يبكيني

هيهات أعتر بالسلطان ثانية ... قد ضل عندي ولاّج السلاطين[1]

---

(١) في الكامل: هيهات أغترّ بالسلطان ثانية ... قد ضلّ ولاج أبواب السلاطين ج٧ ص٤٤٩.

(ذكر خلافة القادر بالله أبي العباس أحمد بن الأمير إسحق بن المقتدر بن المعتضد)

وهو خامس عشرينهم، وكان مقيماً بالبطيحة . كما ذكرناه، فأرسل إليه بهاء الدولة، خواص أصحابه ليحضروه، ولما قرب من بغداد خرج بهاء الدولة وأعيان الناس لملتقاه، ودخل القادر دار الخلافة ثاني عشر شهر رمضان، وبايعه الناس، وخطب له ثالث عشر رمضان . وكانت مدة مقام القادر في البطيحة، عند مهذب الدولة، سنتين وأحد عشر شهراً . وكان مهذب الدولة محسناً إلى القادر بالله، ولما توجه من عنده، حمل إليه مهذب الدولة أموالاً كثيرة .

(ذكر قتل بكجور وموت سعد الدولة)

كنا قد ذكرنا استيلاء منير الخادم من جهة العزيز على دمشق، ومسير بكجور عنها إلى الرقة، فلما كان هذه السنة، سار بكجور إلى قتال سعد الدولة بن سيف الدولة بحلب، واقتتلا قتالاً شديداً، وهرب بكجور وأصحابه، وكثر القتل فيهم، ثم أمسك بكجور وأحضر أسيراً إلى سعد الدولة فقتله، ولقي بكجور عاقبة بغيه وكفره، إحسان مولاه، ولما قتله سار سعد الدولة إلى الرقة، وبها أولاد بكجور وأمواله، وحصرها فطلبوا الأمان، وحلّفوا سعد الدولة على أن لا يتعرض إليهم، ولا إلى مالهم، فبذل سعد الدولة اليمين لهم، فلما سلّموا الرقة إليه، وخرجوا منها، غدر بهم سعد الدولة، وقبض على أولاد بكجور وأخذ ما معهم من الأموال، وكانت شيئاً كثيراً. فلما عادسعد الدولة إلى حلب، لحقه فالج في جانبه اليمين، فأحضر الطبيب ومد إليه يده اليسرى، فقال الطبيب: يا مولانا هات اليمين. فقال سعد الدولة: ما تركت لي اليمين يميناً، وعاش بعد ذلك ثلاثة أيام ومات في هذه السنة، واسم سعد الدولة المذكور شريف، وكنيته أبو المعالي بن سيف الدولة بن علي بن حمدان بن حمدون الثعلبي. وقبل موته عهد إلى ولده أبي الفضائل بن سعد الدولة، وجعل مولاه لؤلؤاً يدبر أمره.

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

في هذه السنة، وصل بسيل ملك الروم إلى الشام، ونازل حمص ففتحها

ونهبها، ثم سار إلى شيزر فنهبها، ثم سار إلى طرابلس، فحصرها مدة، ثم عاد إلى بلادالروم. (وفي هذه السنة) توفي القائد جوهر الذي فتح مصر للمعز العلوي، معزولاً عن وظيفته.

(ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة) فيها شغبت الجند على بهاء الدولة بسبب استيلاء أبي الحسن بن المعلم على الأمور كلها، فقبض بهاء الدولة على ابن المعلم وسلمه إلى الجند فقتلوه.

(ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة) في هذه السنة استولى على بخارى بغراخان، واسمه هارون بن سليمان أيلك خان، وكان له كاشغر وبلا صاغون إلى حد الصين، فقصد بخارى، وجرى بينه وبين الأمير الرضي نوح بن منصور الساماني حروب انتصر فيها بغراخان، وملك بخارى، وخرج منها الأمير نوح مستخفياً، فعبر النهر إلى أمل الشط، وأقام الامير نوح المذكور بها، ولحق به أصحابه، وبقي يستدعي أبا علي بن سيمجور صاحب جيش خراسان،فلم يأته وعصي عليه، ومرض بغراخان في بخارى، فارتحل عنها راجعاً نحو بلاده، فمات في الطريق، وكان بغراخان ديناً حسن السيرة، وكان يحب أن يكتب عنه مولى رسول الله، وولِيّ أمرة الترك بعده طغان خان أبو نصر أحمد بن علي خان، ولما رحل بغراخان عن بخارى ومات، بادرالأمير نوح فعاد إلى بخارى، واستقر في ملكه وملك آبائه.

(ثم دخلت سنة أربع وثمانين وثلاثمائة) في هذه السنة لما عاد نوح إلى بخارى، اتفق أبو علي بن سيمجور صاحب جيش خراسان، وفائق، على حرب نوح، فكتب نوح إلى سبكتكين وهو بغزنة يعلمه الحال، وولاه خراسان، فسار سبكتكين عن غزنة ومعه ولده محمود إلى نحو خراسان، وخرج نوح من بخارى، فاجتمعوا وقصدوا أبا علي بن سيمجور وفائقاً، واقتتلوا بنواحي هراة، فانهزم أبو علي وأصحابه، وتبعهم عسكر نوح وسبكتكين. يقتلون فيهم ، ولما استقر أمر نوح بخراسان ، استعمل عليها محمود بن سبكتكين

(وفيها) توفي عبيد الله بن محمد بن نافع، وكان من الصالحين، بقي سبعين سنة لا يستندإلى حائط ولا إلى مخدة. وأبو الحسن علي بن عيسى النحوي، المعروف بالرماني، ومولده سنة ست وتسعين ومائتين، وله تفسير كبير، ومحمد بن العباس بن أحمد القزاز، سمع وكتب كثيراً، وخطه حجة في صحة النقل، وجودة الضبط.

(وفيها) توفي أيضاً أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الكاتب الصابي المشهور،

وكان عمره إحدى وتسعين سنة، وكان قد زمن وضاقت الأمور به، وقلت عليه الأموال، كان كاتب إنشاء ببغداد لمعز الدولة، ثم كتب لبختيار، وكانت تصدر عنه مكاتبات إلى عضد الدولة تؤلمه، فحقدعليه، فلما ملك عضدالدولة بغداد حبسه مدة ، ثم أطلقه، وأمره عضدالدولة أن يصنف له كتاباً في أخبار الدولة الديلمية، فصنف له كتاباً وسماه التاجي، ونقل إلى عضد الدولة عنه، أن بعض أصحاب أبي إسحاق ،دخل عليه وهو يؤلف في التاجي، فسأله عما يعمل؟ فقال: أباطيل أنمقها، وأكاذيب الفقها، فحرك ذلك عضد الدولة وأهاج حقده، فأبعده وأحرمه، ولم يزل الصابي على دينه، فجهد عليه معز الدولة أن يسلم فلم يفعل، وكان مع ذلك يحفظ القرآن، ولما مات الصابي المذكور رثاه الشريف الرضي فليم على ذلك. فقال: إنما رثيت فضيلته.

(ثم دخلت سنة خمس وثمانين وثلاثمائة) (وفي هذه السنة) عاد أبو علي ابن سيمجور إلى خراسان، وقاتل محمود بن سبكتكين، وأخرجه عنها، ثم سار سبكتكين ومحمود ابنه بالعساكر، واقتتلوا مع أبي علي بطوس فهزموه، وفي ذلك يقول بعض الشعراء عن ابن سيمجور:

عصى السلطان فابتدرت إليه رجال يقلعون أبا قبيس
وصير طوس معقله فكانت عليه طوس أشأم من طويس

ثم إن أبا علي طلب الأمان من نوح، فأمنه وسار إليه، فلما وصل إلى بخارى، قبض نوح على أبي علي وأصحابه وحبسهم، حتى مات أبو علي في الحبس.

(ذكر وفاة ابن عباد)

في هذه السنة مات الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن عباد وزير فخر الدولة، علي بن ركن الدولة، بالري، ونقل إلى أصفهان ودفن بها، وكان الصاحب المذكور أوحد زمانه، علماً وفضلاً وتدبيراً وكرماً، وكان عالماً بأنواع العلوم، وجمع من الكتب ما لم يجمعه غيره، وهو أول من لقب بالصاحب من الوزراء، لأنه كان يصحب أبا الفضل بن العميد، فقيل له صاحب ابن العميد. ثم أطلق عليه هذا اللقب لما تولى الوزارة، وبقي علماً عليه. ثم سمي به كل من ولي الوزارة، وكان أولاً وزيراً لمؤيد الدولة بن ركن الدولة، فلما مات مؤيد الدولة، واستولى أخوه فخر الدولة على مملكته، أقر الصاحب بن عباد على وزارته، وعظمت منزلته عنده، وصنف الصاحب عدة كتب، منها المحيط في اللغة، والكافي في الرسائل، وكتاب الإمامة، يتضمن فضائل علي وصحة إمامة من تقدمه، وكتاب الوزارة، وله النظم الجيد، وكان مولده

في ذي القعدة سنة ست وعشرين وثلاثمائة بإصطخر(١) وقيل بالطالقان، وهي طالقان قزوين، لا طالقان خراسان، وكان عباد أبو الصاحب وزير ركن الدولة، وتوفي عباد في سنة أربع أو خمس وثلاثين وثلاثمائة (وفي هذه السنة) توفي الإمام أبو الحسن علي بن عمر بن أحمدالمعروف بالدار قطني. وكان حافظاً إماماً فقيهاً على مذهب الشافعي، وكان يحفظ كثيراً من دواوين الشعراء منها ديوان السيد الحميري، فنسب إلى التشيع لذلك، وخرج من بغداد إلى مصر، وأقام عند أبي الفضل جعفر بن الفضل، وزير كافور الإخشيدي. وحصل للدارقطني منه مال جزيل، وكان متقناً في علوم كثيرة، إماماً في علوم القرآن، وكان مولده في ذي القعدة سنة ست وثلاثمائة وكانت وفاته ببغداد، والدار قطني نسبة إلى دار القطن، وكانت محلة كبيرة ببغداد.

(وفيها) توفي أبو محمد يوسف بن الحسن بن عبد الله، بن المرزبان السيرافي النحوي الفاضل بن الفاضل ،شرح أبوه الحسن بن عبد الله،كتاب سيبويه، وظهر له فيه ما لم يظهر لغيره، وصنف بعده كتاب الإقناع، ومات الحسن المذكور قبل إتمامه، فكمله ولده يوسف المذكور. ثم صنف عدة كتب مشهورة، مثل شرح أبيات كتاب سيبويه، وشرح إصلاح المنطق، وسيراف فرضة فارس، وليس بها زرع، ولا ضرع، وأهلها زجاة، ومنها ينتهي الإنسان إلى حصن ابن عمارة على البحر، من أمنع الحصون. ويقال إن صاحبها هو الذي يقول الله تعالى في حقه: ﴿وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً﴾ [الكهف:٧٩] وكان اسم ذلك الملك الجُلُندى بضم الجيم واللام وسكون النون وفتح الدال المهملة وبعدها ألف.

(ثم دخلت سنة ست وثمانين وثلاثمائة)

(ذكر وفاة العزيز بالله وولاية ابنه الحاكم)

وفي هذه السنة لليلتين بقيتا من رمضان، توفي العزيز بالله أبو منصور نزار بن المعز معد بن المنصور إسماعيل العلوي الفاطمي، صاحب مصر. وعمره اثنتان وأربعون سنة وثمانية أشهر بمدينة بلبيس(٢) وكان قد برز إليها لغزو الروم، وكان موته بعدة أمراض، منها القولنج. وكانت خلافته إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ونصف شهر. ومولده بالمهدية، وكان قد ولى كتابته رجلاً نصرانياً يقال له عيسى بن

---

(١) إصطخر: بلدة بفارس من الإقليم الثالث. البلدان ١/ ٢١١.

(٢) بلبيس: مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام. البلدان ١/ ٤٧٩.

نسطورس، واستناب بالشام رجلاً يهودياً اسمه ميشا [١]، فاستطالت النصارى واليهود بسببهما على المسلمين، فعمد أهل مصر إلى قراطيس، فعملوها على صورة امرأة، ومعها قصة وجعلوها في طريق العزيز فأخذها العزيز وفيها مكتوب «بالذي أعز اليهود بميشا، والنصارى بعيسى بن نطورس، وأذل المسلمين بك، إلا كشفت عنا»[٢] فقبض على عيسى النصراني المذكور، وصادره، وكان العزيز يحب العفو ويستعمله. ولما مات العزيز بويع ابنه المنصور أبو علي الحاكم بأمر الله، بعهد من أبيه، فولي الخلافة وعمره إحدى عشرة سنة، وقام بتدبير ملكه خادم أبيه أرجوان، وكان خصياً أبيض فضبط الملك وحفظه للحاكم إلى ان كبرثم قتل الحاكم أرجوان المذكور.

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

وفي هذه السنة مات أبو دواد بن المسيب، أمير الموصل، وولي بعده أخوه المقلد بن المسيب. (وفيها) توفي منصور بن يوسف بلكين بن زيري الصنهاجي أمير إفريقية، وكان ملكاً كريماً شجاعاً، وتولىّ بعده ابنه باديس بن منصور. (وفيها) توفي أبو طالب محمد بن علي بن عطية المكي، صاحب قوت القلوب. روي أنه صنف كتابه قوت القلوب، وكان قوته إذ ذاك عروق البدري، وكان صالحاً مجتهداً في العبادة، ولم يكن من أهل مكة، وإنما كان من أهل الجبل، وسكن مكة فنسب إليها، وقدم بغداد فوعظ وخلط في كلامه، فهجروه. وكان مما خلط فيه وحفظ عليه، أنه قال: ليس على المخلوقين أضر من الخالق. ومنع من الكلام بعد ذلك، وتوفي ببغداد في جمادى الآخرة من هذه السنة.

(ثم دخلت سنة سبع وثمانين وثلاثمائة)

(ذكر ابتداء دولة بن حماد ملوك بجاية)[٣]

من كتاب الجمع والبيان في أخبار القيروان. في هذه السنة أعني سنة سبع وثمانين وثلاثمائة عقد باديس بن منصور بن بلكين صاحب إفريقية، في شهر صفر، الولاية لعمه حماد بن بلكين على أشير وخرج إليها حماد، فاتسعت ولاية حماد وكثر دخله وعظم شأنه، واجتمع له العساكر والأموال، وبقي كذلك إلى سنة خمس

---

(١) في الكامل: منشا. ج٧ ص٤٧٧.

(٢) في الكامل: إلا كشفت ظلامتي. ج٧ ص٤٧٧.

(٣) بجاية: مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب. البلدان ١ / ٣٣٩.

وأربعمائة فأظهر حماد الخلاف على ابن أخيه باديس وخرج عن طاعته وخلعه، وسار كل منهما بجموعه إلى الآخر واقتتلا في أول جمادى الأولى سنة ست وأربع مائة، فانهزم حماد هزيمة شنيعة، بعد قتال شديد جرى بين الفريقين، ولما انهزم حماد التجأ إلى قلعة مغيلة، ثم سار حماد إلى مدينة دكمة[1] ونهبها ونقل منها الزاد إلى القلعة المذكورة، وعاد إليها وتحصن بها، وباديس نازل بالقرب منه محاصر له، ودام الحال كذلك حتى توفي باديس فجأة، نصف ليلة الأربعاء آخر ذي القعدة سنة ست وأربع مائة.

وتولى بعد باديس ابنه المعز بن باديس. واستمر حماد على الخلف معه كما كان مع أبيه، حتى اقتتل المعز بن باديس وحماد في سنة ثمان وأربع مائة بموضع يقال له ينني، فانهزم حماد بعد قتال شديد هزيمة قبيحة، وبعد هذه الهزيمة لم يعد حماد إلى قتال، واصطلح مع المعز المذكور، على أن يقتصر حماد على ما في يده، وهو عمل ابن علي وما وراءه من أشير وتاهرت، واستقر للقائد بن حماد (المسيلة وطبنة ومرسى الدجاجي وزواوة ومقرة ودكمة)[2] وغير ذلك، وبقي حماد وابنه القائد كذلك حتى توفي حماد في نصف سنة تسع عشرة وأربع مائة، واستقر في الملك بعده ابنه القائد بن حماد وبقي القائد في الملك حتى توفي في سنة ست وأربعين وأربعمائة في شهر رجب.

ولما توفي القائد ملك بعده ابنه (محسن) بن القائد بن حماد، فأساء السيرة، وخبط وقتل جماعة من أعمامه، فخرج عن طاعة محسن المذكور، ابن عمه بلكين ابن محمد بن حماد، واقتتل معه فقتل بلكين محسناً المذكور وملك موضعه في ربيع الأول سنة سبع وأربعين وأربع مائة، وبقي حتى غدر ببلكين المذكور (الناصر) بن علناس بن حماد، وأخذ منه الملك في رجب سنة أربع وخمسين وأربعمائة، واستقر الناصر بن علناس بن حماد في الملك حتى توفي في سنة إحدى وثمانين وأربعمائة.

وملك بعده ابنه المنصور بن الناصر وبقي في الملك حتى توفي في سنة ثمان

---

(١) دكمة : بلدة بالمغرب من أعمال بني حمّاد. البلدان ٢ / ٤٥٩.

(٢) المسيلة : مدينة بالمغرب تسمّى المحمدية. البلدان ٥ / ١٣٠.

طُبْنة : بلدة في طرف إفريقية مما يلي المغرب على ضفة الزاب. البلدان ٤ / ٢١.

مرسى الدُّجاجي : بينها وبين أشير أربعة أيام يسكنها الأندلسيون. البلدان ٥ / ١٠٦.

زواوه : بليد بين إفريقية والمغرب. البلدان ٣ / ١٥٥.

مقرة : مدينة بالمغرب في بَرّ البربر قريبة من قلعة بني حماد. البلدان ٥ / ١٧٥.

وتسعين وأربعمائة، وملك بعده ابنه (باديس) بن المنصور، وأقام باديس مدة يسيرة وتوفي، وملك بعده أخوه (العزيز بالله) بن المنصور، وبقي العزيز في الملك حتى توفي، ولم يقع لي تاريخ وفاته، وملك بعده ابنه (يحيى) بن العزيز بالله، وبقي في الملك حتى سار عبد المؤمن من الغرب الأقصى وملك بجاية. قال ابن الأثير في الكامل: إن ذلك كان في سنة سبع وأربعين وخمس مائة، وكان آخر من ملك منهم يحيى بن العزيز بالله بن المنصور بن الناصر بن علناس بن حماد بن بلكين، وانقرضت دولة بني حماد في السنة المذكورة، وكان ينبغي أن نذكر ذلك مبسوطاً مع السنين، وإنما جمعناه لقلته لينضبط.

(ذكر موت نوح صاحب ما وراء النهر)

في هذه السنة مات الرضي الأمير نوح بن منصور بن نوح بن ناصر بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد بن أسد بن سامان. في رجب، واختلّ بموته ملك آل سامان، ولما توفي قام بالأمر بعده ابنه أبو الحارث منصور بن نوح.

(ذكر موت سبكتكين)

وفي هذه السنة توفي سبكتكين في شعبان، وكان مقامه ببلخ، فلما طال مرضه ارتاح إلى هوى غزنة، فسار عن بلخ إليها فمات في الطريق، فنقل ميتاً ودفن بغزنة، وكانت مدة ملكه نحو عشرين سنة. وكان عادلاً خيراً، ولما حضرته الوفاة عهد إلى ولده إسماعيل، وكان محمود أكبر منه، فملك إسماعيل وكان بينه وبين أخيه محمود قتال في تلك المدة، ثم انتصر محمود وانهزم إسماعيل وانحصر في قلعة غزنة، وحاصره محمود، فنزل إسماعيل بالأمان، فأحسن إليه محمود وأكرمه وكان مدة ملك إسماعيل سبعة أشهر.

(ذكر وفاة فخر الدولة)

وفي هذه السنة، توفي فخر الدولة أبو الحسن علي بن ركن الدولة، أبي علي الحسن بن بويه، بقلعة طبرك، في شعبان، وأقعدوا في الملك بعده ولده مجد الدولة أبا طالب رستم، وعمره أربع سنين، واتفق الأمراء على ذلك، وكان المرجع في تدبير الملك إلى والدة أبي طالب المذكور.

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

وفي هذه السنة توفي أبو الوفاء محمد بن محمد المهندس الحاسب

البوزجاني، أحدالأئمة المشاهير في علم الهندسة، ومولده في رمضان سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ببوزجان، وهي بلدة من خراسان، بين هراة ونيسابور، ثم قدم العراق. (وفيها) توفي الحسن بن إبراهيم بن الحسين من ولد سليمان بن زولاق، وهو مصري الأصل، وكان فاضلاً في التاريخ، وله فيه مصنفات، وله كتاب خطط مصر، وكتاب قضاة مصر، وله غير ذلك من المصنفات، رحمه الله تعالى.

(وفيها) توفي الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري، العلامة، وكنيته أبو أحمد ،صاحب التصانيف الكثيرة في اللغة والأمثال وغيرها، وكان أبو أحمد المذكور من أهل عسكر مكرم، وهي مدينة من كور الأهواز، وكان مولده في شوال سنة ثلاث وتسعين ومائتين، وأخذ العلم عن أبي بكر بن دريد، ومن جملة تصانيفه كتاب في علم المنطق، وكتاب الزواجر، وكتاب المختلف والمؤتلف، وكتاب الحكم والأمثال.

(ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة)

(ذكر قتل صمصام الدولة)

في هذه السنة، في ذي الحجة، قتل صمصام الدولة، أبو كاليجار المرزبان بن عضد الدولة فناخسرو بن ركن الدولة حسن بن بويه بسبب شغب الديلم عليه، وكان عمر صمصام الدولة خمساً وثلاثين سنة وسبعة أشهر، ومدة ولايته بفارس تسع سنين وثمانية أيام. قال القاضي شهاب الدين بن أبي الدم: إن صمصام الدولة المذكور، لما خرج من الاعتقال، وملك في سنة ثمانين وثلاثمائة كان أعمى من حين سمل، واستمر في الملك ، وكان منه ما تقدم ذكره، حتى قتل في هذه السنة وهو أعمى.

(وفيها) توفي محمد بن الحسن بن المظفر المعروف بالحاتمي، أحد الأعلام، وكان إماماً في الأدب واللغة وهو صاحب الرسالة الحاتمية التي بيّن فيها سرقة المتنبي، ونسبة الحاتمي إلى حاتم بعض أجداده.

(ثم دخلت سنة تسع وثمانين وثلاثمائة)

(ذكر القبض على الأمير منصور بن نوح وولاية أخيه)

في هذه السنة، اتفق أعيان عسكر منصور الساماني، مع بكتورون، وفائق، وخلعوا منصوراً بن نوح، وأمر بكتورون[1] به، ولم يراقب الله ولا إحسان مواليه إليه،

(١) في الكامل: بكتوزون ج٨ ص٣.

وأقاموا في الملك أخاه عبد الملك، وهو صبي صغير، وكان مدة ملك منصور سنة وسبعة أشهر.

(ذكر ملك محمود بن سبكتكين خراسان)

ولما وقع من بكتورون وفائق ما وقع في حق منصور بن نوح، كتب محمود بن سبكتكين يلومهما على ذلك وسار إليهما، فاقتتلوا أشد قتال، ثم انهزم بكتورون وفائق، وتبعهم محمد يقتل في عسكرهم، حتى أبعدوا في الهرب، واستولى محمود على ملك خراسان، وقطع منها خطبة السامانية.

(ذكر انقراض دولة السامانية)

وفي هذه السنة انقرضت دولة السامانية، فإن محمود بن سبكتكين لما ملك خراسان وقطع خطبتهم، اتفق ببخارى مع عبد الملك بن نوح بكتورون، وفائق، وأخذوا في جمع العساكر، فاتفق أن فائقاً مات في تلك المدة، وكان هو المشار إليه، فضعفت نفوسهم بموته، وبلغ ذلك أيلك خان، واسمه أرسلان،فسار في جمع الأتراك إلى بخارى، وأظهر المودة، لعبد الملك والحمية له، فظنوه صادقاً، وخرج إليه بكتورون وغيره من الأمراء والقواد، فقبض عليهم وسار حتى دخل بخارى، عاشر ذي القعدة من هذه السنة. ثم قبض على عبد الملك بن نوح وحبسه حتى مات في الحبس، وحبس معه أخاه منصور الذي سملوه وباقي بني سامان، وانقرضت دولة بني سامان.

وكانت دولتهم قد انتشرت وطبقت كثيراً من الأرض، وكانت من أحسن الدول سيرة وعدلاً، وهذاعبد الملك هو عبد الملك بن نوح بن منصور بن نوح بن نصر بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد بن أسد بن سامان. فسبحان من لا يزول ملكه، وكان ابتداء دولتهم في سنة إحدى وستين ومائتين، وانقرضت في هذه السنة، أعني سنة تسع وثمانين وثلاثمائة، (ثم دخلت سنة تسعين وثلاثمائة) في هذه السنة وقيل بل في سنة خمس وتسعين وثلاثمائة توفي أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي اللغوي، كان إماماً في علوم شتى، وخصوصاً في اللغة، وله عدة مصنفات منها: كتابه المجمل في اللغة، ووضع المسائل الفقهية، وهي مسألة في المقامة الطيبية، وكان مقيماً بهمذان وعليه اشتغل البديع الهمذاني صاحب المقامات.

(ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة) في هذه السنة قتل حسام الدولة

المقلد بن المسيب بن رافع بن جعفر بن عمر بن مهنا بن يزيد بالتصغير بن عبد الله بن زيد، من ولد ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن العقيلي، وكان المقلد المذكور أعور وأخوه أبو الذواد محمد بن المسيب، هو أول من استولى منهم على الموصل، وملكها في سنة ثمانين وثلاثمائة حسبما تقدم ذكره، ثم ملكها بعده أخوه المقلد المذكور، في سنة ست وثمانين وثلاثمائة واستمر مالكها حتى قتل في هذه السنة، قتله مماليكه الأتراك بالأنبار، وكان قد عظم شأنه، ولما مات قام مقامه ابنه قرواش بن المقلد بن المسيب.

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

في هذه السنة توفي أبو عبد الله الحسين بن الحجاج الشاعر، بطريق النيل. وكان شاعراً مشهوراً، ذا مجون وخلاعة، وتولى حسبة بغداد مدة، وكان من كبار الشيعة، وأوصى أن يدفن عند مشهد موسى بن جعفر، وأن يكتب على قبره ﴿وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد﴾[الكهف: ١٨] ولما مات بالنيل، نقل إلى بغداد ودفن كما أوصى، والنيل بلدة على الفرات بين بغداد والكوفة، وأصل اسم هذا الموضع، أن الحجاج بن يوسف حفر به نهراً مخرجه من الفرات، وعليه قرى، وسماه باسم نيل مصر.

(ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة) في هذه السنة غزا السلطان محمود بن سبكتكين بلاد الهند، فغنم وأسر وسبى كثيراً، وعاد إلى غزنة سالماً غانماً. (وفي هذه السنة) جرى بين قرواش بن المقلد بن المسيب العقيلي وبين عسكر بهاء الدولة حروب، انتصر فيها قرواش أولاً، ثم انتصر عسكر بهاء الدولة. (وفي هذه السنة) توفي أبو بكر محمد بن محمد بن جعفر الفقيه الشافعي، المعروف بابن الدقاق، صاحب الأصول.

(ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة) في هذه السنة ملك يمين الدولة محمود بن سبكتكين سجستان، وانتزعها من يد صاحبها، خلف بن أحمد، وبقي خلف بن أحمد المذكور في الجوزخان[1] بعد ذلك أربع سنين، ثم نقله يمين الدولة محمود إلى جودين[2]، واحتاط عليه هناك حتى أدركه أجله، سنة تسع

---

(١) في الكامل: الجوزجان. ج٨ ص٢٣.

(٢) في الكامل: جردين. ج٨ ص٢٣.

وتسعين، وكان خلف المذكور مشهوراً بطلب العلم، وله تفسير من أكبر الكتب.

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

في هذه السنة توفي أبو عامر محمد، الملقب بالمنصور، أمير الأندلس، وكان قد عظم شانه، وأكثر الغزوات، وضبط البلاد، وكانت ولايته في سنة ست وستين وثلاثمائة حسبما ذكرناه هناك، فكانت مدة ولايته نحواً من سبع وعشرين سنة، ولم يكن للمؤيد خليفة الأندلس معه من الأمر شيء، ولما توفي المنصور بن أبي عامر المذكور، تولّى بعده ابنه أبو مروان عبد الملك بن المنصور المذكور، وتلقب بالمظفر وجرى في الغزو وسياسة الملك عن هشام المؤيد، على قاعدة أبيه، وبقي عبد الملك المذكور في الولاية سبع سنين، فتكون وفاته في سنة أربعمائة.

ولما توفي عبد الملك المظفر المذكور، قام بالامر بعده أخوه عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر المذكور، وتلقّب عبد الرحمن المذكور بالناصر،فخلط ولم يزل مضطرب الأمور مدة أربعة أشهر، فخرج على المؤيد، ابن عمه محمد بن هشام على ما سنذكره إن شاء الله تعالى، فخُلع هشام وقُتل عبد الرحمن المذكور وصُلب.

(وفي هذه السنة) كثرت العيارون والمفسدون والفتن ببغداد. (وفيها) استعمل الحاكم العلوي صاحب مصر والشام على دمشق، أبا محمد الأسود، ولما استقر في قصر الإمارة بدمشق وحكم، أشْهَر إنساناً مغربياً ونادى عليه، هذا جزاء من يحب أبا بكر وعمر ثم أخرجه من دمشق.

(وفيها) توفي ببغداد عثمان بن جني النحوي الموصلي، مصنف اللمع وغيره، ومولده سنة اثنتين وثلاثمائة (وفيها) توفي القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني بالري، وكان إماماً فاضلاً ذا فنون كثيرة، والوليد بن بكر بن مخلدالأندلسي الفقيه المالكي، وهو محدث مشهور.

(وفيها) توفي أبو الحسن محمد بن عبد الله السلامي الشاعر البغدادي، فمن شعره في عضد الدولة:

فبشرت آمالي بملك هو الورى ... ودار هي الدنيا ويوم هو العمر

وله في الدرع:

يا ربَّ سابغة حبتني نعمة ... كافأتها بالسوء غير مفند

أضحت تصونُ عن المنايا مهجتي ... وظللت أبذلها لكل مهند

(ثم دخلت سنة أربع وتسعين وثلاثمائة)

(ذكر خروج البطيحة [١] عن ملك مهذب الدولة)

في هذه السنة استولى على البطيحة وغيرها إنسان يقال له أبو العباس بن واصل. وكان رجلاً قد تنقل في خدم الناس، ثم خدم مهذب الدولة صاحب البطيحة، فتقدّم عنده حتى جهز معه جيشاً، فاستولى على البصرة وسيراف، فلما فتحهما ابن واصل المذكور، وغنم اموالاً عظيمة، قويت نفسه، وخلع طاعة مهذب الدولة مخدومه، ثم قصده، فانهزم مهذب الدولة عن البطيحة، واستولى ابن واصل على بلاد مهذب الدولة وأمواله وكانت عظيمة، ونهب ما كان مع مهذب الدولة من المال، وقصد مهذب الدولة بغداد، فلم يمكن من الدخول إليها، وهذا خلاف ما اعتمده مهذب الدولة المذكور، مع القادر لما هرب من بغداد إليه، فإن مهذب الدولة بالغ في الخدمة والإحسان إليه.

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

في هذه السنة قلد بهاء الدولة الشريف أبا أحمد الموسوي، والد الشريف الرضي، نقابة العلويين بالعراق، وقضاء القضاة والمظالم، وكتب عهده بذلك من شيراز، ولقبّه الطاهر ذا المناقب، فامتنع الخليفة من تقليده قضاء القضاة، وأمضى ما سواه.

(ثم دخلت سنة خمس وتسعين وثلاثمائة)

(ذكر عود مهذب الدولة إلى البطيحة)

كان أبو العباس بن واصل لما استولى على البطايح، قد اقام بها نائباً،وسار هو إلى نحو البصرة، فلم يتمكن نائبه من المقام بها، وخرج أهل البطيحة عن طاعته، فارسل عميد الجيوش وهو أمير العراق من جهة بهاء الدولة، عسكراً في السفن مع مهذب الدولة إلى البطيحة، فلما دخلها لقيه أهل البلاد وسرّوا بقدومه، وسلّموا إليه جميع الولايات، واستقر عليه لبهاء الدولة، في كل سنة خمسون ألف دينار، واشتغل عنه ابن واصل بحرب غيره.

(وفي هذه السنة) فتح يمين الدولة محمود بن سبكتكين مدينة بهاطية[٢] من

---

(١) هي أرض واسعة بين واسط والبصرة ، وكانت قديماً قرى متصلة وارضاً عامرة . الكامل ج٨ ذيل الصفحة ٢٩.

(٢) بهاطية : من قرى بغداد . الكامل ج٨ ذيل ص٣٣.

أعمال الهند وهي وراء الملتان، وهي مدينة حصينة عالية السور.

(ثم دخلت سنة ست وتسعين وثلاثمائة) في هذه السنة سار يمين الدولة ففتح الملتان،[١] ثم سار إلى نحو بيدا ملك الهند، فهرب إلى قلعته المعروفة بكاليجار[٢] فحصره بها، ثم صالحه على مال حمله إليه، وألبس ملك الهند خلعته، واستعفى من شد المنطقة، فلم يعفه يمين الدولة منها فشدها على كره.

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

وفي هذه السنة قُلّد الشريف الرضي نقابة الطالبيين ولقب بالرضي[٣]، ولقب أخوة المرتضى[٤] فعل ذلك بهاء الدولة. (وفيها) توفي محمد بن إسحاق بن محمد ابن يحيى بن منده الأصفهاني، صاحب التصانيف المشهورة.

(ثم دخلت سنة سبع وتسعين وثلاثمائة)

(ذكر قتل ابن واصل)

في هذه السنة وقع بين بهاء الدولة وأبي العباس بن واصل حروب، آخرها أن أبا العباس انهزم إلى البصرة ثم انهزم عنها، فأُسر وحُمل إلى بهاء الدولة، فأمر بقتله قبل وصوله إليه، وطيف برأس أبي العباس بن واصل المذكور بخورستان وكان قتله بواسط عاشر صفر.

(ذكر خبر أبي ركوة)

في هذه السنة، خرج على الحاكم بمصر، إنسان أموي من ولد هشام بن عبد الملك، يسمى أبا ركوة، لحمله ركوة على كتفه، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، فكثر جمعه وملك برقة، وجهز إليه الحاكم جيشاً فهزمه أبو ركوة، وغنم ما في ذلك الجيش، وقوى به، وسار أبو ركوة إلى الصعيد واستولى عليه، فعظم ذلك على الحاكم إلى الغاية، فأحضر عساكر الشام، واستخدم عساكر كثيرة، واستعمل عليهم فضل بن عبد الله، وأرسله إلى أبي ركوة، فجرى بينهم قتال عظيم، وآخره أن عساكر

---

(١) في الكامل : المولتان : بلد من بلاد الهند على سمت غزنة. ج٨ ذيل ص ٣٤.

(٢) في الكامل : كالنجار . ج٨ ص٣٥.

(٣) في الكامل : الرضي ذي الحبيبين. ج٨ ص٣٦.

(٤) في الكامل : المرتضى ذا المجدين. ج٨ ص٣٦.

الحاكم انتصرت، وهربت جموع أبي ركوة، وأُخذ أسيراً فقتله الحاكم وصلبه، وطيف برأسه .

(ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة) في هذه السنة، سار يمين الدولة محمود إلى الهند، وأوغل فيه وغزا وفتح. (وفي هذه السنة) استعملت والدة مجد الدولة بن فخر الدولة -وكان إليها الحكم بمملكة ابنها- أبا جعفر ابن شمتر يار، المعروف بابن كاكوية، على أصفهان، فاستقر فيها قدمه وعظم شأنه وإنما قيل له ابن كاكوية، لأنه كان ابن خال والدة مجدالدولة المذكورة، وكاكوية هو الخال بالفارسية.

(وفي هذه السنة) توفي عبد الواحد بن نصر المعروف بالببغاء الشاعر. (وفيها) توفي البديع أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمذاني صاحب المقامات المشهورة التي عمل الحريري على منوالها المقامات الحريرية.

(وفيها) توفي أبو نصر إسماعيل بن أحمد الجوهري، مصنف كتاب الصحاح في اللغة المعروف بصحاح الجوهري وهو كتاب شهرته تغني عن ذكره، وإسماعيل المذكور هو من (فاراب) وهي مدينة ببلاد الترك، من وراء النهر، وتسمى هذا الزمان (أطرار) وكان المذكور إماماً في اللغة العربية، قدم إلى نيسابور وتوفي بها، وكان يكتب خطاً حسناً منسوباً من الطبقة العالية.

(ثم دخلت سنة تسع وتسعين وثلاثمائة)في هذه السنة قتل أبو علي بن ثمال الخفاجي، وكان الحاكم العلوي قدولاَّه الرحبة، ثم انتقلت عنه، وصار أمرها إلى صالح بن مرداس الكلابي صاحب حلب. (وفيها) توفي علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن يونس المصري، صاحب الزيج الحاكمي، المعروف بزيج بن يونس، وهو زيج كبير في أربع مجلدات، وذكر ان الذي أمر بعمله العزيز أبو الحاكم.

(ثم دخلت سنة أربعمائة) في هده السنة عاد يمين الدولة وغزا الهند وغنم وعاد.

(ذكر أخبار المؤيد الأموي خليفة الأندلس)

قد تقدم في سنة ست وستين وثلاثمائة ذكر موت الحاكم صاحب الأندلس، وولاية ابنه المؤيد هشام بن الحكم المنتصر بن عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بن

معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان عمر المؤيد لما ولي الخلافة عشر سنين، فاستولى على تدبير المملكة أبو عامر محمدبن أبي عامر، وبقي المؤيد محجوباً عن الناس، واستمر المؤيد هشام المذكور في الخلافة إلى سنة تسع وتسعين وثلاثمائة فخرج عليه في السنة المذكورة، محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر الأموي، في جمادى الآخرة من سنة تسع وتسعين وثلاثمائة واجتمع عليه الناس وبايعوه بالخلافة، وقبض على المؤيد وحبسه في قرطبة وتلقب محمد المذكور بالمهدي، واستمر في الخلافة، فخرج عليه سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر، فهرب محمد بن هشام بن عبد الجبار المذكور، واستولى سليمان على الخلافة في أوائل شوال من هذه السنة أعني سنة أربعمائة، ثم جمع المهدي محمد بن هشام جمعاً وقصد سليمان بقرطبة، فهرب سليمان وعاد محمد المهدي المذكور إلى الخلافة في منتصف شوال من هذه السنة المذكورة، ثم اجتمع كبار العسكر وقبضوا على المهدي محمد المذكور، وأخرجوا المؤيد من الحبس، وأعادوه إلى الخلافة في سابع ذي الحجة من هذه السنة، أعني سنة أربعمائة، وأحضروا المهدي المذكور بين يديه، فأمر بقتله ، فقتل ، واستمر المؤيد في الخلافة ، وقام بتدبير أمره واضح العامري ثم قبض المؤيد على واضح المذكور وقتله ، فكثرت الفتن على المؤيد، واتفقت البربر مع سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر، وسار وحصر المؤيدبقرطبة، وملكها سليمان عنوة، وأخرج المؤيد من القصر ، ولم يتحقق للمؤيد خبر بعد ذلك ، وبُويع سليمان بالخلافة في منتصف شوال من سنة ثلاث وأربعمائة، وتلقب بالمستعين بالله، ثم كان من سليمان وأخبار الأندلس ما سنذكره إن شاء الله تعالى في سنة سبع وأربعمائة.

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

في هذه السنة بنى أبو محمد بن سهلان، سوراً على مشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه. (وفيها) توفي النقيب أبو أحمد الموسوي، والد الشريف الرضي، وكان مولده سنة أربع وثلاثمائة، وكان قد أضرّ في آخر عمره.

(وفيها) توفي أبو العباس النامي الشاعر، وأبو الفتح علي بن محمد البستي، الكاتب الشاعر، صاحب التجنيس.

(ثم دخلت سنة إحدى وأربعمائة) فيها سار أيلك خان ملك الترك، من

سمرقند، بجيوشه لقتال أخيه طغان خان، فوصل إلى أوزكند[١] وسقط عليه ثلج منعه من المسير إليه، فعاد إلى سمرقند.

(ذكر الخطبة العلوية بالكوفة والموصل)

في هذه السنة خطب قرواش بن المقلد بن المسيب أمير بني عقيل، للحاكم بالله العلوي صاحب مصر، بأعماله كلها، وهي الموصل والأنبار والمدائن والكوفة وغيرها. وكان ابتداءالخطبة بالموصل، «الحمدلله الذي انجلت بنوره غمرات الغضب، وانهدّت بعظمته أركان النصب، وأطلع بقدرته شمس الحق من الغرب»[٢]. فكتب بهاء الدولة إلى عميد الجيوش يأمره بالمسير إلى حرب قرواش، فسار إليه، وأرسل قرواش يعتذر وقطع خطبة العلويين.

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

وفي هذه السنة وقع الحرب بين بني مزيد وبني دبيس، بسبب أن أبا الغنائم محمد بن مزيد، كان مقيماً عند بني دبيس، في جزيرتهم، بنواحي خورستان، لمصاهرة بينهم، فقتل أبو الغنائم محمد بن مزيد، أحد وجوه بني دبيس، ولحق بأخيه أبي الحسن بن مزيد، فسار إليهم أبو الحسن بن مزيد، واقتتلوا فقتل أبو الغنائم محمد بن مزيد، وهرب أخوه أبو الحسن.

(وفي هذه السنة) توفي عميد الجيوش أبو علي بن أستاذ هرمز، وكان أميراً من جهة بهاء الدولة على العسكر، وعلى الأمور ببغداد، وكانت ولايته ثمان سنين وأربعة أشهر وأياماً. وعمره تسع وأربعون سنة، وكان أبوه أستاذ هرمز، من حجاب عضد الدولة، واتصل عميد الجيوش بخدمة بهاء الدولة، فلما فسد حال بغداد من الفتن، أرسله بهاء الدولة إلى بغداد، فأصلح الأمور وقمع المفسدين، فلما مات عميد الجيوش، استعمل بهاء الدولة موضعه على بغداد فخر الملك، أبا غالب.

(ثم دخلت سنة اثنتين وأربعمائة)

(ذكرأخبار صالح بن مِرْداس وملكه حلب)
(وأخبار ولده إلى سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة)

وكان ينبغي أن نذكر ذلك مبسوطاً في السنين، ولكن لقلته كان يضيع ولا ينضبط

---

(١) أوزكند: بلد بما وراء النهر من نواحي فرغانة. ويقال أوزجند. البلدان ١ / ٢٨٠.

(٢) في الكامل: من العرب. ج٨ ص٦٣.

فلذلك أوردنا في هذه السنة جملة، كما فعلنا مثل ذلك في عدة قصص من هذا التاريخ فنقول: إننا ذكرنا ملك أبي المعالي شريف الملقب بسعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان لحلب، إلى أن توفي بالفالج، وهو مالكها، على ما شرحناه في سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، ولما توفي أبو المعالي سعد الدولة المذكور، أُقيم (أبو الفضائل) ولد سعد الدولة مكان أبيه، وقام بتدبيره، لؤلؤ، أحد موالي سعد الدولة، ثم استولى (أبو نصر) بن لؤلؤ المذكور علي أبي الفضائل بن سعد الدولة، وأخذ منه حلب، واستولى عليها، وخطب للحاكم العلوي بها، ولقب الحاكم أبا نصر بن لؤلؤ المذكور، مرتضى الدولة. واستقر في ملك حلب، وجرى بينه وبين صالح بن مرداس الكلابي وبني كلاب وحشة وقصص يطول شرحها، وكانت الحرب بينهم سجالاً، وكان لابن لؤلؤ غلام اسمه فتح، وكان (دزدار) قلعة حلب، فجرى بينه وبين أستاذه ابن لؤلؤ وحشة في الباطن، حتى عصى.

(فتح) المذكور في قلعة حلب على أستاذه، واستولى عليها، وكاتب فتح المذكور الحاكم العلوي بمصر، ثم أخذ فتح من الحاكم صيدا وبيروت، وسلم حلب إلى نواب الحاكم، فسار مولاه ابن لؤلؤ إلى أنطاكية وهي للروم، فأقام معهم بها، وتنقلت حلب بأيدي نواب الحاكم، حتى صارت بيد إنسان من الحمدانية، يعرف بعزيز الملك، وبقي المذكور نائب الحاكم بحلب، حتى قتل الحاكم، وولي الظاهر لإعزاز دين الله، العلوي، فتولى من جهة الظاهر العلوي المذكور على مدينة حلب، إنسان يعرف (بابن ثعبان) وولي القلعة خادم يعرف بموصوف، فقصدهما صالح بن مرداس، أمير بني كلاب، فسلّم إليه أهل البلد مدينة حلب، لسوء سيرة المصريين فيهم، وصعد ابن ثعبان إلى القلعة، وحصرها صالح بن مرداس، فسلّمت إليه قلعة حلب أيضاً، في سنة أربع عشرة وأربعمائة واستقر صالح مالكاً لحلب، وملك معها من بعلبك إلى عانة[١] وأقام صالح بن مرداس بحلب، مالكاً لما ذكر ست سنين، فلما كان سنة عشرين وأربعمائة، جهّز الظاهر العلوي جيشاً لقتال صالح المذكور، ولقتال حسان أمير بني طيئ وكان قد استولى حسان المذكور على الرملة. وتلك البلاد، وكان مقدم عسكر المصريين اسمه أنوش تكين[٢]، فاتفق صالح وحسان على قتال أنوش تكين، وسار صالح من حلب إلى حسان، واجتمعا على الأردن عند طبرية،

(١) عانة: بلد مشهور بين الرّقة وهيت يُعَد في أعمال الجزيرة. البلدان ٤ / ٧٢.

(٢) في الكامل: أنوشتكين البربري. ج٨ ص٦٩.

ووقع بينهم القتال، فقتل صالح بن مرداس وولده الأصغر، ونفذ رأساهما إلى مصر، ونجا ولده أبو كامل نصر بن صالح بن مرداس، وسار إلى حلب، فملكها، وكان لقب أبي كامل المذكور، (شبل الدولة) وبقي شبل الدولة بن صالح مالكاً لحلب إلى سنة تسع وعشرين وأربعمائة، وذلك في أيام المستنصر بالله العلوي، صاحب مصر.

فجهزت العساكر من مصر إلى شبل الدولة، ومقدمهم رجل يقال له الدزبري بكسر الدال المهملة وسكون الزاي المعجمة وباء موحدة وراء مهملة ويا مثناة من تحت وهو أنوش تكين المذكور، وكان يلقب الدزبري،

نقلت ذلك من تاريخ ابن خلكان فاقتتلوا مع شبل الدولة عند حماة، في شعبان سنة تسع وعشرين وأربعمائة فقتل شبل الدولة، وملك الدزبري حلب في رمضان من السنة المذكورة . وملك الشام جميعه ، وعظم شأن الدزبري وكثر ماله، وتوفي الدزبري بحلب سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة على ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

وكان لصالح بن مرداس ولد بالرحبة، يقال له: أبو علوان ثمال، ولقبه معز الدولة، فلما بلغه وفاة الدزبري سار (ثمال) بن صالح المذكور إلى حلب، وملك مدينة حلب، ثم ملك قلعتها في صفر سنة أربع وثلاثين وأربعمائة وبقي معز الدولة ثمال بن صالح المذكور، مالكاً لحلب إلى سنة أربعين وأربعمائة، فارسل إليه المصريون جيشاً، فهزمهم ثمال، ثم أرسلوا إليه جيشاً آخر، فهزمهم ثمال أيضاً ثم صالح ثمال المذكور المصريين، ونزل لهم عن حلب فأرسل المصريون رجلاً من أصحابهم يقال له الحسن بن علي بن ملهم ولقبوه (مكين الدولة)، فتسلم حلب من ثمال بن صالح بن مرداس، في سنة تسع وأربعين وأربعمائة، وسار ثمال إلى مصر، وسار أخوه عطية بن صالح بن مرداس إلى الرحبة، وكان لنصر الملقب بشبل الدولة الذي قتل في حرب الدزبري ولد يقال له محمود، فكاتبه أهل حلب، وخرجوا عن طاعة ابن ملهم، فوصل إليهم محمود، واتفق معه أهل حلب، وحصروا ابن ملهم في جمادى الآخرة من سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة، فجهز المصريون جيشاً لنصرة ابن ملهم، فلما قاربوا حلب، رحل محمود عنها هارباً، وقبض ابن ملهم على جماعة من أهل حلب، وأخذ أموالهم، ثم سار العسكر في أثر محمود بن نصر بن صالح المذكور، فاقتتلوا وانتصر محمود وهزمهم، ثم عاد محمود إلى حلب فحاصرها، وملك المدينة والقلعة، في شعبان سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة، وأطلق ابن ملهم

ومقدم الجيش، وهو ناصر الدولة، من ولد ناصر الدولة بن حمدان، فسار إلى مصر واستقر محمود بن شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس مالكاً لحلب.

ولما وصل ابن ملهم وناصر الدولة إلى مصر، وكان ثمال بن صالح بن مرداس قد سار إلى مصر كما ذكرنا، جهز المصريون ثمال بن صالح بجيش، لقتال ابن أخيه محمود بن شبل الدولة فسار ثمال بن صالح إلى حلب وهزم محمود بن أخيه، وتسلم (ثمال) بن صالح بن مرداس حلب، في ربيع الأول من سنة ثلاث وخمسين اربعمائة ثم توفي ثمال في حلب سنة أربع وخمسين في ذي القعدة، وأوصى بحلب لأخيه عطية، الذي كان سار إلى الرحبة كما ذكرناه.

فسار (عطية) بن صالح من الرحبة، وملك حلب في السنة المذكورة، وكان محمود بن شبل الدولة، لما هرب من عمه ثمال من حلب، سار إلى حران، فلما مات ثمال، وملك اخوه عطية حلب، جمع (محمود) عسكراً وسار إلى حلب، فهزم عمه عطية عنها وسارعطية إلى الرقة فملكها، ثم أُخذت منه، فسار عطية إلى الروم، وأقام بقسطنطينية حتى مات بها.

وملك محمود بن نصر بن صالح بن مرداس حلب، في أواخر سنة أربع وخمسين وأربعمائة ثم استولى محمود على أرتاح[1]، واخذها من الروم في سنة ستين، ومات محمود المذكور في ذي الحجة سنة ثمان وستين وأربعمائة في حلب، مالكاً لها.

وملك حلب بعده ابنه (نصر) بن محمود بن نصر بن صالح بن مرداس، ثم قتل التركمان نصراً المذكور، على ما سنذكره إن شاء الله تعالى، في سنة تسع وستين وأربعمائة وملك حلب بعده أخوه (سابق) بن محمود بن نصر بن صالح بن مرداس وبقي سابق بن محمود المذكور، مالكاً لحلب إلى سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة وأخذ حلب منه شرف الدولة، (مسلم) بن قريش، صاحب الموصل على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

في هذه السنة، كتب ببغداد محضر بأمر القادر، يتضمن القدح في نسب العلويين خلفاء مصر، وكتب فيه جماعة من العلويين والقضاة، وجماعة من

(١) ارتاح: اسم حصن منيع، كان من العواصم من اعمال حلب. البلدان ١ / ١٤٠.

الفضلاء، وأبو عبد الله بن النعمان فقيه الشيعة، (ونسخة المحضر) المذكورة «هذاما شهد به الشهود، أن معد بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد، منتسب إلى ديصان بن سعيد، الذي ينسب إليه الديصانية، وأن هذا الناجم بمصر هو منصور ابن نزار المتلقب بالحاكم، حكم الله عليه بالبوار والدمار، ابن معد بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد، لا أسعده الله، وأنّ من تقدمه من سلفه، الأرجاس الأنجاس، عليهم لعنة الله، ولعنة اللاعنين، أدعياء خوارج لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأن ما ادعوه من الانتساب إليه، زور وباطل، وأن هذا الناجم في مصر، هو وسلفه، كفّار وفسّاق، زنادقة ملحدون معطلون، وللإسلام جاحدون، أباحوا الفروج وأحلوا الخمور، وسبّوا الأنبياء، وادعوا الربوبية» وتضمن المحضر المذكورنحو ذلك، أضربنا عنه، وفي آخره كتب في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعمائة (وفيها) اشتد أذى خفاجة للحجاج، وقطعوا عليهم الطريق.

(ثم دخلت سنة ثلاث وأربعمائة)

(ذكر قتل قابوس)

في هذه السنة، قتل شمس المعالي قابوس بن وشمكير بن زيار، بسبب تشديده على أصحابه، وعدم التجاوز عن ذنوبهم، فخرجوا عن طاعته وحصروه، واستدعوا ولده منوجهر بن قابوس، فأقاموه عليهم، وكان بجرجان، ثم اتفق مع أبيه قابوس، فانقطع قابوس في قلعة يعبد الله، فلم يطب للعسكر الذين خلعوه، وعاودوا منوجهر في قتله، فسكت فمضوا إلى قابوس، وأخذوا جميع ما عنده من ملبوس، وتركوه حتى مات بالبرد، وكان قابوس المذكور كثير الفضائل، عظيم السياسة، شديد الأخذ، قليل العفو، وكان عالماً بالنجوم وغيرها، وله أشعار حسنة، فمن شعره:

قلْ للذي بصروف الدّهرِ عيّرنا ... هلْ عانَدَ الدّهرُ إلاّ مَنْ لَهُ خطرُ
ففي السماءِ نجومٌ ما لها عددٌ ... وليسَ يُكسفُ إلاّ الشمسُ والقمرُ[1]

(وفي هذه السنة) مات ملك الترك، أيلك خان، وملك بعده أخوه طغان خان، وكان أيلك خان خيّراً عادلاً محباً للدين وأهله.

(ذكر وفاة بهاء الدولة)

في هذه السنة في عاشر جمادى الآخرة، توفي بهاء الدولة أبو نصر خاشاذ بن

---

(١) في الكامل: ففي السماء نجوم غير ذي عدد. ج٨ ص٧٦.

عضد الدولة بن بويه بتتابع الصرع، مثل مرض أبيه عضد الدولة، وكان موته بأرجان، وملك العراق وعمره اثنتان وأربعون سنة وتسعة أشهر، وملكه أربع وعشرون سنة.

ولما توفي ولي الملك بعده ابنه سلطان الدولة أبو شجاع بن بهاء الدولة. (وفيها) كان استيلاء سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر على قرطبة، وبويع بالخلافة على ما قدمنا ذكره، في سنة أربعمائة، ولما استولى على قرطبة عدم المؤيد هشام، فلم يتحقق له خبر بعد هذه السنة، وسنذكر ما قيل في ظهوره إن شاء الله تعالى وإن ذلك كان تنويجا[1] لا حقيقة له.

(وفيها) توفي القاضي أبو بكر بن الباقلاني، واسمه محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، وكان أبو بكر المذكور، على مذهب أبي الحسن الأشعري، وهو ناصر طريقته، ومؤيد مذهبه، وسكن ببغداد، وصنف التصانيف الكثيرة في علم الكلام، وانتهت إليه الرئاسة في مذهبه، ونسبة الباقلاني إلى بيع الباقلاء، وهي نسبة شاذة مثل صنعاني.

(ثم دخلت سنة أربع وأربعمائة) في هذه السنة أيضاً عاد يمين الدولة محمود، فغزا الهند وأوغل في بلادهم وغنم وفتح وعاد إلى غزنة. (وفيها) عاثت خفاجة، ونهبوا سواد الكوفة، وطلع عليهم العسكر وقتل منهم وأسر.

(وفي هذه السنة) توفي أبو الحسن علي بن سعيد الأصطخري، وهو من شيوخ المعتزلة، وكان عمره قد زاد على ثمانين سنة.

(ثم دخلت سنة خمس وأربعمائة) في هذه السنة، كانت الحرب بين أبي الحسن علي بن مزيد الأسدي، وبين مضر و حسان ونبهان وطراد بني دبيس، وكان آخر تلك الحرب، أن مضر بن دبيس، كبس أبا الحسن ابن مزيد المذكور، فهزمه واستولى ابن دبيس على خيل أبي الحسن وأمواله وهرب أبو الحسن إلى بلد النيل.

(وفيها) توفي الحافظ محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم الضبي الطهماني، المعروف بابن الحاكم النيسابوري إمام أهل الحديث في عصره، والمؤلف فيه الكتب التي لم يُسبق إلى مثلها، سافر في طلب الحديث، وبلغت عدة شيوخه نحو ألفين، وصنف عدة مصنفات، منها الصحيحان، والامالي، وفضائل الشافعي، وإنما عُرف أبوه بالحاكم، لانه تولى القضاء بنيسابور.

---

(١) الاصح: ترويجاً او تمويهاً. ج٨ ص٩١.

(وفيها) قتل طائفة من عامة الدينور، قاضيهم أبا القاسم يوسف بن أحمد بن كج، الفقيه الشافعي، قاضي الدينور، قتلوه خوفاً منه، وله وجه في المذهب، وصنف كتباً كثيرة، وجمع بين رئاستي العلم والدنيا.

(ثم دخلت سنة ست وأربعمائة)

(ذكر وفاة باديس)

في هذه السنة، توفي باديس بن منصور بن يوسف بلكين بن زيري، أمير إفريقية. وولي بعده إمرة إفريقية ابنه المعز بن باديس، وعمره ثمان سنين، ووصلت إليه الخلع والتقليدمن الحاكم العلوي، ولقبه شرف الدولة، وهذا المعز بن باديس هو الذي حمل أهل المغرب على مذهب الإمام مالك، وكانوا قبله على مذهب أبي حنيفة.

(وفي هذه السنة) غزا يمين الدولة محمود الهند على عادته، فتاه الدليل، ووقع هو وعسكره في مياه فاضت من البحر فغرق كثير ممن معه، وبقي فيه أياماً، حتى تخلص، وعاد إلى خراسان.

(وفي هذه السنة) عَزَل سلطان الدولة بن بهاء الدولة نائبه بالعراق، فخر الملك، أبا غالب، وقتله سلخ ربيع الأول من هذه السنة، وكان عمر فخر الملك اثنتين وخمسين سنة وأحد عشر شهراً، وكانت مدة ولايته على العراق خمس سنين وأربعة أشهر وأياماً، ووجد له من المال ألف ألف دينار عيناً، غير العروض[1]. وغير ما نهب، وكان قبضه بالأهواز. ثم استوزر سلطان الدولة بن بهاء الدولة أبا محمد الحسن بن سهلان.

(وفيها) توفي أبو نصر قراخان صاحب تركستان، وقيل في سنة ثمان وأربعمائة على ما سنذكره إن شاء الله تعالى. (وفيها) توفي الشريف الحسيني الملقب بالرضي، وهو محمد بن الحسين بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق بن محمدالباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، المعروف بالموسوي، صاحب ديوان الشعر، حُكي أنه تعلم النحو من ابن السيرا في النحوي، فذاكره ابن السيرافي على عادة التعليم، وهو صبي، فقال: إذا قلنا رأيت عمر فما علامة النصب في عمرو؟ فقال الرضي: بغض عليٍّ. أراد السيرافي النصب الذي هو

---

(١) في الكامل: غير الاعراض ج٨ص٩١.

الإعراب، وأراد الرضي الذي هو بغض علي، فأشار إلى عمرو بن العاص وبغضه لعلي، فتعجب الحاضرون من حدة ذهنه، وكانت ولادته سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ببغداد.

(وفيها) توفي الإمام أبو حامد أحمد بن محمد بن أحمد الإسفرائيني، إمام أصحاب الشافعي، وكان عمره إحدى وستين سنة وأشهراً، قدم بغداد في سنة ثلاث وستين وثلاثمائة، وكان يحضر مجلسه أكثر من ثلاثمائة فقيه، وطبق الأرض بالأصحاب، وله عدة مصنفات منها: في المذهب التعليقة الكبرى، وهو من (إسفرائين) وهي بلدة بخراسان بنواحي نيسابور، على منتصف الطريق إلى جرجان.

(ثم دخلت سنة سبع وأربعمائة) فيها غزا يمين الدولة محمود الهند على عادته، ووصل إلى قشمير، وقنوج، وبلغ نهر كنك وفتح عدة بلاد وغنم أموالاً وجواهر عظيمة، وعاد إلى غزنة مؤيداً منصوراً.

(ذكر انقراض الخلافة الأموية من الأندلس، وتفرق)
(ممالك الأندلس، وأخبار الدولة العلوية بها)

في هذه السنة، خرج بالأندلس على المستعين بالله سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر الأموي، شخص من القواد يقال له خيران العامري، لأنه كان من أصحاب المؤيد، فلما ملك سليمان الأموي قرطبة، خرج عنه خيران المذكور، وسار في جماعة كثيرة من العامريين، وكان علي بن حمود العلوي مستولياً على سبتة، وبينه وبين الأندلس عدوة المجاز، وكان أخوه القاسم بن حمود مستولياً على الجزيرة الخضراء من الأندلس، ولما رأى علي بن حمود العلوي خروج خيران على سليمان، عبر من سبتة إلى مالقة، واجتمع إليه خيران وغيره من الخارجين على سليمان الأموي، وكان أمر هشام المؤيد الخليفة الأموي قد اختفى عليهم، من حين استولى ابن عمه سليمان المذكور على قرطبة، في سنة ثلاث وأربعمائة، على ما قدمنا ذكره. وأخرج المؤيد من القصر، فلم يطلع للمؤيد على خبر، فاجتمع خيران وغيره إلى علي بن حمود العلوي بالمكتب، وهي ما بين المرية ومالقة، سنة ست وأربعمائة، وبايعوا علي بن حمود العلوي على طاعة المؤيد الأموي، إن ظهر خبره، وساروا إلى سليمان بقرطبة، وجرى بينهم قتال شديد، انهزم فيه سليمان الأموي، وأُخذ أسيراً، وأُحضر هو وأخوه وأبوهما الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر، وكان الحكم أبو سليمان المذكور، متخلياً عن الملك للعبادة، وملك علي بن حمود

العلوي قرطبة، ودخلها في هذه السنة أعني سنة سبع وأربعمائة، وقصد القواد وعلي ابن حمود القصر، طمعاً في أن يجدوا المؤيد، فلم يقفوا له على خبر، فقتل علي بن حمود العلوي سليمان وأباه وأخاه، ولما قدم الحكم بن سليمان للقتل، قال له علي ابن حمود: يا شيخ قتلتم المؤيد؟ فقال: والله ما قتلناه، وإنه حي يرزق، فحينئذ أسرع علي بن حمود في قتله، وأظهر علي بن حمود موت المؤيد، ودعا الناس إلى نفسه فبايعوه، وتلقب بالمتوكل على الله، وقيل الناصر لدين الله، وهو علي بن حمود بن أبي العيش ميمون بن أحمد بن علي بن عبد الله بن عمر بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

ثم إن خيران خرج عن طاعته، لأنه إنما وافقه طمعاً في أن يجد المؤيد محبوساً في قصر قرطبة، ليعيده إلى الخلافة، فلما لم يجده، سار خيران عن قرطبة يطلب أحداً من بني أمية ليقيمه في الخلافة، فبايع شخصاً من بني أمية ولقبه المرتضى، وهو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر الأموي، وكان مستخفياً بمدينة جيان، واجتمع إلى عبد الرحمن المذكور أهل (شاطبة وبلنسية وطرطوشة)[1] مخالفين على علي بن حمود العلوي، فلم ينتظم لعبد الرحمن المذكور أمر، وجمع علي بن حمود جموعه، وقصد المسير إليهم من قرطبة، وبرز العساكر إلى ظاهرها، ودخل علي بن حمود الحمّام، ليخرج منها ويسير بالعساكر فوثب عليه غلمانه وقتلوه في الحمّام. وكان قتل علي بن حمود في أواخر ذي القعدة سنة ثمان وأربعمائة، فلما علمت العساكر بقتله، دخلوا البلد، وكان عمره ثمانياً وأربعين سنة، ومدة ولايته سنة وتسعة أشهر.

ثم ولي بعده أخوه (القاسم) بن حمود، وكان أكبر من أخيه علي بعشرين عاماً، وقيل بعشرة أعوام، ولقب القاسم بالمأمون، وبقي القاسم بن حمود مالكاً لقرطبة وغيرها، إلى سنة اثنتي عشرة وأربعمائة. ثم سار القاسم من قرطبة إلى إشبيلية، فخرج عليه ابن أخيه يحيى بن علي بن حمود بقرطبة، ودعا الناس إلى نفسه، وخلع عمه، فأجابوه، وذلك في مستهل جمادى الأولى سنة اثنتي عشرة وأربعمائة. وتلقب يحيى بالمعتلي، وبقي بقرطبة حتى سار إليه عمه القاسم من

---

(١) شاطبة: مدينة شرق الاندلس، ينسب إليها الشاطبي المقري.
بلنسة: مدينة بالأندلس أيضاً.
طرطوشة: مدينة بالأندلس. الكامل ج٨ ذيل ص ٩٩.

إشبيلية، فخرج يحيى بن علي بن حمود من قرطبة إلى مالقة، والجزيرة الخضراء، فاستولى عليهما، وذلك في سنة ثلاث عشرة وأربعمائة، في ذي القعدة، ودخل القاسم بن حمود قرطبة في التاريخ المذكور، وجرى بين أهل قرطبة وبين القاسم قتال شديد، وأخرجوه عن قرطبة، وبقي بينهم القتال نيفاً وخمسين يوماً، ثم انتصر أهل قرطبة وانهزم القاسم بن حمود، وتفرق عنه عسكره، وسار إلى شريش، فقصده ابن أخيه يحيى بن علي بن حمود، وأمسك عمه القاسم بن حمود وحبسه، حتى مات القاسم في الحبس، بعد موت يحيى.

ولما جرى ذلك خرج أهل إشبيلية عن طاعة القاسم، وابن أخيه يحيى، وقدموا عليهم قاضي إشبيلية أبا القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي، وبقي إليه أمر إشبيلية وكانت ولاية القاسم بن حمود بقرطبة إلى أن أُمسك وحبس ثلاثة أعوام، وشهوراً، وبقي محبوساً إلى أن مات سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة وقد أسنّ.

ثم أقام أهل قرطبة رجلاً من بني أمية اسمه عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر، ولقب عبد الرحمن المذكور (المستظهر بالله) وهو أخو المهدي محمدبن هشام، وبويع في رمضان، وقتلوه في ذي القعدة، كل ذلك في سنة أربع عشرة وأربعمائة، ولما قتل المستظهر، بويع بالخلافة محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عبد الرحمن الناصر، ولقب محمد المذكور المستكفي، ثم خلع المستكفي المذكور بعد سنة وأربعة أشهر، فهرب وسُمَّ في الطريق فمات.

ثم اجتمع أهل قرطبة على طاعة يحيى بن علي بن حمود العلوي، وكان بمالقة، يخطب له بالخلافة، ثم خرجوا عن طاعته في سنة ثماني عشرة وأربعمائة، وبقي يحيى كذلك مدة، ثم سار من مالقة إلى قرمونة. وأقام بها محاصراً لإشبيلية وخرجت للقاضي أبا القاسم بن عباد خيل، وكمن بعضهم، فركب يحيى لقتالهم، فقتل في المعركة، وكان قتل يحيى المذكور في المحرم سنة سبع وعشرين وأربعمائة.

ولما خلع أهل قرطبة طاعة يحيى كما ذكرنا، بايعوا لهشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر الأموي ولقبوه (بالمعتد بالله)، وكان ذلك في سنة ثماني عشرة وأربعمائة حسبما ذكرنا، وجرى في أيامه فتن وخلافات من أهل الأندلس يطول شرحها، حتى خلع هشام المذكور سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة، وسار هشام مخلوعاً إلى سليمان بن هود الجذامي، فأقام عنده إلى أن مات هشام سنة

ثمان وعشرين وأربعمائة.

ثم أقام أهل قرطبة بعد هشام شخصاً من ولد عبد الرحمن الناصر أيضاً، واسمه أمية، ولما أرادوا ولاية أمية، قالوا له: نخشى عليك أن تقتل فإن السعادة قد ولت عنكم يا بني أمية. فقال: بايعوني اليوم، واقتلوني غداً، فلم ينتظم له أمر، واختفى فلم يظهر له خبر بعد ذلك.

ثم إن الأندلس اقتسمها أصحاب الأطراف والرؤساء، وصاروا مثل ملوك الطوائف، (وأما) قرطبة فاستولى عليها أبو الحسن بن جهور، وكان من وزراء الدولة العامرية، وبقي كذلك إلى أن مات سنة خمس وثلاثين وأربعمائة، وقام بأمر قرطبة بعده ابنه أبو الوليد محمد بن جهور. (وأما) إشبيلية فاستولى عليها قاضيها أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي، وهو من ولد النعمان بن المنذر، ولما انقسمت مملكة الأندلس، شاع أن المؤيد هشام بن الحكم الذي اختفى خبره قد ظهر، وسار إلى قلعة رباح، وأطاعه أهلها، فاستدعاه ابن عباد إلى إشبيلية، فسار إليه، وقام بنصره، وكتب بظهوره إلى ممالك الأندلس، فأجاب أكثرهم، وخطبوا له وجددت بيعته في المحرم سنة تسع وعشرين وأربعمائة، وبقي المؤيد حتى وليّ المعتضد بن عباد، فأظهر موت المؤيد، والصحيح أن المؤيد لم يظهر خبره مذ عُدم من قرطبة، في سنة ثلاث وأربعمائة على ما قدمنا ذكره، وإنما كان إظهار المؤيد من تمويهات ابن عباد وحيله ومكره.

(وأما) بطليوس فقام بها سابور الفتى العامري، وتلقب سابور المذكور بالمنصور، ثم انتقلت من بعده إلى أبي بكر محمد بن عبد الله بن مسلمة، المعروف بابن الأفطس، وتلقب محمد المذكور بالمظفر، وأصل ابن الأفطس المذكور من بربر مكناسة، لكن ولده أبوه بالأندلس. فلما توفي محمد المذكور، صار ملك بطليوس بعده لولده عمر بن محمد وتلقب (بالمتوكل)، واتسع ملكه، وقتل صبراً مع ولديه، عند تغلب أمير المسلمين يوسف بن تاشفين على الأندلس، وكان اسم ولديه اللذين قتلا معه، الفضل والعباس.

(وأما طليطلة) فقام بأمرها ابن يعيش، ثم صارت إلى إسماعيل بن عبد الرحمن بن عامر بن ذي النون، وتلقب (بالظافر) بحول الله، وأصله من البربر، ثم ملك بعده ولده (يحيى) بن إسماعيل، ثم أخذت الفرنج منه طليطلة في سنة سبع وسبعين وأربعمائة، وصار هو ببلنسية، وأقام هو بها إلى أن قتله القاضي ابن جحاف الأحنف.

(وأما) سرقسطة والثغر الأعلى، فصارت في يد منذر بن يحيى، ثم صارت سرقسطة وما معها بعده لولده (يحيى) بن منذر بن يحيى، ثم صارت لسليمان بن أحمد بن محمد بن هود الجذامي، وتلقب بالمستعين بالله، ثم صارت بعده لولده (أحمد) بن سليمان بن محمد بن أحمد، ثم ولي بعده ابنه عبد الملك بن أحمد، ثم ولي بعده ابنه أحمد بن عبد الملك، وتلقب بالمستنصر بالله. وعليه انقرضت دولتهم على رأس الخمسمائة، فصارت بلادهم جميعها للملثمين.

(وأما طرطوشة) فوليها لبيب بن الفتى العامري. (وأما بلنيسة) فكان بها المنصور أبو الحسن عبد العزيز المغافري، ثم انضاف إليه المرية، ثم ملك بعده ابنه (محمد) بن عبد العزيز، ثم غدر به صهره المأمون بن ذي النون، وأخذ الملك من محمد بن عبد العزيز في سنة سبع وخمسين وأربعمائة.

(وأما السهلة) فملكها عبود بن رزين، وأصله بربري. (وأما دانية والجزائر) فكانت بيد الموفق بن أبي الحسين مجاهد العامري. (وأما) مرسية فوليها بنو طاهر، واستقامت لأبي عبد الرحمن منهم، إلى أن أخذها منه المعتمد بن عباد. ثم عصى بها نائبها عليه، ثم صارت للملثمين.

(وأما المرية) فملكها خيران العامري، ثم ملك المرية بعده زهير العامري، واتسع ملكه إلى شاطبة، ثم قتل وصارت مملكته إلى المنصور عبدالعزيز بن عبد الرحمن المنصور بن أبي عامر، ثم انتقلت حتى صارت للملثمين.

(وأما) مالقة فملكها بنو علي بن حمود العلوي، فلم تزل في مملكة العلويين يخطب لهم فيها بالخلافة، إلى أن أخذها منهم (باديس) ابن حبوس صاحب غرناطة.

(وأما غرناطة) فملكها حبوس بن ماكس الصنهاجي فهذه صورة تفرق ممالك الأندلس، بعدما كانت مجتمعة لخلفاء بني أمية، وقد نظم أبو طالب عبد الجبار المعروف بالمتنى الأندلسي، من أهل جزيرة شقراء، أرجوزة تحتوي على فنون من العلوم، وذكر فيها شيئاً من التاريخ يشتمل على تفرق ممالك الأندلس، فمن ذلك قوله:

لما رأى أعلامُ أهلِ قُرطبةْ	انّ الأمور عندهم مضطربَهْ
وعدمت شاكلةً للطاعةْ	استعلمت آراءها الجماعةْ
فقدموا الشيخَ من آل جهورِ	المكتني بالحزم والتدبرِ

ثم ابنه أبا الوليد بعدهُ وكان يحدوا في السداد قصدهُ
فجاهرت لجورها الجهاوره وكل قطر حل فيه فاقره
والثغر الأعلى قامَ فيه منذرُ ثم ابنُ هودٍ بعدُ فيما يذكرُ
وابنُ يعيش ثار في طليطلهْ ثم ابن ذي النونِ تصفى الملك لهْ
وفي بطليموس انتزا سابورُ وبعده ابن الأفطس المنصورُ
وثار في إشبيلية بنو عباد والكذب والفتونُ في ازدياد
وثار في غرناطة حبوسٌ ثم ابنه من بعده باديسٌ
وآل معن ملكوا المريّهْ بسيرة محمودة مُرْضيّهْ
وثار في شرق البلاد الفتيانُ العامريون ومنهم خيرانُ
ثم زهيرٌ والفتى لبيبُ ومنهم مجاهدُ اللبيبُ
سلطانه رسى بمرسى دانيهْ ثم غزا حتى إلى سردانيهْ
ثم أقامت هذه الصقالبهْ لابن أبي عامر هم بشاطبهْ
وحل ما ملكهم بلنسيهْ وثار آل طاهر بمرسيهْ
وبلد البسيت لآل قاسم وهو حتى الآن فيه حاكمْ
وابن رزين جاره في السهلهْ أمهل أيضاً ثم كل المهلهْ
ثم استمرت هذه الطوائفِ يخلفهم من آلهم خوالفُ

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

في هذه السنة، أعني سنة سبع وأربعمائة، قُتلت الشيعة بإفريقية، وتتبع من بقي منهم فقتلوا، وكان سببه أن المعز بن باديس ركب في القيروان، فاجتاز بجماعة، فسأل عنهم فقيل له: هؤلاء رافضة، يسبون أبا بكر وعمر، فقال المعز رضي الله عن أبي بكر وعمر، فثارت بهم الناس، وأقاموا الفتنة وقتلوهم طمعاً في النهب.

(ثم دخلت سنة ثمان وأربعمائة) في هذه السنة مات قراخان ملك تركستان، وقيل إن وفاته كانت في سنة ست وأربعمائة، ومدينة تركستان كاشغر، ولما كان قراخان مريضاً، سارت جيوش الصين من الترك والخطابية إلى بلاده، فدعا قراخان الله تعالى في أن يعافيه ليقاتلهم، ثم يفعل به ما شاء، فتعافى وجمع العساكر وسار إليهم، وهم زهاء ثلاثمائة ألف خركاة، فكبسهم وقتل منهم زيادة على مائتي ألف رجل، وأسر نحو مائة ألف، وغنم ما لا يحصى، وعاد إلى بلا ساغون، فمات بها عقيب وصوله، وكان عادلاً ديناً، وما أشبه قصته هذه بقصة سعد بن معاذ الأنصاري

رضي الله عنه، في غزوة الخندق، لما جرح في وقعة الخندق، وسأل الله أن يحييه إلى أن يشاهد غزوة بني قريظة، فاندمل جرحه حتى فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل بني قريظة، وسبيهم، فانتقض جرح سعد ومات رضي الله عنه، ولما مات قراخان، واسمه أبو نصر أحمد بن طغان خان علي ملك أخوه أبو المظفر أرسلان خان.

(ذكر وفاة مهذب الدولة صاحب البطيحة)

وفي هذه السنة، في جمادى الأولى، توفي مهذب الدولة أبو الحسن بن علي ابن نصر، ومولده سنة خمس وثلاثمائة وهو الذي هرب إليه القادر بالله، وسبب موته أنه افتصد، فورم ساعده، واشتد بسبب ذلك به المرض، فلما أشرف على الموت، وثب ابن أخت مهذب الدولة، وهو أبو محمد عبد الله بن يمني، فقبض على ابن مهذب الدولة، واسمه أحمد، فدخلت أمه على مهذب الدولة قبل موته، فأعلمته بما جرى على ابنه فقال لها مهذب الدولة: أي شيء أقدر أن أعمل وأنا على هذا الحال. ومات من الغد، وولي الأمر أبو محمد ابن أخت مهذب الدولة المذكور، وضرب ابن مهذب الدولة ضرباً شديداً، فمات أحمد بن مهذب الدولة من ذلك الضرب بعد ثلاثة أيام من موت أبيه، ثم حصل لأبي محمد ذبحة فمات منها، فكان مدة ملكه دون ثلاثة أشهر. فولي البطيحة بعده الحسين بن بكر الشرابي، وكان من خواص مهذب الدولة، ثم قبض عليه سلطان الدولة، في سنة ست عشرة وأربعمائة، وأرسل سلطان الدولة صدقة بن فارس المازيادي[1] فملك البطيحة.

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

وفي هذه السنة مات علي بن مزيد الأسدي وصار الأمير بعده ابنه دبيس بن علي بن مزيد. (وفي هذه السنة) ضعف أمر الديلم ببغداد، وطمعت فيهم العامة، وكثرت العيارون والمفسدون في بغداد، ونهبوا الأموال. (وفيها) قدم سلطان الدولة إلى بغداد، وضرب الطبل في أوقات الصلوات الخمس، وكان جده عضد الدولة يفعل ذلك في أوقات ثلاث صلوات.

(ثم دخلت سنة تسع وأربعمائة). في هذه السنة غزا يمين الدولة الهند، على عادته، فقتل وغنم وفتح وعاد إلى غزنة مظفراً منصوراً. (وفيها) مات عبد الغني بن

---

(١) في الكامل: المازياري - ج٨ ص١٢١.

سعيد الحافظ المصري، صاحب المؤتلف والمختلف. (وفيها) توفي أرسلان خان أبو المظفر بن طغان خان علي، ولما توفي مَلِكَ بلاد ما وراء النهر قدرخان يوسف ابن بغراخان هرون بن سليمان، وتوفي قدرخان المذكور في سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة، على ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

(ثم دخلت سنة عشر وأربعمائة)، وفيها توفي وثاب بن سابق النميري صاحب حران، وملك بلاده بعده ولده شبيب بن وثاب.

(ثم دخلت سنة إحدى عشرة وأربعمائة)

(ذكر موت الحاكم بأمر الله)

في هذه السنة، لثلاث بقين من شوال، فقد الحاكم بأمر الله أبو علي منصور ابن العزيز بالله العلوي، صاحب مصر، وكان فَقْده بأن خرج يطوف بالليل على رسمه، وأصبح عند قبر الفقاعي، وتوجه إلى شرقي حلوان، ومعه ركابيان، فأعاد أحدهما مع جماعة من العرب ليوصلهم ما أطلق لهم من بيت المال، ثم عاد الركابي الآخر وأخبر أنه خلّف الحاكم عند العين والمقصبة، فخرج جماعة من أصحابه لكشف خبره، فوجدوا عند حلوان حمار الحاكم، وقد ضربت يده بسيف، وعليه سرجه ولجامه، واتبعوا الأثر، فوجدوا ثياب الحاكم، فعادوا ولم يشكوا في قتله، وكان سبب قتله: أنه تهدد أخته، فاتفقت مع بعض القواد، وجهزوا عليه من قتله، وكان عمر الحاكم ستاً وثلاثين سنة وتسعة أشهر، وولايته خمساً وعشرين سنة وأياماً، وكان جواداً بالمال، سفاكاً للدماء، وكان يصدر عنه أفعال متناقضة، يأمر بالشيء ثم ينهي عنه.

وولي الخلافة بعده ابنه الظاهر لإعزاز دين الله، أبو الحسن علي بن منصور الحاكم بأمر الله، وبويع له بالخلافة في اليوم السابع من قتل الحاكم، وهو إذ ذاك صبي، وكتبت الكتب إلى بلاد مصر والشام بأخذ البيعة له، وجمعت عمته أخت الحاكم، واسمها ست الملك، الناس، ووعدتهم وأحسنت إليهم. ورتبت الأمور وباشرت تدبير الملك بنفسها، وقويت هيبتها عند الناس، وعاشت بعد قتل الحاكم أربع سنين وماتت.

(ذكر ملك شرف الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة العراق)

وفي هذه السنة، في ذي الحجة شغبت الجند ببغداد على سلطان الدولة فأراد الانحدار إلى واسط، فقال الجند له: إما أن تجعل عندنا ولدك، وإما أخاك مشرف

الدولة، فاستخلف أخاه مشرف الدولة على العراق، وسار سلطان الدولة عن بغداد إلى الأهواز، واستوزر في طريقه ابن سهلان، فاستوحش مشرف الدولة من ذلك، وأرسل سلطان الدولة وزيره ابن سهلان ليخرج أخاه مشرف الدولة من العراق، فسار إليه واقتتلا، فانتصر مشرف الدولة وأمسك ابن سهلان، وسمله، فلما سمع سلطان الدولة بذلك، ضعفت نفسه وهرب إلى الأهواز في أربعمائة فارس، واستقر مشرف الدولة بن بهاء الدولة في ملك العراق، وقطعت خطبة سلطان الدولة، وخطب لمشرف الدولة في أواخر المحرم سنة اثنتي عشرة وأربعمائة.

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

وفي هذه السنة، في الموصل، قبض معتمد الدولة قرواش بن المقلد على وزيره أبي القاسم المغربي، ثم أطلقه، فيما بعد، وقبض أيضاً على سليمان بن فهد، وكان ابن فهد في حداثته بين يدي الصابي ببغداد، ثم صعد إلى الموصل، وخدم المقلد ابن المسيب والد قرواش، ثم نظر في ضياع قرواش فظلم أهلها، ثم سخط قرواش عليه وحبسه ثم قتله، وهو المذكور في شعر ابن الزمكدم في أبياته وهي:

وليلٍ كوجهِ البرقعيديِّ مظلمٍ ... وردِ أغانيهِ وطولِ قرونهِ
سريت ونومي فيه نومٌ مشرّدٍ ... كعقلِ سليمانَ بن فهدٍ ودينهِ
على أولق فيه التفاتٌ كأنه ... أبو جابر في خطبهِ وجنونهِ
إلى أن بدا نور الصباحِ كأنه ... سنا وجه قرواشٍ وضوءَ جبينهِ

وكان من حديث هذه الأبيات، أن قرواشاً جلس في مجلس شرابه في ليلة شاتية وكان عنده المذكورون، وهم البرقعيدي وكان مغنياً لقرواش، وسليمان بن فهدالوزير المذكور،وأبو جابر، وكان حاجباً لقرواش، فأمر قرواش الزمكدم أن يهجو المذكورين ويمدحه، فقال هذه الأبيات البديهية.

(وفيها) اجتمع غريب بن معن ودبيس بن علي بن مزيد، وأتاهم عسكر من بغداد، وجرى بينهم وبين قرواش قتال، فانهزم قرواش، وامتدت يد نواب السلطان إلى أعماله، فأرسل قرواش يسأل الصفح عنه.

(وفيها) على ما حكاه ابن الأثير في حوادث هذه السنة، في ربيع الآخر نشأت سحابة بإفريقية شديدة البرق والرعد، فأمطرت حجارة كثيرة وهلك كل من أصابته.

(ثم دخلت سنة اثنتي عشرة وأربعمائة) فيها مات صدقة بن فارس المازياري أمير البطيحة، وضمنها أبو نصر شير زاد بن الحسن بن مروان، واستقر فيها، وأمنت به

الطرق. (وفيها) توفي علي بن هلال، المعروف بابن البواب، المشهور بجودة الخط، وقيل كان موته سنة ثلاث عشرة وكان عنده علم، وكان يقص بجامع المدينة ببغداد، ويقال له ابن الستري أيضاً، لأن أباه كان بواباً، والبواب يلازم ستر الباب، فلهذا نسب إليه أيضاً، وكان شيخه في الكتابة محمد بن أسد بن علي القارئ الكاتب، البزار البغدادي. وتوفي ابن البواب ببغداد، ودفن بجوار أحمد بن حنبل.

(وفيها) توفي أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي الصوفي صاحب طبقات الصوفية. (وفيها) توفي علي بن عبد الرحمن الفقيه البغدادي، المعروف بصريع الدلاء، قتيل الغواشي ذي الرقاعتين، الشاعر المشهور، وله قصيدة في المجون فمنها قوله:

وليس يخرا في الفراش عاقلٌ ... والفرش لا ينكر فيها من فسى
من فاته العلم وأخطاه الغنى ... فذاك والكلب على حال سوا

وقدم مصر في السنة التي توفي فيها، ومدح الظاهر لإعزاز دين الله.

(ذكر أخبار اليمن)

من تاريخ اليمن لعمارة قال: وفي هذه السنة، أعني سنة اثنتي عشرة وأربعمائة، استولى (نجاح) على اليمن حسبما سبقت الإشارة إليه، في سنة ثلاث ومائتين، ونجاح المذكور مولى مرجان، ومرجان مولى حسين بن سلامة، وحسين مولى رشد، ورشد مولى زياد، وكان لنجاح عدة من الأولاد منهم: سعيد الأحول، وجياش، ومعارك، وغيرهم وبقي نجاح في ملك اليمن حتى توفي في سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة. قيل إن الصليحي أهدى اليه جارية جميلة، فسمت نجاحاً ومات بالسم.

ثم ملك بعد نجاح بنوه، وكبيرهم سعيد الأحول بن نجاح،وبقي الأمر فيهم بعد موت نجاح سنتين وغلب عليهم الصليحي، على ما سنذكره في سنة خمس وخمسين وأربعمائة، فهرب بنو نجاح إلى دهلك وجزائرها، ثم افترقوا منها، فقدم جياش متنكراً إلى زبيد [1]، وأخذ منها وديعة كانت له، ثم عاد إلى دهلك مدة ملك الصليحي. وأما سعيد الأحوال، فقدم إلى زبيد أيضاً، بعدعود أخيه جياش عنها، واستتر بها، وأرسل واستدعى جياشاً من دهلك، وبشره بانقضاء ملك الصليحي، وأن

(١) زبيد : مدينة مشهورة باليمن. البلدان ٣ / ١٣١.

ذلك قد قرب أوانه، فقدم جياش إلى زبيد في اليوم التاسع من ذي القعدة، سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة، وقصدا الصليحي، وكان الصليحي قد سار إلى الحج، فلحقاه عند أم الدهيم، وبير أم معبد، وبغتاه وقتلاه في ثاني عشر ذي القعدة، من السنة المذكورة، ومعه عسكر كثير، فلم يشعروا إلا بقتل الصليحي، وكذلك قتل مع الصليحي أخوه عبد الله بن محمد، وحز سعيد رأس الصليحي ورأس أخيه عبد الله، واحتاط على امرأة الصليحي، وهي أسماء بنت شهاب، وسار عائداً إلى زبيد، وكان لأسماء ابن يقال له الملك المكرم، وكان مالكاً بعض حصون اليمن، ودخل سعيد بن نجاح وأخوه جياش زبيد في أواخر سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة والرأسان قدامهما، أمام هودج أسماء بنت شهاب، وأنزل سعيد أسماء بدار في زبيد، ونصب الرأسين قبالتها، واستوسق الأمر بتهامة لسعيد بن نجاح، واستمرت أسماء مأسورة إلى سنة خمس وسبعين وأربعمائة، فأرسلت أسماء بالخفية كتاباً إلى ابنها المكرم تستوحيه، فجمع المكرم، واسمه أحمد بن علي الصليحي، جموعاً وسار من الجبال إلى زبيد، وجرى بينه وبين سعيد بن نجاح قتال شديد، فانتصر الملك المكرم، وهرب سعيد، ومن سلم معه إلى دهلك، واستولى المكرم على زبيد، وأنزل رأسي الصليحي وأخيه ودفنهما، وبنى عليهما مشهداً وولى المكرم على زبيد خاله أسعد بن شهاب، وماتت أسماء المذكورة، بعد ذلك في صنعاء سنة سبع وسبعين وأربعمائة.

ثم عاد بنو نجاح من دهلك وملكوا زبيد، وأخرجوا أسعد بن شهاب منها في سنة تسع وسبعين وأربعمائة، ثم غلب عليهم الملك المكرم أحمد بن علي الصليحي، وملك زبيد وقتل سعيد بن نجاح في سنة أحدى وثمانين وأربعمائة، وقيل سنة ثمانين، ونصب رأسه مدة، ولما قتل سعيد في السنة المذكورة، هرب أخوه جياش إلى الهند، وأقام جياش في الهند ستة أشهر، ثم عاد إلى زبيد فملكها، في بقايا سنة إحدى وثمانين المذكورة، وكان قد اشترى من الهند جارية هندية، فأقدمها معه وهي حبلى منه، فلما حصل في زبيد ولدت له ابنه الفاتك بن جياش، وبقي المكرم في الجبال يوقع الغارات على بلاد جياش، ولم يبق له من القدرة على غير ذلك. ولم يزل جياش مالكاً لتهامة من اليمن، من سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة، إلى سنة ثمان وتسعين وأربعمائة، فمات في أواخرها، وقيل إن موته كان في سنة خمسمائة، وترك عدة أولاد منهم: الفاتك ابن الهندية، ومنصور، وإبراهيم، فتولى بعده ابنه (فاتك) بن جياش، وخالف عليه أخوه إبراهيم، ثم مات فاتك في سنة ثلاث وخمسمائة وخلف ولده (منصوراً)، فاجتمعت عليه عبيد أبيه فاتك وملّكوه

وهو دون البلوغ، فقصده عمه إبراهيم وقاتله، فلم يظفر إبراهيم بطائل، وثار في زبيد عم الصبي عبد الواحد بن جياش، وملك زبيد، فاجتمع عبيد فاتك على منصور واستنجدوا وقصدوا زبيد، وقهروا عبد الواحد، واستقر منصور بن فاتك في الملك بزبيد، ثم ملك بعد منصور بن فاتك، ولده (فاتك) بن منصور بن فاتك. ثم ملك بعد فاتك الأخير المذكور ابن عمه، واسمه ايضا (فاتك) بن محمد بن فاتك بن جياش بن نجاح، مولى مرجان، في سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة، واستقر فاتك بن محمد المذكور في ملك اليمن، من السنة المذكورة، حتى قتله عبيد في سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة وهو آخر ملوك اليمن من بني نجاح.

ثم تغلب على اليمن في سنة أربع وخمسين وخمسمائة، علي بن مهدي، على ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

(ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وأربعمائة) فيها كان الصلح بين مشرف الدولة وأخيه سلطان الدولة، واستقر الحال على أن يكون العراق جميعه لمشرف الدولة وكرمان وفارس لسلطان الدولة. (وفيها) استوزر مشرف الدولة أبا الحسن بن الحسن الرخجي، ولقب مؤيد الملك، وامتدحه المهيار وغيره من الشعراء، وبنى مارستان بواسط، وجعل عليه وقوفاً عظيمة، وكان يسأل في الوزارة ويمتنع، فالزمه مشرف الدولة بها في هذه السنة.

(وفيها) توفي علي بن عيسى السكري. شاعر السنة وسمي بذلك لإكثاره من مدح الصحابة ومناقضته شعراء الشيعة، (وفيها) توفي عبد الله بن المعلم، فقيه الإمامية، ورثاه المرتضى.

(ثم دخلت سنة أربع عشرة وأربعمائة) في هذه السنة استولى علاء الدولة أبو جعفر بن كاكوية على همذان وأخذها من صاحبها سماء الدولة أبي الحسن بن شمس الدولة، من بني بويه، ولما ملك علاء الدولة همذان، سار إلى الدينور، فملكها، ثم ملك شابور خواشت، أيضاً وقويت هيبته وضبط المملكة. (وفي هذه السنة) قبض مشرف الدولة على وزيره الرخجي، واستوزر أبا القاسم المغربي، واسمه الحسين، الذي تقدم ذكره أنه كان وزير القرواش، وكان أبوه من أصحاب سيف الدولة بن حمدان، وسار إلى مصر وولد له أبو القاسم المذكور بها، سنة سبعين وثلاثمائة ثم قتل الحاكم أباه، فهرب أبو القاسم إلى الشام وتنقل في الخدم.

(وفي هذه السنة) غزا يمين الدولة محمود بلاد الهند، وأوغل فيه وفتح وغنم

وعاد سالماً. (وفي هذه السنة) توفي القاضي عبد الجبار وقد جاوز التسعين، وكان متكلماً معتزلياً، وله تصانيف مشهورة في علم الكلام.

(ثم دخلت سنة خمس عشرة وأربعمائة)

(ذكر وفاة سلطان الدولة)

في هذه السنة، في شوال، توفي الملك سلطان الدولة، أبو شجاع بن بهاء الدولة أبي نصر بن عضد الدولة، بشيراز، وعمره اثنتان وعشرون سنة وأشهر. فاستولى أخوه قوّام الدولة أبو الفوارس بن بهاء الدولة ملك كرمان،على مملكة فارس، وكان أبو كاليجار بن سلطان الدولة بالأهواز، فسار إلى عمه واقتتلا، فانهزم عمه أبو الفوارس، واستولى أبو كاليجار بن سلطان الدولة على شيراز وسائر مملكة أبيه بفارس، ثم أخرجه عمه أبو الفوارس عنها، ثم عاد أبو كاليجار فملكها ثانياً، وهزم عمه قوّام الدولة، وملك شيراز، واستقر في ملك أبيه.

(وفيها) توفي علي بن عبيد الله بن عبد الغفار السمساني اللغوي، كان فيمن يعلم اللغة، وكتب الأدب التي عليها خطه، مرغوب فيها.

(ثم دخلت سنة ست عشرة وأربعمائة)، في هذه السنة عاد أيضاً يمين الدولة إلى غزو بلاد الهند، وأوغل فيه، وفتح مدينة الصنم المسمى بسومنات، وهذا الصنم كان أعظم أصنام الهند، وهم يحجون إليه، وكان له من الوقوف ما يزيد على عشرة آلاف ضيعة، وقد اجتمع في بيت الصنم من الجواهر والذهب ما لا يحصى، فقتل يمين الدولة فيها من الهنود ما لا يحصى وغنم تلك الأموال، وأوقد على الصنم ناراً حتى قدر على كسره، من صلابة حجره، وكان طوله خمسة أذرع، منها ثلاثة بارزة، وذراعان في البناء، وأخذ بعض الصنم معه إلى غزنة، وجعله عتبة للجامع.

(ذكر وفاة مشرف الدولة)

وفي هذه السنة، في ربيع الأول توفي مشرف الدولة، أبو علي بن بهاء الدولة، وعمره ثلاث وعشرون سنة وأشهر، وملكه خمس سنين وخمسة وعشرون يوماً، وكان عادلاً حسن السيرة. (وفيها) قتل علي بن محمد التهامي الشاعر، المشهور، صاحب المرثية المشهورة التي عملها في ولد صغير له مات، التي منها:

حكمُ المنيةِ في البريةِ جاري ... ما هذه الدنيا بدارِ قرارِ
طُبعتْ على كَدرٍ وأنتَ تُريدها ... صفواً منَ الأقذاءِ والأكدارِ

ومكلِّفُ الأيـام ضـدّ طبـاعـهـا متطلبٌ في المـاءِ جـذوةَ نارِ

ووصل التهامي المذكور إلى القاهرة، متخفياً، ومعه كتب من حسان بن مفرج ابن دغفل البدوي، إلى بني قرة، فعلم بأمره وحبس في خزانة البنود، ثم قتل بها محبوسا. في التاريخ المذكور، والتهامي منسوب إلى تهامة، وهي تطلق على مكة، ولذلك قيل للنبي ﷺ تهامي، لأنه منها، وتطلق على البلاد التي بين الحجاز وأطراف اليمن.

(ثم دخلت سنة سبع عشرة وأربعمائة) في هذه السنة تسلط الأتراك في بغداد، فأكثروا مصادرات الناس، وعظم الخطب، وزاد الشر، ودخل في الطمع العامة والعيارون، وذلك بسبب موت شرف الدولة وخلو بغداد من سلطان. (وفيها) توفي أبو بكر عبد الله بن أحمد بن عبد الله الفقيه الشافعي، المعروف بالقفال، وعمره تسعون سنة، وله التصانيف النافعة، وكان يعمل الأقفال، ماهراً في عملها، واشتغل على كبر، وفاق أهل زمانه، يقال كان عمره لما ابتدأ بالاشتغال ثلاثين سنة، وأبو بكر القفال المذكور غير أبي بكر القفال الشاشي، المقدم ذكره في سنة خمس وستين وثلاثمائة، والقفال المذكور اسمه عبد الله، وكنيته أبو بكر، وأما القفال الشاشي المقدم الذكر، اسمه وكنيته أبو بكر.

(ثم دخلت سنة ثماني عشرة وأربعمائة).

(ذكر ملك جلال الدولة أبي طاهر بن بهاء الدولة بغداد)

في هذه السنة سار جلال الدولة من البصرة إلى بغداد، وكان قد استدعاه الجند بأمر الخليفة، لما حصل من النهب والفتن ببغداد، لخلوها من السلطان، فدخلها ثالث رمضان، وخرج الخليفة القادر لملتقاه، وحلّفه واستوثق منه، واستقر جلال الدولة في ملك بغداد.

(وفي هذه السنة) توفي الوزير أبو القاسم المغربي الذي تقدم ذكره، وعمره ست وأربعون سنة. (وفيها) سقط بالعراق بَرَدٌ كبار، وزن البَرَدة، رطل ورطلان بالبغدادي، وأصغره كالبيضة. (وفيها) نقضت الدار التي بناها معز الدولة بن بويه ببغداد، وكان قد غرم عليها ألف ألف دينار، وبذل في حكاكة سقف منها ثمانية آلاف دينار.

(وفي هذه السنة) أعني سنة ثماني عشرة وأربعمائة، توفي الأستاذ أبو إسحق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مروان الإسفرائيني ،ويلقب ركن الدين الفقيه

الشافعي ، المتكلم الأصولي،أخذ عنه الكلام عامة شيوخ نيسابور، وأقر أهل خراسان له بالعلم، وله التصانيف الجليلة في الأصول والرد. على الملحدين، وهو أحد من بلغ حد الاجتهاد من العلماء، لتبحره في العلوم، واختلف إلى مجلسه أبو القاسم القشيري ،وأكثر الحافظ أبو بكر البهيقي الرواية عنه .

(وفيها) توفي أبو القاسم بن طباطبا الشريف، وله شعر جيد، واسمه أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، نقيب الطالبيين بمصر، وكان من أكابر رؤسائها، وطباطبا لقب جده، لقّب بذلك لأنه كان يلثغ، فيجعل القاف طاء، طلب يوما قماشه، فقال غلامه : أجيب دراعة، فقال : لا، طباطبا يريد قباقيا فبقي عليه لقباً، ومن شعره :

كأن نجوم الليل سارتْ نهارها فوافت عشاءً وهي أنضاءُ أسفارِ
وقد خيمتْ كي تستريحَ ركابها فلا فلكُ جارٍ ولا كوكبٌ ساري

(ثم دخلت سنة تسع عشرة وأربعمائة) في هذه السنة، في ذي القعدة توفي قوّام الدولة أبو الفوارس بن بهاء الدولة، صاحب كرمان، فسار ابن أخيه أبو كاليجار ابن سلطان الدولة، صاحب فارس، إلى كرمان، واستولى عليها بغير حرب .

(ثم دخلت سنة عشرين وأربعمائة) في هذه السنة استولى يمين الدولة محمود بن سبكتكين على الري وقبض على مجد الدولة بن فخر الدولة علي بن ركن الدولة حسن بن بويه، صاحب الري، وكان سبب ذلك أن مجد الدولة اشتغل عن تدبير المملكة، بمعاشرة النساء ومطالعة الكتب، فشغبت عليه جنده، فبعث يشكو جنده إلى يمين الدولة محمود، وعلم محمود بعجزه، فبعث إليه عسكراً قبضوا على مجد الدولة، واستولى على الري. (وفي هذه السنة) كانَ قتل صالح بن مرداس أمير بني كلاب، صاحب حلب على ماسبق ذكره في سنة اثنتين وأربعمائة (وفي هذه السنة) توفي منوجهر بن قابوس بن وشمكير بن زيار، وملك بعده ابنه أنوشروان بن منو جهر.

(ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وأربعمائة) .

(ذكر وفاة السلطان محمود)

وفي هذه السنة، في ربيع الآخر، توفي محمود بن سبكتكين، ومولده في عاشورا سنة ستين وثلاثمائة، وكان مرضه إسهالاً وسوء مزاج، وبقي كذلك نحو

سنتين، وكان قوي النفس، فلم يضع جنبه في مرضه، بل كان يستند إلى مخدته حتى مات، كذلك. وأوصى بالملك لابنه محمد بن محمود، وكان أصغر من مسعود، فقعد محمد في الملك، وكان أخوه مسعود بأصفهان، فسار نحو أخيه محمد، فاتفق أكابر العسكر وقضوا على محمد، وحضر مسعود فتسلم المملكة، واستقر فيها وأطلق أخاه محمداً، وأحسن إليه. ثم قبض مسعود على القواد الذين قبضوا أخاه محمداً، وسعوا لمسعود في المملكة. وهذا عاقبة غدرهم.

(ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة) (في هذه السنة) سيّر السلطان مسعود بن محمود بن سبكتكين عسكراً، فاستولى على التيز[1] ومكران.

(ذكر ملك الروم مدينة الرُّها)[2]

وكانت الرها لعطير، من بني نمير، فاستولى ابو نصر بن مروان صاحب ديار بكر على حران، وجهز من قتل عطيراً صاحب الرها، فارسل صالح بن مرداس يشفع إلى أبي نصر بن مروان في أن يرد الرها إلى ابن عطير ابن والي شبل، بينهما نصفين. فقبل شفاعته وسلمها إليهما في سنة ست عشرة وأربعمائة، وبقيت المدينة معهما إلى هذه السنة، فراسل ابن عطير ارمانوس ملك الروم، وباعه حصته من الرها، بعشرين الف دينار وعدة قرى، وحضر الروم وتسلموا برج ابن عطير، فهرب أصحاب ابن شبل، واستولى الروم على البلد، وقتلوا المسلمين وخربوا المساجد.

---

(١) التيز: بلد على ساحل بحر مكران. الكامل ج٨ ذيل ص١٩٦.

(٢) الرُّها: مدينة مشهورة في الجزيرة. معجم البلدان.

(ذكر وفاة القادر بالله وخلافة القائم بأمر الله)
(وهو سادس عشرينهم)

في هذه السنة، في ذي الحجة، توفي القادر بالله أبو العباس أحمد بن الأمير إسحاق بن المقتدر، وعمره ست وثمانون سنة وعشرة أشهر، وخلافته إحدى وأربعون سنة وشهر، ولما مات القادر بالله، جلس في الخلافة ابنه القائم بأمر الله أبو جعفر عبد الله بن القادر، وكان أبوه قد عهد إليه وبايع له بالخلافة، فجددت البيعة وأرسل القائم أبا الحسن الماوردي إلى الملك أبي كاليجار، فأخذ البيعة عليه للقائم، وخطب له في بلاده.

(ذكر ملك الروم قلعة فامية)

في هذه السنة، سارت الروم ومعهم حسان بن مفرج الطائي، وهو مسلم، وكان قد هرب إليهم حين انهزم علي الأدرن من عسكر الظاهر العلوي، فسار مع الروم إلى الشام، وعلى رأس حسان المذكور علم فيه صليب، ووصلوا إلى فامية، فكبسوها وغنموا ما فيها، وملكوا قلعتها، وأسروا وسبوا.

(ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة): فيها شغبت الجند ببغداد على جلال الدولة، ونهبوا داره وأخرجوه من بغداد، وكتبوا إلى الملك أبي كاليجار يستدعونه إلى بغداد، فتأخر، وكان قد خرج جلال الدولة إلى عكبرا[1]، ثم وقع الاتفاق وعاد جلال الدولة إلى بغداد. (وفي هذه السنة) توفي قدرخان يوسف بن بغراخان هروين بن سليمان، وصح بلاد التيرة من الكفر، وكان قدملك بلاد ما وراء النهر في سنة تسع وأربعمائة، ولما مات قدرخان ملك بعده ابنه عمر بن قدرخان.

(ثم دخلت سنة أربع وعشرين وأربعمائة). فيها قبض مسعود بن محمود على شهر يوش صاحب ساوه، وقم، وتلك النواحي، وكان قد كثر أذاه على حجاج خراسان، وغيرهم، فأرسل مسعود عسكراً إليه فقبضوا عليه، وأمر به فصلب على سور ساوة.

(وفيها) توفي أحمد بن الحسين الميمندي وزير السلطان محمود، وأبيه مسعود، أقول: ينبغي تحقيق ذلك. فإنه ورد أن محموداً قتل وزيره المذكور، فيتأمل

---

(١) عكبراً: ورد في الصفحة ٩١.

ذلك. (وفيها) توفي القاضي ابن السماك، وعمره خمس وتسعون سنة.

(ثم دخلت سنة خمس وعشرين أربعمائة) فيها فتح الملك مسعود بن محمود بن سبكتكين قلعة سرستي وما جاورها من بلاد الهند، وكانت حصينة، وقصدها أبوه مراراً فلم يقدر على فتحها، فطم مسعود خندقها بالشجر والقصب السكر، وفتحها الله عليه، فقتل أهلها وسبى ذراريهم. (وفيها) توفي بدران بن المقلد صاحب نصيبين، فقصد ولده قريش، عمه قرواشاً فاقر عليه حاله وماله وولاية نصيبين، واستقر قريش بها.

(ثم دخلت سنة ست وعشرين وأربعمائة) فيها انحل أمر الخلافة والسلطنة ببغداد، وعظم أمر العيارين وصاروا يأخذون أموال الناس ليلاً ونهاراً، ولا مانع لهم، والسلطان جلال الدولة عاجز عنهم لعدم امتثال أمره، والخليفة أعجز منه، وانتشرت العرب في البلاد، فنهبوا النواحي وقطعوا الطريق.

(وفيها) وصلت الروم إلى ولاية حلب، فخرج إليهم صاحبها شبل الدولة بن صالح ابن مرداس، وتصافقوا واقتتلوا، فانهزمت الروم، وتبعهم إلى إعزاز، وغنم منهم وقتل.

(وفيها) قصدت خفاجة الكوفة فنهبوها. (وفيها) توفي أحمد بن كليب الشاعر، وكان يهوى أسلم بن أحمد بن سعيد، فمات كمداً في هواه، فمن قوله فيه:

وأسلمني في هوا ه أسلمُ هذا الرشا(١)
غزال له مقلة يصيب بها من يشا
وشى بيننا حاسدٌ سيُسأل عما وَشى
ولو شاء أن يرتشي على الوصل روحي ارتشي

(ثم دخلت سنة سبع وعشرين وأربعمائة).

(ذكر وفاة الظاهر صاحب مصر)

في هذه السنة منتصف شعبان، توفي الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن، علي ابن الحاكم أبي علي منصور العلوي بمصر، وعمره ثلاث وثلاثون سنة، وكانت خلافته خمس عشرة سنة وتسعة أشهر وأياماً، وكان له مصر والشام، والخطبة بإفريقية. وكان جميل السيرة، منصفاً للرعية، ولما مات ولي بعده ابنه أبو تميم معد، ولقب بالمستنصر بالله، ومولده سنة عشرين وأربعمائة، وهذا المستنصر هو الذي خُطب له ببغداد، على ما سنذكره في سنة خمسين وأربعمائة إن شاء الله تعالى، وهو الذي وصل إليه الحسن بن الصباح الإسماعيلي، وخاطبه في إقامة دعوته

(١) في الكامل: أسلمني في هوى ج٨ ص٢١٧.

بخراسان وبلاد العجم، وقال له: إن فُقِدتَ فمن الإمام بعدك؟ فقال المستنصر: ابني نزار.

(ذكر فتح السويداء)

كان الروم قد أحدثوا عمارتها، واجتمع إليها أهل القرى المجاورة لها، فسار إليها ابن وثاب وابن عطية مع عسكر كثيف من عند نصر الدولة بن مروان وفتحوا السويداء عنوة.

(ذكر مقتل يحيى الإدريسي وسياق أخبار من ملك بعده)
(من أهل بيته إلى آخرهم).

في هذه السنة، أعني سنة سبع وعشرين وأربعمائة، قتل يحيى بن علي بن حمود، حسبما تقدم في سنة سبع وأربعمائة، ولما قتل يحيى، تولى بعده أخوه (إدريس) بن علي بن حمود، وتلقب بالمتأيد، واستقر بمالقة[1] حتى توفي في سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ثم ملك بعده (أخوه القاسم) بن محمد ابن عم إدريس المذكور، وبقي القاسم مدة، ثم ترك الملك وتزهد، فملك بعده (الحسن) بن يحيى ابن علي بن حمود، وتلقب الحسن المذكور بالمستنصر، وبقي في الملك حتى توفي، ولم يقع لي تاريخ وفاته، ثم ملك بعد الحسن المذكور أخوه (إدريس) بن يحيى، وتلقب بالعالي، وكان العالي المذكور، فاسد التدبير، وكان يدخل الأراذل على حريمه، ولا يخببهن منهم، وسلك نحو ذلك من السلوك، فخلعه الناس وبايعوا ابن عمه (محمد) بن إدريس بن علي بن حمود، فاستقر محمد المذكور في الملك، وتلقب بالمهدي، وأمسك ابن عمه العالي وسجنه، وبقي محمد المهدي المذكور حتى توفي في سنة خمس وأربعين وأربعمائة. وكان المهدي المذكور آخر من ملك منهم تلك البلاد، وانقرضت دولتهم في السنة المذكورة، أعني سنة خمس وأربعين وأربعمائة، وقيل بل إن العامة أخرجوا العالي بعد موت محمد المهدي وملّكوه، فلما مات انقرضت دولتهم، وفي أيام خلافة المهدي محمد بن إدريس المذكور، قام من بني عمه شخص اسمه محمد بن القاسم بن حمود، بالجزيرة الخضراء، وتلقب محمد بن القاسم المذكور بالمهدي أيضاً، واجتمعت عليه البرابر، ثم افترقوا عنه فمات بعد أيام يسيرة، وقيل مات غماً، ولما مات محمد بن القاسم المذكور بن

---

(١) مالقة: مدينة بالاندلس على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء والمديه. البلدان ٥ / ٤٣ر

حمود، وهو آخر من ملك منهم الجزيرة الخضراء، انقرضت ملوكهم. (وفي هذه السنة) أعني سنة سبع وعشرين وأربعمائة، توفي رافع بن الحسين بن معن[1]، وكان حازماً شجاعاً، وكانت يده مقطوعة، قطعت غلطاً في عربدة على الشرب، وله شعر حسن، فمنه:

لها ريقةٌ أستغفرُ اللّه إنّها ... ألذّ وأشهى في النفوس منَ الخَمرِ
وصارمُ طرفٍ لا يُزايلُ جفنهُ ... ولمْ أرَ سيفاً قط في جَفْنِه يفري
فقلتُ لها والعيسُ تحدُجُ بالضحى ... أعدّي لفقدي ما استطعتِ منَ الصبر
أليس من الخسران أنّ لياليا ... تمرّ بلا وصلٍ وتُحسبُ منَ عمري[2]

(وفيها) وقيل في سنة سبع وثلاثين وأربعمائة، توفي أبو إسحاق الشيخ أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ويقال الثعالبي، وكان أوحد زمانه في علم التفسير، وله كتاب العرائس في قصص الأنبياء عليهم السلام، وله غير ذلك، وروى عن جماعة، وهو صحيح النقل.

(ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وأربعمائة). (فيها) توفي أبو القاسم علي بن الحسين بن مكرم، صاحب عمان، وقام ابنه مقامه. (وفيها) توفي مهيار الشاعر وكان مجوسياً، فأسلم سنة أربع وتسعين وثلاثمائة، وصحب الشريف الرضي، فقال له أبو القاسم بن برهان: يامهيار قد انتقلت بإسلامك في النار من زاوية إلى زاوية، فقال: كيف؟ قال: لأنك كنت مجوسياً، فصرت تسب أصحاب النبي صلى اللّه عليه وسلم في شعرك، فمن شعره من جملة قصيدة يذم فيها العرب، قبل النبي صلى اللّه عليه وسلم قوله:

ما برحتْ مظلمةٌ دنياكُمُ ... حتى أضاءَ كوكبٌ في هاشمِ
نبلتمْ به وكنتمْ قبلَهُ ... سراً يموت في ضلوعٍ كاتمِ
ثم قضى مسلماً من ريبه ... فلم يكن من غدرِكم بسالمِ
نقضتم عهودَهُ في أهله ... وجزتم عن سنن المراسمِ
وقد شهدتم مقتلَ ابن عمه ... خيرِ مصلٍ بعده وصائمِ
وما استحل باغياً إمامكم ... يزيد بالطف من ابن فاطمِ
وها إلى اليوم الظباء خاضبة ... من دمهم مناسر القشاعمِ

وأشعار مهيار المذكور مشهورة. (وفيها) توفي أبو الحسين أحمد بن محمد

---

(١) في الكامل: رافع بن الحسين بن مقن. ج٨ ص٢٢٢.

(٢) في الكامل: تمرّ بلا بضع. ج٨ ص٢٢٢.

ابن أحمد القدوري الحنفي، ولد سنة اثنتين وستين وثلاثمائة انتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة بالعراق، وارتفع جاهه، وصنف كتابه المسمى بالقدوري المشهور، ونسبته إلى القدور جمع قدر، قال القاضي شمس الدين ابن خلكان: ولا أعلم وجه نسبته إليها. (وفيها) توفي الشيخ الرئيس أبو علي الحسن بن عبد الله بن سينا البخاري، وكان والده من أهل بلخ، وانتقل منها إلى بخارى في أيام الأمير نوح ابن منصور الساماني، ثم تزوج امرأة بقرية أفشنة، وقطن بها، وولد له الشيخ الرئيس وأخوه بهاء، وختم الرئيس القرآن وهو ابن عشر سنين، وقرأ الحكمة على أبي عبد الله الناتلي، وحل إقليدس والمجسطي، واشتغل في الطب، وأتقن ذلك كله، وهو ابن ثمان عشرة سنة،وكان ببخارى ثم انتقل منها إلى كركنج، وهي بالعربي الجرجانية، ثم انتقل إلى أماكن شتى حتى أتى إلى جورجان، فاتصل به أبو عبد الله الجورجاني، أكبر أصحاب الشيخ الرئيس المذكور، ثم انتقل إلى الري واتصل بخدمة مجد الدولة ابن فخر الدولة أبي الحسن علي بن ركن الدولة حسن بن بويه، ثم خدم شمس المعالي قابوس بن وشمكير، ثم فارقه وقصد علاء الدولة بن كاكويه بأصفهان وخدمه، وتقدم عنده، ثم إن الرئيس المذكور مرض بالصرع والقولنج، وترك الحمية ومضى إلى همذان وهو مريض، ومات بهمذان في هذه السنة، وكان عمره ثمانياً وخمسين سنة، ومصنفاته وفضائله مشهورة، وقد كفّر الغزالي ابن سينا المذكور، وصرّح الغزالي بذلك في كتابه الموسوم بالمنقذ من الضلال، وكذلك كفّر أبا نصر الفارابي، ومن الناس من يرى رجوع ابن سينا إلى الشرائع واعتقادها، وحكى الرئيس أبو علي المذكور، في المقالة الأولى من الفن الخامس، من طبيعيات الشفاء قال: وقد صح عندي بالتواتر ما كان ببلاد جورجان في زماننا من أمرحديد، لعله يزن مائة وخمسين منا نزل من الهواء فنشب في الأرض. ثم نبا نبوة الكرة التي يرمى بها الحائط، ثم عاد فنشب في الأرض، وسمع الناس لذلك صوتاً عظيماً هائلاً، فلما تفقدوا أمره ظفروا به وحملوه إليّ وإلى جورجان، ثم كاتبه سلطان خراسان محمود ابن سبكتكين، يرسم بإنفاذه أو إنفاذ قطعة منه، فتعذّر نقله لثقله، فحاولوا كسر قطعة منه، فما كانت الآلات تعمل فيه إلاّ بجهد، وكانت كل آلة تعمل فيه تنكسر، لكنهم فصلوا منه آخر الأمر شيئاً، فأنفذوه إليه، ورام أن يطبع منه سيفاً فتعذر عليه، وحكى أن جملة ذاك الجوهر، كان ملتئماً من أجزاء جاورشية صغار، مستديرة، التصق بعضها ببعض، قال: وهذا الفقيه عبد الواحد الجورجاني صاحبي شاهد ذلك كله.

(ثم دخلت سنة تسع وعشرين وأربعمائة). فيها قتل شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس صاحب حلب، في قتاله لعسكر مصر، الذين كان مقدمهم الدزبري

على ما قدمنا ذكره، في سنة اثنتين وأربعمائة. (وفيها) هادن المستنصر بالله العلوي ملك الروم، على أن يطلق خمسة آلاف أسير، ليمكن من عمارة قمامة التي كان قد خربها الحاكم في أيام خلافته، فأطلق الأسرى وأرسل من عمّر قمامة، وأخرج ملك الروم عليها أموالاً عظيمةً جليلةً. (وفيها) توفي أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، صاحب التواليف المشهورة، وكان إمام وقته، ومن جملة تواليفه المشهورة: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، وكان مولده سنة خمسين وثلاثمائة.

(ثم دخلت سنة ثلاثين وأربعمائة) فيها توفي أبو علي الحسين الرخجي، وزير ملوك بني بويه، ثم ترك الوزارة، وكان في عطلته يتقدم على الوزراء. (وفيها) توفي أبو الفتوح الحسن بن جعفر العلوي، أمير مكة. (وفيها) توفي أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني الحافظ، والفضل بن منصور بن الطريف الفارقي، الأمير الشاعر، وله ديوان حسن. (ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة). فيها ملك الملك أبو كاليجار البصرة.

(ذكر أخبار عمان)

لما توفي أبو القاسم بن مكرم صاحب عمان، ولي بعده ابنه أبو الجيش، وقد صاحب جيش أبيه علي بن هطال، وكان أبو الجيش يحترم ابن هطال، ويقوم له إذا حضر، وكان لأبي الجيش أخ يقال له المهذب، ينكر على أخيه أبي ابن الجيش قيامه لابن هطال، وإكرامه، فعمل ابن هطال دعوة للمهذب، فلما عمل السكر في المهذب، حدّثه ابن هطال وقال له: إن قمت معك وملكتُكَ وأخرجت أخاك أبا الجيش، ما تعطيني؟ فبذل المهذب له الإقطاعات الجليلة ،والمبالغة في الإكرام، فطلب ابن هطال خطه بذلك، فكتبه المهذب، وأصبح ابن هطال، فاجتمع بأبي الجيش وعرّفه أن أخاه المهذب يسعى في أخذ الملك منه، وقال: قد رغّبني وكتب خطه لي، وأخرج الخط، فأمر أبو الجيش بالقبض على أخيه المهذب ،ثم قتله، وبعد ذلك بقليل مات أبو الجيش وله أخ صغير يقال له أبو محمد، فطلبه ابن هطال من أمه ليجعله في الملك، فلم تسلمه إليه. وقالت: ولدي صغير ما يصلح، أُفتصل أنت بالملك، فاستولى ابن هطال على عمان، وأساء السيرة، وبلغ ذلك الملك أبا كاليجار، فأعظمه وأرسل جيشاً إلى عمان، وخرجت الناس عن طاعة علي بن هطال، فقتله خادم له وفراش، واستقر الأمر لأبي محمد بن أبي القاسم بن مكرم في هذه السنة.

(وفي هذه السنة) توفي شبيب بن وثاب النميري صاحب الرقة، وسروج، وحران، (وفيها) توفي أبو نصر موسكان، كاتب إنشاء مسعود، وولده محمود بن سبكتكين، وكان من الكتاب المفلقين (ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة)

(ذكر ابتداء الدولة السلجوقية وسياقة أخبارهم متتابعة)

في هذه السنة توطد ملك طغريل بك وأخيه داود[1] ابني ميكائيل بن سلجوق ابن دقاق، وكان جدهم دقاق رجلاً شهماً من مقدمي الأتراك، وولد له سلجوق، فانتشأ وظهرت عليه أمارات النجابة، فقدمه (يبغو) مَلكُ الترك إذ ذاك، وقوي أمره وصار له جماعة كثيرة، فتغير يبغو عليه، فخاف سلجوق منه فسار بجماعته وبكل من يطيعه من دار الكفر إلى دار الإسلام، وذلك لما قدره الله تعالى من سعادته وسعادة ولده، وأقام بنواحي جند، وهي بليدة وراء بخارى - بجيم مفتوحة ونون ساكنة ودال مهملة- وصار يغزو الترك الكفار، وكان لسلجوق من الأولاد: أرسلان، وميكائيل، وموسى. وتوفي سلجوق بجند وعمره مائة وسبع سنين، وبقي أولاده على ما كان عليه أبوهم من غزو كفار الترك، فقتل ميكائيل في الغزاة شهيداً، وخلف من الأولاد يبغو، وطغريل بك، وجغروبك داود، ثم ارتحلوا ونزلوا على فرسخين من بخارى، فأساء أمير بخارى جوارهم، فالتجأوا إلى بغراخان ملك تركستان، واستقر الأمر بين طغريل بك وأخيه داود أن لا يجتمعا عند بغراخان، بل إذا حضر أحدهما أقام الآخر في البيوت، خوفاً من الغدر بهما، واجتهد بغراخان على اجتماعهما عنده فلم يفعلا، فقبض عنى طغريل بك، وأرسل عسكراً إلى أخيه داود، فاقتتلوا فانهزم عسكر بغراخان، وكثر القتل فيهم، وقصد داود موضع أخيه طغريل بك وخلصه من الأسر، ثم عادا إلى جند وأقاما بها حتى انقرضت الدولة السامانية، وملك أيلك خان بخارا، فعظم عنده محل أرسلان بن سلجوق، ثم سار أيلك خان عنها وبقي ببخارى علي تكين، ومعه أرسلان بن سلجوق، حتى عبر محمود بن سبكتكين نهر جيحون وقصد بخارى، فهرب علي تكين من بخارى، وأما أرسلان وجماعته فإنهم دخلوا المفازة والرمل، واحتموا عن السلطان محمود، فكاتب السلطان محمود أرسلان واستماله ورغبه، فقدم أرسلان بن سلجوق عليه فقبضه السلطان محمود في الحال، ونهب خركاواته، وأشار أرسلان الجاذب على محمود أن يغرق السلجوقية، جماعة أرسلان المذكور في نهر جيحون، فأبى، فاشار بقطع إبهاماتهم بحيث لا يقدرون

---

(١) في الكامل: طغرلبك محمد وأخيه جغري بك داود ج٨ ص٢٣٦.

على رمي النشاب، فلم يقبل محمود ذلك، وأمر بهم فعبروا نهر جيحون وفرقهم في نواحي خراسان إلى أصفهان، ووضع عليهم الخراج، فجارت العمال عليهم، وامتدت الأيدي إلى أموالهم، وأولادهم، فانفصل منهم جماعة عن خراسان إلى أصفهان، وجرى بينهم وبين علاء الدولة بن كاكويه حرب، ثم ساروا إلى أذربيجان، وهؤلاء كانوا جماعة أرسلان بن سلجوق، وبقي اسمهم هناك الترك العرية، وبذلك سمى كل جماعتهم، وسار طغريل بك وأخواه داود ويبغو من خراسان إلى بخارى، فسار علي تكين بعسكره وأوقع بهم، وقتل عدة كثيرة من جمائعهم فالجأتهم الضرورة إلى العود إلى خراسان، فعبروا نهرجيحون، وخيموا بظاهر خوارزم، سنة ست وعشرين وأربعمائة، واتفقوا مع خوارزمشاه هرون بن الطيطاش[1] وعاهدهم ثم غدر بهم خوارزمشاه وكبسهم، فاكثر خوارزم إلى جهة مرو، فارسل إليهم مسعود أب السلطان محمود جيشاً فهزمهم، وجرى بين عسكر مسعود منازعة على الغنيمة، وأدت إلى قتال بينهم، وأشار داود بالعود إلى جهة العسكر، فعادوا فوجدوا الاختلاف والقتال بينهم، فأوقع السلجوقية بعسكر مسعود وهزموهم، وأكثروا القتل فيهم واستردوا ما كان أخذوه منهم، وتمكنت هيبتهم من قلوب عسكر مسعود، فكاتبهم السلطان مسعود واستمالهم، فارسلوا إليه يظهرون الطاعة ويسالونه أن يطلق عمه أرسلان بن سلجوق، الذي قبضه السلطان محمود، فأحضر مسعود أرسلان المذكور إلى عنده ببلخ، فطلبهم ليحضروا فامتنعوا، فأعاده إلى محبسه، وعادت الحرب بينهم، وهزموا عسكر مسعود مرة بعد أخرى، وقوي أمرهم واستولوا على غالب خراسان، وفرقوا النواب في النواحي، وخطب لطغريل بك في نيسابور، وسار داود إلى هراة، وهرب عساكر مسعود وتقدموا من خراسان إلى غزنة، وأعلموا مسعود بتفاقم الحال، فسار مسعود بجميع عساكره وفيوله من غزنة إليهم إلى خراسان، وبقي كل ماتبع السلجوقية إلى مكان، ساروا عنه إلى غيره، وطال البيكار على عسكر مسعود، وقلت الأقوات عليهم، وآخر ذلك أن السلجوقية ساروا إلى البرية، فتبعهم مسعود بتلك العساكر العظيمة مرحلتين، فضجرت العساكر من طول البيكار، وكان لعسكر خراسان إذ ذاك ثلاث سنين في البيكار، ونزل العسكر بمنزلة قليلة المياه، وكان الزمان حاراً، فجرى بينهم الفتن بسبب الماء، ومشى بعض العسكر إلى بعض في التخلي عن مسعود، ووقع بينهم الخلاف، فعادت السلجوقية عليهم فانهزمت عساكر مسعود أقبح هزيمة، وثبت السلطان مسعود في جمع قليل، ثم ولى منهزماً، وغنم

---

(١) التونتاش. الكامل ج٨ ص٢٣٨.

السلجوقية منهم مالا يدخل تحت الإحصاء، وقسم داود ذلك على أصحابه وآثرهم على نفسه، وعاد السلجوقية إلى خراسان، فاستولوا عليها، وثبتت قدمهم بخراسان وخطب لهم على منابرها، وذلك في أواخر سنة إحدى وثلاثين وأبعمائة، وسنذكر باقي أخبارهم إن شاء الله تعالى.

(ذكر قبض مسعود وقتله)

ولما انهزم عسكر مسعود من السلجوقية على ما ذكرنا، وهرب مسعود وعسكره من خراسان إلى غزنة، فوصل إليها في شوال سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة وقبض على مقدم عسكره شباوشي(١) وعلى عدة من الأمراء، وسير ولده مودود إلى بلخ ليرد عنها داود بن ميكائيل بن سلجوق، وكان مسير مودود إلى بلخ في هذه السنة، أعني سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة، وسار مسعود إلى بلاد الهند ليشتي بها على عادة والده، وعبر سيحون فنهب أنوشتكين أحد قواد عسكره بعض الخزاين، واجتمع إليه جمع، والزم محمداً أخا مسعود بالقيام بالأمر، فقام على كُره، وبقي مسعود في جماعة من العسكر، والتقى الفريقان في منتصف ربيع الآخر من سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة، واقتتلوا أشد قتال فانهزم مسعود وجماعته، وتحصن مسعود في رباط، فحصروه، فخرج إليهم فأرسله أخوه محمد إلى قلعة كيدي(٢)، وحمل مع مسعود أهله وأولاده وأمر بإكرامه وصيانته، ولما استقر محمد بن محمود ابن إسبكتكين في الملك فوض أمر دولته إلى ولده أحمد، وكان فيه خبط وهوج، فقتل عمه مسعود بن محمود في قلعة كيدى بغير علم أبيه، ولما علم أبوه محمد بذلك شق عليه وساء ذلك، وكان السلطان مسعود كثير الصدقة، تصدق مرّة في رمضان بألف ألف درهم، وكان كثير الإحسان إلى العلماء، فقصدوه وصنفوا له التصانيف الكثيرة، وكان يكتب خطاً حسناً، وكان ملكه عظيماً فسيحاً، ملك أصفهان والري وطبرستان وجرجان وخراسان وخوارزم وبلاد الران وكرمان وسجستان والسند والرخج وغزنة وبلاد الغور. وأطاعه أهل البر والبحر.

(ذكر ملك مودود بن مسعود وقتله عمه محمداً)

لما قتل مسعود، كان ابنه مودود بن مسعود بخراسان في حرب السلجوقية،

---

(١) في الكامل: سباشي. ج٨ ص٢٤٣.

(٢) في الكامل: كيكي. ج٨ ص٢٤٣.

فلما بلغه خبر قتل أبيه مسعود، عاد مُجداً بعساكره إلى غزنة، ووقع القتال بينه وبين عمه محمد، فانهزم محمد وعسكره وقبض عليه مودود وعلى ولده أحمد، وعلى أنوشتكين الذي نهب الخزائن، وأقام محمد المذكور، وكان أنوشتكين خصياً وأصله من بلخ، فقتلهم وقتل جميع أولاد عمه محمد، خلا عبد الرحيم، وكذلك قتل كل من دخل في القبض على والده مسعود، ودخل مودود إلى غزنة في ثالث عشرين شعبان من هذه السنة، واستقر الأمر لمودود بغزنة، وسلك حُسْن السيرة، وثبتت قدمه في الملك، وراسله ملك الترك بما وراء النهر بالانقياد والمتابعة له.

(وفي هذه السنة)

توفي المظفر محمد بن الحسن بن أحمد المروزي بشهر زور.

(ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة) فيها في المحرم توفي علاء الدولة أبو جعفر بن شهريار، المعروف بابن كاكويه، وكان شجاعاً ذا رأي، وقام بأصفهان بعده ابنه ظهير الدين أبو منصور فرامرز، وهو أكبر أولاده، سار ولده كرشاسف بن علاء الدولة إلى همذان، فأقام بها وأخذها لنفسه.

(وفي هذه السنة) ملك السلطان طغريل بك جرجان وطبرستان.

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

في هذه السنة أمر المستنصر العلوي أهل دمشق بالخروج عن طاعة الدزبري، فخرجوا عليه وسار الدزبري إلى حماة، فعصي عليه أهلها، فكاتب مقلد بن منقذ الكفرطابي، فحضر إليه في نحو ألفي رجل من كفر طاب، واحتمى به وسار عن حماة إلى حلب فدخلها وأقام بها مدة، وتوفي الدزبري في منتصف جمادى الآخرة من هذه السنة، وقد تقدم ذكر وفاته في سنة اثنتين وأربعمائة، وكان الدزبري يلقب بأمير الجيوش، واسمه أنوشتكين. والدزبري - بكسر الدال المهملة والباء الموحدة وبينهما زاء منقوطة ساكنة وفي الآخر راء مهملة - هذه السنة إلى دزبر بن رويتم الديلمي، ولما مات الدزبري في هذه السنة فَسُدَ أمر الشام وزال النظام وطمعت العرب، وخرجوا في نواحي الشام، فخرج صاحب الرحبة أبو علوان ثمال، ولقبه معز الدولة بن صالح بن مرداس الكلابي وسار إلى حلب وملكها، وعاد حسان بن مفرج الطائي فاستولى على فلسطين، وقد تقدم ذكر مسيره إلى قسطنطينية وعوده في سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة.

(وفيها) سير الملك أبو كاليجار من فارس عسكراً إلى عمان، فملكوا أصحاب مدينة عمان. (وفيها) توفي أبو منصور بهرام الملقب بالعادل، وزير الملك أبي كاليجار، ومولده سنة ست وستين وثلاثمائة، وكان حسن السيرة، وبنى دار الكتب بفيروز آباد، وجعل فيها سبعة آلاف مجلد.

(ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وأربعمائة) فيها ملك السلطان طغريل بك خوارزم، وكانت خوارزم من جملة مملكة محمود بن سبكتكين، ثم صارت لمسعود ابنه ونائبه فيها الطيطاش حاجب أبيه محمود، ومات الطيطاش فولاها مسعود ابنه هارون بن الطيطاش، ولقبه خوارزمشاه، ثم قتل هرون، قتله جماعة من غلمانه عند خروجه إلى الصيد، فاستولى على البلد رجل يقال له عبد الجبار، ثم وثب غلمان هارون على عبد الجبار فقتلوه، وولوا البلد إسماعيل بن الطيطاش أخا هارون، فسار شاه ملك بن علي، وكان ملك بعض أطراف تلك البلاد فاستولى على خوارزم، وهزم إسماعيل عنها، ثم سار طغريل بك إلى خوارزم فاستولى عليها، وانهزم شاه ملك عنها، واستقرت في ملك طغريل بك في هذه السنة، ثم سار طغريل بك واستولى على الجبل في هذه السنة أيضاً.

(ذكر الوحشة بين القائم وجلال الدولة)

في هذه السنة لما افتتحت الجوالي في المحرم ببغداد، أخذها جلال الدولة، وكانت العادة أن تحمل إلى الخلفاء، لا يعارضهم فيها الملوك، فأرسل القائم إلى جلال الدولة في ذلك مع أبي الحسن الماوردي، فلم يلتفت جلال الدولة إليه، فعزم القائم على مفارقة بغداد، فلم يتم له ذلك.

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

في هذه السنة في رجب، خرج بمصر رجل اسمه سكين، وكان يشبه الحاكم خليفة مصر، فادعى أنه الحاكم، واتبعه جماعة يعتقدون رجعة الحاكم، وقصدوا دار الخليفة وقت الخلوة وقالوا: هذا الحاكم، فارتاع من كان بالباب في ذلك الوقت، ثم ارتابوا به فقبضوا على سكّين، وصلب مع أصحابه.

(ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وأربعمائة).

(ذكر وفاة جلال الدولة)

وفي هذه السنة في شعبان توفي جلال الدولة أبو طاهر بن بهاء الدولة بن عضد

الدولة بن ركن الدولة بن بويه ببغداد، وكان مرضه ورماً في كبده، وكان مولده سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة، وملكه ببغداد ست عشرة سنة وأحد عشر شهراً، ولما مات جلال الدولة كان ابنه الملك العزيز أبو بكر منصور بواسط، فكاتبه الجند فيما يحمله إليهم، فلم ينتظم له أمر، فسار يطلب النجدة، وقصد الملوك مثل قرواش وأبي الشوك، فلم ينجده أحد، فقصد نصر الدولة بن مروان وتوفي عنده بميا فارقين، سنة إحدى وأربعين وأربعمائة، فلما لم ينتظم لابن جلال الدولة أمر، كاتب الملك أبو كاليجار عسكر بغداد، فاستقر الأمر لأبي كاليجار ابن سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة ابن ركن الدولة ابن بويه، وخطبوا له ببغداد في صفر سنة ست وثلاثين وأربعمائة.

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

في هذه السنة، أعني سنة خمس وثلاثين وأربعمائة فتح عسكر مودود بن مسعود بن محمود عدة حصون، من بلاد الهند، (وفيها) أسلم من الترك خمسة آلاف خركاة، وتفرقوا في بلاد الإسلام، ولم يتأخر عن الإسلام سوى الخطا والتتر وهم بنواحي الصين. (وفي هذه السنة) ترك شرف الدولة ملك الترك لنفسه بلاد بلاساغون، وكاشغر، وأعطى أخاه أرسلان تكين كثيراً من بلاد الترك، وأعطي أخاه بغراخان أطرار وأسبيجاب، وأعطى عمه طغان فرغانة بأسرها، وأعطى علي تكين بخارى وسمر قند، وغيرهما، وقنع شرف الدولة المذكور من أهله المذكورين بالطاعة له.

(وفي هذه السنة) قطع المعز بن باديس بإفريقية خطبة العلويين خلفاء مصر، وخطب للقائم العباسي خليفة بغداد، ووصلت إليه من القائم الخلع والأعلام على طريق القسطنطينية في البحر.

(ثم دخلت سنة ست وثلاثين وأربعمائة) فيها خطب للملك أبي كاليجار في صفر ببغداد، وخطب له أيضا أبو الشوك ببلاده، ودبيس بن مرثد[1] ببلاده، ونصر الدولة بن مروان بديار بكر، وسار الملك أبو كاليجار إلى بغداد ودخلها في رمضان من هذه السنة، وزينت بغداد لقدومه.

(وفيها) أمر الملك أبو كاليجار ببناء سور مدينة شيراز، فبني وأحكم بناؤه،

---

(١) في الكامل: مزيد. ج٨ ص٢٦٧.

ودوره اثنا عشر ألف ذراع، في ارتفاع ثمانية أذرع، وله أحد عشر باباً، وفرغ منه في سنة أربعين وأربعمائة. (وفيها) توفي الشريف المرتضي أبو القاسم أخو الشريف الرضي، ومولده سنة خمس وخمسين وثلاثمائة وولي نقابة العلويين بعده عدنان ابن أخيه الرضي.

(وفيها) توفي القاضي أبو عبد الله الحسين الصيمري شيخ أصحاب أبي حنيفة، ومولده سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة. (وفيها) توفي أبو الحسين محمد ابن علي البصري المعتزلي صاحب التصانيف المشهورة.

(ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وأربعمائة). فيها أرسل السلطان طغرلبك أخاه إبراهيم ينال بن ميكائيل، فاستولى على همذان وأخذها من كرشاسف بن علاء الدولة ابن كاكويه، واستولى على الدينور وأخذها من أبي الشوك، ثم استولى على الصيمرة.

(وفي هذه السنة) توفي أبو الشوك، واسمه فارس بن محمد بن عنان، بقلعة السيروان، ولما توفي غدر الأكراد بابنه سعدي، وصاروا مع مهلهل بن محمد أخي أبي الشوك. (وفيها) قتل عيسى بن موسى الهمذاني صاحب أربل، قتله ابنا أخ له وملكا قلعة أربل، وكان لعيسى أخ آخر اسمه سلار بن موسى قد نزل على قرواش صاحب الموصل لوحشة كانت بين سلار وأخيه عيسى، فلما بلغه قتل أخيه سار قرواش إلى أربل ومعه سلار فملكها وتسلمها سلار، وعاد قرواش إلى الموصل.

(وفيها) وقع الوباء في الخيل وعم البلاد. (وفيها) توفي أحمد بن يوسف المنازي وزّر لأبي نصر أحمد بن مروان الكردي، صاحب ديار بكر، وترسل إلى القسطنطينية، وكان من أعيان الفضلاء والشعراء، وجمع المنازي المذكور، كتباً كثيرة وأوقفها على جامع ميافارقين وجامع آمد، وهي إلى قريب كانت موجودة بخزاين الجامعين، وكان قد اجتاز في بعض أسفاره بوادي بزاعا، فأعجبه حسنه فقال فيه:

وقانا لفحةُ الرمضاءِ وادٍ	وقاه مضاعفُ النبتِ العميم
نزلنا دوحَهُ فحنا علينا	حنو المرضعاتِ على الفطيم
وأرشفنا على ظمأ زلالاً	ألذّ من المدامة للنديم
تروعُ حصاهُ حالية العذارى	فيلمس جانب العقدِ النظيم

والمنازي منسوب إلى مناز جهر، مدينة عند خرتبرت، وهي غير مناز كرد التي من عمال خلاط.

(ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة) فيها ملك مهلهل بن محمد بن عنان[1] أخو أبي الشوك قرميسين والدّينور[2] بعد ما كان قد استولى عليهما أخو طغرلبك على ما تقدم ذكره. (وفي هذه السنة) توفي عبد الله بن يوسف الجويني والد إمام الحرمين، وكان الجويني إماماً في الشافعية، تفقه على أبي الطيب سهل بن محمد الصعلوكي، وهو صاحب وجه في المذهب، وكان عالماً أيضا بالأدب وغيره من العلوم، وهو من بني سنبس، بطن من طي.

(ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وأربعمائة) في هذه السنة استولى عسكر الملك أبي كاليجار على البطيحة، وأخذوها من صاحبها أبي نصر بن الهيثم، وهرب ابن الهيثم إلى زبرب. (وفيها) كان بالعراق غلاء عظيم، حتى أكل الناس الميتة، وببغداد حتى خلت الأسواق. (وفيها) توفي عبد الواحد بن محمد المعروف بالمطرز الشاعر، وأبو الخطاب الشبلي الشاعر. (وفيها) مات بغراخان محمد بن قدرخان يوسف، وقبض على أخيه عمر بن قدرخان يوسف، وماتا جميعا مسمومين في هذه السنة، وكان قد ملك عُمر المذكور في سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة حسبما تقدم، فسار شمس الملك طفقاج خان أبو إسحق إبراهيم بن نصر أيلك خان من سمرقند، وملك بلادهما. وتوفي طفقاج سنة اثنتين وستين وأربعمائة.

(ثم دخلت سنة أربعين وأربعمائة).

(ذكر موت أبي كاليجار وملك ابنه الملك الرحيم)

في هذه السنة توفي الملك أبو كاليجار المرزبان بن سلطان الدولة ابن بهاء الدولة ابن عضد الدولة ابن ركن الدولة ابن بويه، في رابع جمادى الأولى بمدينة جناب من كرمان، وكان قد سار إلى بلاد كرمان، لخروج عامله بهرام الدّيلمي عن طاعته، ومرض من قصر مجاشع، وتم سايراً، وقويت به الحمى وضعف عن الركوب، فركب في محفة، فتوفي في جناب، وكان عمره أربعين سنة وشهوراً، وكان ملكه العراق أربع سنين وشهرين، ولما توفي نهبت الأتراك الخزائن والسلاح والدواب من العسكر. وكان معه ولده أبو منصور فلاستون بن أبي كاليجار فعاد إلى شيراز وملكها. ولما وصل خبر وفاة أبي كاليجار إلى بغداد وبها ولده الملك الرحيم أبو نصر خسره[3]

---

(١) في الكامل: عنّاز. ج٨ ص٢٧٣.

(٢) قرميسين: بلد قرب الدينور وهي بين همذان وحلوان. البلدان ٤ / ٣٣٠.
الدينور: مدينة من أعمال الجبل قرب قرميسين. البلدان ٢ / ٥٤٥.

(٣) في الكامل: أبو نصر خره فيروز. ج٨ ص٢٨٣.

فيروزبن أبي كاليجار، جمع الجند واستحلفهم واستولى على بغداد، ثم أرسل الملك الرحيم عسكراً إلى شيراز، فقبضوا على أخيه أبي منصور فلا ستون، وعلى والدته في شوال هذه السنة، وخطب للملك الرحيم بشيراز، ثم سار الملك الرحيم من بغداد إلى خوزستان، فلقيه من بها من الجند وأطاعوه، ومن جملتهم كرشاسف بن علاء الدولة صاحب همذان، فإنه كان قد قدم إلى الملك أبي كاليجار لما أخذ منه إبراهيم ينال أخو طغريل بك همذان.

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

في هذه السنة توفي محمد بن محمد بن غيلان البزار[1] وهو راوي الأحاديث المعروفة بالغيلانيات التي أخرجها الدارقطني، وهي من أعلى الحديث وأحسنه.

(ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وأربعمائة) فيها جمع فلاستون بن أبي كاليجار جمعاً بعد أن خلص من الاعتقال، واستولى على بلاد فارس، (وفيها) جرى بين طغرلبك وأخيه إبراهيم ينال وحشة أدت إلى قتال بينهما، فانهزم إبراهيم ينال وعصي بقلعة سرماج، فحصره بها طغرلبك واستنزله قهرا. (وفيها) أرسل ملك الروم إلى السلطان طغرلبك هدية عظيمة، وطلب منه المعاهدة فأجابه إليها، وعمّر مسجد القسطنطينية، وأقام فيه الصلاة والخطبة لطغرلبك، ودانت الناس له وتمكن ملكه وثبت. (وفيها) أفرج السلطان طغرلبك عن أخيه ينال وتركه معه.

(ذكر وفاة مودود)

في هذه السنة في رجب توفي أبو الفتح مودود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة، وعمره تسع وعشرون سنة، وملك تسع سنين وعشرة أشهر، وكان موته بغزنة، واستقر في الملك بعده عمه عبد الرشيد بن محمود بن سبكتكين، وكان مودود قد حبس عمه المذكور، فخرج موته واستقر في الملك ولقب شمس دين الله سيف الدولة.

(ذكر غير ذلك)

فيها سار الباسيري كبير الأتراك ببغداد، وملك الأنبار، وأظهر العدل وحسن السيرة، ولما قرر قواعدها عاد إلى بغداد. (وفيها) ملك عسكر خليفة مصر العلوي

(١) في الكامل: البزاز. ج٨ ص٢٨٦

مدينة حلب، وأخذوها من ثمال بن صالح بن مرداس الكلابي على ما قدمنا ذكره في سنة اثنتين وأربعمائة. (وفيها) وقعت الفتنة ببغداد بين السنية والشيعة، وعظم الأمر حتى بطلت الأسواق،وشرع أهل الكرخ في بناء سور عليهم محيطا بالكرخ، وشرع السنية من القلابين ومن يجرى مجراهم في بناء سور على سوق القلابين، وكان الأذان بأماكن الشيعة بحي على خير العمل،وبأماكن السنية الصلاة خير من النوم. (وفيها) توفي أبو بكر منصور بن جلال الدولة، وله شعر حسن.

(دخلت سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة) في هذه السنة سار السلطان طغرلبك من خراسان، وحاصر أصفهان، وبها صاحبها أبو منصور بن علاء الدولة بن كاكويه به، وطال محاصرته قريب سنة، وأخذها بالأمان ودخل السلطان طغرلبك أصفهان في المحرم سنة ثلاث وأربعين، واستطابها ونقل اليها ما كان له بالري من سلاح ذخائر.

(ذكر حال قرواش مع اخيه)

وفيها استولى أبو كامل بركة بن المقلد على أخيه قرواش بن المقلد، ولم يبق لقرواش مع أخيه المذكور تصرف في المملكة، وغلب عليها أبو كامل المذكور ولقبه زعيم الدولة.

(ذكر مسير العرب من جهة مصر إلى جهة إفريقية وهزيمة المعز بن باديس)

في هذه السنة لما قطع المعز بن باديس خطبة العلويين من إفريقية، وخطب للعباسيين، عظم ذلك على المستنصر العلوي، وأرسل إلى المعز بن باديس في ذلك، فاغلظ ابن باديس في الجواب، وكان وزير المستنصر الحسن بن علي اليازوري، ويازور من أعمال الرملة، فاتفقا على إرسال زغبة ورياح، وهما قبيلتان من العرب، وكان بينهم حرب فاصلح المستنصر بينهم، وجهزهم بالأموال، فساروا واستولوا على برقة، فسار إليهم المعز بن باديس فهزموه وساروا إلى إفريقية، وقطعوا الأشجار وحصروا المدن ونزل بأهل إفريقية من البلاء ما لم يعهدوا مثله. ثم جمع المعز ما يزيد على ثلاثين ألف فارس والتقى معهم فهزموه أيضاً، ودخل المعز القيروان مهزوماً. ثم جمع المعز وخرج إليهم والتقوا وجرى بينهم قتال عظيم، ثم انهزمت عساكر المعز وكثر القتل فيهم، وانهزم المعز ووصلت العرب إلى القيروان،ونزلوا بمصلّى القيروان، وأقام العرب يحاصرون البلاد وينهبونها إلى سنة تسع وأربعين وأربعمائة، وانتقل المعز إلى المهدية في رمضان سنة تسع وأربعين وأربعمائة، ونهبت العرب القيروان.

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

فيها سار مهلهل بن محمد بن عنان[١] اخو أبي الشوك إلى السلطان طغرلبك، فأحسن إليه طغرلبك وأقره على بلاده، ومن جملتها السيروان، ودقوقا وشهرزور، والصامغان، وكان سرحاب بن محمد أخو مهلهل محبوساً عند طغرلبك، فاطلقه لأخيه مهلهل.

(ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة). فيها كانت الفتنة بين السنية والشيعة ببغداد، وعظم الأمر، وأحرق ضريح قبر موسى بن جعفر، وقبر زبيدة، وقبور ملوك بني بويه، وجميع الترب التي حواليها، ووقع النهب، وقصد أهل الكرخ إلى خان الحنفيين، وقتلوا مدرس الحنفيين أبا سعيد السرخسي، وأحرقوا الخان ودور الفقهاء، ثم صارت الفتنة إلى الجانب الشرقي فاقتتل أهل باب الطاق وسوق يحيى[٢] والأساكفة.

(ذكر وفاة زعيم الدولة بركة بن المقلد)

وفي هذه السنة توفي بركة بن المقلد بن المسيب بتكريت، واجتمع العرب وكبراء الدولة على إقامة ابن أخيه قريش بن بدران بن المقلد، وكان بدران بن المقلد المذكور صاحب نصيبين، ثم صارت لقريش المذكور بعده، وكان قرواش تحت الاعتقال منذ اعتقله أخوه بركة مع القيام بوظائفه ورواتبه، فلما تولى قريش نقل عمه قرواشاً إلى قلعة الجراحية من أعمال الموصل، فاعتقله بها.

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(فيها) وقت العصر ظهر ببغداد كوكب له ذؤابة، غلب نوره على الشمس، وسار سيراً بطيئاً، ثم انقض. (وفيها) وصل رسول طغرلبك إلى الخليفة بالهدايا. (وفيها) عاد طغرلبك عن أصفهان إلى الري. (وفيها) كرشاسف بن علاء الدولة بن كاكويه بالأهواز، وكان قد استخلفه بها أبو منصور بن أبي كاليجار.

(ثم دخلت سنة أربع وأربعين وأربعمائة)

(ذكر قتل عبد الرشيد)

في هذه السنة قتل عبد الرشيد بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة، قتله

---

(١) في الكامل: عناز. ج٨ ص٢٩٨.

(٢) في الكامل: سوق بج. ج٨ ص٣٠٢.

الحاجب طغريل، وكان حاجباً لمودود بن مسعود، فأقره عبد الرشيد وقدمه، فطمع في الملك وخرج على عبد الرشيد المذكور، فانحصر عبد الرشيد بقلعة غزنة، وحصره طغريل حتى سلّمه أهل القلعة، فقتله طغريل وتزوج ببنت السلطان مسعود كرهاً، ثم اتفقت كبراء الدولة ووثبوا على طغريل فقتلوه، وأقاموا فرخزاد بن مسعود ابن محمود بن سبكتكين، وكان محبوساً في بعض القلاع فأحضر وبويع له، وقام بتدبر الأمر بين يديه خرخير، وكان أميراً على الأعمال الهندية، فقدم وتتبع كل من كان أعان على قتل عبد الرشيد فقتله.

(ذكر وفاة قرواش)

في هذه السنة مستهل رجب، توفي معتمد الدولة أبو منيع قرواش بن المقلد ابن المسيب العقيلي، الذي كان صاحب الموصل، محبوساً بقلعة الجراحية من أعمال الموصل، وحمل فدفن بتل توبة من مدينة نينوى شرقي الموصل، وقيل إن ابن أخيه قريش بن بدران المذكور، أحضر عمه قرواشاً المذكور من الحبس إلى مجلسه وقتله فيه، وكان قرواش من ذوي العقل وله شعر حسن فمنه:

للّه درالنائبات فإنها ... صدأ القلوب وصيقل الأحرار
ما كنت إلا زبرة فطبعتني ... سيفاً وأطلق صرفهن عراري[1]

وجمع قرواش المذكور بين أختين في نكاحه، فقيل له: إن الشريعة تحرم هذا. فقال: وأي شيئ عندنا تجيزه الشريعة، وقال مرة .ما برقبتي غير خمسة أو ستة قتلتهم من البادية، وأما الحاضرة فلا يعبأ اللّه بهم.

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

فيها قبض على أبي هشام بن خميس بن معن صاحب تكريت، أخوه عيسى ابن خميس، وسجنه واستولى على تكريت. (وفيها) في حوادث هذه السنة زلزلت خورستان وغيرها زلازل كثيرة، وكان معظمها بأرجان، فانفرج من ذلك جبل كبير قريب من أرجان، وظهر وسطه درجة بالآجر والجص، فتعجب الناس من ذلك، وكذلك كانت الزلازل بخراسان وكان أشدها ببيهق، وخرب سور قصبة بيهق، وبقي خرابا حتى عمره نظام الملك في سنة أربع وستين وأربعمائة، ثم خربه أرسلان أرغو.

(١) في الكامل: وأطلق شفرتي وغراري .جـ٨ ص٣٠٨.

ثم عمره مجد الملك البلاساني.

(وفي هذه السنة) كانت الفتنة ببغداد بين السنية والشيعة، وأعادت الشيعة الآذان بحي على خير العمل، وكتبوا في مساجدهم محمد وعلي خير البشر.

(ثم دخلت سنة خمس واربعين وأربعمائة) فيها عاد أبو منصور فلاستون ابن الملك أبي كاليجار، واستولى على شيراز وأخذها من أخيه أبي سعيد بن أبي كاليجار، ولما استقر أبو منصور في شيراز خطب فيها للسلطان طغرلبك، ولأخيه الملك الرحيم، ولنفسه بعدهما. (ثم دخلت سنة ست واربعين وأربعمائة) فيها سار طغرلبك إلى أذربيجان وقصد تبريز فأطاعه صاحبها وهشوذان [١] وخطب له فيها وحمل إليه ما أرضاه ،وذلك فعل أصحاب تلك النواحي ،ولما استقر له أذربيجان على ما ذكرنا سار إلى أرمينية وقصد ملازكرد[٢] وهي للروم ،وحصرها فلم يملكها ،وعبر إلى الروم وغزا في الروم ونهب وقتل واثر فيهم آثاراً عظيمة.

(ذكر غير ذلك)

وفي هذه السنة حصلت الوحشة بين البساسيري والخليفة القائم.

(ثم دخلت سنة سبع واربعين وأربعمائة) فيها قتل الأمير أبو حرب سليمان بن نصر الدولة بن مروان، صاحب الجزيرة، قتله عبيد الله بن أبي طاهر البشنوي الكردي غيلة.

(ذكر غير ذلك)

فيها ثارت جماعة من السنية ببغداد، وقصدوا دار الخلافة، وطلبوا ان يؤذن لهم أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر، فأذن لهم، وزاد شرهم، ثم استأذنوافي نهب دور البساسيري وكان غائباً في واسط، فأذن لهم الخليفة بذلك، فقصدوا دور البساسيري ونهبوا وأحرقوها، وأرسل الخليفة إلى الملك الرحيم يأمره بإبعاد البساسيري، فأبعده وقدم الملك الرحيم من واسط إلى بغداد، وسار البساسيري إلى جهة دبيس بن مرثد[٣] لمصاهرة بينهما.

---

(١) في الكامل: وهوذان. ج٨ ص٣١٦.

(٢) في الكامل: ملازكرد. ج٨ ص٣١٦.

(٣) في الكامل بن مزيد. ج٨ ص٣٢٢.

(ذكر الخطبة في بغداد لطغرلبك)

فيها سار طغرلبك حتى نزل حلوان، فعظم الإرجاف ببغداد، وأرسل قواد بغداد يبذلون له الطاعة والخطبة، فأجابهم طغرلبك إلى ذلك، وتقدم الخليفة القائم بذلك، فخطب له بجوامع بغداد لثمان بقين من رمضان هذه السنة، ثم أرسل طغرلبك واستأذن في دخول بغداد، فتوجهت إليه الرسل فحلفوه للخليفة القائم وللملك الرحيم، فحلف لهما، وسار طغرلبك فدخل بغدادو نزل بباب الشماسية.

(ذكر وثوب العامة بعسكر طغرلبك والقبض على الملك الرحيم)

ولما وصل طغرلبك إلى بغداد دخل عسكره يتحوجون، فجرى بين بعضهم وبين السوقية هوشة، وثارت أهل تلك المحلة على من فيها من الغز عسكر طغرلبك ونهبوهم، ثارت الفتنة بينهم ببغداد وخرجت العامة إلى وطاقات طغرلبك، فركب عسكره وتقاتلوا، فانهزمت العامة، وأرسل طغرلبك يقول: إن كان هذا من الملك الرحيم فهو لا يقدر على الحضور إلينا، وإن كان بريئا من هذا، فلا غناء عن حضوره، فأرسل الخليفة القائم إلى الملك الرحيم أن يخرج هو وكبار القواد، وهم في أمان الخليفة وذمامه، فخرجوا إلى طغرلبك فقبض على الملك الرحيم وعلى القواد الذين صحبته، فعظم ذلك على الخليفة القائم، وأرسل إلى طغرلبك في أمرهم، وشكا من عدم حرمته وعدم الالتفات إلى أمانه، فأفرج طغرلبك عن بعض القواد، واستمر بالباقين وبالملك الرحيم في الاعتقال، وهذا الملك الرحيم آخر من استولى على العراق من ملوك بني بويه، وكان أول من استولى منهم على العراق وبغداد معز الدولة أحمد بن بويه، ثم ابنه بختيار بن معز الدولة، ثم ابن عمه عضد الدولة، ثم فناخسرو ابن ركن الدولة بن بويه، ثم ابنه صمصام الدولة بن كاليجار المرزبان بن عضد الدولة، ثم أخوه شرف الدولة شيزريك بن عضد الدولة، ثم أخوه بهاء الدولة أبو نصر بن عضد الدولة، ثم ابنه سلطان الدولة أبو شجاع بن بهاء الدولة، ثم أخوه شرف الدولة ابن بهاء الدولة، ثم أخوه جلال الدولة أبو طاهر بن بهاء الدولة، ثم ابن أخيه أبو كاليجار المرزبان بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة، ثم ابنه الملك الرحيم خسره فيروز ابن أبي كاليجار بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه وهو آخرهم.

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

(فيها) وقعت الفتنة بين الشافعية والحنابلة ببغداد، فأنكرت الحنابلة على

الشافعية الجهر بالبسملة، والقنوت في الصبح، والترجيع في الأذان، (ثم دخلت سنة) ثمان وأربعين وأربعمائة. (فيها) تزوج الخليفة القائم ببنت داود أخي طغرلبك. (وفيها) وقعت حرب بين عبيد المعز بن باديس، وبين عبيد ابنه تميم بن المعز بالمهدية، فانتصرت عبيد تميم وقتلوا في عبيد المعز وأخرجوهم من المهدية.

(ذكر ابتداء دولة الملثمين)

والملثمون من عدة قبائل، ينتسبون إلى حمير، وكان أول مسيرهم من اليمن في أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه، سيّرهم إلى جهة الشام، وانتقلوا إلى مصر، ثم إلى المغرب مع موسى بن نصير، وتوجهوا مع طارق إلى طنجة، وأحبوا الانفراد فدخلوا الصحراء واستوطنوها إلى هذه الغاية، فلما كانت هذه السنة، توجه رجل منهم اسمه جوهر من قبيلة جدالة إلى إفريقية، طالباً الحج، فلما عاد استصحب معه فقيهاً من القيروان يقال له عبد الله بن ياسين الكزولي، ليعلم تلك القبائل دين الإسلام، فإنه لم يبق فيهم غير الشهادتين والصلاة في بعضهم.

فتوجه عبد الله بن ياسين مع جوهر حتى أتيا قبيلة لمتونة، وهي القبيلة التي منها يوسف بن تاشفين أمير المسلمين، ودعياها إلى العمل بشرائع الإسلام، فقالت لمتونة: أمّا الصلاة والصوم والزكاة فقريب، وأماقولكما من قتل يُقتل، ومن سرق يُقطع، ومن زنا يُرجم، فهذا أمر لا نلتزمه، اذهبا عنا.

فمضى جوهر وعبد الله بن ياسين إلى جدالة قبيلة جوهر، فدعاهم عبد الله بن ياسين والقبائل التي حولهم إلى شرائع الإسلام. فأجاب أكثرهم، وامتنع أقلهم، فقال ابن ياسين للذين أجابوا إلى شرائع الإسلام: يجب عليكم قتال المخالفين لشرائع الإسلام، فأقيموا لكم أميراً،فقالوا : أنت أميرنا فامتنع ابن ياسين وقال لجوهر: أنت الأمير. فقال جوهر: أخشى من تسلط قبيلتي على الناس، ويكون وزر ذلك علي.

ثم اتفقا على (أبي بكر بن عمر) رأس قبيلة لمتونة، فإنه سيد مطاع، ليلزم لمتونة قبيلته، فأتيا أبا بكر بن عمر وعرضا عليه ذلك فقبل، فعقدله البيعة، وسماه ابن ياسين أمير المسلمين، اجتمع إليه كل من حسن إسلامه، وحرّضهم عبد الله بن ياسين على الجهاد، وسماهم المرابطين، فقتلوا من أهل البغي والفساد ومن لم يجب إلى شرائع الإسلام نحو ألفي رجل، فدانت لهم قبائل الصحراء، وقويت شوكتهم، وتفقه منهم جماعة على عبد الله بن ياسين.

ولما استبد أبو بكر بن عمر وعبد الله بن ياسين بالأمر، داخل جوهر الحسد، فأخذ في إفساد الأمر، فعقد له مجلس وحكم عليه بالقتل لكونه شق العصا، وأراد محاربة أهل الحق، فصلّى جوهر ركعتين، وأظهر السرور بالقتل طلباً للقاء الله تعالى، وقتلوه، ثم جرى بين المرابطين وبين أهل السوس قتال، فقتل في تلك الحرب عبد الله بن ياسين الفقيه، ثم سار المرابطون إلى سجلماسة[1] واقتتلوا مع أهلها، فانتصر المرابطون واستولوا على سجلماسة وقتلوا أصحابها، ولما ملك أبو بكر بن عمر سجلماسة استعمل عليها يوسف بن تاشفين اللمتوني، وهو من بني عم أبي بكر بن عمر، وذلك في سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة.

ثم استخلف أبو بكر على سجلماسة ابن أخيه وبعث يوسف بن تاشفين ومعه جيش من المرابطين إلى السوس، ففتح على يديه، كان يوسف بن تاشفين رجلاً ديناً حازماً مجرباً داهيةً، واستمر الأمر كذلك إلى أن توفي أبو بكر بن عمر في سنة اثنتين وستين وأربعمائة، فاجتمعت طوائف المرابطين على يوسف بن تاشفين وملّكوه عليهم ولقبوه بأمير المسلمين، ثم سار إلى المغرب وافتتحها حصناً حصناً، وكان غالبها لزناتة، ثم إن يوسف قصد موضع مراكش، وهو قاع صفصف لا عمارة فيه فبنى فيه مدينة مراكش، واتخذها مقراً ملكه، وملك البلاد المتصلة بالمجاز مثل سبتة وطنجة وسلا وغيرها، وكثرت عساكره، ويقال للمرابطين الملثمين أيضا، قيل إنهم كانوا يتلثمون على عادة العرب، فلما ملكوا ضيقوا لثامهم، كأنه ليتميزوا به، وقيل بل إن قبيلة لمتونة خرجوا غائرين على عدو لهم، والبسوا نساءهم لبس الرجال ولثموهنّ، فقصد بعض أعدائهم بيوتهم، فرأوا النساء ملثمين فظنوهن رجالاً، فلم يقدموا عليهن، واتفق وصول رجالهم في ذلك التاريخ فأوقعوا بهم، فتبركوا باللثام وجعلوه سنة من ذلك التاريخ، فقيل لهم الملثمون.

(ذكر مسير طغرلبك عن بغداد)

لما أقام طغرلبك ببغداد، ثقلت وطأة عسكره على الرعية إلى الغاية، فرحل طغرلبك عن بغداد عاشر ذي القعدة من هذه السنة، أعني سنة ثمان وأربعين وأربعمائة، وكان مقامه ببغداد ثلاثة عشر شهراً وأياماً، لم يلق الخليفة فيها، وتوجه طغرلبك إلى نصيبين، ثم سار منها إلى ديار بكر التي هي لابن مروان.

---

(١) سجلماسة : مدينة في جنوبي المغرب في طرف بلاد السوذان . البلدان ٣ / ١٩٢ .

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

وفي هذه السنة توفي أمير الكاتب البيهقي، كان من رجال الدنيا.

(ثم دخلت سنة تسع وأربعين وأربعمائة)

(ذكر عود طغرلبك إلى بغداد)

فيها عاد طغرلبك إلى بغداد بعد أن استولى على الموصل وأعمالها، وسلمها إلى أخيه إبراهيم ينال، ولما قارب طغرلبك الفقص[1] خرج لتلقيه كبراء بغداد، مثل عميد الملك وزير طغرلبك ببغداد، ورئيس الرؤساء، ودخل بغداد وقصد الاجتماع بالخليفة القائم، فجلس له الخليفة وعليه البردة على سرير عال عن الأرض نحو سبعة أذرع، وحضر طغرلبك في جماعته، وأحضر أعيان بغداد وكبراء العسكر، وذلك يوم السبت لخمس بقين من ذي القعدة من هذه السنة، فقبل طغريل بك الأرض، ويد الخليفة، ثم جلس على كرسي. ثم قال له رئيس الرؤساء: إنّ الخليفة قد ولاّك جميع ماولاّه الله تعالى من بلاده، وردّ إليك مراعاة عباده، فاتق الله فيما ولاّك، واعرف نعمته عليك، وخلع على طغريل بك وأعطى العهد، فقبل الأرض ويد الخليفة ثانياً وانصرف، ثم بعث طغريل بك إلى الخليفة خمسين ألف دينار، وخمسين مملوكاً من الأتراك، ومعهم خيولهم وسلاحهم مع ثياب وغيرها.

(ذكر غير ذلك)

فيها قبض المستنصر العلوي خليفة مصر على وزيره اليازوري، وهو الحسن بن عبد الله، وكان قاضياً في الرملة على مذهب ابي حنيفة، ثم تولّى الوزارة، ولما قُبض وجد له مكاتبات إلى بغداد. (وفيها) توفي أبو العلاء أحمد بن سليمان المعري الأعمى وله نحو ست وثمانين سنة، ومولده سنة ثلاث وستين وثلاثمائة، وقيل ست وستين وثلاثمائة، واختلف في عماه، والصحيح انه عمي في صغره من الجدري، وهو ابن ثلاث سنين، وقيل ولد أعمى، وكان عالماً لغوياً شاعراً، ودخل بغداد سنة تسع وتسعين وثلاثمائة وأقام بها سنة وسبعة أشهر، واستفاد من علمائها، ولم يتلمذ أبو العلاء لأحد أصلاً، ثم عاد إلى المعرة ولزم بيته، وطبق الأرض ذكره، ونقلت عنه أشعار وأقوال علم بها فساد عقيدته، ونسب إلى التمذهب بمذهب الهنود، لتركه أكل اللحم خمساً وأربعين سنة، وكذلك البيض واللبن، وكان يحرّم إيلام الحيوان،

---

(١) في الكامل: القفص. ج٨ ص ٣٣٧.

وله مصنفات كثيرة، أكثرها ركيكة، فهجرت لذلك، وكان يظهر الكفر ويزعم أن لقوله باطناً، وأنه مسلم في الباطن فمن شعره المؤذن بفساد عقيدته قوله:

عجبتُ لكسرى وأشياعه ... وغسلِ الوجوهِ ببول البقر
وقولُ النصارى إله يُضام ... ويُظلم حيّا ولا ينتصر
وقول اليهود إله يحبّ ... رسيس الدماء وريح القتر
وقوم أتوا من أقاصي البلد ... لرمي الجمار ولثم الحجر
فوا عجباً من مقالاتهم ... أيُعمى عن الحق كل البشر

ومن ذلك قوله:

زعموا أنني سأُبعثُ حيّا ... بعدَ طولِ المقام في الأرماسِ
وأجوز الجنانَ أرتعُ فيها ... بين حورٍ وولدة أكياس
أي شيء أصاب عقلك يامسـ ... ـكين حتى رميت بالوسواس

ومن ذلك:

أتى عيسى فبطل شرع موسى ... وجاء محمد بصلاة خمس
وقالوا لانبي بعد هذا ... فضل القوم بين غد وأمس
ومهما عشت في دنياك هذي ... فما تخليك من قمر وشمس
إذا قلت المحال رفعت صوتي ... وإن قلت الصحيح أطلت همسي

ومن ذلك قوله:

تاه النصارى والحنيفة ما اهتدت ... ويهود حطرى والمجوس مضلله
قُسم الورى قسمين هذا عاقلٌ ... لا دين فيه ودين لا عقل له

(وفي هذه السنة) توفي أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني مقدم أصحاب الحديث بخراسان، وكان فقيهاً خطيباً إماماً في عدة علوم. (وفيها) توفي أياز غلام محمود سبكتكين، وله مع محمود أخبار مشهورة. (وفيها) مات أبو أحمد عدنان بن الشريف الرضي نقيب العلويين.

(ثم دخلت سنة خمسين وأربعمائة)

(ذكر الخطبة بالعراق للمستنصر العلوي خليفة مصر)
(وما كان إلى قتل البساسيري)

في هذ السنة سار إبراهيم ينال بعد انفصاله عن الموصل إلى همذان. وسار

طغرلبك من بغداد في إثر أخيه أيضاً إلى همذان، وتبعه من كان ببغداد من الأتراك فقصد البساسيري بغداد ومعه قريش بن بدران العقيلي في مائتي فرس، ووصل إليها يوم الأحد ثامن ذي القعدة، ومعه أربعمائة غلام ونزل بمشرعة الزوايا وخطب البساسيري بجامع المنصور للمستنصر بالله العلوي خليفة مصر، وأمر فأذن بحيّ على خير العمل، ثم عبرعسكره إلى الزاهر، وخطب بالجمعة الأخرى من وصوله للمصرى بجامع الرصافة أيضاً، وجرى بينه وبين مخالفيه حروب في أثناء الأسبوع، وجمع البساسيري جماعته ونهب الحريم، ودخل الباب النوبي، فركب الخليفة القائم لابساً للسواد. وعلى كتفه البردة وبيده سيف، وعلى رأسه اللواء وحوله زمرة من العباسيين والخدم بالسيوف المسلولة، وسرى النهب إلى باب الفردوس من داره، فلما رأى القائم ذلك رجع إلى ورائه، ثم صعد إلى المنظرة ومع القائم رئيس الرؤساء، وقال رئيس الرؤساء، لقريش بن بدران: ياعلم الدين، أمير المؤمنين القائم يستذم بذمامك وذمام رسول الله وذمام العربية، على نفسه وماله وأهله وأصحابه فاعطى قريش محضرته ذماماً، فنزل القائم ورئيس الرؤساء إلى قريش من الباب المقابل لباب الحلبة، وسارا معه، فأرسل البساسيري، إلى قريش وقال له: أتخالف ما استقر بيننا وتنقض ما تعاهدنا عليه؟ وكانا قد تعاهدا على المشاركة، وأن لا يستبد أحدهما دون الآخر، ثم اتفقا على أن يُسلم رئيس الرؤساء إلى البساسيري لأنه عدوّه، ويبقى الخليفة القائم عند قريش، وحمل قريش الخليفة إلى معسكره ببردته والقضيب ولوائه، ونهبت دار الخليفة وحريمها أياماً. ثم سلم قريش الخليفة إلى ابن عمه مهارس، وسار به مهارس والخليفة في هودج إلى حديثة عانة، فنزل بها، وسار أصحاب الخليفة إلى طغرلبك، وأما البساسيري فإنه ركب يوم عيدالنحر إلى المصلى بالجانب الشرقي، وعلى رأسه ألوية خليفة مصر، وأحسن إلى الناس، ولم يتعصب لمذهب، وكانت والدة القائم باقية، وقد قاربت تسعين سنة فأفرد لها البساسيري داراً وأعطاها جاريتين من جواريها وأجرى لها الجراية، وكان قد حبس البساسيري رئيس الرؤساء فأحضره من الحبس، فقال رئيس الرؤساء: العفو. فقال له البساسيري. أنت قدرت فما عفوت وأنت صاحب طيلسان، وفعلت الأفعال الشنيعة مع حرمي وأطفالي، وكانوا قد ألبسوا رئيس الرؤساء استهزاء به طرطوراً من لبد أحمر، وفي رقبته مخنقة جلود وطافوا به إلى النجمي وهو يقرأ: ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير﴾[آل عمران: ٢٦] فلما مر رئيس الرؤساء بتلك الحالة على أهل الكرخ بصقوا في وجهه،

لانه كان يتعصب عليهم. ثم ألبس جلد ثور وجعلت قرونه على رأسه وجعل في كفه[1] كلابان من حديد، وصلب وبقي إلى آخر النهار ومات، وأرسل البساسيري إلى المستنصر العلوي بمصر، يعرفه بإقامة الخطبة له بالعراق، وكان الوزير هناك ابن أخي أبي القاسم المغربي وهو ممن هرب من البساسيري فبرّد فعل البسايري وخوّف من عاقبته، فتركت أجوبته مدة، ثم عادت بخلاف ما أمله، ثم سار البساسيري من بغداد إلى واسط والبصر فملكهما، وأما طغريل بك فكان قد خرج عليه أخوه إبراهيم ينال، وجرى بينه وبينه قتال، وآخره أن طغريل بك انتصر على أخيه إبراهيم ينال وأسره وخنقه بوتر، وكان قد خرج عليه مراراً وطغريل بك يعفو عنه، فلم يعف عنه في هذه المرة.

(ذكر عود الخليفة القائم إلى بغداد وقتل البساسيري)

وكان ذلك في السنة القابلة سنة إحدى وخمسين، فقدّم ذكر هذه الواقعة في هذه السنة لتكون أخبارها متتابعة إلى منتهاها فنقول: إنه لما فرغ طغريل بك من أمر أخيه إبراهيم ينال وقتله، سار إلى العراق لرد الخليفة إلى مقر ملكه، وأرسل إلى البساسيري يقول: ردَّ الخليفة إلى مكانه، وأنا أرضى منك بالخطبة، ولا أدخل العراق، فلم يجب البساسيري إلى ذلك. فسار طغريل بك، فلما قارب إلى بغداد انحدر منها خدم البساسيري وأولاده في دجلة، وكان دخول البساسيري وأولاده بغداد سنة خمسين سادس ذي القعدة، وخروجهم من بغداد في سنة إحدى وخمسين سادس ذي القعدة أيضاً، ووصل طغريل بك إلى بغداد وأرسل في طلب الخليفة القائم إلى مهارس، فسار مهارس والخليفة إلى بغداد في السنة المذكورة، أعني سنة إحدى وخمسين في حادي عشر ذي القعدة وأرسل طغريل بك الخيام العظيمة والآلات لملتقى الخليفة القائم، ووصل الخليفة إلى النهروان رابع وعشرين ذي القعدة وخرج طغريل بك لتلقيه واجتمع به واعتذر عن تأخره بعصيان أخيه إبراهيم، وأنه قتله عقوبة لما جرى منه، وبوفاة أخيه داود بخراسان، وسار مع الخليفة ووقف طغريل بك في الباب النوبي مكان الحاجب. وأخذ بلجام بغلة الخليفة حتى صار على باب حجرته، ودخل الخليفة إلى داره يوم الاثنين لخمس بقين من ذي القعدة سنة إحدى وخمسين، ثم أرسل طغريل بك جيشاً خلف البساسيري، ثم سار طغريل بك في إثرهم، واقتتل الجيش والبساسيري ثامن ذي الحجة، فقتل البساسيري، وانهزمت

(١) في الكامل: فكيه. ج٨ ص٣٤٤.

أصحابه وحمل رأسه إلى طغريل بك وأخذت أموال البساسيري مع نسائه وأولاده ثم أرسل طغريل بك رأس البساسيري إلى دار الخلافة فصلب قبالة الباب النوبي، وكان البساسيري مملوكاً تركياً من مماليك بهاء الدولة بن عضد الدولة. واسمه أرسلان، وهو منسوب إلى مدينة بسا بفارس، وكان سيد هذا المملوك من بسا، فقيل له البساسيري لذلك، والعرب تجعل عوض الباء فاء فتقول فسا ومنها أبو علي الفارسي النحوي.

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

وفي هذه السنة أعني سنة خمسين وأربعمائة توفي شهاب الدولة أبو الفوارس منصور بن الحسين الأسدي صاحب الجزيرة، واجتمعت عشيرته على ولده صدقة، (وفيها) توفي الملك الرحيم أبو نصر خسره فيروز آخر ملوك بني بويه بعد أن نقل من قلعة السيروان إلى قلعة الري، فمات بها مسجوناً وهو الملك الرحيم بن أبي كاليجار المرزبان بن سلطان الدول بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه. (وفيها) توفي القاضي أبو الطيب الطبري الفقيه الشافعي وله مائة سنة وسنتان، وكان صحيح السمع والبصر، سليم الأعضاء يناظر ويفتي ويستدرك على الفقهاء، ودفن عند قبر أحمد بن حنبل. (وفيها) توفي قاضي القضاة أبو الحسين علي بن محمد بن حبيب الماوردي، وله تصانيف كثيرة منها، الحاوي المشهور، وعمره ست وثمانون سنة، أخذ الفقه عن أبي حامد الإسفرائيني وغيره ومن مصنفاته تفسير القرآن والنكت والعيون والأحكام السلطانية وقانون الوزارة، والماوردي نسبة إلى بيع ماء الورد. (وفيها) كانت زلزلة عظيمة لبثت ساعة بالعراق والموصل، فخربت كثيراً وهلك فيها الجم الغفير.

(ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وأربعمائة)

(ذكر وفاة فرخزاد صاحب غزنة)

في هذه السنة وقيل في سنة تسع وأربعين، توفي الملك فرخزاد بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة بالقولنج، وملك بعده أخوه إبراهيم بن مسعود، فأحسن السيرة، وغزا الهند وفتح حصوناً. وكان ديّناً، ولما استقر في ملك غزنة صالح داود بن ميكائيل بن سلجوق صاحب خراسان.

(ذكر وفاة داود وملك ابنه ألب أرسلان)

في هذه السنة في رجب توفي داود بن ميكائيل بن سلجوق، أخو طغريل بك،

وعمره سبعون سنة، صاحب خراسان وهو مقاتل آل سبكتكين، ولما توفي داود ملك خراسان بعده ابنه ألب أرسلان وكان لداود من البنين ألب أرسلان، وياقوتي وقاروت بك وسليمان، فتزوج طغريل بك بأم سليمان امرأة أخيه.

(ذكر غير ذلك من الحوادث)

فيها قدم طغريل بك إلى بغداد، وأعاد الخليفة، وقتل البساسيري حسبما ذكرنا. (وفيها) توفي علي بن محمود بن إبراهيم الزوزني، وهو الذي ينسب إليه رباط الزوزني المقابل لجامع المنصور ببغداد.

(ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة) فيها ملك محمود بن شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس حلب، على ماتقدم ذكره في سنة اثنتين وأربعمائة. (وفيها) سار طغريل بك من بغداد إلى بلاد الجبل في ربيع الأول، وجعل الأمير برسق شحنة ببغداد. (وفيها) توفيت والدة القائم وهي جارية أرمنية، قيل اسمها قطر الندى.

(ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة)

(ذكر وفاة المعز صاحب إفريقية)

وفي هذه السنة توفي المعز بن باديس، بضعف الكبد، وكانت مدة ملكه سبعاً وأربعين سنة، وكان عمره لما ملك قيل إحدى عشرة سنة، وقيل ثمان سنين، وملك بعده ابنه تميم بن المعز، ولما مات المعز طمعت أصحاب البلاد بسبب العرب وتغلبهم على بلاد إفريقية كما قدمنا ذكره.

(ذكر وفاة قريش صاحب الموصل)

وفيها توفي قريش بن بدران بن المقلد بن المسيب صاحب الموصل ونصيبين، وكانت وفاته بنصيبين، بخروج دم من حلقه وأنفه وأذنيه، وقام بالأمر بعده ابنه شرف الدولة أبو المكارم مسلم بن قريش.

(ذكر وفاة نصر الدولة بن مروان)

وفي هذه السنة توفي نصر الدولة أبو نصر أحمد بن مروان الكردي، صاحب ديار بكر، وكان عمره نيفاً وثمانين سنة، وإمارته اثنتين وخمسين سنة، لأن تملكه كان في سنة اثنتين وأربعمائة كما قدمنا ذكره في سنة ثمانين وثلاثمائة، واستولى

أبو نصر على أموره وبلاده استيلاء تاماً، وتنعم تنعماً لم يسمع بمثله، وملك من الجواري المغنيات ما اشترى بعضهن بخمسة آلاف دينار، وأكثر، وملك خمسمائة سرية، سوى توابعهن وخمسمائة خادم، وكان في مجلسه من الآلات ما تزيد قيمته على مائتي ألف دينار، وأرسل طباخين إلى مصر حتى تعلموا الطبخ هناك وقدموا عليه، وغرم على ذلك جملة، ووزر له أبو القاسم المغربي وفخر الدولة بن جهير، ووفد إليه الشعراء وأقام عنده العلماء، ولما مات نصر الدولة المذكور، خلّف ابنين نصراً وسعيداً ابني المذكور، فاستقر في الأمر بعده ابنه نصر بن أحمد بميافارقين، وملك أخوه سعيد بن أحمد آمد.

(ذكر وفاة أمير مكة)

في هذه السنة توفي شكر العلوي الحسيني أمير مكة، وله شعر حسن فمنه:

قوض خيامك عن أرض تضامُ بها وجانب الذل إن الذلّ مجتنبُ
وارحل إذا كان في الأوطان منقصة فالمندل الرطب في أوطانه حطبُ

(ثم دخلت سنة أربع وخمسين وأربعمائة) فيها تزوج طغريل بك ببنت الخليفة القائم، وكان العقد في شعبان بظاهر تبريز، وكان الوكيل في تزويجها من جهة القائم عميد الملك، (وفيها) استوزر القائم فخر الدولة أبا نصر بن جهير بعد مسيره عن ابن مروان. (وفيها) توفي القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي، الفقيه الشافعي، صاحب كتاب لشهاب، وكتاب الأنباء عن الأنبياء، وتواريخ الخلفاء وكتاب خطط مصر. تولىّ قضاء مصر من جهة الخلفاء العلويين المصريين، وتوجه منهم رسولاً إلى جهة الروم، والقضاعي منسوب إلى قضاعة، وهو من حمير، وينسب إلى قضاعة قبائل كثير منها: كلب وبلي وجهينة وعدوة وغيرهم، وقيل: قضاعة بن معد بن عدنان.

(ثم دخلت سنة خمس وخمسين وأربعمائة)

(ذكر أخبار اليمن)

من تاريخ اليمن عمارة قال: وفي هذه السنة أعني سنة خمس وخمسين وأربعمائة تكامل جميع اليمن لعلي بن القاضي محمد بن علي الصليحي، وكان القاضي محمد والد علي الصليحي المذكور، سني المذهب، وله الطاعة في رجال حراز، وهم أربعون ألفاً ببلاد اليمن، فتعلم ابنه علي المذكور مذهب الشيعة، وأخذ

أسرار الدعوة عن عامر بن عبد الله الرواحي، وكان عامر المذكور من أهل اليمن ، وهو أكبر دعاة المستنصر الفاطمي خليفة مصر، فصحبه علي بن محمد الصليحي وتعلم منه أسرار الدعوة، فلما دنت من عامر الوفاة، أسند أمر الدعوة إلى علي المذكور، فقام بأمر الدعوة أتمّ قيام وصار علي بن محمد الصليحي المذكور دليلاً لحجاج اليمن، يحج بهم على طريق الطائف وبلاد السرو، وبقي على ذلك عدة سنين، وفي سنة تسع وعشرين وأربعمائة، ترك دلالة الحجاج وثار بستين رجلاً، وصعد إلى رأس مشاف، وهو أعلى ذروة من جبال حراز،ولم يزل يستفحل أمره شيئاً فشيئاً، حتى ملك جميع اليمن في هذه السنة، أعني سنة خمس وخمسين وأربعمائة. ولما تكامل لعلي الصليحي ملك اليمن، ولى على زبيد أسعد بن شهاب بن علي الصليحي، وأسعد المذكور هو أخو زوجته أسماء بنت شهاب، وابن عم علي المذكور. وبقي علي الصليحي مالكاً لجميع اليمن حتى حج، فقصده بنو نجاح وقتلوه بغتة، بالهجم عليه بضيعة يقال لها أم الدهيم وبيرام معبد، في ذي القعدة سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة، فلما قتل الصليحي المذكور، استقرت التهائم لبني نجاح واستقر بصنعاء ابن الصليحي المذكور، وهو أحمد بن علي بن القاضي محمد الصليحي،وكان يلقب أحمد المذكور بالملك المكرم، ثم جمع المكرم المذكور العرب وقصد سعيد بن نجاح بزبيد، وجرى بينهما قتال شديد، فانهزم سعيد بن نجاح إلى جهة دهلك، وملك أحمد المذكور زبيد في سنة خمس وسبعين وأربعمائة، ثم عاد ابن نجاح وملك زبيد في سنة تسع وسبعين وأربعمائة، ثم عاد أحمد المكرم وقتل سعيد في سنة إحدى وثمانين وأربعمائة.

ثم ملك جياش أخو سعيد وبقي أحمد المكرم على ملك صنعاء حتى مات المكرم في سنة أربع وثمانين وأربعمائة، ولما مات أحمد المكرم بن علي بن القاضي محمد بن علي الصليحي تولّى بعده ابن عمه (أبو حمير) سبأ بن أحمد بن المظفر ابن علي الصليحي في السنة المذكورة، أعني سنة أربع وثمانين وأربعمائة، وبقي سبأ متولياً حتى توفي في سنة خمس وتسعين وأربعمائة، وهو آخر الملوك الصليحيين.

ثم بعد موت سبأ أرسل من مصر علي بن إبراهيم بن نجيب الدولة، فوصل إلى جبال اليمن في سنة ثلاث عشرة وخمسمائة، وقام بأمرالدعوة والمملكة التي كانت بيد سبأ، وبقي ابن نجيب الدولة حتى أرسل الآمر الفاطمي خليفة مصر وقبض على ابن نجيب الدولة المذكور، بعد سنة عشرين وخمسمائة ، وانتقل الملك والدعوة

إلى آل الزريع بن العباس بن المكرم. وآل الزريع هم أهل عدن، وهم من همذان بن جشم، وهؤلاء بنو المكرم يعرفون بآل الذيب، وكانت عدن لزريع بن العباس بن المكرم، ولعمه مسعود بن المكرم، فقتلا على زبيد مع الملك المفضل، فولّى بعدهما ولداهما، وهما أبو السعود بن زريع وأبو الغارات ابن مسعود، وبقيا حتى ماتا، وولي بعدهما محمد بن أبي الغارات، ثم ولي بعده ابنه علي بن محمد بن أبي الغارات.

ثم استولى على الملك والدعوة سبأ بن أبي السعود بن زريع، وبقي حتى توفي في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، ثم تولى ولده الأعز علي بن سبأ، وكان مقام علي بالدملوة، فمات بالسل، وملك بعده أخوه المعظم محمد بن سبأ، ثم ملك بعده ابنه عمران بن محمد بن سبأ، وكانت وفاة محمد بن سبأ في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة، ووفاة عمران بن محمد بن سبأ في شعبان سنة ستين وخمسمائة وخلّف عمران ولدين طفلين هما، محمد وأبو السعود ابنا عمران. وممن ولي الأمر من الصليحيين، زوجة أحمد المكرم، وهي الملكة ولقبها الحرة، واسمها سيدة بنت أحمد بن جعفر بن موسى الصليحي، ولدت سنة أربعين وأربعمائة وربتها أسماء بنت شهاب، وتزوجها ابن أسماء أحمد المكرم بن علي الصليحي سنة إحدى وستين وأربعمائة، وطالت مدة الحرة المذكورة، وولاها زوجها احمد المكرم الأمر في حياته، فقامت بتدبير المملكة والحروب، واشتغل زوجها بالأكل والشرب، ولما مات زوجها وتولى ابن عمه سبأ استمرت هي في الملك، ومات سبأ وتولى ابن نجيب الدولة في أيامها، واستمرت بعده حتى توفيت الحرة المذكورة. في سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة وممن كان له شركة في الملك: الملك المفضل أبو البركات بن الوليد الحميري صاحب تعز، وكان المفضل المذكور يحكم بين يدي الملكة الحرة وكان يحتجب حتى لايرجى لقاؤه،ثم يظهر ويدبر الملك حتى يصل إليه القوي والضعيف، وبقي المفضل كذلك حتى توفي في شهر رمضان سنة أربع وخمسمائة، وملك معامل المفضل وبلاده بعده ولده منصور، ويقال له الملك المنصور بن المفضل، واستمر المنصور بن المفضل في ملك أبيه من تاريخ وفاته إلى سنة سبع وأربعين وخمسمائة، فابتاع محمد بن سبأ بن أبي السعود منه المعامل التي كانت للصليحيين بمائة ألف دينار، وعدتها ثمانية وعشرون حصنا، وبلداً، وأبقى المنصور بن المفضل لنفسه تعز، وبقي المنصور في ملكها حتى توفي بعد ان ملك نحو ثمانين سنة. وسنذكر بقية أخبار اليمن في سنة أربع وخمسين وخمسمائة إن

شاء الله تعالى.

(ذكر دخول طغريل بك بابنة الخليفة)

وفي هذه السنة أعني سنة خمس وخمسين وأربعمائة، قدم طغريل بك إلى بغداد ودخل بابنة الخليفة، وحصل من عسكره الأذية لأهل بغداد لإخراجهم من دورهم وفسقهم بنسائهم أخذاً باليد.

(ذكر وفاة طغريل بك)

في هذه السنة بعد دخول طغريل بك بابنة الخليفة، سار من بغداد في ربيع الأول إلى بلد الجبل، فوصل إلى الري فمرض وتوفي يوم الجمعة ثامن شهر رمضان من هذه السنة، وعمره سبعون سنة تقريباً، وكان طغريل بك عقيماً لم يرزق ولداً، واستقرت السلطنة بعده لابن أخيه ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق.

(ذكر غير ذلك)

فيها دخل الصليحي صاحب اليمن إلى مكة مالكاً لها، فأحسن السيرة، وجلب إليها الأقوات، (وفيها) كان بالشام زلزلة عظيمة خرب بها كثيرمن البلاد، وانهدم بها سور طرابلس. (وفيها) ولي أمير الجيوش بدر مدينة دمشق للمستنصر العلوي خليفة مصر، ثم ثار به الجند ففارقها. (وفيها) توفي سعيد بن نصر الدولة أحمد بن مروان صاحب آمد من ديار بكر.

(ثم دخلت سنة ست وخمسين وأربعمائة)

(ذكر القبض على الوزيرعميد الملك وقتله)

في هذه السنة قبض السلطان ألب أرسلان على الوزير عميد الملك أبي نصر منصوربن محمد الكندري، وزير عمه طغر يل بك، بسبب سعي نظام الملك وزير ألب أرسلان به، فقبض ألب أرسلان على عميد الملك وحبسه في مروروز، فلما مضى على عميد الملك في الحبس سنة، أرسل ألب أرسلان إليه غلامين ليقتلاه فدخل عميد الملك وودع أهله وصلى ركعتين وخرق خرقه من طرف كمه وعصب عينيه بها، فقتلاه بالسيف وقطع رأسه وحملت جثته إلى كندر فدفن عند أبيه، وكان عمره نيفاً وأربعين سنة، وكان عميد الملك خصياً. لأن طغريل بك أرسله ليخطب له امرأة فتزوجها عميد الملك، فخصاه طغريل بك لذلك، وكان عميد الملك كثير

الوقيعة في الشافعي، حتى خاطب طغريل بك في لعن الرافضةعلى منابر خراسان، فأمر له بذلك فأمر بلعنهم، وأضاف إليهم الأشعرية، فأنف من ذلك أئمة خراسان، منهم أبو القاسم القشيري وأبو المعالي الجويني، وأقام بمكة أربع سنين ولهذا لقب إمام الحرمين، ومن العجب أنّ ذكر عميد الملك ومخاصيه، دفن بخوارم لما خصي، ودمه سفح بمرو، وجسده دفن بكندر، ورأسه ما عدا قحفه دفن بنيسابور، ونقل قحفه إلى كرمان لأن نظام الملك كان هناك.

(ذكر غير ذلك)

في هذه السنة ملك ألب أرسلان قلعة ختلان[1]، ثم سار إلى هراة فحاصر عمه بيغو بن ميكائيل بن سلجوق بها، وملكها وأخرج عمه، ثم أحسن إليه وأكرمه، ثم سار إلى صغانيان[2] فملكها أيضا بالسيف، وكان اسم صاحبها موسى، فأخذ أسيراً (وفي هذه السنة) أمر ألب أرسلان بعود بنت الخليفة القائم إلى بغداد وكانت قد سارت إلى طغريل بك إلى الري بغير رضى الخليفة. (وفيه هذه السنة) عصى قطلومش[3] بن أرسلان بن سلجوق على ألب أرسلان، فأرسل إليه ونهاه عن ذلك وعرفه أنه يرعى له القرابة والرحم، فلم يلتفت قطلومش إلى ذلك، فسار إليه ألب أرسلان إلى قرب الري، والتقى العسكران واقتتلوا فانهزم عسكر قطلومش وهرب إلى جهة قلعة كردكوه، فلما انقضى القتال وجد قطلومش ميتاً، قيل إنه مات من الخوف، فعظم موته على ألب أرسلان وبكى عليه، وقعد للعزاء وعظم عليه فقده فسلاه نظام الملك، ودخل ألب أرسلان مدينة الري في آخر المحرم من هذه السنة، وهذا قطلومش السلجوقي هو جد الملوك أصحاب قونية، وأقصرا وملطية، إلى أن استولى التتر على مملكتهم على ما سنذكره إن شاء الله تعالى. وكان قطلومش مع أنه رجل تركي عارفاً بعلم النجوم، وقد أتقنه.

(وفي هذه السنة) شاع ببغداد والعراق وخوزستان وكثير من البلاد، أن جماعة من الأكراد خرجوا يتصيدون، فرأوا في البرية خيماً سوداء وسمعوا منها لطماً شديداً وعويلاً كثيراً، وقائلاً يقول: قد مات سيدوك ملك الجن، وأي بلد لم يلطم أهله قلع أصله، فصدق ذلك ضعفاء العقول من الرجال والنساء، حتى خرجوا إلى المقابر

---

(١) خُتّلان: بلاد مجتمعة وراء النهر قرب سمرقند. البلدان ٢/٣٤٦.

(٢) صغانيان: ولاية عظيمة بما وراء النهر متصلة الأعمال بترمذ. البلدان ٣/٤٠٨.

(٣) في الكامل: قتلمش. ج٨ ص٣٦٧.

يلطمن وخرج رجال من سفلة الناس يفعلون ذلك، قال ابن الأثير: ولقد جرى ونحن في الموصل وغيرها من تلك البلاد في سنة ستمائة مثل هذا، وهو أن الناس أصابهم وجع كثير في حلوقهم فشاع أن امرأة من الجن يقال لها أم عنقود مات ابنها عنقود، وكل من لا يعمل مأتماً أصابه هذا المرض، فكان النساء وأوباش الناس يلطمون على عنقود ويقولون يا أم عنقود اعذرينا، قد مات عنقود مادرينا.

وإنما أوردنا هذا لأن رعاع الناس إلى يومنا هذا وهو سنة سبعمائة وخمس عشرة يقولون بأم عنقود وحديثها، ليعلم تاريخ هذا الهذيان من متى كان. (وفيها) توفي أبو القاسم علي بن برهان الأسد النحوي، المتكلم، وكان له اختيار في الفقه وكان يمشي في الأسواق مكشوف الرأس، ولم يقبل من أحد شيئاً، وكان يميل إلى مذهب مرجئة المعتزلة، ويعتقد أن الكفار لايخلدون في النار، وكان قد جاوز ثمانين سنة.

(ثم دخلت سنة سبع وخمسين وأربعمائة) وفيها عبر ألب أرسلان جيحون وسار إلى جند وصبران، وهماعند بخارى، وقبر جده سلجوق بجند، فخرج صاحب جند إلى طاعته، فأقره على مكانه، ووصل إلى كركنج خوارزم، وسار منها إلى مرو. (وفيها) ابتدأ نظام الملك بعمارة المدرسة النظامية ببغداد.

(ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وأربعمائة) وفيها أقطع ألب أرسلان شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدار بن المقلد بن المسيب صاحب الموصل، الأنبار وتكريت زيادة على الموصل. (وفيها) توفي أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي الخسروجردي، وكان إماماً في الحديث والفقه على مذهب الشافعي، وكان زاهداً و مات بنيسابور ونقل إلى بيهق، وبيهق قرى مجتمعة بنواحي نيسابور على عشرين فرسخاً منها، وكان البيهقي من خسرو جرد وهي- قرية من بيهق -وكان البيهقي أوحد زمانه، رحل في طلب الحديث إلى العراق والجبال والحجاز، وصنف شيئاً كثيراً، وهو أول من جمع نصوص الشافعي في عشر مجلدات، ومن مشهور مصنفاته السنن الكبير والسنن الصغير ودلائل النبوة، وكان قانعاً من الدنيا بالقليل، ومولده في شعبان سنة أربع وثمانين وثلاثمائة. وقال إمام الحرمين في حقه: مامن شافعي المذهب إلاّ وللشافعي عليه منة، إلاّ أحمد البيهقي، فإن له على الشافعي منة، لأنّه كان أكثر الناس نصر المذهب الشافعي. (وفيها) توفي أبو علي محمد ابن الحسين بن الحسن بن الفراء الحنبلي، وعنه انتشر مذهب أحمد بن حنبل، وهو

مصنف كتاب الصفات، أتى فيه بكل عجيبة، وترتيب أبوابه يدل على التجسيم المحض، وكان ابن التميمي الحنبلي يقول: لقد خرى أبو يعلي بن الفراء على الحنابلة خرية لا يغسلها الماء.

(وفيها) توفي الحافظ أبو الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده المرسي، وكان إماما في اللغة، صنف فيها المحكم، وهو كتاب مشهور، وله غيره عدة مصنفات وكان ضريراً، وتوفي بدانية من شرق الأندلس، وعمره نحو ستين سنة.

(ثم دخلت سنة تسع وخمسين وأربعمائة) فيها في ذي القعدة فرغت عمارة المدرسة النظامية، وتقرر التدريس بها للشيخ أبي إسحاق الشيرازي واجتمع الناس فتأخر أبو إسحق عن الحضور لأنه سمع شواذاً أن أرض المدرسة مغصوبة، ولما تأخر ألقي الدرس بها إلى يوسف بن الصباغ صاحب كتاب الشامل مدة عشرين يوماً، ثم اجتهدوا بأبي إسحاق فلم يزالوا به حتى درس فيها.

(ثم دخلت سنة ستين وأربعمائة) فيها كانت بفلسطين ومصر زلزلة شديدة حتى طلع الماء من رؤوس الآبار، وهلك من الردم عالم عظيم، وزال البحر عن الساحل مسيرة يوم، فنزل الناس أرضه يلتقطون فرجع الماء عليهم وأهلك خلقاً كثيراً.
(وفيها) توفي الشيخ أبو منصور عبد الملك بن يوسف، وكان من أعيان الزمان.

(ثم دخلت سنة إحدى وستين وأربعمائة) (فيها) احترق جامع دمشق بسبب فتنة وقعت بين المغاربة والمشارقة، فضربت دار مجاورة للجامع بالنار، فاتصلت النار بالجامع، وعجز الناس عن إطفائها، فأتى الحريق على الجامع، فدثرت محاسنه، وزال ما كان فيه من الاعمال النفيسة.

(ثم دخلت سنة اثنتين وستين وأربعمائة) (في هذه السنة) توفي طفغاج خان ملك ماوراء النهر، واسمه أبو إسحاق إبراهيم بن نصر أيلك خان، وملك بعده ابنه شمس الملك نصر بن طفغاج، وبقي شمس الملك حتى توفي، ولم يقع لي تاريخ وفاته، وملك بعده أخوه حصر خان بن طفغاج، ثم ملك بعده ابنه أحمد، وبقي أحمد المذكور حتى قتل سنة ثمان وثمانين وأربعمائة على ماسنذكره إن شاء الله تعالى.

(وفيها) كان بمصر غلاء شديد حتى أكل الناس بعضهم بعضاً، وانتزح منها من قدر على الانتزاح، واحتاج خليفة مصر المستنصر العلوي إلى إخراج الآلات

وبيعها، فأخرج من خزانته ثمانين ألف قطعة بلور كبار، وخمساً وسبعين ألف قطعة من الديباج وأحد عشر ألف كزغندو[١]، وعشرين ألف سيف محلى، ووصل من ذلك مع التجار إلى بغداد.

(ثم دخلت سنة ثلاث وستين وأربعمائة) فيها قطع محمود بن نصر بن صالح ابن مرداس صاحب حلب خطب المستنصر العلوي، وخطب للقائم العباسي خليفة بغداد. (وفيها) سار السلطان ألب أرسلان إلى ديار بكر، فأتى صاحبها نصر بن أحمد بن مروان إلى طاعته وخدمته، ثم سار ألب أرسلان حتى نزل على حلب، فبذل صاحبها محمود بن نصر بن صالح بن مرداس له الطاعة، بدون أن يطئ بساطه، فلم يرض ألب أرسلان بذلك، فخرج محمود ووالدته ليلاً، ودخلا على السلطان ألب أرسلان فأحسن إليهما، وأقر محموداً على مكانه بحلب.

(وفيها) سار ملك الروم أرمانوس بالجموع العظيمة من أنواع الروم والروس والجركس وغيرهم حتى وصل إلى ملاز كرد، فسار إليه ألب أرسلان وسأل الهدنة من ملك الروم فامتنع واقتتل الجمعان، فولى الروم منهزمين، وقتل منهم ما لا يحصى، وأخذ الملك أرمانوس أسيراً، فشرط ألب أرسلان عليه شروطاً من حمل المال والأسرى والهدنة، فأجاب أرمانوس إليها، فأطلقه ألب أرسلان وحمله إلى مأمنه.

(وفيها) قصد يوسف[٢] بن أبق الخوارزمي وهو من أمراء ملكشاه بن ألب أرسلان الشام، وفتح مدينة الرملة وبيت المقدس، وأخذهما من نواب الخليفة المستنصر، صاحب مصر، ثم حصر دمشق وضيق على أهلها ولم يملكها.

(ذكر غير ذلك)

وفي هذه السنة توفي أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الغوراني[٣] الفقيه الشافعي، مصنف كتاب الإبانة وغيره. (وفيها) توفي أبو الوليد أحمد بن عبدالله بن أحمد بن غالب بن زيدون الأندلسي القرطبي، وكان من أبناء الفقهاء بقرطبة ثم انتقل وخدم المعتضد بن عباد صاحب إشبيلية، وصار عنده وزيره. ولابن زيدون المذكور الأشعار الفائقة منها:

---

(١) في الكامل: كزاغند ج٨ ص٣٨٥.

(٢) في الكامل: أتسز بن أوق الخوارزمي. ج٨ ص٣٩٠.

(٣) في الكامل: بن أحمد فوران الفوراني. ج٨ ص٣٩٠.

بيني وبينك مالوشئت لم يضع ... سراً إذا ذاعت الأسرارُ لم يُذعِ
يا بائعاً حظَّه مني ولو بذلت ... لي الحياة بحظّي منهُ لم أبعِ
يكفيكَ أنّكَ لو حمّلتَ قلبي ما ... لم تستطعهُ قلوبُ الناسِ يستطعِ
تِه أحتملْ واستَطِلْ أصبرْ واعزَّ أهُنْ ... وَوَلِّ اقبل وقُلْ أسَمَعْ ومُرْ أطعِ[1]

ومن قصائده المشهورة قصيدته النونية التي منها:

تكادُ حينَ تُناجيكم ضمائرُنا ... يقضي علينا الأسى لولا تأسينا

(وفيها) في ذي الحجة توفي ببغداد الخطيب أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي صاحب المصنفات الكثيرة، وكان إمام الدنيا في زمانه، وممن حمل جنازته الشيخ أبو إسحاق الشيرازي، وصنف تاريخ بغداد، الذي ينبئ عن اطلاع عظيم، وكان من المتجرين، وكان فقيهاً فغلب عليه الحديث والتاريخ، ومولده في جمادى الآخر سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة وكان الخطيب المذكور في وقته حافظ الشرق، وأبو عمرو يوسف بن عبد البر صاحب الاستيعاب حافظ الغرب، وماتا في هذه السنة، ولم يكن للخطيب عقب، وصنف أكثر من ستين كتاباً، وأوقف جميع كتبه رحمه الله. وأما ابن عبد البر المذكور، فهو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، كان إمام وقته في الحديث، ألف كتاب الاستيعاب في أسماء الصحابة، وصنف كتاب التمهيد، على موطأ مالك، تصنيفاً لم يُسبق إليه، وكتاب الدرر في المغازي والسير، وغير ذلك، وكان موفقاً في التاليف معاناً عليه، وسافر من قرطبة إلى شرق الأندلس، وتولّى قضاء أشبونه[2] وشنترين[3] وصنف لمالكها المظفر بن الأفطس، كتاب بهجة المجالس، في ثلاثة أسفار جمع فيه أشياء مستحسنة تصلح للمحاضرة، ومما ذكره في الكتاب المذكور أنّ النبي ﷺ رأى في منامه أنه دخل الجنة ورأى فيها عذقاً مدلى فاعجبه وقال: لمن هو؟ فقيل: لأبي جهل. فشق عليه ذلك وقال: مالأبي جهل والجنة؟ والله لا يدخلها أبداً، فلما أتاه عكرمة بن أبي جهل مسلماً، فرح به وتاول ذلك العذق، ابنه عكرمة.

ومن ذلك ماروي عن جعفر بن محمد الصادق، أن النبي ﷺ رأى كان كلباً أبقع يلغ في دمه، فكان شمر بن أبي جوشن، قاتل الحسين، وكان أبرص. فتفسرت

---

(١) تِهْ أحتَمِلْ واستَطِلْ أصبِرْ وَعِزَّ أهِنْ ... وَوَلِّ أقْبِلْ وَقُلْ أسْمَعْ وَمُرْ أطعِ.
(٢) الأصح: الشبونة.
(٣) شنترين: انظر الصفحة ٩١.

رؤياه بعد خمسين سنة.

ومنه أن النبي ﷺ قال لأبي بكر الصديق رضي الله عنه: يا أبا بكر، رأيتُ كأني وأنت نرقى في درجة فسبقتك بمرقاتين ونصف، فقال أبو بكر يارسول الله، يقبضك الله إلى رحمته، وأعيش بعدك سنتين ونصفاً.

ومنه أن بعض أهل الشام قص على عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: رأيت كأن الشمس والقمر اقتتلا، ومع كل واحد منهما فريق من النجوم، فقال عمر: مع أيهما كنت؟ قال مع القمر. قال: مع الآية الممحوة، والله لا توليت لي عملاً. فقتل الرائي المذكور على صفين، وكان مع معاوية.

ومنه أن عائشة رضي الله عنها رأت كأن ثلاثة قمر سقطن في حجرها. فقال لها أبوها أبو بكر رضي الله عنهما: يدفن في بيتك ثلاثة من خيار أهل الأرض. فلما دفن فيه النبي ﷺ قال لها: هذا أحد أقمارك. ولغرابة ذلك أوردناه.

وتوفي الحافظ بن عبد البر المذكور في مدينة شاطبة من الأندلس في هذه السنة، أعني سنة ثلاث وستين وأربعمائة. (وفيها) توفيت كريمة بنت أحمد بن محمد المروزية، وهي التي تروي صحيح البخاري بمكة. وإليها انتهى علو الإسناد الصحيح.

(ثم دخلت سنة أربع وستين وأربعمائة)

(ذكر وفاة بن عمار قاضي طرابلس)

وفي هذه السنة في رجب، توفي القاضي أبو طالب بن عمار قاضي طرابلس، وكان قد استولى عليها واستبد بأمرها فقام مكانه ابن أخيه جلال الملك أبو الحسن ابن عمار، فضبط البلد أحسن ضبط.

(ثم دخلت سنة خمس وستين وأربعمائة)

(ذكر مقتل السلطان ألب أرسلان)

في هذه السنة سار السلطان ألب أرسلان، واسمه محمد، إلى ماوراء النهر، وعقد على جيحون جسراً وعبره، في نيف وعشرين يوماً، وعسكره يزيد على مائتي ألف فارس ولما عبر السلطان ألب أرسلان النهر مدّ سماطاً في بليدة هناك يقال لها فربر، وبتلك البليدة حصن على شاطئ جيحون، فأحضر إليه مستحفظ ذلك الحصن، ويقال له يوسف الخوارزمي، مع غلامين يحفظانه وكان قد ارتكب جريمة في أمر

الحصن، فأمر السلطان أن تضرب له أربعة أوتاد، ويشد بأطرافه إليها. فقال له يوسف: يا مخنث، مثلي يُقتل هذه القتلة؟ فغضب السلطان وأخذ القوس والنشاب وقال للغلامين: خلياه ورماه بسهم، فأخطأه ولم يكن يخطئ سهمه، فوثب يوسف على السلطان بسكين كانت معه، فقام السلطان عن السدّة فوقع على وجهه، فضربه يوسف بالسكين، ثم جرح شخصاً آخر واقفاً على رأس السلطان يقال له سعد الدولة، ثم ضرب بعض الفراشين يوسف المذكور بمزربة على رأسه فقتله ثم قطعه الأتراك، فقال السلطان وهو مجروح: لما كان أمس صعدت على تلٍّ فارتجت الأرض تحتي من عظم الجيش، فقلت في نفسي: أنا ملك الدنيا، وما يقدر أحد عليَّ فعجزني الله بأضعف خلقه، وأنا أستغفر الله وأستقيله من ذلك الخاطر، وكان جرح السلطان في سادس عشر ربيع الأول، وتوفي في عاشر ربيع الآخر من هذه السنة، وعمره أربعون سنة وشهور وأيام، وكانت مدة ملكه مذ خطب له بالسلطنة إلى أن توفي تسع سنين وستة أشهر وأياماً، وأوصى بالسلطنة لابنه ملك شاه وكان في صحبته، فحلف جميع العسكر لملك شاه، واستقر في السلطنة.

وكان المتولي على الأمر نظام الملك وزير السلطان ألب أرسلان، وعاد ملكشاه بالعسكر من بلاد ماوراء النهر إلى خراسان، وأرسل إلى بغداد وإلى الأطراف، فخطب له فيها على قاعدة أبيه ألب أرسلان، واستمر نظام الملك على وزارته ونفوذ أمره، ولما استقر ملك ملكشاه خرج عمه قاروت بك صاحب كرمان عن طاعته، وسار إليه فالتقى الجمعان فانهزم عسكر قاروت بك وأُتي به إلى ملكشاه أسيراً، فأمر به فخنق وأقر كرمان على أولاده، ولما انتصر ملكشاه كثرت أذية العسكر للبلاد ففوض ملكشاه الأمور إلى نظام الملك، وحلف له وزاده من الإقطاعات على ماكان بيده مواضع من جملتها مدينة طوس ولقبه ألقاباً من جملتها أتابك، وأصلها أطابك، ومعناه الوالد الأمين فأحسن نظام الملك السياسة والتدبير.

(ذكر أخبار المستنصر العلوي خليفة مصر، وقتل ناصر الدولة)

فنقول: كانت قد استولت والدة المستنصر العلوي خليفة مصر على الأمر، فضعف أمر الدولة، وصارت العبيد حزباً، والأتراك حزباً، وجرت بينهم حروب، وكان ناصر الدولة وهو من أحفاد ناصر الدولة بن حمدان من أكبر قواد مصر، والمشار إليه، فاجتمعت إليه الأتراك وجرى بينهم وبين العبيد عدة وقعات، وحصر ناصر الدولة مصر وقطع الميرة عنها براً وبحراً، فغلت الأسعار بها وعدم ماكان بخزائن المستنصر،

حتى أخرج العروض كما تقدم ذكره وعدم المتحصل بسبب انقطاع السبيل، ثم استولى ناصر الدولة على مصر وانهزمت العبيد وتفرقت في البلاد، واستبد ناصر الدولة بالحكم، وقبض على والدة المستنصر وصادرها بخمسين ألف دينار، وتفرق عن المستنصر أولاده وأهله.

وانقضت سنة أربع وستين وما قبلها بالفتن، وبالغ ناصر الدولة في إهانة المستنصر، حتى بقي المستنصر يقعد على حصيرة، لا يقدر على غير ذلك. وكان غرضه في ذلك أن يخطب للخليفة القائم العباسي، ففطن بفعله قائد كبير من الأتراك اسمه الدكز، فاتفق مع جماعة على قتل ناصر الدولة، وقصدوه في داره فخرج ناصر الدولة إليهم مطمئناً بقوته، فضربوه بسيوفهم حتى قتلوه، وأخذوا رأسه ثم قتلوا فخر العرب أخا ناصر الدولة، وتتبعوا جميع من بمصر من بني حمدان فقتلوهم عن آخرهم، وكان قتلهم في هذه السنة أعني سنة خمس وستين وبقي الأمر بمصر مضطرباً ولما كان سنة سبع وستين وأربعمائة ولي الامر بمصر أمير الجيوش بدر الجمالي، وقتل الدكز والوزير ابن كدينة، واستقامت الأمور كما سنذكره إن شاء الله تعالى.

(ذكر غير ذلك)

فيها توفي الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري النيسابوري، مصنف الرسالة، وغيرها، وكان فقيها أصولياً مفسراً كاتباً ذا فضائل جمة. وكان له فرس قد أهدي إليه فركبه نحو عشرين سنة ،فلما مات الشيخ لم يأكل الفرس شيئاً ومات بعد أسبوع، ومولده سنة ست وسبعين وثلاثمائة، وكان إماماً في علم التصوف، وقرأ أصول الدين على أبي بكر بن فورك، وعلى ابن إسحاق الإسفرائيني، وله تفسير حسن، وله شعر حسن فمنه:

إذا ساعدتك الحالُ فارقب زوالها ... فما هي إلا مثل حلبة أشطر

وإن قصدتك الحادثات ببوسها ... فوسع لها ذرع التجلد واصبر

(وفيها) توفي علي بن الحسين بن علي بن المفضل الكاتب المعرف بصردر[1] الشاعر المشهور، وكان أبوه يلقب بشحنة صردر، فما بلغ ولده المذكور وأجاد في الشعر قيل صردر، ومن جيد شعره قوله:

تسائل عن ثمامات بحزوي ... وبانّ الرمل يعلم ماعنينا

---

(١) في الكامل: المعروف بابن صربعر ج٨ ص٤٠٢. وكان نظام الملك قال له أنت ابن صردّر لا صربعر.

فقد كشفَ الغطاء فما نبالي ... أصرّحنا بذكرِكَ أم، كنينا
الا للّه طيف منك يُسقى ... بكاسات الري زوراً ومينا
مطيته طوال الليل جفني ... فكيف شكا إليك وجا وأينا
فأمسينا كأنا مسا افترقنا ... وأصبحنا كأنا ما التقينا

(ثم دخلت سنة ست وستين وأربعمائة)، (وفي هذه السنة) زادت دجلة وجاءت السيول حتى غرق الجانب الشرقي، وبعض الغربي، ودخل الماء إلى المنازل من فوق ونبع من البلاليع، وغرق من الجانب الغربي مقبرة أحمد، ومشهد با ب التين، وهلك في ذلك خلق كثير.

(ثم دخلت سنة سبع وستين وأربعمائة) فيها وصل بدر الجمالي إلى مصر وكان بدر متولي سواحل الشام، فارسل إليه المستنصر العلوي يشكو حاله واختلال دولته، فركب البحر في قرة الشتاء في زمن لايسلك البحر فيه، فمن اللّه تعالى عليه بالسلامة، ووصل بدر إلى مصر وقبض على الأمراء والقواد الذين كانوا قد تغلبوا، وأخذ أموالهم وحملها إلى المستنصر، وأقام منار الدولة وشيد من أمرها ماكان قد درس، ثم سار إلى الإسكندرية ودمياط وأصلح أمورهما، ثم عاد إلى مصر وسار إلى الصعيد وقهر المفسدين، وقرر قواعد البلاد وأحسن إلى الرعية، فعمرت البلاد وعادت مصر وأعمالها إلى أحسن ماكانت عليه.

(ذكر وفاة القائم)

في هذه السنة ليلة الخميس ثالث عشر شعبان، توفي القائم بأمر اللهّ عبد اللّه وكنيته أبو جعفر بن القادر أحمد بن الأمير إسحاق بن المقتدر باللّه جعفر بن المعتضد أحمد، وكان قد لحق القائم ماشراً[1] فافتصد، فانفجر فصاده وهو نائم، وخرج منه دم كثير وهو لايشعر، ولم يكن عنده أحد، فاستيقظ وقد ضعف وسقطت قوته، فأحضر الوزير ابن جهير والقضاة وأشهدهم أنه جعل ابن ابنه عبد اللّه بن ذخيرة الدين محمد بن القائم ولي عهده، وتوفي القائم وعمره ست وسبعون سنة وثلاثة أشهر وأيام، وكانت خلافته أربعاً وأربعين سنة وثمانية أشهر وخمسة وعشرين يوماً، وقيل عمره ست وتسعون سنة وأشهر.

(١) في الكامل: اصابه شرى ج٨ ص٤٠٦.

فهرس الكتاب